

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق



ديوان

فتيان الشاغوري

(أبو محمد فتيان بن علي الأسدي)

(٥٣٠ - ٦١٥ هـ)

تحقيق

أحمد الجندي

الرقابة الببلوغرافية

مقدمة الديوان

شاعرنا هذا ، الذي نقدم اليوم ديوانه المطبوع لأول مرة ، اسمه المفصل : ابو محمد فتيان بن علي جمال الدين الأسدي النحوي [1] . وقد جاء اسمـه هذا مختلف الرواية ، بين ياقوت وابن خلكان وصاحب النجوم الزاهرة . فهو حيناً ابن نمال « بالنون » وآناً ابن ثمال (بالثاء) ، وهو تارة : الأسدي الحنفي الدمشقي ، وحيناً : الأسدي النحوي ، وقد أضيف الى الاسم لقب الشهاب الشاغوري المعلم ، نسبة الى حيّ الشاغور في مدينة دمشق ، ونسبة الى مهنته يوم عاش معلماً في بلدة الزبداني ، وله في هذه البلدة ، أوصاف ومدائح واهاجٍ يراها القارىء مبثوثة في الديوان .

ولد شاعرنا الشهاب الشاغوري بعد سنـــة ٥٣٠ للهجرة [2] ، في بانياس الساحلية ـ على الأكثر ـ وعاش طفولته وشبـابه الأول في حيّ الشاغور من دمشق وقضى ردحاً من حياته العلمية معلماً في الزبداني وصاحب حلقة للتدريس في جامع دمشق الكبير كان فيها يقرىء النحو [3] وتوفي عام ٦١٥ هـ . فهو قد شارف التسعين من عمره .

---

(١) هكذا ورد الاسم في الصفحات الاولى من المصورة المحفوظة لدى دار الكتب الظاهرية بدمشق والمنقولة عن نسخة اصلية محفوظة في نيودلهي (الهند) تحت رقم / ١٣٨ / (أدب عربي نادر) وهذه النسخة الاصلية من اختيار ابن الشاعر وجمعه وقد كتبت سنة ٦٢٣ هـ أي بعد وفاة الشاعر بثماني سنين .

(٢) كحالة : معجم المؤلفين ٨ : ٥٤ .

(٣) خريدة القصر (صفحة ٢٤٧ جزء ١) .

عاش هـذا الشاعر في العهد الأيوبي واختص بالأمير نور الدين مودود ابن المبارك شحنة دمشق وابن أخي السلطان صلاح الدين لأمه كما مدح الكثيرين من الملوك والولاة الايوبيين . وكان هذا العصر مليئاً بالاضطرابات والحروب بين المسلمين والصليبيين ، فهو عصر نضال وجهاد ، وكان الشعر بطبيعة الحال وقفاً عَلَى وصف المعارك والحروب التي كانت تشغل العصر مما صرف الشعراء ، في كثير من الأحوال ، عن الالتفات الى الفنية الخالصة ، فالوصف والمدح هما اللونان البارزان من الشعر في أيام هذا الشاعر من القرنين السادس والسابع للهجرة .

ولقد انحط الشعر في رأي الكثيرين من قرائه خلال هذه الفترة ، وتحول عن غاياته الهامة التي كانت تنحصر في التعبير الصادق عن الهواجس والاحاسيس التي تتأثر بالطبيعة والحياة فيصورها الشعر تصويراً صادقاً بعيداً عن التكلف والصنعة ، إلا الصنعة التي تعين عَلَى تجويد الشعر وتقويمه وتهذيبه ، والاجماع في رأي اصحاب الشعر على أن الانحطاط الشعري قد بدأ بعد ابي العلاء والشريف الرضي ومن عاصرهما اي منذ اوائل القرن الخامس للهجرة ، وسبب هذا الانحطاط يرجع في الأغلب إلى ولع الشعراء بالمحسنات اللفظية ، من جناس وطباق وتورية واستعارة وتشبيه ، التي تحمل في طياتها المبالغة المستكرهة والتكلف المستهجن ، والصنعة الثقيلة التي تحول دون التعبير الشعري الصادق المحبب .

وعندي أن من أهم الأسباب التي دعت إلى هذا الانحراف الفني عند الشعراء في هذا العصر أن الملوك والممدوحين من الرؤساء والأمراء كان أكثرهم من أصل غير عربي ، بل ربما كان الكثيرون منهم لا يجيدون فهم اللغة العربية فهماً فنياً صحيحاً ، بحيث كان الشعراء يضطرون إلى تبسيط أشعارهم والتلاعب بألفاظهم

لتعجب أولئك الممدوحين الذين أولعوا بالبساطة اللفظية ، والمعاني السطحية التي قد تصل إلى حد التفاهة ، وبالتلاعب بالمحسنات البديعية التي كنا نعجب بها ونصفق لها أول عهدنا بقراءة الشعر وهو عهد البساطة والطفولة الفكرية . لكن الشاعر المطبوع لا يظل دائماً خاضعاً للكلفة والصنعة ، ولا بد أن يغلبه طبعه ، حين يخلو إلى نفسه ، فينصرف إلى ذاته ويتحدث عن شجونه الخاصة وبدوات نفسه الصادقة فيصف أحاسيسه بشعر بعيد عن الكلفـة ، وكأنه نسيَ القيود التي كبل بهـا شعره ، والقواعد التي رسف فيها قصيده . كما فعل الشاغوري حين كان يتحدث عن نفسه إلى نفسه فيشكو دهره في بعض قصائده التي خلص فيها من الملابسات والظروف التي أحاطت به إبان حياته .

ولقد كان شعر الشاغوري قوياً في لغته ، ولا غرابة في ذلك فهو معلم وصاحب حلقة للتدريس ، كما أسلفنا ، وهو معلم في الزبداني يدرس اللغة وأصول الـكلام والنحو . وملكت الصنعة عليه أمره في الشعر ، فأولع بالجنـاس ، والطباق إلى درجـة المبالغة ، كما أولع بالتورية والتشبيه وغيرهما من ألوان الصنعة اللفظية ، هذه الصنعة التي كانت أول عهد الشعر لوناً طريفاً يلجأ اليه أحياناً وبين الفترات للتنميق والتزويق وربما جاءت هذه المحسنات طبيعية بلا تكلف ، بحيث لا تضر بالشعر ولا تؤذي الخيال ، غـير انها انقلبت فيما بعد إلى لون قاتم ترين عليـه الـكلفة والتصنع وأصبحت عند القراء دليلاً على التقهقر الفني والارتكاس الأدبي الذي مشى على أثر الانحطاط السياسي .

وقد وفق الشاغوري في بعض هذه الصنعة ، وأخفق في قسم منها ولـكنه في الحالتين كان بارعاً براعة تدل على الذكاء النادر والموهبة العجيبة والعلم المـكين

وقد ترى له من التشابيه ما يملأ نفسك اعجاباً كما في هذين البيتين :

أَرْتَاحُ إِنْ لاحَ بَرِيقُ الحِمَى   إِلىٰ عُـرَيْبٍ ثَمَّ نائينـا

كَأَنهُ السَّيفُ إِذا شِمْتَهُ   يُغمَدُ حِيناً ويُرى حِينـا

كما ترى له ما يبعده عنك ، ويمنعك من قراءته كقوله :

سَقَى اللهُ داراً بِحَزْوى الرَّبابا   لِأَنَّ بِهـا زَيْنَباً والرَّبابا

وَلا يَعْدُها عَذْبُ أَمواهِهِ   فإِنَّ بِهـا لِلثَّنايا العِـذابا

يَقولُ مُقَبِّلُهـا إِنَّمـا   رَشَفْتُ بِها ضَرَباً لا رُضابا

فالجناس ثقيل على النفس في « الرباب والرباب » و « عذب والعذاب » و « الضرب والرضاب » ومثل هذا تجده مبثوثاً في كل صفحات الديوان بحيث تحتاج إلى قراءة طويلة لتقف على البيت الجميل الصريح الخالي من العبث والتكلف ولـكن استغرابك للصنعة في هذه الأبيات لا يمنع من أن تعجب بقدرة الشاعر على استغلال الصنعة استغلال العالم الشاعر .

كان فتيان الشاغوري فقيراً ، وقد شكا من الفقر كما شكا من أهـل بلده دمشق بسبب هذا الفقر فقال :

أهونُ هوانَ الفضل بالشام عنده   ألا إن ذكر الفضل بالشام خاملُ

كما شكا من سوء حظه :

يا ليت نائم حظي هب منتبهاً   بيقظة منـه بعد الفقر تغنيـه

وكان يحب اللهو والمرح إلى جانب الشكوى والترح ، وقـد يبدو هذان الاتجاهان متعاكسين ، ولـكن أصحاب الفن قد يجمعون في طبائعهم المتناقضات

حتى تجد أشدهم بؤساً أكثرهم ميلاً إلى اللهو والمرح ، فالشاعر حين يرى اللهو ينسى الألم ، وحين يقع في الألم يذهل عن المرح .

كان الشاغوري يحب الجمال ، ويحب اللهو ، ويحب الغناء ، وقد ملأ ديوانه بأوصاف هذه المظاهر كلها ، وكان موفقاً في أكثرها لأنه كتب شعره فيها وهو منصرف إلى نفسه وأحاسيسه الصادقة ولا أدل على هذا من رجوعك إلى بعض قصائده ، أو إلى مقدمات هذه القصائد التي يخلو فيها إلى ذاته .

وكان هجاءاً ، قد يبلغ في هجائه حدَّ الإعجاز ، ولا أدلَّ على هذا من هجائه زميله الشاعر الكبير ابن عُنين ، والإقدام على هجاء مثل ابن عنين ، دليل على القوّة والجرأة والاعتداد بالنفس ، لأن ابن عنين كان مرهوبَ الجانب ، وخاصةً في الهجاء ، حتى لقد هجا صلاحَ الدين الأيوبيّ على جلالة قــدره ، ونُفي بسبب هـذا الهجاء . ويبلغ الشاغوريّ حدَّ الإقذاع في هجاء خصومه من مثل جرجس القنياط النصراني . ويمكن الرجوع إلى هذا الهجاء في الديوان ، ليتذكر القارئ إقذاع بشار ، وفحش ابن الروميّ ، وشتائم دعبل ، وشعراء اليتيمة . لقد نظم الشاغوريُّ في كل فنون الشعر ، وغلب عليــه الغزلُ الذي كان يجعله مقدّماتٍ لقصائده ، حسب طريقة هاتيك الأيام ، ثم المدح الذي اتخذه وسيلةً للطلب والاستجداء ، لفقره واحتياجه ، والوصفُ الذي هو أحسن شعره كما أرى ، ولعلّك تجدُ إبداعاً نادراً في هذا الأبيات الصادقة التالية ، وهو يدعو صديقاً إلى نزهة :

بادِرْ إلينا فإنَّ الراحَ ممكنةٌ   والكأسُ دائرةٌ والشملُ مجتمعُ
ويومُنا طيِّبٌ صافي الأديمِ وما   فيه هواء ولا في رأسه قَزَعُ

والزهرُ يلعبُ معتلُّ النسيم به   والبمُّ منخفضٌ والزيرُ مرتفعُ
والطيرُ ترقصُ في الأغصان من طربٍ   تكادُ منه على هاماتنا تقعُ

إن مثل هذه الأبيات لتذكرنا بالبحتريّ وابن زيدون وابن الروميّ ، فهي من الشعر الذي هرب فيه الشاعر من التكلف ، ليلتفتَ إلى قلبه وأحاسيسه ، وشعوره الصادق .

ولقد تأثر شاعرنا في حياته بناحيتين هامتين ، كانتا عنده الباعثَ على نظم الشعر ، أولها : الفقرُ الذي شكا فيه حاله وقلةَ ماله ؛ حتى لقد استجدى وألحَّ في استجدائه رغم اعتزازه بنفسه ، وإدلاله بعلمه وموهبته . ولقد حَذا في باب الشكوى حذوَ الطغرائي في « لامية العجم » فاختار بحر القصيدة وقافيتها ، وتحدث في الموضوع ذاته ، فألحى باللائمة على أبناء جيله ، فكان في هذه القصيدة موفقاً في الناحية الفكرية والناحية الفنية على السواء ، واستمع إليه يقول في هذه القصيده الطويلة :

قالوا امتدِحْ عظَماءَ النَّاسِ قلتُ لهمْ   خَوْفُ الزَّنابيرِ يُثْنيني عَنِ الْعَسَلِ
سَوْءاتُهُمْ هَزَمَتْ مجْدي وَلا عَجَبٌ   عَمرو بسوْأَتهِ في الحرْبِ رَدَّ عَلي
إنْ ضِقْتُ ذَرْعاً بِأَقوامٍ سواسِيَةٍ   فَما الْكَريمُ بأَنْ يُؤذىٰ بِمُحْتَمِلِ
وَالْعَجْزُ أوجَبَ لي ذُلَّ الخمولِ وَلَوْ   أَنّي تَنَقَّلْتُ كانَ العِزُّ في النُّقَلِ

وثاني المؤثرات في شعر الشاعر المعارك التي شهدها أو سمع بها كأنه يراها ، وقد تأثر فيها بشعر المتنبي حتى سعى إلى تقليده . وهو إن جارى الطغرائيَّ ، أو جالَ من ميدانه ، أو حلقَ في سمائه ، فقد ظهرَ عليه التقصير حين تعرض

لمجاراة المتنبي الذي لا يلحقه أحدٌ ، وهو القائل في الكثيرين من خصومه وحساده :

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق　　أراهُ غباري ثم قال له الحَقِ

ولكن الشاغوريَّ يظلُّ في أوصافه قويَّ اللغة مشبوبَ الخيال ، تطاوعه الفكرة وتواتيه القافية ، واستمع إليه يقولُ من قصيدة يصف الملك الظاهر غياث الدين بن صلاح الدين :

هُوَ كالغَيْثِ لَدىٰ السِّلْمِ سَماحاً　　وغداةَ الحرْبِ ليْثٌ لا يُرامُ

ما رَأَينا قَمَراً مِنْ قَبْلِهِ　　وَلهُ مِنْ نسجِ داوودَ لِثامُ

جَيشُهُ المأمومُ في الحربِ مُشيحاً　　هازِمٌ والمَلِكُ الغازي الإِمامُ

سيفُهُ الرَّاكِعُ في هامِ الْعِدىٰ　　تَحته ساجِدَةٌ في التربِ هامُ

باسِطِ الكفِّ فما يثنيه للقبضِ إلّا سَمْهَريٌّ أو حُسامُ

وانظر إليه يتحدث عن أدوات الحرب ، ويصف الجيش المحارب وقائده الأمجد ابن فرخشاه صاحب بعلبك :

فجنودُهُ الأُسْدُ الضَّواري ما لَها　　إلاَّ الْقَنا يَوْمَ الْوَغى آجامُ

وجُيوشُهُ كالرُّمْحِ وهُوَ سِنانُهُ　　عَن قَلْبِ جَيْشٍ ما لَهُ إحْجامُ

وَالسَّيْفُ في يمناهُ بَرْقٌ لامِعٌ　　يَجري دِماءً والعجاجُ غَمامُ

تبكي عُيونُ الشِّرْكِ منهُ لفتكِهِ　　بالمشرِكينَ وَيضحَكُ الإِسلامُ

ثم انظر إلى هذه الصورة الرائعة التي تذكرك بقصيدة فتح عمورية لأبي تمام ، وبقصيدة « الحدث الحمراء » للمتنبي في وصف جواد الملك المحارب :

وَحصانه ، بَحر ، يموجُ بسَرجِهِ　　بَحرٌ ، وَيزأَرُ فوقَهُ ضِرغامُ

ومما لا ريب فيه أن قارئ شعر هذا العصر يلمح في أثنائه صراعاً غير خافٍ بين طبيعة الشاعر الفنية التي تعشق الحرية وتسعى إلى الانطلاق لتحصي أحاسيسها وتسجلها في شعر أشبه بالغناء ، وهذه الصنعة التي تريد أن تكبل كلَّ شيء عند الشاعر ، وأن تخضع شعرَه لقيودها التي تعوق طبيعته الفنية عن الانطلاق والتحليق في سماء الحس والخيال ، وإن كانت هذه الصنعة ذاتها لا تخلو من جمال وقدرة ولباقة في كثير من الأحيان .

في هذا الديوان الجديد للشاعر فتيان الشاغوري يجد القارئ لغةً وعلماً وشعراً ، فإذا لمح فيه ما يكره من الكلفة ، فليعزُ ذلك إلى العصر الذي كبَّلَ الشاعر بطريقته ومتطلبات قرائه وشعرائه ، مما لا قِبل لشاعر يريد أن يعيش من شعره بتحديه أو مخالفته والخروج عليه . ولكن القارئ لا يعدم أن يرى في ثنايا هذا الديوان ما يرضيه : من شاعرية ثرَّة ، وإحساسٍ فياضٍ ، وأوصافٍ تحرّك نفسه وتهيج خواطره .

إن القصد الأول من تحقيق هذا الديوان هو إحياء هذا الأثر الفني الذي لم يعرفه قراء العربية إلا في شذرات مبثوثة في ثنايا الكتب ، وإحياء التراث هذا هو طريق مجمع اللغة العربية بدمشق إلى خدمة الأدب العربي وثقافته ولغته ، وقد رأيتُ أن من الغبن الظاهر إهمال مثل هذا الأثر الذي يصور عهداً من عهود التاريخ الأدبي والسياسي لفترة من أزهى فترات تاريخنا نضالاً وجهاداً واستماتة في سبيل إنقاذ الكرامة العربية من استعمار أوروبي جثم على صدر البلاد العربية مدة طويلة من الزمن .

ولقد لقيتُ عنتاً في هذا التحقيق ، فالخط رغم جماله ، مليء بالأخطاء من

من محوٍ وسهوٍ وخرم ، والطريقة التي كتب فيها الديوان تختلف عن طريقتنا الكتابية هذه الأيام ، ومن الرجوع إلى النموذجين المثبتين في الديوان المأخوذين عن النسخة المصورة المحفوظة في دار الكتب الظاهرية نتبين صحة هذا القول .

ولقد وقعنا في أخطاء مطبعية نتيجة صعوبة قراءة الخط ، بحيث لم نتبين الوجه الصحيح للكلمة إلا بعد أن جرى الطبع ، وسبق السيف العذل ، ولم تكن لدينا نسخة أخرى يمكن أن نستأنس بها أو نلجأ إليها . ونحمد الله على أن هذه الأخطاء كانت قليلة العدد بحيث تكاد لا تذكر .

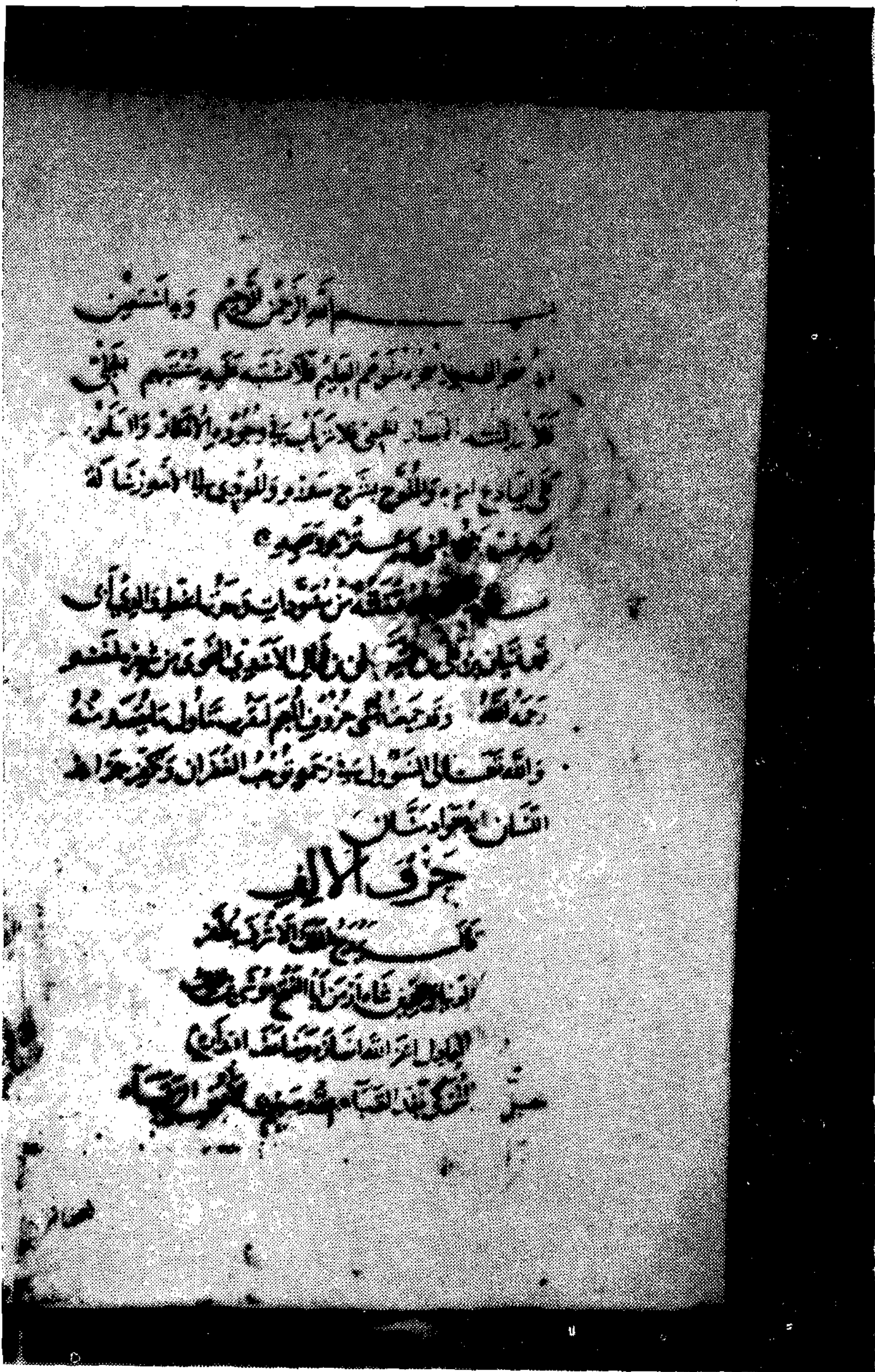
ومع هذا فأنا آمل أن أكون قد بلغت في جهدي الدرجة التي يشعر القارىء معها بهذا الجهد المبذول ، والتعب الذي أنفقت فيه أياماً طويلة ، وفي هذا التعب والجهد عذر لي على كل حال ، وفيه آمل بأن يرضى القارىء المنصف عما قدمت له من أثر أدبي .

أحمد الجندي

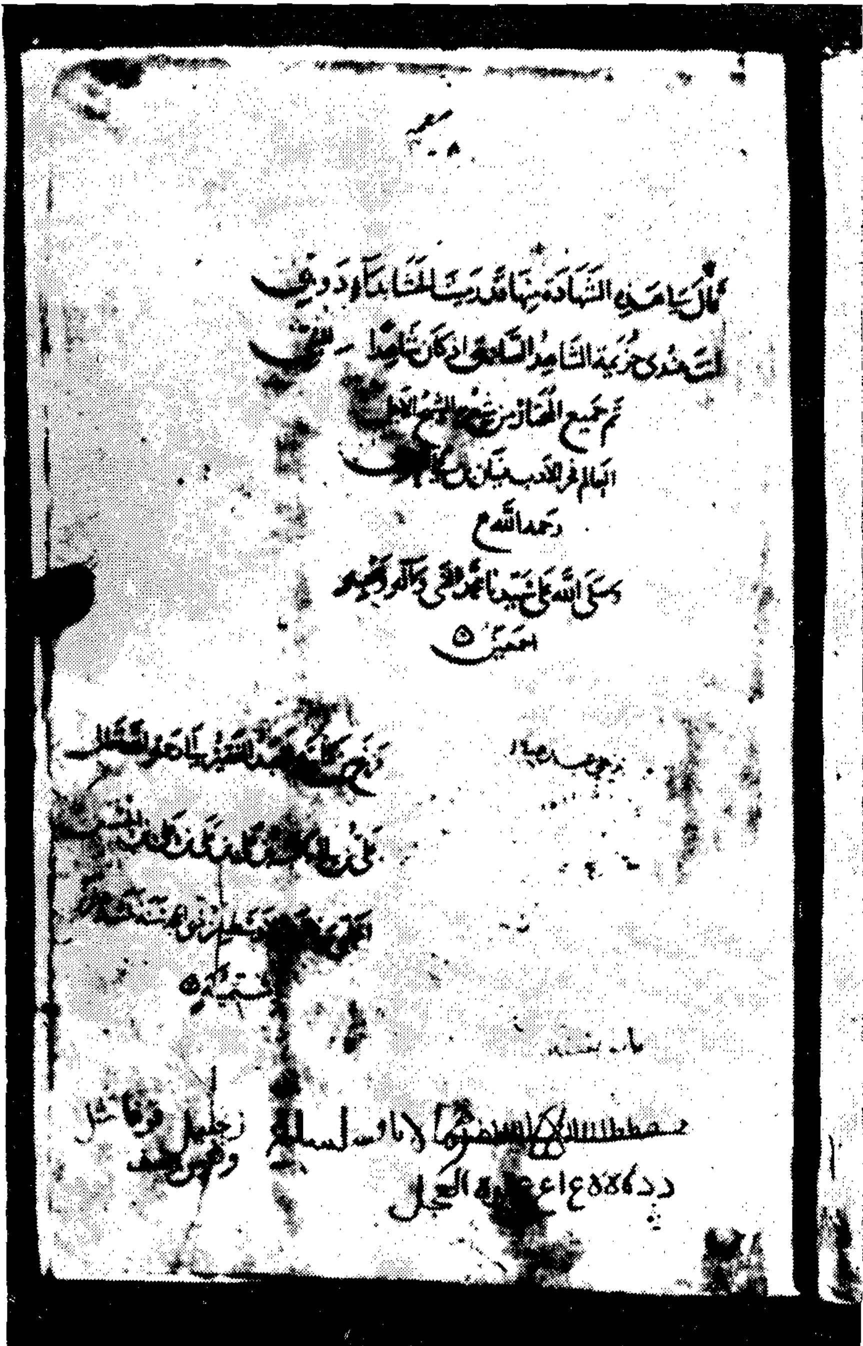
ديوان

فتيان الشاغوري

(أبو محمد فتيان بن علي الأسدي)



الصفحة الأولى من المخطوطة


تم جميع المثال من شعر الشيخ الأجل
العالم فخر الأدب
رحمه الله
صلى الله على نبينا محمد النبي وآله وصحبه
أجمعين

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

الحمد لله القدير فلا يعجزه مُتوَهّم ، العليم فلا يشتبه عليه مُستَبْهَمْ ، الجليّ فلا تدركه الأبصار ، الخفيّ فلا ترتاب في وجوده الأفكار ، والصلاة على الصادع بأَمره[1] ، والمتوج بشرح صدره ، والمؤدي إلى الأمة رسالة ربّه ، سيدنا محمد النبيّ وعترته وصحبه .

هذا ما قد وجدته فنقلته من مُسَوَّدات وجدتها بخط والدي أبي محمد فتيان بن علي بن فتيان بن ثَمالِ الأسدي النحوي من شعره لنفسه رحمه الله ، وقد جمعته على حروف المعجم ليقرب تناول ما يقصد منه والله تعالى المسئول في رحمةٍ توجب الغفران وتكفّر جرائر[2] اللسان إنه جواد منان .

(١) ظاهر ما في الصورة (أمره) وأضيفت الباء للألف .
(٢) كذا ، وكفر الذنب : ستره ومحاه .

حرف الألف

قال يمدح الملك الأشرف[1] مظفر الدنيا والدين شاه أرْمَن أبا الفتح موسى ابن الملك العادل أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره :

حلّ [عَقْدُ][2] التركيّ بندَ القباء ... عِقْدَ صبري لأعين الرقباء

[وقال يمدح الملك المنصور[3]]

---

(١) الملك الأشرف من ملوك الدولة الأيوبية .

(٢) الكلمة مطموسة ولا أثر لها في المخطوطة المصورة وقد قدرنا أنها مصدر « عقد » والعقد الثانية بكسر العين وبعد هذا البيت بياض وستأتي قصيدة أخرى من بحر آخر هو البحر الكامل على حين أن البيت آنف الذكر من البحر الخفيف وكذلك فإن قافية هذا البيت مكسورة وقافية القصيدة الثانية مرفوعة كما سترى ، إلا أن الناسخ كتب في أسفل الصفحة الأولى « لعفاته » وهذه الكلمة هي مطلع أبيات القصيدة الثانية في الصفحة التالية ، وهذا يدل على : إما أن الناسخ قد توهم أن القصيدتين واحدة ، وهذا مانستبعده أو أن هنالك بيتاً أو بيتين مع البيت الأول قد طمسا وانتقل الناسخ إلى القصيدة الثانية وضاع ما يفصل بين القصيدتين .

(٣) هذه الجملة زيادة من عندنا لأن القصيدة ليس لها مقدمة ولا عنوان كسائر قصائد الديوان ، ومطلع القصيدة هنا ليس هو المطلع الحقيقي مما يدل على وقوع سقط في الديوان . وقد ذكر الشاعر الملك المنصور في القصيدة ومن ذلك استنتجنا أنها موجهة إليه . والملك المنصور هو فرخشاه بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب ابن أخي السلطان صلاح الدين الأيوبي ، من سلاطين الأيوبيين .

لعُفاتِهِ وعِـــدَاتِهِ من جُودِهِ وجنـــودِهِ السَّرّاءُ والضَّرّاءُ

ولَدَيهِ كلُّ عجاجَةٍ سوداءَ في يومِ الكَريهَةِ روضةٌ خضراءُ

في الرَّوْعِ يقتحِمُ الغبارَ بسيفهِ وبسيفهِ نــارُ الفِرندِ دماءُ

يَضعُ السِّنانَ بحيثُ شاءَ من العِدا فلخوفِهِ شُجعــانُهُم جبناءُ

إبداؤهُ بالجودِ يُلفى ماهِراً والعَوْدُ منهُ يَخْجَلُ الإبْداءُ

عاينتُ منه طلعةً ملكيةً مِنهــا على وجهِ الزمانِ بهاءُ

فَلِبُعْدِهِ عنّي وَفَدتُ بِشِقْوَةٍ فدنا الشِّفاءُ بهِ وزالَ شَقَاءُ

قد كانَ حُسّادي عليهِ كثيرةً ولِبُعدِهِ كثُرَت ليَ الرُّحَماءُ

وهو الذي أرجو نداهُ وعِندَهُ لمؤمِّليهِ لن يخيبَ رَجــاءُ

فعليهِ من بعدِ الإلـٰهِ مُعَوَّلي وغِنـــايَ منه لم يَشُبْهُ عَناءُ

لّما غدا المنصورُ أفضَلَ سَيِّدٍ في فضلِهِ نالَ المُنىٰ الفُضَلاءُ

وهو الذي ضاعت بكلِّ ولايةٍ في الناسِ إلا عِنْدَهُ الأدباءُ

يا أيُّها المَلِكُ الذي أوصافه تعلو على ما قالَتِ الشعراءُ

لا زِلتَ ما دامَ الزمانُ مُمتَّعاً في المُلكِ دائمةً لكَ النَّعماءُ

وقال وقد سأله الأديب وُحَيْش[1] الأسدِي أن يَنظِمَ لهُ أبياتاً في صَبيٍّ شوّاء كان يهواه :

---

(١) وحيش الأسدي هو سبع بن خلف بن عبد الله المرار الأسدي الشاعر .

أنا في الهوى لحم على وَضَم لما | عانيتُ من بَرحٍ ومن بُرَحاء
بمشمِّرٍ عن مِعْصميه مزَنَّرٍ | يهتزُّ بين التيـه والخُيَـلاء
غمرُ[1] اللباسِ متى بدا لك وجهه | أَبصرتَ فوق الأرض بدر سَماء
ما مدَّ مِديتَه لقطع شِوائه | إلا أرانـا أَعجَبَ الأشياء
ظبيٌ لواحظُهُ أشدُّ مواقِعاً | من شَفرةٍ بيديهِ في الأحشاء
يسطو على ما ليس يَعقِلُ مثلما | يَسطو بمِديَتِهِ على العُقلاء
فاعجبْ لجزّارٍ فعـالُ جفونهِ | في النـاس ضِعفُ فِعاله بالشاء
تستوقف الأبصار بالفُسقار[2] صو | رةُ وجهه من رائحٍ أو جائي
لو لم يكن بدرَ السماء لما بدا | من لونِهـا بغِلالهٍ زرقاء

وقال أيضاً :

قم فاْجلُ بنتَ الكَرْمةِ الخضراءِ | في الكأْسِ كالياقُوتَةِ الحمْراءِ
راحٌ متى ما أشْرَقتْ في كأسِها | فاضتْ أَشِعَّتُها على الجُلَساءِ
في شُربهـا من كل قلبٍ شهوةٌ | فكأنهـا خُلِقت من الأهواءِ

---

(١) غَمْرُ الرداء : كثير المعروف ، سَخِيٌّ . والغمر من الثياب : السابغ .

(٢) كلمة أصلها رومي . والفسقار ، المكان الذي تصنع فيه « الفسقة » ، وهي شراب كان يشربه الجنود الرومان ، وقد أرشدنا إلى هذه الترجمة الأستاذ عمر رضا كحالة وعثر عليها في مجلة المشرق .

وإذا انجلَتْ في الليلةِ الليلاءَ هَزَمَتْ ظـلامَ اللّيلِ بالآلاءِ

يا لائِمي في شُرْبِهـا أغْرَيتَني بِاللَّوْمِ فيهـا غايَةَ الإغْراءِ

يا حَبَّذا هيَ في الخَريفِ وغيرِهِ في سائِرِ الأَوْقاتِ والآناءِ

مِنْ كـفٍّ أَسْمَرَ بابِلِيٍّ قَدُّهُ يَهْتَزُّ مِثْلَ الصَّعْدَةِ السَّمْراءِ

والكأسُ قدْ نَثَرَتْ على وجَناتِهِ وَرَقَ الشَّقائِقِ فِتْنَةً للرّائي

عَيْناهُ نَرْجِسَتانِ لكِنْ وَرْدَتا خَدَّيْهِ ضُمِّنَتا دَمَ الأَحْشاءِ

ما العَيْشُ إلاّ في المُدامِ وشُرْبِها لكِنْ مَعَ الظُّرَفاءِ والعُقَلاءِ

وقالَ في غَرَضٍ لَهُ[1] :

ومُعَمَّمٍ بِهَوى الغُلامِ مُتَيَّمٍ لكِنْ قَدِ انعَكَسَتْ بِهِ الآراءُ

فَتىً يُحِبُّ غُلامَهُ قُدّامَهُ ناداهُ : وَيْحَكَ قُمْ وَراءُ وَراءُ[2]

وقالَ لَما قَطعَ مُعَسكَرُ المَلِكِ الماءَ عنْ دِمَشقَ[3] :

جاؤوا بِجَيْشِهِمِ لِقَطْعِ مِياهِنا مِثْلَ الأَتِيِّ أَتتْ بِهِ الأَنواءُ

---

(١) يلاحظ ان الناسخ أراد اخفاء ما قصد اليه الشاعر .

(٢) يلاحظ الغموض في الشطر الأول من هذا البيت .

(٣) الملك الافضل هو : على الملك الأفضل نور الدين بن يوسف (صلاح الدين) بن ايوب ملك دمشق بعد صلاح الدين والده .

لَمّا طَعَنّا بِالرِّماحِ صُدُورَهُمْ وَلَّوْا ظُهورَهُمُ فَجاءَ الماءُ
هُمْ وَلَّوا الأَدْبارَ إِذْ كَبَّتْهُمُ م البِيضُ الذّكورُ وهاجَتِ الهَيْجاءُ

وقال في القاضي الفاضل رحمَهُ الله[1] :

عَجَباً لِأَحدَبَ في دِمشقَ وكُتْبهِ هُنَّ الكَتائبُ عِثْنَ في الحَدباءِ[2]
وكأنهُ الزَّوراءُ والأَقلامُ أَسْـــهُمُهُ بِها يَفْري كُلَى الزَّوراءِ[3]
آراؤُهُ شُهبُ البُزاةِ فَسَلْ بِهـا حَلَباً إِذا انقَضَّتْ عَلى الشَّهْباءِ[4]
[في نقْسِهِ[5]] المسْوَدِّ أَذهبَ طِرْسهُ الـــمبْيَضُّ دَوْلةَ آمِـــدَ السَّوْداءِ

وقال أيضاً :

لِمَ لا أَسُحُّ بِيَومِ عاشُوراءَ[6] مِن مُقْلَتيَّ دَماً يُمازِجُ ماءَ

---

(١) القاضي الفاضل : اسمه الحقيقي : عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي ، من وزراء صلاح الدين الأيوبي ؛ كاتب مشهور وأديب .

(٢) الحدباء : من أسماء مدينة الموصل .

(٣) الزوراء : بغداد ، ودجلة بغداد ، والزوراء أيضاً مؤنث الأزور وهو المائل والدابة تنظر بمؤخر عينيها .

(٤) حلب : مدينة كبيرة في شمالي سورية ، كانت عاصمة سيف الدولة بن حمدان وتسمى الشهباء أيضاً .

(٥) الكلمة مطموسة وقد قدَّرنا لها كلمة « نِقْس » لمناسبتها لمعنى البيت ، والنِقْس ، هو المداد و (آمد) : مدينة تقع في أراضي تركيا اليوم ، ومنها الآمدي المعروف .

(٦) يوم عاشوراء : هو العاشر من المُحرَّم ، وبه قتل الحسين بن عليّ من قبل الأمويين.

يَوْماً بِهِ قُتِلَ ٱلحُسينُ بِكَرْبَلا[1] قَتلاً حَوى كَرْباً بِهِ وبَلاءَ
عافَ ٱلوُرودَ فماتَ مِن ظَمإٍ بِهِ لَمّا أَتىٰ يَتَنفَّسُ ٱلصُّعَداءَ
والماءُ أَشكلَ مِن دِماءِ جِراحِهِ فكِلاهُما في ٱللَّونِ كانَ سَواءَ

وقال أيضاً :

الشَّوْقُ أَذْكىٰ النّارَ في أَحْشائي وأَسالَ مِنْ عَيْنَيَّ عَيْنَيْ ماءِ
أَعْشارُ[2] قلبي قُطِّعَتْ فَتَقَطَّعتْ بِمُدىٰ ٱلأَعادي يَومَ عاشوراءِ
ضَحِكَ ٱلأَعادي مِن تَشتُّتِ شَمْلِنا وَا خَجْلَتي مِن ضِحْكِهِمْ وبُكائي

(١) كربلاء : مدينة في العراق إلى جانب النجف ، وبها قتل الحسين .
(٢) الأعشار : الأجزاء ، والقطع ، وقوادم ريش الطائر ، وأعشار الجزور : الحصص .

حرف الباء[1]

[وقالَ يهجو] :

يا هارِباً ووَشيكُ ٱلطَّعنِ يَتْبعُـهُ وهلْ تَطولُ حياةُ ٱلكلبِ إنْ كلِبا

إنّي لأَعجَبُ مِنْ حالي وحالِكَ يا هذا فَكلُّ زَماني يَنقَضي عَجَبا

سَررْتَني حينَ كُنتَ الظَّبيَ مُلتَفِتاً وقدْ عَقَقتَ وأَنتَ الكلبُ مُنقَلِبا

وقالَ أَيضاً :

يا هِندُ لا تَسخَري بي وتَعجَبي مِنْ مَشيبي

وتَنفُري نَفرَةَ ٱلشّـادِنِ الأَغَنِّ الرَّبيبِ

فَالدَّهرُ عَوَّضَني بِالبـازي عَنِ ٱلغِرْبيبِ[2]

فَليسَ لي في ٱلغَواني ووُدِّها مِنْ نَصيبِ

أَشكو إلى ٱللهِ مِن لَوْعَـةِ ٱلغَرامِ الّذي بي

دارُ ٱلأَحِبَّـةِ نادىٰ فيهـا مُنادي ٱلخُطوبِ

---

(١) هذا العنوان وضعناه لسقوطه بالنسخة الأصلية ونظن أن في النسخة نقصاً في هذا المكان .

(٢) الغربيب : الأسود ويقصد الغراب .

وقَفتُ في الدّارِ أبكي وما بهـا مِنْ عَريبِ[1]

سَألتُ فيهـا صَداها سُؤالَ صَبٍّ كئيبِ

فَقُلتُ : أَيْنَ حَبيبي فقـالَ : أَيْنَ حبيبي

قُمْ فَاسْقِني ٱلرّاحَ صِرْفاً تُجلى بِكأسٍ وكوبِ

حَمراءَ شَمطاءَ بِكراً لَيستْ بِخَمرِ ٱلزَّبيبِ[2]

فَطَعمُهـا في لهَـاتي كَطَعْمِ رِيقِ ٱلحَبيبِ

يَصبو إليْها ٱلوَرى مِنْ شُبَّانِهِـــمْ وٱلشّيبِ

تَعانَقَتْ هِيَ وٱلمـــاءُ في ٱلزُّجاجِ ٱلخَصيبِ[3]

تَعصَّبــتْ بِجَبابٍ كاللُّؤلُؤِ ٱلمَثقوبِ

فَورَّثَتْ فيـهِ سِرَّ ٱلسُّــرورِ بِٱلتَّعصيـــبِ

تَرْمي ٱلحُمَيّا ٱلمُحَيّـا مِنْ ضِحْكِها بِالقُطوبِ

لهَا دَبيبٌ بِجِسْمي يا حُسنَهُ مِن دَبيبِ

مَتى ٱمْتَطَتْهـا يَميني فَلَّتْ جُيوشَ ٱلكُروبِ

---

(١) ما بالدار عَريبٌ ، أي أحد .

(٢) الخمر البكر هي التي أخذت من العنب لا من الزبيب .

(٣) هكذا وردت في الأصل « الخصيب » بالصاد ويجوز أن تكون « الخضيب » بالضاد أي المطبوع .

وللهمومِ بصــدري تأهبٌ للهُــروب
يدهـــا قمرٌ في خُوطِ[1] بأعلى كثيب

وقال أيضاً :

أفدي الذي زارَ بعدَ هجرٍ فـكانَ من عِلّتي طبيبي
أطلعَ بدراً من فوقِ غصنٍ يميسُ تيهاً على كثيبِ
يَرْنو بأجفانـهِ دَلالاً فينفُثُ السِّحرَ في القلوبِ
وافى وفي كفّـهِ مُدامٌ ألذُّ من غَفْلةِ الرّقيبِ[2]
كأنَّها إذْ صفتْ وراقتْ شكوى مُحبٍ إلى حبيبِ[2]
لقد عَجِبنا منـهُ ومِنهـا كالشَّمسِ والبَدْرِ في قضيب
فقُمتُ مستبشراً وقلبي في غايةِ الوَجْدِ والوَجيبِ
فدار مـا بيننَا عِتـابٌ كالخِصبِ وافى على جُدُوبِ
قبلتُـهُ قُبلـةً تُضـاهي تجـاوُزَ الله عن ذُنوبي
وبات يَقْري سمعي كلاماً أحلى من النصرِ في الُحروبِ

---

(١) الخُوْط : الغصن الناعم لسنته ، أو كل قضيب .

(٢) أورد صاحب « الأعلام » الأستاذ خير الدين الزركلي هـذا البيت والذي بعده في الصفحة ٢٣٢ من الجزء (٨) وعزاهما إلى ابن كيغلَغ الشاعر وقد نقل ذلك عن الثعالبي في اليتيمة .

وبت منه في برد عيشٍ مفوَّفٍ ناعمٍ قَشيبِ
فيا لهـا ليلةً جَنَيْتُ الثمـــــارَ من غصنها الرطيبِ

وقال أَيضاً :

نَشَر الربيعُ لنـا مطـاوِيَ طيبِهِ فاخضرَّ ذاوي العيشِ من تَرطيبهِ
فصلٌ تَبَسَّم مُسفِراً عن حسنهِ في إِثْر فصلٍ لجَّ في تقطيبـهِ
هو كالإِمامِ فكل شحرورٍ على فَنَنٍ بِمِنْبَرِه أَتى وخطيبِـهِ
هو كيمياويُّ الربيـع أجاد في تفضيضه صُنعـاً وفي تذهيبِـهِ
تِلكَ الدراهمُ والدنَانيرُ التي في رَوْضِهِ والدَوْحُ في مضروبهِ
وانامُل المنثورِ منـــــه خَيَّمت فحثتْ على الـكافورِ تُربَ عُيُوبهِ
بَسَط الأكفَّ كعاشِقٍ يدعو إِلىٰ الرحْمٰن أَن يحظى بوصلِ حبيبهِ
والوردُ كالخجلانِ والمنثور مُسْتحيٍ كصبٍ مبتلى برقيبـــــهِ
هبَّ النسيمُ بـه فنبَّه نائم الزَهْـــــرِ الأنيقِ فهبَّ عِنـدَ هبُوبِهِ
إِنَّ النسيمَ عليلُه يُهدي إلى الصبِّ العليلِ شفاءَهُ بطبيبهِ
يا حبذا رقصُ الغصونِ على غِنا م ء الطير حين أَجادَ في تطرِيبهِ
يا مَنْ يلومُ على الُمدَامَةِ شارباً يَجْني ثِمارَ مُنـاهُ من مشروبهِ
دَعْ عَذْله إِن كُنتَ ناصِحَه فمِن تهذيبه عِصيانُ مـا تَهدي بهِ

إن المَلامةَ للمُحبِّ على الهوى تُغري بـهِ وتَزيدُ في ترغيبـهِ[1]

وقال أيضاً :

أُنظرْ إلى الرَّوْضِ البهيجِ واعْجَبِ واشربْ على الوَردِ الأَريجِ واطْربِ

فالوردُ يُبدي صُرَرَ الحرير قـد فُتِحْنَ عن قُراضَةٍ من ذَهَبِ

يقولُ هكذا ٱفتحوا في زمني أَكياسَكم وأَنْفِقوا في الطَّربِ

ما أَحسَنَ الحَبابَ والأَحبابَ وٱبْـــنَ المُزْنِ في الكأس وبنتَ العِنَبِ

قُمْ فاسْقِني صاحِ على الوردِ حكىٰ الخدودَ في الُحسنِ ذواتِ اللهبِ

وحرِّكِ الأَوتـارَ بالأوطـارِ يـا مُطرِبَنـــا تفُزْ بِنَيْلِ الأَربِ

وقال يمدح الملك الأَشرف[2] :

وهو الذي لم يزل تهمي أنامله بالنَّيْل كالنيلِ فياضاً وكالسُّحُبِ

وهو الذي باللُّهى[3] في دهرنا فتح اللَّهـــىٰ له ببديـع المدحِ والخُطَبِ

---

(١) كأن هذا البيت شرح لبيت أبي نواس الشهير « دع عنك لومي فإن اللوم إغراء »

(٢) هذا العنوان من وضعنا لأن العنوان الأصلي ساقط في المخطوطة المصورة كما سقط أيضاً شيء من مطلع هذه القصيدة ، وعزونا المدح للملك الأشرف من سياق القصيدة . ونظن أيضاً أن الناسخ قد توهم أن القصيدتين واحـــدة ولم يلتفت إلى اختلاف البحر . والملك الأشرف ورد ذكره في حاشية سابقة .

(٣) اللُّهى بالضم العطية والدراهم ، وبالفتح الحلق وما حوله .

لولا ندى الأشرفِ الميمونِ طائرُهُ   في دَهرِنا لم يَرُقْ عيشٌ ولم يَطِبِ

بالسَّيْبِ[1] والسَّيْفِ في يومَيْ ندىً وردىً

حَمىٰ الورى من طوىً والوحشَ من سَغَبِ

خُذْ ما ترىٰ منهُ من هَزْمِ الكتائبِ والجـ

ـودِ الغزيرِ ودَعْ ما جاءَ في الكتبِ

لم تَلْقَ غُرَّتَهُ الشَّمسُ المنيرةُ في النهـــارِ إلاّ بوجـهٍ غيرِ مُتّئِبِ[2]

فالبحرُ والشَّمسُ لم يوجَدْ نَظيرُهما   في كلِّ دَهرٍ تَوَلَّتْهُ يَدُ الحِقَبِ

يُفني الرِّضىٰ مالَه قبلَ السُّؤال كما   يُفني العِدىٰ بأسُهُ في ساعَةِ الغضبِ

ومـا أُشَبِّهُهُ باللَّيثِ وهو لَهُ   صيدٌ وكيفَ يُقاسُ الصَقْرُ بالخَرَبِ[3]

فالسَّعْدُ يَخدِمُهُ والنصْرُ يقدمُهُ   فلو يشاءُ لفضَّ النَّبعَ بالغَرَبِ[4]

فالجيشُ مثلُ كُعُوبِ الرُّمحِ مطَّرداً   وهو السِّنانُ أَمامَ الجَحفلِ اللَّجِبِ

ما الرُّمحُ إن لم تُتَوَّجْهُ بِلَهْذَمِهِ[5]   يَوْمَ الطِّعـانِ بـهِ إلّا من القَصَبِ

---

(١) السَّيْب : العطاء .

(٢) مُتَّئِب : اتّأب : استحيا .

(٣) الخَرَب : ذكرُ الحُبارَى .

(٤) النَّبْع والغرب نوعان من الشجر .

(٥) اللَّهْذَم : الرأس الحادّ القاطع وهو سنان الرمح .

يا دهرُ إنْ لم تكنْ تحنو عليَّ فلي ... موسى[1] فلم أخشَ أنياباً من النُّوَبِ

وليس لي بعدَ لُطْفِ اللهِ غيرُ نَدَى ... يَمينِـهِ فهو يأتيني بـلا سببِ

لكن رجاءَ ثوابِ اللهِ يبعثُهُ ... على المراحمِ لا فضلي ولا أدبي

الله صوَّره من نورِ رحمتـــه ... فالخَلْقُ يَدعونَـهُ يا فارجَ الكُرَبِ

مُظَفَّرَ[2] الدينِ لا فارقتَ تهنئةً ... بما يُوافي بسُؤْلِ النفسِ والأَرَبِ

هُنِّئتَ بالجَوْسَقِ[3] العالي الذي عجزت ... عن وصفهِ فُصحاءُ العُجْمِ والعَرَبِ

كالقصر في الجنة الفيحاءِ يحسدهُ ... إيوان كسرى على ما فيه من نُخَبِ

يشقـه نَهَرٌ نـاهيكَ من نَهَرٍ ... كأنَّـه الكوثر المُعطاهُ خير نبي

أبدى المهندس خطَّيّ الاستواءِ بهِ ... فالماءُ يركُضُ بالتقريبِ والخببِ[4]

كأنمـا قصرُهُ في دسْتِـهِ مَلِك ... كلُّ القصورِ لَدَيهِ لاثِمُ العَتَبِ[5]

---

(١) هو الملك الأشرف موسى بن الملك العادل من ملوك الأيوبيين .

(٢) هو لقب الملك الأشرف .

(٣) الجوسق : القصر أصله فارسي وهو مذكر وقد وضعنا كلمة (الذي) ، بدل « التي » لهذا السبب :

(٤) كلمة خط وردت مثناة « خطَّيْ » والمعروف أن خط الاستواء واحـد ؛ أما التقريب والخبب فنوعان من السير .

(٥) العَتَب : الدرج ، كل مرقاة منها عتبة ، والجمع عَتَب وعتبات . والدَّسْت ، صدر البيت والمجلس والصحراء وهي فارسية .

كالأشرف الملك القيل الذي خضعت شوس الملوك له تحنو على الركبِ

نارنجه[1] كنهود الغيد تحسدها أحداق نرجسه المخضرة القضبِ

في ظله نغم الأوتار تنعم بالأ وطار من صخبٍ يأتي بمصطحب[2]

في روضة الحور والولدانُ راتعةٌ وكلّهم عن رضى رُضوان لم يَغِبِ

وكلما تتمنـــاهُ النّفوسُ بـه تلقاه من طرب مُلْهٍ ومن طلَبِ

وما هِزَبرٌ هَريتٌ[3] الشِدْقِ ذو لَبَد وردُ السِبالِ قويٌّ الرَمْي بالشَّجَبِ

له إهاب كتِجفافِ الكميِّ حصا نُهُ حريصٌ على المسْلوبِ لا السَلَبِ[4]

جَهْمٌ محياهُ رئبال قُضاقِضة[5] غَضَنْفَر لم يَخِفْ موتاً ولم يَهَبِ

له أظافرُ حُجنٌ قد برَزْنَ كأنصـــافِ الأهِلّةِ من جلباب مُخْتَضِبِ[6]

تَظَلُّ خاضعةً غُلبُ الأسود له خوفاً ضوارب[7] بالأذقان من رُعُبِ

---

(١) النارنج : نوع من الثمر من فصيلة البرتقال .

(٢) المصطحب هنا نرجح أنه يقصد به الانسجام النغمي .

(٣) هَرِيت : واسع . والوَرْد : الأحمر ، والسِبَال : شعر الشارب . الشجب : العَنَت والهم من مرض أو قتال .

(٤) التجفاف : بكسر التاء وفتحها وهو الدرع والجمع : تجافيف .

(٥) الرئبال ، والقضاقضة من أسماء الأسد وكذلك الغضنفر .

(٦) حُجْن : عوج ، منعطفة .

(٧) ضرب بالذقن : وضع يده على ذقنه كناية عن الهم والخوف .

يوماً بأعظَم من موسى المظفرِ إن
دارت رحى الحرب ذاتُ الجَحْفَل اللَّجِبِ

يا رَبنا فاخْرِقِ العاداتِ فيه لنا   حتى يُرى عن خلودٍ غيرَ منقَضِبِ
لازال في الملك ما هبَّ النسيمُ وما   تغنَّت الوُرقُ في الأوراق من طَرَبِ

وقال وهي مما كتبت على جُلّ[1] (فَهْدٍ) لمولانا الملك الأشرف خلد الله ملكه :

وذي كَحَلٍ شَثْنِ[2] البراثن وثّاب   يصول على الآرام بالظُفْر والنّابِ
مظفَّرِ أَظفارٍ إذا مدَّ باعَهُ   سطا بنُيوبٍ حدُّها ليسَ بالنابي
فكم عينِ ظبيٍ حدَّقت بإهابه   إلى صَيْدِ ظبي فهو من بأْسِهِ كابي
ومذ سُمِّيتْ شمسُ النهار غزالةً   تمنَّت مغيباً خيفةً منه بالغابِ
به الأشرَفُ المَلْكُ المظفَّرُ مكتَفٍ   وإن كان أرمى الناس عن قوس نَشّابِ
هو النَّمِر اليقظانُ لا الفَهْدُ نائماً   كثُعبانِ موسى وهو أَحسنُ مُنْسابِ

---

(١) الجُلّ : الثوب . وقد سبق أن أخرجنا ترجمة الملك الأشرف في غير موضع .

(٢) شَثْن : خشن غليظ . والبراثن : جمع بُرثُن : وهو بمنزلة الأصبع من الانسان وآرام : جمع رئم وريم وهو الغزال الأبيض .

فلا زال موسى شاه أَرْمَنَ ظافراً بـكلِّ عـدُوٍ لا بتـأْخيرِ أحقابِ

وقال يمدح الملك العادل[1] سيفِ الدين أبا بكر بن أَيوب رحمه الله :

بِسَعْدِكَ سارت في السماءِ الكواكبُ فمجدُكَ مشهورٌ وَجَدُّكَ غالبُ

إذا سلَّ سيفُ الدين ماضيَ عزمِهِ م انثنتْ خيفةً يوم الهِياجِ القواضِبُ

فسرْ وافتَحِ الدُّنيا التي بِكَ أَصبحتْ مشارِقُهـا مشغوفةً والمغـارِبُ

بحبِّ أَبي بكر بن أيوبَ دانَتِ م الوَرَى فتساوتْ شيعةٌ ونواصبُ[2]

فللمُلك منه عادلٌ أيُّ عادِلٍ غرائبُه مشهورةٌ والرَّغائبُ

وإني لأَرجو منه عَطفةَ مالكٍ على[ضَيمٍ[3]] مملوكٍ له الفقرُ ضاربُ

فجدْ لي برِزْقٍ كلَّ شَهرٍ مُعَجَّلٍ أنالَكَ رَبُّ العَرْشِ ما أنتَ طالبُ

ولا بَرِحَ التأْييدُ والنصْرُ خادِمَيْ لِوائِكَ ما نيطَتْ برُمحٍ ذوائبُ

ولا زِلتَ بالفتحِ المُبين مُهنّاً جيوشُكَ تحظى بالمُنىٰ والكتائبُ

---

(١) الملك العادل محمد بن أيوب بن شادي أبو بكر سيف الإسلام أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي ، مدفون في المدرسة العادلية المتخذة مجمعاً علمياً في دمشق .

(٢) الشيعة : جماعة سيدنا علي بن أبي طالب والنواصب : هم الذين عادوا سيدنا علياً ، أي ناصبوه العداء .

(٣) وقع خرم أصاب هذه الكلمة وفي تقديرنا أن كلمة « ضيم » هي الأصل .

وقال يمدح الملك الأَمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه صاحب بعلبك أَدام الله أَيامه[1] :

بن القلانسي رحمه الله[2]

تُبْ يا عذولي عن ملامي واْتَّئبْ فليسَ قلبي عن غرامي مُنْقَلِبْ

بي أَهيَفٌ مثلُ قضيبِ البان من أَجفانِهِ السودِ انتضى بيضَ القُضُبْ

أَودَعَ قلبي أَلَمَاً بردُ اللَّمى ولم يَدَعْ لي نشباً بَرْقُ الشنبْ

أَعرَبَ[3] عن محاسنٍ تحسدها الـــغيد وإِن أَصبحن أَبكاراً عُرُب

ما استافَ مغناطيسُهُنَّ مُهْجَتي إِلا وكادت من حيازيمي تثبْ

يا حبذا أَرواحُنـــا كاسيةً بِراحِنـا تحتَ رياحينِ الطربْ

ونحنُ في اغتباقِنا نداَبُ واَصْطِبـــاحِنا لم نخشَ من نابِ النُّوَب

والعيش صافٍ والأَماني غضةُ م الأَوصاف تسَّاقطُ منهن الرُّطب

---

(١) وقع خرم في صحائف الديوان المصوَّر وسقطت هذه القصيدة كلها . الملك الأمجد هو بهرام شاه بن فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي صاحب بعلبك قتل في دمشق وهو شاعر كاتب وله ديوان شعر .

(٢) هذا ما بقي من عنوان هذه القصيدة التي يمدح بها الشاعر ابن القلانسي ، وأبن القلانسي هذا على التقدير هو حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي أبو يعلى مؤرخ من دمشق تولى رئاسة كتابها وكان أديباً .

(٣) أَعرَب : أظهر ، وقد جاءت العين في النسخة الأصلية منقوطة .

وكلَّما أُفترَّ الحبيبُ ضاحكاً   تبسمت كاسأتنا عن الحَبَب

أراكَ هذا الدرَّ في الياقوتِ منظـــوماً   وهـذا لؤلؤاً على ذهب

يقـــابل الورد بوردٍ مثلِهِ   من وجنتيه إن صَحا وإن شَرب

يمـدُّ للكأس بنـاناً أبيضـاً   فينتشي منهـــا البنانُ مختَضِب

يُخشىَ على الساقي إذا ما شجها   في الكأسِ من شُعاعِها أن يلتهب

ولَّت ليالينــــا حميداتٍ فكم   طوتْ من اللذاتِ عنا والأَرَب

فغودرَت أنفاسنا في صَعَد[1]   لفقدِهـا والدمعُ منـا في صَبَب

علَّ الزَّمـانَ أَنْ يعودَ عودةً   بها فيجلو الشكَّ عنا والرِّيَب

كما حبـــا الرِّياسةَ الغرّاءَ من   مؤيد الدينِ بكافٍ مُنْتَجَبْ[2]

بالأَرْيَحيِّ اللَّوذَعيِّ الأَلْمَعِيِّ م   الشِّمَّريِّ[3] الهِبْرِزيِّ[4] المنتخب

بأسعدِ الطـــالعِ جاءَت أسعُداً   ترمي العِدا بسَهمِ سوءِ المنقلَب

لِيَهْنِها أَن ظَفِرت لا صَفِرت[5]   عنه بجَدٍّ نازحٍ عنهُ اللَّعِب

---

(١) الصعَد : بفتحتين المشقة والعذاب وبضمتين العلو ، والصبب تصبب النهر أو الطريق المنحدر .

(٢) المنتجب : انتجب الشيء اختاره واصطفاه .

(٣) الشِّمري بكسر الشين وفتحها وضمها الماضي في الأمور المجرب .

(٤) الهِبرِزيّ : الذهب الخالص ، والأسد والجميل الوسيم .

(٥) صَفِرت : خلت :

رئاسةٌ أوسعها سياسةً محتسباً في الله غير مكتسب

ولم تزلْ تلوحُ في أعطافِهِ مذْ كان طِفلاً كالفرندِ في القُضُب

نَمَت به إذ وُسِمتْ بمجدِهِ فهيَ إلى الجوزاءِ ترنو عن كثب

سُرَّ به الناسُ فقالوا كلُّهم لِمثلِ هذا اليومِ كنا نرتقِب

الآن أضحى الجودُ فينا عامِراً مشيَّداً وكان قِدماً قد خَرِبْ

ما للمعالي عنهُ من مندُوحةٍ فهي إلى أَبي المعالي تنتسِب

أَقلامُهُ فيها المنايا والمُنىٰ كوامناً وطعمُ صابٍ وضَرَب[1]

نَستنبطُ الأَفكارَ وهو كاتبٌ بيضَ المعاني من سوادِ ما كتب

فلو رأتهُ مُقلة ابنِ مُقلة الكاتبِ نادى معلناً يا للعَجب

هذا هو اللؤلؤُ منظوماً بلا شكٍّ وخطي عنده كالمَخْشَلَب[2]

ولو رآكَ ابنُ العميدِ[3] منشئاً يا ابنَ العميدِ عادَ مقطوعَ النَّسب

وقال ما عبدُ الحميدِ هكذا وهل يُقاسُ النَّبْعُ يوماً بالغَرَب[4]

أَبا المعالي أنت أَذكى من كتب ومن تصدَّى للقريضِ والخُطَب

---

(١) الصاب : شجرٌ مرٌ أو عصارته . والضَرَب : العسل الأبيض .

(٢) المَخْشَلَبْ : خرز أبيض يشبه الدر وهي كلمة نبطية .

(٣) ابن العميد الكاتب والوزير المعروف في العصر العباسي وممدوح المتنبي .

(٤) النبع شجر صلب ، الغَرَب نبت ضعيف .

ها أَنا كالمُهدي إلى بغدادَ من ... دمشقَ إذ أُنشدُ تمراً أو رُطَب

يكفيكَ إقرارُ الأَنامِ كُلِّهم ... أَنك خيرُ ابنٍ أَتى من خيرِ أَب

قد خُصَّ ذا المنصبُ منكَ بامرِئٍ ... قامَ له الدهرُ قيـاماً فانتصب

بمن متى مـا سَلَّ سيفَ عزْمِهِ ... قَهْقَرَ من هيْبَتِهِ الجيشَ اللَّجِب

بمن يرُدُّ نـابَ عزمي نـابيـاً ... عني إذا مدَّ ذراعاً فَوَثَب

فعِرضُـهُ في حَرَمٍ ومالُـهُ ... بشنِّ غاراتِ العُفاةِ[1] في حَرَب

مُرَوَّضُ الأَخلاقِ يُستغنىٰ به ... عن شُربِ ما رُوِّقَ منْ ماءِ العِنَب

تُثني سجـاياه عليه مثلَ ما ... يُثني شذا الرَّوْضِ على صَوْتِ السُّحُب

من آدَّعى في دهرنـا مِثْلاً له ... يوماً فقد باءَ بزُورٍ وكَذِب

أَكْفى الكفاةِ مَشرِقاً ومَغرِباً ... وأَنْجَبُ العُجم نصاباً[2] والعرب

سمتْ به مـآثرُ شَريفَـةٌ ... بديعة الوصفِ إلى أَعْلىٰ الرُّتب

فهذه الدولةُ دام ظِلهـا ... تهتَزُّ من تيهٍ به ومن طَرَب

آراؤُهُ خلفَ عفاريتِ العِدى ... راجمةٌ[3] ثاقبـةٌ مثلَ الشُّهُبْ

وسَّعَ للعُفـاةِ ما ضاق وقـد ... ضاق على الحسّادِ منه ما رَحُبْ

---

(١) العفاة طالبو العطاء . والحرب : الهلاك وزوال المال .

(٢) النصاب ، والمنصب : الأصل .

(٣) رجَمَ : رمى بالحجارة ، وثَقَبَ : النجم أضاء .

لا ترتضي سُحْبُ جداه[1] أَن ترى ... مُصَوِّحاً من ظمأٍ زهرَ الأَدبْ

والدهرُ قد أَصبحَ طَوعَ أَمرِهِ ... فلو عصاهُ الدهرُ أَبصرتَ العَجَبْ

سَعـــادَةٌ تَبَّتْ يـدا حاسدِهِ ... بهـــا كما تَبتْ يدا أَبي لهبْ[2]

مكتهلٌ حِلمـــاً ورأياً ونُهىً ... فاعْجَبْ له مكتهِلاً لمّا يَشِبْ

مُحتَجِبٌ عن كل ذامٍ[3] عِرضُهُ ... وليسَ عن حُسنِ الثنا بِمُحْتَجِبْ

أَصدَقُ في وُعودِهِ من القطا[4] ... إن شيب وعدٌ بالغرورِ والكَذِب

ما زالَ مغرىً حيثُ كان مُغرماً ... يجمَعُهُ الحمدُ بتفريقِ النَّشبْ

أَبلجُ وضّـــاحُ الجبينِ ماجدٌ ... يهزُّهُ المدحُ اهتِزازَ ذي الطَّربْ

يحنو على سائِلِهِ تلطفـــاً ... بـه حُنُوَّ الوالدِ الـبَرِّ الحَدِبْ

بَرْقُ أَساريرِ مُحيَّـــاهُ متى ... ما لاحَ غيرُ خلَّبٍ[5] لمن رَغِبْ

وبابُـهُ حِصنٌ حصينٌ لم يُسَمْ ... من أَمَّـهُ حَسْوَ أَفاويقِ العطبْ[6]

---

(١) الجدا : العطاء ، المصوِّح : الذابل :

(٢) تبَّ : قطع ، وأبو لهب عم النبي ﷺ وكان من المشركين وقـد نزلت الآية بحقه .

(٣) الذام : العيب :

(٤) القطا : طائر معروف ؛ وشيب : خُلِط ومزج .

(٥) البرق الخلَّب : الذي لا يرافقه المطر . الـكاذب .

(٦) لم يُسَم : من سامه يسوم الأمر : كلفه إياه . أمَّ : قصده حسو : شرب . أفاويق : الفيقة اسم اللبن يجتمع بين حلبتين في الضرع جمعه : فيق ومن جموعـه أفاويق .

منابرُ المـــدحِ به عامرةٌ وصيتُهُ في الناسِ منشورُ العَذَبْ[1]

ومدحـــهُ سارٍ مسيرَ جُودِهِ فينا فَعَمَّ من نأى ومن قَرُبْ

أَسْعَدُ أَسْعِدْني على دهرٍ غَدا عدوَّ كلِّ فاضلٍ بـلا سبب[2]

واكسبْ ثناءً من بني الفضلِ فما زلتَ ترىٰ ذٰلكَ نعمَ المُكْتَسَبْ

تفنىٰ العطايا من نضارٍ وكُسىً وشكرُهُم يبقى على مَرِّ الحِقَبْ

جُزيتَ خيراً عنهُمُ فكلَّما ٱستسقَوْا جَدَاكَ كان غَيثاً مُنسَكِبْ

بدَّلتَ أَسمـــالَهُم وقد عَرَوْا فِناءَكَ الرَّحبَ بأَبرادٍ قُشُبْ[3]

ولم تزلْ تنْشُرُ إنعـــاماً علىٰ مُدَوِّني مَدْحِكَ في طَيِّ الكتبْ

فهاكهـــا طيِّبة النَّشْرِ حكتْ ذكراكَ في النادي إذا الفخرُ نَسَبْ

لو طَرَقَت سمع السَّرِيِّ[4] لم يَقُلْ عرجْ على ذاكَ الكثيب من كثبْ

وقال يمدح الأَمير بدر الدين مودود[5] ويهنئه بفتح «كوكب» وأَخذها من الفرنج لعنهم الله :

عجبتُ ولكنْ لاتَ حينَ تَعَجُّبِ وهلْ عجَبٌ بدرٌ يُهنَّا بِكوكبِ

---

(١) العَذَب : أغصان الشجرة ، والأطراف من كل شيء والواحدة : عَذَبة .

(٢) أسعد : اسم الممدوح .

(٣) أسمال : جمع سَمِل ، وهو الثوب البالي . والقشيب الجديد .

(٤) السَّرِيّ : هو السريّ الرفَّاء شاعر عاصر المتنبي :

(٥) الأمير بدر الدين مودود ، سلطان دمشق بزمن الأيوبيين ، وكوكب قلعة مطلة على طبريا والأردن افتتحها صلاح الدين الأيوبي .

لقد بثَّ بدرُ الدينِ أَنوارَ عدلِهِ وإحسانِهِ حتى انجلا كلُّ غَيْهَبِ
دِمشقُ به مَن زارَها كلَّما أَتى يوافي بها طيباً وإنْ لم تُطَيَّبِ
فلو زارَها قبلُ امرؤُ القيس لم يقل (خليليَّ مرّا بي على أُمِّ جُنْدُبِ) [1]
مجانيقُهُ إنْ تُمسِ ضِيفانَ بلْدَةٍ يُصَبِّحْنَ مَنْ فيها بيوم عَصَبْصَبِ [2]
مُفَوَّقَةً ترمي فتُصمي سِهامُها وهُنَّ على أَوتارِها لم تَغَيَّبِ [3]
فلا زالطولَ الدَّهْرِ صَدْراً لمجلسٍ ونحراً لأَعداءٍ وقلباً لِمَوكِبِ

وقال يمدح الأَمير سعد الدين محمدبن كَمَشَبا [4]

أَطيبُ شيءٍ في الزَّمانِ مَشْرَبا مُدامَةٌ في الكأسِ تجلو حَبَبا
كاللؤلُؤِ المنظومِ يعلو فِضَّةً ذائبةً بالمَزْجِ صارَتْ ذَهَبا
لمِثلِها يَنْتَخِبُ الأُسْقُفُ [5] من م خَيرِ كُرومِ (صيدنايا) العنبا

(١) هذا الشطر مطلع قصيدة لامرىء القيس . وتتمة البيت : لنقضي حاجات الفؤاد المعذب .

(٢) العصبصب : الصعب ، المخيف . والمجانيق : جمع منجنيق .

(٣) مفوقة : مصوبة ؛ مسددة .

(٤) لم نعثر على هـذا الاسم في المراجع ويبدو من القصيدة أنـه ابن أخت الملك العادل . والذي عثرنا عليه هو سعد الدين كمشتكين وكان أميراً لبلدة « حارم » في عام ٥٧٣ هـ .

(٥) رجل الدين المسيحي . وصيدنايا قرية معروفة بما فيها من أديرة مسيحية مشهورة تقع إلى الشمال الغربي من دمشق .

يسعى بها طِفلٌ رشيقٌ قَدُّهُ   واكبدي من صُدْغِه مُعَقْرَبا[1]

ريم من التُّرْكِ متى رنا رَمىٰ   بأسهُمٍ عن مقتَلٍ لن يحجبا

يَشُدُّ في قيدِ الهوى العيونَ والـ   ـقلوبَ إذ يميسُ في بَندِ القَبا[2]

في مجلسٍ رَحْبٍ أنيقٍ وَرْدُهُ   مثلُ خُدودِ الغيدِ يُبدي اللَّهَبا

يَشدو به الشادي بمَدحِ خيرِ مَن   في دَهرِنَا مُحَمَّدِ بن كَمْشَبَا

يحمِلُ منه طِرفُهُ إلى العِدى   يومَ الوَغى لَيْثاً جريئاً أَغلَبا

يُولِغُ في دَمِ العِدا سِنانَهُ   إذْ كان مِسْمارُ السِنانِ ثَعلَبا[3]

فَعَزْمُهُ تحتَ العَجاجِ ما انثنى   وسَيْفُهُ يَوْمَ الهِياجِ ما نبا

يَميسُ في سابغةٍ[4] ومِغْفَرٍ   فيها يُرينا القَمَرَ المُنْتَقِبا

من خالُهُ بينَ الملوكِ الملكُ   العادلُ[5] لم يَفُقْهُ خَلْقٌ نَسَبا

سادَ بجودِهِ وبأسِهِ معاً   كلَّ الملوكِ مَشرِقاً ومَغرِبا

---

(١) معقرب : على شكل العقرب في الانحناء .

(٢) القَبا ، والقباء : بالفتح ما يلبس .

(٣) يولغ : من ولغ الكلب في الاناء شرب منه أو ادخل لسانه فيه والثعلب : حيوان وهو أيضاً طرف الرمح ، وطرف الرمح هو مسهار السنان ، وهو يعنى أن الممدوح يمعن في العدا طعناً . وقد وردت « يولع » بالعين كما ورد « الدم » بنقطة على الدال وهو تصحيف كما نعتقد .

(٤) السابغة : الدرع الواسعة .

(٥) العادل هو الملك العادل سيف الدين بن ايوب .

كلُّ امرِىءٍ يُكسِبهُ تلْقيبُهُ زَيْناً ، وسعْد الدينِ زان اللّقَبا
لا زالَ في سَعَادةٍ ما ارسَلَ م الشرقُ الى الغربِ رسولاً كوكبا

وقال يمدح شمس الدين (قايَبا) رحمه الله [1]

شدا الحمامُ في الحمى فأطرَبا فثمَّ لم أسْطِع لصبري طَلَبا
ذَكَّرني جاريةً جائزةً [2] حجاب عقلي إذ تؤُمُّ الربربا
تهزُّ بالقدّ قضيباً إن مشتْ وإنْ رَنت باللحظ هزَّت قُضُبا
مُرْتجَةٌ أردافُها مهتزةٌ اعطافُها كالغُصنِ هَزَّته الصَبَا
ما بيَن أَسماءَ وريَّا وسُليْمَى والربابِ أُخْتِها وزيْنَبا
بُدِّلتُ من بعد الغرابِ الحالكِ اللونِ على رَغميَ بازاً أَشْهَبا
فنفَّرَ البِيضَ بياضُ الشَّيْب م والبِيضُ يُعادينَ العِذارَ الأَشيبا
فها أَنا القائِلُ من فَقْدِ الصبا وا أَسَفا ، وا حَزَنا ، وا حَرَبا
وليس يَهْوَيْنَ سِوَى مَن وجهُهُ كوجْهِ شمسِ الدينِ حُسناً « قايَبا »
شمسُ ضحىً بدرُ دجىً ليثُ وغىً غيثُ جدىً ، سيفُ ردىً ، ماضي الشبا [3]

(١) اسم تركي كما يبدو ولم نعثر عليه في التراجم التي بين أيدينا . إلا أنه ورد اسم (شمس الدين بن محمد بن عبد الملك المقدم) في سيرة صلاح الدين الأيوبي وأنه عين أميراً للحج الشامي بعد فتح القدس ونظن أنه هو المقصود .
(٢) وردت هذه الكلمة بالحاء المهملة وقد أثبتنا الـ « ج » لمناسبة المعنى .
(٣) سها الناسخ عن إثبات كلمتي « سيف ردىً » وأثبتهما إلى جانب البيت .

أَحسَنُ خلقِ الله طُرّاً خُلُقاً   اجملُهم خلقاً واوفى أَدَبا

ما الليثُ عن أَشبالِهِ مُحامِياً   يثني الخميسَ ناكصاً إِن وَثَبا

غضبان من أَسد الشرى[1] مزمجراً   مجرمزاً بادي النيوب اغلبا

يَختطِفُ الأبطالَ من سُروجها   بكفهِ حتى تَعَضَّ التُرُبا

يوماً بأَوفى منه في الحرب[2] سُطاً   فمَنْ يُلاقِهِ يُلاقِ الحَرَبا

ولا السحابُ هامياً رَبابُهُ[3]   مُنبجساً مُثْعَنْجِراً مُنسكِبا

قامتْ لَهُ السُّهولُ والحزونُ إِجــلالاً وحُلّتْ فَرَحاً به الحُبا[4]

دنا مُسِفاً ساحباً هَيْدَبَهُ   مَعانِقاً بالسَيلِ اعناقَ الرُّبا

يوماً باندى من يَمينِهِ إذا   وافاهُ من يَسأَله أَن يَهَبا

يَقولُ للعُفاةِ حُسنُ بشرِهِ   اهلاً وسهلاً بكُمُ ومَرحَبا

صحَّ عِلمَ الكيمياءِ مَدْحُهُ   ففيه قَضَّيْتُ زماني عَجَبا

نُهدِي لَهُ المديحَ في أَوراقِهِ   فنأْخُذُ الورْقَ به والذَهَبا

---

(١) الشرى : مكان يعرف بأسوده ، وزمجر وجرمز ، بمعنى واحد وهو صوت الأسد :

(٢) سطاً : من السطو ـ وهو الشدة والقوة ، والحَرَب ، الخسار والاندحار .

(٣) الرباب . السحاب الابيض ، منبجساً : نابعاً ، المثعنجر . السائل من الماء أوالدمع.

(٤) الحُبا : جمع حُبوة : وهي : الجمع بين الظهر والساقين في الجلوس ، حل الحُبوة : قام ، وعقد الحبوة : جلس .

أَلقى عليه رَبُنا محبـــةً   منه فاضحى في الورى مُحَبَّبا

سمت به هِمَّتُهُ فصـــار في   اللفظ الفصيح مُعرِباً ومُغرِبا

اضحى به الإِسلامُ منصوراً وَوَلّى الشِركُ لا يَلفِتُ جيداً هَرَبا

سَدَّ ثُغورَ السِلْمِ لِكن هدَّ ثَغْرَ الـكُفر من تَقويضهِ ما طَنَّبا

لا زال شمسُ الدين في سعادةٍ   ما أَبدَتِ السماءُ ليلاً كوكبـا

وقال وكتبها إلى أَخيه الرئيس الأجل عماد الدين رسلان بن علي رحمه الله إلى الديار المصرية :

يا إِخوَتي شَرْحِ حالي بعدَكمْ عَجَبُ   نَأَيْتُمْ فَشُهوري كُلُّها رَجَبُ

أَظميتُمُ الصَّبَّ فاستسقى الجفونَ دَماً   فَحَبَّةُ القلب فيها أَنْبَتَ اللَّهَبُ[1]

عَيْنايَ عَينانِ إنساناهُما غَرِقا   كلاهُما ، هلْ إلى إنقاذِهِ[2] سَبَبُ

قلبي بِجِلِّق حرّانٌ بمصرَ أَسىً   وصحنُ خَدّي لأَجفاني به حَلَبُ[3]

لي بَعدَكم زفراتٌ نارُها صَعَدٌ   تُشِبُّها عَبَراتٌ ماؤها صَبَبُ

ما تستطيعُ الجبالُ الشمُّ حَمْلَ صبا م باقي فماذا عسى أَن تَحمِلَ الكُتُبُ

(١) أنبت مثل نبت ، فعل لازم ، يقال : أنبت البقلُ ونَبَتَ .

(٢) يقصد الصبّ وقد ورد في البيت السابق .

(٣) غير خافية التورية في كلمة حلب ، وحرّان وهما اسمـا مدينتين ؛ والمعنى الظاهر الوجد ، والدمع .

وأَعظَمُ الوجدِ دمع غيرُ ممتنِـعٍ على المُحِبِّ وصبرٌ قُفْلُهُ[1] أَشِبُ

أَيام عُمرِيَ خمسٌ كلُّهن فيا رُوّادَ مورِدِيَ النائي متى القَرَبُ[2]

أَوقاتُ غَدْرِ زماني بي غدت عَجماً فهلْ وفاءٌ توافيني به العرَبُ

وقال أيضاً ، وكتبها إليه صدْر كتاب :

رِدُوا من جُفونِ العَيْنِ فَيْضَ حَيا السُّحْبِ

ودونَكُمُ فاستوقِدوا النارَ من قلبي

حنيْتُم ضلوعي بالفِراقِ على الجوى وغادرتُمُ قلبي جَنيباً[3] معالرَّكْبِ

وبي غُلَّة لو تعلمونَ إليكُمُ كغُلَّةِ ظمآنٍ إلى البارِدِ العَذْبِ

فَطَرفي ونَوْمي بَعْدَكُم ما تآلَفا

وهلْ يوجَدُ الإيلافَ مَعْ شِدةِ الحَرْبِ

وَتوْقٌ ولكنْ عوجِلَ القُربُ بالنَّوى فَفاجأتُ بالتوديعِ تسليمَةَ القُرْبِ

وما أَنسَ لاأَنسَ اعتِناقَكَ ساعةَ م القُدومِ كإلصاقِ الصَّبابَةِ بالصَّبِّ

فإنْ كنتُمُ بالوَصلِ عَنّي بَخلْتُمُ فجودوا بكُتْبٍ لا أقلَّ من الكُتْبِ

(١) القُفْل : شجر حجازي ، وأشب : ملتف ، متشابك .

(٢) قرَب الإبل : سار بها ليلاً لوِرْدِ الغد .

(٣) الجنيب : الطائع ، المنقاد .

إذا هبَّ مُعْتَلُّ النسيمِ بِسُحْرَةٍ أُنادي من الشوْقِ المُبَرِّحِ وا كَربي
أَطلْتمُ عذابي بالقطيعَةِ عامِداً فبالله لِمْ عاقبتُموني بِلاَ ذَنْبِ
ظلمتُم مُحِبّاً ما يُحِبُّ سِواكُمُ وليس لَهُ ذَنبٌ إليكم سِوى الحُبِّ

وقال وقد عضَّت[1] يدَ شيخِهِ مَلِكِ النُّحاةِ[2] رحمه الله قِط :

عتبتُ على قِطِ مَلْكِ النُّحاةِ وقُلتُ أتيتَ بغيرِ الصَّوابْ
عَضَضْتَ يداً خُلِقتْ للندى وبَثِّ العُلومِ وضربِ الرِّقابْ
فأعْرَضَ عني وقال اتّئبْ[3] أليس القِطاطُ أعادي الكلابْ

وانقطَعَ عنه أياماً فكَتَبَ إليه مَلِكَ النُّحاة رَحمه الله :

يا خليليَّ نِلتُما النعمـــاءَ وتَسَنَّمتُما العُــلا والعلاءَ
أَلْمِما بالشاغورِ بالمَسجِدِ المَعمورِ وٱستَمْطِرا بهِ الأَنواءَ
وامنحا صاحبي الذي فيه ، منيّ كل وقتٍ تحيـــةً وثناءَ

---

(١) الذي يبدو من الأبيات أن العاضّ مذكر وقد جاءت هنا بالتأنيث .
(٢) هو الحسن بن صافي البغدادي الملقب بملك النحاة « أبو نزار » توفي بدمشق عام ٥٦٨ ﻫ كان فقيهاً ونحوياً وأصولياً وله ديوان شعر .
(٣) اتَّئب : اخجل ، واستحْيِ ، ويبدو أن الأبيات من نوع الهجاء .

ثم قولا له اعتبرْنا الذي فهتَ به مادحاً فكان سماءَ
وقَبِلنا فيه اعتذارَك عمَّا قالَهُ الحاسِدونَ عنك افتِراءَ

وقال أيضاً [1] :

تعالى اللهُ كم أُعْرب في المدح وكم أُغْرب
فلِمْ أُبْعَدُ مع فضلي وغيري عندكم قُرِّب
وما أَصْدَقَ من قالَ مغني الحيّ ما يُطْرِب

وقال يفتخرْ ويهجو شُوَيْعِراً هجا الأميرَ [2] بدرَ الدينِ وكان منتظِماً في خدمته .

أنا الشِّهابُ شِهابُ الدين لا كَذِبا لي همةٌ عانقت في أَوْجِها الشُّهُبا
من كان جَمَّلَه في دهرِهِ لقبٌ فأنني أنا مِمَّن جَمَّلَ اللَّقَبا
لا درَّ درُّكَ إني في ذَرى مَلِكٍ فاضت أياديهِ حتى فاقَتِ السُّحُبا
في روضةٍ وغديرٍ من مواهِبِهِ مُرَفَّهاً وادِعاً لا ارْهَبُ النُوَبا
والكلبُ إن ينبَحِ البَدرَ المنيرَ فلنْ يُضِيرَه ويُعاني الذُلَّ والتَّعَبا

---

(١) يبدو من سياق الأبيات أن الشاعر فتيان هو قائلها .
(٢) هو الأمير بدر الدين مودود وقد سبق ذكره .

أولا فسَلْهُ وقد شالت نَعامَتُه [1] من شِدّةِ الخوفِ منهُ مُمعِناً هَرَبا
يَبُلُّ بالسَلْحِ ساقَيهِ وذلك من عاداته وهو تحتي يلثُمُ التُرُبا
مثل الحُبارَى إذا ما الصَّقْرُ عاجلها تهوّرت قُصْبُها [2] من سُرْمِها رَهَبا
فلم يَذَرْها إلى أن عاد مِخْلَبُهُ رَطْبَ الغرازِ [3] من التامورِ مُخْتَضِبا
من تهْجُهُ فهو محسودٌ لأنكَ ما هَجَوْت إلاَّ صدوراً جَمَّلوا الرُّتَبا
من عضَّ مِثلَكَ أَعراضَ الكِرامِ فما يُنجيهِ مِنْهُم هُروبٌ أينما هَرَبا

وقال يمدح المَلِكَ الأمْجَدَ مجدَ الدين بهرام شاه بن فرُخشاه صاحب بَعْلَبَكّ [4] :

الآنَ لانَ لِيَ الزمانُ فأَعتَبا وانقادَ من بعْدِ الشِّماسِ فأَصْحَبا
تَرَكَ الحِرانَ فعادَ عَوْداً طائعاً وأَبَى التَّحَمُّطَ [5] فامتطيتُ المُصْعَبا

---

(١) شال : الميزان ، ارتفع . وشالت نعامته : خفَّ ، مات . والجماعة تفرقت وهربت .
(٢) القصب : المعى المصارين ، والسُّرْم : طرف المعى المستقيم ، ومخرج الثفل والفضلات ، وتهوّرت : سقطت . والحُبارى . طائر كبير معروف .
(٣) غرز : نخس بالابرة والغراز مثل الغرز وهو ما يغرز به والتامور : الدم .
(٤) هذه المقدمة من وضعنا لأن المقدمة الأصلية سقطت من الأصل كما نظن أن قسماً من الأبيات قد سقط أيضاً ، وقد أخذنا اسم الممدوح من سياق القصيدة .
(٥) التَّحمُّط : الضرب وحمَّط فلاناً ضربه فلم يبالغ والمُصْعب : الجمل الصعب الركوب .

فالجِذْع لي جُمَّارُهُ[1] والعظمُ عُطـــروفٌ بِـهِ لِينٌ وكانَ الأصْلَبا

زارَ الخيالُ ولاتَ حينَ زيارةٍ أَهْلاً وسَهْلاً بالحبيب ومَرْحبا

سُعدى[2] سَعِدتُ بها ونُعمُ أنعمتْ وقَرَرْتُ عيناً بالرَّباب وزَيْنَبا

يا من لِشَيْخٍ مُغْرَمٍ بعقيلةٍ شمطاءَ عُلِّقَهـــا على عَهْدِ الصِّبا

أوَلَيْسَ حسنُ العَهدِ في الدُّنيا مِـــنَ الإيمانِ هذا من حَديثِ المجتبى[3]

من أَينَ تعنىٰ ذاتُ ثغرٍ أَشنبٍ يوماً بحاجةِ ذي عِذارٍ أَشيبا

يَفَنٌ[4] تخدَدَ لحمُهُ وابيضَّ فود اهُ فضاهىٰ السِّيْدَ راعَ الرَّبْرَبا

لمّا استشنَّ[5] أديمُهُ وهُريقَ ما ءُ شبابِهِ لم يُمسِ مَرْهوبَ الشَّبا

واهاً بغِربيبِ[6] الشَّبيبةِ واقعاً إذ لم يُرَعْ بوقوعِ بازٍ أَشهَبا

---

(١) الجمَّار : شحم النخلة أو مادة لذيذة الطعم تكون في رأس النخلة . والعطروف وردت في الأصل مصحفة ونرى أنها : غضروف ، والغضروف هو العظم اللين وهذا المعنى يلائم معنى البيت ولين وردت مفتوحة والأصح أن تكون مضمومة .

(٢) سُعدى ونعم والرباب وزينب : أسماء للنساء .

(٣) المجتبى : النبي محمد « صلى الله عليه وسلم » المختار .

(٤) اليفَن : الشيخ الكبير والسيد : الذئب ، والربرب : القطيع من بقر الوحش .

(٥) استشن : الرجل هزُل ، والشبا : حدّ الشيء القاطع .

(٦) الغربيب : الأسود الحالك و (واه) تتعدى باللام وبالباء وهي كلمة تعجب وتلهف .

مُذْ بومةٍ قدآذَنتْ [إِذْ][1] لم تزل تأْوي الخرابَ بأَنَّ عقلي خُرِّبا

لم تحزَنِ العَرَبُ الكرام كحُزْنِها إِذ فارقَتْ زمَنَ الشبابِ الأَطيبا

برقٌ يمــانٍ لي تألَّـقَ بالمُنىٰ ولقد عَهِـدَناهُ زَمـاناً خُلَّبــا

[أَسدى [2]] بحاشيةِ الغمام وميضهُ وأَنارَ ملتهباً رداءً مُذْهبــا

فكأَنَّ مجدَ الدين والدُّنيا انتضى مِنهُ لِقطْعِ الجَدْب سيفاً مِقْضَبا[3]

وكأَنَّ صوتَ الرَّعْدِ رَكْضُ خُيولِهِ والنَّصْرُ في جبهاتَهنَّ مُرَكَّبا

حَسَدَ الأَهلّةُ في السَماءِ نعالَهَـا في الأرضِ جاعلَة البعيد الأقربَا

كم اطلعَتْ ليلاً سنابِكُ خَيْلِهِ والبيضُ شمساً والأَسِنَّةُ كوكبـا

إِمّا عَزَمْتَ على الرَحيلِ فلم يَزَلْ للمَكْرُماتِ مُقوِّضاً ومُطَنِّبــا

اللهُ أَكبَرُ والزمانُ احقُّ أَنْ يُثْنِي عَلَيكَ وأَن تكونَ مُحبَّبا

أَوليسَ مجدُ الدين والدُنيا بِهِ اسمى الورى قدراً واسنا مَنصِبا

---

(١) إذ : الموضوعة داخل القوس كلمة أضيفت وهي غير موجودة في الأصل وبدونها لا يستقيم الوزن .

(٢) أسدى : هـذه الكلمة لم تمكن قراءتهـا بالأصل ووجدت أسدى أقرب كلمة إلى معنى البيت ، وأسدى بيده مدهـا ، أو ما مُدَّ من خيوط الثوب خـلاف لُحمَتِه .

(٣) المِقْضَب : السيف القاطع .

وأَجلُّ عاقِدِ حُبوَةٍ في مُلـكِهِ واعزُّ من حلَّ الملوكُ له الحُبـا
سَدَّت كتابَتُهُ على ابنِ هِلالٍ البَـوابِ ما في الخَطّ قِدماً بَوّبا[1]
جَمَعَتْ أَياديهِ المعـالي كلَّهـا وصفاً لَهُ وتفرّقتْ ايدي سبا[2]
واذا تَحدثَ غيرَ مُحْتَفِلٍ بِمـا يُبْدِي أَرانا في الفَصَاحَةِ يَعْرُبا
وقف الثناءُ عليهِ صِيتاً لم يَزَلْ بالمـكرُماتِ مُشَرّقاً ومُغَرِّبا
تنهلُّ يُمنـاه بخمسةِ أَبْحُرٍ وتُلاثُ[3] حُبوَتُهُ بِرَضْوي ذي الرُّبا
ومتى انتدى[4] وَسْطَ الملوكِ بمحفلٍ جعلوه واسِطةَ الفرندِ ترَتّبـا
ما ذاكَ إلاّ إذْ رأَوْهُ بعزمِهِ اوفى إباءً وهـو اشرفُهُمْ أَبا
حجبَ الملوكُ عن النَّوالِ وفودَهم وأَبى لوفدِ نَوالِهِ أَن يُحْجَبـا
وبنى البنـاءَ ببَعْلَبَكَ ومن بنى هذا البِنا ، فبناؤُهُ لن يُخرَبا
يا بَعلبكُّ لقد قهرتِ المَشْرِقَ الأقصى بخـير مُمَلَّكٍ والمغـربا
أَحسِنْ به في كلِّما[5] حالاتِهِ مُتَشَرْبِشاً مُتَتَوِّجاً مُتَعَصِّبـا

(١) هو علي بن هلال بن البواب ، خطاط مشهور من أهل بغداد .
(٢) ايدي سبا . اي جنود سبأ . وسبأ ابو قبائل اليمن ويكنى بهذه العبـارة عن التفرق .
(٣) لاثَ : لف ، ورضوى : اسم جبل .
(٤) انتدى : حضر النادي .
(٥) كلّما : ال « ما » هنـا زائدة ، والمتشربش : لابس الشُّرُّبوش وهو القلنسوة الطويلة الأعجمية .

يامن يجاوِرُهُ لقد جاورتَ منـــهُ البحرَ يَقذِفُ بالجواهِرِ مُحسِبا[1]

لا تخشَ من سَيْلِ الخُطوبِ أذىً إذا جاوَرْتَه والسَيْلُ قد بلَغَ الزُّبا

أَوَ ما تلا حسادُه يا ويْحَهُم (عمّا) فكم يتساءلون عن النبا[2]

هذا الذي بَذَّ الملوكَ بأسْرِهِمْ فضلاً فأَعجزَ واصِفيهِ وأَتعبا

هذا الذي حِيزَتْ له العَلْيا فما جَعَلَ الإِلٰهُ له سِواها مكسَبا

هذا الذي انقادت له شوسُ العِدا إذْ لمْ يوافُوا مِنهُ يوماً مَهْرَبا

يا حبذا ذاكَ البنانُ مُقَبَّلاً يجري به القلمُ الضئيلُ مقلَّبا

لو أَن للشُّهُبِ الثَّواقِبِ رَمْيُهُ لم يلقَ مُسْتَرِقٌ لسمعٍ مذْهبا

عُذراً أَبيْتَ اللَّعنَ فيما قُلتُهُ واصفحْ فبالتقصيرِ جِئتُك مُذْنبا

من ذا يُحيطُ بكُنهِ وصفِك في العُلىٰ هيهاتَ ذاكَ وعزَّ ذلِكَ مطلَبا

أَمسَيْتُ مَمْنوّاً بحمّى صالبٍ[3] في بعلبكَّ كمن بِخَيبَرَ غربا

وأَرى الأَذى في حُبِّ مولانا بِها أَحلىٰ من الثَّمَرِ الجَنيِّ وأَطيبا

وهو الجديرُ بأَفعُلِ التَّفْضيلِ في المَجْـــدِ المؤَثَّلِ[4] في المُلوكِ ملقَّبا

---

(١) المحسب : المعطي بكثرة وكرم .

(٢) يشير الشاعر في هذا البيت الى سورة « عمَّ يتساءلون » من القرآن الكريم .

(٣) ممنوّاً بحمى صالِب : أي مصاب بحمى شديدة الحرارة . وخيبر اسم مكان .

(٤) المؤثّل : الأجل في الشرف ومن النبات : المتمكن في الأرض .

لا زالَ في فَتحٍ ونصْرٍ ما شدت　　　قُمرِيَّـةٌ أُصُلاً وما هبت صبـــا

وقال أيضاً يمدحه :

سل عن فؤادي بسلعٍ[1] أيةً ذهبا　　　وعجْ بِها تَرَ مِن سُكانِها عَجَبا

هناكَ كلُّ فتـــاةٍ كالمَهاةِ مَتى　　　رَنتْ رَمَتْ أُسُداً من قبل أن تثبا

بيضاءُ كالشمسِ قُلنا نورها شَفَقٌ　　　فأشْبَهتْ فِضَّةً قد أُشْرِبَت ذَهَبا

حلَّتْ بنجْدٍ وحلَّ الوَجدُ في كبدي　　　لله نجدٌ إذا أَهْدَتْ نسيمَ صَبا

ما لاحَ لي البرْقُ من تِلقاءِ كاظِمةٍ[1]　　　إلاّ وأَضرَمَ في أَحشائِيَ اللَّهَبا

ولا تذكَّرتُ حُزوى[1] والغويرَ ولا　　　آرامَ رامَةَ إلا صِحتُ وا حَرَبا

أَمسَيتُ أَهْوى عنِ الأَلْحاظِ مُحْتَجِباً　　　وشَخْصُهُ عن ضميري قلَّ ما احتَجبا

ولستُ آمُلُ طيفـــاً مِنهُ يَطْرُقُني

أَما ترى الطيفَ مَنْ مِنهُ الكرى سلِبا

بانَ الحبيبُ وبانَ الصبرُ يتْبَعُهُ　　　لا أَستَطيعُ لصبري بَعْدَهُ طَلَبا

إن ينأَ فالأَمجَدُ الميْمونُ طائِرُهُ　　　لدَيَّ إحْسانُه ما زالَ مُقْتَرِبا

لِلهِ دَرُّ ابنِ فَرُخْشاهَ من مَلِكٍ　　　حكا أَباهُ ففاقَ العُجمَ والعَرَبا

---

(١) سَلْع وكاظِمة وحزوى ، والغوير ، ورامة ؛ كلها أسماء أماكن .

فذاكَ أَسمحُ من أَعطى وأَفصحُ مَن ... أَنشا وأَبلَغُ من أَملىٰ ومن كَتَبا

ما ردَّ مِن دونِهِ الحرمانُ سائلَهُ ... وفي الهِياجِ يَرُدُّ الجَحْفَلَ اللَّجِبا

إِنْ يَرْضَ خاطِبْهُ بالمَعروف تَحْظَ بِهِ ... ولا تُخاطِبْهُ في أَمرٍ إِذا غَضِبا

ما في سلاطينِ هذا العَصْرِ كلِّهِمِ ... كابْنِ المُعزِّ يُعِزُّ الفَضلَ والأَدَبا

مِن جودِهِ صَحَّ عِلمُ الكِيمياءِ لنا ... ولا نَرى الكيميا إلاَّ إذا وهَبا

نُهدي إِليهِ بيوتَ الشِّعْرِ في وَرَقٍ ... فنأْخُذُ الوَرِقَ المُختارَ والذَّهَبا

إِليكَ يا أَوحَدَ الدُّنيا وأَمجَدَ مَنْ ... فيها خدت[1] بي عَنْسٌ تشتكي التَّعَبا

ما زِلتُ أَمْدَحُ مَوْلانا وأَشكرُهُ ... إِنَّ الدُّعاءَ لَهُ في دَهرِنا وَجَبا

بُروقُ وَعْدِكَ عندي أَوْمَضَتْ فَمَضَتْ

فلْيأْتِ مِنكَ حَيا الإِنجازِ مُنْسَكِبا

فأَشْبَهَتْ رَوْضَةً نَجْدِيَةً بِيَدٍ ... مَجْدِيَّةٍ أَرضُها جِلْدي فوا عَجَبا[2]

لا زالَ يَرْفُلُ مَن والاكَ في خِلَعٍ ... ومَنْ يُعاديكَ مخلوعَ القُوى شَجَبا[3]

وقال أيضاً :

سَقْياً ورَعْياً لدارٍ ما مَرَرْتُ بِها ... إِلاَّ تَذَكَّرتُ أَترابي وأَطرابي

---

(١) خَدَتْ : أسرعت وأصلها خدى خَدْياً وخَدَياناً ، والعنس ، الناقة .

(٢) مجدية : نسبة إلى مجد الدين وهو الممدوح .

(٣) شجبه شجباً : أهلكه ، أحزنه ، والشَّجَب : الحزن ، الكدر .

دارٌ نَعِمنا بِها والكأسُ دائِرَةٌ تَفتَرُّ عن حَبَبٍ ما بينَ أَحْبابِ
والرَّاحُ بالرَّاحِ ما تنفَكُّ حاليةً ونحنُ ما بينَ أَعْرابٍ وأَغرابِ
لو كنتُ أُنصِفُ أَطلالاً مَرَرْتُ بها جعلتُهــــا حيثُما يَمَّمتُ مِحْرابي
والنفسُ عانِيَةٌ في حُبِّ غانِيَةٍ تَسطُو بِطَرْفٍ غَريرٍ ساحرٍ سابي
إنّي لأَحْسُدُ مِسْواكاً تُقَلِّبُهُ ما بينَ دُرٍّ وبلّورٍ وعُنّــــابِ
إنْ كانَ مُستوجِباً هـذا لِدِقَّتهِ إنّي لأَنْحَفُ مِنهُ بَينَ أَثْوابي

وقال أيضاً :

هاتِ اسْقِني الرَّاحَ في الياقوتِ كالذَّهبِ
صفراءَ يطْفُو عليها لُؤلُؤُ الحَبَبِ
شَمْسُ المُدامِ إذا ما الماءُ خالَطَها بالمَزْجِ زانَتْ سَماءَ الكَأْسِ بالشُّهُبِ
وخَيْرُ ما رَوَّحَ السَّاقي بِراحَتِهِ في كَأْسِهِ ابنُ سَحابٍ بابْنَةِ العِنَبِ
والعُودُ يَخْطُبُ إذ نحنُ الشُّهودُ وصَوْ تُ النَّاي مُصْطَخِبٌ في زيِّ مُصْطَحِبِ
حتى نرى شاربَ الصَّهْباءِ من طَرَبٍ كأنَّـهُ صاحِبُ الشَّهْباءِ في حَلَبِ
من كَفِّ أَحوَرَ تُرْكيٍّ لَواحِظُهُ أَمْضى من السُّمْرِ والمُبْيَضَّةِ القُضُبِ
حُلْوُ المَراشِفِ مُهتَزُّ الرَّوادِفِ مَعْـــشوقُ المعاطِفِ في جدٍّ وفي لَعِبِ
إذا أَدارَ كُمَيْتَ الرَّاحِ مُبتَسِماً أَصْبى الكُماةَ رجالَ الحَرْبِ وهُوَ صَبي

تَرمي لواحِظُهُ عن قوْسِ حاجِبِهِ نَبْلاً بها الناسُ في حَربٍ وفي حَرَبِ
والرَّاحُ ما وَلَجت في[1] أخي كَرَمٍ إلاّ اْحتبا بابتِسامِ الفَضْلِ والأَدَبِ
فهوَ الجَوادُ بما تَحوي أَناملُهُ حَيُّ الرِّضى في النَّدامى ميِّتُ الغَضَبِ

وقال أَيضاً :

سقى الله داراً بحُزْوَى[2] الرَبابَا لإِنَّ بها زَيْنباً والرَبابا
ولا يَعْــدُها عَذْبُ امْواهِهِ فإنَّ بها لَلْثَنّايا العِذَابا
يقولُ مُقَبِّلُها إِنّمــا رَشَفْتُ بها ضَرَباً لا رضابا
بها البِيضُ والسُمْرُ لم تَتَّخِذْ سِوَى البيضِ والسُّمْرِ يوماً حِجابا
ومن أَسَدٍ[3] دُونَها فِتيةٌ هُمُ الأُسْدُ تَتخِذُ الشمسَ غابا
اعاريبُ تَمْلأُ يومَ الوَغى الفضــاءَ سُيوفاً وخيــلاً عِرابا
صِفاحُهُم مُصْلَتَاتٌ فَما تَكادُ تُصافِحُ يَوْماً قِرابا
ففي سِلمِهِمْ يَعقِرون العِشار[4] وفي حَربِهِم يَضرِبونَ الرِّقابا

---

(١) في : هنا هي الفم .
(٢) حُزْوى : اسم موضع ، والرباب الاولى السحاب الأبيض ، والرباب الثانية اسم امرأة .
(٣) أسَد : الاولى اسم قبيلة ، والأُسد ، الليوث .
(٤) العشار : النياق .

تَطِيرُ عَرانِينهم[1] غَيْرةً … إذا نظر النــاسُ تِلكَ القِبابا
قبابٌ هي الصَدَف المُطبَقاتُ … تَضَمَّنُ تِلكَ اللآلي الرِّطابا

وقال أَيضاً :

قلبي إليــكُم من الأَشواق يَضطَربُ … بِنْتُم وأنْتُم مُناهُ فَهُو مُكْتَئِبُ
نَفَيْتُمُ أُنْسَهُ عنه بِبَينكُمُ … لا يُوجَدُ الحُكْمُ حتى يوجَدَ السَبَبُ
لم أَلْقَ من احـدٍ إلا وانشدَني … [ما بال عينك مِنها الماءُ ينسكب][2]
فلْيَعْجَبِ النَّاسُ مِنّ أَنني شَرِقٌ … بمـاءِ عينيَّ والأَحشاءُ تلتهبُ
يَكاد قلبي ، وما أَحلاَ صَبابَتَهُ … إذا ذكرتُكَ من حَيْزومِه[3] يَثِبُ

وقال أيضاً :

يا سائِرينَ أَوَائِلَ الرَّكْبِ … رِفقـاً عليَّ فما مَعي قَلبي
أيُقيم قَلبي في حشـايَ وقـد … عَبَثَتْ بِجَبَّتِهِ يَدُ الحُبِّ
أَلبَيْنُ عَـــذَّبَني فـأَشرَقَني … يَوْمَ النَّوىٰ بالبارِدِ العَذْبِ
يا أَيُّهـا الرُّوَّادُ إِنْ تَقِفُوا … عِنْدي تُوافوا الماءَ عَنْ قُربِ

(١) العرنين : الأنف ، والسيّد الشريف .
(٢) هذا الشطر مطلع قصيدة لذي الرمّة وتتمة البيت : كأنّهُ مِن كُلىً مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ
(٣) الحيزوم : وسط الصدر .

أَجفانُ عَيْني في المَنازِلِ قَدْ جادَتْ فأَغْنَتْ عَن حَيا السُّحْبِ

قد سالَمتْ عيناي دَمعهما وتَجلُّدي والقَلْبُ في حَرْبِ

أَفَما تَخافُ منَ العِقابِ غَداً يا مَنْ يُعَذِّبُني بِلا ذَنْبِ

ما عايَنَتْ عَيْناكَ فِعلَكَ بي إلاَّ وصِحتُ العفوَ يا رَبِّي

يا أَيُّها العُذّالُ وَيحَكُمْ زِدْتُمْ وَقُودَ صَبابَةِ الصَّبِّ

لم تَبْتَرِدْ بالعَذْلِ غُلَّتُهُ بل زادَهُ كَرْباً على كَرْبِ

وقال يتغزل بمملوك اسمه «اَلْطُونَبا»(1)

أَفدي غُلاماً قَطُّ ما قَطَّبا إنْ غَيْرُهُ رَسْبَنَ (2) أَو قَلتبا

قلتُ لَهُ ما اسْمُكَ يا أَحْسَنَ التُّرْ كِ جميعاً قالَ اَلْطُونَبا

في خَدِّهِ نُقْطَةُ مِسْكٍ هيَ الخَالُ وصُدْغُ خِلتُهُ عَقْرَبا

ينحلُّ عِقْدُ الصَّبرِ منيّ إذا ما شدَّ فَوْقَ الخَصْرِ بَنْدَ القَبا

هارُوتُ في أَجْفانِهِ نازِلٌ سِحْراً ومارُوتُ بِها طَنَّبا

ما اُفْتَرَّ إلاَّ خِلْتَ في فيهِ سِمْطُ الدُّرِّ مِنْ أَصْدافِهِ رُكِّبا

ياعُنُقَ الإِبْريقِ مِنْ فِضَّةٍ في الحُسْنِ حُزْتَ المَذْهَبَ المُذْهَبا

(1) الطونبا: اسم تركي، والطون بالتركية: الذهب.
(2) لم نستطع معرفة المقصود من كلمتي: رَسْبَن وقلتبا.

أَحْسِنْ بِهِ في شُرْبِهِ ساقِياً يُديرُ اِسْفِنْطاً[1] صَفَتْ مَشْرَبا
حمراءُ ما أَكْرَمَ كَرْماً لهـا كانَ على أَزمانِ نوحٍ أَبا

وقال أَيضاً يتغزل به :

مـا شدَّ أَزْرارَ القَبَـا أَحْسَنُ من [أَلطُونَبا]
أَجفانُـهُ مِنهـا يَسُلُّ حَدَّ سيفٍ ما نَبـا
أُعيـذُهُ باللهِ من غاسِق ليلٍ وقَبا[2]
أَحسَنُ من أَدارَ كـأْسَ الرَّاحِ أَو مَنْ شَرِبا
كأَنَّـهُ شمسُ الضُّحىٰ تَحْمِلُ لَيْـلاً كَوْكَبـا
كأَنَّ دُرَّ ثَغرِهِ نَظَّمَ فيـهِ الحَبَبـا
كأَنَّـهُ يَمزُجُ بالفِضَّـةِ فيهـا ذَهَبـا

وقال يتغزل به :

سَيْفُ لحاظَ ٱلطُونَبا عَنْ قتلِ مِثْلي ما نَبَا[3]
أَحْسَنُ مَن نَكَّسَ شُرْبو شاً ومَن شَدَّ قَبـا

(١) إسْفِنْط : من أسماء الخمرة .
(٢) وقب : الظلام دخل وانتشر والغاسق : الليل إذا اشتدت ظلمته .
(٣) حركت (لحاظ) بالفتح لاتصالها بالألف في الكلمة التالية « الطونبا » من أجل الوزن .

أُعيذُ ذا التُّركيَّ مِنْ غاسِقِ لَيْلٍ وقبا

وقال يتغزل بصبيٍّ اسمه أبو طالب :

أَين دَهائي والهوىٰ طالبي يَتَّمَني حُبُّ أَبي طالِبِ
قُلتُ لَهُ والسُّقمُ قدطالَ بي صِلْني بحقِّ أَبي طالِبِ

وقال يمدح الصاحب الوزير صفيَّ الدين أَبا محمد عبد الله[1] بن عليّ ويذكر عمارة باب البريد والفوّارة والمصلّى :

من عُلا الصَّاحِبِ الطويل الرِّكابِ طِرْفُ طَرْفِ الحَسودِ باكٍ كابي
من يَلُمْ في السَّماحَةِ ابن عَليٍّ ليسَ يلقى سِوى الجوىٰ بالجوابِ
ردَّ إنشاؤهُ البديعُ إلى الكتّا بِ للعَجْزِ سادَةَ الكتَّابِ
فَهُمُ بالقُشورِ يأْتونَ في الكُتْبِ وإنشاؤُهُ لُبابُ اللُّبابِ
خُلْقُه كالجُلاّبِ[2] إن يَرْضَ خلق يجلُب السُّخْطَ سَطْوُ سَوْطِ عذابِ
ومتىٰ ما يحلْ محلاًّ يُرَوِّضْهُ بِجُودٍ يَسُحُّ سَحَّ السَّحابِ
وتقومُ الملوكُ بَيْنَ يَدَيهِ بعدَ طولِ الحِجابِ كالحُجّابِ

---

(١) هو صفي الدين الشيبي الدميري المعروف بالصاحب بن شكر وزير مصري من الدهاة .

(٢) الجلاب : اصطلاح مولد وهو ماء الزبيب المنقوع .

إنَّ وصْفَ الصَّفِيِّ يُعْجِزُ مَنْ أَكْثَرَ شَدَّ الأَطْنابِ[1] بالإطْنابِ

يا صفيَّ الدينِ الذي هُوَ في الحُسّـــابِ جَلَّ الباري السريعُ الحِسابِ

أَنتَ قلّمتَ في الأَقـــاليم با لأَقلامِ أَظفارَ ظافِراتِ الذِّئابِ

فغدا كُلُّ أَعْصَلَ[2] النَّابِ شَهْمٌ لَيْسَ في فيهِ غيرُ نـابٍ نـابي

أَنتَ طيَّبْتَ أَرضَ جيرانِ جـــيرونَ[3] فَفاحتْ بَينَ الملا بالملابِ

ورفَعْتَ المـاءَ السماءَ عليهـا ووضعتَ الميزانَ بالميزابِ

فلها شاذَرْوانُ[4] ناسٍ وشاذَرْوانُ ماءٍ تجدَّدا بانسكابِ

فهيَ الآنَ مَسْجِدُ الصَّلَواتِ الخَمْسِ خَلفَ الإمـامِ بِالمِحْرابِ

كلُّهُمْ في الصَّلاةِ داعٍ لَكَ اللهَ دُعاءَ المُجيبِ بالمُسْتَجابِ

بكَ (بابُ البريدِ)[5] يجلو على العالَمِ بابَ الفِرْدَوْسِ في الأَبوابِ

---

(١) الأطناب : جمع طُنُبٍ وهو حبل يشد به سرادق البيت والإطناب بكسر الهمزة المبالغة .

(٢) الأعصل : المعوج ، جمعه عُصْل ؛ يقال : أنياب عصل .

(٣) جيرون باب من أبواب دمشق وأصله باب معبد دمشق القديم .

(٤) شاذروان : من شوذر ، وهو الملحفة « فارسية » واسم متنزه مشهور يقع غربي دمشق .

(٥) باب البريد : محلة في دمشق إلى جوار الجامع الأموي . وباب الفردوس يقصد به باب الفراديس المجاور له على ما أظن وهو من أبواب دمشق القديمة المعروفة . أو هو يقصد باب الجنة .

كانَ من قَبْلُ ذا أُسْـــــوِدادٍ

وقد أذهبتَ ذاكَ السَّوادَ بالإذهاب[1]

وسيبقى عليكَ حُسْنُ ثنـاءٍ مِنهُ باقي البقـاءِ في الأَحْقابِ

ذاكَ مَدْحٌ من غَيْرِ نَظْمٍ ونَثْرٍ بخِطابِ المُدَّاحِ والخُطّابِ

والمُصَلّى بنـاهُ عَزْمُكَ يا منْ عَزْمُهُ صائبٌ بصَوبِ الصَّوابِ

هو حِصْنٌ للمسلِمـــينَ حَصِينٌ وَهو غابٌ وانتَ لَيْثُ الغَـابِ

لو رَأى ذو القَرْنَيْنِ ذاكَ رأى شيئاً عُجـاباً يثْني عَنِ الإعجـابِ

ورآه كأنَّـه ســـدُّ ياجوجَ وماجوجٍ المُعَجِّز النُقَّـــابِ

نحنُ في دَوْلةٍ بَعْدِلك ردَّت بسَناها للشيبِ سنَّ الشبـــاب

فارقَ فوقَ العليـــا ودم ماعلا تِـبرَ الحميا في الـكأسِ درُّ الحَباب

وتهنـأْ بكُلِّ عيدٍ سَعِيـــدٍ جامعٍ للمُحِبِّ والأَحْبـــابِ

وقال يمدح الرئيس مؤيّد الدين أبا المعالي :

وغَنِّ في اللَحنِ القَديمِ مُعْرِباً بخَـــيْرِ ما تحفَظُـــهُ لِلعَرَبِ

ما لَذَّةُ العَيشِ سِوى الشُرب على الوَرْدِ أَمامَ الشَرْبِ أَهلِ الأدب

(١) اذهب : معناها هنا طلاه بالذهب .

وقال أيضاً :

الدمعُ في الخدِّ مسفوحٌ فمسكوبُ ... والنَوْمُ ناءٍ عَنِ الاجفانِ مَسْلوبُ

يا شِبهَ يُوسُفَ في الحُسنِ البديعِ أَما ... ترثي لِمَن دَونه في الحُزنِ يَعْقوبُ

عَذِّبْ بما شِئْتَ قلبي فَهوَ مُحتمِلٌ ... ما اعْذَبَ الحُبَّ لكِن فيه تَعذيب

صبري على الوجدِ صَبرٌ ليس يَحمِلُه ... في النَّاسِ إلا نَبيُّ اللهِ ايّوبُ

وقال أَيضاً :

يا عاذلي أَقصِر فَكَمْ تتعَبُ ... في سَلْوَتي تَطمَعُ يا أَشْعَبُ

هيهاتَ أَن اسلُوَ عن شادنٍ ... في حبهِ العاتِبُ لا يَعتُب

وَجْدي مُجِدٌّ في هواهُ وإِنْ ... كانَ بِقَلبي حبُهُ يَلعَبُ

بي مِنْ بَني التُّرْكِ هَضيمُ الحَشا ... أَحوَرُ مَعْسولُ اللّمىٰ أَشْنَبُ

يَبدُو فيجلُو قَمَراً وجْهُهُ ... من صُدْغِهِ في خَدِّه عَقْرَبُ

في سَرْجِهِ ينسابُ من فَرعِهِ ... الثُّعبانُ فَوْقَ الحِقْفِ[1] إِذْ يَرْكَبُ

عن بَرَدٍ يَبْسِمُ أَو لُؤْلُؤٍ ... وعنْ أَقاحٍ ثَغْرُهُ الأَشْنَبُ

حاجِبُهُ يُغْنيهِ عن قَوْسِهِ ... ولحَظُهُ السَّهمُ فما يُحْجَبُ

---

(١) الحِقْفُ : هو الرمل العظيم يشبه بـه الكفل وجمعه أحقاف وحقـاف وحقوف وسورة الأحقاف في القرآن الكريم معروفة .

وقـدُّهُ أَطعَنُ مِن رُمحِـهِ ولَحْـظُهُ مِن سَيفِهِ أَضرَبُ
هارُوتُ في بابِـلَ منْ نَفْثه للسِّحْرِ منْ أَجْفانِـهِ يَعْجَبُ
كأَنَّـهُ والرَّاحُ في كَفِّهِ شَمْسُ الضُّحىٰ قابَلَها كَوْكَبُ[1]

وقال يَذُمُّ الشَّيْبَ :

سَتَرتُ بياضَ شَيْبي بالخِضابِ ولم أَجنَحْ بِذاكَ إلىٰ التَّصابي
ولـكنّي لَبِسْتُ بِـهِ حِداداً وذٰلِكَ إِذْ حَزِنْتُ علىٰ شَبابي
هو المَحْبوبُ ودَّعني برَغْمي وغابَ فلستُ أَطمَعُ في الإِياب
على شَرْخِ الشَّبابِ أَلَـحَّ شَيْبي بنابٍ ليسَ عن فَتْكٍ بِنابي[2]
نُزولُ الشَّيْبِ رَحَّلَ عنسَ عَيْشي فسار مودِّعاً وصْلَ الكعابِ
وللشَّعَراتِ لَمَّا لُحْنَ بيضاً بِقلبي مِثلُ وَخزاتِ الحِرابِ
مضَىٰ زَمَنُ الصِّبى فاعْتَضتُ عنه بِطولِ أَسىً عَلَيهِ واكتِئابِ

---

(١) في هذا البيت التفات إلى قول أبي نواس :

إذا عبَّ فيها شارب القوم خلته يقبل في داجٍ من الليل كوكبا

وقول ابن الرومي :

فـكأنهـا وكأن شاربهـا قمر يقبـل عـارض الشمس

(٢) الناب الأولى إحدى الأسنان في الفم ، و « نابي » الثـانية أي غير قاطع من : نبا السيف .

أَلاَ يا حَبَّـذا زمنٌ تقضَّى حَميداً بَيْنَ زَيْنَبَ والرَّبابِ
هُنالِكَ كانَ غُصنُ العَيْشِ غَضّاً وَريقاً يانعاً داني الرِّطابِ
ولم يَنْعَقْ بفرقَتِنا غُرابٌ ولَوْنُ الشَّعْرِ أَسْودُ كالغُرابِ
ورَّقت بَيْنَنا الشَّكْوَى فكانتْ كرِقَّة دَمـع راووقِ[1] الشَّرابِ
فَقَدْ نشرَ المَشيبُ كِتابَ صَدٍّ الأَحبة وانطوَتْ صُحُفُ العِتابِ
بياضَ الشَيْبِ قدسَوَّدتَ وجهي ففي تسويدِ وَجْهِكَ ما أُحابي
أَما انت الذي صَيَّرتني بَهْرَجاً[2] عنـد الحرائر والقِحـــابِ
على تَسْوِيدِ وَجْهِكَ لستُ أَلحى ولو سَوَّدْتُهُ بخَرا الـكلابِ
أَلاَ ياصاحِ إنّي غيرُ صاحٍ سَكِرتُ من المشيبِ بلاشَرابِ
فسُكري من مشيبٍ حَلَّ عندي محلَّ البُومِ يَنْأَمُ[3] في الخَرابِ
كِتَابُ الشَيْبِ أَبيَضُ في سَوادٍ وهـذَا ضِـدٌّ مَعْهودِ الكِتابِ
أَراهُ قِصَّـة رُفِعَتْ إلى من يُوَقِّع في جَوابيَ بالجَوىٰ بي
متى ما سَلَّ سَيْفَ الشَيْنِ شَيْبي اعِـدْه بالخِضَابِ إلى القِرابِ

---

(١) الراووق : اناء تروّق فيه الخمرة او الماء او هو الكأس بعينها .

(٢) البهرج : البـاطل والرديء والمباح ، والقحاب : جمع قحبة وهي : العجوز ، والفاسدة الجوف والخُلُق .

(٣) نأم : ينئم وينأم نئيماً ؛ صوّت صوتاً ضعيفاً أو خفياً .

ولكن كَيْفَ أَصْنَعُ حينَ يأْتي بسِحرٍ زَاخِرٍ جمٍّ العُبَابِ
مَصَابيحُ المَشيبِ هَوَتْ بلَيْلٍ فعَاثت في شَياطِينِ الشبابِ
فَقَد صَدَّت شُموسُ الغِيدِ عني صُدودَ الشَمسِ عنحالِ الشهابِ

آخر حرف البــــاء والحمد لله على نعمـــــه
وصلى الله على محمد وآلِهِ وصحبه اجمعين [1]

* * *

(١) من كلام ناسخ الديوان .

حرف التاء

وقال يمدح الصاحب الوزير صفي الدين اباعبد الله بن علي[1].

ذِكرُ الصِبا مِنهُ لِيْ هاجت صَبابَاتُ ... سِهامُها في الحَشَا مِنهَا إِصَابَاتُ

إِذا تغنَّتْ حَماماتُ الحِمَى أُصُلاً ... حَامَتْ بِهَتْكِ حِمى سِرِّي الحَمَامَاتُ

خَيْمات لَيْلِ شَبابِي قُوِّضتْ سَحَراً ... فَطنَّبَت لِصَباح الشَيْب خَيْماتُ

فَوَلَّتِ البِيضُ عنّي غَيْرَ لاوِيةٍ
فَكُنتُ « قَيساً[2] » نأت عنه « الرُّقَيَّاتُ »

قد غادَرَ العَبَراتِ الشيبُ فانِيَةً ... وفي مَذَمّتِهِ تَغنِي العِباراتُ

كيفَ السَبيلُ إلى صَفوِ الحياةِ وفي ... رأْسِي من الشَّعَراتِ البيضِ حَيّاتُ

ولّت لذاذاتُ عَيْشِي والشبابُ وهل ... مَعَ المَشِيبِ تُرى اللذّاتُ لذّاتُ

قدحان تَسْلِيمُ من أَدّى الصَّلاةَ وقَدْ ... مَضَتْ من السَجدةِ الأُخرى التَحيّاتُ

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) هو الشاعر عبيد الله بن قيس الرُقيّات ، سمي كذلك لأنه تغزل بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رُقَيّة .

جِنايةُ الشيبِ عِندي لاخِلافَ أُتى في أَنَّها قصّرتْ عَنْها الجِنايات

فكيفَ أَضْحَكُ أَو أُثْني عَلى زَمَنٍ فيهِ الضَواحِكُ اوْدتْ والثَنيّاتُ[1]

يا عاذِلي ما العُيونُ البابليّاتُ يَنْفُثْنَ سِحْراً لنا إلا بَليّات

قدصِرنَ يَفرِكْنَني[2] بعد الوداد فحبّات القلوب انسَرت[3] عنها المَحبَات

وعُدْنَ يدعونَني عَماً مُهازأَةً[4] يا خَيْبَة العَمّ تَدْعوهُ الصَبيَّاتُ

لَأَشْكُوَنَّ مَشيبي كاتِباً بِيَدي إلى وَزيرٍ بِهِ تُمحَى الشِكاياتُ

ذاكَ الوزيرُ الاجلُّ الصاحبُ بن عليٍّ الّذي بأسمِهِ تُزْهى الوِزاراتُ

من ليسَ تثبُتُ إلاّ لِلوليِّ له إذا أَتتْ بالرِّضى مِنهُ الوِلاياتُ

لو أُنزِلتْ آيةٌ بعدَ النبيِّ إذن لأُنزِلتْ في صَفيَّ الدين آياتُ

في كفّهِ قَلَمٌ واهاً له قَلَماً بِهِ الأَمانيُّ تبدُو والمَنيَّاتُ

مازالَ فى النَّاسِ عبدُ الله اكرمَ عِندَ الله من كُلٍّ من فيهِمْ سِيادات

فالمسجِدُ الجامِعُ المعمورُ حِينَ دعا الوزيرُ لَبَّتْه آياتٌ مُبيناتُ

---

(١) الضواحك : جمع ضاحك من الاسنان ، وكذلك : الثنيات : جمع ثنية .

(٢) فَرِكَ يفرك : ابغض ، ومنها المرأة الفارك التي تبغض زوجها .

(٣) انسَرَى : الهم عني ، انكشف ، وهي مثل سُرّي عنه .

(٤) المهازأة : من الهزء والسخر .

فَافْعَم[1] الصَحْنَ إحساناً و مَكْرُمَةً		فللدعاءِ له صيتٌ واصوات
تَرْخِيمُهُ ضِدّ ترخيم النِداءِ فِفي		هاذاك نَقْصٌ وفي هذا زيادات
في دَوْلة العادِلِ المَلْكِ المَهِيَبِ رأيْنا		الذيبَ في القفر لم تحفل به الشاة
مَلْكٌ لصارِمِهِ والرّمحِ في ثَغَرِ		الأعداءِ بالثّغرِ ضَرباتٌ وطَعنات
يرمِي بأسهُمِه يَوْمَ النِزالِ فما		تَرِدُّهن الدُّروعُ السّابِريَّاتُ[2]
فالمُلك لا أَوَدٌ[3] فيه ولا خللٌ		يوماً فَدامَتْ له ماشاءَ دَوْلات
قل للفَرَنْجِ الأُولى في عُقْرِ دارِهِم		غُزُوا فجاسَتْ خِلالَ الدارِ غارات
عُودُوا إلى حِمصَ فالسيفُ الذي زَهَقَت		به نُفوسُكُمُ يدعو بأَن تاتوا[4]
قد اصبح ابنُ عَليٍّ راقِياً رُتَباً		حُسّادُهُنّ على البأْوِ[5] السَماوات
مُعَوَّداً لَفَعالِ الخَيرِ قَدَّمَهُ		قُدّامَهُ فَلَهُ في الخَيرِ عَادات
للأَولياءِ وِلاياتٌ بِها لَبِسوا		الآلاتِ مِنهُ ولِلأَعْداءِ وَيْلات
يا ناصِرَ المَذْهَبِ الميمونِ ناصِرُه		أَبْشِر فَبالفَتح جاءَتكَ البِشارات

---

(١) افعَم : ملأ ، والصيت الشهرة .

(٢) السابريات : مفردها : سابريّ نسبة الى سابور ، وهنا تعني الدروع الدقيقة النسج .

(٣) الأوَد : الاعوجاج وآد العودَ حناه وعطفه .

(٤) هذا الحرف لم توضع فوقه أو تحته نقط وقد وجدنا أنه أقرب أن يكون « تاءً » .

(٥) البأو : الكبر والفخر ، يقال : بأوتُ على القوم .

لَكَ الثناءُ الذي منه يُذَبّح ما بين المحافلِ من دارين[1] فاراتُ
أَطلعتَ وَجْهَكَ مِصبَاحاً يُضيءُ لَنَا وطَيْلَسانُكَ لِلمِصباح[2] مِشكاةُ
يا قالَةَ الشِّعْرِ صونوهُ فما أَحَدٌ في الشَّامِ تُبْنَى لَهُ بالمَدْحِ أَبْياتُ
سِوى الوَزيرِ الذي تعنو له هِمَمٌ ما فوقَ غاياتِها في المَجْدِ غاياتُ
هو الذي عَرَكتْ أُذْنَ الزَّمانِ بصُلْبِ المِلْحِ يُمناهُ حتى تابَ مفتاتُ[3]
لا زالَ في نِعَمٍ مَحْروسَةٍ أَبَداً من المَخوفِ ولا وافَتهُ آفاتُ

وقال يمدح شرف الدين يعقوب بن محمد الفخري المعظَّمي :

عجباً لِمَملوكي الذي مُلِّكْتُهُ هو مالكي ولِمُهْجَتي مَلَّكْتُهُ
ومنَعَّمٍ لا مُنْعِمٍ بالمَنعِ من عِصيانِهِ أَمْرَ الهوى فأَطعْتُهُ
ريمٌ رَماني عامِداً بِصُدودِهِ وأَبَى انقياداً لي إِلى ما رُمْتُهُ
أَحوى حوى قلبي فصارَ حِواؤُه[4] يرعى حِماهُ آمِناً ما رُعْتُهُ

---

(١) دارين : فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند ، وفارات : جمع فأرة ، وهي هنا فأرة المسك المعروفة .

(٢) المشكاة : الكوة فيها مصباح ، او الانبوبة في وسط القنديل . والطيلسان قباء ملون.

(٣) مُفْتات : من افتات عليه بكذا أي عمل به دون أمره .

(٤) الحُوَّة : حمرة تضرب إلى السواد أو سمرة في الشفة ، والحِواء : جماعة بيوت من الناس مجتمعة وقد وردت هذه الكلمة مكتوبة هكذا « حوأه » وما أثبتناه هو الصحيح .

قالَ العَذُولُ ، وقُلتُ إذْ مانَعْتُهُ ما نَعْتُهُ[1] مَهْ ، كُلُّ حُسْنٍ نَعْتُهُ

دُرِّيُّ لَوْنِ الوَجْهِ لكِنْ ثغرُهُ الحَبَــبِيُّ فيما في المُدامَـةِ نبتُهُ

حَنَشُ[2] الذُّؤابَـةِ لَيْتَني إذْ ماجَ في أعلا القَضيبِ على الكَثيبِ حَوَيْتُهُ

أقسَمْتُ لو عـايَنْتَهُ يا عاذِلي لَعَشِقْتَهُ ومن العنـاءِ عَشِقْتُهُ

قسماً بِمَنْ هو خَيْرُ أُسْرةِ هاشِمٍ وبِسَيِّدٍ أَلْـفَتْـهُ كُفْوًا بِنْتُهُ

ولِهـاشِمٍ يَوْمَ الفخارِ يفـاعُهُ[3] ولغيرِها مِنهُ الحَضيضُ وخَتُّهُ

وكفاهُ مَدْحاً ما أَتىٰ في هَلْ أتى هَزَّ اللِّواءَ وَلاؤه فَتَبِعْتُهُ

أنا كلُّ من والى الإمامَ وَمَقْتُهُ ولِمَن يعاديهِ قِلايَ وَمقْتُهُ[4]

لا عادَ لي يا عاذِلي عَزْمٌ إلىٰ ما تبتغي من شادِنٍ عُلِّقْتُهُ

ما الأمرُ في حُكمِ الصَّبابَةِ في هوى التُّــركيِّ لي لَوْ كانَ لي لَتَرَكْتُهُ

أغناهُ عن نَثْلِ[5] الكِنانَـةِ رانِياً نَبْلُ اللِّحاظِ وفي الحشا أكْنَنْتُهُ

---

(١) مانعته : الأولى من المنع والممانعة ، والثانية فيها الـ « ما » استفهامية ونعته التي بعدها تعني : وصفه .

(٢) الحنش : الحية .

(٣) اليفاع : المرتفع ، والخَتّ : الخسيس الوضيع .

(٤) ومق ، أحب والثانية ، مقته ، والواو للعطف ، والمَقْتُ : الكره .

(٥) نَثَل : استخرج نبل الكنانة .

لا يَحْجُبُ الزَّرَدُ المضاعَفُ سَهْمَهُ ولو أنني كل الدِّلاصِ[1] لَبِسْتُهُ

وأَخالُ خالاً لاحَ لي في خدِّه هو حَبَّةُ القلبِ الذي أَوْدَعتُهُ

أَحبَبْتُ من هو كابنِ يَعْقوبٍ ويعقـــوبَ الوَزيرِ ونعْمَ مَنْ أَحبَبْتُهُ

شَرَفٌ لِدينِ اللهِ يَحسُنُ نُطقُهُ في كسبِهِ حُسنَ الثناءِ ، وصمتُهُ

يلقى السرورَ وَليُّهُ من كُتْبِهِ ولمنْ يعـادِيهِ الشُّرورُ وكَبْتُهُ

كم من مَقـــام قُمْتُه بمديحِه فهناكَ إِذْ أَصْغَى الحَسودُ وَقَمْتُهُ[2]

قدْ كنتُ آملُ من «جَهاركَسَ» نصْرَةً أَلقى بها زمني إذا استنصَرْتُهُ

فحُرِمْتُ ذٰلِكَ مِنهُ معَ شكْري لَهُ ورُميتُ منـه بِضِدِّ مـا أَمَّلْتُهُ

هذا وإنَّ لَهُ دُعـــاءً صالحاً منِّي إلى ربِّ السَّماءِ رفعتُـهُ

وبديعُ نظمٍ رائق في حسنِهِ أَخجَلْتُ منهُ الدُّرَّ حين نظَمْتُهُ

وهو الَّذي غَمرَ الوَرى بِنوالِهِ غَيري فَلِمْ دونَ الأَنامِ حُرِمْتُهُ

ما جِئتُهُ أَبغي سِوى إِنعـــامَهُ لي بالذي قد كانَ لي فَغُصِبْتُهُ

من عزَّ بزَّ[3] وقد غُلِبْتُ إذن على ما كانَ مُلكي في يَـدي فسُلِبْتُهُ

عجَباً لمنْ مَلَكَ البِلادَ بأَسرِها وٱبتَزَّني شِبراً بِهـــا مُلِّكتُهُ

فَقَضِيَّتي كالنَّصِّ في القُرآنِ مَعْ داوودَ والخصمِ الَّذي أَشْبَهتُهُ

---

(١) الدلاص : الدرع اللين البرّاق .

(٢) وَقَم : قَهَرَ وأذلَّ فهو واقِم .

(٣) من عزَّ بَزَّ : معناه : من غَلَبَ سَلَب .

مولايَ فَخرَ الدينِ يا مَلِكَ الوَرى ... ياخيرَ من فيهِ القريضُ رقمتُهُ

لو تمَّ هـذا من سِواكَ عليَّ لَمْ ... أقْصدِ سِواكَ لَهُ ولا استَنجَدتُهُ

وَلِيَ الشَّفيعُ إليكَ أفضلُ شافعٍ ... يَعْقُوبُ خيرُ شَفيعٍ اسْتَشْفَعتُهُ

بِحَياةِ فخرِ الدينِ كُنْ لي شافعاً ... مِنهُ إلى مَلِكٍ عظيمٍ دَسْتُهُ (١)

إنْ كان يُسعِفُني زماني بالرضا ... من بَعدِ إسْخاطي فهذا وَقْتُهُ

أَشكو إلَيْهِ جَوْرَ دَهْرٍ قاسطٍ (٢) ... ظُلْماً فكم كَبَـدٍ به كابَدْتُهُ

عِندي اُطَيْفالٌ كأفراخِ القَطَا ... في مَسكَنٍ كالنَّافقاء (٣) سَكَنْتُهُ

اضْحُو بلا ماءٍ ولا شجرٍ ولا ... بِرٍّ ولا خبزٍ لديّ أَقتُّـهُ

ما كانتِ الشكوى لِمثْلي عادةً ... وَلَوَ أَنَّ مابي بالعُدوِّ رحِمتُهُ

انا عَبدُ عبدِ السيِّدِ الشَّرَفِ الذي ... لم اشكُ ماعاينتُ مُـذْ عاينتُهُ

وهو الذي ابصرتُ حاتمَ طيّءٍ ... جُوداً وقسَّ عُكاظَ مُذْ ابصرتُهُ

وقال أيضاً :

أيا مُنا بالرَّقْمتين (٤) تولَّتِ ... فعلَيَّ انواعُ الهُمومِ تَوَلَّتِ

---

(١) دَسْت : اصلها فارسي ولها معانٍ كثيرة منها صدر البيت والمجلس والصحراء والوسادة واللباس والورق والمرجل الكبير .

(٢) قسطَ : جار وحاد عن الحق فهو قاسط . والكَبَد : الألم .

(٣) النافقاء : جحر اليربوع ، واطيفال : تصغير أطفال .

(٤) الرقمتان والعذيب وحاجر : اسماء مواضع .

كم ليلةٍ لي بالعُذَيْبِ وحاجرٍ قَصُرتْ لَقَدْ كَثُرتْ لديَّ وقَلَّتِ

فكأنَّها أُنْشُوطَةٌ عَبَثَتْ بها كَفُّ الصَباحِ مُجاذِباً فانْحلَّتِ

وغريرةٍ رَقّت قساوَةُ قلبِهـا فرَثَتْ لِفَيضِ مَدامِعي المُنْهلّةِ

فكأنَّها إذ فارَقَتْ أترابَهـــا في الحُسنِ واسطةُ الفرندِ انْسلَّتِ

غارَتْ غُصونُ البانِ في كُثُبِ النَقَا لمّـا تَثنَّت بَين ثِنتَيْ حُلَّةِ

فَضَممتُها شَوْقاً فَكَمْ مِنْ نَهلَةٍ لي من ثناياها العِذابِ وعَلَّةِ

فتَبسَّمَتْ عن أُقْحُوانٍ ناضرٍ في رَوْضَةٍ بالحزنِ ليلاً طُلَّتِ[1]

ثم ٱستمرَّتْ في غِيابِ خِلْتُهُ دُرّاً تَساقَطُ من عُقودٍ حُلَّتِ

قالت مللْتَ مَحبَّتي ورَجعْتَ عن عهـدِ الصِّبىٰ وأَنا التي ما ملَّتِ

فأَجبتُهـــا مُتَعَجِّباً أَنتِ التي رَمَتِ المُحبَّ بِدائِها وانسَلَّتِ

بَيْضاءُ يُخجِلُ وَجْهُها شمسَ الضُّحىٰ حُسناً إذا هِيَ في السَّماءِ تَجلَّتِ

دَقَّتْ وجَلَّت لَوْعتي فيها كما دَقَّتْ معانيها الحِسانُ وجَلَّتِ

فاعتَضْتُ من قِصَرِ اللَّيالي طولَها وتَنَكَّرَتْ بعد المَوَدَّةِ خُلَّتي

وسَطَتْ على دُهْمِ الشَّبابِ مُغيرَةً في لِمَّتي شُهبُ المشيبِ فولَّتِ

فأُريقَ ماءُ شبيبتي فرأَيتُ شَيْـــبَ المَرْءِ عِندَ الغيدِ أَقْبحَ زَلَّةِ

---

(١) طُلَّت : أصابهـا المطر والندى ، وقد وردت في الأصل بالتـاء المربوطة « طلة » وهو خطأ .

وقال في غَرَضٍ له :

يا قَمَراً وصْلُهُ الحَياةُ عِندي وهِجْرانُهُ الوَفاةُ
حتى متى أَنتَ هاجِرٌ لي صَدَّقتَ ما قالتِ الوُشاةُ
وما جوابُ العَذولِ عندي حتى نَهاني إلاَّ الصُّماتُ[1]
يا صَنمَ الفِتنةِ الذي[2] عن جمالِهِ تقصرُ الصِّفاتُ
لو لم أَخفْ من عِقابِ رَبّي كانَ لَكَ الصَّوْمُ والصَّلاةُ
أَنتَ غَنيٌّ من كلِّ حُسْنٍ أَما لهذا الغِنى زَكاةُ
وإنَّ مَطْلَ الغنيِّ ظُلْمٌ إذ لا وفاءٌ ولا صِلاتُ
صرفتَ (فتيانَ)[3] عَنْكَ ظُلماً ولم تُجِزْ صَرفَهُ النُّحاةُ
فقد تولىّ الحسودُ عنّي خَذْلانَ في قلبِهِ شماتُ
وَلِيتَ قلبي فَجُرتَ فيه ما هكذا تفعلُ الوُلاةُ
فأنتَ قاضٍ وانتَ خصمٌ فاعْدِلْ كما تَعدِلُ القُضاةُ
أَسعِفْ وأَنصِفْ وجُدْ وأَحسِنْ إليَّ فضلاً فما أَساتُ[4]

---

(١) الصُّمات السكوت .

(٢) وردت هذه الكلمة بالتأنيث في الأصل ونرى أن التذكير أصح لأن الضمير عائد إلى الصنم .

(٣) فتيان هو اسم الشاعر وتلاحظ هنا الاشارة النحوية .

(٤) اساتُ : مخففة من اسأت .

انا المطيعُ الذي يُلاقي في الحبِّ مالاقتِ العُصاةُ

صادَ فؤادي ظَبيٌ غريرٌ من لَحْظِهِ تَخجَلُ المَهاةُ

ريمٌ إِذا مارنا اختلاساً لم تَنْجُ من سَهمِهِ الرُماةُ

ما أَنا عن حُبِّه بِسالٍ بل عُدتُ فيه كما بَداتُ[1]

وقال أَيضاً :

بَدرُ تِمٍّ أَلِفتُهُ ليتَني ما عرفْتُهُ

مُسقِمي والشِفاءُ في ريقِهِ لو رشفتُهُ

جامِعُ الحُسْنِ كلُّ قلبي عليهِ وَقفْتُهُ

ولو أَنّي بِكُلِّ حسنٍ بديع وَصفتُهُ

كنتُ باللّهِ مُقْسِماً أَنني ما نَصَفْتُهُ

لا وَوَرْدٍ بوجنتيهِ بلحظي قَطَفْتُهُ

عَنهُ وَجْدي ومابهِ عِلّةٌ ما صَرفْتُهُ

وقال في المشورة :

شاوِرْ سِواكَ إِذا نابتكَ نائبةٌ يوماً وإِنْ كنتَ من أَهلِ المَشوراتِ

فالعَيْنُ تَلقى كفاحاً[2] ما نأَى ودنا ولا ترَى شخصَها إِلاّ بِمِرْآةِ

---

(١) بدات : مُخَفَّفَة كذلك من : بدأت .

(٢) الكفاح هنا : المواجهة وكافحه واجهه دون حجاب بينهما .

وقال أيضاً :

أُنْظُر إلىٰ أَيكَةٍ يلوحُ بها زَهْرٌ أَنيقٌ بِطَرفٍ مَبهوتِ
كأَنَّ أغصانَها الزَّبَرجَدُ قدْ رُصِّعَ فيها فصوصُ ياقوتِ

وقال أيضاً ، وهي مما لزم التاءَ أولها وآخرها [1] :

تأَلَّت [2] على قتلي سُليمىٰ وَوَلَّتِ وقدْ أَقْطَعَتْ قلبي الهمومَ وولَّتِ
تجنَّتْ ومن ذاكَ التجنّي جُنِنْتُ في م الهوى لَيْتَها لمّا جَنَتْ ما تجنَّتِ
تمنَّتْ على اللهِ الجمالَ بأَسرهِ فقدْ بَلَغتْ من رَبِّها ما تمنَّتِ
تراءَتْ لنا كالشَّمسِ جادَتْ بحاجبٍ وبالحاجِبِ المَحجوبِ بالسِّرِّ ضَنَّتِ
تصدُّ وتبدي عن أَسيلٍ وتتَّقي بناظِرَتَيْ وسنانَ من وحشِ وَجْرَةِ [3]
تُريكَ غزالاً والغزالَةُ وجْهُها وتعطو [4] بجيدِ الشَّادنِ المُتَلَفِّتِ
تُميتُ وتُحْيي بالصُّدودِ وبالرِّضىٰ فَحسبي رِضاها فهوَ ناري وجَنَّتي

---

(١) هذا الشرح لناسخ الديوان . ويقصد بالالتزام هنا أن أوائل حروف الأبيات كلها « التاء » وكذا أواخرها .

(٢) تألت : أقسمت ، من تألّى ، وألا وائتلى . واقطعت : جعلته إقطاعاً ، أي ملكاً .

(٣) وجرة : اسم مكان .

(٤) عطا : رأسه ، رفعه ، ومضارعه : يعطو ، عطواً .

تميسُ إذا ما حرَّكتْها صبا الصِّبا تأوُّدَ خُوْطِ[1] البانِ في حِقْفِ رَمْلَةِ

تَقِي الله[2] في صَبٍّ صَبَبْتِ دُموعَهُ وَجُودي له في الخدِّ منكِ بقُبلَةِ

تبسَّمُ عن نَوْرِ الأَقاحِ ولؤلؤٍ وعن حَبَبٍ تجلوه حُمرةُ خَمْرَةِ

وقال أيضاً :

لقد سرَّني لما سَرَى طيفُ مَيَّةِ أَلَمَّتْ فأَحيت مَيِّتاً حين حَيَّتِ

وردّتْ عذولي تائباً وهو قائلٌ يدا العاذِلِ المغرورِ في الحبِّ تَبَّتِ

كذا مارأت عينٌ وإلاّ فأُعمِيَتْ ولا سمعت اذنٌ وإلاّ فصُمَّتِ

فقل للذي يلقاكَ في الحب لاهياً اردتَ بعذلي مِنْحتي وهو مِحْنَتي

عذابُ الهوى عذبٌ وما اعجبَ الهوى وما هُوَ إلاّ مُنْيَةٌ في مَنِيَّةِ

وكم خائضٍ في النارِ حُباً لجنّةٍ ووجنةُ من اهواهُ ناري وجنّتي

فمجنونُ ليلَى ماتَ في الحُبِّ موتةً ولي كلَّ يومٍ في الهوى ألفُ مَوْتَةِ

وقال أيضاً :

تبوحُ دُموعي واللسانُ صَموتُ ويحيى غرامي والعزاءُ يموتُ

(١) الخُوْط : الغصن الناعم ، والحقف : كثيب الرمل .

(٢) تقي مثل اتّقي : بني الأمر فيها على المخفف فاستغني عن الألف بحركة الحرف الثاني .

وقائلةٍ لي كيفَ بِتَّ فقلتُ مَنْ تفارِقُه الأحباب كيف يبيتُ
رأيتُ الهوى بي قاذفاً قَعْرَ هُوَّةِ الهَوانِ بها اهْوَيتُ منذ هَويتُ
ومسفرةٍ كالشمسِ في رَوْنقِ الضحى أرَتني افترارَ الثَغْرِ وهو شتيتُ[1]
كأنَّ بِفيها قَرْقَفاً[2] بابليةً تضوَّع منها المسكُ وهو فتيتُ
تراءَتْ فقالت والركابُ مُناخَةٌ وللبينِ رَوْعاتٌ[3] بهِنَّ دُهِيتُ
تزوَّدْ فهذي العيسُ تجدح[4] للنوى فقلت لها إن صحَّ ذاكَ عُنيتُ
فقالت اترضى ان اُقيمَ وأنني اُصدُّ متى ألقاكَ قلت رَضِيتُ
فقالت وما قربُ الدِّيارَ بنافعٍ إذا أنا بالإعْراضِ عنكَ غَريتُ[5]
فقلتُ بلىٰ لَلْقُرْبُ خيرٌ من النَّوىٰ لِأنّي إذا شطَّ المزارُ نُسيتُ
فقالت لقد ألقى الهوىٰ عبئَه علىٰ فؤادِكَ مُجتاحاً وأنتَ ثَبُوتُ
فقلتُ أَجلْ إنْ كانت العينُ كُحِّلَتْ بأحسنَ مِنكُمْ مَنْظَراً فَعَميتُ
فلبَّيتُ بالشَّكْوىٰ قَساوةَ قلبِها إلىٰ أَنْ عَرَتْها أنَّةٌ وخُفوتُ

---

(١) الشتيت : المفرّق . وثغر شتيت أي أفلج .

(٢) قرقف : الخمر ، وقَرقَفَ الرجل : أرعد .

(٣) الرَّوْعَة : الفزعة .

(٤) جَدَح : فصد الناقة والمجدوح الدم الفصيد كان يستعمل طعاماً في الجدب في الجاهلية .

(٥) أغرِيَ به وغَرِيَ : أولع به .

وقالت عزيزٌ يا حبيبي عليَّ أنْ تُراعَ ولكنْ عنْ رِضاكَ نُهيتُ
وقالت رُوَيداً لن يفوتَ لقاؤُنا فقُلتُ بَلىٰ ألقى الرَّدىٰ فيَفوتُ
ولمَّا دعىٰ داعي النَّوى بِفراقِنا كأنّي إلى شُرْبِ الحِمامِ دُعيتُ
وقد سارَتِ الأَقمارُ فَوْقَ هوادِجٍ نعِمتُ بها يومَ النَّوى وشقيتُ
وسُلَّت سُيوفٌ من لِحاظٍ بِحَدِّها بُريتُ ولَوْ ذُقتُ اللَّمىٰ لَبَريتُ
وساروا وأَصْواتُ الحُداةِ كأَنَّها مكاوٍ علىٰ قلبي بِهِنَّ كُويتُ
هُمُ خلَّفوني لا مَحالَةَ مَيِّتاً ومن دون وجدي من يُحبُّ يموتُ

وقال أيضاً :

يا مَن يَحارُ الوَرْدُ من وَجناتِهِ ويَغارُ غُصْنُ البانِ من حرَكاتِهِ
أَنْتَ الذي وحياتِهِ ما خُنْتُهُ وكفاهُ أنّي مُقسِمٌ بحياتِهِ
أَنتَ الذي ما حاز يوسُفُ قبلَهُ في الحسنِ إلاَّ عُشْرَ عُشْرِ صِفاتِهِ
أَرأَيتَ مِرآةَ السَّماءِ صقيلَةً فالبدرُ وجْهُكَ لاح في مرآتِهِ

وقال أيضاً :

ومُهَفْهَفٍ بَلَغَ المُنىٰ بِصِفاتِهِ حرَكاتُ غُصْنِ البانِ منْ حرَكاتِهِ
فَالشَّمْسُ تَخْجَلُ من ضياءِ جبينهِ والجُلَّنارُ[1] يَغارُ منْ وَجناتِهِ

(١) الجُلَّنار : زهر الرمان معرَّب « كلنار » الفارسية . ومعناها ورد الرمان .

أضحى الجَمالُ بأَسْرِهِ في أَسرِهِ فَكَأَنَّ يوسُفَ حازَ بعضَ صِفاتِهِ
ما بانَ ماءُ الحُسنِ في سَكَناتِهِ يا عاذلي يَوْماً ولا حَرَكاتِهِ
لا تطْمَعَنْ يا عاذلي في سَلْوتي عَنهُ فما أَسْلوهُ لا وَحياتِهِ

وقال أَيضاً :

كم مِن قطائِفَ[1] كالأَماني في دِمَشْقَ قَطَفْتُها
كانت كأَلسِنَةِ الأَحِبَّةِ في الشِّفاهِ رَشفتُها
وبِبَعْلَبَكَّ كأَنَّني ما كُنتُ قطُّ عَرفتُها

وقال في يقطينة القبق :

وهاربةٍ من سَوْرَةِ الطَّعْنِ خِيفةً لِما عاينتْ من فِعلِهِمْ بالدَّرِيَّةِ[2]
سَمَتْ فوق سامٍ سامقٍ فَتَتَابَعتْ إليها على قصدٍ سِهامُ المَنِيَّةِ

وقال على حروف المعجم[3] :

أَما والذي يُحيي الوَرى ويُميتُ لقد نَعِمتْ عَيْني بِكُم وشَقيتُ

(١) القطائف : أكلة دمشقية من الحلوى .
(٢) الدرية : ما يستتر به الصائد .
(٣) يلاحظ أن الحروف الأولى من الأبيات مرتبة حسب حروف المعجم .

بُليتُ بِهَجرٍ مِنكَ يا مَنْ أُحِبُّهُ ... ومن خَصرِكَ البالي النَّحيلِ بليتُ

تَصُدُّ وتَجفوني بِغَيرِ جِنـــايةٍ ... فلِمْ يا مُنىٰ قلبي الكَئيبِ جُفيتُ

ثناني الهوىٰ عن عاذلي فأنا الذي ... هوىٰ بي هَوانُ الوَجْدِ حينَ هويتُ

جفاني حبيبي بل كواني بِهَجْرِهِ ... ففي كَبِدي بالنارِ مِنهُ كُويتُ

حبيبٌ بَراني حُبُّهُ وَلوَ أنَّـهُ ... يَجودُ بِتَسليمٍ عَليَّ بَريتُ

خَبَتْ كلُّ نارٍ غيرَ ناري فإنني ... بِها قدعَدِمْتُ الوَصْلَ منه صَليتُ

دَنَتْ دارُهُ مني فهـاتيكَ دارُهُ ... فيا بُعْدَها مني إذا أنا جيتُ (١)

ذِئابُ الفَلا مِن دُونِها وأُسودُها ... وأعيُنُ حُسَّادٍ بِهِنَّ رُميتُ

رُزِيتُ بِنَوْمي في هَواهُ صَبابَةً ... فبالنَّومِ والطَّيْفِ المُلِمِّ رُزيتُ

زيارةُ من أهواهُ لا أَستطيعُها ... ففي حُبِّـهِ يا للرِّجالِ شَقيتُ

سَبَاني غزالٌ فاترُ الطَرْفِ فَاتِنٌ ... ولَوْلا الهوى ما كُنتُ قبلُ سُبيتُ

شَربتُ كؤوسَ العِشقِ صِرفاً فآهِ مِن ... كؤوسٍ بها ممن هَويت سُقيت

صبابةُ قلبي في الهوى ليسَ تنقضي ... سَلُوا الليلَ عنّي كيفَ فيهِ أَبيتُ

ضُرِبتُ بسيفِ اللّحظِ مِمَّن أُحِبُّهُ ... رَضيتُ بقتلي في هَواهُ رَضيتُ

طَرِبتُ لِتَغْريدِ الحَمامِ ضُحَيَّةً ... فكنتُ كأنّي بالغِنـاءِ غَنَيتُ

---

(١) جيت : مخففة من جئت ، وهي لغة فيها .

ظَلَلْتُ كأَني شارِبٌ بِنتَ كرمَةٍ | بها حينَ عُوطيتُ الكؤسَ رَويتُ
على كلِّ حالٍ لستُ أَسلو عَنِ الذي | أَجبْتُ هَواهُ إِذْ إِلَيهِ دُعِيتُ
غَزالٌ رَبيبٌ غازَلَتْني لِحاظُهُ | فَمن مُنقذي مِنْهنَّ حِينَ غُزيتُ
فَلي أَنّة من بَعْدهِ إِثرَ حنّةٍ [1] | فَإِنْ دَامَ بي هَذا الغرامُ نُعيتُ
قِفا نَبك من ذكرى الحبيبِ فإِنني | بِطُولِ بُكائي في الدِيارِ عَنيتُ
كَفى حزَناً أَنيّ أَزيدُ صَبابةً | إِذا أَنا بالإِعْراضِ عَنهُ نُهيتُ
لَكَ الله ياحادِي المَطِيِّ ترفُّقاً | بها فهي تُدني الوَصْلَ وهي تُفيتُ [2]
مُنى النّفس أن تَدْنو الديارُ بأهلِها | فَمن بُرَحائي بالسَّلام مُنيتُ
نأَتْ دارُهم عَنّي فأَغْرَبْتُ [3] في البكا | فيا بُعدَها عَنّي إِذا أَنا جِيتُ
هُمُ وَعَدوني بالوِصالِ فأَخْلَفُوا | فَمنْهم بنيرانِ الغَرامِ صَليتُ
وُعودُهم مَمْطولَةٌ ووعيدُهُمْ | نُشِرْتُ بِه في لوعَتي وطُويتُ
لَئِنْ دامَ هذا بي فإِنّي لَمَيِّتٌ | ومالي سِوى هَجْرِ الحبيبِ مُميتُ
يَهونُ على مِثلي هَوانيَ في هوىً | حبيبٍ عَليهِ هُنْتُ حين هَويتُ

---

(١) وردت هذه الكلمة والتي قبلها هكذا [أنزحيّة] وما أثبتنا هو الصحيح . والحنّة من الحنين .

(٢) تُفيت : من الفوات والفوت ، أي تُضيع .

(٣) أغرب : جاء بالغريب ، واشتد في الضحك أو البكاء .

وقال أيضاً :

عيناكَ بالنيرانِ قلبي أَصْلَتا ... آهاً لِطَرْفِكَ أيَّ سَيْفٍ أَصْلَتا[1]

جفناكَ لا هاروتُ بابلَ نافثٌ ... بالسِّحْرِ كَمْ قَلْبٍ صَحيحٍ فَتَّتا

أَوَما لِهَجْرِكَ من مَدىً فأُراحُ مِن ... أَوْصابِهِ فإلىٰ متىٰ ، وإلىٰ متى

يا مُشْمِتاً بي حاسِدي لمَّا رأى ... شَمْلي بِهِ بَعدَ الدُّنوِّ مُشَتَّتا

في فيكَ يَنْبُوعُ المُدَام فنبِّني ... مَنْ فيه حصباءَ اللآلئِ أَنْبَتا

كم رُمْتُ من قلبي السُّلوَّ فلم يُطِعْ ... وأَبىٰ وخالفَني وعن أَمري عَتا[2]

إلاَّ أَليَّةَ[3] صادقٍ بَرٍّ بِمَنْ ... فيهم أَتىٰ لا في سِواهُم هَلْ أَتىٰ

أَهلُ الصَّفاءِ وأَهْلُ كُلِّ مُروءَةٍ ... وفُتُوَّةٍ ، زَانوا الصَّفا والمَرْوتا[4]

إنِّي أَقولُ ولا أُحاشي قائلاً ... قَوْلاً[5] لِعُذّالي أَصمَّ وأَصْمَتا

لا سيفَ إلاَّ ذو الفَقار[6] ولا فتىً ... إلاَّ عليٌّ حَبَّذا ذاكَ الفتى

لم أَهْوَهُم أَبداً ببغضي غيرهم ... كلاَّ وَمَنْ فَرَضَ الصَّلاةَ وَوَقَّتا

---

(١) أصلت : السيفَ ، جرّده من غمده فهو مُصْلَت : وأصلتا الأولى : أحرقتا من أصلى يُصلي .

(٢) عتا : الرجلُ استكبر وتجبر . وعتا فلان عن الأدب لم يقبله .

(٣) أليَّة : قسم ، يمين . وألىَّ : أقسم .

(٤) الصفا والمروة : مكانان من أمكنة الحج .

(٥) وردت هذه الكلمة في الأصل بدون تنوين وكأنها فعل أمر ، وما أثبتناه « قولاً » هو أقرب للواقع .

(٦) الفقار : واحدتهـا فقارة وهي فقرات الظهر وخرزاته ، وذو الفَقار سيف العاص بن منبه ثم لقب به سيف الإمام علي .

حرف الثاء

وقال يمدح الملك الناصر صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن أَيّوب قدس الله روحه ونوَّر ضريحه[1] :

لله يوسُفَ كم أَغاثَ وغاثَا[2] وأَبادَ من عَبَدَ الصَّليبَ وعاثَا[3]
يا أَيُّها المَلِكُ الذي عَزَماتُه جَعلَتْ بُزاةَ المُشْرِكينَ بُغاثا[4]
لمّا سَبَيْتَ نساءَهُم وقَتَلْتَهُم وَدَّ الذُّكورُ بأَنْ تكونَ إِناثا
أَهداهُمُ التَّثليثُ للتَّوحيدِ يَوْمَ م لَقيتَهم فقَسَمتَهم أَثْلاثا
للسَّبْيِ والبيضِ الرِّقاقِ وللقَنا فلَكَ المَمالكُ لا تزالُ تُراثا
عَزَلْتهُمُ أَطْماعُهُمْ حَتّى إِذا ما اسْتَيْئَسوا نَقَضْتُهُم أَنكاثا[5]

---

(١) صلاح الدين الأيوبي أشهر من أن يعرف ، السلطان المجاهد صلاح الدين يوسف ابن أيوب أبو الدولة الأيوبية .

(٢) غاث وأغاث : معناهما : أعان .

(٣) عاث : الشيء يعيثه : أفسده .

(٤) بغاث الطير : شرارها ،

(٥) أنكاث : جمع نِكث . والنكث المنقوض ، ورجل ناكث : لا خير فيه .

حَثَّتْهُمُ آجـــالُهُمْ فسقَتهُمُ بِسُطاكَ كاساتِ المَنُونِ حِثاثا[1]
لم يَحفِروا تِلْكَ الخنادِقَ حوْلَهم إلاَّ لتجعَلَهـــا لَهُم أجْداثا

وقال أيضاً وكتبها في جواب كتاب إلى قاضي بانياس[2] :

ألاَ لَيْتَ شِعْري هَلْ أراني ساحباً ذيولي أصيلاً في رِياضِ طَثيثا[2]
وهلْ أَعْلُونَ ذاكَ اليَفاعَ ضُحَيَّةً وقد هبَّ مُعْتَلُّ النَّسيمِ وعيثا[3]
وهَلْ ينقَعَنْ مِنهُ صَداي بِشُرْبَةٍ يَعُودُ بِها العَهْدُ القَديمُ حَديثا
إذا ما ثُغورُ الأُقحُوانِ تبسَّمتْ فاضحى بِها وَعْرُ الزَّمانِ دَميثا[4]
أَجبْتُ دواعيَ الشَّوقِ بالسَّوْقِ مُعْمِلاً إليكمْ مَسيراً بالنِّياقِ حَثيثا
إذا ما امْرُؤٌ رَثَّتْ حِبالُ عُهُودِهِ فحاشَ لِعَهدي أن يكونَ رثيثا

---

(١) الحَثاث والحِثاث : السرعة ، والنوم القليل .

(٢) طثيث : اسم موضع في مصر ، وقاضي بانياس هو القاضي الفاضل الذي كان مقيما في مصر أيضاً .

(٣) عِيثا : لم نعثر على هذه الصيغة في المعاجم كما لم نعثر على صيغة « وعيثا » من الوعث والمراد بها كما يظن : الوعوثة والصعوبة ، أي هبَّ وانياً .

(٤) الدميث : الليِّن .

وقال أيضاً يهجو شاعراً يعرف بابن الخيميّ [1] :

كلّما حادَثني ابنُ الخِيَمي ... قُلتُ هذا حدَثٌ ليس حَديثا

سَمِجُ الإنشادِ غَثٌ لفظُهُ ... فاتِرُ الشّعرِ يُرى فيهِ خنيثا

فوهُ كالمعْدَةِ ما مرَّ بِها ... طَيِّبٌ إلاّ أَحالَته خبيثا

لا تُبَطرِمْ [2] ويكَ إني عالمٌ ... بِكَ يا قِردُ قَديماً وحَديثاً

وقال يهجو بني عُصْرُون [3] :

على بَيْتِ عُصْرُونَ العَفاءُ فما لَهمُ ... قَديمٌ ولا عَندِ الفَخارِ حَديثُ

إذا رَكبَ القَوْمُ البِغالَ أَو ابتَدُوا ... فمالُهمُ في المكرُماتِ حَديثُ

بِغالاً تَرى اذنابَها كلِحاهُمُ ... فتَضرِطُ من افواهِهِم وتَروُثُ

ومالَهُمُ وُدٌّ ، بلى إنَّ كلّهم ... يَعُوقُ عَنِ الجدوَى وَليس يَغُوثُ

---

(١) ابن الخيمي : (٦٠٢ — ٦٨٥ ﻫ) محمد بن عبد المنعم الأنصاري شهاب الدين ابن الخيمي أديب شاعر ولد ومات في مصر .

(٢) تبطرم : عثرنا على «برطم» الرجلُ : انتفخ غضباً ، وهي مناسبة للمعنى هنا ولعل بطرم مصحفة عنها وهناك «بطرم» أيضاً وهي قريبة منها في معناها .

(٣) عصرون : بنو عصرون أصلهم من الموصل ثم استقروا بدمشق وتولى بعضهم القضاء فيها وإلى أحدهم تنسب مدرسة العصرونية وهو القاضي عبد الله ابن أبي عصرون .

وقال يرثي الملك المغيث[1] بن الملك العادل قدّس الله روحيهما :

إلى المَلِكِ المُهَيْمِنِ نَسْتَغيثُ   لَئِنْ ذاقَ الرَّدى المَلِكُ المُغيثُ
تَذَكَّرُهُ الملوكُ بكُلِّ نادٍ   فيكْثُرُ في سِيادَتِهِ الحديثُ
يُقَصِّرُ عَنْ مَدائِحِهِ جَريرٌ   وجَرْوَلُ والفَرَزْدَقَ والبَعيثُ[2]
سَيَشْهَدُ في المَعادِ لَهُ الكِتابُ العَزيزُ بأَنْ تلاهُ والحَديثُ
وكلُّ النّاسِ من أَسَفٍ عليهِ   يُخالُ بِصَدْرِهِ صِلٌّ نَفوثُ
مصابٌ زَلزَل الأَرْضينَ حُزْناً   بدُنيانا فأَطيَبُها خَبيثُ
ورُزْءٌ كُوِّرتْ[3] شمسُ المعالي   له أَسَفاً ، وأَبْهِجَ من يَعيثُ
أَرانا حسنَ يُوسُفَ رأيَ عَيْنٍ   وأَنسانا القَديمَ بِهِ الحديثُ
ولم نَرَ قبله أسداً وشمساً   يفيءُ عليهما الشعرُ الأَثيثُ
فلا عَدَدٌ ولا عُدَدٌ تَوَقّى   بها المَلِكُ المُغيثُ المسْتَغيثُ
ولم تُغْنِ البُروجُ مُشَيَّداتٍ   عَشِيَّة حُمَّ لِلْأَجَلِ الحُدوثُ
أَبو بكرٍ رَجا عُمَراً إماماً   تَسيرُ وراءَهُ مِنهُ البُعوثُ

---

(١) المغيث : قمر الدين عمر بن العادل .

(٢) جرير والفرزدق ، والبعيث شعراء في العصر الأموي معروفون .

(٣) كوِّرت : كوَّر العمامة ، لفهـــا ولاثها ، والشمس كوِّرت أي طويت وذهب ضوءها .

فَحَالَتْ دونَ مُنْيَتِهِ المَنايا   وأرْخى[1] جَيْشَها السَّيرُ الحَثيثُ
وأَخلَفَ ظَنَّهُ زمنٌ غَشومٌ   لِعَهدِ الآمِلينَ بِهِ نَكوثُ
وُقينا السُّوءَ فيه وفي بَنيهِ   ولا يَعْبَثْ بِهِ زَمَنٌ عَبوثُ
فَكُلُّهُمُ لَهُ في النّاسِ وُدٌّ   يَعُوقُ أَذاهُمُ ولَهُ يَغوثُ
أَتَطْمَعُ في البَقاءِ وهل بقاءٌ   وآدَمُ قبلَنا أَوْدَى وشيثُ
فلا يَرْكَنْ إلى الدُّنيا لبيبٌ   فَعِقْدُ عهودِها واهٍ رَثيثُ
فكلُّ ملوكِ دُنيانا سِواهُم   يوَدُّ مكانَهم فيها رَغُوثُ[2]

* * *

(١) وردت هاتان الكلمتان دون نقط هكذا «وأرحى حيشها» وما أثبتناه هو الصحيح .
(٢) الرَّغوث : المرضعة .

حرف الجيم

وقال يمدح الأمير زين الدين قراجا صاحب صرخد[1] رحمه الله :

وأَهيفُ لحظُهُ بالسِّحرِ ناجا ... فؤادي المستهامَ به فَهاجا

تبسَّمَ تحتَ جُنحِ الشَّعْرِ بَرْقاً ... وأَذكى من مُحَيَّاهُ سِراجا

وأَنشَدَ خَصْرُهُ المُضنىٰ ٱرتجالاً ... أَظُنُّ الرِّدْفَ يقطَعُني ٱرتجاجا

فما في حُسْنِهِ ليتٌ وعلٌّ ... يَرىٰ متقوِّلٌ بِهِما ٱحتِجاجا

غدا في حُسْنِهِ مَثلاً كما في الـمَــكارِمِ والعُلا أَضحىٰ قَراجا

ولم يتمطَّ قطُّ قرا[2] جَوادٍ ... بمثلك يا قراجا إِذْ تُهاجا

إذا ٱنتطَحَتْ كِباشُ الرَّوْعِ كنـتَ الهِزَبْرَ ترىٰ الكِباشَ بها نِعاجا

تُعِلُّ وتُنْهِلُ السُّمْرَ العوالي ... دَماً يَروي الأَسنَّةَ والزِّجاجا[3]

---

(١) صَرْخَد : بلد بالشام ، وهي كما نعتقد المسماة اليوم « صلخد » في جبل العرب « الدروز » وهذا الأمير زين الدين هو عبد الرشيد قراجا بك بن ذي القادر الساساني .

(٢) القرا : الظهر .

(٣) الزّجاج : مهازيل الغنم وضعفاء الناس والمواشي .

وَيَثني المُعْتَفين وهمْ مِلاءٌ الحقائبِ بعدَ أنْ ملأَ الفِجاجا
وتَرجِعُ عنكَ شُقْرُ الخيلِ دُهماً منَ الدَّمِ حينَ يقتحِم العَجاجا
[رآكَ](1) العادلُ المَلِكُ المفدّى ولياً لم يكنْ مذْ كانَ داجا
بِرأْيِكَ(2) يطْعَنُ الأَعداءَ شزْراً قُبيلَ الحَرْبِ إذ يَغْشىٰ الهَياجا
فمِعْصَمُ مُلْكِهِ أصبحْتَ فيهِ السِّـوارَ لَـهُ وفوقَ الفَرْقِ تاجا
تَرُدُّ الأَلْفَ ناكِصَةً فِراراً وتُعطي الأَلْفَ تبتَهِجُ ٱبتهاجا
فيا بحراً غـدا عَذْباً فُراتاً يُفيدُ الدُّرَّ لا مِلْحاً أُجاجا
وَوَعدُكَ لي تَمكَّنَ منه مطلٌ في تقويمِهِ أَبْـدى اعْوِجاجا
بـهِ وافتْ تُهنِّئني ثقـاتي وعندي الهمُّ لم يَجِدِ ٱنفِراجا
فٱنْجِزْهُ فكم حِصْنٍ مَنيعٍ نَزَلتَ بـهِ فَفَرَّجْتَ الرِّتاجا(3)
وعِشْ وٱسْلَمْ طِوالَ الدَّهْرِ فيهِ تُجَنِّبُنا ٱجْتِياحاً وٱحتِجاجا

وقال أيضاً :

رَوْضُ الرَّبيعِ مُفوَّفٌ ومُدبَّجُ هل كانَ في صَنعاءَ قِدْماً يُنْسَجُ

(1) وردت هذه الكلمة في الأصل المصور (زال) ونعتقد أنها : رآكَ .
(2) وردت هذه الكلمة بالزاي بدلا من الراء هكذا « بَزايك » .
(3) الرتاج : الباب العظيم والغلق ، والباب المُغْلَق .

عَجباً لهُ وهو الصَّحيحُ مِزاجُهُ ونسيمُهُ دَنِفٌ عليلٌ مُبْهِجُ
وكأنَّما الغُدرانُ بين رياضِهِ حُبُكُ الدُّروعِ بمَرِّهِ تتموَّجُ
أشجارُه كعرائسٍ تختالُ بينَ م غلائلٍ من نوْرِهِ وتبرَّجُ
والوُرْقُ في العِيدانِ كالقَيْناتِ بالعيدانِ تَرْمُلُ بالبموم وتهزج[1]
ومُهَفهَفٍ غَرَسَ الجمالُ بِوَجهِهِ رَوْضاً ففيهِ عيونُنا تتفرَّجُ
عيناهُ نَرْجِستانِ أُضْعِفَتا وفي فيهِ المُدامُ بماءِ مُزْنٍ تُمزَجُ[2]
والخدُّ وَرْدٌ مُضعَفٌ لكنَّهُ بالآسِ من نَبتِ العِذارِ مُسيَّجُ
يفترُّ عن نوْرِ الأقاحي ثغرُهُ وإذا تنفَّسَ فاحَ مِنهُ بَنَفْسَجُ
ولِحاظُهُ فيهنَّ هاروتٌ ومارو تٌ سواحرُ وهي لا تَتَحرَّجُ
يُبدي لنا أغلى الجواهِرِ وجهُهُ لا بَلْ مُحيّاهُ أجلُّ وأبهجُ
متأوِّدٌ كالخَيْزُرانَةِ قدُّهُ حِقفُ[3] النَّقا من تَحْتِهِ يَترَجْرجُ
وتكادُ تحسُدُ وجْهَهُ شمسُ الضُّحى والبدرُ ليلةَ تمِّهِ المُتَبرِّجُ
يا قاتَلَ اللهُ الحَمائمَ إنها بغنائِها للعاشقينَ تُهيِّجُ

---

(١) ترمل : من الرمل نوع من الغناء ، والبموم ، جمع بَمْ ، وهو أحد أوتار العود ، وكذلك الزير ، والهَزَج نوع من الغناء أيضاً .
(٢) أضعفتا : النرجس المضعف نوع منه .
(٣) الحِقْف : الكثيب .

أبكي ويشكو من فِراقِ هَديلِهِ   أَسَفاً و يُنشِدُ في الأَراكِ وأَنشُجُ
سُبحانَ خالقِهِ فكمْ من فِتنةٍ   من حُسنِ صورَتِهِ عَلَينا تَخرُجُ

وقال أَيضاً :

يا لائمي ما للخليِّ وللشَّجى   ما منهَجُ الممدوحِ منهَجُ من هُجي
عينُ الخَطا عذلي على ريمِ الخُطا[1]   وهو الذي يَرْنو بِطَرْفٍ أَدعَجِ
وسنانُ تُركيٌّ فكم مُتَضَرِّجٍ   بدِمائِهِ من خَدِّهِ المتضَرِّجِ
فاعجبْ له رشاً أَغنَّ مُهفهَفاً   يسطو على أَسَدٍ أَزلَّ مُهَجْهِجِ[2]
من مقلتيه نَرجسي والخدُّ تُفاحي   م وقرصي[3] فيه لَوْنُ بنَفْسَجِ
يَفترُّ عن نَوْرِ الأَقاحِ وريقُهُ   الرَّاحُ المُعَتَّقَةُ التي لم تُمزَجِ
عَن قَوْسِهِ يَرمي وعن لَحَظاتِهِ   فَسِهامُهُ عن مَقْتَلٍ لم تَخْرُجِ
أَيسوغُ عذلٌ في قَضيبٍ مائسٍ   فوقَ الكثيبِ ببدرِ تمٍّ أَبلَجِ
فَخِطابُهُ وغِناؤُهُ وجوابُهُ   أَشهى إلى قلبي من اللَّوْزينجِ[4]

---

(١) الخُطا : جمع خطوة .
(٢) مهجهج : هجهج الفحل في هديره ، صاح شديداً ، والأزلّ : السريع ، أو الخفيف الوركين .
(٣) القرص : الضغط عليه بين أصبعيه وقرَصَهُ : أخذ جلده بين ظفريه .
(٤) اللوزينج : نوع من الحلوى يتألف من اللوز والسُّكَّر ، والكلمة فارسية .

لولا أخضرارُ الآسِ آسِ عِذارِه ما كانَ بُسْتانُ الهوى بمُسيَّجِ

لو عاينت عُرْبٌ بنجدٍ حُسْنَهُ لم يَنْسِبوا يوماً بِرَبَّةِ هَودَجِ[1]

ورأَوْا عيونَ التُّركِ أَسرَعَ في الوَغى

فَتْكاً بِكُلِّ مُدَجَّجٍ ومتوَّجِ

فاعجَبْ لعَبْلِ السَّاقِ غيرِ مُخَلْخَلٍ غَرثانَ[2] خَصْرٍ جائِلٍ في الدُّمْلُجِ

يا حبذا أيامُ عَصْرِ شَبيبةٍ كانَتْ كأيامِ الرَّبيعِ المُبْهِجِ

أَيامَ كنتُ معاطِيَ النُّدمانِ في ظِلِّ الشَّبابِ الغَضِّ كأْسَ الفَيْهَجِ[3]

والنَّبتُ بين مُعَمَّمٍ ومُنَمْنَمٍ والرَّوْضُ بين مُفوَّفٍ ومُدَبَّجِ

والماء بين مُكَفَّرٍ ومعنبرٍ ومُصندَلٍ ومُسَلْسَلٍ ومُسَجْسَجِ[4]

والطَّيْرُ بينَ مُغَرِّدٍ ومُعَرْبِدٍ والوَرْدُ بَينَ مُزَوَّرٍ ومُفرَّجِ

---

(١) نَسَب : تغزل . ومنه النسيب ، أي شعر الغزل ، والهودَج ما يوضع على الجمال لركوب النساء .

(٢) العبل : الضخم من كل شيء ، غير مخلخل ، لا خلخال فيه أو غير ضعيف ، وغرثان : جوعان ، وغرثى الوشاح رقيقة الخصر والدملج حلية توضع في الساق .

(٣) الفَيْهَج : الخمر .

(٤) المكفَّر : المزوج بالكافور ، والمعنبر ، المزوج بالعنبر ، وكذلك الصندل والماء المسلسل : الجاري بجدول والمسجسج : البارد العذب .

عُوِّضتُ كافوراَ المشيبِ الغَضَّ عن ... مِسكِ الشَّبابِ الحالِكِ المُتأَرِّجِ
فاْختِمْ بِخَيْرٍ يا إلهي مُنعِماً ... يا خيرَ من يُدعى وأكرمَ من رُجي

وقال أيضاً :

من مُنْصِفي من غزالِ التُّركِ ذي الدَّعَجِ ... وذي العُيونِ التي لم تَخْلُ من غَنَجِ
خدّاهُ من احمرِ الياقُوتِ لونُهما ... لكن عقاربُ صُدْغيهِ من السَبَجِ [1]
وكَيْفَ يَسلَمُ قلبي من لواحظِهِ ... يوماً وماسَفْكُها إلا دَمَ المُهَجِ
يفترُّ عن لُؤْلُؤءٍ رَطْبٍ وعن بَرَدٍ ... وعن أقاحٍ شتيتٍ طَيِّبِ الأرَجِ
وما تبسَّم في ظلماءَ داجيةٍ ... إلاّ وأَغنَتْ ثناياهُ عن السُرُجِ
كم لي إذا غابَ عن عَيْنَيَّ من حجَجٍ ... فإن بدا انقطعت من هَيْبَةٍ حُججي
فسُخْطُهُ شِدَّةٌ للعاشِقينَ وفي ... رَوْحِ الرِّضى منه عنهم راحةُ الفَرَجِ
من ضِيقِ أجفانِهِ سبلُ الهوَى اتَّسعتْ ... فما على عاشِقيه فيه من حَرَجِ
ما حُسنُ صبريَ عنهُ ساعةً حَسَنٌ ... كلاّ وليسَ انهتاكي فيهِ بالسَّمِجِ
يا مُشْهِرَ السَّيفِ في الهَيْجاءِ مُشْتَهِراً ... أغْمِدْه، عيناكَ قد أغنتكَ في الرَّهَجِ [2]
هواكَ بحرٌ عميقٌ لا قرارَ له ... وها أنا الآنَ منه غُصْتُ في اللُّجَجِ

---

(١) السبج الخرز الأسود .
(٢) الرّهَج والرَّهْج : الغبار .

ياشاديَ الشَّرْبِ قد رَنَّحتَنى طَرَباً أوّاهُ وا كَبِدي من صَوتِكِ الهزِجِ
قم فاذْبَحِ الدَّنَّ يا ساقي على عَجَلٍ وعاطِنيها سُلافاً من دمِ المُهَجِ

وقال أيضاً :

هاتِ اسقِنيها فَيْهَجَا تصدَعِ بالصُّبحِ الدُّجا[1]
وعاطِني كأساً رَنَوْناةً[1] وقـل لا حرجـا
في فُلْكِ نوحٍ حُمِلَتْ وقبلُ عاشتْ حِجَجا
كم قَدَحتْ إذ قُدِحتْ زَنداً فأذْكتْ سُرُجا
لو شَرِبَ المِنْطِيقُ مِنها أربعـاً تَلَجْلَجـا
مُهْجةُ دَنٍّ أوْدَعتْ سراً يَسُرُّ المُهَجـا
هَلِ استعارَ المِسْكُ في دارينَ مِنهـا الأَرَجا

وقال يهجو عوسجة بَرْدَدار[2] الصاحب صفي الدين رحمه الله :

دارُ الوَزيرِ جَنَّـةٌ لَكِنَّهـا مُسَيَّجة
سِياجُها إذْ جُعِلَ البوا بُ فيهـا عَوْسَجة

---

(١) الفَيْهَج : الخمر .
(١) الرَنَوْناة : الكأس الدائمة على الشرب جمعها : رنَوْنَيات .
(٢) بَرْددار : كلمة فارسية معناها : الحاجب ، أو رئيس القصر وتكتب بالفارسية (بردهدار) والصاحب صفي الدين هو الصاحب بن شكر الوزير المصري وقد ورد ذكره سابقاً .

حرف الحاء

وقال يمدح الملك الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه و يهنِّئُهُ بشهر الصيام :

لقد كنتُ مِن وشكِ الفراقِ أُليحُ   إذِ الشَّمْلُ دانٍ لم يَرُعْهُ نُزُوحُ
وإذْ قَدْحُنا واري الزِّنادِ وقِـدْحُنا المُعَلاّ وانوارُ الدُّنُوِّ تَلوحُ
فقدْ حُمَّ ما قدْ كنتُ أخشى وُقوعَهُ   فَقَلْبي لبين الظاعِنينَ قَريحُ
فوا كَبِدي إن شَطَّتِ الدَّارُ بيننا   وأَنْضَتْ مطـايا كم مَهامِهُ فيحُ
وصاحَ غُرابُ البَينِ وانشقَّتِ العصا   وردَّ عذولٌ في الهوى ونصيحُ
أَجيرانَنـا بالرَّقْمَتَينِ عَلَيكُمُ   سَلامٌ كَعَرفِ المندلِيِّ[1] يَفوحُ
لقد كُنْتُمْ أَرواحَنـا فَذَهَبتُمُ   فلا جسمَ يبقى حِينَ تذهبُ روحُ
حَنَيْتُمْ على جَمرِ الفِراقِ ضُلوعَنا   فضُمِّنَّ أكبـاداً بِهِنَّ قُروحُ
وكم أوجُهٍ يَومَ الوَداعِ اجتليتُها   حِساناً ولكنَّ الوَداعَ قبيحُ
لقدصحَّ وَجْدي فَهُوَ لم يَشْكُ عِلةً   وما القلبُ من داءِ الغَرامِ صَحيحُ
وكم من قريعٍ لِلنَّوى فكأنَّـهُ   لَقىً بين أطنابِ الخِيامِ طَريحُ

(١) المندليّ : نوع من العود طيب الرائحة ينسب إلى مدينة مندل بالهند .

وكم من فؤادٍ ذابَ فانهلَّ أدمُعاً ... ففي كلِّما[1] جفنٍ يُخالُ ذَبيحُ

وما هاجني إلاَّ بُكاءُ حمامةٍ ... تنوحُ وبالسِّرِّ المَصونِ تَبوحُ

أَضُمُّ بِكلتــا راحتيَّ على الحشا ... إذا هِيَ صاحَتْ سُحْرَةً وأَصيحُ

مُوَلَّهةً بالبان تدعو هَديلَهـا ... فأُسعِدُها بالنَّوحِ حِينَ تَنوحِ

فيا لَيْتَ أَنّي ما عَرَفتُ هَواكُمُ ... ولا عَصَفَتْ بي في الصَّبابةِ رِيحُ

تَأَلَّقَ مِنْ لُبنانَ لي فانْتَجَعْتُهُ ... لِمرْآكَ بَرقٌ من دِمَشقَ مُليحُ

وقد كنتُ قبلَ اليومِ أَستَقْبِحُ النَّوى ... وأَنَّ مسيري عَنْ دمَشْقَ مَليحُ

ومن جودِ مجد الدينِ في بعلَبكَّ لي ... أتت نِعَمٌ أَغدو بها وأَروحُ

مَحلُّ ملوكِ الأَرْضِ من دونِ شَأْوِهِ ... وكُلُّهُمُ بادي الكَلالِ طَليحُ[2]

غدا مثلَ شَهرِ الصَّوْمِ في الصَّوْنِ عِرْضُهُ ... بمــالٍ له في المكرُماتِ يُبيحُ

هنيئاً له شَهرُ الصِّيامَ فَفِعلُهُ ... بهِ مَتْجَرٌ عِندَ الإلٰهِ رَبيحُ

إذا جادَ قالتْ طَيِّءٌ عِندَ جُودِهِ ... أَلا إِنَّ فينا حاتِماً لَشَحيحُ

وإِنْ صالَ صادَ الأُسْدَ في أَجماتِها ... فَزائِرُها الضَّاري هُناكَ نَبوحُ

---

(١) الـ « ما » المتصلة بـ « كل » هنا زائدة .

(٢) طليح : تَعِب ، مُعْيٍ .

يرى رأيَ قَيْسٍ فائلاً[1] عِندَ رأيِهِ ... وإنْ قالَ ما قُسٌّ لَدَيهِ فَصيحُ

وفي مَعْمَعانِ[2] الحَربِ عَمروٌ وعامِرٌ ... يَفِرّانِ خوفاً مِنهُ وهو مُشيحُ

وكلُّ قَريضٍ دونَ نَظمِ قريضهِ ... وهل تتساوى رَغْوَةٌ وصَريحُ[3]

ويا حبَّذا الإسفِنطُ حينَ يُرى به ... غَبُوقٌ زها مِنهُ لهُ وصَبُوحُ

به عاشَ مَوْتَى الفَقرِ حتى كأنَّما ... أتى النّاسَ من بعدِ المَسيحِ مَسيحُ

ألا إنّما كلُّ الملوكِ كواكبٌ ... ومن وجهِ بهرام شاهَ يَخجَلُ يوحُ[4]

فنالَ الّذي نالَ ابنُ داوُودَ قبلَهُ ... وعُمِّرَ ما في الدَّهرِ عُمْرَ نُوحُ

فما شاعَ إلاَّ بالمحامِدِ ذِكرُهُ ... ولا شاعَ إلاَّ في عُلاهُ مَديحُ

وما أَسَدٌ دامي الأَظافِرِ باسلٌ ... غضوبٌ جريءٌ في الكُماةِ جَريحُ

يُماصِعُ[5] عن شِبلَيْه في الغيلِ عابساً ... ففي وَجْهِهِ عِنْدَ اللِّقاءِ كُلُوحُ

بأَفتكَ مِنهُ والكُماةُ مخالِطٌ ... دماءَهُمُ فَوقَ الجُسومِ مُسيحُ

---

(١) فائل : الرأي الفائل : الضعيف ، الخاطي .

(٢) المعمعان : معمع القوم : قاتلوا شديداً ، المعامع الحرب مفردها معمعة ، والمعمعان شدة الحر والبرد ؛ « ضد »

(٣) الصريح : الخالص ، صرّحت الخمرة ، ذهبت رغوتها ، وكذلك اللّبن .

(٤) يُوحُ : من أسماء الشمس . ويقال يوحى بالقصر أيضاً .

(٥) ماصَعَ : القومُ : قاتلوا . ومَصَعَ : ضرب بالسيف .

شَأَى العُلَماءَ الرّاسِخينَ اعتزامُهُ وبَذَّ المُلوكَ الصيدَ وهو جموحُ
مَهــابَتُهُ مِلءُ القُلوبِ وإِنَّـهُ لَعافٍ عَنِ الذَّنبِ العَظيمِ صَفوحُ
له صُورةٌ أَضحتْ تَروقُ وسَوْرَةٌ تَرُوقُ وخَلْقٌ كالنَّسيمِ سَجيحُ
مَقاماتُـهُ وقفٌ على الفَضلِ ما بِها فُضولٌ ولا فيهـا يذاعُ قبيحُ
فَمِـنْ خَطِّهِ يَقْري العُيُونَ حَلاوَةً وتُقْرَأُ من شَرْحِ الصُّدورِ شُروحُ

وقال يمدح الأمير صلاح الدين أَحمد الكاملي :

أَدارَ ليلاً قَمرٌ شمسَ راحْ على ندَامى كنجومِ الصَّباحْ
والكأْسُ فيها حَبَبٌ ناصِعٌ يَفْتَرُّ عن نَظْمِ ثنايا المِلاحْ
كأنّما السَّاقي غَزالٌ رَعَى نَورَ أَقاحٍ بثغورِ الأَقاحْ
ما لاحَ للعاشِقِ إلاّ عَصىٰ في حُبِّهِ عَذْلَ عَذُولٍ ولاحْ(١)
يفعلُ بالأَلحــاظِ والقَدِّ ما تفعلُهُ البيضُ وسُمْرُ الرِّماحْ
مُعَربِدُ الأَلْحاظِ نَشوانُهـا من سُكرِهِ ما هُوَ ياصاحِ صاحْ
وكيفَ يَصْحو وهُوَ من كأْسِهِ وريقهِ يَمزِجُ راحاً براحْ
إنَّ بَني التُّرْكِ لَدى حَربِهِمْ وسِلْمِهِمْ لَمْ يَبْرَحُوا في كفاحْ
من فَرَّ عن حَرِّ لَظىٰ حَربِهِم غَيْري فإِنّي قائِلٌ لا بَراحْ

(١) اللاحي : اللائم .

فهم مُرادي ومَرادي[1] معاً فغدٍّ بي عن كلِّ رَوْدٍ رَداحْ

واللُّؤْلؤُ المنظومُ حسبي بِهِ في الحُسنِ لامكنون بيضِ الأَداحْ[2]

وليس قَوْلي بِفَسادٍ ولا نَقْصٍ فخُذْ في الجِدِّ لا في المِزاحْ

ما النقصُ والإفسادُ عِندي سِوى مَدْحيَ غيرَ الكامِليِّ الصلاحْ

وهو الذي إنْ جادَ أَغنى أَوِ ٱنتَمْــى سَما أَعلىٰ سَماءِ السَّماحْ

لمَّا بدا لي ثغرُهُ باسِمــاً أَيْقَنْتُ بالخَيْرِ فلاحَ الفَلاحْ

طائِرُهُ المَيْمونُ مُذْ لَمْ يَزَلْ ما طارَ إلاّ بجَنــاحِ النَّجاحْ

من ذا يُسامِيهِ إذا خاضَ في بحْرَيْ نَسيبٍ أَو سَرِيٍّ ٱمْتِداحْ

يَهْتَزّ لِلمَدْحِ ٱهتزازَ القَنا يومَ الوَغى مِنْ طَرَبٍ وٱرتِياحْ

كلُّ أُولي الشِّعرِ لَدى فَضْلِهِ مثلُ السُّها[3] في ضَوءِ وَجْهِ الصَّباحْ

يُفيضُ بالقِدحِ المُعَلّى فَيَحْــوي غايَةَ المَجْدِ بأَعْلا القِداحْ

سادَ بمَجْدٍ وسَمــاحٍ معاً وما سَماحُ المَرءِ إلاّ رَباحْ

يَجودُ بالمالِ وبالجاهِ في الحــالِ كِلاَ الحالَيْنِ منه مباحْ

---

(١) المُراد : بالضم القصد ، الإرادة ، والمَراد : بالفتح المكان يراح فيه ويجاء ، من راد يرود ، والرَّوْد : الفتاة الحسنة القوام ، والرداح : المرأة الثقيلة الأوراك .

(٢) الأداحي : جمع أُدحيّ وإدحيّ : وهو بيض النعام .

(٣) السُّها : كوكب خفي من بنات نعش الصغرى .

لِلمَلِكِ الـكاملِ من رَأيِـهِ نصرُ غُدُوٍّ كاملٍ أوْ رَواحْ

يا ناصرَ الدينِ تَرَكتَ العِدىٰ بِلا رُؤُوسٍ بِصُدورِ الصِّفاحْ

دماؤُهم سَيْلاً بلغنَ الزُّبا حتّى تبطَّحْنَ[1] بأعلى البِطاحْ

لا بَرِحَ السَّعْدُ على مُلكِهِ وَقْفاً فلا يُقضى له بِٱنتزاحْ

ما غَرَّدتْ وَرْقاءُ في أَيْكَةٍ فجاوبتهـا أُختُهـا في النَّواحْ

وقال يمدح الأمير شمس الدين بن منكورس :

ومُهَفْهَفٍ حُلوِ ٱلمَلاحَةْ يَفْتَرُّ عَن نَوْرِ ٱلأَقاحَةْ

في فِيـــهِ لِلْمُمْتاح بَرْ دَ رُضابِهِ رَاحٌ و[2]راحَةْ

كم في حَشايَ لأَسْهُمِ ٱلـلَّحظاتِ فِيهِ مِن جِراحَةْ

إنسانُ عَيْني في دُمُو عِيَ ما يَمَلُّ منَ ٱلسِّباحَةْ

يَا لائمي قَدْكَ ٱتَّئِبْ أَرَبَيْتَ وَيْحَكَ في الْوَقاحَةْ

أَتلومُني فيمَنْ حوَى الْـــقَلْبَ ٱلْمُتَيَّمَ وٱستَباحَه

وكَذاكَ شمسُ الدّينِ قدْ حازَ ٱلحَماسَةَ وٱلسَّماحَةْ

---

(١) تبطّح السيل : اتسع في البطحاء وسال عريضاً .

(٢) سقطت الواو في النسخة المصورة والمتاح من امتاح يمتاح : استسق وشرب .

يَرْتاحُ إسمـــاعيلُ لِلْآدابِ أَيَّمَا[1] اَرْتِياحَةْ

رَبُّ ٱلأَصالَةِ وَٱلإِصا بَةِ وَٱلحَصافَةِ وَٱلْفَصاحَةْ

وَفَتى ٱلعبارَةِ وَٱلْـبَرَا عَةِ وَٱلشَّجاعَةِ وَٱلسَّجاحَةْ

يَأْوِي إلىٰ عِرْضٍ حَمَا هُ بِبَذْلِ أَمْوالٍ مُباحَةْ

فَلَهُ عَلَى ٱلْأُمَراءِ بِٱلْـ ـفَضْلِ ٱلرَّزانَةُ وَٱلرَّجاحَةْ

آراؤُهُ بِسَدَادِهـا تُبْدِي ٱلنَّصاعَةَ وَٱلنَّصاحَةْ

ظَفِرَتْ وَما صَفِرَتْ لِمَنْ يَمْتاحُهُ فِي الدَّهرِ رَاحَةْ

عَلَّ النُّفوسَ بِجِدِّهِ وَمُزاحِه يَنْأَى مَراحَهْ

قد كُنْتُ أَشكُو ما شَكا ٱلطَّـائِيُّ مِن أَرْضِ ٱلفِلاَحَةْ

فَأَراحَ قَلْبِي بِالفُكا هَةِ لَفْظُهُ أَوْفىٰ إِراحَةْ

وَقَفَتْ لَدَيكَ الشَّمْسُ شَمسُ الـدِّينِ مَوْقِفَ ٱلِاسْتِماحَةْ

فَصَبَغْتَها بالوَرْسِ يَا ٱبْـ ـنَ المنكَورْسِ مِنَ ٱلصَّباحَةْ

مولايَ شمسُ ٱلدّينِ يَا بَانِي ٱلنَّوالِ عَلى ٱلْإِباحَةْ

لَكَ بَاحَةٌ هِيَ لِلإِنا خَةِ مِنْ عُفاتِكَ خَيْرُ باحَةْ[2]

لا حلَّتِ الْأَسواءُ عِنْـ ـدَكَ ساعَةً أَبداً بِساحَةْ

---

(١) ال « ما » المتصلة بـ (أية) زائدة .

(٢) باحة : ساحة .

وقال أيضاً :

دَعا داعي ٱلصَّباحِ إلَى ٱلصَّبُوحِ فلَبّوا دَعوَةَ الدّيكِ ٱلصَّدُوحِ
أيا ديكَ الصَّباحِ لسَوفَ تَجْني أياديكَ ٱلصِّباحُ جنَىٰ مَديحي
بَحِيَّ على ٱلصَّبوحِ هَتَفْتَ صُبْحاً لِتوقظَنا فَيَا لَكَ مِنْ نَصِيحِ
فبادِرْ يا نديمي شُربَ راحٍ كَعَينِ الدِيكِ والمِسْكِ الذَبيحِ[1]
مُعتَّقةٍ كُمَيْتِ اللّونِ صِرفٍ تُلَعْثِمُ مِقْولَ اللَّقِنِ الفصيحِ
ودَعْ عنكَ المِكاسَ بها وجانِبْ عليها خَلَّةَ اللّحِزِ[2] الشَّحيحِ
فلا عَيْنٌ ولا غَبْنٌ إذا ما سَبأْتَ[3] الخمر بالثَّمَنِ الرَّبيحِ
ولا تجمحْ إلى اللُّوام فيها على الروّاض كالطِرفِ[4] الجَمُوحِ
أَلَسْتَ ترى الثُّريّا وهي دونَ الصَّباحِ تنوءُ كالمُعْيي الطَّليحِ
وَذَوْدُ[5] اللَّيلِ مُنْدَفِعاً هَزيماً وعَوْدُ الصُّبحِ كالْبَطَلِ المُشيحِ

(١) إشارة إلى فأر المسك الذي يعطي رائحة المسك .

(٢) اللَّحز : اللحوح ، والبخيل الضيق الخلق . المِكاس : مصدر ماكس وهو المساومة والمشاحَّة بين المتبايعين .

(٣) سَبأَ الخمر : شراها ونقَلها .

(٤) الرّوّاض : جمع رائض ، وكذلك راضة ، جمع أيضاً ، من راض المهر يروضه فهو رائض .

(٥) الذَّوْد : مصدر ، ذاد ، طرَد ، وطرد الليل هنا يقابل عَوْد الصبح .

فَقُمْ ياصاحِ وٱجلُ عليَّ كأْسَ الصَّـــبُوحِ على سَنَا الوَجْـهِ المَلِيحِ

وهاتِ وهاكـها حتى تراني أرى حَسَناً مبــاشَرَةَ القبيحِ

بها مَيتُ الهُمُومِ يَعُودُ حيّاً فَفِيهِ فِعْلُهـــا فِعْــلُ المَسِيحِ

تقدَّمَ عصرُها طُوفانَ نوحٍ بِمِثْـلِ تأَخُّري عن عَصرِ نوحِ

قبضتُ بفيَّ رُوحَ الدَنِّ منها فلي رُوحانِ وهُوَ بغــيرِ روحِ

إلى أَن صِرتُ مُنْجَدِلاً لَدَيهِ طَــريحَ الجِسمِ كالدَنِّ الطريحِ

سأَجْمَعُ بالشَمُولِ شَتيتَ شَمْلي لكَيْ آسو أَسَى قلبي الجَــريحِ

كأني بي وقد قَرُبَتْ قريبــاً مَسَافــةُ بينَ جُـثْماني ورُوحي

فيــا للنــاسِ للداعي بلفظٍ فَصيحٍ جاءَ بالمعني الصَّحيحِ

وجَـــدْتُ أَلذَّ عاريةِ اللّيالي قِراعَ النــاسِ بالوَتَرِ الفَصيحِ

وقال أيضاً :

لا أَرتضي يا صاحِ أَنّيَ صاحي فالرّاحُ فيها راحَــةُ الأَرْواحِ

أَمْسَيْتُ في ظُلُماتِ إِيحـــاشٍ فَقُم وٱقدَحْ زِنادَ الأُنسِ بالأَقْداحِ

واشرَبْ وهَاتِ الكأْسَ صِرفاً واسقِني حمراءَ تُغْنيني عَنِ المِصْباحِ

واصرِفْ بِصِرفِ الرّاحِ تجلوصورةُ الأَفــراحِ عنّي سَوْرَةَ الأَتراحِ

من كفِّ أَحوَرَ شادنٍ عَذْبِ اللَّمَى وخَريدةٍ ملأَى الإزارِ رَدَاحِ

أَوَما تَرى أنَّ الربيعَ كأنّهُ ... ثَمِلٌ يُرَنِّحُـــهُ هُبوبُ رِياحِ

فَكأنّمـــا أنفاسُهُ ما بيننـــا ... عَبِقَتْ بغاليةٍ[1] على تُفّاحِ

والرَّوضُ يَغْمِزُنا بعينَيْ نرجسٍ ... غضٍّ ويَبسِمُ عن ثُغورِ أقاح

والطَّيْرُ بينَ مُغرِّدٍ ومُعربِدٍ ... ومُرَدِّدٍ ومُعَـــدِّدٍ نوّاح

والماءُ بينَ مُسلْسَلٍ[2] ومُسَجسَجٍ ... ومُهَيْنِمٍ ومُزَمْزِمٍ سيّاح

وكأنّما المنثورُ مدَّ أكُفَّهُ ... بأناملٍ بيْنَ النِّدامِ[3] مِلاح

والوردُ يدعو للصَّبوحِ تنَبَّهوا ... نادى المؤذِّنُ فالقَ الأصْباحِ

وتغنَّموا[4] الزمنَ القصيرَ فإنه ... قد آذَنَتْ غَدَواتُهُ برَواح

وقال أيضاً :

أَيا من ثَغْرُهُ نَوْرُ الأقـــاحي ... ومَنْ بجَبينِهِ نورُ الصَّباحِ

جُفونُكَ لم تَزَلْ مَرْضىً صِحاحاً ... فَواكَبِدي من المَرضى الصِّحاحِ

ولَحْظُكَ مُنْتَشٍ صاحٍ وأحسِنْ ... بلَحظٍ مُنْتَشٍ يَا صاحِ صاحِ

وطَرفُكَ دُونَهُ البيضُ المَواضي ... وقَـــدُّكَ مُخجِلٌ سُمْرَ الرِّماحِ

---

(١) الغالية : أخلاط من الطيب .

(٢) المسلسل والمسجسج ، المتسق الجريان . والمعتدل البرودة والسجسج الأرض ليست صلبة ولا سهلة .

(٣) ندام : جمع نديم .

لَعلَّكَ يا مُنى ٱلأرْواحِ تَأْسُو قُلُوباً فيكَ دامِيَةَ ٱلجِراحِ
قُلوباً لا تَزالُ تَهِيمُ وَجْداً بِذِكْرِكَ في ٱلغُدُوِّ وفي ٱلرَّواحِ
ولَيْسَ عَلىٰ كَئِيبٍ جُنَّ شَوْقاً فَلَمْ يَعْقِلْ بِحُبِّكَ مِنْ جُناحِ
فَما هُوَ بالمُصِيخِ لِنَهْيِ ناهٍ ولا هُوَ بِالمُطِيعِ لِلَحْيِ لاَحِ
لَقَدْ أَمسَيْتُ في ٱلعُشّاقِ فَرْداً كَما أَمسَيْتَ فَرْداً في ٱلمِلاحِ
فَوَا عَجَباً لِجِدّي في هَواهُ وتَقْتُلُني ٱخْتِياراً في مُزَاحِ
أَأَطمَعُ في الخَيالِ وطَرْفُ طَرْفي يَبِيتُ عَلى ٱلكَرىٰ جَمَّ الجِماحِ
ورُبَّتَ لَيلَةٍ تَحْوي تَخَطىٰ أَفاحِيصَ[1] القَطا بعدَ الأَداحي
فَصافَحَني فأَبْقىٰ في يَمِيني شَذا مِسْكٍ وكافورٍ رَباحي[2]

وقال أَيضاً :

إِقْدَحْ زِنادَ السُّرورَ بالقَدَحِ وامْـحْ به ما تشاءُ من مُلَحِ
صهباءُ قُلْ لِلَّذي تَجَنَّبَهـا صَهْ[3] باءَ بالهمِّ تاركُ القَدَحِ

---

(١) الأفحوص : جمعه أفاحيص ، المكان الذي تبيض فيه القطا ، والأداحي : جمع أُدْحِي وإدحيّ وهو بيض النعام .
(٢) رباحي : نسبة إلى رباح ، مكان .
(٣) لا يخفى ما في هاتين الكلمتين من مجانسة بديعية .

وقال يتغزلُ بصبيٍّ جرائحي اسمه أبو الفضل :

أَبا الفَضْلِ أَنْتَ أَميرُ المِلاحْ لِحاظُكَ تفعَلُ فِعلَ الصِّفاح
جَرَحْتَ القلوبَ ولم تأْسُها بِوَصلٍ وأَنتَ طَبيبُ الجِراح

وقال يتغزل بصبيٍّ من المِلاح بدمشق يعرف بابْنِ صُبْح :

فازَ قِدحي وهو المعلَّى وقَدْحي وتولّى بَرْحي وأَقبَلَ رِبْحي
إِذ رأَيتُ الشمسَ المنيرةَ في رَأْدِ الضُّحى تحتَ لَيلِ شَعرِ ابْنِ صُبْحِ
مُشهِرٌ في لِحاظِهِ حَدَّ سَيفٍ مُشرِعٌ من قَوامِهِ قدَّ رُمحِ
إِن يكنْ وجهُهُ حوَى كلَّ حسْنٍ فَعَذولي فيه حَوَى كُلَّ قُبْحِ
يادُموعي سُحِّي على الخَدِّ وَجْداً مامِنَ العَدلِ في الهوى أَنْ تَشِحّي
ما تثنّى في الدِرْعِ بالسَيْفِ والخُوذَة والرُمْحِ راغبٌ في الصُلْح
خالَفَ الشَّرعَ فاستبـــاحَ دَمَ النَّاسِ ففيه الهَوَى طَويلُ الشَرحِ
اسكرَتْنا جُفونُهُ السُّودُ لكنْ سَلَّ بيضَ السُّيوفِ ياصاحِ نُصْحي
إِن يَعُدْ عاذلٌ إِلى العَذْلِ فيه لم أَدَعْ عَرْكَ أُذْنِهِ بالمِلحِ
كاد باللّمعِ يذهَبُ الثغرُ[1] بالأَبْصـــارِ والطَرفُ فاتِنٌ باللَّمحِ

(١) ورد هـذا البيت مختل الوزن في الأصل لأن الناسخ قدم كلمة « الثغر » على « يذهب » وقد صحح البيت كما هو مثبت .

ما وقاهُ الإلـه شحاً بوَصلٍ   وهو مَعْ ذاكَ مُفلِحٌ بالشُّحِّ
إنصَوْمي عنهُ كصوم النّصارَى   ليتَ شِعري متى أرَى عِيدَ فِصْحي

وقال يتغزل بصبيٍّ سامري[1] اسمه ابو الفتح ، من المِلاح بدمشق :

إذا ما رَأَيْنا حُسْنَ وَجهِ أَبي الفتح   تباشَرَتِ الأَرْواحُ بالنَّصر والفَتح
وابدى مِجَنَّ الشَّمسِ واللحظُ سيفُه   واسهُمُهُ والقدُّ يهتز كالرُّمحِ
وإن جَنَحتْ للسِّلمِ والصُّلحِ نفسُهُ   أَبى لحظُهُ مَيْلاً إلى السّلمِ والصُّلْحِ
فواعجباً من سامِرِيٍّ يُعامِلُ الكُمـــاةَ بخُسْرانٍ ويَظْفَرُ بالرِّبحِ
ومن دينُهُ أَنْ لا مساسَ وإنّـه   لَيقْتُلُ من يَهْواه بالجِدِّ في المزحِ
ولما سَعى في الخَدِّ نَملُ عِذارِهِ   تعوَّضَ حباتِ القلوبِ عنِ القَمحِ
متى[2] فتَّشَتْ أَبْصارُنا ماءَ خَدِّهِ   قَبسْنا لهَيبَ ألنّارِ في الماءِ بالقَدْحِ

وقال فيه أيضاً :

جاءَ عِذارٌ يا أَبا الفَتحِ   مُبَشِّراً بِالنَّصْرِ والفَتحِ
فَاغتَنِمِ الفُرْصةَ مِنْ قَبلِ أَنْ   يُعْزَلَ وَالي الحُسْنِ بِالقُبْحِ
ويطلَعُ الكُرْدِيُّ في غَيْهَبٍ   مُعَربداً بِالسَّيفِ والرُّمحِ

(١) سامريٌّ نسبة إلى السامرية : وهي فرقة من اليهود .
(٢) فتشت : تصفحت .

وقال وكان مقيماً بالزبداني[1] :

قد أَجْمَدَ الخَمْرَ كانونٌ بكلِّ قَدَحْ   وأَخْمَدَ الجمرَ في الكانونِ حِينَ قَدَحْ
يَا جَنَّةَ الزَّبداني أَنتِ مُسْفِرةٌ   عن وَجْهِ حُسْنٍ إذا وَجْهُ الزَّمانِ كَلَحْ
فالثَّلجُ قُطْنٌ عَلَيْكِ السُّحْبُ تَحْلُجُهُ   والجَوُّ نَدّافُهُ والقَوْسُ قَوْسُ قُزَحْ
متى يَجُلْ فيكِ طَرفُ الطَّرْفِ مِن مَرَحٍ
قَرَيتِـــه[2] لُمَحاً تأْتي بِحُسْنِ مُلَحْ
تَلْقى النَّواظِرُ من رَوضٍ نَواضِرَ في   قُلوبِنا فَرَجاً مِنْ هَمِّها وفَرَحْ

آ جاءت في النسخة المصورة حاشية بخط الناسخ يقول فيها : ذكرت عند ملاحظة هذا المقام ما قاله أقضى القضاة أحمد بن خلكان في تاريخه المشهور بما صورته هـــذه فيه :

ب (الشهاب فتيان بن علي بن فتيان بن ثمال الأسدي الحنفي الدمشقي المعروف بالشاغوري المعلم ، كان فاضلاً وشاعراً ماهراً ، خدم الملوك ومدحهم وعلم أولادهم ، وله ديوان شعر فيه مقاطيع حسان ، وأقام مدة بالزبداني ، وله فيها أشعار لطيفة ، فمن ذلك قوله في جنة الزبداني وهي أرض فيحاء جميلة المنظر تتراكم عليها الثلوج في زمن الشتاء وتنبت أنواع الأزهار في زمن الربيع ، ولقد أحسن فيها كل الإحسان وهي قوله « شعر » : قد أجمد الخمر كانونٌ ... وتوفي فتيان المذكور سحر الثاني والعشرين من المحرم سنة ٦١٥ من الهجرة) . وبعد ذلك : حاشيتان منقولتان عن ابن خلكان « المجلد الأول صفحة ٥١٥ — ٥١٦ » :

(١) الزبداني : بفتح الزاء والباء الموحدة والدال المهملة وبعد الألف نون مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها وهي قرية بين دمشق وبعلبك كثيرة الأشجار والمياه ، رأيتها مراراً وهي غاية في الحسن والطيبة .

(٢) قريته : وردت القاف غير منقوطة في النسخة المصورة ، وقد وجدنا هذا التصحيح أقرب المعنى .

وقال وقد سرق مداسه بالمدرسة الأمينية :

إن يَسرِقُ الفُقهاءُ نَعلي ‏ ‏ يَفعلوا فِعلاً قَبيحـــا
ما الذَّنبُ إلا للمُدرِّس ‏ ‏ إنّه يَحوي الشلوحا [1]

وقال وكتبها الى أخيه الرئيس الأجل عماد الدين رسلان بن علي رحمه الله وكان قد وصله كتابه بأنه تاب عن شرب الخمر :

ذكرتَ لي يا سَيِّدي توْبَةً ‏ ‏ قدَّمتَها والتـائِبُ المُفلِـحُ
وانتَ فيما قُلتَهُ صــادِقٌ ‏ ‏ إن لم يكنْ أفسَدَكَ المُصلِـح [2]

وقال أيضاً :

يالائمي في المَليح ‏ ‏ ما أنت لي بنَصيحِ
نهيتَني عن جَميـلٍ ‏ ‏ أمَــرْتَني بقَبِيحِ
تَحسينُ رأيكَ عِندي ‏ ‏ من أَقْبَح التقبيح
بي غُصنُ بأنةِ حِقْفٍ ‏ ‏ يهتزُّ من تَحتِ يُوْح [3]

---

(١) لم نهتد لمعنى هذه الكلمة سوى ما نقدره من أن : الشلوح ، هو ما يشلحه الناس أي يخلعونه حين يدخلون إلى أمكنة العبادة وهي جمع شُلح المصدر من شلحَ .
(٢) المصلح ، اسم مغنٍّ كما ورد بخط الناسخ .
(٣) يوح : من أسماء الشمس .

متى تَرَنَّحَ صادَ القلوبَ بالتَّرنيحَ

رِيمُ القُصُورِ رَناعنْ لِحاظِ ظَبْيِ الشيحَ[1]

فهل عليَّ مُليحٌ من بَرقِ ثغرٍ مَليح[2]

بُدِّلتُ بَعْدَ المُعَلى في حُبِّهِ بالمَنيح[3]

فشحَّ بالوَصْلِ عَمْداً من كانَ غيرَ شَحيح

فكلُّ جُزءٍ بِجِسْمي من طَرفِهِ ذو قُرُوح

يا قومُ هل من أُسَاةٍ لقَلْبيَ المَجْروح

وقال أَيضاً :

ألا رُبَّ واشٍ في هواكَ ولاحي رَدَدْتُهما لم يَظْفَرا بِفَلاح

فيا من جِهاتي الستُّ مشغولةٌ بِهِ أَجَلْ وفَسادي عِندَهُ وصَلاحي

عِذاراكَ رَيْحاني وعيناكَ نَرجِسي وخدّاكَ تُفّاحي ورِيقُكَ راحي

وصُدْغاكَ ليلي إنْ هَمَمْتُ بِخَلْوَةٍ فلا تبتسِم يُشرِق ضياءُ صَباحِي

فيالَكَ ظبياً أنبتَ الوردَ خدُّه لَدَى رَعْيِهِ في الكأسِ نَوْرَ أَقاحِ

---

(١) الشيح والقيصوم : من نباتات الصحراء .

(٢) أي هل على خوف .

(٣) المعلّى : القدح الرابح ، والمنيح : القدح الذي لا نصيب له .

قوامك سَلاَّبُ الرِّماحِ اهتِزازَها وحَشْوُ الجُفونِ السُّودِ بيضُ صِفاحِ
رَمَتْنا سِهامُ اللَّحظِ عَنْ قَوْسِ حاجِبٍ سِهامُكِ رِيشَتْ من جَنَاحِ نَجَاحِ
إلى اللهِ نشْكو من جَوىً بِقُلوبِنا لِنَفْثِ مَرِيضاتِ الجُفُونِ صِحَاحِ
ولم نرَ تُركِيــاً سِواكَ مُبارِزاً يُجَــدِّلُ أَبْطالاً بغيرِ سِلاحِ
ومن تَكُنِ الإِسفِنطُ في فِيهِ رِيقةً فأَجفانُهُ سَكْرَى وهُنَّ صَواحي
فؤادي بسُمْرِ التُّرْكِ لا شكَّ هائمٌ فَدَعْني من بِيضٍ كَبَيْضِ أداحي[1]
فما بَلَغتْ قِدْماً صواحبُ يُوسُفٍ مَداهُ فَخُذْ جِـــداً بغيرِ مِزاحِ
أَلم تَرَ ذُكرانَ الطواويسِ عِندَها الإِناثُ قِبــاحٌ قُوبلت بِمِلاحِ
وما أَنا في هاتا ولا ذاكَ راغبٌ أَبتْ في التصابي أَن تَهُبَّ رِياحي

وقال أَيضاً :

بدرُ الدُّجى شمسُ الضُّحَى غـــادَرَ جسمي شَبَحا
قَلبي بِهِ قَـــد كادَ مِنْ طُولِ البِلى أَن يُمصَحَا[2]
يحــكي القَضِيبَ في الكَثِيب كلَّـــما تَرَنَّحـــا

---

(١) أداحي : جمع أُدحي وإدحي : مَبِيض النعام .
(٢) مَصَحَ الرجل يمصَح مُصُوحاً : ذهب وانقطع ، والدار اندرست ، والثوب أخلق .

ساحِرُ طَرفٍ منـــهُ هـــاروتُ انثنى مفْتَضِحـــا

لِحـاظُ مُردِ التُّركِ امضَى من ظُبـــا ذَوِي اللِّحى

حِـينَ يُديرونَـ بهـا في حَومَـةِ الحربِ الرَّحا

يفـــترُّ فوهُ عن سَنـــا البَرْقِ إذا ما لَمَحـــا

سُبحانَ من أَوْدَعَ وَجنتيـــهِ تلكَ المُلَحـــا

كأنمـــا نَكهَتُهُ مسكٌ أَريجٌ نَفَحـــا

مُعَرْبِدُ اللِّحـــاظِ من سُكرِ هواهُ ماصحا

ما العيشُ إلا قهوةٌ حمراءُ تنفي التَّرَحـــا

وهي التي تَجْلِبُ من كلِّ النـــواحي الفَرَحـــا

فكنْ لهـــا معتنِقاً مغتبِقـــاً مُصْطبِحـــا

يا حبَّـــذاً السُّكرُ بشُربِهـــا إذا ما طَفَحـــا

يُوسىَ أَذى الخُمارِ بالخَمْرِ إذا مـــا جُرِحـــا

يلقى بهـــا النَدْمانُ من نَيْـــلِ المُنى ما اقترَحـــا

فهي محـــلٌ قابـــلٌ لأَن يهيجَ البُرَحـــا

أَعيت صِفاتُهـــا نحـــاريرَ[1] العقول الفُصَحـــا

---

(١) نحارير : جمع نِحْرير ، وهو الحاذق العالم .

وقال أيضاً :

لي غَبُوقٌ من الهوى وصَبُوحُ ... وبِقلبي يغدو الهوى ويروحُ
من رآني مُلْقىً بِظَهرِ فِراشي ... قال هذا هو اللَّقَى[1] المطروحُ
يا لقومي ما ذا من الوَجدِ أَلقى ... فاندُبُوني وابكُوا عليَّ ونُوحُوا
لِيَ روحٌ بغيرِ جسمٍ وجسمٌ ... يُقْسِمُ العائدونَ ما فيهِ روحُ
مَن مُجيرِي منَ الحَبيبِ الذي فيه اعتَراني الشَّقاءُ والتَّبْريحُ
فقَبيحُ الغَرامِ عِندِي جَميلٌ ... وجميلُ العَزاءِ عندي قَبيحُ
لم يَبُحْ بِالهَوى لساني ولكنْ ... دمعُ عَيْني بِما أُجِنُّ يَبُوحُ

وقال يمدح شرف الدين عبد المحسن بن إسماعيل الفلكي :

سِرِّي بِألسِنَةِ الدُّموعِ يُباحُ ... فَاعجَبْ لها صُمتاً وهُنَّ فِصاحُ
ما كانَ أَكْتَمَني لسِرِّ هَواكُمُ ... لكنَّ دمعَ أَخي الهَوىٰ فَضّاحُ
عن ناظِري سِرْتُمْ إلىٰ قلْبي فما ... لكُمُ وللتَّبْريحِ عنهُ بَراحُ
قلْبي يئِنُّ كما يئِنُّ منَ الأَسى ... بينَ الأُسٰى[2] مَن في حَشاهُ جِراحُ

---

(١) اللَّقى : والمطروح واحد .

(٢) الأُسى : جمع آسي وأصلها أُساة أو إساء وقد قصرت هنا ، والأَسَى الأولى المرض .

ذِكْراكُمُ ٱمْتَزَجتْ بِقَلْبِيَ مثلَ ما ٱمْتَزَجَ القَراحُ مُصَفَّقاً والرّاحُ

خَطَبتْ مَحاسِنُكُم وَدادي رَغْبةً فَأَجابَها قَبلَ النِّكاحِ سِفاحُ

أَيُفيقُ منْ سُكْرِ الصَّبابَةِ عاشِقٌ دارَتْ عَلَيهِ منَ الهَوَى أَقداحُ

هَيْهاتَ أَنْ يُلْفَى لِمنْ نَصَبَ الهَوى شَرَكاً لَه فَٱنقَضَّ فيهِ بَراحُ

قَلْبي حَبيبٌ مُصْحِبٌ لِهَواكُمُ ولَهُ على ٱلعُذّالِ فِيهِ جِماحُ

أَفْدِي أُناساً ذِكْرُهُمْ رَوْحٌ ورَيْـــحانٌ لقَلبي إنْ غَدَوْا أَوْ راحُوا

أَرْتاحُ أَنْ يَسْري إلَيَّ خَيالُهُمْ ليلاً ، وكلُّ مُتَيَّمٍ يَرْتاحُ

قدصِرْتُ مِن حُبِّي لَهمْ شَبحاً وهَلْ عارٌ بأَنْ تتَزاوَرَ الْأَشْباحُ

أَتُرى يَهُبُّ لنَا بِقُربِ مَزارِكُمْ مِنّا على رَغمِ الرَّقيبِ رِياحُ

إن تسمَحوا بِوِصالكم ليَ تربَحوا أَجْراً كبيراً والسَماحُ رَباحُ

أَهوى الهوى وهو الذي بِعَنائِهِ تَضْنى الجُسومُ وتَتعَبُ الأَرْواحُ

لو أَنّ أَيسَرَ ما لَقِيتُ من الهوَىَ بالوُرْقِ لم يَنهضْ بِهِنَّ جَنَاحُ

أَفْدِي الذي منْ لحظِهِ وقَوامِهِ سُلَّت عليَّ صَوارِمٌ ورِماحُ

لي من تَخَيُّلِ وَجهِه إن غابَ عن عَينيَّ في ظُلَمِ الدُّجى مِصْبـــاحُ

هو رَوْضَةٌ لكنّها عِندي حِمىً وسِوايَ أُهمِلَ فِيهِ فهو مُباحُ

سَدِكَ[1] الحياءُ بِوجهِهِ لكنْ لَهُ وجهٌ إذا عَزَم الصدودَ وَقاحُ

---

(١) سَدِكَ به : لزمه ولم يفارقه .

يا قَاتِلي عَمْداً بسحرِ جفونِهِ لا تَخْشَ ناراً ما عليكَ جُناحُ
يا غصنَ بانٍ مِنــهُ يُجْنى الوَرْدُ والرُّمّانُ والرَيْحانُ والتُفّــاحُ
فإليكَ نشكوْ منكَ ما فعلتَ بنا اجفانُكَ المَرْضى وهُنَّ صِحَاحُ
وإلى الوزيرِ الصاحبِ الشَرَفِ الذي في فَضْلِهِ يتنافَسُ المُــدَّاحُ
لمّا نظرتُ إلى أَسرَّةِ وجهِـهِ بَرِقَتْ بِبِشرٍ لي فلاحَ فَلاَح
طـار الوجاءُ إلى مـكارِمِهِ التي منّي بها راشَ الجنـاحَ نجاحُ
وهو الذي في المجدِ اصبحَ بيتُهُ وهو الرفيعُ عِمادُهُ الفَيّــاحُ
وسِواه مرتاحٌ إذا سُئِلَ النَدَى وهو امْرُؤٌ لسؤالِهِ مُرْتاحُ
منّاحُنا وسواه منّـاعٌ لنـــا هـل يَستَوي المَنّـاعُ والمَنّـاحُ
متواضــــــعٌ ومحلُّهُ يعلو على أُفق العُلا الأعلى فليس يُراحُ
لمّـا تواضَعتِ الجُسومُ على الثَرَى حلّت بها من رَبِّهـا الأرواحُ
وتواضُعُ الصَهباءِ للإِبرْيقِ عِنـدَ المَزْجِ مِنـهُ تُشَعشَعُ الأَقـداحُ
وكذا الخُدودُ منَ الحِسانِ تواضَعتْ فبدا جَناهــا الوردُ والتفاحُ
وكذا السُّهولُ عنِ الحُزونِ تطامنت فسَقَى البطـاحَ المـاءُ وهو قَراحُ
أَنوارُ خاطِرِهِ ثواقب دُونهـا المِشكاةُ حلَّ زجاجَهــا المصبــاحُ
يُنشي فينسي من تقـدَّمَ قَبْلُ والأَفراحُ تُنسى عِندهــا الأَتراحُ

وكأنما المسكُ الذكيُّ مِــداده   فَمِداده النفّــاع[1] والنفّاحُ

وبِكَفهِ قـــلمٌ له من حَــدِّه الأمضى سُيوفٌ أُرهِفَتْ ورِمــاحُ

يا أَيُّها البَحْرُ الخِضَمُّ ندىً ففي   أَدْنى نداهُ يَغرَقُ السّبــاحُ

بحر به تجــري السفين لنــا م بمَحمودِ الرِّياحِ فيفرَحُ الملاّحُ

بحـــر طمى بنواله آذِيُّــهُ[2]   فالنّيلُ عند نوالِهِ ضحْضاحُ

أَأَراع في زَمَـــني بإعسارٍ ولي   بابُ الإلٰهِ وكفُّكَ المفتاحُ

ولّى شبابي واستشنَّ[3] أديمُهُ   وهُريقَ مـــاءُ رُوائِهِ السَّفّاحُ

وَدَفَنْتُ شَرخَ شَبيبتي في شيبتي   دَفْنَ الحَبيبِ فَلي عليهِ نَواحُ

فشبيبتي عُوِّضْتُ عنهـــا شَيْبَةً   شَعَراتُها عند المِلاحِ قِبــاحُ

ولقَد ضَعُفْتُ فلم أَزُرْكَ وإنَّ لي   قلبـــاً إليكَ صَميمُـــهُ يَرْتاحُ

يا ناظراً حَـلَّ السَّوادَ فلم يكُنْ   طرفٌ لِطمَّاعٍ بـــه طَمَّاحُ

فهناكَ وُفِّقتِ الوُقُوفُ وحَلَّتِ   البَرَكاتُ منـــهُ وأفلَحَ الفَلاّحُ

وأَطاعَ مُعْتاصٌ[4] وأَصحَبَ شامسٌ   وانقادَ ممتَنِعٌ وزالَ جمـــاحُ

---

(١) النفّاع : الكثير النفع .

(٢) الآذيّ : الموج ، والضحضاح : الماء اليسير وكلمة « عند نواله » جاءت : عنه نواله وذلك خطأ .

(٣) استشنّ الرجل : هزُل .

(٤) المعتاص : الممتنع ، المشتدّ ، الملتاث من الأمر . وأصحب : أطاع وانقاد .

وكذا المَدارِسُ بانَ لَغْوُ لُغاتِها   فَأعادَ منطِقَها بهِ الإِصْلاحُ
فارقتَ جِلَّقَ فانثنى كلٌّ بِها   وفؤادُهُ المُلْتاعُ والمُلْتاحُ
ودخلتَها فأضاءَتِ اللُّمَعُ التي   أبدى بها جُمَلَ السَنَا الإِيضاحُ
يَفْديكَ مَنْ بالسُّوءِ جازى مُحْسِناً   فكأَنَّهُ في طَبعِهِ التِمساحُ
ألفاكَ لَيْثاً زائراً فَمُزَمْجِراً   لما أتى بِهريرِهِ النَّبَّاحُ
لكَ هيبَةُ الحَجَّاجِ لا فتكاتُهُ   قِدْماً فأنتَ السَّيِّدُ الجَحْجاحُ
من كانَ مِثْلَكَ يشتري بِنَوالِهِ   حُسْنَ الثناءِ زكَتْ لَهُ الأَرْباحُ
يُعطي اللُّهَى[1] جِدّاً ولم يفتح لَهَاً   بسُؤالِهِ فكأنَّهُ مَزَّاحُ
يجلو غَيابَةَ كلِّ خَطْبٍ مُظْلِمٍ   يَخْشَى أذاهُ جَبِينُكَ الوَضَّاحُ
وافتْ ركابُكَ والربيعُ جَنيبُها   فلنا مُراحٌ ممرِعٌ ومَرَاحُ[2]
أنسى مَساوِىءَ كُلِّ دَهرٍ غاشِمٍ   إحسانُ عَبدِ المُحسِنِ السَحَّاحُ
هو كَعْبَةُ الجُودِ التي بطوافِها   يَستعصِمُ المُحتاجُ والمجتاحُ
لازالَ في عِزٍّ يَدُومُ ونِعمةٍ   ما جَنَّ ليلٌ أو أضاءَ صَباحُ

---

(١) اللُّهى : جمع لُهْيَة : وهي العطية ، واللَّها ، بالفتح : جمع لَهاة وهي لحمة في الفم ، يكني بذلك عن فتح الفم أو الطلب .

(٢) المُراح : بالضمّ مأوى الإبل ، وبالفتح « مَرَاح » : الموضع يروح القوم منه أو إليه .

حرف الخاء

قال وكتبها إلى ظهير الدين محمد خطيب القدس رحمه الله :

أَمَا وكلُّ نَفُوخٍ شَجٍ بنرسٍ [(١)] رضيخِ
مجَّ اللُّغامَ بنسج العناكب المنضوخِ [(٢)]
يمشين مشىْ فُيُولِ الشَّطْرَنجِ خلفَ الرُّخوخ [(٣)]
ترمي الفلا بسهامٍ ولا سهامَ الجروخِ [(٤)]
تَؤُمُّ مكَّةَ ذاتَ البَيْتِ الرَّفيعِ الرَّفيخِ [(٥)]
إنَّ الظَّهيرَ لَيَسْمُو فضْلاً بِأنفٍ شَمُوخِ
حبْرٌ لَهُ قَدَمٌ في العُلُومِ ذاتُ رُسوخِ

(١) النرس : الثياب النرسية ، ونَرْس قرية في العراق تنسب إليها . والبُرس أيضاً بالباء المضمومة والمكسورة القطن أو شبهه . ورضخ : كسر . ويجوز أن تكون الكلمة « ترس » ويقصد بالشطر التُّرْس المكسور .

(٢) نضَخَ : رشَّ ، ونضخ النبل : فرَّقها .

(٣) الفيول : جمع فيل ، والرُّخوخ : جمع رُخٌّ ، والفيل والرخ : حجران من أحجار الشطرنج .

(٤) الجروخ : من أدوات الحرب ترمى عنها السهام والحجارة .

(٥) الرفيخ : الواسع .

ذَكاؤُهُ هازِىءٌ مِنْ أَبي ٱلْعَلاءِ التَّنوخي

ما زالَ في الدّينِ صَدْراً كالشَّيْخِ شَيخِ الشُّيوخِ

يُزْري بِأَهلِ رِياءٍ تَطَأْطَأُوا كالفُخُوخِ [1]

يا سَيِّدي ومُعـــينِي وناصِري وصَرِيخي [2]

يَا ذَا ٱلْقَرِيضِ ٱلْفَصِيحِ ـ ٱلْمَنْسُوخِ لا الَمنسوخِ [3]

فَمنْ يُساجِلْكَ يُلْطَمْ في الوَجْهِ بِالتَّوْبيخِ

حتّىٰ تُرىٰ وَجْنَتاهُ كصُفْرَةِ الزَّرْنيخِ

هَيْهاتَ هَيْهاتَ مَا ٱلأَخْـ ـمَصانِ [4] كاليـافُوخِ

ذَا الدَّهْرُ ما في بَنيهِ لِفَاضِلٍ مِنْ مُصيخِ

فالفـاضِلُ المشتَري في كيوانَ والَمرِّيخِ [5]

ما في زَمانِكَ هذا غَيرُ السَّليخِ الَمليخِ [6]

هُمُ سَوَاسِيَـــةٌ في هَيْئاتِهِمْ كالمُسُوخِ

---

(١) الفخوخ : جمع فخ ، وهو آلة لصيد الطيور .

(٢) الصريخ : المُغيث .

(٣) المنسوخ الأولى : المنقول كتابة من النسخ ، والثانية : تعني الباطل .

(٤) الأخمص : أسفل القدم .

(٥) كيوان والمريخ : كوكبان .

(٦) سليخ مليخ : الشديد الجماع ولا يُلقِح ، المليخ : الفاسد الضعيف .

ما مِنْهُمُ رَبُّ عِرْضٍ خالٍ منَ التَّلْطيخِ

مَا القَومُ إلاّ بَنُو عا هِرٍ رَبُوضٍ رَبُوخِ

لَم تَخْلُ في دَهرِها سا عَةً مِنَ التَّشْرِيخِ[1]

مَوْلايَ دُمْ في شِواءٍ مُضَهَّبٍ وطَبيخِ[2]

ولَحمِ حُوتٍ طَرِيٍّ لا مَالِحِ الطِّرِّيخِ[3]

مَا فَرَّ بالعِرْضِ حُرٌّ عَن وَصمَةِ التَّوْسيخِ

ومَا ٱسْتَطابَتْ لهَاةٌ مَذاقَـــةَ ٱلبَطّيخِ



(١) الشرخ ، شرخ الشباب : أوله . والشرخ أيضاً : نتاج كل سنة من أولاد الابل .

(٢) المضهَّب : شيّ اللحم دون أن ينضج .

(٣) الطِّرِّيخ : سمك مملَّح .

حرف الدال

يَا مَنْ لِصَبٍّ نأَى في ٱلْحُبِّ عَنْ رَشَدِهْ ... فلَيس بِالمنتَهي بِاللَّوْمِ عَنْ فَنَدِهْ[1]

أَثارَ صَيْداً فصادَتْـــهُ حبائِلُهُ ... يَا وَيْحَهُ باحِثاً عنْ حَتْفِهِ بِيَدِهْ

صَيْداً أَعادَ الَّذي أَبداهُ قانِصُهُ ... مِنْ خَتْلِهِ يَوْمَ وَافاهُ ومِنْ طَرَدِهْ

هُوَ القَتيلُ الَّذي لَم تُخْطِ مُقْلَتُهُ ... عَمْداً ، وقاتِلُهُ لَم يَخْشَ مِن قَوَدِهْ[2]

رَماهُ رِيمٌ رَنا باللَّحْظِ مُخْتَلِساً ... فأَثبَتَ الرِّيمُ سَهْمَ اللَّحْظِ في كَبِدِهْ

يَلومُهُ فارِغٌ مِمَّا أُصيبَ بِــهِ ... في الحُبِّ ما عِندَهُ ما فيهِ منْ جَلَدِهْ

يُدِلُّ بالجِيـدِ مَنْ بالجِيـدِ تَيَّمَني ... كَأَنَّهُ ناحِلي بِالحُسْنِ مِنْ جَيَدِهْ[3]

يَا واضِحَ الثَّغْرِ كَمْ بالثَّغْرِ تَقتُلُ مَنْ ... أَصْماهُ حَرُّ الهَوَى شَوْقاً إِلىٰ بَرَدِهْ

يَا حَبَّـذا فِعـلُهُ إِنْ كانَ يَفْعَلُ بي ... في الحُبِّ فِعْلَ الَّذي يُبْدِيهِ مِنْ غَيَدِهْ[4]

حُرِمتُ مِنْ لؤلُؤَيْهِ مـا أَهِيمُ بهِ ... مِنْ حُسْنِ مَنْظُومِهِ ٱلْغالي ومِنْ بَدَدِهْ

---

(١) الفَنَد : الخَرَف واختلاف العقل والعجز .

(٢) القَوَد : القِصاص .

(٣) الجَيَد : طول العنق وحسنه .

(٤) الغَيَد : النعومة . والأغيَد : الوَسنان المائل العنق .

تَشِي الوُشاةُ بِنا عِنْدَ الفِراقِ فإنْ ... نَحْنُ ٱفترَقْنا فكُلُّ القَوْمِ مِنْ رَصَدِهْ

مَا زالَ في مَنْعِ ما أَحبَبْتُهُ معَهُمْ ... ولم يكُنْ راثياً يَوْماً لِمُضْطَهِدِهْ

يَا ليْتَ في الدَّهرِ رُوحَيْنا قدِ ٱلْتَقيا ... بالوُدِّ في جَسَدي أَوْ لا فَفِي جَسَدِهْ

وقال يمدحُ سيِّدنا رسول الله ﷺ :

إِلَيْكَ المَطايا أَعنقَتْ يا مُحَمَّدُ ... إلىٰ خيرِ مَنْ يُسْعى إِليْهِ ويُحْفَدُ[1]

إِلَى الذُّرْوَةِ العَلْياءِ مِنْ سِرِّ هاشِمٍ ... عَلَيهِمْ سَلامي كلَّ وَقْتٍ يُرَدَّدُ

تَرَدُّدَ أَنفَاسي الَّتي لا أَمَلُّها ... ولا أَنتَهي منْها ولا أَتبَلَّدُ

كأَنَّ دُموعي لِاشْتِياقي لَآلِئٌ ... فَمِنْ بَينِ أَصدافِ الجُفونِ تُبَدَّدُ

قَطَعْنَ إِليكَ ٱلبِيدَ كالبحْرِ آلُها ... وظُرّانُها[2] مِن تحتِهِ يتَوَقَّدُ

ورَكْبٍ علىٰ أَكْوارِهِنَّ كأَنَّهُمْ ... سِهامٌ بِأَكْبادِ ٱلقِسِيِّ تشَدَّدُ

وكُلٌّ إذا ما هزَّ سوطاً كأَنَّما ... تَخُبُّ بهِ بين النَّعامِ خَفَيْدَدُ[3]

إلى أَنْ أَناخوها إلى جَنبِ حُجْرةٍ ... لِهَيبَتِه منها الفَرائِصُ[4] تُرعَدُ

---

(١) حَفَد : خفَّ وأسرَعَ ، وأعنق : سار العَنَق : أسرع .

(٢) الظِرّ : الحجر ، أو الحجر له حد كحد السكين ، جمعه ظُرّان وظِرّان وهي قطع الصوان المصنوعة في الزمن القديم أسلحة ، والآل السراب .

(٣) الخَفَيْدَد : السريع ، والظليم وهو ذكر النعام .

(٤) الفرائص : جمع فريصة وهي اللاحمة بين الجنب والكتف .

إليكَ رسولَ اللهِ مِنّي أُلوكةً حنانَيْكَ قد يَحْنُو على العبدِ سَيِّدُ

أُؤمِّلُ مِنْ خَيْرِ الأنامِ شَفاعةً بِهـا في نَعيمٍ بالجِنـانِ أُخَلَّدُ

فأنتَ رسولُ اللهِ وهي شهـادةٌ أُقِرُّ بهـــا حتّى المعاد وأشْهَدُ

وَدِدْتُ بأنّي زُرْتُ قبرَكَ راجِلاً وقَبَّلْتُ تُرباً أنتَ فيها موسَّدُ[1]

وَمَرَّغتُ خَدِّي عِندَ قَبرِكَ ضارِعاً بأرضٍ حَصَاها لُؤلؤٌ وَزَبرَجدُ

وَذَاكَ ضريحٌ يَحْسُدُ المِسْكُ تُربَهُ وكلُّ شَريفِ القَدرِ لاشكَّ يُحسَدُ

به حَلَّ كلُّ الجُودِ والمجدِ والنَدَى وفضلٌ ومعروفٌ وعِزٌ وسُؤدَدُ

اذاحُدِيَت[2] عنسٌ بِذِكرِكَ اسرَعَتْ كأنْ لم يَمَسَّ الأرضَ رجلٌ ولا يَدُ

وخَلَّت سُهَيْلاً طَالِعاً من وَرائِهـا وقابَلَها نَسرٌ وجَـــدْيٌ وفرقَدُ

وصاحَ بِها الحادُونَ فاندَفَعَتْ بِهِم تؤوِّبُ في الأرضِ القِواءِ وتُسئِدُ[3]

وقَدْ مَدَّتِ الأعنَاقَ تَطوِي مَهامِهاً تَغُورُ بها تَحتَ الرِّحالِ وتُنجِدُ

شَواحِبُ ألوانٍ بَرَاها لُغوبُها بفيفاءَ[4] فيها الأبيَضُ اللّونِ أسوَدُ

---

(١) هذا البيت كتب بجانب القصيدة وكان سها عنه الناسخ .

(٢) وردت هذه الكلمة في الأصل « جدبت » من الجدب . وهو تصحيف من الناسخ والمعنى المناسب هنا هو « الحداء » ويؤكد ذلك الأبيات التالية .

(٣) أسْأد : إسئاداً فهو مُسْئِد : أغذ السير ، او سير الليل والنهار بلا راحة .

(٤) ـ فيفاء ـ صحراء ـ جمعها فياف ، وكذلك فيفاة .

وإني لذو شَوْقٍ إليكَ مُضاعَفٍ بَواعِثُـــهُ لا تأتلي تتجدَّدُ

إلى الحُجْرَةِ البيضاءِ والجَدَثِ الذي بهِ الخَيْرُ في الدّارَيْن يُرْجى ويُقْصَدُ

ألاَ أيُّها الزُّوّارُ باللهِ بلِّغوا سَلامي إِلَيْهِ وارفقُوا وتأيَّـدوا[1]

وقُولُوا لَهُ «فِتْيانُ[2]» يَشكو صَبابَةً إِلَيْكَ وَوَجْـداً حَرُّهُ ليس يَبْرُدُ

يُرَجّى غِـداً تبريدَ غُلَّتِهِ إذا شَفَعتَ لَهُ في الحَشْرِ والحَوْضُ مَوْرِدُ[3]

وقال يمدح الملك الظاهر غيـاث الدين غازي بن الملك الناصر يوسف ابن أَيوب قدس الله روحيهما :

مَنْ مُبلغٌ نجداً ومَنْ بِنَجدِ سلامَ مَيْتِ الصَّبْرَحيِّ الوَجْدِ

يبكي مَتى شَامَ بَريقاً بالحِمَى وقَلَّ ما يُغني البُـكا أَو يُجدي

يُلصِقُ بالصَعيدِ قَلبـاً خافِقاً ظمآنَ طَالَ عَهدُه بالوِرْدِ

يَنْشُرُه الشَوقُ ويَطويهِ كَما يُعيدُهُ غرامُهُ ويُبْـــدي

ذابَ من الشَوْق فلو فُتِّشَ عَنْـــهُ بُرْدُه لم يُرَ غيرُ البُرْدِ[4]

---

(١) ـ تأيدّوا ـ تقووا : من الأيْد وهو القوة .

(٢) هو اسم الشاعر

(٣) هذا البيت سقط سهواً أوثت من قبل الناسخ بجانب القصيدة . والحوض هو حوض الكوثر .

(٤) هذا البيت سقط في الأصل سهواً واثبت بجانب القصيدة .

تَقْرِفُ[1] أَظفارُ الأسى قُروحَهُ بِقَلْبِهِ لا لَحمِهِ والجِلْدِ

أَفدي عَريباً[2] بالحِمى عندَهُمُ قلبي وَتبريحُ الغرامِ عِندي

تكادُ تُلقي كَبدي افلاذَها من لَهَفي على الكثيبِ الفَرْدِ

فاعجبْ لِحرٍّ ذلَّ بعدَ عِزةٍ فاقتادَهُ الهوى اقتيادَ العبدِ

دعني ونَعمانَ[3] الأراكِ أبكِهِ فكم زَجرتُ فيه طيرَ سعدي

ايامَ غُصني مُثمِرٌ ولِمَّتي مُسْوَدَّةٌ والبِيضُ تَرعى عهدي

وفي الشِفاهِ خَمرَتي وفي العيونِ نَرجسي وفي الخدودِ وَرْدي

ايامَ كنتُ والذي أُحِبُّهُ لا فرقَ بَيْنَ خَدِّه وخدّي

حين شبابي ما هُريقَ ماؤُهُ ولا كَبا عندَ الحِسانِ زَندي

والآنَ بي من زَمني ضَمانةٌ ضَامِنةٌ للكاشِحينَ فَقْدي

إن لم تَدارَكني أيادي المَلِكِ الظاهرِ خيرُ مُنجدٍ ومُعدي

فها أنا الآنَ على دَهري إلى معروفهِ وعَدْلِهِ استعدي

مَلْكٌ من الدهرِ يُجيرُ ناسَهُ ولا يُجارُ منه غُلْبُ الأَسْدِ

---

(١) قَرَفَ يَقرِفُ : الجرحَ قشرَه .

(٢) عَريب ، وعُرَيْب مُصَغَّرها ، السكان ، يقال : ما بالدار مُعرِب أو عريب .

(٣) نَعمان الأراك : بالفتح ثم السكون وآخره نون وهو وادٍ بين مكة والطائف وقيل وادٍ لهذيل قرب عرفات .

لو كانَ يومَ الدارِ غازٍ[1] شاهداً عثمانَ ردَّ عنهُ كلَّ حدِّ
ولم يكُنْ جَرَى الذي قبلُ جَرَى بينَ أَبي السِبْطَيْن وابنِ هِندِ[2]
مَلْكٌ إذا نارُ الهياجِ احتَدَمت في مأْزِقِ الحربِ الشديدِ الوقدِ
يوْماً تَرَى فيهِ ٱلْقَنا رَواعِفاً وٱلخيلُ تَرْدِي وٱلكُماةُ تُرْدِي[3]
وٱلنَّقعُ فيهِ كالْغَمامِ والظُّبىٰ بُرُوقُهُ وٱلرَّكْضُ صوتُ ٱلرَّعدِ[4]
هُناكَ يُلْفىٰ سَيْفُه بِكَفِّهِ صَلْتاً ومِنْ دَمِ ٱلْعِدَى في غِمْدِ
يَرْكَعُ في ٱلهامِ فتَهْوِي سُجَّداً مِنْ كلِّ مَن لَم يَتْلُ آيَ ٱلْحَمْدِ
فَمَنْ هُناكَ عَنْتَرٌ وعامِرٌ لَدَيْهِ في ٱلإقدامِ وٱبْنُ مَعْدِي[5]
هَيْبَتُهُ تَكادُ تُغْنِيهِ لَدَى م ٱلرَّوْعِ عنِ ٱسْتِظْهارِهِ بالجُنْدِ
كأنَّما ٱلْمُلوكُ عِقْدٌ وهُوَ في جيدِ ٱلْعُلىٰ واسِطَةٌ لِلْعِقْدِ
يَضْرَعُ خَدُّ كلِّ جبّارٍ لَهُ ويَصْرَعُ ٱلْهَزْلَ بِجِدِّ ٱلْجَدِّ
أَكْسَبَهُ فِعالُه بَيْنَ ٱلْوَرَى أَجَدَّ مَدحٍ وأَجلَّ حَمْدِ

---

(١) غازٍ : هو الممدوح .

(٢) أبو السبطين : علي بن أبي طالب ، وابن هند : معاوية .

(٣) رَدَى : حجل ، ورَدَتْ الفرس : بين العدو والمشي ، أردى : أهلك .

(٤) لا يخفى ما في هذا البيت من إشارة إلى بيت بشار :

« كأنَّ مُثارَ النقعِ فوقَ رؤوسنا وأسيافنا ، ليلٌ تهاوى كواكبُه »

(٥) عنتر ، وعامر : وهو عامر بن الطفيل ، وابن معدي : وهو عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، وكلهم من فرسان الجاهلية .

تَقاعَسَ ٱلْمُلوكُ دُونَ شَأْوِهِ عَن غايَتيْ سُؤْدَدِهِ وٱلْمَجْدِ
يُسَرُّ بالْوَفدِ مَتىٰ ما أَمَّــهُ فَهْوَ ببَذْلِ ٱلرِّفدِ مُغْني ٱلوَفدِ
ما أَمَّـهُ في دَهْرِنا مِنْ قاصِدٍ فشَدَّ عَنْساً بعْدَها لِقَصْدِ
فاقَ ٱلْمُلوكَ في ٱلمعالي مثْلَ ما فاقَتْ أَيادِيْهِ ٱنْحِصارَ ٱلْعَدِّ
كَأَنَّما صِفاتُهُ في ٱلْعَدلِ والْإِحسانِ وٱلْفَضْلِ صِفـاتُ ٱلْمَهْدي
يا أَيُّهـا ٱلمَلْكُ الّذي يَهْتَزُّ لِلْمَدْحِ ٱهْتِزازَ ٱلسَّيْفِ ذِي ٱلْفِرِنْدِ
خُذْ مِدْحَةً وَافَتْكَ مِن مُفَوَّهٍ بالأَفوَهِ ٱلأَوْدِيِّ جاءَتْ تُودي[1]
رَدَّتْ لَبيداً كٱلْبَليدِ وٱنْثَنىٰ عَنْها عَبيدٌ في ثِيابِ عَبْدِ[2]
لا يَكْنِدُ ٱلْكِنْدِيُّ فَضْلَ مِثْلِها
أَعْني ٱمْرَأَ ٱلْقَيْسِ بْنَ حُجْرٍ ٱلْكِنْدي[3]
أَهْدَيتُهـا عَذْراءَ غَيْرَ فارِكٍ[4] لكِنَّها مَسْرورَةٌ بالقَصْدِ
كَفيئَةً تُهْدى لِأَكْفى مَلِكٍ حازَ ٱلْعُلى بِمَهْرِها وٱلنَّقْدِ
لاَ بَرِحَ ٱلظّاهِرُ مَلْكاً ظاهِراً عَلى ٱلأَعادِي بِعُلُوِّ ٱلْجَدِّ

---

(١) الأَفوه الأَوْدي : اسمه صَلاءَةُ بن عمرو من بني أَوْد ، شاعر يماني لقب بالأفوه لغلظ شفتيه . توفي قبل الاسلام .
(٢) وعبيد : هو عبيد بن الأبرص من أصحاب المعلقات .
(٣) كَنَدَ: كفر ، ستر ، اخفى وهذا البيت كان سها عنه الناسخ وكتب بجانب القصيدة .
(٤) الفارِك : المرأة تبغض زوجها .

مـا هَبَّ مُعْتلُّ ٱلنَّسِيمِ سُحْرَةً   وما شَدَتْ حَمائِمٌ في ٱلرَّنْدِ

وقال يمدَحُ الأميرَ بـــدرَ الدين مودود[1] والي دمشق أخا عز الدين فرخشاه رحمهما الله :

يا صاحِ أَيقِظْ راقدَ ٱلْعُودِ   ويا لُيَيْلاتِ ٱلْحِمَىٰ عُودِي
ويا غُصونَ ٱلْبانـِ مِيلي عَلىٰ ـ ٱلأَغصانِ بالأَقْمارِ أَوْ مِيدي
ويا عَذُولي خَلِّ تَكـرارَكَ ٱلدُّرُوسَ في لَوْمي وتَفْنيدي
إنّي لَصَوَّامٌ عَنِ ٱلْعُذَّلِ تعـــييدِيَ في تَرْكِيَ تَعْييدـي
هَلْ حدَقُ ٱلْغِزْلانِ غازَلَتْنا   أَمْ لَحَظاتُ ٱلْخُرَّدِ ٱلْغِيـــدِ
بِيضٌ وسُمْرٌ حُمِيَتْ بالْحِمىٰ   بالبِيضِ وٱلسُّمْرِ ٱلأَماليدِ
جُدْ بِأَيادِيكَ ، أَيادِيكُ ، فَانْـــسَخْ آيَةَ ٱلنَّوْمِ بِتَسْهِيدِ
وهُبَّ يا صاحِ فقدْ صاحَ وَا م عِدٌ   بإِنْجازِ ٱلْمَواعيدِ
وَصِلْ صَبُوحاً بِغَبُوقٍ فَما   مَوْجودُ عَيْشٍ مِثْلُ مَفْقودِ
أَرْعِفْ خَياشِيمَ أَبارِيقِنـا   مِنْ دَمِ أَوْداجِ ٱلْعَناقيدِ
وأَجْرِ من خُرطومِ راووقِنـا   تامورَهُ في بحـرِ ناجودِ[2]

---

(١) سبقت ترجمته .
(٢) التأمور والتأمورة : النفس ، والقلب ، والوعاء ، والخمر . والنـاجود : الخمر ، ووعاء الخمر .

واعْرُكْ بِراحِ الرَّاحِ في الصَّدرِ آذانَ هُمومٍ ذاتِ تنكيدِ
واركَبْ كُمَيْتاً راضها أَشْهَبٌ فَاقَا عِتاقَ الضُمَّرِ القُودِ[(١)]

فالهَمُّ ليـلٌ وهيَ صُبحٌ وما ليـلٌ بلا صُبحٍ بمطرودِ
أَطافَ ساقِينا علينا بِقِنـديلٍ مُضِيءٍ أَم بِقِنديدِ[(٢)]

ما ملأَ الكأْسَ بتفريغهِ الكيـسَ سوى ذي الكَيْسِ والجود[(٣)]
نظَّمَ بالتَبديدِ شَملَ العُـلا والمجـدُ من نَظمٍ وتَبديد

وأَنتَ يا مطرِبُ غَرِّدْ فما تَرْغيدُ عَيْشي غير تغريد[(٤)]
أُجْلُ العجوزَ البِكرَ بينَ الندامى بالمَزَامـيرِ وداوودِ

مُشْرِقَـةً كالشَّمسِ مَوْدودةً كخُلْقِ بدرِ الدين مودودِ[(٥)]
ساسَ أُمورَ الناسِ في الرأْي والبأْسِ بِتَشْديدٍ وتسدِيـدِ

فَغِيضَ سَيْلُ الظُلْمِ ثم استَوَتْ سَفينَةُ الجُودِ على الجودي[(٦)]

---

(١) الكميت : الأحمر الخمري ، والخمر ؛ والقود : جمع قَوْداء : وهي الشديدة العنق . والضُمَّر جمع ضامر : وهو خفيف اللحم الدقيق اللطيف .

(٢) القنديد : الخمرة والورس والكافور والمسك .

(٣) الكَيْس : اللطف واللباقة ، ومنه الكياسة .

(٤) الترغيد : من الرغد ، الهناء .

(٥) سبقت ترجمته .

(٦) الجودي : جبل بين العراق وسوريا ، قيل إن سفينة نوح رست عليه .

صَنيعُهُ الجيِّـــــدُ في دَهْرِهِ صِيغَ لَهُ كالعِقْـدِ في الجِيدِ

فالمجـــــدُ ذو قلبٍ لِأَمراضِهِ مرتَمِضٍ بالهَـمِّ مَزْؤودِ[1]

فَعَافِـــــهِ اللَّهُمَّ ممـا بِهِ فبرُؤْهُ عافِيـــــةُ الجُودِ

صُنِ اللَّيالي البيضَ من نُورِ بدرِ الدينِ عن أَضْـــدادِهِ السُّودِ

لو كانَ يُفْدى من أذىً أَو ردىً بُشِّرَ في الدنيـــا بتخليدِ

قامَت براهِينُ على فضـــــلِهِ فمدُحـــــهُ ليسَ بتقليدِ

لا عَـــــدِمَ المجدُ عُلاه فما نظـيرُهُ يَوْمـــــاً بموجودِ

بَحْرُ ندىً سيفُ ردىً باتِـــكٌ نَحْرَ عدىً نَصْرَةُ مَنْجُودِ[2]

بفتحِـهِ ثَغرَ العِـدى لم يَدَعْ للسِلْمِ ثغراً غـــير مَسْدُودِ

كم فكَّ من عانٍ وكم كفَّ مِنْ عاتٍ بإطـــــلاقٍ وتقييدِ

وكم لَهُ مِنْ مَكْرُمـــاتٍ مَتىٰ عُدَّتْ تَعـــدَّتْ كلَّ معدودِ

إلى نَداهُ وإلى مَدْحِـــــهِ نضرِبُ آباطَ المقاحيـــدِ[3]

تعنو له الصِيدُ الصَّناديدُ في الرَّوْعِ ارتياعـــــاً كالرَعاديدِ

---

(١) مزءود : خائف من زأد ، أفْزَعَ .

(٢) بَتَكَ : قطع ، وبتَّكه : قطَّعه ، والباتك : القاطع ، وسيف باتك : صارم .

(٣) القَحَدَة : السنام ، والناقة المِقْحاد : كبيرة السنام ، والجمع مقاحيد .

إبلاله والعيدُ جاءَا معـــاً فَلْيَهْنِنَا عِيـدانِ في عيـدِ
لا زالَ في ظِـلٍّ من السَّعْدِ وا رفٍ مَدى الأَيامِ مَمْـدُودِ

وقال أيضاً يمدحه :

ورَدَ الوَردُ سافراً عن خُدودِ أَقبلَتْ لِلتَقْبيـلِ بعـد الصُّدودِ
قائلاً والمقـالُ يُفْهَمُ عنـهُ بلسانِ التسبيحِ والتمجِيدِ
بادروا لذَّةَ الزَّمانِ فما فا تَ من العَيْشِ ليس بالمردودِ
بادِرُوا فاقتَضُوا بناتِ كُرُومٍ والعجوزَ البكرَ ابنةَ العُنْقُودِ
إنَّ فصلَ الرَّبيعِ بُورِكَ فَصْلاً طيبٌ نشرُهُ قشيبُ الـبُرُودِ
حيثما دُرْتَ لا تَرَى غيرَ ديبـاجٍ أَنيقٍ به ودُرٍّ نضيـدِ
يتمنّى كلُّ الزمانِ بأَنْ كا نَ ربيعاً لفضلِهِ المشهودِ
وكذا كلُّ سيِّدٍ يَتَمنّى أَنّهُ مثـلُ سَيِّدي مَوْدُودِ
مَلِكٌ لم تَزَلْ أياديه بيضـاً فاتكاتٍ بالنائبـاتِ السُّودِ
صادَ بالمكرُماتِ غُرَّ اللَّيالي وشَأَى سائرَ الملوكِ الصيدِ
إنَّ أَيّامَهُ لأَعْيادُنا بَـلْ كُلَّ يومٍ لنـا به أَلفُ عيدِ
هو بدرُ الدِّينِ الذي بِسطاهُ ذلَّ أَهلُ التثليثِ للتوحيدِ
دامَ في العِزِّ مُرغِماً للحَسودِ في صُعُودٍ إلى مَراقي السُّعودِ

وقال أيضاً :

مَرِضتُ لطيفٍ كان منهُ صُدُودُ ... عسى طيفُ سُعْدى أن يَعُودَ يَعُودُ

وكيف يَعودُ الطيفُ من بفُؤادِهِ ... وفودٌ لنِيرانِ الهَوى وَوَقودُ

وبالعَلَمِ الفردِ الذي تَعَلَمانِهِ ... ظِباءٌ حَمتْها بالظُّباةِ أُسودُ[1]

وبيضٌ لَهَا البِيضُ الرِّقاقُ لواحِظٌ ... وسُمرٌ لها السُمُر الرِّشاقُ قُدُودُ

لقد بَعُدَتْ مني زَرُودٌ وأَين مِن ... كثيبٍ بأَبواب البريد زرودُ[2]

وبي غادةٌ جيداءُ لمياءُ لَدْنةُ المعا ... طِفِ غرثاءُ المراشف رُودُ

مُهَفْهَفَةٌ رَيّا المخلخل فَعْمَةُ المُؤَزَّ ... رِ غَرثى الخَصْرِ فهو جَهِيدُ[3]

بِوَجنتِها خمرٌ وجمرٌ فما لِذا ... جُمودٌ ولا في حَرِّ ذاكَ خُمودُ

إذا ما مَشَتْ ينسابُ في التُربِ خلفَها ... أَساوِدُ من تلك الضفائرِ سُودُ

وما ظبيةٌ أَدماءُ تزجي شُوَيْدِناً ... أَغَنَّ فعنه ما تكاد تحيدُ[4]

أَتاحتْ لهُ الأَقدارُ سهماً مُقَذَّذاً ... فللنصلِ من حبلِ الوريدِ ورودُ[5]

---

(١) العلم الفرد : اسم مكان . الظباء : الغزلان . والظباة مفرد ظُبَة : وهي حدّ السيف .

(٢) زرود : اسم مكان ، وأبواب البريد ، يقصد حيّ باب البريد من أحياء دمشق .

(٣) فَعْمَة : المرأة إذا استوى خَلْقُها وغلظ ساقها ، ومنها : فَعَمَ الإناءَ وفَعَّمَه : أي ملأه .

(٤) الأدماء السمراء ، من الأدمة . والشوَيدن تصغير شادن : وهو ولد الغزال .

(٥) قذَّ السهمَ يقُذُّه : ألصق القُذَذَ به . وقذَّ الشعر : قصه وسوّاه . وقذَّ الحجر : رمى به .

فمرّت على خَوْفٍ وثُكلٍ وجيدُهُ عقيرٌ بمسفوحِ الدماءِ يجودُ[1]
بأوجعَ مني يوم كاظِمةٍ وقد ظعنتُ فقال الركبُ أين تريدُ
فلو قيلَ لي ما ذا تمنّى وقد خَدَتْ بي العرمِسُ الوجناءُ قلت أعودُ[2]

وقال يتغزل بصبيٍّ يلقب بالنجم من الملاحِ بدمشق :

يا نجمُ كم أدنو إليكَ وتُبْعِدُ حتى كأنَّكَ في السماءِ الفَرقدُ
تَكوي بنارِ الهجرِ قلبيَ عامِداً فإلى مَ قلبي صابرٌ يتجلَّدُ
مافي الشَّريعةِ قتلُ صَبٍ مُغْرَمٍ تاللهِ ما يَرضىٰ بذاكَ مُحَمَّدُ
أجفانُكَ المَرْضىٰ بها أمْرَضْتَني عِدْني وعُدْني مَلَّ مني العُوَّدُ
في القلبِ مِنكَ صَبابةٌ وكآبةٌ كلتاهُما النارُ التي لا تَخْمُدُ
فالظبي والغُصنُ المُرَنَّحُ في النَّقا والشمسُ في رَأْدِ الضُّحى لكَ حُسَّدُ
أنتَ الذي بَهَرَ المِلاحَ بحسنِهِ وجمالِهِ فنظيرُهُ لا يُوجَدُ
يا ناعسَ الطَرْفِ الذي من هجرِهِ أجفانُ عينِ مُحِبِّهِ ما ترْقُدُ
بالنَّجم في ظُلَمِ الدَيَاجي تَهتدي وضَلالَتي في الحُبِّ ليست تُرشَدُ
ما لي إذا ما كنتَ عني غائباً إلا الدموعُ على غرامي مُسعِدُ

---

(١) العقير : الجريح .
(٢) خدت : أسرعت ، من خدى يخدي والعرمس : الناقة الصلبة ، والصخرة . والوجناء : الناقة الشديدة شبهت بالوجين من الأرض وهو الصلب .

من لي بِوَصلِكَ والمُدامَةُ بيننا   في كأْسِها منها الفرائِصُ تُرعَدُ
واللَّونُ مِنها في الكؤسِ مورَّدٌ   وكذاكَ دمعي في الجُفُونِ مُوَرَّد
قد قابَلَت في فيكَ نظمَ حبابِها   ورأَتْ رُضابَكَ وهو منها أَجوَدُ
ما بالُ قلبِكَ لا يلينُ وانتَ ذو   لِين تكادُ به تَحَلُّ وتُفقَدُ
كيفَ الفِرارُ ولحظَ طَرْفِكَ أَسْهُمٌ   والقدُّ رمحٌ والجفونُ مُهنَّدُ
والقَوْسُ حاجِبكَ الذي من غمزِه   عِندي وحاشاكَ المُقيمُ المُقعِدُ
ذو العِشقِ يُعميهِ الهوى ويُصِمُّهُ   فيصيرُ فيه العبدُ وهو السيِّد
ومن العجائِبِ أَن يكونَ الليثُ في   حُكْمِ الهَوى يَسْبيه ظَبيٌ أَغْيَدُ

وقال أَيضاً :

أَهلاً بطيفٍ زائرٍ مرقَدي   أَنَّى اهتدَى أَفديه من مُهْتَدي
أَنَّى اهتدَى ليلاً إلى عاشِقٍ   يُخفي من السقْم على العُوَّدِ
فَخِلتُ أَنَّ الخالَ في خَدِّهِ   نُقطَةُ نَدٍّ فوقَ وردٍ ندي
وافترَّ لي عن بَرَدٍ جامِدٍ   غُلَّةُ قلبي منـــه لم تَبرُدُ
قلتُ له كم تعتَدي في الهوى   ظُلماً على عَبْدِكَ يا سَيِّدي
فقال إِذْ ذاكَ مَنِ المُعتَدي   قُلْتُ الذي قالَ من المُعْتَدي

وقال أَيضاً :

هَلْ دهرُنا الماضي يَعودُ   ويَصُدُّ عنَّا ذا الصُّدُودُ

بِنْـتُمْ فَنَوْمِي عَنْ جُفُو نِي بَعْدَ بُعْدِكُمُ شَرِيدُ
دَمْعِي يَكَادُ عَلَى يَزِيـدَ إِذَا تَذَكَّرَكُمْ يَزِيدُ[1]
فَالْمَوْتُ عِنْدِي وَالنَّوَىٰ سِيَّانِ مَنْ لِي أَنْ تَعُودُوا
كَانَتْ لَيَالِينَا بِكُمْ بِيضاً وَهُنَّ الآنَ سُودُ
قَدْ كَانَ فَصْلُ الوَرْدِ يُطْـرِبُنِي إِذَا وَرَدَ الوُرُودُ
إِذْ كَانَ يُخْجِلُهُ مِنَ الأَحْبَابِ بِاللَّوْنِ الخُدُودُ
فِي مَجْلِسٍ فِيهِ الأَكُفُّ ـ بِهِنَّ مَنْثُورٌ نَضِيدُ
وَالنَّرْجِسُ الرَّيَّانُ فِي قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ مَا يَمِيدُ[2]
بِنْـتُمْ فَذٰلِكَ كُلُّهُ عِنْدِي قَبِيحٌ مَا يُفِيدُ
وَاخَيْبَتِي حَزِنَ الوَلِيُّ ـ بِمَا بِـهِ سُرَّ الحَسُودُ
كَانَ الزَّمَانُ يَطِيبُ لِي وَأَحِبَّتِي فِيـهِ شُهُودُ
فَأَتَى الزَّمَانُ بِجَوْرِهِ فَالصَّبْرُ بَعْدَهُمُ فَقِيـدُ
عَجَباً لِمَنْ سَكَنَ الفُؤَا دَ وَشَخْصُهُ عَنِّي بَعِيدُ

---

(١) ورد هذا البيت بلفظة : (ذَكَّرَكُمْ) وقد صحح كما أثبت أعلاه بإثبات التاء مع الذال التي سقطت سهواً . و « يزيد » الأولى نهر يزيد المعروف في دمشق ، والثانية من فعل (زاد) .

(٢) رجحنا زيادة « الـ » التعريف على كلمة زبرجد في هذا البيت ليستقيم البيت ، وكانت أداة التعريف ساقطة .

لي زفرةٌ كالنّارِ ينـــفثُ حرَّها قلبي العميدُ
فأنا الشقيُّ وكانَ لي حظٌّ بوصلِهِم سعيدُ
أقسمتُ ما لي بعدَهُمْ في يومِ هذا العيدِ عِيدُ
لَمْ يَدْنُ مِنْ ناري الخُمو دُ ولا مِنَ الدَّمعِ الجُمودُ
فمتى تقولُ لنا حُداةُ مَطيِّهِمْ : هـــذي زَرُودُ[1]
هيْهاتَ ... عزَّ لِما نُؤمِّلُهُ مِنَ الدَّهرِ الوُجودُ

وقال أيضاً :

إنْ سرَّ ذا العيدُ غيري بالوِصالِ فلي ... قلبٌ بِهَجْرِكُمُ قـــدْ ساءَهُ العيدُ
غادرتُمُ العَيْشَ مَذموماً بِغَدْرِكُمُ ... والعَيْشُ نوعانِ : مَذمومٌ ومحمودُ
أيّامِيَ البِيضُ عادَتْ مِنْ فِراقِكُمُ ... أَحِبَّتي كَلَيالٍ كلُّها سُودُ
قَدْ صارَ يرحمُني مَنْ كانَ يَحْسُدُني ... والنّاسُ في الحُبِّ مَرْحومٌ ومَحْسودُ
الصّبْرُ والوَجدُ مُذْ أعرضْتُمُ اختَلَفا ... فالصَّبْرُ والوَجدُ معدُومٌ ومَوْجودُ
عُودوا إلى الوَصلِ عودُوا لا عَدِمْتُكُمُ ... فإنْ أقمْتُمْ على هجْري ذوى العُودُ
طَرَدْتُموني عن بابِ الوِصالِ وما ... يُلامُ إنْ ماتَ صَبٌّ عنهُ مَطْرُودُ

---

(١) اسم موضع .

وقال أيضاً :

صَادَ بِالْجامع قَلْبي قَمَرٌ زاهِرٌ مَطْلعُهُ مِنْ صَرْخَدِ[1]
قَمرٌ في خَوْطِ بانٍ نابتٌ في كَثيبٍ تحْتَ أُمْلودٍ نَدِي
بابِلِيُّ الطَّرْفِ هارُوتُ وما روتُ عَنهُ نَفَثا في ٱلْعُقَدِ
وَجنَتاهُ مُجْتَنى التُّفّاحِ والوَرْ دِ بالألحْاظِ غضّاً لا ٱلْيَدِ
أَنا مِنْ شَوْقِي إلىٰ تَقْبيلِهِ قائِلٌ : وا كَبِدي وا كَبِدي

وقال يَذمُّ ٱلْكِبْرَ :

اَلكِبْرُ تُبْغِضُهُ ٱلْكرامُ وكلُّ مَنْ يُبْدي تَواضُعَـــهُ يُحَبُّ ويُحْمَدُ
خَيْرُ ٱلدَّقيق مِنَ ٱلْمَنـاخِلِ نازِلٌ وأَخسُّهُ ـ وهيَ النُّخالةُ ـ تَصْعَدُ

وقال أيضاً :

شكوتُ إلى قومٍ زماني وأهـلَهُ لِزُهدِهِم في مَلْبَسِ المَدْحِ والحَمْدِ
فقالوا تبـــدَّل عنهُمُ بِسِواهُمُ فقُلْتُ لَهُمْ : في كلِّ وادٍ بنو سَعْدِ[2]
وأُقسِمُ ما هِندٌ لها الغَدْرُ وَحْدَها وهل في نساءِ العالمين سوى هندِ[2]

---

(١) الصرخد : اسم للخمرة ؛ وصرخد : مدينة بالشام ، وأظنها البلدة المعروفة « صلخد » في جبل العرب .

(٢) بنو سعد : قبيلة ، وقوله « في كل واد بنو سعد » : مثل عربي . وهند : هي محبوبة الشاعر .

وقال في غرض :

أَجْنِحَةُ النَّملِ إذا ما بَدَتْ بجسمِهِ دَلَّتْ على فَقْدِهِ
كذلكَ الأَمرَدُ ماموتُهُ إلا طُلوعُ الشَّعرِ في خَدِّهِ

وقال يهجو نحوياً يعرف بابن صفوان الأشبيلي وقد تكلم عند الشيخ تاج الدين الكندي(١) رحمه الله في أقاحٍ فصَفَعَهُ :

ونَحَويٌّ تكلَّمَ في أَقاحٍ فأَنبتَ في قفاهُ الصفعُ وَرْدا
فثغرُ الأُقحُوانِ لَهُ ابتِسامٌ يُحَجِّلُ عُنْقَهُ إذ صار خدّا(٢)
فلا تشلَلْ يدٌ فتَكَتْ به إذ رَأَيْنا كفَّ ليثٍ صَكَّ قِردا

وقال يهجو معسكر الملك الأفضل رحمه الله(٣) :

إنْ غابتِ الشَّمسُ عنهُمْ وهُمُ لم يدخُلوا في عَشِيَّةَ البَلَدا
فاتلُ عليهِم أَنباءَ ما جاءَ في الكهفِ ، ولن يُفلِحُوا إذَنْ أَبَدَا

وقال أيضاً :

حَاوَلتُ تَهنِئَةَ الوَزيرِ فَلَمْ أَجِدْ لي في الدُّخولِ ببابِهِ من مُسْعِدِ

---

(١) تاج الدين الكندي : مصري نحوي أديب ، صحب الأمير فروخ شاه ابن أخي صلاح الدين .
(٢) الحجل : البياض ، يقال به حجل أي بياض ، وحجَّل : بيَّض .
(٣) سبقت الإشارة إليه .

لم أَحظَ إلا بالقِيامِ لِمَنْ أَتى   فلقد دُفِعتُ إلى المُقِيمِ المُقْعِدِ
يا حبذا فعلُ المغـــارِبةِ الأُولى   تركوا القيامَ لصادرٍ في مَورِدِ
وتنكَّبوا الأَلقـــابَ فيما بَينَهم   كَنِعالِ أَصحـــابِ النَّبيِّ محمَّدِ

وقال يمدح الملك الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه[1] صاحب بعلبك أدام الله أيامه :

أَطرَبني صَوتُ حَمامٍ شدا   كأَنَّ في أَيْكَتِهِ مَعبَدا[2]
شَدا على أَفنانِهـــا مُسمِعاً   فنونَ أَلحانٍ بها غَرَّدا
طَوَّقتني يا ربَّـــة الطَّوْقِ إذ   هَتَفتِ في البانِ سُحَيْراً ، يَدا
أَذْكَرتني طِيبَ زَمانِ الصِّبا   إذ غُصْني الغَضُّ يَمُجَّ النَدا
لم يَخْلُ قَلبي قبلُ من فِتنةٍ   عُلِّقَهـــا أَو شادِنٍ أَمْرَدا
حُلوُ التجَنّي والتثَنّي معـــاً   سكرانُ لَحظٍ طالما عَرْبَدا
فاسوَدَّ ما أُلبِسْتُهُ أَبيضاً   وأَبيضَّ ما أُلبِسْتُهُ أَسوَدا
سيَّانَ وافى صَغَرٌ أَمرداً   مُبيِّض مسوده أَم ردا[3]
يَا بِأبي غيدٌ حِسانٌ متى   رَنَوْنَ صِدْنَ الصائدَ الأَصْيَدا[4]

(١) سبقت الإشارة إليه .
(٢) « مَعْبَد » سيد المغنين من أهل المدينة في عهد الأمويين .
(٣) ردى : لها معان كثيرة منها : زاد ، هلاك ، ذهب ، كسر . وردى الغراب حجل .
(٤) كذا ورد البيت .

هَزَزْنَ في الكُثبانِ بالمَشي قُضْبَ البانِ مِن رُمّانِهِ نُهّدا

إذا نزعن الوَشى والحَلْي كنَّ الدُّرَّ من اصدافِهِ جُرِّدا

فَرَكَنَ[1] كلَّ الناسِ تيهاً ولم يهوَيْن إلا الملك الأَمجدا

أَحسنُ خلقِ اللهِ خَلْقاً وأَخلاقاً حوى المحْتِدَ والسُّؤددَا

من أُسرةٍ أَمْسَوا ملوكَ الوَرى نُبلاً وأَضحى لَهُمُ سَيِّدا

مولايَ هذا الوَرْدُ قد أَقبلَتْ وفودُهُ تطلُبُ مِنك الجَدَا[2]

وما جَداهُ غيرُ إحضارِهِ لَدَيْكَ والقهوةُ تروي الصَدَا

والكأْسُ بالصَّهباءِ قد أَبرَقَتْ والعُودُ بالأَوتارِ قد أَرعَدَا

وٱلنّايُ يُبْدي صوتُهُ ضَجْرَةَ ٱلْحَبيبِ إذْ يستَنْجِزُ ٱلْمَوْعِدا

وٱشْرَبْ عَلى ٱلْعَلاَقِ راحاً صَفَتْ أَطيبْ بِها ثُمَّ بهِ مَوْرِدا[3]

يَا حَبَّذا مَرُّ نَسيمِ الصَّبا يَنْقُشُ مِنْ صَفْحَتِهِ مِبْرَدا

لَذَّ بِها في ٱلْيَومِ وٱنعَمْ فإِنَّ ٱللهَ ذُو فَضْلٍ سَيَعْفو غَدا

فَأَنتَ في دَهْرِكَ يا ذَا ٱلْعُلىٰ أَفضَلُ مَنْ صامَ ومَنْ عَيَّدا

---

(١) فرَكن ، تركن ، كرهْنَ

(٢) الجدا ـ العطا .

(٣) العَلاق : ما تتبلغ به الماشية من الشجر ؛ والمرتع ، والعُلاّق نبت .

وقال يمدح الأمير عزالدين أُسامة[1] ويذكُرُ داراً كان قد بناها :

لا والمطايا يعتَسِفْنَ البِيدا ... بلوىٰ زرُودَ يَدُسنَ رملَ زَرُودا[2]

يَخضُبْنَ مُبيَضَّ الحَصىٰ بِمناسمٍ ... حُمٍّ تَكادُ تُفتِّتُ الجُلْمُودا

ما إنْ رَأينا يَعْمَلاتٍ قَبلَها ... يَحمِلْنَ في أكوارِهنَّ أُسودا[3]

فالحَدْوُ ذِكْرٌ والحُداةُ أئمَّةٌ ... يَحْدون رَكباً رُكَّعاً وسُجُودا

قد لَوَّحتهم في القِفارِ هواجِرٌ ... مِنها الوُجوهُ البيضُ تبدو سودا

مثلُ القَشاعِمِ في ذُرىٰ الأكْوارِ كالأ ... وْكارِ شدُّوا بالأكُفِّ[4] خدودا

لاثوا عمائِمَهُمْ على هاماتِهم ... وتَسربَلوا فوقَ الرِّكابِ بُرُودا[5]

حتّى إذا بَلَغوا النبيَّ محمداً ... فرَشوا لِأوجُهِهِمْ حَصىً وصَعيدا

أمُّوه أنضاءً على الأنضاءِ ما ... يَبدون إلاَّ أعْظُماً وجلودا

وكأنَّهم عِندَ النِّزالِ صوارِمٌ ... قد فارَقتْ يَومَ النِّزالِ غُمودا

يتَبَرَّكونَ بِلَثمِ تُربةِ خيرِ مَنْ ... قَهَرَ الضَّلالَ وأظهَرَ التَّوحيدا

---

(١) من أمراء الدولة الأيوبية .

(٢) زرود : اسم مكان .

(٣) اليَعْملات : النياق وعملت الناقة بأذنيها : أسرعت . واليَعْملة : الناقة االنجيبة .

(٤) سقطت في المصورة من كلمة : بالأكفّ ، واللام والألف .

(٥) لاثو : لفوّا وأداروا العمائم .

صلّى عليهِ اللهُ ما أَبدىٰ الدُّجى نجماً وما رَفعَ الصَّباحُ عَمودا

وكأنَّهم شَرْبٌ تعاطَوْا قَرْقفاً عُنقودُهـا أكرِمْ بِـهِ عُنقودا

راحٌ صَريفينِيَّةٌ[١] صاغَتْ لهـا كفُّ المِزاجِ مِنَ الحَبابِ عُقودا

من نَشْرِها الساقي يُحرِّقَ عُودا وبِشَدوِهِ الشادي يُحَرِّكَ عُودا

وكأنَّما تُحْدىٰ النِّياقُ بِمَدحِ عِزِّ الدِّينِ إذْ تُحْدىٰ فَتطوي البيدا

لكَ يا أُسامُ يَدٌ تعوَّدَ ظَهرُها لَثْماً وباطِنُهـــا تَعوَّدَ جودا

ولَكَ الأَيادي البيضُ تدرأُ عَن بَني الآمالِ أنيابَ النَّوائبِ سودا

أَبَنَيْتَ داراً قل لنـا أم جَنَّةَ م المأوىٰ حَباكَ بهـا الإلٰهُ خُلودا

حيطانُها الذَّهَبُ السَّبيكُ وماؤها ذَوْبُ اللُّجَيْنِ لِمَنْ أَرادَ ورودا

وكَـأنَّما النَّارِنجُ في بُسْتانِهـــا يُهدي منَ الغيدِ الحِسانِ نُهودا

وكأنَّمـــا فيهِ الغصونُ موائساً رَنَّحْنَ من هَيَفِ الخُصُورِ قُدُودا

وكأنَّما فيهِ الرُّخامُ الماءُ سَيَّا لاً هُريقَ فَمـــا يُطيقُ جُمودا

وكأنَّما النَّـــارنجُ نارٌ أُجِّجَتْ لم تُبْدِ في خُضْرِ الغصونِ خُمودا

دارٌ تدبَّرَها السُّرورُ فقصَّرتْ عنها القُصورُ وصُدْتَ فيها الصِّيدا[٢]

كم مأْزِقٍ غادَرْتَ أَبطالَ العِدٰى فيهِ ثعـالِبَ إذْ أَتوهُ أُسودا

---

(١) صريفينية : الخمر الصريفينيَّة منسوبة إلى صريفين ، وهو نهر يتخلج من الفرات

(٢) تدبرها : أحاط بها ، من الدائرة .

ورِدٌ وسَهمُ ثمراً وخِرصانَ[1] القنا زَهْراً وأوراقَ الرِّماحِ بُنودا
أطْلَعتَ كوكَبَ[2] في السَّماءِ كأنَّهُ سَعْدُ السُّعودِ فَلا بَرِحتَ سَعيدا
فَيَراهُ منْ عاداكَ سَعْدَ الذَّابِحِ القَطّاعِ منهُ أخادِعاً ووريدا[3]
ببناءِ عجلونٍ تهدَّدتَ العدىٰ عَجلاً يَهدُّ بلادَها تَهديدا
حِصنٌ سَما بصعودِهِ وسُعودِهِ طُولاً فأرهَقَ من عَصاكَ صُعودا
لولا جِفانُكَ في الفَلاءِ لأصبَحَ المَوْجودُ في أيّامِهِ مَفقُودا
عُلْتَ اليتامىٰ والأرامِلَ جائِداً إذْ لم يَكنْ جودٌ يُرىٰ موجودا
ورَدَدتَ عنكَ ٱلفارِسَ ٱلصِّنْديدَ في يَوْمِ ٱلهِياجِ ٱلفارِقَ[4] ٱلرِّعديدا
مَوْلايَ عِزَّ ٱلدّينِ دَعوَةَ مُخْلِصٍ ما زالَ يَمنَحُكَ ٱلثَّناءَ جَديدا
اِسْمَعْ قَريضاً عندَ إنشادي لهُ في النّاسِ يَجْعَلُ في ٱلعَبيدِ عَبيدا
جَزلٌ رَقيقُ النَّسْجِ راقَ فَصاحةً يثْني لَبيداً في ٱلقَريضِ بَليدا
أَنتَ الّذي أعطاهُ سَيفُ ٱلدّينِ وٱلدُّنيا زِمامَ ٱلمُلْكِ وٱلإقْليدا[5]
أَنتَ الّذي ما خانَ سُلْطاناً ولا نَقَضَ ٱلوَفاءَ ولا أضاعَ عُهودا

---

(١) الخِرصان: جمع خِرص وهو سنان الرمح.
(٢) كوكب: قلعة قرب طبريا.
(٣) سعد الذابح: فصل من أيام الشتاء الباردة.
(٤) الفارق: الخائف.
(٥) الإقليد: القلادة، والمفتاح بلغة اليمن. والعُنُق؛ جمعها: أقلاد.

أَسْقَيْتَ طَيْبَةَ[1] طِيبَ ماءٍ دُونَهُ ماءُ ٱلْعُذَيْبِ عُذوبَةً وبُرُودا
أَبْشِرْ بورْدِ ٱلْحَوضِ إِذْ تَسْقِيكَهُ يُمْنَىٰ أَميرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَتِيدا
أَبقَيْتَ ذِكراً طابَ في ٱلدُّنيا وفي ٱلأُخرىٰ تَجيءُ بِهِ النَّبِيَّ شَهِيدا
أَقسَمْتُ لَوْ رامَ ٱلإِمامُ زِيادَةً مِنْ فَوْقِ فِعلِكَ ما ٱسْتَطاعَ مَزِيدا
المجْدُ مِنْ شَكْواكَ شاكٍ بَثَّهُ وٱللهُ شافٍ مُبْدِئاً ومُعيدا
فَكَساكَ رَبُّكَ ثَوْبَ عافِيَةٍ تَسُرُّ بِها وَلِياً أَوْ تَسُوءُ حَسُودا
فإذا سَلِمتَ لَنا فَكلٌّ سالِمٌ وبِبُرْءِ رِجلِكِ نُظْهِرُ ٱلتَّعْيِيدا
قَدَمٌ سَعَيتَ بِها وطُفْتَ بِمَكَّةَ ٱلْعُظْمىٰ فَسَعْيُكَ لَمْ يَزَلْ مَحْمودا

وقال يمدح الأمير سعد الدين مسعود[2] بن بشارة صاحب بانياس رحمه الله :

أَنّى[3] ٱهْتَدى طَيْفُ ٱلْحَبيبِ لِمَرْقَدي وٱللَّيلُ مَكْحولُ ٱلْجُفونِ بِإِثْمِدِ
وافىٰ دِمشْقَ إِلَيَّ لَيْلاً مُسْئِداً مِن حاجِرٍ أَهلاً بِهِ مِن مُسْئِدِ[4]

---

(١) طيبة : اسم المدينة المنورة . والعذيب : اسم موضع .
(٢) من أمراء الدولة الأيوبية .
(٣) وردت في الأصل « أنا » بالألف .
(٤) المُسئِد : الذي يغذ السير .

يَخْطُو أَفاحيصَ ٱلْقَطَا ويدوسُ أُدْ ... حِيَّ ٱلنَّعامِ علىٰ مُتُونِ ٱلْفَدْفَدِ[1]

ويُرَوِّعُ ٱلرِّيلانَ وهيَ جَواثِمٌ ... بِٱلدَّوِّ بينَ نَعامَةٍ وخَفَيْدَدِ[2]

واهاً لِطَيفٍ مُطْمَئِنٍّ زارَني ... وٱلخَوْفُ قدْ أَلقىٰ علىٰ كَبِدي يَدي

إِبّانَ أَيُّ عَزيمَةٍ لمْ تَنْتَقِضْ ... فيـــهِ وأَيُّ فَريصَةٍ لمْ تُرْعَدِ

وعساكِرُ ٱلمصرِيِّ مُحْدِقَـــةٌ بِنا ... أَطْلابُها[3] كأَجيجِ نارِ ٱلْمَوْقِدِ

نارٌ أَتتْ منْ مِصْرَ أَذْكَتْها لنا ... إِحَنٌ أُثيرَ كَمينُها منْ صَرْخَدِ

وٱلطَّعْنُ منْ سُلْكىٰ ومنْ مَخْلوجَةٍ ... خَلْساً كَوَلْغِ ٱلذِّيبِ مَزْؤُوداً صَدِي[4]

هُمْ أَطلَقُوا طِرْفَ ٱلْغَلاءِ فجاءَنا ... عَن طِرْفِ رُخْصٍ بالفَلاةِ مُقَيَّدِ

ما بينَ جَدْبٍ نحنُ فيهِ ورُخْصِهِمْ ... إِلّا كَغَلْوَةِ سَهمِ رامٍ جَيِّدِ[5]

حَتّىٰ إذا جارَ ٱلْخَيالُ كَأَنَّما ... أَوْلاهُ سَلَّةَ بعْضِ سَيْفٍ مُغْمَدِ[6]

---

(١) الأفاحيص : مفردهـا أفحوص . والأدحي جمع أدحية ، وكلاهما مستقر البيض . والفدفد : الصحراء .

(٢) الريلان : جمع رأل ، وهو ولد النعام . والدّوّ : الصحراء . وخَفَيْدَد : السريع ، والظليم : وهو ذكر النعام .

(٣) اطلاب : جمع طِلْب ، وهو الطالب .

(٤) السُّلكى : الطعنة المستقيمة لقاء الوجه . والمخلوجة : الطعنـة ذات اليمين وذات الشمال . خلساً : خطفاً . والولغ : شرب الذئب أو الكلب . والمزءود : الخائف . والصَدِي : الظمآن .

(٥) الغلوة : المرّة ، والغاية ورمية سهم إلى بعيد ، جمعها غَلَوات وغِلاء .

(٦) سلّ السيف : أخرجه من غمده ، والسَّلة والسلة : حالة استلال السيف .

جادَ ٱلخَيالُ بما بِهِ ضَنَّ ٱلّذي أَهْوى ولَمْ تَكُ زَوْرَةً عنْ مَوْعِدِ

يَا حُسْنَها منْ لَيلَةٍ مُبْيَضَّةٍ بالحُسْنِ تَحْتَ أَدِيمِ لَيلٍ أَسْوَدِ

لَوْلا حديثُ نُفوسِنا ما ٱصْطادَتِ ٱلأَحلامُ لَيلاً طَيْفَ منْ لَمْ يُصْطَدِ

لمَّا رَأَيتُ ٱلنّاسَ هَرّوا فِتْنَةً ضَبِثَتْ بَراثنُها بِكلِّ مُوَحِّدِ[1]

فالشِّرْكُ في عَيْشٍ رَفيعٍ أَرْغَدِ والسِّلْمُ في طَيْشٍ وحالٍ أَنْكَدِ

وتَفرَّقوا صِنْفَيْنِ : سُنِّيّاً وشِيعِيّاً وكلٌّ قائلٌ : أَنا مُهْتَدِ

هٰذا يَميلُ إلىٰ أَبي بَكْرٍ وذَا يَبغي عَلِيّاً مُخْلِصاً بِتَوَدُّدِ

وسَقَتْهُمْ ٱلأهواءُ كَأْساً لمْ تَدَعْ ذَا مُسْكَةٍ في ٱلنّاسِ غيرَ مُعَرْبِدِ

نادَيتُ : ماليَ في زماني غيرُ سَعْدِ ٱلدِّينِ مَسْعودٍ إِذَنْ منْ مُسْعِدِ

كَمْ نِعْمَةٍ أَوْلىٰ وكَمْ مِن نِعْمَةٍ مَشْهورَةٍ أَسْدى إِلَيَّ وكَمْ يَدِ

فلَهُ ٱلهَناءُ بِكلِّ حَوْلٍ حائِلٍ أَبداً علَيْهِ في طَوالِعِ أَسْعَدِ

ومُهَفْهَفِ ٱلأعطافِ مَهْضومِ ٱلحَشا كٱلغُصْنِ في حِقْفِ النَّقا ٱلْمُتَأَوِّدِ[2]

عاطَيْتُهُ كأْساً ، نِظامُ حَبابِها شَمْلُ ٱلهُمومِ بِهِ حَليفُ تَبَدُّدِ

---

(١) ضبث بالشيء : قبض عليه . هرَّ، هرّاً : ساء خلقه . وهرّ في وجهه : صوّت.

(٢) الحقف : تل من الرمل، الكثيب، جمعه أحقاف، النّقا : القطعة من الرمل . المتأوِّد الذي يتمايل ويتثنى .

في رَوْضةٍ مِسْكيَّةِ النَّفَحاتِ كالسِّيْراءِ ضاحِكةٍ عَنِ ٱلزَّهرِ النَّدي[1]

فيها غَديرٌ غادَرَتْ أَيدي الصَّبا ... في مَتْنِــــهِ نَقْشاً كَنَقْشِ ٱلْمِبْرَدِ

أَوْ مَتْنِ سابِغَةٍ إِذا مَـا ٱجْتابَهـا ... في الرَّوْعِ سَعْدُ الدِّينِ رَبُّ السُّؤدَدِ[2]

مُرْدي الفَوارِسِ من سُروجِ جِيادِها ... يَومَ الوَغىٰ بِمُثَقَّفٍ ومُهَنَّدِ[3]

أَرضتْ خَلائِقُهُ الخَلائِقَ كلَّها ... وأَطاعَ خـــالِقَهُ بِحُبِّ مُحَمَّدِ

ذو هِمَّةٍ في الناسِ عالِيةٍ لهــــا ... قَدْرٌ تَعالى فوقَ فرْقِ الفَرْقَدِ

لا زالَ في نِعَمٍ لَدَيهِ مقيمةٍ ... محروسَةٍ من رَيْبِ دَهرٍ مُفَنِّدِ

وقال يمدح الأَمير سعد الدولة بن محسن[4] بن نصر بن سرايا رحمه الله :

تقُولُ صِحابي والمَطِيُّ بنا تَخدي ... وتُحْدى وقَد شَمَّت شَميمَ رُبا نَجدِ

أَما لَكَ من حَثِّ السُّرى كلَّ ساعةٍ ... وإِسآدِها في المَهْمَهِ البيدِ من بُدِّ

فَقُلتُ ذَروني لا أَباً لِأَبيكُمُ ... فبالقَدْحِ يَبْدو السُّقطُ قَسْراً من الزَّندِ[5]

ولولا مسيرُ الشَّمْسِ في كُلِّ ساعَةٍ ... لما انتقلتْ من بُرجِ نَحسٍ إِلى سَعْدِ

---

(١) السيراء : الذهب الخالص ، ونوع من البرود مخطط بأصفر ، ونبات .

(٢) اجتاب : القميص : لبسه .

(٣) المثقف : الرمح ، المهند : السيف .

(٤) من أمراء الدولة الأيوبية .

(٥) السُّقط والسِّقط : ما سقط من النار بين الزندين ، والزَّنْد : العود تقدح به النار وزَنَد النار : قَدَحَها .

ولَوْ لَمْ تَهُزَّ الجِذْعَ مَرْيَمُ لم تَذُقْ من الرُطَبِ الحُلوِ الجنيِّ جَنى الشَّهْدِ
كذلك موسى أَنْبَعَ اللهُ بالعَصَا له الماءَ بعدَ الضَّربِ من حَجَرٍ صَلْدِ
وليس الحُسام الهندُوانيُّ حائزاً حَميدَ الثَّنا لولا مفارَقَةُ الغِمدِ
ولا السَّهمُ يوماً في الكِنانَةِ نافِعاً إذا لم يَلُجْ في كلِّ مُحْكَمَةِ السَّرْدِ[1]
وسيّانِ عَجْزُ السَّمهَرِيِّ وصدرُهُ إذا نَجمُهُ لم يَسْرِ في ظُلْمَةِ الكَبدِ[2]
وإنَّ عِتاقَ الخَيلِ لولا عِداؤها لما وسمُوها بالمطَهَّمةِ الجُرْدِ[3]
ولو أَلِفَ الليثُ الهَصورُ عَرينَهُ لَماتَ طوىً فيه وإنْ كان ذا لِبدِ[4]
ولو لم يَجُبْ أَبناءُ شادي مهامِهاً لما ملكوا من أرض قُوصٍ إلى الهندِ
ولا كانَ كلٌّ مِنهُمُ في مَمَالكٍ يُعايَنُ كالأَسكندَرِ البانِيِ السَّدِّ[5]
فحتى مَ استمري جَنَا العَجزِ وادِعاً وأَكْرَعُ في ماءِ الخُمُولِ على عَمْدِ
فلا أَنا ذو مالٍ فتؤثَرَ عِشْرَتي ولستُ بذي جاهٍ فيرهَبَني ضِدّي
ولي مَنطِقٌ إمّا سلَلْتُ غِرارَه يَعُدْنا كِصاً عن حَدِّه كلُّ ذي حَدِّ[6]

---

(١) محكمة السرد، أي النسج ويقصد بذلك: الدرع.

(٢) كبَد الأمر: قصده، والكبد: وسط الشيء ويقال للأعداء سود الأكباد وهو ما يقصده الشاعر من البيت:

(٣) العتاق: الأصيلة، المطهمة، والجرد، صفات حسنة للخيل.

(٤) الهصور: الأسد لأنه يهصر فريسته، أي يكسرها ويحطمها.

(٥) كسر الياء على الأصل وذلك بأن تكون مجرورة إذا حركت وهي من الضرورات الشعرية النادرة.

(٦) الغرار: من السيف والرمح.

سأدفع في صَدرِ التَّواني بِراحتي ... وأَلطُمُ خَدَّيْ هزْلِهِ بِيَدَيْ جِدِّي
وأَنفُضُ كُمِّي في وُجوهِ مَعاشِرٍ ... هُمُ زَجَروني فيكَ عن سَنَنِ القَصْدِ
وأَنظِمُ شِعراً كالعُقودِ طَلاوَةً ... يُرى كلُّ بيتٍ منه واسِطَةَ العِقْدِ
وأَكسوه عِزّاً أَقْعَساً بانتمائِهِ ... إلى مجدِ مَعنٍ يالَكَ اللهُ من مَجْدِ
إلى دَوْحَةٍ بالمكرُماتِ تَهَدَّلت ... فأَغصانُها تُجْنَى على القُرْبِ والبعدِ
شأَى العلماءَ الراسخينَ فكُلُّهم ... على صَدَرٍ من علمِهِ وعلى وِرْدِ
إليه تُنَصُّ العيسُ من كلِّ موطنٍ ... فمن طالبٍ علماً لديه ومُستَجدي[1]
تواضَعَ عما يستَحِقُّ وإِنَّه ... على ذاكَ سامي القدرِ والذكرِ والجَدِّ
فكم نِعَمٍ أَهدى وكم من عمٍ هدىً ... فبورِكَ من هادٍ ومن ماجدٍ مُهْدي
وإني وإن يَمَّمْتُ بالمدْحِ غيرَه ... لأَبعدُ خَلقِ اللهِ عن طُرُقِ الرُّشدِ
له أُسرَةٌ إنْ يَدْعُهُمْ لِمُلِمَّةٍ ... يُلبُّوه بالبيضِ الظُّبي والقَنا المُلْدِ
هُمُ كَبُدُورِ التِمِّ في السِلمِ بَهْجَةً ... وهمْ في مَجالِ الحَربِ أَدْهى من الأُسْدِ
إذا احتَدمتْ نارُ الوَغى اقتحموا الرّدى ... على كل مَحْبُوكِ الفَرا شَيْظَمٍ نَهْدِ[2]
ثَبُوتٌ وأَطرافُ القَنَا رُعَّفٌ دَماً ... وللبيضِ فتكٌ في القوائسِ والسَّرْدِ[3]

---

(١) نصَّ : استحثَّ يقال : نصصت الدابة .

(٢) محبوك الفرا : محبوك الجلد وقد تكون هذه الكلمة : القرا ، بالقاف ، والقرا ، هو الظهر ، والمحبوك منه المجموع والقصير وهي من صفات الخيل الحسنة . والشيظم الطويل الجسم . والنهد : الفرس الجميل .

(٣) السَّرد : اسم جامع للدروع والقوائس جمع قويسة وهي مصغر القوس .

أَلا إِن مَعْنَ بن المُحسِّن لم يَزَل … له المكرُماتُ الغُرُّ في الغَوْرِ والنجدِ
له رَغبةٌ في الحَمدِ لم تُغْشَ رَهْبةً … ولكنه في الذمِّ ،لم يألُ ، ذو زُهْدِ
ولولاه كانَ الفضلُ في الشامِ ضائعاً … وقدرُ بني الآداب أَحقَرَ من قِرْدِ
وإلّا أَروني فاضِلاً ليسَ عِندَه … لِمَعنٍ يدٌ يوماً ولا سِيَّما عندي
لبيدٌ بليدٌ إن روى الشعرَ منشِداً … أَجل وعبيدٌ ثمَّ أَصغرُ من عَبدِ[1]
وَعى صدرُهُ ما في خزائِنِ كُتْبِهِ … وإن كنَّ كُتباً زائداتٍ عن العَدِّ
تضمَّنَ أَبكارَ المَعاني وعُونَهــا … فجُدْنَ لقارِيهِنَّ بالعِيشَةِ الرَّغْدِ[2]
وسِيرَتُهُ في النــاسِ أَحسَنُ سِيرةٍ … مقصِّرَةٌ عن شَأْوِها سِيرَةَ المَهْدي
وقد كانَ جَدّي نائِمــاً قبلَ قَصده … فَمُذْ جِئتُــهُ أَصبَحْتُ منتَبِهَ الجَــدِّ
أَياديه أَنستْني دِمشقَ وأَهلَهــا … وإنْ أَشْبَهَتْ في حُسْنِها جنةَ الخُلدِ
وما ذا عَجيبٌ بل سَلَوْتُ بنشرِهِ … ومعروفِهِ عن إِخوَتي وذَوي وُدِّي
فعكس اسمِهِ لا نيطَ عكسٌ بجسمِهِ … جوابٌ لمن يستنجِزُ الوَعدَ بالنقدِ[3]

---

(١) لَبيد ، وعَبيد : شاعران من أصحاب المعلقات هما لبيد بن ربيعة وعبيد بن الأبرص .

(٢) الأبكار : جمع بكر وهي العذراء ، ويقصد بذلك المعنى الجديد ، والعُوْن . جمع عَوان وهي النَصَف في سنها .

(٣) نيط : من ناط : علق ، أي لا علق عكس بجسمه .

إذا كانَ في قومٍ وأصلَدَ زندُهم فما زَندُهُ يوماً بكابٍ ولا صَلْدِ[1]
عطاياه لم تُمنَنْ بمنٍّ ولم يكنْ بمُعطٍ قليلاً إذ يجود ولا مُكدِ[2]
يَرى بِصَوابِ الرَّأي في اليومِ كلَّما يَجيءُ غداً من حَلِّ أَمرٍ ومن عَقْدِ
نَهُوضٌ بأعْباءِ السِّيادَةِ لم يكنْ بِوانٍ ولا واهي العُرى واهنِ الشَّدِّ
إذا افترَّ ثغرُ الهَزْلِ عَبَّسَ جِدُّهُ فيالَكَ من هَزْلٍ ويالَكَ منْ جِدِّ
مُفيضٌ على قُصَّاده وعُفـاتِهِ بسَحَّيْنِ من صَوْتَيْ نوالٍ ومنْ رِفْدِ
فوَرَّثَهُ اللهُ السعادةَ سَرْمَداً على رغمِ آنافِ العِدى وذوي الحِقْدِ
ولا بَرِحتْ أيامُهُ مُستطيلةً مُشَيَّدَةَ البُنْيانِ بالعزِّ والسَّعْدِ

* * *

(١) صلد : الزند : صوت ولم يور ، وصلد الرجل ، يصلد : بخل .
(٢) لم تمنن : لم تقطع من المن وهو القطع وكدى وأكدى : بخل .

حرف الذال

وقال يتغزل بمليح من بني مُنْقِذ[1] :

مَنْ مُنْقِذي مِنْ مُنْقِذِيٍّ عِشْقُهُ ... بَحْرٌ غَرِقتُ بِهِ ومالِيَ مُنْقِذُ
مُتَدَلِّلٌ صَلَفاً عَلىٰ مُتَذَلِّلٍ ... كَلِفاً وليْسَ لَهُ إِلَيهِ مَنْفَذُ
رِيمٌ متىٰ ما يَرْنُ تَرْمِ بِأَسْهُمٍ ... لَحَظاتُهُ حَبَّ ٱلْقُلوبِ فَتَنْفُذُ
فَكأَنّما أَذْكىٰ بِقَلْبي هَجْرُهُ ... نارَ ٱلمجوسِ إِذا أَصطَلاها المَوْبَذُ[2]
بَهَرَتْ عُقولَ ٱلعالَمينَ صِفاتُهُ ... فَمُبَسْمِلٌ مِنْ حَوْلِهِ ومُعَوِّذُ
إِنْ تَسْتلِذَّ عَذابَنا فَقُلوبُنا ... في جَنَّةٍ بِعَذابِها تَتَلَذَّذُ
مُتَصَرِّفٌ في سَلْبِ أَلبابِ الوَرَىٰ ... فكأَنّما هوَ في التَّصَرُّفِ جِهْبِذُ[3]
كَبِدي بِعَقْرَبِ صُدْغِهِ مَسْلوبَةٌ ... وبلَحْظِهِ إِذْ كانَ سَيْفاً تَفْلَذُ[4]

---

(١) عائلة مشهورة كانت تقطن قلعة شيزر إلى جوار حماه ومنهم الأمير الشاعر أسامة بن منقذ .

(٢) المَوْبَذ المُوْبذان ، والمَوبَذان : فقيه الفرس ، وحاكم المجوس جمعه : موابذة .

(٣) الجهبذ : الضليع القدير في عمله .

(٤) فلذ : قطع ، والفلذة : القطعة ،والمضارع : يَفْلِذُ .

أَنْبُـــذْ مَلامي يا عَذُولُ فإنَّني لِلْعَذْلِ فيـهِ وراءَ ظَهْري أَنبُذُ
فجَمالُ يُوسُفَ لَوْ رَأَى حُسْنَ الّذي أَهوىٰ لكانَ لِحُسْنِهِ يَتَتَلْمَذُ
ظَبْيٌ يَسُلُّ مِنَ ٱلْجُفونِ السّودِ بِيـــضَ الهِندِ تُصْقَلُ لِلْجِلادِ وتُشْحَذُ

وقال أَيضاً :

أَبْصَرَني مُوَلَّهاً مُدَلَّهاً مِنْ حُبِّهِ أَسْلَمَني إلى الأَذٰى
فقالَ : مَنْ قاتِلُ ذا ؟ واهاً لَه قُلْتُ لَه : القاتِلُ مَنْ ، قاتِلُ ذَا

* * *

حرف الراء

وقال يمدَحُ الملكَ النّـاصِرَ صلاحَ الدّينِ أَبا المظفَّر يوسُفَ بنَ أَيّوب أَفرشَه اللهُ مِهادَ الرِّضوانِ وبوَّأَهُ بُحْبوحَةَ الجنـانِ ، ويذكر ما منَحَهُ اللهُ بهِ من الفتحِ المُبينِ والنَّصرِ ٱلْعزيزِ ، وأَنشدَهُ إِيّاهـا بمحروسةِ قلعة دمشق في ثالث وعشرين رجب سنة ثلاث وثمانين وخمس ماية[1] :

تُبْنَىٰ المَمالِكُ بالوَشيجِ الأسمَرِ ... والبيضُ تَلْمَعُ في ٱلْعَجاجِ الأَكْدَرِ[2]

وبكُلِّ أَجرَدَ شَيْظَمٍ يَعْدو إِلىٰ ـــ الهَيْجا بِمقْتَحِمِ المهالِكِ مِسْعَرِ[3]

والعَدْلِ والإِحسانِ والمعْروفِ مَمْـــلوءَ الحِياضِ لموسِرٍ ولِمُعْسِرِ

والحِلْمِ وٱلْعفوِ اللَّذَيْنِ شَذاهُما ... مُتَضوِّعٌ كَأَريجِ مِسْكٍ أَذْفَرِ[4]

كفعالِ مولانا صلاحِ الدينِ ذي ... المجد الغُدامِسِ والعطاءِ الكوثرِ[5]

---

(١) هذه المقدمة بخط الناسخ ، وقد أثبتناها كما وردت .

(٢) الوشيج : الرماح أو شجرها .

(٣) المِسْعَر : موقد نار الحرب ، وكذلك هي من صفات الجياد .

(٤) الأذفر : ذَفِرَ الشيء : ظهرت رائحته .

(٥) الغُدامِس : المشهور ، وتأتي غَذامِس أيضاً بالذال . الكوثر : الكثير .

أَعْيَتْ وأَعْجَزَتِ البَلِيغَ صِفاتُه ... فالمسهِبُ المنطِيقُ مثلُ المُقْصِرِ

خُلِعَتْ عليـه خِلْعَةُ المُلك الّتي ... زِيدت بهـاءً بالطِرازِ الأَخْضَرِ

أَهْدى صلاحُ الدينِ للإسلامِ إذ ... أَردى قبيلَ الكفرِ مالم يُكْفَرِ[1]

ربُّ المَلاحِمِ لم يؤَرِّخ مِثلَهـا ... العُلَماءُ قِدماً في قـديمِ الأَعْصُرِ

من رامَ من كُلِّ المُلوكِ مَرامَـهُ ... تُخْفِقْ مساعِيـهِ ويكْبُ ويَعْثُرِ

من سَنْجَرٌ وأَقَـلُّ مملوكٍ له ... أَعـلا وأَغلى قيمـةً من سَنْجَرِ[2]

يغزو الملوكَ الرُّعبُ قبـلَ مسيره ... في عَسْكَرٍ أَفْتكْ بِهِ من عَسكرِ

هو كاسِرٌ كِسرىٰ ومُتْبِعُ تُبَّعٍ ... ذُلّاً أَحاطَ بهِ وقاسِرُ قَيْصَرِ[3]

فَلِجَيْشِهِ ولِعَزمِـهِ متضائِلٌ ... جيشُ الهِرقلِ وعَزمَةُ الإسكندرِ[4]

راياتُـهُ صُفْراً تَرِدْن وتنثني ... حمراً تَمُجُّ نجيعَ آل الأَصفرِ[4]

لِمَ لَمْ تَدِنْ شوسُ الملوكِ له وقد ... ملكَ السواحِـلَ في ثلاثـةِ أَشهُرِ

واستنقذَ البيتَ المُقـدَّسَ عَنْوَةً ... من كلِّ ذي نَجِسٍ بكُلِّ مطهَّرِ

---

(١) كفر يكفُر : ستر ، ومنها الكفر .

(٢) اسم شخص . ونظنـه معز الدين سنجر شاه بن غـازي الثـاني من نسل عماد الدين زنكي .

(٣) قاسر : من قسر يقسر : قهَرَ ، ومنه : اقتسَرَ . كسرى وتُبَّع وقيصر أسماء لملوك قدماء .

(٤) هرقل : ملك الروم ، والإسكندر هو المقدوني . تمجّ : تبصق . النجيع : الدم . آل الأصفر : هم الروم .

كم سابحٍ من خيلهِ في رُسْغهِ تاجٌ لِمَلكٍ في التراب مُعفَّرِ

كم ردَّ من مَلْكٍ عزيزٍ أَصْعَرِ يُدعى بمملوكٍ ذليلٍ أَصْعَرِ [1]

إنّ الأَقاليمَ التي هي سَبْعَةٌ دانت له قَسْراً بِسَبْعَةِ أَبْحُرِ

والسَّبْعَةُ الأَفلاكُ تَخْدُمُ جَدَّه حتى قُوى كيوانِها والمُشْتَري

لم يألُ مشتَرِيَ الثناءِ بِمالِهِ حُسْناً فنِعمَ المُشْتَرىٰ والمُشْتَري [2]

تنهلُّ يُمناهُ بِجَدواهُ فخمسُ بنانِهِ للخَلْقِ خمسةُ أَنهُرِ

كالنيلِ في مصرٍ وسَيْحونٍ وجَيْحونٍ ودِجلَةَ والفُراتِ الأَكبَرِ

فَليَهنِهِ الفتحُ الذي سُدَّت به عن مُلكِهِ أَبوابُ غَدرِ الأَدْهُرِ

فتحٌ تَطَأْطَأَ كلُّ فتحٍ دونَهُ والشَّمسُ تكسِفُ كلَّ جِسمٍ نَيِّرِ

يا ناصِرَ الإسلامِ فُزْتَ بموردٍ حَسَنِ النثا في العالَمينَ ومَصْدَرِ [3]

البحرُ أَنتَ لكَ السَّواحِلُ باعثاً سُحْبَ الحَيا جوداً وقاذفَ جَوْهَرِ

أَنْشَأْتَ مَلْحَمَةً تُمِلُّ مُقاتِلَ الفُرسانِ بالعَدَدِ الذي لم يُحْصَرِ

إِعرابُها ضَربُ الحُسامِ ونَقْطُها وَقعُ السِّهامِ وخَطُّها بالسَّمهَري

---

(١) الأصْعَر : الصَّعَر : ميل في العنق ، ويقصد به الكِبْر والإعراض والتكبُّر .

(٢) نسخ هذا البيت إلى جانب القصيدة وكان سها عنه الناسخ .

(٣) النثا : الخَبَر ، والإشاعة .

والحِبْرُ بَحْرُ دَمٍ تَغَطْمَطَ مَوْجُـهُ إذ ليس ثَمَّ سوى الثرى من دفترِ[1]

والبيضُ تنثُرُ وهي غيرُ خواطِبٍ والسُّمرُ ناظمةٌ وإن لم تَشْعُرِ[2]

والخيـلُ مطربةٌ كأنَّ صهيلَها شَدْوُ النُّحيلَةِ في نسيب البحتري[3]

نشوى تَميدُ من السرور كأنّما صَبحتْ كُؤُوساً من شرابٍ مُسْكِرِ

فلقد وأدتَّ الشِّركَ يومَ لَقيتَهم وغَدَوْتَ للإسلامِ عينَ المُنْشِرِ

وأرَيْتَهُمْ لما التقى الجَمعانِ بالبيتِ المقـدَّسِ هَولَ يومِ المَحْشَرِ

ورَدَدْتَ دِينَ اللهِ بعـــدَ قطوبه بالمَسْجِـــدِ الأقصى بوجهٍ مُسْفِرِ

وأعدتَ ما أبداهُ قبلَكَ فاتحـــاً عمروٌ فأنتَ شريكه في المَتْجَرِ

حتى جمعتَ لِمعشرِ الإســـلام بينَ الصَّخْرةِ العظمى وبينَ المِشْعَـــرِ

فلِصخرةِ البيتِ المقدَّسِ كُفْؤها الحَجَرُ المُفَضَّلُ عند أفضلِ معشَرِ[4]

فكأنَّهُ إنسانُ عَـــينٍ صُورةً يَلْقـــاكَ أسوَدُه بمعنى أنْوَرِ

جاشَتْ جيوشُ الشِّركِ يومَ لقيتَهم يتدامَرُونْ على مُتُونِ الضُّمَّرِ[5]

---

(١) تغطمط الموج والماء : اضطرب وسمع له صوت .

(٢) كتب هذا البيت بجانب القصيدة .

(٣) النُحَيْلة : مُغنّية ، والبحتري الشاعر المعروف .

(٤) الصخرة : هي صخرة القدس ، والمَشْعر والمِشعر الحرام : مكان بالمزدلفة من مواطن الحج . والحجر : هو الحجر الأسود .

(٥) جاش : اهتـاج واضطرب . ودمر عليهم دموراً : هجم هجوم الشر . ودامر الليلَ : كابده وسهره .

وكأنهمْ بحرٌ تدافَعَ موجُـــهُ بظُبىً وزُغْفٍ مُحْكَمٍ وسَنَوَّرِ[1]
أَوردْتَ أَطرافَ الرِّماحِ صدورَهُم فولَغْنَ في عَلَقِ النجيعِ الأَحمرِ
فهناكَ لم يُرَ غـــيرَ نَجْمٍ مُقبلٍ في إِثرِ عِفريتٍ رَجيمٍ مُدْبِرِ
ولّوْا وعُقْبانُ المَنونِ مُسِفَّـــةٌ والخيـــلُ تعثُرُ بالقَنا المُتَكَسِّرِ
لا ينظُرونَ سِوَى حُسَامٍ مُشْهَرٍ ومِنَ الدِّماءِ كأَنَّـــهُ لم يُشْهَرِ
رُفِعَتْ سماءٌ من سَنابِكِ خَيلِهِم مُسْوَدَّةٌ أَرْجاؤُهــــا من عِثْيَرِ
فالقَوْمُ نهبٌ للسِّبـــاعِ تنوشُهُم من كلِّ ذي نابٍ وَصاحِبِ مِنْسَرِ
فَمَنِ الذي من جيشِهِم لم يُخْتَرَمْ قَبْـلاً ومَن مِن جمعِهِمْ لم يؤْسَرِ
حتى لقـد بِيعَتْ عَقائلُ أُرْهِقَتْ بالسَّبْيِ بالثَّمَنِ الأَخَسِّ الأَحْقَرِ
من كلِّ حُورِيٍّ ضَئيلٍ مُوَشَّجٍ كالغُصنِ مَيّاداً ثقيلِ مؤزَّرِ[2]
وأَوانسٍ مثلِ الشُّمُوسِ سَوافِراً مِنْ كاعِبٍ مِثلِ الغَزالِ ومُعْصِرِ
آضتْ أُسودُهُمُ ثَعـــالِبَ ذِلَّةٍ فَهُمُ فرائِسُ كلِّ ليثٍ قَسْوَرِ
ماتُوا بِغُلَّتِهِمْ وأَرْوَىٰ مِنْهُـمُ بيضَ الصَّوارِمِ بالدَّمِ المُثْعَنْجِرِ[3]

---

(١) الزَّغَف : الليّن من الدروع والواسع المحكم . السَّنَوَّر : حمَلَة السلاح ، ولباس كالدرع .

(٢) حُوريّ : نسبة للحَوَر ، كناية عن بياض الجسد واسوداد العَين . الموشّج : الملتف ، من وشج : التف . المؤزَّر : الشديد ، ومكان وضع الازار .

(٣) المثعنجر والمسحنفر : السيل الكثير .

صرعىٰ كأنَّهمُ تماثيلٌ من الكافورِ من دَمِهِم رُدِعْنَ بعنْبَرِ [1]

ما قوبلوا بجحافلٍ بل قوتِلوا بملائك حضرت بأَيْمنِ محضر

شَكَتِ الفيافي ثِقْلَ وَطءِ جُيوشِهِ فبناهُمُ رَصْفاً كَبَسطِ المَرْمَرِ

فالخَيلُ لا تمشي بها إلا على هامٍ منضَّدَةٍ وشَعْرٍ أَشْقَرِ

نَهَبَتْ عُفَاةُ الطَّيرِ من حَدَقٍ بها زُرقٍ فُصُوصاً من نفيسِ الجوهَرِ

كم أُودِعَتْ دَوِّيَّةً داوِيةً صُرِعوا بها في المَعْرَكِ المُسْتَوْعِرِ [2]

جعلت لها الثاراتُ في آنافنا أَرَجَ العَرارِ وطيبَ عرفِ العَبْهَرِ [3]

بالسيفِ رَدَّ السيفُ بحراً من دَمٍ يَنْبوعُهُ من هامَةٍ أو مَنْحَرِ [4]

بَحرٌ صَوارِمُهُ القَنَا وقُلوعُهُ رَاياتُهُ والسُّفْنُ كلُّ مُضَمَّرِ

حَصَّ الخَوافي والقَوادم من جناحيهم وشقَّ القلبَ بالقلبِ الجري [5]

حُصِدوا وكان الغدر بذرُهمُ فقدْ دُرِسُوا به وذُرُوا بِأَوْخَمِ بَيْدَرِ

ما إنْ ترىٰ إلا مساكِنَهُم وهُمْ صَرْعىٰ الصَّوارِمِ باليَبابِ المُقْفِرِ

---

(١) رَدِع به : لُطخ به ، وتغير لونه .

(٢) الدَوّية ، والداويّة ، والدوّ والدَوّي : الفلاة الواسعة .

(٣) العَرار والعبهر : نباتان طيبا الرائحة .

(٤) المَنْحَر : المذبح ، أو العنق .

(٥) حصَّ الشعر : حلقه وأذهبه .

سَقَتِ المماليكُ الكرام ملوكَهُم كأساً به سَقَتِ اللئيمَ الهَنْفَري[1]

مَضَتِ الملوكُ ولم تنلْ عُشْرَ الذي أوتيتَـــهُ من مَنْجَحٍ أَو مَفْخَرِ

وبذاكَ آثَرَكَ الإلٰهُ عَلَيْهِـمُ يا مُوْثِراً أُوزعتَ شكرَ المؤثرِ[2]

أَرسلتَ من خَلَلِ العَجاجِ صَواعِقاً تَهْمي عليهم من فُتُوقِ كَنَهْوَرِ[3]

وعجمتَ عودَ صَليبِهم فكَسَرتَهُ وسِواكَ أَلفاه صَليبَ المكْسَرِ

أَغلى الأَداهِمَ من أَسَرْتَ وأُرْخِصَتْ بيضُ الصَّوارِمِ من نهابِ العسكرِ[4]

وجَعلتَ شَرْقَ الأَرضِ يَحْسُدُ غربَها بِكَ فهو داعٍ دعوة المستَنْصِرِ

يرجو شِفاءَ غَليلِهِ ويؤمِّـــلُ الإيقاعَ فيـــــهِ بمفتنٍ ومُفْتَرِ

فُتَّ المدائحَ يا صَلاحَ الدينِ فاعـــتَذَرَ المُبَرِّزُ في الفصاحَةِ فاعْـذُرِ

فَبِمَ ٱلْعُفاةُ يُشَبِّهونَكَ في النَّدىٰ والْبَأْسِ حارَتْ فِكرَةُ ٱلْمُتَفَكِّرِ

كَمْ خازنٍ لكَ مثلُ أَلْفَيْ حاتمٍ كَرَماً ومَمْلوكٍ كأَلْفَيْ عَنتَرِ

أَفْلاذُ أَكبادِ ٱلْعِبادِ طَحا بهـا رَبُّ ٱلْعِبادِ إِلىٰ سَناكَ الأَبْهَرِ[5]

وٱسْتَعْظَمَ الأخبارَ عنكَ مَعاشِرٌ فٱسْتَصْغَرُوا ما ٱسْتَعْظَمُوا بِالمَخْبَرِ

---

(١) الهنفري : اسم ملك الصليبيين .

(٢) أُوزع : أولع وأُلهم .

(٣) كنَهْوَر : قطع السحاب الكثيرة .

(٤) الأداهم : جمع أدهم وهو القيد .

(٥) طحا الشيء : وقع به : وطحا القوم : تدافعوا . والأبهر : المشرق ، النيِّر .

ما كُلُّ مَلْكٍ عِندَما أُوتِيتَهُ   إلاَّ قُلامَةُ بَعْضِ ظُفْرِ ٱلخِنْصَرِ

لا يَعْدَمَنْكَ ٱلْمُسْلِمونَ فَكَمْ يَدٍ   أَوْلَيْتَهُمْ مَعْروفُها لَمْ يُنْكَرِ

أَمَّنْتَ سِرْبَهُمُ وصُنْتَ حَريمَهُمْ   ودَرَأْتَ عَنْهمْ قاصِماتِ الأظهُرِ[1]

لَمْ تَخْلُ سَمْعاً مِنْ هَنـاءِ مُهَنِّىءٍ   لِلْمُسْلِمينَ ومِنْ سَماعِ مُبَشِّرِ

ما إنْ رآكَ ٱللهُ إلاّ آمِراً   فيهِمْ بِمَعْروفٍ ومُنْكِرِ مُنْكَرِ

مُتَواضِعاً لِلهِ ـ جلَّ جَلالُهُ ـ   وبكَ ٱضْمَحَلَّتْ سَطْوَةُ ٱلْمُتَكَبِّرِ

كَمْ بِالنَّدى عانٍ فَكَكْتَ وبالرَّدى   عاتٍ كَفَفْتَ بِخَوْفِهِ أَمْنَ ٱلْبَرِي

هلْ تُعْجِزَنْ [صُورٌ] مَلِيكاً ناصِراً   لِلهِ أَيْنَ يَسِرْ يُسَرَّ ويُنْصَرِ[2]

حَتّىٰ لَخِلْنا أَنَّهُ إنْ يَلْتَمِسْ   نَـثْراً لِمُنْتَظِمِ ٱلثُّرَيّا يُنْـثَرِ

ما سُورُ [صُورٍ] عاصِمٌ مِنْهُ وهَلْ   سُورُ ٱلْمَعاصِمِ عاصِمٌ لِمُسَوَّرِ

فَلْيَمْنَحَنْكَ ٱلْبَحْرُ دُرَّةَ تاجِـهِ   إذْ رُعْتَـهُ بِخَميسِكَ ٱلْمُتَنَمِّرِ[3]

بَحْرٌ زُعاقٌ ماؤُهُ مُتَكَدِّرٌ   يَعْنو لِبَحرٍ طابَ غَيْرَ مُكَدَّرِ

فَٱنْهَدْ لِصُورٍ فَهْيَ أَحسَنُ صُورَةٍ   في هَيكَلِ ٱلدُّنيا بَدَتْ لِمُصَوِّرِ

لمّا مَلَكْتَ حُصونَ [أَنطاكِيَّةٍ]   يَئِسَ ٱلصَّليبُ وحِزْبُهُ مِنْ مُظْهِرِ

---

(١) قاصم الظهر : المصيبة المؤلمة .

(٢) صور : بلدة على ساحل لبنان .

(٣) الخميس : الجيش .

أَرْدَيْتَ كلَّ مُثَلِّثٍ متكبِّرٍ ... بِمُوَحِّدٍ متواضِعٍ فمكبِّرِ

برزَتْ إلى (بُرزَيْه) عَزْمَتُكَ الَّتي ... مَدَّت يداً عن مطلبٍ لم يقصُرِ (١)

فتناولَتْهُ بأَيْدِها من باذخٍ ... في الأُفْقِ ذِي مَثَلٍ يروع مُسَيَّرِ (٢)

عِشْ عُمْرَ نوحٍ يا ٱبْنَ أَيّوبٍ وكُنْ ... مَلْكاً سُلَيانا وجاهِدْ وٱظفرِ

فَبَنوكَ كٱلأَسْباطِ كلٌّ مِنْهُمُ ... في ٱلْمُلْكِ يَبلُغُ عُمْرَ سَبْعَةِ أَنسُرِ (٣)

فازَتْ قِداحُكمُ وكلُّ مُلوكِها ... بَرِمٌ فلَيْسَ مُيَسَّراً لِلْمَيْسِرِ

لا زالَ ظِلُّكمُ ٱلظَّليلُ ولا خَلَتْ ... مِنْ ذِكْرِكم في ٱلدَّهرِ ذرْوَةُ مِنبرِ

وقال أَيضاً يمدحه قدّس الله روحه ونوّر ضريحه :

لِحاظُ المَهى لا بابلٌ تنفُثُ السحْرا ... وخمرُ اللَّمى يُنسي صَريفينَ والخمرا (٤)

رَنون فلو أَلْفَيْنَ هاروت نافثاً ... وماروت جاءاها ليقتبسا السِّحرا

ودونَ الكثيبِ الفردِ من أَيْمنِ الحِمى ... ظِباءٌ لها أُسْدُ الشرى في الهوى أَسْرى

وسمراءُ في فيها ينابيعُ قَرْقَفٍ ... ولكنَّها من ثَغرِها حُصِبت دُرّا

---

(١) بُرزَيْه : أحد قواد الصليبيين .

(٢) الأَيْد : القوّة .

(٣) الأسباط : جمع سِبط ، وهو ولَد الولد . والسبط من اليهود : القبيلة .

(٤) اسم بلدة وتسمى أيضاً « صريفون » وهي قرية في العراق .

أُحَلَّأُ عنها ظاميـــاً غيرَ أنّني وإنْ لم أَذُقْهَا للَصريعُ بها سُكرا[1]

رمتني بوجـدٍ ثِقلُهُ ثِقْلُ رِدفِهـا فها أنا منـه ناحِلٌ أُشبِهُ الخَصْرا

فَمِـن رِدفِها والوجهِ والقدِّ سافراً رأيتُ ارتجاجَ الحِقفِ والخوطَ والبدرا

أَبى طيفُهـا الزَوّارُ إلّا ازورارَهُ فهل علمتهُ في الكرى الصَّدَّ والهجرا

يدوسُ أَداحِيِّ النَّعام اعتسافُـهُ ويخطو أَفاحِيصَ القَطَا كلَّما أسْرى

أَتى الشامَ من أَكنافِ حاجِرَ موهِناً وعادَ واسدافُ الدُّجى تكتُمُ الفجرا[2]

فقلتُ لهُ أَهـلاً وسهلاً ومرحَبـاً بطيفِ حبيبٍ طارقٍ أبعَدَ المَسْرى

وجاب الموامي البيدَ تَعزِف جِنُّها وفيها قلوبُ الرَّكبِ طائرةٌ ذُعرا[3]

فما نِلتُ منه غير أَنْ صدَّ مُعرِضـاً فاسمعتهُ الشكوى فأَوسَعَني هَجْرا

وولّي وأَلقى الوَجْدَ بالقلب بَرْكَهُ فأَذرتْ غروبَ الدمعِ مقلَتيَ الشكرى[4]

وأَتبعتُـــهُ لمـــا تولّى ، التفاتةً وأَنّة مَصدوعِ الحَشا تصدَعُ الصَّخْرا

وأَنفاسَ صبٍ لو دنا من زفـــيرِه لظى الرُّمحِ قيدَ الرُّمحِ أَحرقتِ الجَمْرا

تولّى ولمّـا أَقضِ منـــهُ لُبانَةً أَكانَ عليهِ أَنْ يعذِّبني نَذْرا

---

(١) أُحَـلّأُ : أمنع .

(٢) حاجر : اسم موضع ، والموهن : نصف الليل .

(٣) الموامي : جمع مَوْماة : الصحراء والبادية القفر .

(٤) البَرْك : الكلكل ، الصدر . والشكرى : الملأى وأصلها للضرع .

أَبى الحُبُّ إلّا أنني بعْـدَ عِـزَّةٍ ذليلٌ لمن بالحَبّ يستَعْبِدُ الحرَّا
وما عاشِقٌ من ليسَ يَخْضَعُ ذِلَةً لمعشُوقِهِ إذ يلزَمُ العِزَّ والكبرا
إذا ما أمروٌ وَدَّ الغَواني صَرمَنـهُ وأَضْمَرنَ في مكنونِهنَّ له العُذْرا
يُرِدنَ ثراءً دائمـــــاً وشبيبةً فاحسِنْ بِقَدْري عِنْدُهنَّ إذن قدْرا
هُريقَ شَبابي وٱستُشِنَّ لِشَقْوَتي أَديمي فلَمْ أَملِكَ شَباباً ولا وفرا[1]
وكيفَ يَنال البيضَ والسُّمْرَ عاشِقٌ يُرى مُفلِساً لا يَمْلك البيضَ والصُفرا
تَبَيَّنَ لي خيطٌ من الفَجرِ ناصِعٌ إلى جنب خيطٍ حالكٍ وخط الشعرا[2]
نبا بي شبابي حين لم أَرْجُ عودةً وفارقت منه الظِّلَّ والورق الخُضرا
أَلَهفي على لَهْوِ الشَّبـابِ وعصرِهِ فيـاطِيبَـهُ لهواً ويا حسنَهُ عصرا
وهَوَّنَ عِندي اليأْس من عَودَةِ الصِّبى رجاءُ صلاحِ الدين أَنْ يَهَبَ الوفرا
لقد هَتَفَتْ يُمنـاه في الدهر بالغنى فما أَحدٌ غيري بهِ يشْتَكي الفقرا
فكفّاهُ كفّا نائباتِ نُيوبِـهِ ولليُمن يمنـاهُ ولليُسرِ اليُسرى
فصيحٌ فمن أَهْـدىٰ إليه فصاحـةً يكنْ مثلَ من أَهْدىٰ إلى هَجَرَ التمرا[3]
غـدت مثـلَهُ أَسيافـهُ ورماحُـهُ يَحُزْنَ بِحَوْمات الوَغىٰ الفتحَ والنَّصرا

---

(١) استشن: أخلَقَ ، بلى ، والوفر : الثراء .
(٢) وخَطَهُ الشيب : خالطه أو فشا فيه .
(٣) هجر : بلدة في البحرين مشهورة بالتمر ، وهي جميع أرض البحرين ، وهجر أيضاً : بلد بقرب المدينة .

دمشقُ هي الفردوسُ طيباً وعَدْلُهُ هو الشمسُ لم يَجْعَلْ لها دونَهُ سِترا

فيامَلِكَ الإسلامِ أبقيتَ في الوَرى لَكَ الدهرَ ذكراً طيباً يا له ذكرا

لَنِلتَ الذي فاتَ الأمانيَّ شأوُهُ من المُلْكِ في دنياكَ واستغرَقَ الفِكرا

فجودُكَ عَمَّ العالمينَ وخصَّهُمْ ولم نَرَ جوداً قبلَهُ مَلأَ الدَّهْرا

أَبى لكَ لَثْمُ السُمْرِ إعمالَكَ السُّمرا ورشفُ ثغورِ البيضِ أن تَملِكَ الثغرا

وضمُّ الحصانِ البكرَ ركضَكَ في الوَغى حصاناً عليهِ تَفتِكُ الفَتْكَةَ البِكرا

وحُبُّكَ تطنيبَ الخيامِ مُقوَّضاً خِيامَ العدى بالقسرِ أَنْ تأْلَفَ القصرا

وإيرادُكَ الراياتِ صُفراً صوادياً وإصدارُها ريّا تَمُجُّ دِماً حُمْرا

فخيلُكَ تَغشى الرَّوْعَ شُعْثاً ضوامِراً شَوازِبَ قد عوَّدْتَها الفَتحَ والنَّصْرا[1]

ترى الحَربَ رَوْضاً والدُّروعَ بِها أَضىً وسُمْرَ القَنا دَوْحاً وخِرْصانَها زَهرا[2]

سَنابِكُها عزَّتْ بإذْلالِكَ العِدىٰ فذا استَخْذوا كُنَّ من عِزِّها صُعْرا

وكَم قلعةٍ أنكحتَها السِّلْمَ عاصِماً وطلَّقْتَ مِنْها بعدَ عِصْمَتِها الكُفْرا

فغنّى بها الإسلامُ رافِعَ صَوْتِهِ يُغرِّدُ والأعداءُ تَنظُرُها شَزْرا

وما أنكحونا طائعينَ فتاتَهُمْ ولكِنْ نكَحْناها بأسيافِنا قَسْرا

---

(١) الشوازب جمع شازب : وهي الخيول المضمرة من شَزَب .

(٢) أضىً : الأضاء والأضاة والأضى : الغدير يشبه به الدرع ، والخرصان : خرصان الشجر : قضبانها وخرصان الرماح : أسنتها ، والخِرْص الحلقة .

وجاشت جيوشُ الشِّرْكِ تطلبُ ثأرَها ... لَديكَ فكانوا الهَدْيَ ينتظرُ النَّحْرا[1]

أتَوْكَ وأفواهُ المَنايا فواغِرٌ ... لِتطْعَنَهُمْ شَزْراً وتضرِبَهمْ هَبْرا

ضَربتَ الشِّتا في أَخْدَعَيْهِ مُجاهِداً ... فغادرْتَ سَهْلاً مِنْكَ مالمْ يزَلْ وَعْرا[2]

فجَيْشُكَ ما يُثْنيهِ قَيْظٌ عنِ العِدى ... ولا خافَ مِنْ صِنٍّ ولا هابَ صِنَّبْرا[3]

صَبورٌ كأَنَّ الصَّبْرَ أَرْيٌ يَشورُهُ ... إذا ما رأَتْ أعداؤُكَ الصَّبرَ الصَّبْرا[4]

قُلوبُ الأُولىٰ خَلْفَ الفَرَنْجَةِ كلُّهمْ ... وأنتَ بأَرْضِ الشَّامِ ، طائِرَةٌ ذُعْرا

جَزاكَ إلهُ النّاسِ خيْرَ جَزائِهِ ... وخَوَّلَكَ الدُّنيا وأَوْزَعَكَ الشُّكْرا[5]

فلا يَوْمَ إلاّ فيـــهِ فَتْحٌ مُجَدَّدٌ ... تُريدُ بهِ بِشْراً وتُهْدي لنا بُشْرىٰ

وقال أيضاً يمدُحه ويُعَرِّض بأنَّ (جامكِيَّتَه) في كلّ شهر خمسة دَنانيرَ بيض[6] :

---

(١) جاشت : اضطربت ، الهَدْي : الأغنام المخصصة للتضحية يوم عيد النحر .

(٢) نرجح أن تكون الكلمة « الشتا » ولو أنها في الأصل خالية من النقط لأن البيت الثاني يؤيد هذا المعنى .

(٣) صِنّ : الصِنّ أول أيام العجوز والبرد : والصِنَّبْر : الريح الباردة واليوم الثاني من أيام العجوز ، ويكون : اليوم الحارّ كما قال ثعلب فهو من الأضداد .

(٤) الأرى العسل ، وشار يشور : جنى العسل واستخرجه .

(٥) أوْزَع : أَلهَمَ .

(٦) الجامكية ، الراتب ، المعاش .

بِالمَلِكِ ٱلنّاصِرِ زادَ نَصرا   نَقْهَرُ لَزْباتِ الزَّمانِ قَهْرا
كَفّاهُ كَفّا نابَ بَأْسائِهِ   يُمْناهُ يُمْنٌ وَٱلْيَسارُ ٱلْيُسْرى
أَتْبَعَ ذُلّاً تُبَّعاً وَقَيْصَراً   قَسْراً وَكِسْرى بِالسُّيوفِ كَسْرا
وَلِي صِحابٌ عَمِّني وَعَمَّهُمْ   بِمَكْرُماتٍ ما تَزالُ تَتْرى [1]
لٰكِنَّني أَنقَصُ حَظّاً مِنهُمُ   فِيما أَتاني مِنْ نَداهُ بِرّا
هٰذا وَراياتِيَ في ٱلْفَضْلِ غَدَتْ   صُفْراً وَأَيدي ٱلْقَوْمِ مِنهُ صِفْرا
وَغايَةُ ٱلْبُغْيَةِ أَنْ تُجْعَلَ تِلْكَ ٱلحَسَناتُ الخَمسُ عِنْدِي عَشْرا
أَوْ أَنْ أَراها أَشْبَهَتْ سُيوفَهُ   يَرِدْنَ بِيضاً وَيَعُدْنَ حُمْرا

وقال يمدح الملك الكامل ناصر الدُّنيا والدين أبا المعالي محمد ابن الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب أعزَّ اللهُ أنصارَه وضاعَفَ اقتدارَه :

بِي غادَةٌ سَمْراءُ مِثلُ ٱلأَسْمَرِ   تَهتَزُّ في مَتْنِ ٱلْكَثيبِ ٱلأَعْفَرِ [2]
مِلْءُ ٱلإِزارِ ثَقيـلَةٌ أَرْدافُها   جاذَبْنَ خَصْراً ناحِلاً كَالخِنْصَرِ

---

(١) تترى تتوالى ، تتتابع .

(٢) الأعفر : من العَفَر ، والأعفر من الظباء الذي يعلو بياضه حمرة والأبيض مطلقاً .

تُصْبِي ٱلْحَلِيمَ بِهَـــزَّةٍ في عِزَّةٍ وتَمِيسُ في وَرَقِ الشَّبابِ ٱلأخضَرِ

ومَتَىٰ نَضَتْ عَنْها اللِّثامَ تَبَسَّمَتْ فأَتَىٰ تَبَسُّمُها بِسِمْطَيْ جَوْهَرِ [1]

إنّي قُتِلْتُ وقاتِلي مَنْ لَمْ يَشِمْ سَيْفاً سِوى الطَّرْفِ ٱلْكَحِيلِ الأَحْوَرِ [2]

ومِنَ ٱلْعَجائِبِ أَنْ يُرى لَيْثُ الشَّرى في ٱلْغِيلِ مَقْتولاً بِلَحْظِ ٱلْجُؤْذَرِ

تَحْمي بِأَسْهُمِ مُقْلَتَيْها ثَغْرَها فالثَّغْرُ لَيسَ يَرُومُهُ مِنْ عَسْكَرِ

إلاّ خَمِيسٌ كامِلِيٌّ قادَهُ [ٱلأقسيسُ] يَسْري في ٱلْيَبابِ ٱلْمُقفِرِ [3]

خاضَ ٱلهَواجِرَ فَاسْتَظَلَّ بِدَوْحَةٍ فاءَتْ عَلى المَلِكِ الأَعَزِّ الأَكْبَرِ [4]

بِٱلْيُمْنِ حازَ مَمالِكَ ٱلْيَمَنِ الَّتي سَمَقَتْ إلىٰ سَعْدِ السُّعودِ المُشْتَري [5]

وأَشاحَ مُمْتَطِياً إليها عَزْمَـــةً عَنْها تُقَصِّرُ عَزْمَةُ ٱلإسْكَنْدَرِ [6]

وأَتى الصَّلاحَ ٱلْكامِلِيَّ مُبَشِّراً بالفَتْحِ مِنْ مَلْكٍ بِهِ مُسْتَبْشِرِ

فَالفَأْلُ أَخْبَرَ عَن صَلاحٍ كامِلٍ لِلْعـالَمينَ ، وذاكَ أَصْدَقُ مُخْبَرِ

---

(١) السمط : الخيط ينظم فيه الدر أو الجوهر .

(٢) شام السيف يشيمه : أغمدَه واستلّه : (من الأضداد) .

(٣) الاقسيس : اسم أحد القواد .

(٤) الهواجر : جمع هاجرة ، وهي الصحراء وفاءت أظلّت .

(٥) سمق يسمق : علا يعلو ، استطال .

(٦) أشاح إشاحـة : أقبل ، ومنه المشيح والشائح : المقبل عليك المـانع لما وراء ظهره .

بالكامِلِ انتظَمَتْ أمورُ الدِّينِ والدُّنيا بِأَحسَنِ مَنْظَـــرٍ وبِمَخْبَرِ

ولَدَيْهِ أَحْمَدُ كالنَّبيِّ محمَّدٍ في فَتْحِ مَكةَ بعدَ فَتْحةِ خَيْبَرِ

مِنْ آلِ شادي شادَ مُلْكاً باذِخاً كَمْ جامعٍ يُعْلي وكَمْ مِنْ مِنْبَرِ[1]

هُوَ كاسِرٌ كِسْرى ومُتْبِعُ تُبَّعٍ ذُلّاً أَحاطَ بِهِ وقاسِرُ قَيْصَرِ

إِنْ كانَ أَوْحَدَ في الزَّمانِ فَإِنَّهُ مُتَضَمِّنٌ مَعْنى ٱلْعَديدِ الأكْثَرِ

لا زالَ يَضْحكُ ثَغْرُ نصْرٍ ناصِعٌ مِمَّنْ عَصاهُ بَسيلِ دَمعِ السَّمْهَري

فَإِلَيْكَ يا مَلِكَ ٱلْمُلوكِ أَلوكَةً مِنْ شاعِرٍ مِنْ ضَعْفِهِ لَم يَشْعُرِ

بِالعَدْلِ آثَرَكَ ٱلْمَليكُ عَلَيْهِمُ يا مُؤثِراً أُوزِعْتَ شُكرَ المؤثِرِ[2]

فَلَئِنْ أَصَبْتُ بِسَعْدِ جَدِّكَ ذَا وإِنْ أُخطِىءْ فَذاكَ لِسوءِ حَظّي ٱلْمُدْبِرِ

فُتَّ ٱلْمَدائِحَ يَا ابْنَ سَيْفِ الدِّينِ فَاعْتَذَرَ ٱلْمُبَرِّزُ في ٱلْفَصاحَةِ فَاعْذُرِ

فِيمَ ٱلْعُفـاةُ يُشَبِّهونَكَ في النَّدى وٱلْبَأْسِ حارَتْ فِكْرَةُ ٱلْمُتَفَكِّرِ

أَنتَ الّذي هُوَ مِلْءُ سَمْعِ ٱلْمتَّقي حُرَّ ٱلْكلامِ ومِلْءُ عَيْنِ ٱلْمُبْصِرِ

---

(١) آل شادي : هم آل صلاح الدين الأيوبي وشادي هو أبو نجم الدين أيوب أبو صلاح الدين.

(٢) هذا البيت تكرر شطره في القصيدة السابقة التي مطلعها : « تبنى الممالك بالوشيج الأسمر » وهما من نفس البحر والقافية ، وكذلك البيتان اللذان أشير إليهما برقم (٣ ، ٤) فقد تكرر ورودهما .

لا زِلتَ في ٱلْفَتحِ ٱلْمبينِ مُهَنَّأً مِنْ ذي ٱلْمَعارِجِ بِالعَطاءِ ٱلْكَوْثَرِ
ما أَشْرَقتْ زُهْرُ النُّجومِ وما بَدا لِمُسافِرٍ وَجْهُ الصَّباحِ ٱلْمُسْفِرِ

وقال يمدح الأمير فلك الدين سليمان أَخا الملك العادل قدّس الله روحَيهما :

أَلي مِنْ جُفونِ ٱلْغانِياتِ مُجيرُ وأَنّىٰ وسُلْطانُ ٱلْغَرامِ قَديرُ [1]
وكيف اُرَجّى صحو قلبي من الهوى وكاساتُه صِرْفاً عليَّ تدور
وهيفاءَ أَما الوصلُ مِنها فَجَنّة لَدَينا وأَمّا هَجرُها فسَعِيرُ
رآها عذولي فانثنى وهو عاذِري فحسبي عذولٌ راحَ وهو عذيرُ
لها مَبْسِمٌ عذبٌ وثغرٌ كأَنّهُ لَآلٍ يَشُوبُ الراحَ فيهِ عَبيرُ
مَرابِعُ صَبري في هواها عَفِيّةٌ ففي القلبِ منها أَنَّة وزفير [2]
تُدِير علينا قهوةً بابِليّةً لها في عِظامِ الشارِبينَ مَسيرُ
مُعَتقةٌ صهباءَ تَحسَبُ أَنَّها من اللُّطف في فعلِ الزجاج ضَميرُ [3]
وبَيْنَ يَدَيْنا نرجسٌ وبنفسَجٌ ونارٌ ونَوْرٌ في الزجاج ونُورُ
وشادٍ إِذا غنّى حَسَبْنا قلوبنا من الوجدِ من بَينِ الضّلوعِ تطير

(١) أنىَّ : وردت في الأصل بالألف الممدودة :
(٢) عفيَّة : من العَفاء : دارسة .
(٣) استعمال نحوي ، ويقصد أنها كائنة في الزجاج كالضمير بالنسبة للفعل .

يساعِدُهُ إذ يرفعُ الصوتَ مَوْهِناً ... مثانٍ وبَمٌّ عند ذاكَ وزيرُ[1]

إذا اطلقتْ من كفِّها الكأسَ وانثنتْ ... فكلٌّ طليق للغرام أسير

فليسَ لها في حُسنِها من نظيرةٍ ... ولا لسليمان الأمير نظيرُ

اميرٌ يَرُدُّ الرُمحَ أحمرَ قانياً ... وللنفس من خَوف الحِمام هدير

وتشهَدُ مِن أعدائِه يوم كرِّه ... صدورٌ بطعناتٍ له ونُحُورُ

ألا إنما ابناءُ شادِي ضراغِمٌ ... لها بينَ آجامِ الرِّماح زئير

إذا رَكِبوا خِلْتَ الدروعَ عليهِم ... سحائِبَ لاحتَ تحتَهنَّ بدورُ

وإن حَملوا خلتَ الأعادى لديهم ... بُغَاثاً وهم فَوْقَ الجِيادِ صُقور

هُمُ القوْم كلُّ القَومِ باساً ونجدةً ... صغيرُهم في المكرُماتِ كبيرُ

أكفهُّمُ يَومَ النِزّالَ صواعقٌ ... ولكنّها عِندَ النَّوالِ بُحُورُ

وقال أيضاً :

لنا برامَةَ أوطانٌ وأوْطارُ ... ومن ليالي هَوَى أسماءَ أسمارُ[2]

أُسِرُّ وَجْداً ولكني اصِرُّ على البُكا ... ولِلصَّبّ إسرارٌ وإصرار

حمامَ بانِ الحِمَى هَيَّجتَ لِي شَجَناً ... وبالنَقا تُثمِرُ الأشجانَ اشجارُ

به القَماري على الباناتِ صادحةٌ ... وفي القِبابِ على الأغصانِ أقمارُ

(١) المثاني والبمُّ والزير . من أوتار العود .

(٣) رامة اسم موضع : وأسماء : اسم امرأة .

لِيَهْنِ سُكانَ نجدٍ أنَّ مسكنهم قلبي وإنْ نزحتْ ما بيننا الدارُ
أستودعُ اللهَ جيراناً كَلَفتُ بِهِم جاروا وعِندَهُمُ لا يحفظُ الجارُ
ثلاثةٌ حين أَلقى من كلِفتُ بهِ تعتادني ليس لي مِنهُنَّ أنصارُ
من ناظِرَيْه ومن دَمْعي ومن نَفَسي سيفٌ وسَيلٌ ونارٌ دونها النارُ
نشوانُ ريقتُــهُ خمرٌ ونَكهتُهُ عِطرٌ ففي فيه خَمَّار وعَطَّــارُ
كأنه صَنَمٌ تهفو لفتنتــهِ منا قلوبٌ واسماعٌ وأَبصــارُ
من قبلِهِ مارأت عينايَ شمس ضحىً تبدو ومطلعِها جيبٌ وأَزرار [1]
يا قاتلي بضعيفِ اللحظِ فاتِرهِ آهاً له من ضعيفٍ وهو جبّــار
أرى جفونَك ماتنفكُّ قاتِلَةً فهلْ لَهُنَّ علينا في الهوى ثارُ
هَبْني الكرَى ليزورَ الطيفُ حِلْفَ ضَنىً
فما عليــك إذا مازار ، أَوزار

وقال أَيضاً :

هل من حديثٍ قديم العهدِ أَوطاري به تهيجُ لبُــانَاتي وأَوطارى [2]
هاتِ الحديثَ عن الأحبابِ إنَّ لهم قلبي رَهينُ صَبَابَاتٍ وتَذْكار
سَلْ عن فؤادي بسَلع من كلِفتُ بِهِمْ لم اُسكِنوهُ وهم أَلقَوْه في النار [3]

---

(١) ـ الجيب : القميص أو الثوب .
(٢) ـ طاري الاولى مخففة من طارىء أي عارض .
(٣) سلع : اسم موضع

يَهيجُني البرقُ من تِلقاءِ كاظِمَةٍ آهٍ لإيماضِ ذاكَ البارقِ الساري[1]

أَستـودِعُ اللهَ جيراناً أُحبُّهم جاروا ولما يُراعوا حُرمَةَ الجارِ

ماضرَّهُمْ يومَ بينِ الحيِّ لو عَطفَوا على صريعِ هوىً في عَرْصَةِ الدارِ[2]

يُسرى يَدَيهِ فُوَيق القَلبِ تُمسِكُهُ خَوْفاً وقـد مـدَّ يمناه إلى الباري

يدعو وليس له خَلْقٌ يُساعِدُهُ على الصَّبابة إلاّ دمعُهُ الجاري

يا أهل نجدٍ بـكم والله قد وضَحَتْ لِعَاذِلي في الهَوى العُذْريِّ اعذاري

وقال أيضاً :

أقيم طليقـاً بالحِمى وأسيرُ وقَلبيَ بالخدِّ الأثيـلِ أسيرُ

وأبـكي ولي صبرٌ بكيءٌ قليبُهُ ودمعٌ على الظبى الغريرَ غزيرُ[3]

برامَـةَ آرام وأُسـدٌ خوادرٌ فثمَّ بُغَـامٌ يلتقي وزئيرُ[4]

أوانسُ نور باسمـاتٍ ثغورُها بنَوْرِ أقاحٍ مِنهُ أشرَقَ نور

وبيضٌ وسُمْرٌ دُونهنَّ سُرادِقٌ من البيص والسُمرِ اللِدانِ وسُورْ

---

(١) كاظمة : اسم موضع

(٢) عَرْصة : ساحة الدار .

(٣) القليب : البئر ، وبكيء ، قليل الماء .

(٤) رامة اسم موضع ، والأسد الخادر : المقيم في خدره أي أجمته والبُغَام : صوت الغزال

ثغور ظباءٍ حُصِّنت بشبا الظبى م المواضي فهل تلك الثغور ثغور[1]

وبي صوَرٌ في بحَر زَغْفٍ قِبابها محيطٌ بها بحرٌ كذلكَ صُورُ[2]

هَززْنَ قدوداً مائساتٍ كأنهـــا غُصُونٌ على الكُثْب الدِهاس تَمورُ[3]

عقائل صِينَتْ من عُقَيْلٍ بفِتيةٍ كأَنهُمُ فوقَ الجياد صُقورُ[4]

وقال أيضاً :

واسمَرٍ كقضيبِ البانِ مُعْتَدِلٍ ماضي اللِّحاظ ضَعيفِ الطَرفِ فاتِرِهِ

اُعانِقُ الرُّمحَ من حُبّي لقامتِهِ وأَلْثُمُ السَيفَ من وَجْدي بناظِره

وقال أَيضاً :

أَدِر يا نديمي علينـــا عُقَارا تزيدُ الهـــوى وتُزيلُ الوَقَارا

يَفُوحُ لنا المِسْكُ من دَنِّهـــا وقد جاوَرَتْ فيه زِفْتاً وقارا[5]

هي الليـــلُ في دَنِّهـــا ظلمَةً إذا برزتْ فيهِ صارتْ نهارا

---

(١) شبا : رأس الرمح وحد السيف .

(٢) الزَغْف : السحاب الذي أراق ماءه والدرع الليّنة وأطراف الشجر .

(٣) الدِهاس : جمع الدَهْس ، والدَّهاس : المكان السهل ليس برمل .

(٤) عُقَيْل : قبيلة .

(٥) الزّفت ، والقار : نوعان من السوائل يخرجان من الأرض .

سبتها التجارُ فجاءوا بها إلى الشَّرْبِ من صَيْدَنايا وقارَا [1]
فقمْ واسقِني من بَناتِ الكروم على طِفلةٍ من بناتِ النصارى
تظلَّمَ من رِدفِها خَصْرُها لقد حافَ ظلماً عليهِ وجارا [2]
فهاتِ مُداماً تُداوي الخُمارا إذا صَرَعَتْ شاربيها خُمارا
ولا خَيرَ إلَّا احتِساءُ المُدامِ وقد قيلَ ما النّاسُ إلّا السُّكارى
فما أَطيبَ الشُّرْبَ لا سِيَّما على الوَرْدِ مثلَ خدودِ العذارى
تصاعَدُ في الجَوِّ أنفاسُهُ فيرجِعُ وِرقاً علينا نِثارا [3]
ونطمَعُ بالعفوِ من ربنا ومن يستَجِرْ بكَريمٍ يجارا [4]

وقال أيضاً :

لَوْ لَمْ يَلُحْ في خَدِّهِ عِذارُهُ ما وَضَحَتْ لِعاشِقٍ أَعذارُهُ
إِنَّ اصفِراري في الهَوى من هَجرِهِ في خَدِّهِ أَوْجَبَهُ احمِرارُهُ

(١) صيدنايا قرية الى جوار دمشق معروفة بديرها الشهير وقارة بلدة صغيرة بين دمشق وحمص .

(٢) حاف : ظَلَم ، وجار ، ايضاً ظلم ، او انحرف .

(٣) الوَرْق ، والوِرْق ، والوُرْق ، والوَرَق : الدراهم المضروبة ، والنثار : المنثور .

(٤) جاءت « يجارى » على هذه الصورة في نهاية البيت وحقها أن تكون مجزومة لأنها وقعت جواباً للشرط « يُجَر » . من اجار يُجير .

واعجبا لِخدّه إذ جُمِعَ الضِّدَّانِ فيـــهِ ماؤُهُ ونارُهُ
إنّي لَمَقْتولٌ بِسَيْفِ لَحْظِهِ فارثِ لمقتولٍ يَضيعُ ثارُهُ
من ذا يَنالُ ثارَهُ من قَمَرٍ في تِمِّهِ لم يَغْشَهُ سِرارُهُ (١)
سكرانُ لا يصحو وهل يَصْحو الذي في فَمِهِ رُضابُهُ عُقَارُهُ
فاعجب له قضيبَ بانٍ ناشياً فَجُلُّ ناري فيهِ جلَّنارُهُ (٢)

وقال يتغزل بِعُمَرَ غلام ابن المطران :

أَيا غائباً مِنْ بَعدِهِ الأُنْسُ ما حَضَرْ ولا فارَقَتْ عيناي في ليلي السَّهَرْ
فِراقُكَ أَبكاني الدماءَ صَبابَـةً عليكَ إلى أَنْ خِفْتُ أَنْ يَذْهَبَ البَصَرْ
نهاري وليلي مُظلمانِ كِلاهُما نهاري بلا شَمْسٍ وليلي بلا قَمَرْ
وإنّي وإنْ كانَ التَشَيُّعُ مَذْهَبي لَأَكْثَرُ خلق الله شَوقاً إلى عُمَرْ

وقال يتغزل بمملوك اسمه سُنقر أبلّ من مرض أصابه :

كل سَقامٍ زالَ عنْ سُنقرٍ إلّا الذي في طَرْفِهِ الأَحْوَرِ

---

(١) التِمّ : التمام ، حين يكتمل القمر في منتصف الشهر والسَرار : اختفاء القمر ليلة او ليلتين في الشهر ، يقال استسر القمر .

(٢) والجُلَّنار كلمة اصلها فارسية معناها : زهر الرمان وقريب من هذا الجناس قول الشاعر :

كيف اسلو وجُلُّ نارِ فؤادي يتلظّى من جُلَّنار خُدُودِكْ

وَلَّى بَهارٌ كانَ في خَـــدِّهِ   منهزمـــاً من وَرِدِهِ الأحمرِ
وأَسبَلَتْ سُنْبُلَةٌ خَلْفَــــهُ   تَرْنو إلى الميزانِ والمشْتَري
وٱفترَّ غُصنُ البانِ من قَدِّهِ   فَوْقَ الكثيبِ الناعمِ الأعفرِ[1]
وعُلَّ في فيه الأَقاحي مِنَ الرُّ   ضابِ والصَّهباءِ والكوثر

وقال وقد سأله من يعزّ عليه أن يعمل أبياتاً في جارية اسمها « شمس النهار » :

أَديري في الدجى شمسَ العُقارِ   على النُّدَماء يا شمسَ النَّهـــارِ
معتقةً كميت اللَّونِ يبـــدو   بهـــا الضِّدانِ من ماءٍ ونارِ
وساقيـةٍ كغُصنِ البـانِ قـدّاً   سبتنا باْحوِرارٍ واحِمـــرارِ
وقـد غصَّ السِّوارُ فعض زنداً   لهـا ، مَنْ لي بِتَقبيلِ السِّوارِ
أَيحمِـلُ خوطُ بانٍ جُلَّنـاراً   به من وجنتيها جُلُّ ناري[2]
أَمِطْ عني الوَقارَ بهـــا فإنّي   أَرى خلعَ العِـذار على العُقـارِ
ودونَـك فاسقِـني حتى تراني   غـداً يُبكى عَلَيَّ من الخُمـارِ
فمـا سَلَّى الهمومَ كَشُرْبِ راحٍ   كُمَيْتٍ زَنْدُها في اللَّيـلِ واري
إذا صَدَمَت جيوشَ الهَمِّ ولَّتْ   جُيوشُ الهَمِّ تُؤْذِنُ بالفِرارِ

---

(١) الأعفر : الأبيض ، او المشرب ببياض .
(٢) يرجع إلى الحاشية (٢) صفحة (١٦٣) بشأن كلمة جلنار .

فباكرْها على ماءَيْنِ بينَ الـ ... خَمائِلِ منهما ساحٍ وجاري [1]
إذا هَبَّ النسيم عليه أبدى ... لنا نقشَ المبارِدِ وهو طارِي [2]

وقال أيضاً ، وكتبها إلى صديقٍ له :

أجميلٌ بأنْ يُبطِّلَ صوتُ ٱلعُودِ مِنْ عِنْدِنا وعِنْدَكَ خَمْرُ
فَأْتِنا يا أَبا ٱلمحاسنِ إنّا ... كَنُجومٍ وأنتَ لِلشَّرْبِ بَدْرُ
وأْتِنا بِالمُدامِ إنّا أُناسٌ ... ما لَنا عَنْ شُرْبِ ٱلمُدامةِ صَبْرُ
وتَفَضَّلْ كما عُهِدْتَ ودَعْ عَنْـ ... ـكَ ٱعتِذاراً فلَيْسَ يُقْبَلُ عُذْرُ
وإذا ما تَأَخَّرَ ٱلخَمْرُ عَنّا ... كانَ لِلشِّعْرِ فيكَ نَهْيٌ وأَمرُ

وقال أيضاً :

أَدِرْ ياصاحِ كاساتِ ٱلعُقارِ ... وخُذْ في الطَّيْشِ وٱلْهُ عنِ الوقارِ
وقُمْ مُسْتَنْهِزاً فُرَصَ اللَّيالي ... وعَدِّ عَنِ الصِّغارِ إلَى ٱلكِبارِ
فَفِي فَصْلِ الرَّبيعِ وأيُّ فصْلٍ ... يَلَذُّ لِذي النُّهىٰ خَلْعُ ٱلعِذارِ
فقَدْ غنَّتْ عَلى ٱلباناتِ فيهِ ٱلحَمائِمُ وٱلبَلابِلُ وٱلقَماري

(1) ساحٍ : بمعنى جارٍ .
(2) طرأة السيل : دفعته ومعظمه ، وطارىء : مندفع ، مفاجىء .

فَأَطفِ بِنارِ راحِكَ نارَ هَمّي ... فإنَّ النُّورَ يُطْفي كلَّ نارِ
إذا نَحْنُ اجْتَنَبْنا شُرْبَ راحٍ ... نُسَرُّ بِها بِلَيْلٍ أَوْ نَهارِ
فلَيْسَ لِعَيْشِنا هٰذا مَهاهٌ ... ولَيْسَتْ دارُنا الدُّنيا بِدارِ[1]

وقال أيضاً :

سَلَلْتَ عَلَينا بِاللِّحاظِ خَناجِرا ... فَقَدْ بَلَغَتْ مِنّا النُّفوسُ ٱلْحَناجِرا
وما بَرِحَتْ أَجفانُ عَيْنَيكَ في الْوَرى ... فَواتِنَ مَنْ تَرْنو إِلَيْهِ فَواتِرا
وكَمْ مِنْ عُيونٍ فيكَ باتَتْ بَواكِياً ... سَواهِيَ مِنْ طُولِ ٱلْغَرامِ سَواهِرا

وقال أيضاً :

غِبْتُمْ فَأَوْحَشْتُمْ مُذْ غِبْتُمُ الدّارا ... فشَوْقُنا واقِعٌ والصَّبْرُ قَدْ طارا[2]
اللهُ يَعْلَمُ أَنّي بَعْدَكُم قَلِقٌ ... أُسِحُّ دَمعاً عَلى ٱلْخَدَّيْنِ مِدْرارا
لَوْ أَنَّ نارَ اشْتِياقي بَعدَ بُعْدِكُمُ ... دَنَتْ مِنَ النّارِ كادَتْ تُحْرِقُ النّارا

وقال أيضاً :

بِأَبِي أَهْيَفَ مَعْشُوقَ ٱلْعِذارِ ... طابَ لي في حُبِّهِ خَلْعُ ٱلْعِذارِ

---

(١) المَهَهُ والمَهاهُ : الطراوة والحسن والرجاء .
(٢) وقع الطائر : حطَّ على الأرض .

جُلُّ ناري مِنْ جَنىً وَجْنَتِهِ   لَيْتَهُ يُطْفَى بِلَثْمِ ٱلْجُلَّنارِ (1)
بابِلِيُّ اللَّحْظِ مَعْسولُ اللَّمَى   عاصَرَتْ أَنفاسُهُ صِرْفَ ٱلْعُقارِ
وَجْهُهُ كالشَّمْسِ والْفَرْعُ الضُّحَى   عانَقَ اللَّيْلُ بِهِ شَمْسَ النَّهارِ
عَجَباً إِذْ لَمْ أَذُقْ رِيقَتَهُ   وفُؤادي يَشْتَكي داءَ ٱلْخُمارِ

وقال أيضاً :

مَنْ لِصَبٍّ لَمْ تَخْبُ فِي ٱلْحُبِّ نارُهْ   كَيْفَ تَخْبو ومُصْطَلِيها ٱدِّكارُهْ
فَتَأَمَّلْ زَفيرَهُ تَلْقَهُ مِنْ   لَهَبٍ فِي ٱلْفُؤادِ طارَ شَرارُهْ
لَيْسَ يَصْحُو مِنَ ٱلْغَرامِ نَزيفٌ   والهَوَى مِنْهُ خَمْرُهُ وخُمارُهْ (2)
آهِ وَا رَحْمَتا لِمَنْ بِزَرودٍ   إِلْفُهُ نازِحٌ وبالشّامِ دارُهْ
أَيَمَلُّ ٱلْبُكا أَسيرُ غَرامٍ   ما تَقَضَّتْ مِنَ الصِّبا أَوْطارُهْ
لِيَ نَفْسٌ لَمْ [يَبْقَ] إِلاّ ذَماها   وفُؤادٌ فِي ٱلْحُبِّ عَزَّ ٱصْطِبارُهْ (3)
يا عَذولي فيمَنْ يَقومُ بِعُذْري   كُلَّما لاحَ لِلْعُيونِ عِذارُهْ
بَدْرُ تِمٍّ ما قابَلَ ٱلْبَدْرَ إِلاّ   وٱنْسَرَى تِمُّهُ وَوافَى سِرارُهْ

---

(1) يراجع شرح هذه الكلمة في الحاشية رقم (٢) من الصفحة (١٦٣) .
(٢) الخمار : اثر الخمرة ، والنزيف : من نزف دمه حتى يضعف .
(٣) سقطت في الاصل كلمة « يبق » وقد اضفناها لمناسبتها المعنى ، والذماء : البقية من الروح والحشاشة .

بَهَرَ الشَّمْسَ في الضُّحىٰ وَجْهُهُ حُسْناً ويُزْري بِأَوْجِهـا أَزْرارُهْ

عَجَباً لِامْرِئٍ يَعيشُ وقَدْ فا رَقَ أَحْبـابَهُ وشَطَّ مَزارُهْ

قَدْ تَساوى فيما يُكابِدُه مِنْ لاعِجِ الشَّوْقِ لَيْــلُهُ ونَهارُهْ

ساحِرُ اللَّحْظِ لَوْ رَأَى نَفْثَهُ مو سى لَأَعْيَتْ عَلَى الْعَصا أَسْحارُهْ

أَسَفاً مِنْ قَوامِهِ كلَّما نِيــطَ نَحيلاً كَخَصْرِهِ زُنّارُهْ

يَظلِمُ الرِدْفُ خصْرَهُ حين يمشي كيفَ يسعى لِظُلمِه وهو جارهْ

هو مثلُ الغَزالِ لحظاً وجيداً والتفاتاً حتى النِفــارُ نفارُهْ

يُخجِلُ الجُلَّنارَ خدّاه والخمرَ لَمَاهُ والأُقحُوانَ افترارُهْ

يفغَمُ المسك من ثنــاياه والعنبَرُ وهناً فمن تُرى عطّــارُهْ

عانَقَ الحُمْرَةَ البياضُ بِخَدّيــهِ بنفسي ابيضَاضُه واحِمرارُهْ

وتُريكَ النعيمَ زورتُهُ ليـلاً وليسَ الجَحيمُ إلا ازوِرارُهْ

حبذا حاجرٌ واكناف نجدٍ والمصلّى وشيحُهُ وعَرارُهْ[1]

حين بُردُ الشَبابِ ضافٍ قشيبٌ والصِبا الغضُّ يانعاتٌ ثمارُهْ

ونسيمٌ سَرَى فَنبَّهَ زهــرَ الرَوْضِ لمــا تبلَّجت أَزهارُهْ

فَشَمَمْنا وقــدْ تأَرَّجَ منهُ نَشْرُ مِسْكٍ باتتْ تُذَبَّحُ فارُهْ[2]

(١) حاجر ، ونجد ، والمصلّى اسماء مواقع ، الشيح والعرار : نباتان .
(٢) هي : فأرة المسك : التي تذبح لاستخراج المسك منها .

وقال أيضاً :

يَا حَبَّذا نَفَحاتُ جوبَرَ بُكْرَةً   ما هُنَّ إلاّ المِسْكُ والكافورُ
والزَّهرُ مَنْظومٌ على دَوْحاتِــهِ   وعلى بِساطِ رياضِهِ مَنثورُ
ما هَبَّ مَمْدودُ الهَواءِ لنـا بهِ   إلاّ ليَزْدادَ الهَوى المَقصورُ
هِيَ جَنَّـــةٌ محفوفَةٌ بنَعيمِهـا   في ظِلِّهـا وِلْدانُهــا والحُورُ

وقال أيضاً :

أَلاحَ لمّا لاحَ منْ حاجرٍ   سَنـا البَريقِ المُنْجِدِ الغـائِرِ[1]
جرَّدَ في الأُفقِ حُساماً علىْ ـ العارِضِ ذِي الشِّقْشِقَةِ الهادِرِ[2]
يُشَبِّكُ العَشْرَ على قَلْبِـهِ الـ   ـواقعِ في أسْرِ الهَوى الطّائِرِ
يَعجَبُ مِنْ بَلْبالِهِ في الهوى ـ المجْنونِ مَجْنونُ بَني عامِرِ
مَنْ مُنْصِفي مِنْ قادِرٍ راقِــدٍ   عَن طولِ لَيْلِ السّاهِدِ السّاهِرِ
صاحَ لِطُولِ اللّيلِ هَلْ مُؤمِنٌ   بي مُنْصِفٌ مِن كافِرٍ كافِرِ
لا يَرْحَمُ العاشِقَ مِمّا بِــهِ   ولا يُبالي غَـــبَنَ الخاسِرِ

وقال أيضاً :

فَلَكَّ أَسري طَيْفٌ لعَلْوَةَ أَسْرى   ساءَني مُعرِضاً وعادَ فَسَرّا

---

(۱) انجد : ارتفع من النجد ، الغائر : هبط وانحدر : من تغوَّر ، هبط الغَوْر .
(۲) شَقْشَقَ الفحل : هَدَر .

لَيْلَةٌ حُلِّيَتْ بِمِنْطَقَةِ ٱلْجَوْ زاءِ والشِّعْرَيَيْنِ وٱلْجَوْزَهْرَّا[1]

وهِلالُ السَّماءِ يُشْرِقُ والشُّهْـــبُ تَروقُ ٱلعُيونَ نظْماً ونَثْرا

وتَبارى النَّسْرانِ سَبْقاً وقدْ قدَّم سَبقٌ نَسْراً وأَخَّرَ نَسْرا

وتُرِينا بَنـاتُ نَعْشٍ نساءً في حِدادٍ سَفَرْنَ شَفْعاً ووِتْرا[2]

والثُّرَيّا كأَنَّها كَفُّ خَوْدٍ خُتِّمَتْ ياقوتاً وتبراً ودُرّا[3]

وٱلدُّجىٰ هارِبٌ كما تَهْرُبُ الزِّنجُ مِنَ الرّومِ إذْ تَخافُ ٱلْفَجْرا

ولَدينا مِنَ الرَّبيعِ بُرودٌ حَمَلَتْ مِنْ وَشْيِ الرِّياضِ الزَّهْرا

مُبْدِياتٌ حُمْراً وصُفْراً وبِيضاً رائقـاتٍ لنـا وزُرْقاً وخُضْرا

والنَّسيمُ ٱلْعَليلُ قدْ أَيقَظَ ٱلْبا ناتِ حتّى نَفَثْنَ مسْكاً وعِطْرا

والنُّعـامىٰ تَهُزُّ عِطْفَ الخُزامىٰ بينَ يُمنىٰ منَ التَّثَنّي ويُسْرى

ولَدَينا راحٌ مُعَتَّقَةٌ زُفَّتْ إليْـــنا مِنْ صَرْخَدٍ أَوْ بُصْرى[4]

فهِيَ عَذراءُ يَبسُطُ الزّاهدُ النّاسِكُ في شُرْبِها لَدى السُّكْرِ عُذرا

---

(١) الجوزاء ، والشعريان ، والجَوْزهرْ من منازل القمر وقد جاءت في المصورة كلمة « هرّا » مشددة ويجوز أن يكون الشاعر قد قصد موسم هرّ الجوز وهو آخر الصيف .

(٢) بنات نعش : مجموعة من النجوم معروفة .

(٣) يلاحظ أن كلمة «ياقوت» يجب خطفها لاستقامة الوزن .

(٤) صرخد بلدة في جبل الدروز ، وبصرى بلدة في حوران .

دونَ غيدٍ مِنْ شيزَرٍ أُسدُ غِيلٍ   برُءوسِ الرِّماحِ يطْعَنَّ شَزْرا[1]
أَصلَتوا بِيضَهُمْ لِتَمْنَعَ بيضاً   أَشرَعوا سُمْرَهُمْ لِيحْمُوا السُّمْرا[2]
كُلُّ خُمصانَةٍ شَهِيٍّ لَمَاها   طَرْفُها الهاروتيُّ ينفثُ سِحرا[3]
يَا خليلَيَّ خلِّيا ذِكْرَ مِصْرٍ
لسْتُ أَهوى في الأرضِ ماعِشْتُ مصْرا
كَيفَ أَهوى مِصْراً وأَتْرُكُ في جِلَّقَ سَطْرا ، والنَّيْرَبَيْنِ ، ومُقْرا[4]

وقال أَيضاً :

أَبى أَهلُ جَيْرونَ أَلاَّ يَجوروا   عَلىٰ جارِهِمْ وأَبَوْا أَنْ يُجيروا
فكمْ لي هُنالِكَ ظَبْياً غَريراً   لِهجْرانِهِ دَمعُ عَيني غَزيرُ
شَرُودٌ نَفورٌ وقَلْبي عنِ ٱلْمَلامةِ فيهِ شَرُودٌ نَفُورُ
إِذا ٱفتَرَّ عنْ ثَغرِهِ أُخجِلَتْ   منَ الأُقحُوانِ الأنيقِ الثُّغورُ
إِذا لم يَزُرْ طَيفُهُ مَضْجَعي   مُلِمّاً فكلُّ الزِّياراتِ زُورُ
ومن قبلهِ ما رأَى النَّاسُ في   غصونٍ من البانِ تبدو بذور

---

(١) شيزر : حصن الى جوار حماه كان فيه آل منقذ .
(٢) أصلَتَ السيف : سلّه ، وأشرع الرمح : هزّه .
(٣) الخمصانة : المشوقة .
(٤) جلَّق : دمشق أو الغوطة أو مكان في الغوطة وسطرا والنيربان ومُقْرا مواضع في دمشق .

ولي في محلةِ [باب الصغير] غزالٌ له الخطبُ عندي كبير[1]
هو الريمُ لكنـــه ما يُرامُ لَدَيهِ يَـذلُّ الهِزَبرُ الهَصورُ
رضينا بكُمْ فاعْدِلوا أَو فجوروا فترْكُ الرِّضىٰ بهواكمْ فُجورُ

وقال أيضاً :

لاتَخافي من الوُشاةِ وزوري فَكلامُ الواشي شهـــادَةُ زورِ
وجنتاكِ الوَردُ المُضاعَفُ منه لِيَ لونٌ كأَصفرِ المنثورِ
أَنتِ نغَّصتِ بالقطيعَـةِ عيشي أَيُّ عيشٍ لعـــاشقٍ مهجورِ
أَنتِ أَذللتني وكـنتُ عزيزاً في حمىً من مَحَلَّةِ الشاغورِ[2]
بينَ قومٍ لا يَرْهبونَ من المَوْ تِ ونارُ الهيجاءِ ذاتُ سَعيرِ
يُغمِدونَ السُّيوفَ في قِممِ الأَعْـــداءِ حتى تجوزَ حَـــدَّ الصُّدورِ
فالسيوفُ النيرانُ، فاعْجَبْ لنيرا نٍ تُرىٰ من أَكفِّهم في بحورِ
أَنا في مـــدحِهِم مُجيدٌ بلا رِفْـــدٍ ولكن لِودِّهم في الضميرِ

وقال يمدح الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه صاحب بعلبك :

ياذا العِذارِ الذي به عُذْري قام ففيهِ الهَوىٰ هوىً عُذْري

---

(١) باب الصغير : محلة مشهورة في دمشق القديمة تقع إلى جوارها اليوم المقبرة المسماة باسمها .

(٢) الشاغور : محلة قديمة في دمشق واليها ينسب صاحب الديوان .

وجهُكَ مثلُ الإيمانِ أَبيضُ من تُحَيْتِ فرعٍ كظُلْمَةِ الكفرِ[1]
وقدُّكَ الرّمحُ واللحاظُ هي السُّيُوف حــدّاً يومَ الوغى تَفري
وثغرُكَ الثغرُ فهو يُمنــع بالبيضِ المواضي وبالقَنــا السُّمْرِ
والريقُ طعمُ الحيـاة مَطْعَمُـهُ ولم أَذُقْــهُ لكنني أَدري
كم لِيَ في ذا القوام ِحُسنُ مَقاماتٍ وكم لي في الشعرِ من شعرِ
وكم مـديح لِي سارَ في المَلِكِ الأَمجَدِ بَهرامَ شاه ذي الفخــرِ
مَلْكٌ جَوادٌ لولاهُ لم يَكُ في زمانِنــا ذا للشِّعرِ من سِعْرِ
ما أَمَّ جيشاً ولا انتحى بَلَداً إِلّا انثنى بالتأْييــدِ والنَّصرِ
ولم يَزَلْ للعُفــاةِ منتجَعــاً والوجــهُ منهُ البشيرُ بالبشرِ
للحربِ منــه الليثُ المُدِلُّ إِذا كَرَّ صئولاً في الجَحفَلِ المجْرِ[2]
وللندى منــه صَوْبُ غاديةٍ مُثَعنجر الودق هامِرُ القطرِ[3]
إِليـهِ تسعَى العُفــاة سائرةً بِحُسنِ ظنٍّ في الــبرِّ والبحرِ
فَتنثني عنــهُ والحقائبُ والأَفواهُ ملأَى بالْحَمــدِ والشُّكرِ

---

(١) كَفَر : ستر ، ومنه سواد الكُفر ، لأنه يستر الايمان وتُحَيْت : تصغير تحت .
(٢) الصئول : من صال يصول صولاً وصيالاً وصئولاً وصيلاناً : سطا واستطال عليه . والمَجْر : الجيش العظيم .
(٣) المثعنجر : السيل الكثير ، الودق : المطر ، الهامر : الكثير ايضاً .

تيمموا بَعْلَبَكَّ حـين رأوا هُنـاكَ رَبَّ السَّريرِ والقصرِ

مُتوَّجـاً بالعَلاءِ أَحسنُ خلقِ الله عِلمـاً بالنظمِ والنَّـثْرِ

شَأَىٰ ملوكَ الزمانِ كلَّهُمُ فضلاً ودبّوا من بَعْدُ في الإِثْرِ

فلم يَشُقّوا غبارَهُ وحَوىٰ غاياتِ كَسبِ الثناءِ والأَجْرِ

لو كانَ في الدَّهرِ مِثْلُهُ وعزيزٌ ذاكَ لم نشكُ فيـه من فقرِ

ولا اشتكَتْ من كَلالِها قُلُصٌ تقطعُ عُرضَ الفلاةِ والقفرِ (١)

فمن أتاهُ بالشِّعرِ فهو كمن في هَجَرٍ جاء مُهدِيَ التَّمْرِ (٢)

للعيدِ رسمٌ وافاكَ نَطلُبُهُ فَجُـدْ به يا يتيمةَ الدَّهْرِ (٣)

والوقتُ صَعبٌ وبعلبكُ كما تعلَمُ عنـدَ الشِّتاءِ والقَرِّ

فكن سليمانَ المُلْكَ يا ابنَ فَرَخْشاهَ ونوحـاً في فُسْحَـةِ العُمْرِ

فأنتَ أَوْلىٰ الملوكِ كلِّهِمِ بالمُلْكِ فيهم والنَّهْيِ والأَمْرِ

وقال يمدح الأمير أسد الدين سُنْقُرْ رحمه الله :

لا والمطـايا ذُلُلاً في البَرَى تؤُمُّ بالركبانِ أُمَّ القُرى (٤)

---

(١) القلص : جمع قلوص ، وهي الشابة من الإبل ، وتجمع ايضاً على قلائص وجمع قُلُص : قِلاص .

(٢) هجر : قرية الى جانب المدينة ، كما تطلق على مدينةبالبحرين او على البحرين كلها .

(٣) اشارة الى الكتاب الشهير « يتيمة الدهر » للثعالبي ، او للدرة اليتيمة .

(٤) البرَى : التراب وام القرى : مكة المكرمة .

مثلُ الحنـــايا فوَّقتْ أَسْهُماً ... من كلِّ شهمٍ أَشعَثٍ أَغبَرا [1]

أَعني الّتي فضَّلَهـــا رَبُّهـــا ... حتى إذا طافَ بِها ٱستعبَرا [2]

طافَ بِهـــا سبعاً ولبَّى وما ... يَملِكُ رَدَّ الدَّمعِ لما جرى

كم غـادَةٍ خارِقـــةٍ عـادَةً ... مُسْفِرَةٍ كالبـــدرِ إذ أَسفرا

تقولُ باللهِ ٱنْظُروا وٱطلُبوا ... من رَبِّ هذا البيتِ أَنْ يغْفِرا [3]

تَهُزُّ فوقَ الدِّعْصِ غُصْنَ النَّقا ... مُجـاذِباً من لحَظِهـا خِنْجَرا [4]

فَيُبهَتُ النَّـــاسُ حَيارى إذا ... وافت منىً والرُّكنَ والمشعَرا [5]

ما نظرَتْ عينـايَ أَبْهَى وَلا ... أَبهـــجَ من مِصرٍ ولا أَنضرا

أَصبُو إلى القَصرينِ من قَصرِ حَجّاجٍ ومَن بَيْنَهمـــا سيَّرا [6]

اشتاقُ مِن جلَّقَ مصراً ومِن ... جَوْبَرَ أَرتاحُ إلى جَوْجَرا [7]

---

(١) الحنايا : جمع حنيَّة وهي القوس ، فَوّقت : سدّدت .

(٢) جاء في الاصل : اعني الذي والصواب كما رأينا ، اعني التي ، والمقصود « ام القرى » كما يتبين من قراءة الأبيات .

(٣) كتب هذا البيت في الأصل بجوار القصيدة وكان سها عنه الناسخ .

(٤) الدعص : الكثيب ، كومة الرمل .

(٥) منى : الركن ، المشعر ، من اماكن الحج .

(٦) قصر الحجاج مكان في دمشق معروف الى الآن .

(٧) جلق : دمشق ، وجوبر وجوجر : موضعان .

عَـدِّ عنِ النَّيْرَبِ والرَّبْوَةِ العلياءِ والوادي إلى دُمَّرا [1]

فلستُ أختـارُ دِمَشقاً على مصرٍ ولا ميدانَها الأخضرا

ديارُ مصرٍ جنةٌ زُخرِفَتْ وأجريَ النيـلُ بها كَوْثَرا

لكنّها من بعدِ حُبي اكتَسَتْ لِباسَ ذُلٍّ فيـهِ لا يُمتَرى [2]

وزُلزِلَتْ زِلزالَها بَعْـدَهُ حتى اغتدى معروفُها مُنكَرا

ما سكنَ الخَيرُ بها مذْ خَلَتْ من أَسَدِ الدينِ سَرَا سُنقُرا [3]

دمشقُ لما حَلَّهـا اسْتَعْصَمَتْ عَنِ العِدى إذ فَرَّ لَيْثُ الشرى [4]

يَحْمِلُ في آلافِهِمْ وَحْـدَهُ ويَنْثَني بالنَّصْرِ مُسْتَبْشِرا

كأنَّهُ البـازُ مُطِلاً على سِرْبِ القَطا الكُدريّ إذ صَرْصَرا [5]

يعتنق الأعـداءَ مِثلَ اعتنـاقِ العاشقِ المعشوقَ مستَهتِرا

ذاكَ عِناقٌ يُفرِشُ القِرْنَ في صدرِ الحُسامِ العَضبِ ظهرَ البَرى [6]

يُرْدي الكُماةَ البيضَ والسُّمْرَ إذ يُجَـرِّدُ الأبيَضَ والأسْمَرا

---

(١) النَّيْرب : الربوة ، الوادي ، دمَّر : كلها منازه في دمشق .

(٢) يمترى : يشك فيه ، ويطعن بقوله ، ويجادله .

(٣) اسد الدين سنقر : من القواد في الدولة الأيوبية .

(٤) الشرى : جبال في الجزيرة العربية مشهورة باسودها .

(٥) الكُدْري : ضرب من القطا غبر الألوان ، صرصر البازي او الصقر : صاح .

(٦) البَرَى : التراب ، العضب : القاطع ، القِرن : الفارس .

يَعودُ بالتَّهليلِ أَعـــــداؤهُ إذا رَأَوْهُ في الوَغى كبَّرا

فباسمِـــهِ يستهزمُ الرومَ والأَنْدَلُسَ الافــرَنجَ والبَرْبَرا [١]

وذكرُهُ شَرْقــاً وَغَرْباً عَلَا خاقانَ قِدْماً وعَلا سَنْجَرا [٢]

لم تثنِهِ دنياهُ عَن دينِـــهِ ولم يكن في الناسِ مستكبِرا

فارَقَ مُلْكَ الأَرْضِ في مصرَ كي لا يُهْمِلَ العَهـدَ ولا يَغْـدُرا

هـــذا الوَفاءُ المحضُ لاما بهِ السَّمَوْءَلُ استوجبَ أَن يَفْخَرا [٣]

فالطِرفُ ليثٌ وهو صقر وفي الرّمح عُقــابٌ عانقت أَسْمَرا [٤]

يصـــدُرُ بالرّاياتِ حُمْراً إذا وَرَدْنَ صُفْراً أَحسَنتْ منظرا

وما سمعنا مثـــلَ راياتِهِ بجُلَّنــــارٍ كان نَيْلُوفرا [٥]

فكم كميٍّ قـــدَّه سَيفُهُ نِصفينِ فاستافَ الذُّبابُ الثرى [٦]

من بعـدِ أَنْ قـدَّ به الدرعَ والبيضَـةَ والقونَصَ والمغفـرا [٧]

---

(١) الروم والاندلس والبربر : اقوام معروفة .

(٢) خاقان : ملك التتر والترك والصين جمعها خواقين وسنجر : اسم عدد من ملوك السلاجقة .

(٣) السَّمَوأل بن عاديا : عربي يهودي يضرب المثل به في الوفاء .

(٤) الطِّرف . الكريم من الجياد ، والأسمر الرمح .

(٥) الجلنار والنيلوفر : نباتان لهما زهر جميل .

(٦) استاف : شمّ .

(٧) القونص : وردت هذه الكلمة بالـ « ص » ونرى الأصح أن تكون بالـ « س » أيَ القونس : وهو مقدم الرأس ، وذلك أنسب للمقام . والبيضة والدرع والمغفر من ادوات الحرب قديماً .

يا سَيفَ سيفِ الدينِ يومَ الوَغى ... حُقَّتْ لكَ الأَعلامُ أَن تُنْشَرا
يا مُدرِكَ الأَوتارِ من خَصْمِهِ ... إنْ خَطفَ القَوسَ وإن أَوترا
خُذهـا عروساً من فمي تُجْتَلى ... عليكَ يا أَحسَنَ مَنْ في الورى
وَجُـدْ على عبدِكَ إني لَقَدْ ... أَمسَيتُ ما بينَ الورى مُعسِرا
فالله يبقيكَ مَـدَى الدَّهرِ ما ... حَنَّت حُداةُ العِيسِ عِندَ السُّرى

وقال يمدح الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل :

عَـدِّ عن العِينِ واليعافيرِ ... وعن أَثافٍ بقينَ في الدُّوْرِ (١)
تِلكَ عِراصٌ مواثِلٌ دُرُسٌ ... عَدَتْ عليها يَدُ الأَعاصيرِ
فَدَتْ ظِباءُ الفَلاةِ نافِرَةً ... كلَّ طَلاً في القُصورِ مقصورِ (٢)
يبسِمُ عن لُؤلؤٍ وعن بَرَدٍ ... وعن أَقاحٍ وعن سَنا نُورِ
فالراحُ ياقوتَةٌ براحَتِـهِ ... حمراءُ نِيطَتْ بِقُضْبِ بَلُّورِ
متى بدا أَخجَلَ الغَزالَةَ أَو ... رَنا بِطَرفٍ حليفِ تَكسيرِ
دِمَشْقُ كالشَّمسِ لا نظيرَ لها ... يوجَدُ في سائِرِ التصاويرِ

---

(١) العِين : بقر الوحش ، وهي ايضاً جمع العيون . اليُعفُور ، واليَعفُور : ظبي بلون التراب والأثافي : جمع أُثفيَّة : وهي الحجر التي توضع عليها القدر ، ومنه قولهم ثالثة الأثافي : اي ثالثة احجار القدر التي لا يمكن وضع القدر إلا بها .
(٢) الطَلاَ : ولد الظبي ، ومقصور ، مقيم .

كأنَّها جنّـةٌ مُزَخْرَفَــةٌ زَهتْ بوِلدانهـا وبالحُورِ
وكلُّ غُصْنٍ بِكُلِّ فاكهـةٍ دانٍ لجـاني الثِّمارِ مَهْصُورِ
تَهزُّهُ راحةُ النسيمِ على الرِّفْــقِ فَتُبدي اهتِزازَ مقرورِ
وكل نَهرٍ حصباؤه دُرَرٌ جَرى عليهِنَّ ذَوْبُ كافورِ
أَمواجُـهُ كالخيولِ غائرَةً بهـازِمٍ كاسِرٍ ومكسورِ
أَسرَعُ من أَكْلُبٍ وثبنَ وقد رأَيْنَ صَيْداً من السَّواجيرِ[1]
تُطَبِّقُ السَّهلَ والحزونَ معاً بلا دوالٍ ولا نواعيرِ[2]
مرابِعٌ خَيَّمَ الرَّبيعُ بهـا فمـا ترىٰ قلبَهُ بمذعورِ
رياضُهـا من بَنَفْسَجٍ بَهِـجٍ ونَرْجِسٍ مُضْعَفٍ ومنثور
وورِدُها كالخدودِ تصبغُها كلونِها الرّاحُ في القواريرِ
تمنَحُ آنافَنا وأَعيُنَنَـا بكُلِّ حسنٍ وكلِّ تعطيرِ
والطيرُ في الدَّوحِ شادياً غرداً من بُلبُلٍ صافِرٍ وشحرورِ
ومن هَزَارٍ إذا دعا سحراً جـاءَ بداوودَ والمزاميرِ
أُنموذَجٌ للجِنانِ رَبْوَتُهـا تُقَرِّرُ الوَعْـدَ أَيَّ تقريرِ

---

(١) السواجير : جمع ساجور ، وهو خشبة تعلق في عنق الكلب .
(٢) الدوالي : جمع دالية ، وهي الناعورة او شجرة الكرم جمعهـا : دوال . والناعورة أداة لأرواء الأرض ونقل الماء .

سَاحَ بهَا المَاءُ بين مُرْتفِعٍ وذي انتصابٍ وبينَ مجرورِ

ترقُصُ فيها مياهُهَا رَقصاً كمُطْرِبٍ بالسَّماعِ مسرورِ

تنثُرُ دُراً من اللُّجَيْنِ علا على بساطٍ من الدَّنانيرِ

كأنَّ نارَنْجَها الكراةُ إذا ما خرِّطتْ من سبائكِ النورِ

يَلُوحُ بَينَ الغُصُونِ في الوَرَقِ الخُضْرِ فمن ظاهِرٍ ومستورِ

تَصَوْلَجَ[1] الماءُ فهوَ يَطلُبُها رَجاءَ وَصْلِ طِلابَ مهجورِ

فكم حُسامٍ على منابرِ شاذَرْوانِها للمياهِ مشهورِ[2]

ما لميادينها وللشَرَفِ الأعلى نظيرٌ بكلِّ منظورِ

عن شَرَفيها الجنانُ كاسِفَةً راسِفَةً في قيودِ تقصيرِ

دَعْ شِعَبَ بوّانَ والأُبُلَّة والإيوانَ واغمُد غَمدانَ في البورِ[3]

حازَتْ صِفاتِ الكمالِ كالمَلِكِ الصالِحِ ذي المَكْرُماتِ والخيرِ

---

(١) تَصَوْلَج : من الصولجان ، وهو عصا معقوفة ، وتصولج : اعوَجَّ ، وصَلَّج الفضة : اذابها .

(٢) الشاذروان : كلمة فارسية وهي مكان في غربي دمشق للنزهة ، ومشهور هنا : مسلول .

(٣) شعب بوان والأُبُلَّة والايوان وغمدان : اماكن مشهورة والبور الأرض غير المزروعة .

سُبحانَ مَنْ بالإحسانِ زَيَّنَهُ   والحسنِ في مُسْنَدٍ ومأْثورِ
مَلكٌ صهيلُ الجيادِ يُطْرِبُهُ   إطْرابَ من بالسَّماعِ مسرورِ
إنْ لَبِسَ الدِّرْعَ في الكريهةِ والبيضَةَ فوقَ الجبينِ ذي النورِ
تَحَيَّرَ النّاسُ منـــهُ في قَمَرٍ   ما قمرٌ منهُ غيرَ مقمورِ[1]
لَيْثُ وغىً ما لَهُ سِوىٰ البيضِ والنُّشَّابِ والسُّمرِ من أظافيرِ
يَوَدُّ أَنْ يبذُلَ النَّوالَ لِمَنْ   يَقْصِدُ جَدواهُ بالقَناطيرِ
يَهْتَزُّ في سَرْجِـــهِ فَيُعْجَبُ من   غصنٍ نضيرِ الأوراقِ ممطورِ
فالسَّيفُ في كَفِّهِ لهُ وَمَضانُ البَرْقِ ماضٍ عظيمُ تأْثيرِ
والرُّمْحُ يسقي في الرَّوْعِ ثَعْلَبَهُ   طَعْناتُهُ من دَمِ الطَّواميرِ[2]
هـــذا ونُشّابُهُ يطيرُ من الأكبادِ في الحربِ كالعصافـــيرِ
أخلاقُـــهُ كالرِّياضِ رائقةٌ   مما حَوَتْهُ من الأزاهيرِ
أنتَ عِمادُ الدُّنيـــا وأنتَ عِمادُ الدِّينِ حقاً وليسَ بالزورِ
دونَكَها لاعَدِمْتَ قافيـــةً   في الشعرِ ما فَضْلُها بمنكورِ
وجوهُ أبياتِهـا تروقُ إذا   ما أُنشِدَتْ فهي كالدَّنانيرِ
كم لكَ يا اسماعيلُ من مِنَنٍ   مسطورَةِ الذِّكرِ في الأساطيرِ

(١) المقمور : الشرّ ، والمغلوب في القمار .

(٢) الطامور والطومار : الصحيفة وقد تكون هذه الكلمة مصحفة عن (تامور) وهو : النفس ، والحياة ، والقلب . وثعلب الرمح : سنانه .

أَصبحْتَ بينَ الملوكِ أعظَمَهم　　قَدْراً وذِكراً ورافِعِ الطّورِ[1]

فجَمْعُكَ السّالمُ الصَّحيحُ ومن　　عاداكَ غادٍ في جمع تكسيرِ[2]

يا من لِباسُ التعظيم حُلّتُهُ　　يا مُلبِسَ الضِدِّ ثوبَ تصغيرِ

كم من عَدوٍ أنَّثْت عَزْمَتَهُ　　وكنتَ مُستعلِياً بتذكيرِ

دُم أَبداً في عِزٍّ تُدَبِّرُهُ　　بالعزمِ والحزمِ خيرَ تَدبيرِ

ما دامَتِ الأَرضُ والسماءُ إلى　　أَن يأْتِيَ النَّفْخُ بَعدُ في الصُّورِ

وقال يمدح الصاحب الوزير أبا محمد صفي الدين عبد الله بن علي رحمه الله :

فيكَ عَذُولي عَذَرا　　ولائمي قد أَقصرا

طيفُكَ ما وَدَّعَني　　لما سرى بل أَسَرَا

كم لوعةٍ أَسعَرَ بيـن أَضلُعي وأَسأَرا[3]

وحسرَةٍ حاسِرَةٍ　　في كَبِدي إذ حَسَرا

وكم صباحٍ مُسْفِرٍ　　من ثَغْرِهِ إذ سَفَرا

وأَسمَرَ اللَّوْنِ متى　　ما اهتَزَّ هَزَّ أَسمَرَا

(١) الطور : الجبل .
(٢) لا يخفى ما في هذا البيت من تكلف في تسخير الصرف للغرض الشعري .
(٣) اسأر ، ابقى الشراب في الاناء .

أودَعَ في لِثـامِـهِ بَرقاً وأذكى قمرا

واهـاً له من أَسمَرٍ أمسَيتُ فيهِ سَمَرا [1]

رَجَوْتُ أن يَخْفِرَني من هَجْرِهِ فأخفَرا [2]

حفظتُـــهُ أَحفظني دَنوتُ منهُ نفَرا [3]

يا غُصُناً نقطف منـــهُ باللحاظ الثَّمَرا

يا بدويـاً يَعْتَزي إلى عُبَيْدِ بن مِرَا [4]

إرعَ ذِمامي واتَّئِبْ ما حَسَنٌ أَنْ تغدُرا

إنّ الأعاريبَ الأولىٰ طابوا نثاً وعنصرا

واستوطنوا من العلا ءِ والعُلى أعلى الذُّرا

يَرَوْنَ إخفارَ الذِّما مِ في الأنامِ مُنكَرا

وذاكَ ذنبٌ عندهم لفضلِهِم لَنْ يُغفَرا

أَبىٰ لهـــم آباؤُهُمْ ضيماً فسادوا البشرا

كم عسكروا لِذَبِّهم عنِ الذِّمامِ عسكَرا

---

(١) سَمَر : حديث ، حكاية : من سَمَر يَسْمُرُ .

(٢) خفره : حرسه ، حفظه ، واخفر : خان ، ونقض العهد .

(٣) احفظ : غاظ ، أثار .

(٤) مِرَا : مخففة محذوفة الآخر من كلمة اخرى ، هي مراس او مرار او ما شابه ذلك وهذا التخفيف أو الترخيم جار على عادة العرب .

وكم حَمَوْا حقيقــةً ولم يُوَلّوا القهقرا

وكم حُسامٍ أحمرٍ رَدُّوا شَبَاهُ احمرا

وأسمَــرٍ دقوه في كُلى العدى مُنكسِرا[1]

يدعونَ في الحربِ نَزا لِ بالقَنا مُنأطِرا[2]

أَخبــارُهُمْ مُجَمَّلا تٌ في الطروسِ السِّيَرا

هُم زَحزَحوا عن مُلكِهِ كِسرى وأَرْدَوْا قيصرا

ياحارِ إنْ جِئتَ ضُحىً ذاكَ الكثيبَ الأحمرا[3]

وعايَنَتْ عيناكَ حو ذانَ الحِمىٰ والعَبْهَرا[4]

والشِّيحَ والقَيصومَ والـــعرارَ غضاً مُزْهِرا

فَنادِ في وادي القُرَى هل ياعُرَيْبُ من قِرى[5]

سوفَ تَرىٰ من أَسَدٍ دونَ الكثيبِ معشرا

---

(١) الكُلا : جمع كِلْيَة .

(٢) أطَر : القوس عطفها وثناها ، وانأطر الشيء اعوجّ .

(٣) حار : مرخم من حارث ، وقد وردت قافية هذا البيت مطموسة الحرف بعد الـ « الا » فقدرنا أن تكون « الاحمرا » لمناسبة هذه الكلمة لمعنى البيت .

(٤) الحَوْذان ، العبهر ، الشيح ، القيصوم ، العرار : كلها نباتات .

(٥) العُرَيْب ، السكان ، الناس .

كلُّ آمرِىءٍ مُنْصُلُهُ مُنْصَلِتٌ لِيَعْقِرا [1]

وللعشارِ ضجَّـــةٌ مخافةً أَنْ تُنحرا

والشَّـاءُ مُبْـذَعِرَّةٌ مزءُودَةٌ أَن تُعْـتَرا [2]

تَلْقَ رُغـاءً وثُغَا ءً ودَمـاً مُثْعَنْجِرا [3]

والنَّـارُ في يَفاعِهـا قد أُجّجتْ لتُبْصَرا [4]

فقـل لهم ما طِلْبُنا يا أُمراءُ ذا القِرا

خيرُ القِرى أَن تَزَعُوا أَحسنَكُم أَن يَهجُرا [5]

أَجفانُهُ تُدْهِشُ عن جِفانِكُمْ من حَضَرَا

أَسدافُ صُدْغيهِ حَمَتْ سَديفَكُم أَنْ يُمترى [6]

وثغرُهُ يمنَـعُ ثغـرَ زادكُم أَنْ يُثْغَرا

مَنْ لِكئيبٍ قد جفا أَجفانَهُ طيبُ الكرى

---

(١) المُنْصل : السيف ، مُنْصَلِت : مشهور ، مسلول . عَقَر ذبح ، العشار ، النياق .

(٢) ابذَعَرَّ : القوم تفرقوا وفروا وزأد : افزع ومزءود : خائف .

(٣) الرغاء : صوت الجمال ، الثغاء . صوت الغنم ، المثعنجر : السائل بغزارة .

(٤) اليفاع : المرتفع ، الطِلْب : القصد .

(٥) وزع يزع : منع .

(٦) السديف : شحم السنام ، ثغر : ثَلَم ، وامترى الشيء استخرجه .

حيرانَ ما نالَ من الذي يُحِبُّ الوَطرا
يُلصِقُ بالصَّعيدِ قلـباً صادياً منكسِرا
يستاف تُرْبَ حاجرٍ علَّ يوافي أَثرا [1]
يَقتادُهُ الهَوى كما تُقَادُ عَنْسٌ بالبُرَا [2]
يا سَعْدُ عَدِّ عن هوىً فيه ارتكبتَ الخَطَرا
وادفع براحِ الجِدِّ في صدرِ المُزاحِ مُنكَرا
وَحُكْ قريضاً مُونقاً مُفوَّفاً مُحَبَّرا [3]
أَندى من النسيمِ مَطـلولَ الحواشِي سَحَرا
أَبْهجَ من نَبْتِ ريا ضِ الحَزْنِ حينَ نَوَّرا
أَذكى منَ المِسْكِ إذا فاحَ شَذاً وأَعْطَرا
أَحسَنُ من وَعْدٍ بوصـلٍ من حبيبٍ هَجَرا
فاخلَعْ على القاضي صـفيِّ الدينِ منه حِبَرا
على الّذي زَمانُهُ أَضحى بهِ مفتخرا
كم عالمٍ في حَفْلِهِ أَلْقَمَ فَاهُ حَجَرا

(١) استاف : شم ، حاجر : اسم موضع .
(٢) البُرا : جمع بُرَة ، الحلقة من معدن تكون في أنف البعير .
(٣) المونق : الأنيق ، المفوّف المزيَّن ، والفوف نوع من الثياب والمحبَّر كذلك .

وشاعِرٍ أَشعَرَهُ بأَنّه ما شَعَرا
قيلَ له أَطرِقْ كرى إنَّ النَّعَامَ في القُرَى
ومُنشيءٍ غادَرَهُ أَلْكَنَ يُبدي الحَصَرا [1]
وهل يُقاسُ جُنْدُبٌ صَرَّ ببازٍ صَرْصَرا [2]
وليسَ مَسْكٌ أَدفَرٌ يصيرُ مِسكاً أَذْفَرا [2]
والثَّعلبُ الروّاغُ لا يَرُوعُ ليثاً قَسْوَرا
لاحبذا الدَّهرُ الذي يُصَغِّرُ المُكَبَّرا
ويجعلُ النَّجمَ الثُّرَيَّا خاضعاً تحتَ الثَّرى
يُسْمِعُنا جَعْجَعَةً من غَيرِ ما طَحْنٍ يُرى
يا شعَراءَ العَصرِ لا تأْسَوْا لدهرٍ غَبَرا
دونَكُمُ نزاهَةً عَنِ المقامِ المُزدرى
أُمُّوا جَنابَ الصَّاحِبِ القاضي تُوافُوا وَزَرا [3]
إنَّ ابنَ شُكرٍ مُستَحِقٌ سعيُهُ أن يُشْكَرا

(١) الكن : من اللكنة : اضطراب في اللفظ ، والحَصَر : العِيّ وصعوبة النطق .

(٢) الجندب : الصرصور ، صرّ : صوّت ، وصرصر : صاح ، الأذفر : ذو الرائحة الطيبة ، والادفر : ذو الرائحة الخبيثة والمَسك بفتح الميم هو : الجِلْدُ .

(٣) الوَزَر : الجبل المنيع والملجأ .

بوجهِهِ بِشْرٌ يُرى ــ العافي به مُسْتَبْشِرا

يُبدي تواضعاً إذا ما غَيرُهُ تَكَبَّرا

خاطِرُهُ نارٌ ويُمْـناهُ تَفيضُ أَبْحُرا

لو لم يكُنْ حرٌّ ذكا ءِ صَدْرِهِ مُسْتَتِرا

لَاْحترقتْ ذُكاءُ إذ يُلْقي إِلَيْها الشَّررا

بَحْرُ ندىً نَحْرُ عِدىً غَيْثُ جَداً ليثُ شرى

أَثبتُ من رَضوى وَثَهْـلانَ وقُدسٍ وَحِرَا [1]

فكلُّ مَدْحٍ غيرُ مد حِهِ حَديثٌ يُفْتَرى

وبالمقـادير على كلِّ عَدوٍّ نُصِرا

يَقْذِفُ بحرُ صَدْرِهِ من لفظِ فيهِ الدُّرَرَا

قد أُلبِسَ المُلْكُ بهِ أَنفَسَ تاجٍ جوهرا

بهِ غَـدا متوّجاً مُخَتَّمـاً مُسَوَّرا [2]

وهْو الذي سما على كلِّ وزيرٍ وَزَرا

ووعـدُهُ بِسُرْعَـةِ ــ الإنجازِ يأْتي مُثمِرا

---

(١) رَضْـوى : ثهلان ، قُدس ، حِرا او حِراء : جبـال مشهورة في الجزيرة العربية .

(٢) المختم : لابس الخاتم ، المسَّور : لابس السِوار .

عليهِ أَضحىٰ المَلِكُ ــ العادِلُ يَثْني الخِنْصَرا
في نُصْحِهِ له وَصِدْ ق وُدِّهِ لا يُمترى
عبــــدَ الإِلٰهِ يا أَبا محمدٍ سُدْتَ الوَرى
يا ٱبن عليٍّ من أَبي بكرٍ رأَينا عُمَرا
بِرأْيِهِ لمــــا يَزَلْ مؤَيَّـــداً مُظَفَّرا
لا بَرِحا في النَّصْرِ ما واصَلَ طرفٌ نظرا

وقال يمدح الفقيه ضياء الدين بن الشهرزوري[1] :

جَيْبُ الرَّبيعِ على الإِحسانِ مزرورُ وذيــلُهُ ببديعِ الحسنِ مَجْرُورُ
فَصْلٌ تبسَّم عن زُهرٍ وعن زَهَرٍ فلاحَ للنـاظِرينَ النَّوْرُ والنورُ
للمِسكِ في الزَّهرِ فاراتٌ يُذَبِّحُها نسيمُـهُ فهو مسحوقٌ فمذرورُ
عن زَعفَرانٍ رَنَتْ أَحداقُ نرجسِهِ على الزُّمرُّدِ والأَجفـانُ كافورُ
أَما ترى كيمياوِيَّ الرَّبيع وقد وافاه بالنجحِ تصعيدٌ وتقطيرُ[2]
نثارُهُ كلَّمـا هَبَّ النسيمُ على الأَرضِ الدراهمُ بيضـاً والدَّنانـــيرُ
كأَنَّ غـدرانَهُ راحٌ مُشَعْشَعَةٌ فَرَوْضُهُ مُنْتَشٍ والزَّهْرُ مخمورُ

---

(١) هو القاضي ضياء الدين القاسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزوري .

(٢) وردت هـذه الكلمة بلا ياء بعد الميم « الكيماويّ » وقـد اثبتنا اليـاء لضرورة الوزن .

وللطُّيُورِ على دَوْحاتِـهِ طَرَبٌ   كأَنما تُليَتْ فيهـــا المزاميرُ[1]
عيدانُ ناياتِها تحتَ البلابلِ كالقِيانِ ناياتُهـــا تلكَ المنـــاقيرُ[2]
كم بلبلٍ وهَزَارٍ ما دعـا سحراً   إلا ولبـــاهُ قُمرِيٌّ وشحرورُ
فكلُّ عودٍ بهـا عودٌ يُحَرَّقُ أو   عودٌ يُحَرَّكُ منه البَمُّ والزيرُ[3]
دمشقُ جَنَّةُ عَـــدْنٍ ما يفارِقُها   رضوانُ ذو البشرِ والوِلدانُ والحورُ
ما هَبَّ للصبِّ ممدودُ الهواءِ بها   إلا استَقَرَّ هوىً في القلبِ مقصورُ
وورِدُها كخدودِ الغيدِ رانيَـةً   سِيقَتْ إلى سُوقِها مِنهُ بواكيرُ
تقولُ حينَ بها أنهارُها ٱصطفقَتْ   أَحَـلَّ ثَلْجٌ بها أَم ذابَ بلُّورُ
كم جدولٍ عِندَه سِربٌ يُسَرُّ بهِ   فَسِرْبُهُ آمِنٌ والمـــاءُ مذعورُ
وكم أَكُفّ يواقيتٍ مختَّمَـــةٍ   وحَلْيُهـــا ذلك المنظومُ منثورُ
كأَنما ٱنبسَطَتْ تدعو لِخالِقنـــا   أَن لا يَمَسَّ ضياءَ الدين محذورُ
هو الإِمامُ الذي مدحُ العفاةِ لهُ   حقٌّ وكل مـديحٍ غـيرَهُ زورُ
في كل فضلٍ له فصلُ الربيع فَذَاكَ الفصلُ في الزَّمَنِ المشكُوِّ مشكورُ
أَضحى بهِ الجَوْرُ مطوِيَّ البساطِ فلم   يُنْشَرْ ومنهُ بِساطُ العدلِ منشورُ

---

(١) وردت هذه الكلمة « بليت » بالباء وما أثبتناه أوفق للمعنى .
(٢) الناي : هو القصب ، الآلة الموسيقية المعروفة . واصلها فارسي .
(٣) العود : وهو آلة الطرب المعروفة ، والبمّ والزير ، وتران من أوتاره .

يا من يساجِلُهُ إرْبَع على ظَلَعٍ   عجزاً فأنكَ في التقصيرِ معذورُ[1]

وإنْ أبَيْتَ لهُ إلّا مُسابقـــةً   فاعـلم بأنكَ فيما رُمتَ مغرورُ

لو سابَقَتْهُ الرِّياحُ الهُوجُ لانخزَلتْ   طريحةً لم يبن عن جَرْيِها المُـورُ[2]

والبحرُ يَعجَزُ عن يُمناهُ مُطْلَقَةً   بجودِهِ فائضاً والبحر مَسْجورُ[3]

دِمشقُ ظاهِرُها أَضحى وباطِنُها   كلاهُمـا مُشْرِقٌ بالحُسن معمورُ

هناكَ دارا ضياءِ الدينِ يَقْصُرُ عنهما قصورُ الملوكِ الشُّمِّ والدُّورُ

لمـــا أُدِيرَتْ ببـاناسَ النواعيرُ   بالدارِ قُلنا أُثيرَتْ بالنَّوى عِيرُ[4]

يَدعّ في صدرها دَعّاً براحَتِهِ   فَتَنْثني ولها جـــدٌّ وتشمير[5]

تبكي عليهِ اشتياقاً إذ يعانِقُها   كما بكى في زمانِ الهجرِ مَهْجُورُ

---

(١) رَبَع يربع ، إربَع : توقف . وفي الأصل « على ضلع » ولا وجه له ، والمعروف ما أثبت أي بالظاء .

(٢) انخزل : مشى بتثاقل وانقطع . المُوْر : الغبار .

(٣) مسجور : ملآن .

(٤) باناس : فرع من نهر بردى ، وبلدتان تعرفان بهذا الاسم واحدة في الجولان قرب القنيطرة والثانية على الساحل السوري . والنوى : البعد ، والعير : الجمال .

(٥) دَعّ ، يَدُعّ : دفع بشدة وعنف .

لها حنينٌ حنينَ النيبِ تُفْصَلُ عن فصْلانِها فهي صُعْرٌ نحوها صُورُ[1]

كَذاكَ كَفٌّ ضياءِ الدينِ نائلُها بالبَدْءِ والعَوْدِ مَشْهودٌ ومشهورُ

أَقسمتُ ماالرّاحُ راحُ الشّامِ أبرزَها — الرّاوونَ فامتلأَتْ منها قواريرُ

صَفَتْ، راقتْ فأهدَتْ مِنْ أَشِعَّتِها لِلشَّرْبِ أَرْدِيَةً مَنْسوجُها نُورُ

تَأَرَّجتْ فتولّىٰ ٱلمِسْكُ مُنْخَزِلاً وقَلْبُهُ حسَداً لِلْعَرْفِ مَكْسورُ

وماءُ وَرْدِ نَصِيبينَ ٱنثَنىٰ خجَلاً مِنْ نَشْرِها فَهُوَ مَغْلوبٌ فَمَقْهورُ[2]

يَوْماً بِأصفىٰ ولاأَذْكىٰ إذا ذُكِرَتْ في الدَّهرِ أَخلاقُهُ ٱلْغُرُّ المشاهيرُ

أَنتُمْ بَنو الشَّهْرَزُورِيِّ ٱلكِرامُ لَكُمْ مَدْحٌ يسيرُ بِهِ الرّاوُونَ مَأْثورُ

لَكُمْ طيالِسَةٌ لَم تَألُ تَحْسُدُها — التِّيجانُ مِنْها لِواءُ العِلْمِ مَنْصورُ

تَعلو ٱلمناكِبَ في قلبِ ٱلمواكِبِ تَسْمو كالكَواكِبِ منها ٱلضِّدُّ مَدْحورُ

أَبا ٱلفضائلِ أَبّاءَ ٱلرَّذائلِ مَنْ يَحُلُّ بواديكَ يَرْحلْ وهْوَ مَسْرورُ[3]

القاسِمُ ٱلْمُقْسِمُ المجدَ الصَّريحَ لَهُ أَنْ لا نَظيرَ لَهُ في ٱلخَلْقِ مَنْظورُ

---

(١) النيب : جمع ناب وهي الناقة ، الفصلان : جمع فصيل وهو ولد الناقة ، والصعر : جمع اصعر ، والصعر هو ميل الرقبة ، والصور ، من الصَوَر : وهو النظر طويلاً مع الميل .

(٢) نصيبين : بلدة قديمة على الحدود بين سوريا وتركيا في الشمال الشرقي .

(٣) وردت في الأصل كلمة « أبّا » ودون تشديد أو شكل « أبا » وقد جعلناها من الاباء لمناسبة المعنى والوزن ولأن الناسخ كما نعتقد سها عن اثبات التشديد والشكل .

تُكسى بِهمَّتِهِ ٱلعَلْيا وهامَتِهِ طَيالسُ ٱلفَضْلِ فخْراً والمنابيرُ[1]

أموالُهُ في ٱكْتِسابِ ٱلمَجْدِ يُنفِقُها لا كالّذي مالُهُ بِالذَّمِّ مَصْرورُ

وخازِنُ المالِ كَي يَحظى سِواهُ بهِ بَهيمَـــةٌ قادَها بالذُّلِّ تَسْخيرُ

لِمْ لَمْ يَكُنْ كَضِياءِ الدّينِ يَرْغَبُ في حُسْنِ النثا فَهوَ مَرْجُوٌّ ومَأْجورُ

لا زالَ مُرْتفِعاً بالفِعْلِ ناصِبَ مَنْ عادى وشانِئُهُ لِلْجَزْمِ مَجْرورُ[2]

وٱلفَتْحُ وقفٌ عليهِ والحَسودُ عَلىٰ وَصْمٍ منَ الضَّيْمِ مَبْنِيٌّ فمكسورُ

ما عادَ عن صورَ سورُ المَوْجِ مُنْهَزِماً وعاشَ في ٱلعِزِّ حتّىٰ يُنْفَخُ الصّورُ[3]

وقال أيضاً يمدحه :

لَئِنْ نَأَتْ بعدَ قُرْبٍ مِنكمُ الدّارُ فَلي إليكمُ صَبـاباتٌ وتَذْكارُ

أَحبابَنا لَعِبَتْ أيدي ٱلْفِراقِ بِنا حَتّىٰ كأَنّا قِـــداحٌ وهْيَ أَيسارُ

لا وُرْقَ في ٱلْبانِ مُذْ بِنْتُمْ ولا وَرَقٌ ولا لَنا بَعدُ في الأوْطانِ أَوْطارُ

---

(١) المنابير : جمع مِنْبر ، وأصل الجمع ، منابر فقط وزيدت الياء للوزن على عادة العرب .

(٢) لا يخفى ما في هذا البيت من لجوء إلى المصطلحات النحوية وكذلك البيت الذي يليه .

(٣) صور : الأولى بلدة في الساحل اللبناني الجنوبي ، وصور الثانية : آلة للنفخ تخرج صوتاً كصوت النفير .

أيّامَ يَستَخبِرُ ٱلواشونَ عَن خَبَري ... وَلي على كَتمِيَ الأسرارَ إصرارُ
غادَرتُمُ جسَدي قَبلَ ٱللِّقاءِ لَقىً ... فَالدَّمعُ وافٍ وحُسنُ الصَّبرِ غَدّارُ
مُنِعتُ كلَّ ٱلرِّضىٰ مِنكم فوا أَسَفَا ... حَتّىٰ ولا طَيفُكُم في النَّومِ زَوّارُ
أَستَودِعُ اللهَ قوماً ما مُقامُهُمُ ... إلاّ بقَلبِيَ إنْ حلُّوا وإنْ ساروا
سُحبُ ٱلجُفونِ هَوامٍ في ٱلخُدودِ فَها ... جِسمي غَريقٌ وفي أَحشائِيَ النّارُ[1]
إنْ أَنجَدوا فَدُموعُ ٱلعَينِ تُنجِدُني ... وغائِرٌ جيشُ وَجدي كلّما غاروا
يا عاذِلي الصَّبِّ جهلًا في صَبابَتِهِ ... مَهلاً فَإقلالُكُم في ٱلعَذلِ إكثارُ
لُمتُم عَلى الرَّشَإِ ٱلنَّجدِيِّ ذا كَلَفٍ ... قامَتْ له في ٱلهَوى ٱلعُذرِيِّ أعذارُ
بِمُخطَفِ ٱلخَصرِ مَهزوزِ ٱلمَعاطِفِ مَعْـــسولِ ٱلمَراشِفِ نَفّاعٌ وضَرّارُ
أَبكي إذا ما رَنا وَجداً ويَضحَكُ مِنْ ... كآبَتي ، فَهوَ سَحّارٌ وسَحّارُ
إنْ تَدمِ أَلحاظُنا خَدَّيهِ مِنْ تَرَفٍ ... فَلِمْ لِأَلحاظِهِ أَحشاؤُنا ثارُ
إنَّ ٱلهَوى جائِرٌ في ٱلحُكمِ ليسَ لَه ... في ٱلجارِ لا في سِواهُ يُؤخَذُ ٱلجارُ[2]
لِأَجلِ ذٰلكَ يَنهى النَّفسَ عنهُ ضِيا ... ءُ الدّينِ إنَّ هَوى أَهلِ ٱلنُّهىٰ عارُ
قاضٍ إذا ٱختَلَفَ ٱلخَصمانِ كانَ لَهُ ... في نُصرَةِ ٱلحَقِّ إيرادٌ وإصدارُ

---

(١) كتبت كلمة « أحشائي » « أحشايَ » في الأصل دون ذكر الهمزة وما أثبتناه أصح للوزن .

(٢) يلاحظ أن معنى البيت مضطرب وقد أثبتناه كما ورد في الأصل .

يَزْهو بـهِ مَجدُهُ وٱلمَكْرُماتُ كما   يَزْهو ٱلرُّدَيْنِيُّ تِيهاً وهوَ خطّارُ
تَهُزُّهُ لِلْمَعالي أَرْيحيَّتُـــــهُ   كما يُهَزُّ حُسامٌ وهُوَ بتّارُ
بالجودِ يرحضُ إعساراً ويُرْخِصُ أَسْـــعاراً وتَغْلو لَدى عَلْيـاهُ أَشعارُ[1]
بَنىٰ مَجالسَ جُودٍ في ٱلوَرىٰ ولَهُ   كَمْ مِنْ مَجالِ سُجودٍ فيهِ عَمّارُ
مُغْرًى بإنكارهِ معروفَهُ ولأحْـــوالِ ٱلعُفاةِ بما أَوْلاهُ إقْرارُ
يُؤَيِّدُ ٱلبَدْءَ بالعَوْدِ ٱلجَميلِ بلا   مَنٍّ فَنائِلُهُ ٱلمِدْرارُ إدْرارُ
سائِلْ بِهِ ساكِني الزَّوْراءِ حينَ مَضى   إلى الإِمامِ رَسولاً وهُوَ مُخْتارُ
وهوَ ٱلسَّفيرُ الّذي في كلِّ مَأْلُكَةٍ   يَسْعى بِها لِوُجوهِ النُّجْحِ إسْفارُ[2]
وافىٰ ٱلخَليفَةَ والدّيوانَ فٱمْتَلأَتْ   مِنْـــهُ قُلوبٌ وأَسْماعٌ وأَبصارُ
فَكانَ حَبْراً وبَحْراً في السُّؤالِ وفي   ٱلجَوابِ والأُنْمُلاتُ الخمسُ أَنْهارُ
أَنتُمْ بَنو الشَّهْرَزوريِّ ٱلكِرامُ لَكم   خُبْرٌ لَه سِيَرٌ سارَتْ وأَخبارُ
أَنتُمْ شُموسٌ إذا ما ٱلحادِثاتُ دَجَتْ   وأَنتُمُ في ظَلامِ اللَّيْـلِ أَقْمارُ
فَلِلْمُلوكِ بِكُمْ مَجْدٌ وأُبَّهَـــةٌ   مِنها تَلوحُ عَلى الأَيّامِ أَنْوارُ
أَقْلامُكم في أَقاليمِ ٱلبِلادِ بِهـا   قَدْ قُلِّمَتْ مِن صُروفِ ٱلدَّهرِ أَظْفارُ
لِكلِّ سُلْطانِ عَدْلٍ مِن كِفايَتِكم   مُهاجِرونَ بِهِمْ يَسْطو وأَنصارُ
أَنتُمْ جِبالُ حُلومٍ فهْيَ راسِيَـةٌ   أَنتُمْ بِحارُ عُلومٍ وهْيَ زُخّارُ

---

(١) رحَضَ : غسل .
(٢) المَأْلُكة : الرسالة .

لِلّهِ دَرُّ ضِياءِ ٱلدّينِ إنَّ لَهُ مَجْداً لَهُ عِندَ مَنْ والاهُ آثارُ
يا ربِّ كُنْ جارَهُ مِمّا يُحاذِرُهُ فَما يَخيبُ لَه راجٍ ولا جارُ

وقال وكتبها إلى الشيخ العلّامة تاج الدين الكندي رحمه الله وكان قد أبلَّ من مَرَضٍ أصابَه :

جَزِعْتُ ولَم يَكُنْ جَلَدي صَبُورا وعَنْ خَلَدي أبىٰ إلّا نُفورا
وخِفْتُ وقَدْ وَقاني اللهُ مِنْ أنْ أرىٰ يَوْماً عَبُوساً قَمْطَريرا [1]
عَشِيَّةَ قيلَ : تاجُ ٱلدّينِ مُضْنىً نَحيفاً ، يا لَهُ يَفَناً كَبيرا [2]
وَأفئِدَةُ ٱلْفَضائِلِ واجِفاتٌ مِنَ ٱلْخَوْفِ ٱلّذي مَلأَ الصُّدورا
فَوافاني ٱلْبَشيرُ بِبُرْئِهِ مِنْ شَكِيَّتِهِ ، فَقَبَّلْتُ ٱلْبَشيرا
ولَوْلا أنَّني رَجُلٌ فَقيرٌ لَجُدْتُ بِرَشْوَةٍ تُغْني ٱلْفَقيرا
ولكِنّي عَلىٰ مِقْدارِ حالي ٱلضَّعيفِ نَذَرْتُ لِلّهِ النُّذُورا
ولكِنْ لَم أكُنْ إلّا لِرَبّي عَلىٰ إبْلالِهِ عَبْداً شَكورا
وقُلْتُ ونالَني جَذَلٌ عَظيمٌ مَقالاً لَم يَكُنْ مَيْناً وزُورا
إذا ٱلْكِنْدِيُّ تاجُ ٱلدّينِ زَيدٌ أبَلَّ ولَم يُبَلْ حُزْتُ السُّرورا

---

(١) القمطرير : من الأيام الشديد المُظلم ، ومن الرجال : الشديد العبوس .
(٢) اليفَن : الشيخ الكبير ، وتاج الدين الكندي من معاصري الشاعر وقد سبقت ترجمته .

وصارَ بِبُرْئِــــهِ زمَني رَبيعاً مَرِيعاً مُتْأَقاً نَوْراً ونُورا[1]
يَظَلُّ غُرابُهُ فيـــــهِ مُلِثّاً رَفيغَ ٱلْعَيْشِ يَأْبىٰ أَنْ يَطيرا[2]
لَدى ٱلْمَلِكِ ٱلْمُعَظَّمِ مِنــــهُ تاجٌ عَليـهِ دَهرُهُ غَلَبَ ٱلدُّهورا
فَكانَ ٱلفـارِسِيَّ أَبا عَلِيٍّ لَدىٰ ٱلعَضُدِ الّذي مَلَكَ ٱلْأُمورا[3]
أَبا ٱلْيُمْنِ ٱسْتمِعْ مِنّي قَريضاً بِعَفْوِكَ عَنهُ جاءَكَ مُسْتَجيرا[4]
وإنَّ ٱلْمُنْشِدَ ٱلْكِنْدِيَّ بَيْتاً كَمَنْ أَهْدى إلىٰ هَجَرَ التُّمورا[5]
وَها أَنا مُطْرِقٌ مِنْـــهُ حَياءً ولَوْ كنتُ ٱلْفَرَزدقَ أَو جَريرا
شَأَوْتَ ٱلنّـاسَ في دَرْكِ ٱلْمَعالي فلَمْ تَنْظُرْ لكَ ٱلدُّنيا نَظيرا
لَقدْ أُوتيْتَ مَا لَمْ يُؤتَ خَلْقٌ فَعِشْ عُمْراً تَفوتُ بِـه النُّسورا
ولَوْلا الضَّعفُ جِئْتُ إليكَ أَسْعىٰ لِأنظُرَ وَجهَكَ ٱلْقَمَرَ ٱلْمُنيرا
وأَنتَ بِما نَفَثْتُ بِـــهِ خَبيرٌ فَكَيْفَ أُنَبِّئُ ٱلْفَطِنَ ٱلْخَبيرا

---

(١) مُتْأَقاً : تَئِقَ السِقاءُ يتأَقُ امتلأ . والتَئِق السريع الى الشر الممتلىء نشاطاً وشباباً .

(٢) الملِثُ : المقيم ، رفيـغ ، من رفَغَ عيشهُ : إتّسَعَ ، والرَّفاغية ، سعة العيش .

(٣) الفـارسيّ هو ابو علي الفارسي النحوي واللغوي الشهير معاصر المتنبي ، والعضد : هو عضد الدولة البويهي .

(٤) وردت كلمة « جاءك » بدون همزة في الأصل .

(٥) الكندي هو المتنبي بالنسبة لمحلة كندة في الكوفة .

وقال يمدح عماد الدين محمد بن محمد الكاتب رحمه الله [1] :

نَعَشْتَ قَوْماً وكانُوا قَبْلُ قد دَثَرُوا | لَوْلا علاكَ فطابَ ٱلوِرْدُ وٱلصَّدَرُ
أَحيَيْتَ شِعْرَهُمُ مِن بَعْدِ مِيتَتِهِ | قِدْماً وقَدْ شَعَروا قِدْماً وما شَعَروا
أَقسَمْتُ ما رَوضَةٌ مُخْضَرَّةٌ أُنُفٌ | باتَتْ تَسِحُّ عَلىٰ أَقطارِها ٱلْقُطُرُ
ذُبابُها هَزِجٌ نُوّارُها أَرِجٌ | نَباتُها بَهِجٌ مُسْتَحْسَنٌ عَطِرُ
كَأَنَّ فاراتِ مِسْكٍ وَسْطَها قُرِنَتْ | فَنَشْرُها بِأَماني النَّفْسِ مُنْتَشِرُ [2]
شَقَّ ٱلنَّسيمُ عَلىٰ رِفقٍ شَقائِقَها | فَضُرِّجَتْ بِدَمٍ لٰكِنَّهُ هَدَرُ
قُضْبُ ٱلزَّبَرْجَدِ مِنها حُمِّلَتْ صَدَفَ ٱلْيـ | ـاقوتِ فيها فَتيتُ ٱلمِسْكِ لا دُرَرُ
أَحداقُ نَرْجِسِها تَرْنو فَأَدْمُعُها | فيها تَرَقرَقُ أَحياناً وتَنْحَدِرُ
ولِلْأَقاحي ثُغورُ ٱلْغيدِ باسِمَةٌ | شِيكَتْ بِإِسْحِلَةٍ أَنيابُها ٱلأُشُرُ [3]
تبدو بها طُرَرٌ من تَحتِها غُرَرٌ | يا حبذا طُرَرُ الأَزهارِ والغُرَرُ

---

(١) هو المعروف بالعماد الكاتب الاصبهاني مؤلف « خريدة القصر » الكتاب الشهير في نحو عشرة مجلدات .

(٢) جاءت كلمة « قُرِنتْ » التي اثبتناها في الأصل هكذا « قرَنت » دون نقطة على النون .

(٣) شاكَ ، وقع في الشَوْك ، وادخل شوكة في جسمه ، وشيك ايضاً دخل الشوك في جسمه . والإسْحِل : شجر تتخذ منه المساويك ، والإسْحِلة : المسواك . والأشُر : الأسنان المحزّزة .

يوماً بأَحسَن من خطِّ العِمادِ إذا أَقْلامُهُ نُشرَتْ عن حِبْرِها الحِبَرُ

ولا العقودُ بأَجيادِ العقائِلِ كالدُّمىٰ فمنتَظِمٌ مِنْها ومُنْتَثِرُ

على تَرائِبِ كافورٍ تُزَيِّنُهُ حِقاقُ عاجٍ عَلَيْها عاجَتِ الفِكَرُ[1]

تلكَ اللآلي تَروقُ النَّاظِرينَ فما يَسُومُها مَلَلاً من ظِلِّها النَّظَرُ[2]

يَوماً بأَحْسَنَ من نَظْمِ العِمادِ ولا من نَثْرِهِ فبِهِ ذا الدَّهرُ يَفْتَخِرُ

أَمْسَتْ صِعابُ المعاني عندَهُ ذُلُلاً تَحوي دَقائِقَها من لفْظِهِ الدُّرَرُ

كأَنما لفْظُهُ السِّحْرُ الحَلالُ أَو الما ءُ الزُّلالُ النُّقاخُ الطَّيِّبُ الخَصِرُ[3]

شِيبَتْ به قهوَةٌ حمراءُ صافِيَةٌ عُصارُها قَدْ أَتَتْ من دونِهِ العُصُرُ[4]

ولا السَّحائِبُ بالأَنداءِ صائِبَةً فَجَوْدُها غَدِقُ الشُّؤْبوبِ مُنْهمِرُ[5]

حتى إذا أنقَشَعَتْ من بعْدِ ما هَمَعَتْ أَثنىٰ عَلَيها نَباتُ الرَّوْضِ والشَّجَرُ[6]

يوماً بأَغزَرَ من كفِّ العِمادِ ندىً فكلُّ أُنْمُلَةٍ من كَفِّهِ نَهَرُ

(١) عاج : مال الى .

(٢) يسوم : يكلف .

(٣) النقاخ : الماء البارد ، والخَصِر البارد أيضاً .

(٤) العُصَار : بالضم ، والعُصَارة والعصير من الشيء ؛ ما تحلَّبَ منه اذا عَصَرتَهُ . والعُصُر ، تعني العصر ، أي الزمن ، وشيبت : خلطت ، مزجت .

(٥) الجَوْد : الهطال ، الكريم السخي . الغَدِق : الفيّاض ، الشؤبوب : الدفعة من المطر .

(٦) همع : هطل .

فَللغَمائِمِ تَقْطيبٌ إِذا انبَجَسَتْ وبِشْرُهُ دونَهُ عِندَ النَّدَى القمرُ
ما ابنُ العَميدِ ولا عبدُ الحَميدِ ولا الصّابي بأحسَنَ ذِكراً منهُ إنْ ذُكِروا[1]
ولو يُناظِرُهُ في الفِقْهِ أسعَدُ لم يُسْعَدْ وأَحْصَرَهُ عن ذِكرِهِ الحَصَرُ[2]
هـذا ومَحْتِدُهُ ما إنْ يُساجِلُهُ خَلْقٌ إذا القَومُ في نادِي العُلى افتخَروا
أَصِخْ مُحَمدُ إني جِدُّ مُعْتَذِرٍ إنَّ المُقَصِّرَ فيما قالَ يَعْتَذِرُ
يا ابنَ الكِرامِ الأُلى سارَتْ مكارِمُهُم حتىٰ تعَجَّبَ منها البدوُ والحَضَرُ
راووقُ حِلْمِكَ فيما أَنتَ سامِعُهُ يُبْدي الجميلَ وفيهِ الغَثُّ يَسْتَتِرُ[3]

وقال يمدح الأمير شمس الدين بكْرُور الأفضلي :

جاءَ الرَّبيعُ ورَوْضُهُ المَمْطُورُ مِن نَوْرِهِ الباكي يُضاحِكُ نُورُ
تُذْري الجُفونُ دُموعَهُ فَكأَنَّهُ المَحْـزونُ وهُوَ العاشِقُ المَسْرورُ
هَلْ جاءَ مِنْ صَنْعاءَ تاجِرُ بَزِّهِ فالوَشْيُ مِنْ مَطْوِيِّهِ مَنْشُورُ[4]
صَاغَتْ بِهِ الأيدي أَكُفّاً مِنْ يَوا قيتٍ نُظِمْنَ فَحَبَّذا المَنْثورُ

(١) ابن العميد ، عبد الحميد ، الصابي : كلهم كتاب مشهورون .
(٢) اسعد : الذي ورد ذكره في هذا البيت نعتقد أنه : اسعد بن محمود بن خلف الاصبهاني كان شيخ الشافعية باصفهان وهو فقيه مشهور .
(٣) الراووق : آلة ترويق الماء او الخمر .
(٤) صنعاء : عاصمة اليمن ، مدينة مشهورة .

وبهِ ٱلْبَنفسِجُ عُقِّدَتْ أَصداغُهُ ... وكأَنَّهُ مُتَنفساً مَخْمورُ

زَهَراتُ نَرْجسِهِ تَضَوَّعُ عَنْبَراً ... مِن زَعْفَرانٍ ضَمَّهُ كافورُ

يَرْنو بِأعيُنِ غانِياتٍ ما بِها ... مِنْ نَعْسَةٍ لكِنْ بِهِنَّ فُتورُ

شَقَّ الشَّقيقُ جُيوبَهُ طرَباً وقَدْ ... غَنّى ٱلهَزارُ وغَرَّدَ الشُّحرورُ

مِن أَيْنَ يوجَدُ لِلْقُلوبِ سُكونُها ... والماءُ فيهِ كأَنهُ مَذْعورُ

فَصلُ ٱلرَّبيعِ هُوَ الشَّبابُ مُحَبَّباً ... إنَّ الشَّبابَ زَمانُهُ مَشْكورُ

ويَهُزُّ مُعْتَلُّ النَّسيمِ غُصونَهُ ... فيُرى ٱلْمُعانِقُ فيهِ وٱلْمَهجُورُ

وتُصَفِّقُ الأوْراقُ في أَغصانِهِ ... فَتَنوحُ مِنْها بٱلْغَرامِ طُيورُ

صِيْغَتْ بهِ حُلَلُ الشَّقيقِ فَيالَهَا ... شُقْراً، لِقَلْبي عِندَهُنَّ شُقورُ[1]

وكأَنَّنا بٱلْوَرْدِ يُرْسَلُ رائِداً ... قَدْ حُلَّ عَنْهُ قِباؤُهُ ٱلْمَزْرورُ

نَظَمَتْ خُدودَ ٱلْوَرْدِ عَرْبَدَةُ الصِّبىٰ ... فَتَبَسَّمَتْ لِلأُقْحُوانِ ثُغورُ

وٱلزَّهرُ مَنْظومٌ عَلىٰ دَوْحاتِهِ ... وعَلىٰ بِساطِ رِياضِهِ مَنْثورُ

مَا هَبَّ مَمْدودُ ٱلهَواءِ لَنا بِهِ ... إلاّ لِيَزْدادَ ٱلهَوى ٱلْمَقْصورُ[2]

أَحسِنْ بِهِ في ٱلدَّهرِ زَوْراً عِنْدَهُ ... عِنْدَ ٱلتَّأَمُّلِ كلُّ زَوْرٍ زُورُ

---

(١) الشُّقْر : الحمراء من لون شقائق النعمان ، والشُّقُور الحاجة .

(٢) يلاحظ تكرر هذا المعنى في أكثر قصائد الشاعر التي هي من قافية الراء ولا يخفى ما في البيت من اشارة الى القاعدة الصرفية : الممدود والمقصور .

فَكأَنَّ باكُوراتِـهِ في نَشْرِهـا تُهدي ثَناءَ حازَهُ بَكْرُورُ[1]

بَطَلٌ بـهِ ٱلإِيمانُ أَصبحَ آمِناً وٱلْكُفْرُ مِنـهُ قَلْبُـهُ مَذْعورُ

شَهِدَتْ مِنَ ٱلأعداءِ يَوْمَ نِزالِهِ بِسُطاهُ أَكْبـادٌ لَهُ ونُحورُ

فَرِماحُهُ ما إنْ تَزالُ لَدى ٱلوَغىٰ تَنْدَقُّ مِنها في ٱلصُّدورِ صُدورُ[2]

ولِسَيْفِهِ ٱلمَشْهورِ في قِمَمِ ٱلْعِدىٰ ضَرْبٌ يُفَلِّقُ هامَهُمْ مَشْهورُ

فَبِبَأْسِهِ فيهِمْ تُهَـــدُّ مَعاقِلٌ شُمُّ ٱلذُّرىٰ وبِهِ تُسَدُّ ثُغورُ

مِنْهُ بِلادُ ٱلْكُفْرِ تُرْعَدُ خيفَـــةً وإليهِ مَن في صُورَ خَوْفاً صُورُ[3]

ما كَرَّ إلّا قالتِ ٱلأقيـالُ في يَوْمِ ٱلْوَغىٰ بَكْرُورُ يا مَنصورُ

فَحَديثُـــهُ بِسَماحِهِ وكِفـاحِهِ في كَسْبِـهِ عالي العُلا مَأْثورُ

في ٱلجَدْبِ والْحَرْبِ ٱلْعَوانِ كأَنَّهُ لَيْثٌ وغَيْثٌ هامِرٌ وهَصورُ

قَلْبي بِصِدْقِ وَلاءِ شَمْسِ ٱلدّينِ مَغْمورٌ ورَبْعي بِالنَّـــدى مَعْمورُ

وافىٰ إلَيَّ رَسولُهُ بِنَوالِهِ فَشَكَرْتُهُ.. إنَّ ٱلْمُحِبَّ شَكورُ

لي ماءُ وَجْهٍ صِينَ عَنْ إهْراقِهِ عِنْـــدَ ٱلْمُلوكِ وإنَّهُ مَوْفورُ

هٰـذا وفَضْلي شائِعٌ جِدّاً ولَفْـــظي ٱللُّؤْلُؤُ ٱلْمَنْظومُ وٱلْمَنْثورُ[4]

(١) شمس الدين بكرور الافضلي ، من الشخصيات البارزة في عهد الشاعر .

(٢) صدر الرمح : مقدمه .

(٣) صور: الاولى بلدة معروفة ، وصور الثانية من الصَوَر وهو النظر الى الشيء .

(٤) وردت في الاصل لفظة « شائع » منصوبة « شائعاً » وقد رأينا أن تكون مرفوعة على الخبرية . لأن ذلك أولى .

وَلَو أَنَّني يَمَّمْتُهم لَتَغَيَّبَتْ عَن حَضْرَتي عُصَبٌ هُناكَ حُضورُ
لٰكِنْ لُعابُ النَّحلِ حُلْوٌ طَعْمُهُ لَوْ لَم يُذَبذِبْ حَوْلَهُ ٱلزُّنبورُ[1]
وعَلَيَّ مِنْ حُلَلِ ٱلْقَناعَةِ حُلَّةٌ إِنّي لَمُخْتالٌ بِها وفَخورُ
ما لي إلىٰ وُدِّ ٱلْمَطامِعِ في ٱلوَرى يَوْماً رَواحٌ يَقْتَفيهِ بُكورُ
أَنتَ ٱلأميرُ فعِشْتَ أَطيَبَ عِيشَةٍ والنّاسُ كُلُّهُم لَكَ ٱلْمَأْمورُ
فعَلَى ٱلْبِلادِ عَلا مَنابِرَ فَخْرِهِ في ٱلْعالَمِينَ بِجَدِكَ ٱلشّاغورُ
فَتُرابُهُ ٱلْمِسْكُ ٱلأريجُ ونَبْتُهُ الـرَّيْحانُ طِيباً وٱلْمِياهُ خُمورُ
لا زِلْتَ في عِزٍّ وسَعدٍ دائِمٍ أَوْ يَنْتَحي لِلنَّفْخِ فيهِ ٱلصّورُ

وقال يهجو هبة الله أخا العدل :

يا هِبَةَ اللهِ لقَدْ مانَ الْمُسَمِّي وٱفْتَرى
يَكْذِبُ في لِحْيَتِهِ ما يَهَبُ اللهُ خَرَا

وقال يهجو بعض المصريين :

حكى نَهْرَيْنِ لو عَلِما بِذاكَ لَأَصْبَحا غَوْرا
حَكَتْ أَلفاظُهُ بَرَدَى وأَشْبَهَ خَلْقُهُ ثورا[2]

---

(١) ذبذب الزنبور : تردد على مكان النحل بين الاقدام والاحجام وتذبذب الشيء تحرك .

(٢) - بردى وثورا : نهران من أنهار دمشق ، وثورا فرع من بردى .

كَسرٌ النَّقْصِ وهو يَزِيدُ في أَفعالِهِ جَوْرا

فلا تعجَب لِدَولتِهِ سيرجع كَوْرُهَا حَوْرا[1]

وإِن راقتك بَزَّتُهُ فكالدِّفلى اكتسى نَوْرا[2]

وقال يهجو الوزير الجَزَري :

متىٰ أَرَى وزيرَكمْ وما لَهُ من وَزَرِ

يَقْلَعُهُ اللهُ فذا أَوانُ قَلْعِ الجَزَرِ

وقال يهجو أَهلَ الزبداني :

أَتبْخَلونَ بالخِيارِ خِسَّةً على أُناسٍ نَزَلوا بِدارِكم

خِيارُكم لَيْسَتْ لهُ من قيمَةٍ فَلَعْنَةُ اللهِ على خِيارِكم

لو كانَ قِثّاءً عَذَرْناكُمْ بِهِ إذ كانَ لا يَفْضُلُ عَنْ أَدبارِكم

وقال أَيضاً يهجوهم :

أَرَقْنا لديكم مِياهَ الوُجوهِ وإهراقُ ذاكَ من الحُرِّ مُرٌّ

وبالزَبَداني رأَينا الخِلاطَ خِلاطاً وكم دونها بُكْتُمُرٌ[3]

---

(١) كوْر العمامة : إدارتها ولفها وحَوْرها : نقضها وقولهم : نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكور : أي من النقصان بعد الزيادة .

(٢) الدفلىَ : شجر ضخم جميل الزهر ولكنه غير مثمر .

(٣) خالطه مخالطة وخِلاطاً : مازجه وداخله وعاشره ، وللكلمة معان أخرى كثيرة يرجع فيها إلى المعاجم ، و « بكتمر » كلمة دخيلة لم نهتد إلى المقصود منها .

وقال يهجو فقيهاً يعرَفُ بابن جاموس .

وعظ ابنُ الجاموسِ في حَرٍّ آبٍ فَشكَونا من وعظِـهِ الزمهريرا
فهو إِنْ همَّ بالنِّباحِ بِوعـظٍ قالَ صَهْ زَمهَريرُهُ ٱلزَمْهَريرا [1]
وعظه في كانونَ إِنْ يَذْكُرِ الجَنَّةَ يختار السامِعونَ السَّعيرا [2]

وقال أيضاً يهجوه :

رأَيْتُ بالجامِعِ أُعجوبةً والنّاسُ يَسْعَوْنَ إِليها زُمَرْ
فَقُلْتُ يا قومُ على رِسْلِكم ما يَعِظ الجاموسُ إِلا البَقَرْ

وقال يهجو نَصْرَ الطبيب :

إِنْ دامَ طِبُّكَ هــذا يا نصرُ في كَفْرَ عامِرْ [3]
عَمَّرتَ عمّــا قَليــلٍ بساكِنيها المقــابِرْ
فظــاهِرُ الأَرْضِ قَفْرٌ وباطِنُ الأَرضِ عامِرْ

---

(١) هذا البيت سقط من بــين الابيات وكتب الى جانبها ؛ والهرير صوت الكلاب . أو النباح الخفيف .

(٢) جاءت كلمة « أن » بالفتح على أنها مصدرية وقد رأينا أن الأصح جعلهـا شرطية فذاك أقرب المعنى المقصود .

(٣) كفر عامر : قرية .

وقال أيضاً :

يُزَيِّنُ الشِّعْرَ أَفواهٌ إذا نطقَتْ ... بـهِ كما زيِنَت الحسناءُ بالدُّرَرِ
وقد يُفتِّحُــهُ إيرادُ مُنشدِهِ ... كما تَفتَّحَ وَردُ الخَـدِّ بالشَعَرِ

وقال أيضاً :

وقائِلَةٍ لا ترضَ بالشِّعرِ خُطَّةً ... ففي دَهرِنا أهلوهُ من أحقرِ البَشَرْ
فقلتُ أنا الياقوتُ بينَ حِجارَةٍ ... وقد تَشمَلُ الياقوتَ تَسمِيَةُ الحَجَرْ

وقال وقد بات بمقام إبراهيم ببرزه[1]

يا ليـــلَةَ بِتْنا بِبَرْزَةَ نَشْتَكي ... عَدَمَ القِرا بِمَقامِ من سَنَّ القِرا
بِتْنا وباتَ البَرْدُ يَنفُضُنا إلى ... أَنْ كادَ يَفصِمُ من مَفاصِلنا العُرى
لا حَبَّذا هي ليلَةٌ بِتْنا بِهـا ... حتىٰ الصَّباح ونَحْنُ نَجْتَرُّ الخَرَا
قُلْنـا لِقَيِّمِها وقـد وافىٰ بِشَمْعَتِهِ فَصارَ العُرْفُ مِنّا مُنْكَرا
قـدِّمْ إلينا شَبْعَةً لا شَمْعَـةً ... فالجوعُ عَنْ أجفانِنا طَرَدَ الكَرى
ودَعِ الظَّلامَ يَلُفُّنا في مِثْلِ ما ... ٱختارَتْ بنوالعَبّاسِ لِبْساً في الوَرى[2]

---

(١) في برزة مكان يقال أنه مقــام سيدنا ابراهيم الخليل وهو ما لم يثبت تاريخياً . وبرزة قرية الى الشمال من دمشق .

(٢) أختار بنو العباس لُبْس السواد شعاراً لهم .

وقال وكتبها إلى ضياء الدين الدولعي [1] :

لَعَمْرُ ضِياءِ الدِّين إني لَمُظْهِرُ	له كلَّما قد كنتُ أُخْفي وأُظْهِرُ [2]
تُقَدِّمَ أقوامـاً عَلَينا وإنّنا	لَأَخْلَقُ بالتَّقديمِ مِنهمْ وأَجْدَرُ
وتَرْفَعُ صِبْياناً عَلَينا كأنَّهُمْ	مَشايخُ عِلْمٍ في النديِّ تَصَدَّروا
وتَكْسِرُ مِنّا أَنْفُساً عَرَبيَّـةً	بَسالَتُها ليسَتْ على الضَّيْمِ تَصْبِرُ
أَمن بَقَرٍ بالدولَعيّةِ خِلْتَنـا	فَتُورِدُها أنّى تَشاءُ وتُصْدِرُ [3]
ولو أنَّني يَمَّمْتُ غيْرَكَ لم يَكُنْ	لَدَيهِ مُقامي هكذا حينَ أَحْضُرُ
ولا كانَ يَلْقاني بِوَجهٍ مُقَطِّبٍ	يَرُدُّ سَلامي خِفْيَةً حينَ أَجْهَرُ
ولكِنَّ فَرْطَ ٱلودِّ نحوكَ قائدي	ولستُ ٱمْرأً عن وُدِّهِ يَتَغَيَّرُ
وقدْ قُلتُ والمَصْدورُ لاشكَّ نافِثٌ	فَعُذْراً خَلاكَ ٱلذَّمُّ وٱلحُرُّ يَعْذُرُ
لَئِنْ دامَ هـذا مِنْكَ إنّي لَظاعِنٌ	وكَمْ مِثلُها فارَقتُها وهِيَ تَصْفِرُ
رُوَيدَكَ كَمْ هـذا التَّعَجْرُفُ كُلُّهُ	سَيَذهَبُ عَنكَ ٱلحالُ واللهُ أكبَرُ

---

(١) ضياء الدين بن عبد الملك بن زيد بن يسين التغلبي الارقمي الدولعي كانْ خطيب دمشق معروفاً بالتقوى والصلاح وهو الذي تولى غسل صلاح الدين السلطان يوم وفاته ، والدولعية التي ينسب اليها هي قرية تقع الى جوار الموصل .

(٢) لعَمْرُ ـ جاءت في الاصل مع (واو) في آخرها والصحيح ، ما أثبتناه . أي مجردة من الواو .

(٣) الدولعية : اسم موضع .

وقال وقد سُئل أن يَعمل أبياتاً في جاريةٍ ٱسمُها (مَهْرُو)[1] :

مُعَذِّبَتي حتّىٰ مَ ذا ٱلْهَجْرُ وٱلْهُجْرُ — وهَلْ لي ، وقد جرَّعتِني صَبِراً ، صَبْرُ

أَشَحْطٌ ولا قُرْبٌ وسُخطٌ ولا رِضًى — وعَذْلٌ ولا عَدْلٌ وغَدْرٌ ولا عُذْرُ

رُوَيدَكِ ! قَد قَطَّعتِ قَلْبي قَطيعَةً — أجيريهِ مِنْ ذَا ٱلجَوْرِ يُكتَبْ لكِ ٱلأجْرُ

مُري ٱلطَّيْفَ أَنْ يَغْشىٰ فإنْ زارَ مَضْجَعي — ولَمْ أَكُ يَقْظاناً بِـهِ فَلَكِ ٱلْعُذْرُ

وكَيفَ يَزورُ الطَّيفُ مَن باتَ يَشْتَكي — لهيبا ولا جَمْرٌ وسُكْراً ولا خَمْرُ

ولو مُهِرَتْ (مَهْرُو) عَلىٰ وَصْلِ ساعَةٍ — نُجومَ السَّماءِ ٱلزُّهرِ قَلَّ لَها ٱلْمَهْرُ

طَويلَةُ مَهْوى ٱلْقُرْطِ خُمْصانَةُ ٱلحَشا — أَسِيلَةُ مَجْرى ٱلدَّمعِ يَحْسُدُها ٱلْبَدْرُ[2]

وتَفْتَرُّ عَنْ ثَغْرٍ يَرُوعُكَ وَمْضُهُ — فَلِمْ يَزعُموا لي ضَلَّةً أنهُ ثَغْرُ[3]

(١) اسم الجارية (مَهْرُو) وقد زيد في آخر الكلمة الف بعد الواو ويظهر أن هذه طريقة الكتابة في عصر الأيوبيين .

(٢) طويلة مهوى القرط يقصد به طول العنق ، الخمصانة : الرقيقة الرفيعة ، والأسيل : الأملس الليّن .

(٣) فلم يزعموا : كان الواجب إثبات النون في « يزعموا » لأنه لا مبرر لحذفه ، كما كان من الأفضل أن يكون هذا الفعل بصيغة الماضي « زعموا » تفادياً للخطأ دون إخلال بالوزن .

حَكَىٰ فَرْعُهـا لَيْلَ ٱلْمُعَنَّىٰ بِحُبِّهـا   فَلَيْسَ لَه إِلاَّ سَنـا وجْهِهـا فَجْرُ
أَرَقُّ مِنَ ٱلْخَمْرِ ٱلْمُرَوَّقِ جِسْمُها   ولكِنْ بِـهِ قَلْبٌ قَساوَتُهُ صَخْرُ
تَجَنَّىٰ وتَجْنِي كُلَّ وَقْتٍ وتَشْتَكِي   فَلا عُرْفُها عُرْفٌ ولا نُكرُها نُكرُ

وقال أيضاً :

صِيدَتْ ضَراغِمُ حاجِرٍ بِمَحاجِرِ   وَسَطَتْ ذَواتُ أَساوِرٍ بِقَساوِرِ
وتَسَنَّحَتْ يَومَ ٱلْغُوَيرِ لنـا مَهاً   تُهدي ٱلْغَرامَ لِمُنْجِدٍ ولِغائِرِ (١)
يَسْفِرْنَ عَنْ صُوَرِ ٱلدُّمَىٰ أَعْشَتْ بِبَهْـ   ـجاتِ ٱلشُّموسِ ضُحىً لِحاظَ النَّاظِرِ
مُتَهادِياتِ ٱلْخَطْوِ يَكْسُونَ ٱلْبَرا   طِيْباً بِسَحْبِ مَعاجِرٍ وضَفائِرِ (٢)
هُنَّ ٱلْقَواتِلُ وٱلْفَواتِنُ لِلْوَرَىٰ   بِلَواحِظٍ مِثْلِ السُّيوفِ فَواتِرِ
مِن كُلِّ جائِلَةِ ٱلْوِشاحِ تَهُزُّ غُصْـ   ـنَ ٱلْبانِ في أَعْلى ٱلْكَثيبِ ٱلمائِرِ (٣)
رَيّا ٱلرَّوادِفِ ذاتُ خَصْرٍ ناحِلٍ   واهٍ كَصَبْرِي عَنهُ ضامٍ ضامِرِ (٤)

---

(١) تسنّحت : سَنَحَ ، أي بدا صدفه .

(٢) البرا : التراب والأرض ، والضفائر : الجدائل ، والمعاجر : جمع المِعْجَرْ وهو البرد أو الثوب .

(٣) المائر : المهتزّ من مار يمور .

(٤) نعتقد أن « ضام » اصلها ضامر ، كقولك (حار) و (حارث) وهذه طريقة من طرائق العرب في الكلام ، وهو ما يسمى بالترخيم أو الاتباع ، ولم نعثر على أصل هذه الكلمة في المخطوطة المصورة ، سوى كلمة . ضام يضوم ضوماً ، لغة في ضام يضيم ، اي ظلم ، أي أن تكون « ضام » هذه بمعنى مضيم ، أي مظلوم واهٍ .

أجفانُها مَرْضىٰ ، ومـا لِأسيرِها فادٍ ولا لِقتيلِهـا مِنْ ثائِرِ
بَاتتْ مُقَبِّلُها يَخالُ رُضابَها خَمْراً مُعتَّقَـــةً بحانَةِ تاجِرِ
وغَريرَةٍ في سَلْبِ حَبِّ قُلوبِنا مَهرَتْ ، فَوَا عَجَباً لِغِرٍّ ماهِرِ
أفدي الَّتي لَوْلا هَواها لَم أَبِتْ أَرْعى النُّجومَ بِطَرْفِ ساهٍ ساهِرِ
وأَقولُ : يا لَيْلي الطَّويلَ ظَلَمْتَني لَم يَظْلِموا لَمّا دَعَوْكَ بِكافِرِ
فَأَجابَني بِلِسانِ حالٍ قائلٍ لَيلٌ بَهيمٌ مـا لَه مِن آخِرِ
يَاصاحِ ما الدُّنيا سِوىٰ سُكْرِ الصِّبىٰ إِذْ لَسْتُ أَبْرَحُ مِنه بَينَ دَساكِرِ
وزَمانُـــهُ طَلْقُ ٱلْمُحَيّا ضاحِكٌ عَنْ ناجِذَيْ عَيْشٍ هَنيْءٍ ناضِرِ
أَشكُو وأَشكُرُ طَيْفَها وصُدودَها عَنهُ ، فَوا عَجَباً لِشاكٍ شاكِرِ

وقال أيضاً :

سَقَى ٱلسّالفَ مِنْ دَهْري سَحابٌ واكِفُ ٱلْقَطْرِ
لَقَـــدْ وَلّىٰ بِلَذّاتي وما أَحْمَدْتُ مِنْ عُمْري
أَلاَ يَا حَبَّذا عَصْرُ الشَّبابِ ٱلْغَضِّ مِنْ عَصْرِ
زَمـاناً كنتُ أَجْني ٱلْعَيْشَ مِنْ أَفنانِهِ ٱلْخُضْرِ
لَقَدْ وَلّى الصِّبا غَضاً أَنيقَ ٱلرَّوْضِ وٱلزَّهْرِ
لَدـــى كلِّ فَتـاةٍ غا دَةٍ طَيِّبَـــــةِ النَّشْرِ

تُرِيكَ ٱلْبَدْرَ بَدْرَ ٱلتَّمِّ — في لَيلٍ مِنَ ٱلشَّعْرِ
وتَفْــتَرُّ عَنِ ٱلدُّرِّ إذا ٱفترَّتْ عَنِ ٱلثَّغْرِ
إذا ماسَتْ يَكادُ ٱلرِّدْ فُ يَنْبَتُّ مِنَ ٱلْخَصْرِ
وكم سُكرٍ لَنا مِنْ لَحْــظِها ناهيكَ مِنْ سُكْرِ
وأحْوَى لَحْظُهُ يَنْفُــثُ في ٱلألبابِ بِٱلسِّحْرِ
رَشيقُ ٱلْقَــدِّ يَنْأَدُّ فيُزْري بِٱلقَنا ٱلسُّمْرِ[1]
وقَــدْ دَبَّ بِخَدَّيْه عِذارٌ باسِطٌ عُذْري
فكَمْ مِنْ لَيْــلَةٍ ما زا لَ بينَ السَّحْرِ والنَّحْرِ[2]
إلى أنْ عاثَ في ٱللَّيلِ مُغيراً عَسْكَرُ ٱلْفَجْرِ
مَضَتْ أيَّامُنا تِلْــكَ حَميــداتٍ ولَمْ نَدْرِ

وقال يَرْثي الملك المظفَّر تقي الدين عُمَر رحمه الله[3] :

أَتىٰ نَعْيُ مَلْكٍ أَظلَمَ الشَّمْسُ وٱلْقَمَرْ لَهُ ووَهى عِقْدُ ٱلْكَواكِبِ فَٱنْتَثَرْ

(١) ـ أنْأدّ : تمايل .

(٢) السَّحْر : الصدر ، والنحر العنق .

(٣) هو ابن أخي السلطان صلاح الدين الأيوبي ، اعطاه عمه حماه عام ٥٨٢ هـ فسكنها وتوفي ودفن فيها .

وأبدى بِشَرقِ الأرْضِ والْغَرْبِ رَجْفَةً
تَطَأْطَأَ مِنْها كلُّ ما طالَ واشْمَخَرْ[1]

وعُطِّلَتِ البيضُ الصِّفاحُ وأُهْمِلَتْ مُتُونُ العَوالي في الكِفاحِ مِن الأُطُرْ[2]

وكادَتْ دُموعُ العَيْنِ تَمحو الحُجُولَ مِنْ جَنائِبِهِ من لوعَةِ الحُزْنِ والغُرَرْ[3]

وفُكَّ صَليبُ الشِّرْكِ من قَيْدِ أَسْرِهِ وزُلزِلَ عَرْشُ المُلْكِ من بعدِ ما اسْتَقَرْ

لَئِنْ سَرَّ ناعيـهِ وكلَّ مؤمِّنٍ لقَدْ سرَّ لا أَهْلاً بهِ كلَّ من كَفَرْ

نعَى الليْثَ في ثِنْيَيْ مُفاضَةِ أَشْوَسٍ شَديدَ القُوى دامي الأَظافِرِ بالظَّفَرْ[4]

وكَيفَ يُلامُ المسلِمونَ على الأَسى وقد عَدِمَ الإسلامُ ناصِرَهُ عُمَرْ

أَباحَ ثُغُورَ الكُفْرِ بالسَّيْفِ عَنْوَةً وسَدَّ ثغُورَ السِّلْمِ بالطَّعنِ في الثَّغَرْ

رجا قتلَهُ المَلكُ المُظَفَّرُ في الوَغى شَهيداً ونارُ الحَرْبِ طائِرَةُ الشَّرَرْ

وليسَ يَنالُ المَرءَ شيءٌ سوى الذي قَضاهُ قَضاءُ اللهِ في الخَلْقِ والبَشَرْ

---

(١) وردت (كلُّ ما) هذه بكلمة واحدة « كلما » والأصح ان تفصل في هـذا المكان .

(٢) الأطرْ : مُنْحنى القوس وحركت للوزن . والأطُر : جمع أطْرة . وهي كل ما احاط بالشيء ، أو كل ما احاط بالفرس .

(٣) الحجول العلامات في أرجل الخيل ، والغُرَرَ العلامات والشيات في جبهاتها .

(٤) المُفاضة : الدرع الواسعة . والأشوس من شاس الرجل يشاس أي نظر بمؤخر عينه تكبّراً فهو أشوس .

لقَدْ كانَ يَلقى المُرْهفاتِ بِوَجْهِهِ — وسُمْرَ القَنا بالصَّدْرِ في الورْدِ والصَّدَرْ

وتُرْعِشُ أَيْديهم مَهابَتُهُ فما — لِضَرْبِهِم والطَّعْنِ في جِسْمِهِ أَثَرْ

وكانَ يَرُدّ الجَحْفَلَ المَجْرَ وَحْدَهُ — يَمَسّونَ بالأَيدي الظهورَ منَ الخَوَرْ

إِذا سَلِمَ المَلكُ ابنُ أيوبَ لم نُبَلْ — بِمَن باشَرَتْهُ الحادِثاتُ منَ البَشَرْ(١)

وإنَّ صَلاحَ الدينِ للدينِ مَوْئِلٌ — ورُكْنٌ شَديدٌ عاصِمٌ حِينَ لاوَزَرْ

أَجلْ إنَّ كلَّ الصَّيْدِ يوجَدُ في الفَرى — فأَينَ لِحزْبِ الشِّرْكِ منْ حَرْبِهِ المَفَرْ

بقاءُ صَلاحِ الدينِ من كلِّ فائتٍ — لنا عِوَضٌ فاصْبِرْ فطوبى لِمَنْ صَبَرْ

فَقَدْ فارَقَ الناسُ الأَحِبَّةَ قبلَنا — وأَعيا دواءُ الموتِ في البَدْوِ والحَضَرْ

عزاءً وإنْ عَزَّ العَزاءُ فما الأَسى — بِمُجْدٍ ولا يُغْني البكاءُ ولا الحَذَرْ

* * *

(١) لم نُبَلْ : أي لا نبالي .

حرفُ الزَّاي

قال يرثي الملك الظاهر غياث الدّين غازي ابن الملك النـاصر قدس الله روحَيْهما :

تَرَحَّلَ عن شهبائِهِ الظاهِرُ الغازي ... وكانَ بها البازي المطِلُّ على النازي[1]

تَرَحَّل عنها غــيرَ لاوٍ على أخٍ ... ولا وَلَدٍ بَرٍّ تَرَحّــلَ مجتازِ

وحامَتْ عقنباةُ المنونِ عليـهِ في ... حِمى حارِمٍ قسراً وعِزَّةِ أَعْزازِ[2]

وقد كانَ بالدنيا حقيقاً وأهلهـا ... لإِحياءِ إعناءٍ وإفناءِ إعوازِ[3]

لَئِنْ ثُـلَّ يا لِلّهِ بالموتِ عَرْشُهُ ... فَما أَحدٌ إلا على ظَهْرِ أَوفازِ[4]

---

(١) النازي : اسم فاعل من نزا ، وثب .

(٢) عقيباه ـ هكذا وردت في الأصل وهي : عقنباة وعنبقـاة : العُقَاب ، وحارِم وأعزاز : بلدتان قرب حلب في شمال سوريا .

(٣) إعناء : من العناء والتعب ، والإعواز : الحاجة والفقر .

(٤) ثلّ : عرشه أماته ، وثلّ الدار هدمها ، و (أوفاز) جمع (وفزْ) و (وَفَزْ) وهي العجلة والسرعة ويقال نحن على أوفاز ، أو وِفاز أو (وَفزْ) أي على عجلة ، أو على سفر .

أَرى كلَّنا يَسْعى إلى حِينِ حَينْهِ وكم يَلْبَث البازُ المقيمُ بِقُفَّازِ [1]

لقَدْ أمستِ البيضاءُ سَوْداءَ بَعْدَهُ كَزَفِّ غُدافٍ في ذرَى النيقِ مُنْحازِ [2]

وصارَ إلى بَطنِ الثَّرى الظاهِرُ الّذي له العيسُ سيقَتْ في بطونٍ وأَجْوازِ [3]

وكانتْ ملوكُ الأَرْضِ في ظِلِّ فضْلِهِ وقد كانَ ظِلاً وارفاً ليسَ باللّازي [4]

ولو أحرَزَتْ من قبضَةِ الموت هَيبَةٌ لكانَ لهُ من بأْسِهِ حِرزُ إحرازِ [5]

وكانَ جَزيلاً للعُفـــاةِ عَطاؤُهُ يَظُنُّونَ جَهلاً أنَّهُ هازِلٌ هازي

ترجّاهُ أَربابُ الصَّوارِمِ والقَنا كما كانَ يرجو جُودَهُ ربُّ عُكاظِ

لعَمْري لَقَدْ أَظهَرْتُ في الظاهِرِ الأَسى وما قلتُ في الغازي مقالاً بأَلْغازِ

وفي حَلَبٍ دَرَّتْ يَنابيعُ جودِهِ فكم قنواتٍ جارياتٍ بِمَزَّازِ [6]

لقـد سُلَّ من عِقْدِ الملوكِ أَجَلُّهم وواسِطَةُ التَقْصارِ أَشْرَفُ ممتازِ [7]

---

(١) القُفّاز : حديدة مشتبكة يجلس عليها البازي ، أو شيء يتخذه الصائد في يديه من جلد أو لبد ، أو أكف من جلد أو قطن أو صوف تلبسها الأيدي .

(٢) الغداف : غراب كبير ، والنيق : أرفع موضع في الجبل . زفَّ الطائر : رمى بنفسه أو بسط جناحيه ، زفّاً وزفيفاً .

(٣) العيس · الجمال ، بطون الأودية ، وأجواز جمع جَوْز وهو وسط الشيء .

(٤) لاز : لجـــأ .

(٥) حِرز : حامي ، مأمن .

(٦) مزَّ : مصَّ ، ويقال اصطلاحاً أن المزّاز هو موزع الماء .

(٧) التقصار ؛ والتقصارة : القلادة على قَدَرِ القَصَرة وهي العُنُق .

لَئِنْ كانَ خَلْقُ الخَلْقِ من طينِ آدمٍ فمن نُورِ خَلْقِ اللهِ خَلْقُكَ ياغازي

وأَنتَ الذي أعيا الملوكَ بإعجازِ وأَلجَمَهُم عِيّاً بإيحــاءِ إنجـازِ

يَعزُّ على الإسلام قَلْبُ سُرُوجِهِ وعَكسُ صُدورٍ في مراكز إعجازِ

تجاسَرتَ يا هَلَّاب أذناب خَيْلِهِ وكَدّاس حَبّارٍ رَماهُ بِجَزّازِ[1]

وما كانَ بالمُصْغي لِفَضلِ إبائِهِ إلى هَمْزِ هَمّـازٍ ولا غمزِ غَمّـازِ

تَبَسُّمُهُ للخَــيْرِ يأْتيك بَعـــدما يَجيىء بإسهابٍ فَصيحٍ وإيجازِ[2]

مُجَمِّعُ شَمْلِ الأَهْلِ من كلِّ وُجهَةٍ وقد أَعجَزوا أَعداءَهم أَيَّ إعجازِ

ولا عيبَ فيهِ غيرُ إنجازِ وَعْـدِهِ سَريعـاً ولم يُلْقِ الوَعيدَ بإنجـازِ

فَمَنْ لليتامىٰ والأَرامِلِ بَعْـدَهُ يَقومُ بإكرامٍ عَليهِم وإعـزازِ

ويَكسوهُمُ في صَيْفِهِم وشتائِهِـم بِأَحسَنِ ماضَمَّتْـهُ أَسْفاطُ بَزّازِ[3]

وفي حَلَبٍ لم يَخْـــلُ أَهلُ مَحلّةٍ لدى الصَّوْمِ من طاهٍ وشاوٍ وخَبّازِ

---

(١) هَلَبَ : جزّ ونتف . وكدست الدابة : عطست ، والخيل يركب بعضها بعضاً ، والحبّار : بائع الحبر ، الحزاز « بالحاء » كل ما حزّ بالقلب من وجع ، أو كل ما قطع والجزاز « بالجيم » القاطع من جزّ أي قطع . ومعنى البيت غير واضح .

(٢) الشطر الأول من هذا البيت ناقص وزناً في الأصل عند كلمة « يأتي » والصحيح أن يضاف وتد آخر بعد هذه الكلمة كقولنا « يأتيك » بدلاً من يأتي ليستقيم الوزن أو أن تحرك ياء الفعل بالفتح ولا مبرر له .

(٣) السفط : وعاء لوضع الثياب ، البزّاز : بائع الثياب .

وإنّي لَأَسْتَسْقي السماءَ لِقَــبْرِهِ وفيهِ بحارٌ كُنَّ عَيْشاً لِأَجْرازِ[1]

فمِن بَعدِهِ لا شُدَّ سَرْجٌ لسابِحٍ ولا رِيعَ طِرْفٌ في الهِياجِ بِمِهْمازِ

ولا أُبرِزَ الإبريزُ يَوماً لمعتَفٍ ولكِن سَناهُ مُخْتَفٍ بَعدَ إبرازِ

ولا قيدت الخيلُ العتاقُ شَوازِباً[2] ولا هُزَّ رُمْحٌ في أَنامِلِ هَزّازِ

ولا شَبَّتِ الحَربُ الأَجيجُ ضِرامَها تُديرُ الرَّحى دَوْرَ الحُروفِ بِهَوّازِ[3]

مَضى مُلْكُهُ المحروسُ من عَيْبِ عائبٍ

ومن عَبَثِ الزّاري ومن عَنَتِ الرّازي[4]

وأَبقى ثَناءً يُخجلُ المِسْكَ عَرْفُهُ لهُ في اللُّهى قَنْدٌ حلا فهو أَهوازي[5]

وما لَيْثُ غابٍ كاشِرٍ عَن نُيوبِهِ وعضّاتُها تَفْري ٱلْمَفاصِلَ كٱلكازِ[6]

بِأَشْجَعَ مِنهُ في ٱلْكَريهَةِ مُقْدِماً وراءَ هَزيمٍ بِالْأَفاكِلِ قَفّازِ[7]

---

(١) الأجراز : جمع جَرْز وجَرَز : وهي الأرض المحلة التي لا تُنبت .

(٢) الشوازب : جمع شازب وهو الضامر من الخيل .

(٣) الهواز : من هوّز ، وهي تطلق على مجموعة الحروف الهجائية .

(٤) الرازي : من راز الرجل الأمر : امتحنه ووزنه .

(٥) القَنْد ، والقَنْدَة : عصارة قصب السكر تصب في قوالب حتى تجمد ، والقِنْدِيد . لغة فيها . وأصلها فارسي من كلمة « كَنْد » . وأهوازي نسبة إلى أهواز وهو اقليم من بلاد فارس .

(٦) كاز يكوز كوْزاً : شرب بالكوز ، والكاز سائل للتنوير معروف .

(٧) الأفْكَل : الرعدة . والأفْكَل أيضاً : الجماعة . وجاءوا بافكلهم : بأجمعهم وقفّاز : مبالغة : من قفز .

عَلَيْهِ سَلامُ ٱللهِ ما حُبِّبَ ٱلْغِنىٰ وطابَ بِهِ جَمْعُ ٱلْكُنوزِ لِكَنّازِ

وقال يمدح المجاهد غازي القوّاس وقد شرب سارَه[1] :

في خَدِّ مَنْ أَهواهُ خَيْرُ طِرازِ طَرْفي بِهِ زانٍ وقَلْبيَ نازي[2]

ذاكَ الّذي سُبْحانَ راقِهِ فَما ظَفِرَتْ بِمُشْبِهِهِ يَدا بَزّازِ

عَنْ قَوْسِ حاجِبِهِ رَمىٰ لمّا رَنا فَأَصابَني بِسِهامِ زاهٍ هازي

مِيعادُهُ بالْوَصلِ بَرْقٌ خُلَّبٌ ووَعيدُهُ بالهَجْرِ ذُو إِنْجازِ

فكأَنَّ حاجِبَهُ الّذي مِنْهُ رَمىٰ قَوْسٌ بَرَتْهُ يَدُ ٱلْمُجاهِدِ غازي

ذاكَ الّذي هُوَ في ٱلصُّدورِ مُقَدَّمٌ وسِواهُ مَدفوعٌ إلى ٱلأَعْجازِ

فَقِسِيُّهُ بِشَباتِها قَدْ أَشْبَهَتْ قَوْسَ ٱلسَّماءِ بِفَضْلِها ٱلْمُمْتازِ

لا قَوْسَ إلّا ما بَرَتْهُ يَمينُهُ شَتّانَ بَيْنَ السَّيْفِ وٱلْعُكّازِ

فَهُوَ ٱلْحَقيقَةُ في ٱلصِّناعَةِ وحْدَهُ وسِواهُ يَرْفُلُ في ثِيابِ مَخازي

يَقِظٌ هُوَ ٱلأُستاذُ غَيْرُ مُدافعٍ عَنْ مَجْدِهِ بِمُوازِنٍ ومُوازِ

بِٱلنَّزْعِ تَرْكُضُ في الصُّدورِ سِهامُهُ كَٱلطِّرْفِ حينَ يُهَزُّ بالمِهْمازِ

شَرُفَتْ خَلائِقُهُ ٱلْكِرامُ فَلَيْسَ بِالْـ ـغَمّازِ ، حاشاهُ ، ولا ٱللَّمّازِ

---

(١) السأر لغة في سؤر ، وهو البقية في الكأس ، كما أن « سار » تأتي بدلاً من (سائر) في لغة وهي البقية أيضاً .

(٢) نزا : وثب ، وطمح ، ويقال ايضاً : نزا الفحل على الأنثى .

أقنىٰ وأفنىٰ مالَهُ لِعُفاتِـــهِ وسِواهُ ربُّ مَخازنٍ ومَخازي(1)
مَا ٱلمالُ إلاّ ما كَسبْتَ بهِ ٱلعُلىٰ مِن مُطْرَفٍ أوْ مُتْلَدٍ ورِكازِ(2)
وهُوَ ٱلّذي قَدْ عاقَبَ ٱلصُّنّاعَ بِالْإزْعاجِ لمَّا جاءَ بِالْإعْجازِ(3)
ما زالَ في كَسْبِ ٱلعُلىٰ مُتَيَقِّظاً فَكأَنَّهُ بازٍ عَلىٰ قُفّازِ
عَنْ شُرْبِ ساري يا إلٰهي جازِهِ خَيْرَ ٱلْجَزاءِ فَأنتَ خَيْر مُجازي
إنَّ ٱلْفُتُوَّةَ مِنـهُ باجِحَةٌ لَدىٰ ـ ٱلهَيْجا بِسَيْفٍ كٱلْقَضاءِ جُرازِ(4)
وٱلْكَأْسُ في يُمناهُ يَحْكي مَرْكباً في مَوجِ بَحْرٍ زاخِرٍ هَزْهازِ(5)

* * *

(1) أقنى : اعطى .
(2) الركاز : المال المركوز تحت الأرض أو هو الكنز .
(3) وردت كلمة « بالازعاع » هكذا بالعَيْن ولم نجد معنى يناسبها في المعاجم ونظن أنها مصحفة عن « الازعاج » بالجيم ومعناها مناسب للبيت .
(4) بجح : فَرِح ، افتخر . والجراز السيف الماضي .
(5) الهزهاز : من الماء الكثير الجاري .

حرف السين

وقال أيضاً يمدحُ الملك الأشرف مظفَّر الدين شاه أرمن أَبا الفتح موسى ابن الملك العادل ويعرِّضُ بأَنه أَطلق له ثلاثمائة دينار وتشريفاً ، فلم يُعطِه المجد البهنسي غيرَ التَّشريف ومائتي دينار[1] :

دَعْني مِنَ ٱلرَّشإِ ٱلأغَنِّ الأكْيَسِ ... مِنْ لحظِهِ والرّاحِ طافَ بِأَكْؤُسِ

نَشْوانُ مِنْ تِيهِ ٱلْمَلاحَةِ ناعِسُ الأ ... جفانِ فاتِرُها وإنْ لَمْ يَنْعَسِ

لَمْ يَبْقَ لي أَرَبٌ ولا لي لَذَّةٌ ... بِمُهَفْهَفِ الأعطافِ أَلمى أَلْعَسِ

لَيسَ المقامُ مَقامَ شَيْخٍ عاجِزٍ ... فيهِ يُشارُ إليهِ أَمْرَسَ أَمْرَسِ[2]

وإليكَ عَنّي بالمُدامِ وشُرْبِها ... صِرْفاً على ٱلْوَتَرِ ٱلْفَصيحِ ٱلأخرَسِ

وَافى بِها مِنْ صَيْدِنايا بُطْرُسُ ٱلْخَـمّارِ وَهْيَ سَبِيَّةٌ مِنْ جَرْجَسِ[3]

هَيْهاتَ يَأْبى الشُّرْبَ مَنْ في قَلْبِهِ ... بَلْبالُ هَمٍّ بِٱلعِيالِ مُوَسْوِسِ

---

(١) المجد البهنسي : وزير كان يقوم بأمور المالية عند الملك الأشرف ،

(٢) سقطت اللام من كلمة ليس في أول البيت . والأمرس : الذي عانى الشيء ، وأمرس حبل البكرة اعاده إلى مجراه .

(٣) صيدنايا : قرية مجاورة لدمشق فيها دير مشهور ، وبطرس وجرجس اسمان علمان .

عِندي أُوَيْلادٌ كأفراخِ ٱلْقَطا إنْ بِنْتُ عَنْهمْ مالهُمْ مِنْ مُؤْنِسِ[1]

اَللهُ لي ولهُمْ وُجودُ الأشرَفِ ٱلْمَلِكِ الّذي مِنْ جودِهِ لَمْ أَيْأَسِ

مَا لَذَّتي إلاّ مَديحُ الأشرَفِ ٱلْقَيْلِ ٱلْغَزيرِ ٱلْجُودِ موسى الأشوَسِ[2]

مِنْهُ ٱلْمَعاني وٱلْمَعالي وٱلْقَوافي أُلبِسَتْ في ٱلدَّهرِ أَشرَفَ مَلْبَسِ

فكأنَّما تَخْتالُ في إسْتَبْرَقٍ أَوْ عَبْقَرِيٍّ أَوْ مَلابِسِ سُنْدُسِ[3]

وكَأَنَّ عَسْكَرَهُ ٱلْمَجَرَّةُ أَشبَهَتْ نَهْراً يَشُقُّ حَديقَةً مِنْ نَرْجِسِ

وكأنَّهُ بَدْرٌ أَضاءَ بِأَسْعُدٍ بِضِيائِها هَزَمَتْ ضِياءَ الأنْحُسِ

مَلِكٌ تَحولُ سُيوفُهُ يَوْمَ ٱلْوَغى بَيْنَ ٱلْجُسومِ مِنَ ٱلْعِدىٰ وٱلأَرْؤُسِ

كَمْ رَأْسِ قِرْنٍ قَدَّهُ بِحُسامِهِ مَعْ دِرْعِهِ وقِناعِهِ وٱلْقَوْنَسِ[4]

قَدْ كانَ قَبْلُ خَساً فَغادَرَهُ زَكاً فالسَّيْفُ بِرْكارٌ بِكَفِّ مُهَنْدِسِ[5]

عَمَّتْ وخَصَّتْ في ٱلأنامِ هِباتُهُ فَزَكَتْ عَلى ٱلأعداءِ في أُقْليدِسِ[6]

---

(١) أُوَيْلاد : تصغير : أولاد .

(٢) القيل . الملك ، وأصلها أقيال ، أي ملوك اليمن ، والأشوس من أوصاف الأسد .

(٣) الأستبرق والسندس : نوعان من الأقمشة .

(٤) القَوْنس : أعلى الرأس جمعه قوانس .

(٥) خسا : فرد ، زكا : الزوج : يقال هـذا خساً وهـذا زكا ؛ والبركار آلة هندسية معروفة .

(٦) اقليدس : عالم يوناني ينسب إليه علم الهندسة .

يَسْطُو بِضَرْبٍ قاصِلٍ بَلْ فاصِلٍ و بِطَعنٍ دِعِّيسٍ ورَمْيٍ مُقَرْطِسِ[1]

والنَّقْعُ لَيلٌ في نَهارٍ شِبْهُهُ زُرْقُ الأسِنَّةِ في سَوادِ ٱلْحِنْدِسِ[2]

مَلِكٌ إذا حَلَّ ٱلْمُلوكُ بِمَجْلِسٍ يَوْمَ ٱلْفَخارِ يَحُلُّ صَدْرَ ٱلمجْلِسِ

وتَوَدُّ تِيجانُ ٱلْمُلوكِ بِأَسْرِها لَوْ قَبَّلَتْ منهُ مَكانَ ٱلْقُنْدُسِ[3]

وكأنهُ في ٱلْجَيْشِ لَيثٌ راحَ في

أَجَمِ ٱلرِّماحِ منَ ٱلسَّوابِغِ مُكْتَسِ[4]

خِفْنا عَلَيهِ مِن ٱلْعُيونِ فَرَدَّها عَن مَجْدِهِ ٱلمجْدُ ٱلوَزيرُ ٱلْبَهْنَسِي

وهُوَ ٱبْنُ مَن أزْرى بِحاتِمِ طَيِّءٍ جُوداً وكانَ لَدىٱلتِّراتِ كَبَيْهَسِ[5]

أَمِنَ ٱلْمُروءَةِ أَنْ يُجَعْجِعَ ذُو ٱلْغِنىٰ بِالعُنْفِ مِنهُ بِذي ٱلْعِيالِ ٱلْمُفْلِسِ

صِلَتي أَتتْ فَجْراً وكانتْ مَغْرِباً وكِلاهُما في قَصْرِهِ لَم تُحْبَسِ

---

(١) القاصل : والقصّال : القطّاع من السيوف ، وقصَلَه : قطَعَه ، وقرطس أي اصاب الغرض ، يقال : رمى فقرطس .

(٢) الحندس : الظلام ، والنقع : الغبار .

(٣) القندس : قَنْدَسَ الرجل : ضرب في الأرض على وجهه ، أو تاب عن معصية ، أو ارتكبها ولم نجد غير هذه المعاني في المعاجم والكلمة الواردة في البيت تعطي غير هذه المعاني وهي تدل على اسم شيء يوضع على الرأس .

(٤) السوابغ : الدروع الواسعة مفرده : سابغ .

(٥) البَيْهَس : النعامة ، والبَيْهَسُ ايضاً : الأسد : يقال : هو في حمق بيهس وفي جرأة بَيْهَس . والترات : جمع تِرةَ وهي الثأر .

فَتَنَغَّصَ ٱلْمَعْرُوفُ عِنْدي وٱنْثَنى   كَٱلوَرْدِ شِيبَ نَسِيمُهُ بِالكُنْدُسِ[1]

حَتّى إذا ما شَمَّهُ مُسْتَنْشِقٌ   كادَ ٱلْعُطاسُ يَفُضُّ عَظْمَ ٱلْمَعْطِسِ

واهاً لِدُنْيانا ٱلْغَـــرورِ فإِنَّها   قَسَماً لَأَخْوَنُ لِلْوَرى مِنْ مُومِسِ

غَدّارَةٌ بِالْأَشْوَسِ ٱلرِّئْبالِ ثُمَّ الأ   طْلَسِ ٱلْعَسّالِ وٱلْمُتَطَلِّسِ[2]

وإِلَى ٱلْمَلِيكِ الأَشْرَفِ ٱبْنِ ٱلْعـــادِلِ   الْمَنْصورِ جُبْتُ مَهامِهاً بالعِرْمِسِ[3]

هَوْجاءُ مِرْقالُ ٱلنَّجاءِ شِمِلَّةٌ   تَطِسُ الأكامَ بِوَخْدِها في ٱلْبَسْبَسِ[4]

إِنّي عَشَوْتُ لنارِ موسى قابِساً   ولَتِلْكَ نارٌ مِثْلُها لَمْ يُقْبَسِ[5]

كَمْ مِنْ يَدٍ بَيضاءَ لا سُوءٌ بِها   ضَحِكَتْ لِموسى وهُوَ غَيْرُ مُعَبِّسِ[6]

بَدْرٌ مُنيرٌ والْبُـــدورُ هِباتُهُ   في ذُرْوَةِ ٱلمَجْدِ ٱلأثيلِ الأقْعَسِ[7]

سائِلْ (خَلاطَ) بِهِ غَداةَ تَنَمَّرَتْ   مُرّادُها بِتَغَشْمُرٍ وتَغَطْرُسِ[8]

---

(١) الكندس نبات حاد الرائحة ويعرف بعود العُطّاس .

(٢) الاطلس : الذئب الأغبر ، والعسّال : المهتز .

(٣) العرمس : الناقة ، والمهامه جمع مهمه وهي الصحراء .

(٤) هوجاء ، مرقال ، شملة : سريعة ، والنجاء الاسراع ، وطس : ضرب ضرباً شديداً بالخف . الوخد : نوع من السير ، والبسبس : الصحراء جمعها بسابس .

(٥) عشوت : جئت ، لجأت .

(٦) اشير في البيت الى الآية الكريمة في قصة موسى .

(٧) الأثيل والأقعس : الأثيل الأصيل ، الأقعس : المنيع القوي .

(٨) غشمر : أتى الامر من غير تثبت . تغطرس : تكبر ، و (خلاط) اسم مكان .

مَلِكٌ رَمىٰ بِجُنودِهِ أَبْراجَهـا فَكَبَتْ عَلى ٱلأَذْقانِ كَبْوَ ٱلمعتَسِ[1]

شَقُّوا ٱلْعَصا وتَفَرْعَنوا فَأَتاهُمُ موسىٰ فَأَهْلَكَ كُلَّ فِرْعَونٍ مُسِي[2]

هُمْ أَوْضَعوا يا وَيحَهمْ في غَيِّهِمْ فَتَعَثَّرَتْ أَقْدامُهمْ في الأَرْؤُسِ

(فَخِلاطُ) زَلْزَلَ فَتْحُها الأَرَضينَ حتّىٰ ماردينَ إِلىٰ جَزائِرِ قُبْرُسِ[3]

قَيْلٌ أَطارَ بِسَيْفِهِ هاماتِهِمْ في قَلْعَـــةٍ مِنْ بَأْسِهِ لَم تُحْرَسِ

حَتّىٰ ٱستَقَرَّ بِنـاءُ مُلْكٍ ثابِتٍ بِٱلْفَتْحِ وٱلنَّصْرِ ٱلْمُبينِ مُؤَسَّسِ

فَبَنو أَبي بَكرٍ مُلوكُ ٱلشّامِ وٱلدُّنيا بِأَجْمَعِـــها وبَيْتِ ٱلمقْدِسِ

فَهُمُ ٱلْمُلوكُ ولا مُلوكَ سِواهُمُ طابَتْ مَجانيهِمْ لِطيبِ ٱلمغْرِسِ

مَلِكٌ إِذِ ٱفتَخَرَتْ بِهِ أَبْنـاؤُهُ بَيْنَ ٱلْمُلوكِ فَكُلُّهمْ لَم يَنْبِسِ

لا زالَ مُلْكُهُمُ لَهُمْ ما دارَتِ الْأَفْلاكُ في ٱلْفَلَكِ المحيطِ الأَطْلَسِ[4]

وقال أَيضاً يمدحه وكان نازلاً على الطور للغزاة :

هَنيئاً لَقَدْ أُوتيتَ سُؤْلَكَ يا موسىٰ بِجَدٍّ وجَدٍّ كَلْمُهُ الدَّهرَ ما يُوسىٰ[5]

---

(١) المعتسي لم نعثر على هذه الصيغة في المعاجم ونعتقد أنها سهو والصحيح : المتْعسِ ، والتعس : العثور والسقوط .

(٢) مسي : أي مسيء ، ويشير هنا إلى قصة موسى في القرآن الكريم .

(٣) ماردين : بلد ، وقبرص أو قبرس . جزيرة معروفة .

(٤) المحيط الأطلس : الواقع غربي اوربا .

(٥) يوسى : أي يداوى ، والكَلْم : الجرح .

وجَيْشٍ لُهامٍ حلّقَ الطّيْرُ فَوْقَهُ   سَتضْحي لَكمُ أحشاؤهُنَّ نَواويسا[1]
ورَمْيِ سِهامٍ عَنْ قِسِيٍّ بِنَبْضِها   تُغادِرُ مَنْ رامَتْهُ في التُّرْبِ مَرْموسا[2]
كأَنَّ كُماةَ التُّرْكِ عِنْدَ نِزالِهِمْ   مَلائِكَةٌ بِالشُّهْبِ تَرْمي الأبالِيسا
وقدجالتِ الأكرادُ بالسُّمْرِ والظُّبى   تَصيدَ الملوكَ الصِّيدَ والأُسدَ الشوسا
إذا العَرَبُ الشُّمُّ الأنوفِ تَنَمَّروا   بهِ كانَ كلٌّ بالمثقَّفِ دعِّيسا[3]
وليسَ لموسىٰ من عَصاً غيرُ صارمٍ   تُكِبُّ على الأذقانِ ضرباتِهِ الرّوسا[4]
وثُعبانُهُ الرمحُ الأصَمُّ لِسانُهُ   يُنَضْنِضُ في سُمِّ المنيّةِ مَغْموسا[5]
ويُزْجي سحاباً من سَنابِكِ خَيْلِهِ   بِلَمْعِ الظبى والبيضِ تَجْلو الحَناديسا[6]
فيرمي انكباراً بانكِدارٍ إلىٰ لظىً   ويُرْكِسُ في قَعْرِ المنيَّةِ مَركيسا[7]

(١) الجيش اللُّهام : العظيم من لهمَ الشيء : ابتلعه ، معناه جيش يلتهم كل شيء والناووس : مقبرة النصارى ، أو تابوت من حجر .

(٢) نَبَض فلان في قوسه : حرّك وترها لترنّ والنابض : الرامي ومرموسا : مدفوناً .

(٣) دَعَس فلان بالرمح : طعنه . وكذلك دعَّسَه .

(٤) الأذقَن والذقن : مجتمع اللحيَيْن من أسفلها . جمعه أذقان . والروسا هنا إمّا رؤوس الأعداء ، أو الجنود الذين هم من أصل روسيّ .

(٥) نضنض : تحرّك ومنها : حية نضناض ، ونضناضة الكثيرة الحركة .

(٦) الحناديس : مفردها حندس : الليل ، وتجمع أيضاً على حنادس .

(٧) انكبار : أسم لم نعثر على ترجمته في المعاجم ، وركس واركس : نكس ونكّس ، وردّ الشيء مقلوباً . مركيس : المركيس تصحيف لكلمة مركيز الفرنجية وهي لقب للوجاهة .

إذا أَشرَقَت للأَشْرَفِ القَيْلِ رايَةٌ ... تنَكَّسَتِ الصُّلْبانُ بالكَسْرِ تنْكيسا

وقدْ نَطَقَتْ بالنَّصْرِ بيضُ سُيوفِهِ ... كما أَخْرَسَتْ رناتُهُنَّ النَّواقيسا

ثَعالِبُ أَطرافِ الرِّماحِ بَلَغْنَ في ... أَضىً الزَّرَدِ الضَّافي على الأُسدِ ملبوسا(1)

هو البحرُ لولا البَحْرُ فيهِ ملوحَةٌ ... هو اللَّيثُ لولا أَنَّ في اللَّيثِ تَعبيسا

هو الخَضِرُ المشهورُ نَشراً وسؤْدَداً ... ويوسُفُ حسناً وأَلقَ موسى تجدموسا

ويَحْمَدُهُ عيسى على فَتَكاتِهِ ... بجَحْفَلِهِ في أُمَّةٍ عَبَدَتْ عيسى

وما زالَ يُرضي اللهَ سِرّاً وجَهرَةً ... ويُسْخِط في كل المواطِنِ إبليسا

إذا قالَ لم يَترِكْ مَقالاً لقائِلٍ ... ولو كانَ تطبيقاً يروع وتَجْنيسا(2)

إلى جودِهِ أَشكو من الكُرَبِ التي ... أُؤَمِّلُ أَنْ أَلقى لها منه تنفيسا

فلا تَرْضَ في حُكمِ الزَّمانِ فانني ... أرى حُكْمَهُ في أَهلِهِ صارَ معكوسا

فَفيهِ ٱلذُّنابىٰ ٱلرَّأْسُ وٱلرأْسُ أَصبَحَ ٱلذُّنابىٰ مِنَ الطَّيْرِ الّذي ليسَ طاووسا

هُوَ ٱلهازِمُ الآلافِ في ٱلرَّوْعِ وَحدَهُ ... ومُعْطي أُلوفاً فِضَّةً تَملأُ ٱلكيسا(3)

---

(1) الأضاة : الغدير والمستنقع وتشبه به الدروع واضىً جمعها .

(2) التطبيق : من الطباق ، والتجنيس من الجناس ، وهما لونان من البديع .

(3) النضّ : الدرهم أو الدينار ، واستخلصه منه نضّاً : أي نقداً ، وقد تكون هذه الكلمة في البيت « فضة » وسقط قسم من الفاء فأصبحت تشبه الـ « نون » .

فَما جُنْدُهُ إلاَّ أُسودُ خَفِيَّــــةٍ   تَخِذْنَ لَها سُمْرَ ٱلْقَنا اللُّدْن عِرّيسا [1]

فَكلُّهُمُ (ٱبْنُ ٱلْمُرْدَنيشِ) شَجاعَةً   أَجلْ وهُمُ عِندَ النَّوالِ ٱبْنُ بادِيسا [2]

فَكمْ مِنْ رَحىً حَرْبٍ أَدارَ بِما سَقى   بِهِ السُّمْرِ وٱلبيضَ الرِّقاقَ الدَّبابيسا [3]

هُوَ الأَسَدُ الْحامي ٱلْحَقيقَةَ مُقْدِماً   ومَنْ ذَا يَرُدُّ ٱللَّيثَ عنْ مَنْعِهِ ٱلْخِيسا [4]

عَلى ٱلطُّورِ ناجى اللهُ موسىٰ بِنَصرِهِ   فَبِٱلطّورِ ثَغْرُ السِّلْمِ أَصبَحَ مَحْروسا

عِمارَتُــــهُ تَخْريبُ أَعْمارِ عابدي ــ الصَّليبِ وفيهِ أُسِّسَ النَّصْرُ تَأْسيسا

عَلا مُشْمَخِرّاً في السَّماءِ بِناؤُهُ   يُرَدِّدُ تَسْبيحاً هُنـاكَ وتَقْديسا

مُظَفَّرُ دِينِ اللهِ أَهْدىٰ قُدومُــــهُ   إلى ٱلْقُدْسِ أَمناً لا يَزالُ وتَأْنيسا

فَكُلُّ ٱمرِىءٍ تالٍ مَزاميرَ مَدْحِهِ   يُلازِمُ تَكْراراً لَهُنَّ وتَدْريسا

تُغادِرُ بَيْتَ ٱلمالِ بِٱلبَذْلِ مُوحِشاً   خَلِيّاً وبَيْتَ ٱلْعِرْضِ بِٱلْحمدِ مَأْنوسا

سَما في سَماءِ ٱلمَجْدِ أَسْمىٰ مَحَلَّةٍ   فَكانَ بِها في ذُرْوَةِ ٱلْمُلْكِ إدْريسا [5]

---

(١) الخَفِيَّة : الغابة يقال : أسود خفيَّة كقولهم أسود غابة . والعِرّيس والعِرّيسة : مأوى الأسد .

(٢) ابن المردنيش ، وابن باديس : اسمان علمان .

(٣) كلمة « الرقاق » مطموسة في الأصل وهـذه الكلمة هي أقرب ما يمكن اثباته في هذا المكان والدبابيس : جمع دبّوس وهو المقمعة ، وعند المولدين هراوة في طرفها كتلة صغيرة ، وجاء في « الصحاح » انها معرَّبة .

(٤) الخِيس : مأوى الأسد .

(٥) إدريس : اسم علم ، وليس من الدراسة كما توهم بعضهم .

مُظَفَّرُ دِينِ ٱللهِ كُنْ في زَمانِنا سُلَيْمانَ لَمّا جاءَهُ عَرْشُ بَلْقيسا

ورُدَّ إلى ٱلإسلامِ صُوراً وعَكَّةً وسائِرَ مُدْنِ ٱلْمُشْرِكينَ وتَفْليسا[1]

إذا كانَ دِيْنُ ٱلْمُسْلِمينَ مُؤَيَّداً بِموسىٰ وعِيسىٰ زادَهُ ٱللهُ ناموسا[2]

فَلا بَرِحا في ٱلْمُلْكِ لِلدّينِ ما وَشَى صَباحٌ وماوَشّى ٱلْيَراعُ ٱلْقَراطِيسا[3]

وقال يمدح الأمير فخر الدين جهاركس رحمه الله[4] :

عَصْرُ الشَّبيبَةِ أَنْفَسْ مِنْ كلِّ عَصْرٍ وأَكْيَسْ

بِـــهِ خَلَعْتُ عِذاري واللَّهْوُ لي فيـهِ مَلْبَسْ

إذْ لَسْتُ إلاَّ عَلىٰ كَأْ سِ قَهْــــوَةٍ أَتنَفَّسْ

مِنْ كَفِّ أَحْوىٰ غَريرٍ حُلْوِ ٱلْمَراشِفِ أَلعَسْ

تَوَرَّدَتْ وَجْنَــــتاهُ والطَّرْفُ فيهِ مُنَرْجَسْ[5]

---

(١) صور وعكة وتفليس : اسماء مدن .

(٢) الناموس : له معـان عدة : صاحب السرّ المطلع ، الحاذق ، الشريعة ، وعند العامة : الشرف .

(٣) اليراع : القلم : القراطيس جمع قِرطاس وهو الورق .

(٤) اسم أمير من قواد صلاح الدين أو أحـــد أبنائه واسمه الأمير الكبير فخر الدين الصلاحي توفي في دمشق ودفن بقاسيون ، ومن أملاكه في وادي بردى قرية « الكفر » وقسم من « بيت سَوا » في الغوطة .

(٥) منرجس : من النرجس .

يَميسُ كالغُصْنِ بَلْ قَدُّهُ المُهَفْهَفُ أَمْيَسْ

يُديرُ كأْسَ عُقارٍ مِنَ الرَّحيقِ المُشَمَّسْ[1]

قُمْ فَاسْقِنِي أَوْ تَرانِي أَقولُ: حَسْبِيَ بَسْ بَسْ[2]

حَمْراءُ أَخَّخَ إِذْ ذاقَها النَّديمُ وعَبَّسْ[3]

كأَنَّ فاراتِ مِسْكٍ مِنها تُشَقُّ وتُغْرَسْ

فَالنّارُ مِنها إِذا سَحَّ راسَها الماءُ يُقْبَسْ

تَكادُ تَطْلُعُ شَمْسُ الضُّحى إِذا اللَّيلُ عَسْعَسْ[4]

كأَنَّها أَشْرَقَتْ عَنْ سَنا مُحَيّا جَهارْكَسْ

أَوفَى سَطاً في الوَغى مِنْ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي وأَفْرَسْ[5]

غَيْثُ الجُدوبِ ولَيْثٌ لَدى الحُروبِ عَرَنْدَسْ[6]

لَوْ رامَ (سُحْبانُ) أَوْصافَهُ انْثَنى وهْوَ أَخْرَسْ

---

(١) المشمّس : أصابته الشمس .

(٢) بس بس : أمر بالسكوت . عامي الأصل .

(٣) أخّخَ من كلمة أخّ : للتوجع أو التكرّه ، والعامة تستعمل كلمة أُخ : للاعجاب والتذوّق واستحسان المشروب أو المأكول .

(٤) عسعس الليلُ : أقبل ظلامه وادبرَ أيضاً فهو ضدّ .

(٥) عمرو بن معدي : هو ابن معد يكرب الزبيدي ، الفارس والشاعر المشهور .

(٦) العرندس : من الإبل الشديد الطويل القامة ، والسيل ، والأسد العظيم .

أَمضىٰ مِنَ ٱلْحُمْسِ في مَعْـــرَكِ ٱلهِياجِ وأَحْمَس[1]

جَنَى ٱلْعُـــلَا يانِعاتٍ مِنْ مَنْبتٍ لَيْسَ يَيْبَسْ

وكَيْفَ لا يَجْتَني ٱلْحَمْـــدَ مَنْ لَهُ ٱلْمَجْدُ مَغرَسْ

لا يَرْهَبُ ٱلْحَرْبَ يَوْماً إذا ٱلخَميسُ تَكَرْدَس[2]

لٰكِنْ يَخوضُ لَظاها غَضَنْفَرٌ مِنْهُ أَشْوَس[3]

تَفِرُّ عَنـــهُ ٱلْحُماةُ ٱلْأُباةُ إِذْ يَتَبَهْنَس[4]

وكَيْفَ يَقْوى كَلَيْثِ ٱلْعَرينِ سِيدٌ عَمَلَّس[5]

أَيَرْهَبُ ٱلأَسَدُ ٱلْوَرْدُ [من دُؤالَةَ الأَطْلَس][6]

وقال يمدح قاضي القضاة زكيّ الدين بن محيي الدين رحمه الله[7] :

ماسَتْ كَخَوْطِ ٱلْبانَةِ ٱلْمَيّاسِ ورَنَتْ إِلَيَّ بِلَحْظِ رِيمِ كِناسِ[8]

---

(١) الحُمْس : جمع أحمس وهو الشديد الشجاع ، وأحْمس : أكثر حماسة .

(٢) الخميس : الشديد العظيم ، وتكردس : من كردس الخيل : جمعها وجعلها كتيبة وتكردس فلانٌ : اذا مشى في خطو متقارب كالمقيّد .

(٣) الغضنفر : الأسد ، والاشوس : العبوس .

(٤) تبهنس : تبختر ، والبهنس الثقيل الضخم ، والأسد .

(٥) عَمْلَس : في السير أسرع ، والعَمَلَّس : القوي السريع والذئب الخبيث .

(٦) الورد : من أسماء الأسد ، ودُؤالةَ : اسم جنسي للثعلب ومنه : الدّأل ابن آوى ، والدّئِل والدّؤل : ابن آوى أيضاً والذئب والأطلس : الذئب الأغبر .

(٧) هو قاضي دمشق ومن شعراء صلاح الدين الأيوبي وقد مدحه يوم فتح حلب في قصة معروفة .

(٨) الكناس : بيت الغزال ومأواه .

لكنَّها نَفَرَتْ نُفوراً راعَني إذْ راعَها وخَطُ ٱلْمَشيبِ بِراسي[1]

هَيْفاءُ في قَلْبي لِجَرْسِ حُلِيِّها أَضعافُ ما تُبْدي مِنَ ٱلْوَسْواسِ

وَرْدِيَّةُ ٱلْوَجَناتِ هارُوتِيَّـــةٌ لَحَظاتُها مِسْكِيَّةُ ٱلأنفاسِ

تَفْـــتَرُّ عنْ دُرٍّ نَظيمٍ ناصِعٍ حُلْوِ ٱلْمَراشِفِ لَمْ يُمَسَّ بِماسِ[2]

وَيَهُزُّ مِنهـا خَطْوُها في مَشْيِهـا حِقْفاً بَديعَ ٱللِّينِ لَيسَ بِحاسِ[3]

تَمْشي وتَسحَبُ خَلْفَهـا مِنْ فَرْعِها وَحْفاً كَأَسْوَدَ لَيْسَ بِٱلنَّهّاسِ[4]

قالتْ: أَرىٰ رَبعَ ٱلشَّبيبَةِ مُقْفِراً مِنْ بَعْدِ أَنْ قَدْ كانَ ذَا إِيناسِ

أَعْدَتْك عادِيَةُ ٱلمَشيبِ عَنِ ٱلصِّبىٰ حَتّىٰ نَفَضْتَ هَواكَ بِالأَحْلاسِ[5]

فَأَجَبْتُها: لَمْ يَخْطُ في مَيْدانِــهِ قَدَمي ولا رَكَضْتُ بِهِ أَفْراسي

لكنَّني مُغْرىً بِحَسْوِ سُلافَةِ ٱلآ دابِ لا بِمُدامَةٍ في ٱلْكاسِ

لا خَيْرَ فيمَنْ يَحْتَسي في دَهْرِهِ شَيْئاً لِفَضْلِ أَخي ٱلرَّزانَةِ حاسي

---

(١) وخطه الشيب: اختلط بشعره.

(٢) بِماسِ: بماسٍّ وخففت الشدة والتنوين من أجل الوزن والقافية. والماس أيضاً بالتخفيف: من الأحجار الكريمة.

(٣) الحاس: لم نجد لها معنى غير الحسو، والحاسي اسم فاعل من حسا يحسو أي شرب شيئاً فشيئاً. وقد يمكن أن تكون من حسّ ثم خففت الهمزة في «حاسٌ» وهو ضعيف.

(٤) نهس: أخذ اللحم بمقدَّم فمه، ونهسته الحية: نهشته، والأسود الثعبان.

(٥) الأحلاس: الأكفاء، يقال هذا ليس من احلاس من فلان:

أَصِباً وقَـدْ نبَتَ ٱلثَّغامُ بِمَفْرِقي   كَلّاوقَدْ نُكِبَتْ قُوى أَمراسي[1]

دَعَّتْنِي الخَمْسونَ في ظَهري إلى السّتّينَ فـانهتَمتْ بـه أَضراسي[2]

وضعفتُ ضَعْفَ ابنِ اللَّبونِ وكنتُ في   شرخِ الصبى كالبازِلِ القنعاسِ[3]

لم يبقَ مِنّي غيرُ غُبَّرِ مُــدَّةٍ   مَدَّتْ يدَ الإِيناسِ لِلإِبْساسِ[4]

من حَلَّ مُعْتَرَكَ المنايا يلْقَ أَنيـابَ النَّوائبِ فوقَ كَلْكَلٍ باس

والدَّهرُ يَرْسُبُ في أَواخِرِهِ القذى   لِمُعَمِّرِيهِ فهوَ مثلُ الكاسِ

إنَّ الخلاعةَ قد خَلَعْتُ لِباسَها   وعلِمْتُ أَنَّ الجِـدَّ خيرُ لِبـاسِ

والجِدُّ مدحُ الطاهِرِ القاضي زكـيِّ الدينِ والدُّنيا أَبي العبّاسِ

يا ابنَ الأُلىٰ شَهِدَ الزَّمانُ بأَنَّهمْ   بعدَ الخلائِفِ فيهِ خيرُ النّاسِ[5]

ما للأُمورِ إذا شكا من كَلْمِها   شوسُ الملوكِ سِواكُمُ من آسِ

ذَلَّلْتُمُ بعلومِكُمْ وحُلومِكُمْ   إذْ رُضْتُموها كلَّ ذاتَ شِماسِ

---

(١) الثغام : نبت معروف يشبه به شعر المشيب والثاغم : الأبيض كالثغام . ونكبت : جرحت وخدشت ونكبت الريح مالت ، والأمراس الحبال .

(٢) دعَّ : دفع بعنف ، انهتم : انكسر ، والأهتم من كسر بعض اضراسه أو أسنانه .

(٣) القنعَاس ، والقُنَاعِس : العظيم من الإبل والجمع : قناعيس ، والبـازل : الجمل ، والبازل من الإبل : ما بزل نابه أي بلغ التاسعة من العمر .

(٤) غُبَّرُ الشَّيء : بَقِيَّتُهُ وجمعُها : غُبَّرات . والإبساس : التلطف للناقة حتى تدرَّ بقولنا بس بس .

(٥) الخلائف : الخلفاء .

وأَطاعَ أَمْرَكُمُ الزَّمانُ وقَدْ رَمىٰ ... حُسَّادَكُمْ بالرَّغمِ والإتعاسِ

وبلغتُمُ بالرَّأْيِ ما لمْ يستطعْ ... إدْراكَهُ باللّامِ أُسْدُ حِماسِ[1]

حَسَدَتْ دِمَشقَ على مَقامِكُمُ بها ... بغدادُ وهيَ حِمىٰ بني العبّاسِ

أَنتَ الَّذي بفعالِهِ ومَقالِهِ ... في حكْمِهِ أَنْسىٰ ذَكاءَ إياسِ[2]

إنْ يَنثُرِ الدُّرَّ النَّفيسَ بنانُهُ ... يَنْظِمْهُ بالأَقلامِ في القِرطاسِ

ببيانِهِ وبنانِهِ سِحرانِ من ... لفظٍ وخطٍّ باهِرِ الجُلّاسِ

ما إنْ رَأَينا صائِغاً من قبلِهِ ... في الطِّرسِ صاغَ الدُّرَّ من أَنْقاسِ[3]

يا من ينافِسُهُ لقدْ أَمَّلْتَ أنْ ... تَلقىٰ شُعاعَ الشمسِ بالنِّبراسِ

طبٌّ بأَحكامِ الشريعَةِ فارسٌ ... في حومَتَيْ نصٍّ وحُسنِ قياسِ

من دوحَةٍ قُرَشيَّةٍ أُمويَّةٍ ... في سُرَّةِ البطحاءِ ذاتَ عِراسِ[4]

---

(١) اللاّم : عصاً في رأسها حديدة تستعمل مهمزة أو للنخس وهي أيضاً أحد الحروف العربية ولها أصل بالعبرانية والسريانية لأن شكل هذا الحرف في الفنيقية يشبه الهمزة . والحِماس : من الحماسة .

(٢) إياس : قاضٍ اشتهر بالذكاء .

(٣) الانقاس : جمع نِقس وهو الحبر .

(٤) العِراس : في المفرد وهو الحبل الذي يُعرس به البعير أي يشدّ من عنقه الى ذراعه ، وعرّس القوم إذا نزلوا في المكان ، والعَرس « بالفتح » : عمود وسط الفسطاط ولكن جمعه أعراس لا عِراس . ولم نجد من هذه الصيغة جمعاً .

فكأنَّ عافِيهِ زُهَيرٌ مادِحاً هَرِماً فحادَ بِهِ عَنِ الإفْلاسِ[1]
وحَسوده يحكي كُلَيْباً إذ ثَوىٰ لِيَدَيْهِ والفمِ منْ يَدَيْ حسحاس[2]
إنْ كنتُ نسياً عندَ مُحيِ الدينِ مَنْسِيًّا فليسَ ليَ أبْنُهُ بالناسي
لَهما دُعائي والثَّناءُ عَليهِما يتردَّدانِ تَرَدُّدَ الأنفاسِ
وأنا الجَديرُ لِحُسْنِ مدْحي فيهما قِدماً بما قد كان حُقَّ لشاسِ[3]
لا فارقا النعماءَ فهي لديهما مَبنيةٌ عادِيُّه الآساس[4]
ما دامَ ماءٌ في يزيدَ وفي ثَرىٰ ثَوْرا وفي بردىٰ وفي باناسِ[5]
هُنِّيتَ عاماً أقبلتْ أوقاتُهُ وَوُجوهُها بالنَّورِ منكَ كواسي
مثلُ المصاحِفِ زُيِّنَتْ أوراقُها بِطَلاوَةِ الأعشارِ والأخماسِ[6]

---

(١) زهير ابن سلمى الشاعر ، وهرم : هو هرم بن سنان ممدوح الشاعر .
(٢) كليب بن ربيعة الذي قتله جساس من بني بكر ونشأت عن مقتله حرب البسوس الشهيرة ، والحسحاس قد وردت هنا خطأ كما نعتقد والمقصود بها : جسّاس بن مرة الذي قتل كليباً . والحسحاس : هو السيف ، والرجل الجواد .
(٣) شاس : اسم علَم ، وشَأسَ : صَلُبَ .
(٤) عادية : نسبة الى عاد ويقصد أنها قديمة .
(٥) يزيد وثورا وبردى وباناس : أربعة أنهار في دمشق .
(٦) الأعشار والأخماس : أجزاء القرآن الكريم .

وقال يمدح الأَمير شرف الدين يعقوب بن محمد الفخري المُعَظمي :

سَرى طَيفُ عَلْوَةَ من بانياسا وقَد أُسْعِرَ القَلْبُ مُذْبانَ ياسا
فكم من أَفاحيص جون القطا خطا وأداحِيَ للرُّبدِ داسا[1]
سَرى حينَ هَوَّمْتُ في لَيْلَةٍ تَهابُ السَّراحِينُ فيها اعْتِساسا
كأَنَّ دُجاها غُرابٌ تَنَفَّضَ إذ أَعْيُنُ السُّحْبِ تَهْمي انْبِجاسا[2]
وإِنسانُ عَيْني صَبِيٌّ بِمَهْدٍ يُهَزُّ بِهِ فيناغي النُّعاسا
وما كانَ إذ زارَني سَامِرِيّاً يَقولُ إذا رُمْتهُ لامِساسا[3]
فَذَكَّرَني عَهدَ بانِ الحِمىٰ وفَوْدي ثَغَامٌ وقد كانَ آسا[4]
وكمْ لَيْلَةٍ بُتُّ في ظِلِّها أُعاطىٰ بِقاعِيَّةً من يَماسا[5]

---

(١) افاحيص : مفردها أفحوص ، وهو بيت القطاة ، الجون : السود ، والأداحي : مفردها أُدْحِيّ ، والرُّبْدة : لون إلى الغبرة والرُبد هنا جمع أَربَد وهو الحية الخبيثة ؛ أو الأسد أو الماعز المنقط بحمرة .

(٢) انبجاسا : انصبابا ، انبجس : نبع وتصبب .

(٣) المساس : اللمس ، والسامريون : جماعة من اليهود كانت لهم طقوس تمنع من مس الناس .

(٤) الفَوْد : معظم شعر الرأس ، والثغام : أسم نبات أبيض يكنى به عن الشيب والآس : نبات أخضر ميال إلى السواد .

(٥) البقاعية : خمرة تنسب الى البقاع ، وهي منطقة في لبنان اليوم و « يماس » اسم مكان .

إذا ما تَناوَلتَ كأْساً من الحَبيبِ بِهـا أَتبَعَ الكاسَ كاسا
فَلا تُنْكِرنَّ هَـدَاكَ المليكُ مَقالي فَمَن أَدمن الكأْسَ كاسا[1]

ومن فاهَ بالنّـارِ لم يَحْتَرِقْ بِهـا فوهُ يومـاً ولمْ يَخْشَ باسا
ولي شَرَفُ الدينِ في بانياسَ فَلَسْتُ لِفُرْقَـةِ من بانَ آسى

إذا قالَ شِعْراً أَرانا ٱبنَ أَوْسٍ حَبيبـاً وأَنسىٰ ذَكاءً إِياسا[2]
أَنيقُ القَوافي دَقِيقُ المعـاني يُجيـدُ الطباقَ بهِ والجِناسا[3]

قَوِيُّ النُّهوضِ بِعِبءِ العَروضِ ولم يَكُ في النَحْوِ يَخْشىٰ التِباسا
أَفـادَ فَجـالَ وسادَ فزاد وفـادَ فـذادَ وعـادَ فـآسى

يَبُـذُّ الخُصُومَ إذا ناظَروهُ بِنَصٍ ويُربي عَلَيْهِمْ قِيـاسا
أَرىٰ النّاسَ ناساً بِهِ حَيْثُ حَلَّ فَإِنْ غابَ عنهم فما النّاس ناسا

فيـا ٱبن مُحَمَّدٍ ٱسْمَعْ فأَنتَ كيعقوب يعقوب في بانياسا[4]

---

(١) كاس : يكوس البعير مشى على ثلاث وهو معرقب كناية عن مشية السكير وكاس فلاناً صرعه .

(٢) ابن أوس : هو حبيب ابو تمام الشاعر وإياس : هو القاضي الشهير بالذكاء .

(٣) الطباق والجناس : نوعان من البديع .

(٤) يعقوب الأول : هو النبي يعقوب (ع) ويعقوب الثانية : الممدوح وبانياس : اسم بلدة .

مَدينَـــةُ أَسباطِهِ لم تكُنْ   من البَرَكاتِ تَخافُ احتِباسا[1]
أَتتْكَ السَّعـــادَةُ مُنْقــادَةً   وتأْبىٰ لِغَيْرِكَ إلّا شِماسا[2]
فيـا من يُسائِلُ عَنـــهُ أَصِخْ   لِمَن للتَجــارِبِ قاسىٰ فقاسا[3]
وجاوِرْهُ تَنْجُ بـهِ وقتَ بأسٍ   وشاوِرْهُ تَجْنِ مُنىً واْقتِبــاسا
لهُ قَـلَمٌ واسِعُ اْلفَضْلِ جـلَّ   وإنْ ضاقَ شِقّـاً وإنْ دَقَّ راسا
يَجودُ فَيُغْني الموالي سَماحـــاً   ويَسْطُو فيُفني الأَعادي حَماسا
تَسُوسُ الأَقاليمَ أَقـلامُـــهُ   فياحَبَّذا مَنْ بهِ النّاسَ ساسا
بنىٰ «لِجَهْرَكَسَ» بالرَّأْيِ مُلكاً   فَقَوّىٰ دَعـائِمَـهُ والأَساسا[4]
فكـانَ لِدَوْلتِهِ زينَـــةً   كذاكَ الطِرازُ يزينُ اللِّباسا
وما مَنْ يُقَرِّبُ منهُ الكِرامَ   كآخَرَ يُدني إليـــهِ الخِساسا

---

(١) أسباطه : هم أسباط يعقوب المعروفون وهم اثنا عشر والسبط هو الحفيد وعند اليهود هو القبيلة .

(٢) الشطر الأول من هذا البيت مأخوذ من بيت أبي العتاهية الذي هنأ فيه الخليفة المهدي بالخلافه وهو :

اتتك الخلافة منقادة   اليك تجرّر اذيالهـا

والشماس : الحَرَن والامتناع ، ويعرف في الخيل وغيرها فيقال : شموس .

(٣) قاسى : من المقاساة والتحمل ، وقاسا الثانيـة : من القياس ، أي أنـه يقيس الأمور بعد تجربتها .

(٤) جهاركس : قائد من قواد صلاح الدين .

غَدَتْ بانياسُ عَرينَ الهِزَبْرِ وقَبْلَ جِهارَكَسَ كانتْ كِناسا[1]

وقال في غَرَضٍ له :

لَهَانَ بنو التركِ حتىٰ غَدَوا مماليكَ كلِّ لئيمٍ خسيسِ

إذا ما مَشَوْا خَلْفَهُمْ خِلْتَهُمْ ظِباءَ الأَجارِعِ خَلْفَ التُّيوسِ[2]

حِسانُ الوجوهِ ولكنَّهُمْ سُعُودٌ طَوالِعُ خَلْفَ النحوسِ

وقال يهجو بعض رؤساءِ المصريين :

لَئِنْ كانَ وافىٰ مِصرَ فرعونُ وَحْدَهُ من الشّامِ فاسْتَعْلىٰ وأَظهَرَ ناموسا

فَقَد قذفتنا مِصرُ منها بواحِدٍ يُرَىٰ ألفَ فِرعونٍ وليسَ لنا موسى

فعثنونه لِلّؤْمِ والخبثِ مَعْدِنٌ فَصَبَّ عليهِ عاجِلاً رَبُّنا موسى[3]

حَوىٰ كِبرَ نمرودَ بنِ كنعانَ أَنفُهُ فَلَيتَ به من نَقْمَةِ اللهِ ناموسا[4]

تَطَأْطَأَ حتى الطيلسانِ مُرائِياً فكانَ لما يبغيهِ فخّاً وناموسا[5]

---

(١) الكناس : بيت الغزال .

(٢) الأجارع : جمع أجرع وجرعاء ، والجرعاء : الرملة الطيبة .

(٣) العثنون : طرف اللحية ومُقَدَّمُها وموسى : هي الآلة المعروفة للحلاقة .

(٤) نمرود بن كنعان : هو ملك كان معاصراً للنبي إبراهيم الخليل عليه السلام . والناموس هنا : هو الحشرة المعروفة التي يروى أنها دخلت في أنف نمرود فمات منها .

(٥) الناموس : شَرَك ، أو قطعة اللحم يضعها الصياد للصيد وتسمى (قترة) من القتار وهو رائحة اللحم .

وقال وقد دخل هو والأمير سعد الدولة وجماعةٌ من المتميّزين بدمشق إلى حَمّام الزَّبداني :

أرىٰ ماءَ حَمّامِكُمْ كالْحميمِ نُكابِدُ مِنه عَناءً وبُوسا
وعَهْدي بِكُمْ تَسْمِطُونَ الْجُدَيَّ فَمابالُكم تَسْمِطُونَ التُّيوسا(1)

وقال ولزِمَ في كلِّ كلمةٍ منها حرف السّين(2) :

اِسْقِنِي الْخَنْدَرِيسَ تُسْبِ عَرُوسا بِسَناها السّاقي يَسُرُّ النُّفوسا
سُقْتَ بِالسّاقِ ساقِياً وبِوَسْنا نِكَ لِلْحسْرَةِ الأُسودَ الشُّوسا
حَسْبُنا حَسْوُنا السُّلافَ شَموسا بِكُؤوسٍ يُحْسَبْنَ حُسْناً شُموسا
عِيسُها عَرَّسَتْ بِساحَةِ عيسىٰ وسَقَتْ بالسِّمامِ موسىٰ موسا(3)
لا تُسَوِّفْ بِالكأْسِ ناساً كِياساً سَبَلوا الْكيسَ فاسْتَباحوا الْكُؤوسا
سَلْسَبيلاً لِحَسْوِها سَلْ سَبيلاً فَسِواها لِلنَّفْسِ لَيسَ أَنيسا
أَلْبَسَتْها السُّقاةُ سِرْبالَ حُسْنٍ وسَقَتْها شَمامِساً وقُسوسا
دَوَّسوها وقَدَّسوها وسَمّوا سَفَهاً مُسْتَحِلَّها قِدّيسا

(1) سَمَطَ ، يَسمط : الجديَ نتف صوفه .
(2) يلاحظ أن الالتزام بحرف السين واقع في الكلمات التي تبدأ بها الأبيات .
(3) عرَّست : أقامت ، والسِّمام جمع ، وسِمام الإنسان : فمه ومنخره أو أذناه .

فَاسْقِني سَلْسَلاً تَسُلُّ رَسيسَ ٱلسُّقْمِ سَلّاً وتَسْلُبُ ٱلنّاموسا[1]
سَقِّني اسْفَنْطاً تُسارِقُ بِٱلسِّرِّ لسانَ ٱلرَّئيسِ جالينُوسا[2]
فَنَسيمُ ٱلسُّلافِ يَسْري سُحَيْراً بِسُعودٍ فَيَستَفِـــرُّ ٱلنُّحوسا
سَيِّدِيــ سامَني مُسامَرَةَ ٱلنَّرْ جِسِ وٱلآسِ فَٱسْتَحِثَّ رئيسا
وسَعَىٰ بِالطّاساتِ أحسَنَ ساعٍ وسَقامُ ٱلأجسامِ بِالكأسِ يُوسَىٰ[3]
سَطَواتُ ٱلسُّلطانِ سَلَّتْ سُيُوفاً سَاطِياتٍ فَأَسْخَطَتْ إبليسا
سَلَبَتْنا حَسْوَ ٱلسُّلافَةِ سِرّاً فَسَرىٰ يَسْلُبُ ٱلنَّفيسُ ٱلنَّفيسا
حُبِسَ ٱلمِسْكُ بِالمُسُوكِ سَحيقاً فَعَسى ٱلسُّؤلُ يُرسِلُ ٱلمَحبوسا[4]

وقال أيضاً :

يَرِقُّ ٱلصَّخْرُ لي مِمّا أُقاسي وأَنتَ عَلَيَّ فَظُّ ٱلقَلْبِ قاسِ
ولَم يَكُ ناسِياً ذِكْراكَ قَلْبي وأَنتَ مُضَيِّعٌ لِلْعَهْدِ ناسِ
دَعُوا عَذَلي عَلى ناسي عُهودي فَما ٱلعُذّالُ في ٱلنّاسِي بِناسِ[5]

---

(١) الرسيس : الشيء الثابت ، وأول الحب .
(٢) الأسفنط : الخمرة ، وجالينوس : الطبيب اليوناني المعروف .
(٣) يُوسىَ : يداوى .
(٤) المسوك : جمع مَسْك (بالفتح) وهو الجلد لأنه يمسك ما وراءه من لحم وعظم ، والمِسك « بالكسر » الرائحة الطيبة المعروفة ، والسؤل : الرجاء .
(٥) الناسي : من النسيان ، وناس : البشر .

تُذَكِّرُني لَماهُ ٱلرّاحُ صِرْفاً   فَأَمزُجُ مِنْ دَمي وٱلدَّمعِ كاسي
رَمتني مُقْلَتاهُ بِسَهْمِ لَحْظٍ   فَما بُقْراطُ لي مِنْهُ بِآسِ
قَدِ ٱقتادَ ٱلْغَرامُ بِهِ عِناني   كَما ٱقتادَتْ عِنانُ أَبا نُواسِ[1]
أَبَيْتُ ٱلضَّيْمَ إلاّ في هَواهُ   عَلىٰ عَيْنَيَّ أَحمِلُهُ وراسي

وقال أيضاً :

أَيُّها ٱلحادِيانِ حُثّا ٱلْعِيسا   حامِلاتٍ مِنَ ٱلْعَذارىٰ شُموسا
رامِياتٍ بِأَسْهُمٍ نافِذاتٍ   قاتِلاتٍ كُلومُها لا تُوسى[2]
هُنَّ أَجْرَيْنَ في ٱلْخُدودِ دُموعاً   يَوْمَ وَدَّعْنَنا فَسِلْنَ نُفوسا
كُلُّ هَيْفاءَ كالْمُثَقَّفِ قَدّاً   لَحظُها كالسِّنانِ باساً وبُوسا[3]
ساحِراتٍ يَرْدُدْنَ مَنْ كانَ بِالسِّحْرِ كما رَدَّ كَيْدَ فِرْعَوْنَ موسىٰ
يَا نَديمي قُم سَقِّني بِنْتَ كَرْمٍ   تَطْرُدُ ٱلهَمَّ صاغِراً والرَّسيسا[4]
لا تُطعْ مَنْ يَلومُ فيها فما اللَّذَّةُ إلاّ أَنْ تَشْرَبَ الخَنْدَريسا[5]

(١) عِنان : جارية الناطفي التي كان يتغزل بها الشاعر أبو النواس .
(٢) الكلوم : الجراح ، توسى تداوى .
(٣) الهيفاء : المشوقة ، المثقف : الرمح الذي يُثقف رأسه : من الثِقاف أي التقويم .
(٤) الرسيس الثابت .
(٥) الخندريس : الخمرة .

وَٱجْلُ مِنها عَلى ٱلنَّدامىٰ عَروساً   حَبَّذا الرَّاحُ في الزُّجاجِ عَروسا
مَا بَدَتْ لِلقِسِّيسِ إِلاَّ وأَبدىٰ   لِلْإِلٰهِ التَّسْبيحَ والتَّقْديسا

وقال أَيضاً :

سَقى ٱللهُ دَيْراً فيهِ نادَمتُ قِسّيسا   فكَانَ شَريفاً ظاهِرَ ٱلْبِشْرِ قِدِّيسا
لَهُ خُلُقٌ يُرْضي ٱلنَّبِيَّ مُحَمَّداً   ويَأْتي بِما أَوْصىٰ بِهِ قَومَهُ عيسىٰ
ويَطْرَبُ إِنْ غَنَّيْتُهُ فَكَأَنَّني   ضَرَبتُ لَهُ في الدَّيْرِ بالصُّبْحِ ناقُوسا
سَقاني مُداماً قَرْقَفاً ذَهَبِيَّةً   كَأَنَّ عَلىٰ حافاتِها ٱلدُّرَّ مَغْروسا [١]
مُعَتَّقَةً مِنْ صَيْدَنايا سَبَأْتُها   يَهُزُّ بِها الرَّاوُوقُ أَعطافَ إِبليسا [٢]
فَمِنْ وجْهِها في ٱلْكأسِ يُبْدي طَلاقَةً   إِلَيَّ ومِنْ وَجْهي يُقابِلُ تَعْبيسا
كُمَيْتاً بِها يَسْعىٰ عَلى الشَّرْبِ شادِنٌ   مِنَ التُّرْكِ تَكْسوهُ ٱلْمَهابَةُ ناموسا [٣]
يُخالُ إذا مَا ٱخْتالَ في بُرْدِ حُسْنِهِ   وقَدْ ماسَ مِنْ سُكْرِ المُدامَةِ طاوُوسا
ذُؤابَتُهُ الثُّعبانُ إِذْ راعَ شَكْلُها   إلىٰ قَلْبِهِ فِرعَونَ يَومَ عَصا مُوسىٰ
يُسَرُّ الّذي تَلْقاهُ يَوْماً بِقُرْبِهِ   سُرورَ سُلَيمانٍ عَلىٰ عَرْشِ بَلْقيسا

---

(١) المدام والقرقف : من أسماء الخمرة .
(٢) صيدنايا : اسم قرية الى جانب دمشق مشهورة بدير فيها . سبأتها : شربتها
الراووق : الاناء الذي تصفى وتروّق فيه الخمرة ، المصفاة .
(٣) الناموس : المهابة والشرف .

فَأَنشَدَني شِعْراً أَنيقاً مُهَــذَّباً بِهِ وافَقَ التَّطْبيقُ في الْحُسْنِ تَجْنيسا[1]

وَيَنْبُضُ سَهْماً طَرْفُــهُ كلَّما رَنا وقَوَّسَ مِنْهُ الحاجِبَ السَّحْبُ تَقْويسا

عَلىٰ خَصْرِهِ تَنْضَــمُّ عَشْرُ أَنامِلٍ

وفي سَرْجِهِ النُّعْمىٰ مِن الرِّدْفِ والْبُوسىٰ

* * *

(١) التطبيق والتجنيس يقصد بها : الطباق والجناس وهما لونان من البديع .

حرف الشين

وقال أيضاً يمدح الملك الأشرف مظفَّر الدين أدام اللهُ سُلطانه :

اَلتُّرْكُ إِنْ لَبسُوا يَوْماً ترائِكَهُمْ ... عَلى الدُّروعِ وأَلقَوْا بِالشَّرابيشِ[1]
أَلفَيْتَ أُسْداً على الْأَعداءِ واثِبَةً ... إذا انْحَنَوْا في قَرابيسِ الْأَكاديشِ[2]
تَلْقى مَلائِكَةً قَدْ أَرْسَلَتْ شُهُباً ... عَلى الْعَفاريتِ مِن أُفْقِ التَّراكيشِ[3]
بُدورُ تِمٍّ تَمَطَّىْ في الْأَهِلَّةِ تَرْ ... مي بِالكَواكِبِ لا الْعيدانِ والرِّيشِ[4]
شاموا جَداوِلَ لَمّا اسْتَلْأَموا غُدُراً ... فَأَوْقَدوا بِمِياهٍ نارَ شاليشِ[5]

---

(١) التريكة : بيضة الحديد والشرابيش : جمع شربوش وهو لباس للرأس ، القلنسوه .

(٢) القربوس : عند العامة خشبة صغيرة في مقدمة السَّرج ، أو انحناء السرج في مقدمته وآخرته وهما قربوسان . (في الفصيح) . والأكاديش : جمع كدش .

(٣) التراكيش : جمع تركاش وهي كنانة الهامة « فارسية » .

(٤) العيدان والريش : كناية عن الرماح والسهام .

(٥) شاموا : رأوا ، واستلأم : لبس اللأمة وهي الدرع ، والغُدُر ، جمع غُدْرة وهي سمة في موضع العذار والشاليش : كلمة دخيلة وهي عند العامة خصلة شعر في مقدم الرأس ، وأصلها خصلة شعر تكون في رأس الراية العظيمة استعملت في الدولة الأيوبية ، ولم نجد غير هذين المعنيين لهذه الكلمة .

عَادوا أَجادِلَ دَجْنٍ صيْدُها أُسُدٌ مُرَدَّفينَ بِها فَوْقَ ٱلْكَبابيشِ[1]

فَلَيسَ يُطْرِبُهمْ إِلاّ اسْتِماعُهُمُ دُعاءَمُسْتَصْرِخٍ أَوصَوْتَ شاوِيشِ[2]

أَبصارُ أَعدائِهِمْ تَعْشَى بِنورِهِمُ أَنّىٰ تَرى الشَّمْسَ أَبصارُ ٱلْخَفافيشِ

مَتىٰ رَنَوْا ومَتىٰ افْتَرّوا حَنَوْا وَحَبَوْا بِالسِّحْرِ مِن بابِلٍ والدُّرِّ مِن كيشِ[3]

هُمُ الأُلىٰ غرَّقَ الإِفْرَنجَ سَيْلُهُمُ فَأَشْبَهوا عُنْصُلاً بادي الأَنابيشِ[4]

هُمُ مَمالكُ موسٰى وهُوَ إِنْ ذُكِرَ ٱلْــمُلوكُ أَفضَلُ ذي تاجٍ وشَرْبوشِ[5]

لا زالَ بِٱلنَّصْرِ مَعْقودَ اللّواءِ وفي ظِلٍّ ظَليلٍ بِعَرْشِ ٱلْمُلْكِ مَعْروشِ

ماغَنَّتِ ٱلْوُرْقُ في الأَغصانِ صادِحَةً تَهُزُّهُنَّ صَبا نَجْدٍ بِتَحْريشِ[6]

---

(١) الأجادل : جمع أجدل وهو الصقر ، والدجن : الليل والمطر ، مردّف ، أي متبوع ، من ردفه أي تبعه ، وأردفه معه أي أركبه معه . والرديف الراكب خلف الراكب . الكبش : من آلات الحرب يتخذ لهدم الأسوار . ولم نجد جمعاً لهذه الكلمة إلا : اكبش وكباش وأكباش .

(٢) الشاويش رتبة عسكرية مصرية وأصلها بالفارسية « جاويش » .

(٣) كيش : أسم بلد .

(٤) العنصل : في الأصل هو البصل البرّي ، والأنابيش جمع : أنبوش وهو أصل النبات المقلوع أو الشجر المقتلع .

(٥) الشربوش : القلنسوة .

(٦) حرَّشَ : فلاناً خدشه . وتحرّش به تعرّض له .

وقال يصف قُبةَ الجامع وحَمْل النَّسْر لها[1] :

ما غادةٌ راكبَةُ النَّسْرِ وقدْ بَدَتْ لِأبصارِ الوَرى نُقوشُها
يَحْمِلُها النَّسْرُ الّذي أَضحىٰ لَهُ مِنَ الطَّواويسِ الذُّكورِ رِيشُها
خافَتْ سُطاها الشَّمْسُ في مَصامِها وذاكَ إِذْ شَكَّ الهِلالَ شيشُها[2]
كأنَّما الهِلالُ خَشْكنانَةٌ وكفُّهُ في أُفْقِهِ تَحوشُها

* * *

(١) هي قبة الجامع الأموي وتسمى « قبة النسر » .

(٢) مصام الشمس : كبد السماء ، ومصام النجم : مُعلّقة والشيش : قضيب من الحديد يشك به اللحم (عامية) .

حرف الصاد

وقال يمدح الصاحب صفيَّ الدين عبدَ الله بن عليّ ويذكر همته في عمارة الجامع وباب البريد والفوارة[1] :

هَلُمّوا اسْمَعوا أُحجِيَّةً أَبتِ النَّقْصا ... فقَدْ لَطُفَتْ مَعْنًى كما حَسُنَتْ شَخْصا

وهَيْفاءَ شَمْطاءَ ٱلْفُروعِ رُضابُها ... شفاءٌ كنَصْلِ السَّيْفِ لا يَسْأَمُ الرَّقْصا

كأَنَّ لَهَا عِنْدَ الثُّرَيّا وَديعَةً ... فقَدْ حَرِصَتْ في أَنْ تَناوَلَها حِرصا[2]

إلىٰ قُرْصِها جرَّتْ يَدُ الشَّمْسِ نارَها ... لِتَحمي بهِ مِن بَرْدِ أمواهِها ٱلْقُرْصا

وتَحْسَبُ ما في الأَرضِ من شِيَةٍ بَدَتْ ... علَى ٱلْخَدِّ مِنه عَضَّها فيه وٱلْقَرْصا

إلَى الْأُفقِ الْأَعْلىٰ تعالَتْ مُنيفَةً ... فَنحْنُ نَرى ٱلْجَوزاءَ في أُذنِها خُرْصا[3]

وقَدْ ضَجَّ بَطْنُ الْأَرْضِ مِن ثِقْلِ وَطْئِها

كما أَنَّ أَعلاها بِهِ ٱلْجَوُّ قَدْ غَصّا

وتَنْثُرُ دُرّاً مِنْ لُجَيْنٍ علىٰ صَفاً ... لِكَثْرَتهِ ما إنْ يُعَدُّ ولا يُحْصىٰ

---

(١) سبقت ترجمة الصاحب في حاشية سابقة .

(٢) تَناوَلَها : أي تتناولها .

(٣) الخرص : ما يعلق في الأذن من الزينة ، أي الحلقة .

وَمِنْ حَولِها تَنْمي فُروعٌ مُنيفَةٌ بِجُرْثُومَةٍ أَضحَتْ لِخاتَمِها فَصّا

وقَدْ سَجَدَتْ في الأرضِ خاضِعَةً لَهَا ثَلاثُ المَيازِيبِ الَّتي نَفَتِ النَّقْصا [1]

بِها جادَ مَن أَسرى بِلَيْلٍ بِعَبْدِهِ مِنَ المَسْجِدِ الأَعْلى إِلى المَسْجِدِ الأَقصى

عَلى يَدِ عَبْدِ اللهِ والصَّاحِبِ الّذي بِإِحسانِهِ كَمْ عَمَّ قَوْماً وكَمْ خَصّا

عَلى ماءِ فَوّاراتِ جَيْرونَ جُودُهُ فَعافِيهِ قَبْضاً يَأْخُذُ المالَ لا قَبْصا [2]

بِهِ الجامِعُ المَعْمورُ رَفْرَفَ نَسْرُهُ بِريشٍ أَثيثِ النَّبْتِ مِنْ بَعْدِ ما حُصّا [3]

وأَفعَمَ بالتَّرْخيمِ في الأرضِ صَحْنَهُ وكانَ بِهِ الآجُرُّ قدعانَقَ الجَصّا [4]

ولَمّا عَرى جُدْرانَهُ العُرْيُ فاكْتَسَتْ قُشَعْرِيرَةً أَوْصى بِأَنْ يُلْبَسَ الفَصّا [5]

فَدامَتْ لِأَيّامِ الوَزيرِ سُعودُها فَفيها رَأَينا العَدْلَ والأَمْنَ والرُّخْصا

ولا زالَ في كلِّ الأُمورِ مُوَفَّقاً فَلا رَأْيُهُ يُقْصى ولا أَمْرُهُ يُعْصى [6]

---

(١) الميزاب من (أزب) : وهو المزراب وأصلها من (وزب) الماء : سال .

(٢) قبص : الشيء : تناوله بأطراف أصابعه .

(٣) حص : حصّ الشعر حلقه وأذهبه .

(٤) أفعم : ملأ . الترخيم : وضع الرّخام ، الآجر : القرميد . الجص : ما يسمى الآن : جبصين أو جبسين نوع من التراب اللاصق (والعامة تقصد به الأرض الصلبة) .

(٥) الفَصّ : حجر الخاتم وهو من الحجارة الكريمة « مثلث » .

(٦) وردت كلمة : يُقضَى في البيت بالضاد ونرى أن النقطة زائـدة وأنها في الحقيقة : يقصى بالصاد . لأن القافية : يعصى ، بالصاد ، واقصاء الرأي أي ردّه اوفق لمعنى البيت .

وقال يمدح الفقيه شهاب الدين أبا المحامد إسماعيل القوصي[1] :

ضُرِبَتْ إلى قَصْدِ الشِّهابِ الْقُوصي | آباطُ إبلٍ كالْحَنايا خُوصِ[2]
مِنْ كلِّ قَنْعاسٍ نَماهُ شَدْقَمٌ | وشِمِلَّةٍ تَحْتَ السَّرابِ رَقوصِ[3]
كَمْ نازِلٍ مِنْ وَفْدِهِ فَمُقَبِّلٍ | أَخفافَ عودٍ بازِلٍ وقَلُوصِ[4]
داسَتْ أَداحِيَّ النَّعامِ سُرىً وكَمْ | نَبَثَتْ مَناسِمُهُنَّ مِن أُفحوصِ[5]
يَمَّمْنَ بَحْرَ نَدىً وحَبْراً عالِماً | بِعُلومِ أَهْلِ الرَّأْيِ والمَنصوصِ[6]

---

(١) من فقهاء العصر الأيوبي وعلمائه .

(٢) خوُص : جمع أخوص : غائر العين .

(٣) القنعاس : الرجل الشديد ومن الأبل العظيم (وردت هذه الكلمة بالفاء وهو خطأ) ، والشَدْقم : الأسد ، أو واسع الشدق . والشِمِلّة : الناقة السريعة ، وكذلك الشملال ، وهذه من « شملل » .

(٤) هذا البيت سقط سهواً من قبل الناسخ وكتب الى جانب الأبيات . العود : الناقة الكبيرة السن . البازل : هو الذي بزلت سنه أي بلغ التاسعة من العمر ، والقلوص : الجمل الشاب .

(٥) نبث نبثاً : حفر ونبش بيده التراب (وقد سقطت الباء من هذه الكلمة من قبل الناسخ) الأدحي · مكان بيض النعام ، والأفحوص مكان بيض القطا : والمناسم : الأخفاف .

(٦) أهل الرأي هم أصحاب الاجتهاد ، والمنصوص : ما ورد في حكمه النص الذى بموجبه يمنع الاجتهاد .

حازَ العُلومَ بِجِدِّهِ وبِكدِّهِ ... تَاللهِ ما دَرْكُ العُلى بِرَخيصِ

فَبِنَظْمِهِ وبِنَثْرِهِ الشُّعَراءُ والكُتّابُ تَبْرُزُ في ثِيابِ لُصوصِ

كَلّا ولا نُجْلُ العُيونِ رَوانِياً ... بِجُفونِهِنَّ الكَحْلُ مِثلُ الحُوصِ[1]

ولَهُ فُضولٌ مِن مَواعِظَ جَمَّةٍ ... كَخَواتِمٍ زِينَتْ بِخَيْرِ فُصوصِ

مُتَخَلِّصٌ مِنْ كلِّ مُعْيٍ مُشْكِلٍ ... أَعْيا سِواهُ بِأَحسَنِ التَّخْليصِ

ويَصولُ في نادي الجِدالِ كَأَجْدَلٍ ... كُلٌّ لَدَيْهِ كَالقَطا المَقْصوصِ

مُسْتَحسَنُ الإِعْرابِ والإِغْرابِ والإِطْنابِ والإِسْهابِ والتَّلْخيصِ[2]

حَسَنُ الجَوابِ عَنِ الصَّحيحِ لِسائِلٍ

والنّاقِصِ المَوْصولِ والمَنْقوصِ[2]

لا عَيْبَ يوجَدُ فيهِ إِلّا أَنَّهُ ... في كَسَبِ غَيرِ الحَمْدِ غَيْرُ حَريصِ

وَصّاهُ بالمَجْدِ المُؤَثَّلِ قومُهُ ... فَبَنى العُلى وأَقَرَّ عَينَ المُوصي

أَلقى رِداءَ الكِبْرِ عَنهُ وإِنَّهُ ... في طَيلَسانِ مَهابَةٍ وقَميصِ

يَابا المَحامِدِ أَنتَ أَوفى القَوْمِ يا ... مَن عِيصُهُ الأَنصارُ أَكرَمُ عِيصِ[3]

---

(١) الحُوص : جمع أحوص : وهو ضيِّق مؤخر العين .

(٢) ما ورد في هذا البيت والذي بعده كله اصطلاحات لغوية ونحوية وإنشائية وصرفية .

(٣) يابا : وردت هكذا في النسخ ، والمقصود بها : يا أبا ، والعيص : القبيلة وأصله الشجر الملتف ، وجمعه : الاعياص .

أَبناءُ [قيلة] لا مَحيصَ لِذَنبِ من والاهُمُ يوماً عَنِ التَّمْحيصِ [1]

يَزدادُ من نَقْصِ المواضِع رِفعَةً عَجَبــاً لِمَنْ يَزدادُ بالتَّنْقيصِ

لَوْ نالَ ماهو أَهلُهُ ماكانَ بالأَيدي الجسام سِواهُ بالمخصوصِ

ذو الفَضْلِ محرومٌ وذو النُّقْصانِ مَـــرزوقٌ يُخَصُّ بِزينَةِ التَّخْصيصِ

وندى الملوكِ نظيرُ احراحٍ لأَبكارٍ حِمىً إلّا عَنِ الحُرقوصِ [2]

---

(١) قَيلة : هنا نعتقد أنهـا أسم علم اذ لم نجد تفسيراً يوافق معنى هذا البيت غير هذا التفسير .

(٢) الحرُقْوص : دويبة صغيرة تلدغ . وأحْراَحْ : جمع حِرٍ . وقـد جاء في شرح الناسخ : [أسم لدويبة كالذبابة تَلِـج في أحراحِ بنات الأعراب بالبرِّية وفيـه قالت إحداهُنَّ :

وَيْحَكِ يا حُرْقوص مهلاً مهلاً أإبـــلاً أعطيتني أم نخـلا

أم أنت شيء لا تبـــالي أهـــلا

وانمـا ذكرت الإبل والنخل لأنها مهور بنـات الأعراب كما قالت بعضهنّ :

يا أبتـا ويا أبــه حَسُنَت إلا الرقبة فَحَسِّنَنْها يا أبه

كيما تجيء الخَطَبَة بِإبـلٍ مُجَنَّبَة للفحل فيهـا قبقبة

وقالت اخرى في الحرقوص في المعنى :

ما لقيَ القوم من الحُرْقوصِ يدخـل بيت المقفـل اللصوص

بمَهرٍ لا غـالٍ ولا رخص

قال الشيخ رحمه الله : اللصوص المُقْفَل ومنه اشتُقّ إسم اللّص لفتحه الأقفال .

وقالت أُخرى :

لقـد منـع الحراقيصُ القرارا فلا ليـلاً يقرْنَ ولا نهـارا

يغـالبنَ الرجـال على خصاهمَ وفي الأحراحِ دَسّاً وانجحارا] —

لو أنصَفوا يوماً شِهابَ الدِّينِ أُعْطِيَ من مَناصِبِهِمْ أَجلَّ شُقوصِ[1]

لَمْ يَرْنُ طَرْفٌ نَحْوَهُ بِعَداوَةٍ إلّا وعادَ بِناظِرٍ مبخوصِ[2]

لا زالَ منعادىٰ شِهابَ الدِّينِ ذا جيدٍ بِسَطْوَةِ بأْسِهِ مَوْقوصِ[3]

ما كلُّ من أدَّىٰ الرِّسالَةَ مِثْلَهُ قَنصٌ لِسِربِ الحَمْدِخير قنيصِ

وقال وكتبها إلى أخيه عماد الدين رسلان بن عليّ رحمه الله :

فبادِر بِنـــا يا أخي فُرْصَةً فَلَذَّةُ ذا ٱلدَّهرِ تُسْتَفْرَصُ

لِننظُرَ دَوْحــاً ووَرَقاً علىٰ ذَوائبِ أغصانِهــا تَرْقُصُ

وَوَرداً هـو المِسْكُ في نَشْرِهِ إذا فاحَ لكِنَّــهُ أَرْخَصُ

يُريكَ خُـدودَ الغَواني غَدَتْ بِأَظْفارِ عُشّاقِهــا تُقْرَصُ

وماءً صفا وحَــلا طَعْمُهُ ورَقَّ وزادَ فَمــا يَنْقُصُ

فَقُمْ لِنَرىٰ حُسْنَ صُنعِ الإلٰهِ فَما زِلتَ في مِثلِ ذا تَحْرِصُ

— [قال الشيخ رحمه الله ومعنى البيت أن عطاء الملوك في هذا الزمان لا يناله إلا الصغار من النــاس كذا الحُرْقوص في إدراكه مع حقارته ما لا يقدر عليه غيره من السادات] .

(١) الشِقص : النصيب ، الحصة ، السهم ، الجمع شُقوص .

(٢) بَخَص : العين : قلعها بشحمها .

(٣) وَقَص : عنقه يَقِصُها : كسرها ، (لا زم و متعدٍ) .

وقال أيضاً :

وفتـاةٍ حُسْنُها عَمَّ وخَصّ   فيهِ من يُسْتَفْتَ أَفتىٰ بِالرُّخَص

بعُيونٍ سَلَبَتْ أَلبابَنـا   فإليها رُفِعَتْ منهـا القَصَصْ

فاتِنات فاترات إن رَنَتْ   فلَهُنَّ الصيدُ صَيْدٌ وقَنَصْ

طِفْلَةٌ جالَ وِشاحاها علىٰ   خَصْرِها النّاحِلِ والخَلْخالُ غَصّ

لا ودُرِّ الثَّغْرِ مُفْتَرًّا على   مِثْلِهِ في بحر كيشٍ لم يُغَصْ[1]

وَحبابِ الرّاحِ في الكأْسِ إذا   قَهْقَهَ الإبريقُ فيهِ ورَقَصْ

وشَبابي غَضَّةً أَفنـانُهُ   ولَهُ ظِلٌ ظَليلٌ وقَلَص[2]

وقال أيضاً :

وشادنٍ شَقَّتْ يَداهُ القَميصْ   فغودرَ اللَّيْثُ لدَيهِ القَنيصْ

وماسَ بالرِّدْفِ ثَقيلاً وبالخَـصْرِ دَقيقاً تحتَ بطنٍ خَميص[3]

إنّي لذو حِرْصٍ على عِشْقِ مَنْ   أمسىٰ على قتلي وأضحىٰ حَريصْ

فَكُلُّ وقْتٍ أَنا من هَجْرِهِ   في حَيْصَ بَيْصٍ راعٍ أو حِيصَ بِيص[4]

(١) كيش : اسم مكان .

(٢) قلَصَ : الظل انقبض ، ونقص فهو قالص . ويبدو أن هذه الأبيات مقتطعة من قصيدة طويلة فإن البيت الأخير ليس آخر القصيدة .

(٣) خميص : خَمِص البطن : خلا من الطعام ، وضمر .

(٤) الحَيْص أصلها العدول عن الأمر : وحَيْص بَيْص : أو حِيص بِيص : في ضيق شديد ، والبَيْص : أصلها الشعرة و « تكسر » والمحيص : الخلاص من الأمر .

نولُ للعاشِقِ لمّا أَتىٰ في تِيهِهِ يخطر هل من مَحيصْ

قُلْتُ يا قوم انظُروا يُوسُفَ الصِّدِّيقَ لما قُدَّ عنهُ القَميص[1]

ندها كم أَسَدٍ خادِرٍ في عيصِهِ تُرْعَدُ منه الفَريص[2]

هَيبَةُ المعشوقِ يُضحي بِها عاشِقُهُ دونَ سِواهُ قنيصْ

يقتُهُ الصَّهباءُ ممزوجة من بَرَدى بالماءِ وهو البَريص[3]

قال أَيضاً :

لي في هَواكم قِصَصُ يَطولُ فيها القَصَصُ

ما حِصَّتي في حُبِّكم واحِدَةٌ بل حِصَصُ

عَمّكُمُ الحَسَنُ ولي في حُبِّكم تَخَصُّصُ

أَصبَحْتُ في الهَوىٰ كأَنّي طائرٌ مُقَصَّصُ

وقال يهجو أَهل الشاغور[4] :

وبَيْنَ نُهيرَي الشّاغورِ قومٌ يَرونَ ٱلْفَخْرَ كونَهُمُ لُصُوصا

---

(١) يشير الشاعر الى قصة سيدنا يوسف في القرآن الكريم .

(٢) الفريص : أوداج العنق واحدتها : فريصة .

(٣) البريص : هو البريق والبصيص ، ونبت ، والبريص أيضاً أسم نهر الى جوار ق ورد بشعر حسان في قوله :

« يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل »

(٤) الشاغور : محلة شهيرة بدمشق واليها ينسب الشاعر .

فَكُلُّهُمُ متىٰ يَظْفَـــر بشاةٍ   تَحَوَّلَ شوحَةً تَغتال صوصا [1]
وما طَبَخَتْ قُدورُهُمُ حَلالاً   فَلَيتَهُمُ بِها طَبَخُوا مَصُوصا [2]
ولو أَنَّـا نُصافِحُ خَيِّرِيهِمْ   لَسَلُّوا من خَواتِمِنـا الفُصُوصا
مُبارزُ خُذْ بِحُكْمِ النَّصِّ فيهم   فأنتَ تُعَـلِّمُ النّـاسَ النُّصوصا



(١) الصوص فرخ الدجاجـة الصغير (عـامية) والصوص في الفصيـح : اللئيم والشوحة طائر كبير مفترس كالباشق .

(٢) هذا البيت أسقطه الناسخ سهواً وكتب الى جانب الأبيات ، والمَصُوص : طعام من لحم يطبخ ويُنقع في الخَلّ . وغالباً هو من لحم الطير .

حرف الطاء

وقال يمدح الملك الأَفضل نور الدين علي بن الملك النـــاصر قدّس الله روحَهُ ونوَّرَ ضريحه :

أريقُكِ أَم صهباء في الكأْسِ إسْفِنْطُ ... وثغرُكِ أَم دُرٌّ تضمَّنَهُ السِّمطُ[1]

ولفظُكِ هٰذا أَم جُمانٌ مُبدَّدٌ ... وليسَ له إلاَّ بأَسماعِنـــا لَقْطُ

وقدُّكِ أَم غُصنٌ على الدِّعْصِ مائلٌ ... تَحارُ له لا بلْ تغارُ القَنا الخطُّ[2]

لقد ضمَّ منكِ المِرطُ فتنةَ عاشِقٍ ... فيا لأُصيحابي لِمـــا ضَمَّهُ المِرْطُ

تكَنَّفَني شوقٌ إليكِ يزيـدُهُ ... على كلِّ حالٍ قُرْبُ دارِكِ والشَّحْطُ[3]

لأَرْهَفْتِ ودِّي حين قلَّمتِ رأْسَه ... كما أَرهفَ الأَقلامَ والشَّمعَ القَطُّ[4]

لَبِستُ الهوى منكمْ قشيباً لباسُهُ ... صَبِيّاً إلى أَنْ لاحَ في المفرِقِ الوَخْطُ[5]

---

(١) إسْفِنْط : الخمرة والسِمط : الخيط يسلك به الدرّ أو غيره .

(٢) القنا الخطّ : الخطّ مرفأ السفن بالبحرين تباع به الرماح والنسبة لها : خطيّ والدعص : الكومة من الرمل .

(٣) الشحط : البعد .

(٤) القطّ : القطع .

(٥) الوخط : الشيب .

وجاريةٍ باتتْ تُعـــاطي مُدامَةً ... ندامىٰ أرتْهم جيدَ جارِيةٍ تعطو[1]

هي البدرُ تجلو شمسَ راحٍ بكأْسِها ... وفي أُذْنِها نَجْمُ الثُّرَيّا لهـا قُرْطُ

غَدَتْ تَجْتَني حَبَّ القُلوبِ بحُبِّها ... فإن شرطتْ وصلاً فَلَنْ يُوجَدَ الشَّرطُ

فعاداتُها أَن تلزَم القِسطَ في الهوى ... وعاداتُ نورِ الدينِ في العالَمِ القِسطُ[2]

به طارَ عنا الخوفُ والأَمنُ واقعٌ ... وخيَّمَ ركبُ الخِصْبِ وارتفعَ القحطُ

يقابضُ أرواحَ العِدى باسطَ الندى ... فللّهِ منه ذلك القبض والبسطُ

إلى المَلِكِ الميمونِ طائرُهُ أنبرَتْ ... مطايا رجاءَ الخيرِ راتكَةً تمطو[3]

إلى المَلْكِ من أقلامِهِ ورماحِهِ ... بيُمْناهُ أبدىٰ فخرَهُ الخَطُّ والخَطُّ[4]

فَمِنْ ضربِهِ طولاً وعَرْضاً بسيفِهِ ... يُرى القَدُّ في صرعى أَعاديه والقطُّ[5]

هو الأَسَدُ الدَّامي الأَظافِرِ في الوغىٰ ... تَقَهْقَرُ عن كرّاته الأُسُدُ الضُّبْطُ[6]

هُوَ الدَّهرُ يُرجىٰ كلَّ وقتٍ ويُتَّقىٰ ... هُوَ الْبَحْرُ جوداً ما يُوافىٰ لَه شَطُّ

تُقَبِّـلُ أَفواهُ السَّلاطين بُسْطَهُ ... فَتَفْنىٰ مِنَ التَّقْبيلِ لا غَيْرِهِ البُسْطُ

---

(١) تعطو : تمـد بعنقها .

(٢) القسط : العدل .

(٣) رتك : البعير يرتُك : قارب خطوه في المشي ، مطا : جدّ في السير .

(٤) الخطّ الأولى : خط الكتابة ، والخط الثانية : الرماح الخطّية .

(٥) القدّ ، والقطّ : كلاهما بمعنى القطع .

(٦) الأضبط : الذي يعمل بكلتا يديه ، والأسد ، الأنثى ضبطاء ، والجمع ضُبْط .

وسَلْ عنهُ عُبّادَ الصَّليبِ وخَيْلُهُ ... سِواهُمْ ومَن تَحْتَ ٱلْعَجاجِ لَهَا نَحْطُ[1]

حكوا بَلَهَ الضَّأْنِ ٱلْمُمَزّقِ شَمْلَها ... سَراحِينُ منْ فُرْسانِهِ في ٱلْعَضا مُعْطُ[2]

فَمَا عَطَفَتْهمْ عِنْـدَ ذٰلكَ رَحْمَةٌ ... ولا رَحِمٌ لمّا ٱسْتُبيحوا لهَا أَطٌّ[3]

فَمِنْهمْ قَتيلٌ أَو أَسـيرٌ ومِنْهُمْ ... جريحٌ ومُسْتَوْلٍ عَلىٰ جَنبِهِ ٱلْعَطُّ[4]

فَإِنْ بَكَرَ ٱلْعافونَ أَغناهُمُ الرِّضىٰ ... فَمِنْ بَأْسِهِ ٱلْعادونَ أَفناهُمُ السُّخْطُ[5]

إلىٰ بابِ مَولانا ٱزْدَهَتْنِي رَغْبَةٌ ... وما كانَ دونَ ٱلْبابِ عنْ قاصِدٍ لَطٌّ[6]

فَلَيسَ لِرَهطِ ٱلْفَضلِ إلاّ ظِلالُهُ ... إذا ما ٱشْتَكيٰ مِن وَعرَةِ العَسْرَةِ الرَّهطُ

وراجٍ سِوى أَبناءِ أَيّوبَ في الْوَرى ... كَعَشواءَ في جُنحِ الظَّلامِ لهَا خَبْطُ[7]

كتارِكِ كِلتا جَنَّتيهِ ولَمْ يَكُنْ ... لَهُ بعدُ إلاّ الأَثْلُ والأُكُلُ الخَمْطُ[8]

---

(١) نَحَط : زحر ، وصات من الإعياء .

(٢) السراحين : الذئاب ، والعضا : عضا الشيء : فرقه وجزأه والفاعل . والعِضاه : الشر العظيم . والمُعْط : جمع أمعط وهو الذئب قليل الشعر .

(٢) أطّ : أنّ تعباً ، وأطّت الرحم : رقّت وعطفت فلاناً على فلان .

(٣) عطّ : الثوب : مزقه ، وعطّ : فلاناً الى الأرض : صرعه .

(٥) العافون : طالبو الرفد والعطاء ، والعادون : المعتدون .

(٦) ازدهى : فلاناً : دفعه وأثار رغبته ، ولطّ : بالأمر : يَلِطُّ : لزمه ، ولطّ الباب : أغلقه .

(٧) خبط العشواء : المشي على غير هدى .

(٨) الخَمَط : كل شيء له طعم سيّء أو هو شجر كالسدر ، والأكُل الخَمَط : الثمر البشع الطعم « يشير الشاعر الى الآية التي وردت في سورة سبأ » والأثلْ : شجر عظيم يشبه الطرفاء .

وَهَلْ في مُلوكِ الْأَرْضِ مثْلُ أَبيهِمُ يُرى أَبداً أَو كانَ مثلٌ له قَطُّ

قَبيلٌ هُمُ الْأَسباطُ لِلْمُلْكِ كُلَّما مَضى مِنهُمُ سِبطٌ تَقَيَّلَهُ سِبْطُ

يَكادُ نَداهُمْ يُغْرِقُ الْأَرضَ طَلُّهُ ويُحْرِقها من زَندِ بَأْسِهِمُ سُقطُ (١)

ومُلْتَمَسي رِزْقٌ عليَّ يُدِرُّهُ لعلَّ يُوافي عُقْدَتي عِندَهُ نَشْطُ (٢)

فَوَقِّعْ بِإِعطائي الّذي أَنا طالبٌ إلى مَعشرٍ إنْ يُنطَأَ مري لهَمْ يُنْطُوا (٣)

ومَنْ رامَ مِنْ بَحْرِ المَكارِمِ رَيَّهُ فَما هُوَ فيما رامَهُ منهُ مُشْتَطُّ

ولَمْ آلُهُ في الدَّهرِ ما عِشْتُ داعِياً يُؤَمِّنُ حولي مِنْ تَلامِذَتي رَهطُ (٤)

ومَنْ ساوَرَ الْإِعدامَ لا فَرْقَ بينَهُ وبينَ امْرِىءٍ باتَتْ تُساوِرُهُ الرُّقطُ (٥)

عَلَيَّ لقَدْ جَلَّتْ أَياديكَ كَثْرَةً فقَصَّرَ عَنْ إحصائِها الهندُ والْقِبْطُ

فَلا ذاقتِ الدُّنيا فِراقَكَ ساعَةً وجَدُّكَ فيها صاعِدٌ ليسَ يَنْحَطُّ

ولا زِلتَ تُولي أَوْلياءَكَ أَنعُماً

وتَسْطو عَلى الْأَعداءِ ما شِئتَ أَن تَسْطُو

---

(١) الزند : العود الذي تقدح به النار ، وزَنَد النار يزندها : قدحها والسُقط ما يتساقط من الشرر عند القدح .

(٢) النشط : العقد .

(٣) انطى ينطى : مثل أعطى .

(٤) اشارة ألى أن الشاعر كان معلم مدرسة .

(٥) ساور : واثب ، وساوره أخذ برأسه وتناوله ، والإعدام « بالكسر » الفقر ، والرُّقط : الأفاعي .

وقال يهجو جرجس القنياط النصرانيّ وولدَه الحكيم يوحنّا :

لعَنَ اللهُ جُرجُسَ الْقُنْيِاطا وسَقى قَبْرَهُ خَرىً وضُراطا
قُلتُ يوماً لِدافِنيهِ : أَجيبوا بِجوابٍ يَزيدُ قَلْبي اغْتِباطا
حِينَ وارَيتُموهُ في لعنَــةِ اللهِ وأَلقَيْتُمُ عَليــهِ الْبَلاطا
ما صَنعتُمْ بِقَرنِهِ ؟ قالَ لي الْقَوْمُ : اسْتَمِعْ لا رأَتْ علاكَ انْحِطاطا
أَصلُهُ في الثَّرىٰ مُقيمٌ ولكنْ فَرْعُــهُ صارَ لِلثُّرَيّا مَناطا
فلقَدْ نالَ عِرسَهُ كلُّ زانٍ وابنَهُ كلُّ مَن أَحبَّ اللِّواطا
نَحَتَتْهُ الرِّجالُ نَحتَ أَبيــهِ صَخرَةً وهُوَ كالْفَنيقِ نَشاطا [1]
حينَ لَم يَنحَدِبْ ولَم يَكُ إلاّ كالْقَضيبِ الرَّطيبِ يَبدو شَطاطا [2]
وابنُـهُ لا يَزيدُ بِالنَّحتِ إلاّ ثِقَلاً فيــهِ مُفْرِطاً إِفراطا
يَا يُوحَنّا يا ابْنَ الَّتي بظْرُها جَذْعٌ ويَحْكي قَوامُهـا مِخْباطا [3]
لِاُسْتِها لِحيَةٌ كلِحْيَةِ قِسٍّ وقَفـاها ثَطٌّ يَبينُ سُناطا [4]

(١) الفنيق : الفحل المُكرَم من الجمال .

(٢) الشَطاط والشِطاط : الطول وحسن القوام .

(٣) يُوحَنّا : وردت هذه الكلمة على هذه الصورة « يُحَنَّا » بلا واو ونظن ذلك من أجل الوزن . والمخباط : خشبة ، تخبط بها الثياب حين الغسل .

(٤) ثطّ : سلَح ، وثطّ أيضاً : الكوسج وقليل شعر اللحية والحاجبين أو قليل شعر « المواضع المستورة » والسُناط والسِناط : الكوسج .

فَهِي أبغى مِنْ قِطَّةٍ وتَرى كلَّ زَمانٍ يَأْتي عَليها شُباطا [1]
طالَما أنبطَ الزُّناةُ بِأَمْخالِ الخِصا ماءَ رَحْمِها إنباطا [2]
طالَمـا أسخَطَتْ أَباكَ بِأَنْ نيـــكَتْ لَديهِ تبرُّعاً إسخاطا
طالَما زاحَمتْ خَلاخيلُـــها في جُحْرِهِ عنـدَ نَيكِها الأقراطا
تَدَّعي الطِّبَّ مُرْ حِرِمِّكَ لَوْ كُنتَ تُضاهي في عَصرِنا بِقراطا [3]
يَا خَراءَ الْيَهودِ في يَوْمِ سَبْتٍ خَلَطوا فيـهِ قَيْئَهمْ والْمُخاطا
بَلْ خَراءُ الرُّهبانِ لمَّا تَعَشَّوْا عَدَساً كانَ فَتُّهُ بَقْسُماطا [4]
لستَ مِمَّنْ أَمْسى يُرَوِّقُ خَمراً لِنَديمٍ ولا يَمُـدُّ سِماطـــا [5]
لا ولا أَنتَ من نصارى كِرامٍ لَيسَ يطوونَ عَنْ نديم بساطا

وقال وكتبها إلى بني العدل [6] :

ما مِنَ الْعَدْلِ يا بني العَدْلِ أَن تَسْمُوا وَحَظِّي لَدَيْكم في انحطاطِ

---

(١) شباط : هو الشهر المعروف .
(٢) نَبَط : الماء نبع ، والمُخْل : آلة حديدية تقلع بها الحجارة والجمع أمخال « مولدة » .
(٣) حِرِمِّك : الظاهر ان الشاعر أدغم كلة « حِرِ » بكلمة « أُمِّك » فحذف الألف من الثانية ، وبقراط : الطبيب اليوناني المعروف .
(٤) بقسماط : أصله فارسي : « بكشهات » وهو نوع من الخبز اليابس .
(٥) السماط : الصفّ ، وسماط الطعام : ما يبسط ليوضع عليه .
(٦) عائلة مشهورة زمن صلاح الدين .

أَنا سَدَّدتكم فَرِشْتُمْ سِهامـــاً صائِبات وكُنَّ قَبْلُ خَواطي[1]

وإذا ما أَبَيْتُمُ ٱلنَّفْعَ في ٱلدُّنيـــا فَما تنفَعونَ عِنْدَ الصِّراطِ

إنَّ من ليسَ يُرتَجى منهُ نَفْعٌ لَجَـديرٌ القَفا بِضَربِ السِّياطِ

إنْ نَبَذْتُمُ مَجدي وفَضلي وعلمي واجتِهادي في نَفْعِكم واْحتِياطي

فَسِواكُمْ من التَّلاميذِ قَـد أَصبَحْتُ مِنْهُمُ يَعقوبَ في الأَسْباطِ

يَتَوَلَّوْنَ خِـدْمَتي بِنَشاطٍ فَقِيـــامي في نَفْعِهِمْ بِنَشاطِ

قَدْ طَوَيْتُمُ بِساطَ بِرِّكُمُ بي مُنذُ حينٍ فَأَينَ نَشْرُ البِساطِ

لَسْتُ أَبغي منكم زبيباً ولا دبساً ولا مالَهُ تُعَـدُّ البَواطي[2]

أَنا مِمّـا ذَكرتُهُ قد غَثَتْ نفسي فجودوا بالخَـلِّ أَو بالخِلاطِ[3]

تمت قافية الطاء والحمد لله على نعمه[4]

(١) خواطي : جمع خاطئة ، غير مصيبة .

(٢) البواطي : جمع باطية وهي إناء من زجاج توضع فيه السوائل .

(٣) الخِلاط : طعام عند أهل الشام .

(٤) أثبت الناسخ هذه العبارة في هذا الموضع من الديوان .

حرف العين

وقال أيضاً يمدح الأمير بدر الدين مودود والي دمشق رحمه الله :

إفترَّ ثغرُكَ لي أم بارِقٌ لَمَعا ... فَكادَ يَخْطِفُ طَرْفي وٱلْفُؤادَ مَعَا

وهَلْ قَوامُكَ غُصنُ ٱلْبانِ معتدلاً ... على كَثيبٍ عَلَيهِ ٱلْبَدْرُ قد طَلَعا

بَخِلْتَ حتىٰ بِطَيْفٍ مِنْكَ يَطْرُقُني ... هَلْ يَطْرُقُ ٱلطَّيْفُ طَرْفاً قَلَّما هَجَعا

يا قلبِ حتىٰ مَ لا تُصغي إلىٰ عَذَلٍ ... فيمن متى قيلَ فيكَ ٱلْباطِلُ ٱستَمَعا

أَصْغى إلى كَذِبِ الواشي فَصَدَّقَهُ ... يا بِئسَ ما صَنَعَ الواشي وما نَصَعا[1]

إنّي لَأَعْجَبُ من قَلْبٍ يُحِبُّكِ يا ... سَلمىٰ يَهيمُ وقد قَطَّعتِهِ قِطَعا

دَبَّتْ إلى حُسنِ ظَني فيكِ أَلسِنَةُ الواشينَ عَنّي بِقُبحِ المَيْنِ فانقَطَعا

وما شَفىٰ كَبِدي مما أُكابِدُهُ ... إلا البشيرُ ببدرِ الدينِ إذْ طَلَعا

فَأَوْضَحَ الأُنسَ إيضاحاً لهُ جُمَلٌ ... مُفصَّلاتٌ تَلَتْ من نَشْرِهِ لُمَعا

إنَّ المبارَكَ ما زالَتْ مُبارَكَةً ... في الدَّهرِ طَلْعَتُهُ إنْ سارَ أَو رَبَعا[2]

---

(١) نصع : بالحق أقرّ به وأدّاه . وأنصع الرجل : تعدى للشر أو أظهرَ ما في نفسه .

(٢) ربَعَ : أقام .

ما قادهُ طَبَعٌ يومــاً إلى طَمَعٍ ولا رعى النّاسَ إلّا ٱستَشْعَرَ الوَرَعا[1]

مودودُ ما زلتَ مودودَ المآثرِ في الأَنامِ لم تأْلُ بالعليـاءِ مُضْطَلِعا

فكلُّ مُفْتَرِقٍ في النّـاسِ من شِيَمٍ حَميدَةِ الذِّكرِ أَضحى فيكَ مُجتَمِعا

إنَّ الملوكَ ترى أَنَّ الذي ملكوا مِن دونِ قَدْرِكَ يا مَنْ قَدْرُهُ ٱرتفعا

قالوا وهل تُمطِرُ الأَرضُ السَّماءَ فطِب نفساً وكُنْ بالذي أُوتيتَ مُقتَنِعا

وٱبنِ المساجِدَ بالجِدِّ الذي ضَمِنَتْ لكَ المساعي بهِ أَنْ تَهْدِمَ البِيَعا[2]

فأَنتَ تولي ولا تولى الأَياديَ إلّا من إلٰهكَ فاشْكُرْهُ لِما ٱصطَنَعا

يَكفيكَ أَنَّ ٱبنَ أَيُّوبَ الصَّلاحَ رأَى الصَّلاحَ في أَنَّـهُ وَلّاكَ فانتَفَعا

لا خابَ يوماً دعائي للأَمير بِمَنْ مَنْ لا يُخَيِّبُ مُضْطَرّاً إليهِ دَعا

وقال وقد سأله القاضي كمال الدين بن الشهرزوري رحمه الله أن يعملَ أبياتاً ويلتزمَ في كل بيت ذكر قاع[3]

هاجتكَ رسومٌ عفَتْ لِزينَبَ بالقاعْ أَمسَتْ دُرُساً بعدَها معطلةً قاعْ[3]

---

(١) الطبَعَ : الدَنَس والوسخ الشديد (بالفتح والتحريك) .

(٢) البِيَع : جمع بيعة : الكنيسة .

(٣) التزم الشاعر في هذه الأبيات كلمة « قاع » على أن تأتي في آخر كل كلمة من الأبيات ، والوزن كما يرى من نوع « الدوبيت » الذي دخل تلك الأيام على الشعر العربي .

أَبعِد بِدارٍ من الأَنيسِ خلاءٍ   للبوم نئيمٌ بهـا يَرُوعُ وإيقاع

لاجادَ عليهـا من السَّماءِ مُلِثٌّ   ينهَلُّ بِمُثْعَنْجِرِ الوَديقَةِ نَقّاع[1]

إنْ كنتَ كريماً على الجميلِ مُسِفّاً   لم تُمْسِ على هامَةِ الدَّناءَةِ وَقّاع

فاسلُكْ سَنَنَ الفضْلِ مادِحاً لِأَبي الفضلِ ماعِشتَ وكنْ عِنْدَهُ ابنَ شورَ القعقاع[2]

تُصبِحْ وثمارُ المنى عليكَ دوانٍ   لا ترهبُ من بَعدِها خَصاصَةَ إِدْقاع[3]

فاسمع مَثَلاً هلْ يقاسُ شاربُ خمرٍ   في الناسِ إذا ماانتشى بشارب فُقّاع[4]

وقال أَيضاً :

أَهيمُ وقلبي بالغرامِ وَلُوعُ   ومن سُحْبِ أَجفاني تَفيضُ دُموعُ

تشتَّتَ شَمْلي والهوى غيرُ نازحٍ   وعهدي بِشَملي قبلُ وهو جميعُ

---

(١) المُلِثّ : من المطر الذي يدوم أياماً ، ولَثّ عليه : الحّ . المثعنجر : المنصب والسائل . الوديقة : الموضع فيه بقل وعشب ، أو حرّ نصف النهار ، أو الهاجرة والحرّ « والشاعر يقصد بها المطر » وهو : الوَدْق والوَدَق ، والنقّاع : الذي ينقع الغُلّة وهو الماء .

(٢) القعقاع بن شور : تابعيّ يضرب به المثل في حسن المجاورة ، والقعقاع في الأصل : من يقعقع بالسلاح أي يصيح ، والأرض الصلبة ، ومن إذا مشى سُمِع صوت مفاصله .

(٣) الخصاصة ، والإدقاع : الفقر .

(٤) فُقّاع : شراب من الحبوب والأثمار سُمِّي كذلك لما يرتفع فوقه من الزبد وهو ما يقابل (البيرة) هذه الأيام والمقصود عند الشاعر انه شراب خفيف لا يؤثر تأثير الخمرة .

فوا أَسفي كم شهقةٍ لي من النَّوىٰ   تَفَتَّتُ منها أَعظُمٌ وضلوعُ
وما هاجني إلاّ حَمائِمُ هُتَّفٌ   وأَغْرِبَـةٌ وَسْطَ الدِّيارِ وُقوعُ
وما وَجدَتْ يَوْماً كوَجدي حَمامَةٌ   تُظَلِّلُها بَينَ الأَراكِ فُروعُ[1]
وأَهوىٰ إِليها شَوْذَنيقٌ أَراعَها   ضُحىً ولَهَا نَحوَالْفِراخِ نُزوعُ[2]
و قَدْ ضَبَثَتْ فيها مَخالبُ ساغِبٍ   لَهَا في حَشاها والْفُؤادِ صُدوعُ[3]
لَقَدْ راعَني يَوْمُ الفِراقِ فَلَمْ أُطِقْ   وَداعَهُمُ ، إِنَّ الْفِراقَ يَرُوعُ
فَوا كَبِدي لمّا أُنيخَتْ رِكابُهُمْ   وشُدَّتْ حُدوجٌ لِلْهوىٰ ونُسوعُ[4]
وقامَ إلَيَّ الْعـاذِلاتُ يَلُمْنَني   ولَسْتُ لِقَوْلِ الْعاذِلاتِ أُطيعُ

وقال أَيضاً :

لا والنَّبيِّ مُحمدٍ والْأَتْرَعِ   زَوْجِ الْمُطَهَّرَةِ الْبَتولِ الْأَرْوَعِ[5]

---

(١) وَجَدت : أصابها الوجد .

(٢) شوذنيق : وهـــو الشوذق ، ويلفظ : شذانق أو شوذانق ويجمع على شواذق وهو الشاهين الطائر الجارح المعروف ولم نعثر على صيغة رباعية لفعل راع ؟

(٣) ضبثت بي : قبضت علي قبضـاً شديداً ، وضبث النـاقة : جسَّها ليعرف سِمَنَها ، الساغب : الجائع .

(٤) الحدوج : جمع حِدج وهو الحمل ومركب للنساء كالمحفة ، والنسوع : جمع نِسع وهو سَيرٌ أو حبل من جلد عريض تشد به الرحال . ويجمع كذلك على : نُسْعٌ ونِسَع وأنساع .

(٥) الأترع السيل يملأ الوادي ويقصد به هنا سيدنا علي ابن أبي طالب(رضي الله عنه).

وحقِّ أَصحابِ الْعَبا خَيْرِ الْوَرى | مَا الْقَلبُ مُذْ فارَقتُ أَحبابي مَعي[1]
ومَتى ذَكرْتُهُمُ ولَنْ أَنساهُمُ | حُنِيَتْ عَلى النِّيرانِ مِنهُمْ أَضلُعي
ما لي إِذا ابْتَزَّ الْفِراقُ حُشاشتي | إلاَّ إِلى طولِ الْبُكا مِنْ مَفْزَعِ
عَيناي دَمعُهُما تَحَدَّرَ أَعيُناً | لِفراقِهِمْ ، فَأَنا غَريقُ الأَدْمُعِ
أَوْدَعتُكُمُ قَلبي غَداةَ وَداعِكُمْ | وا ضَيْعَةَ الْقَلبِ الأَسيرِ الْمودَعِ
وطَمِعْتُ مِنكم بِالْوَفاءِ ولَيْسَ في | قَبْضِ الثُّرَيّا والسُّها مِنْ مَطْمَعِ[2]
أَصبَحتُ إِذْ أَمَّلتُ صَفْوَ وَدادِكُمْ | أَرْجو السَّرابَ مِنَ السَّرابِ الْيَلْمَعِ[3]
ما عَهدُكُمْ عِندي وإِن ضَيَّعْتُمُ | عَهدي وَحَقِّ هَواكُمُ بِمُضَيَّعِ
نِمْتُمْ عَنِ الصَّبِّ الْمُعَذَّبِ في الْهَوى | ورَمَيْتُموهُ بِالفِراقِ الْمُوْجِعِ
كَمْ بِتُّ أَرْجو الطَّيْفَ يَطْرُقُ مَضْجَعي | أَنّى يَزورُ الطَّيفُ مَن لَمْ يَهْجَعِ
يَا راكِباً إِمّا عَرَضتَ فَبلِّغا | عَنّي دِمشْقَ سَلامَ مَن لَمْ يَرْبَعِ[4]
واخْصُصْ أُصَيْحابي بِها بِتَحِيَّةٍ | عَذُبَتْ كَنَشْرِ الْعَنْبَرِ الْمُتَضوِّعِ

(١) أصحاب العبا : هم أهل البيت ، والعباءة نوع من اللباس ، ويسمون أيضاً : أصحاب الكساء .

(٢) السُّها : كوكب خفيٌّ من بنات نعش الصغرى .

(٣) السراب اليلمع : السراب الخلب ، واليلمع هو البرق الخلّب الذي لا يعقبه مطر .

(٤) فَبلِّغا : أصلها : فَبلِّغَن : وقد وضع الألف بدل نون التوكيد الخفيفة وهو جائز ، تقول : فاضربا : بدلاً من : فاضربن ، وغالباً مايستعمل هذا في ضرورة الشعر وهنا في بيت (الفتيان) لا توجد ضرورة ملجئة لهذا الأبدال بين الألف والنون ؟

حَسُنَتْ لهُمْ بَعدي فَطابَ مَقامُهمْ وَاعتَضتُ عَنهُمْ بالمَقامِ الجَعْجَعِ [1]

قَرَّتْ عُيونُ الحاسِدينَ بِبَيْنِنا ولطالما عَطَسوا بِأَنفٍ أَجْدَعِ [2]

ما زِلتُ أَرْعى وُدَّهُم وأَصونُهُ هذا وذِكري قدْ أُذيلَ وما رُعِي [3]

أَشباحُهُمْ في ناظِري وخَيالُهُمْ في خاطِري وكلامُهمْ في مِسْمَعي

هَا قَدْ فَنِي صَبْري وقَلَّتْ حيلَتي لَم يَبْقَ في قَوْسِ العَزا مِنْ مَنْزَعِ [4]

وقال أيضاً :

آهاً لِقَلْبٍ مُوجَعٍ مِنْ لَوْعَةٍ لم يُقْلِعِ

يَشُبُّها في كَبِدي فَيْضُ سَحابِ أَدْمُعي

يا مَن جَفَوْني فجُفو ني بَعْدَهم لَم تَهْجَعِ

أَفَرَشْتُموا بِبَيْنِكُمْ شَوْكَ القَتادِ مَضْجَعي

يَا عاذِلي في حُبِّهِمْ بِسَلْوَتي لا تَطْمَعِ

لا تَحْسَبَنْ قَلْبِيَ مُذْ فارَقتُ أَحبابي مَعي

يا كَبِدي الحرّى عَلى فِراقِهِمْ تَقَطَّعي

---

(١) الجعجع ، المكان الضيّق ، الخَشِن الصُلْب .

(٢) الأجدع : المقطوع ، والمقصود هنا أنهم يحاولون مالا يستطيعون .

(٣) ذال ، وأذيل : هان وضعف شأنه .

(٤) نزع : بالسهم رمى به ، وعن القوس : رمى عنها .

وقال أيضاً وكتبها إلى صديق له يستدعيه :

بَادِرْ إلينا فَإنَّ الرّاحَ مُمْكِنَةٌ ... والْكأسُ دائرَةٌ والشَّمْلُ مُجْتَمِعُ

ويَومُنا طَيِّبٌ صافي الْأَديمِ وما ... فيهِ هَواءٌ ولا في رَأْسِهِ قَزَعُ [1]

والزَّهرُ يَلعَبُ مُعْتَلُّ النَّسيمِ بِهِ ... والْبَمُّ مُنْخَفِضٌ والزِّيرُ مُرْتَفِعُ [2]

والطَّيْرُ تَرْقُصُ في الْأَغصانِ مِنْ طَرَبٍ ... تَكادُ مِنهُ عَلَى هاماتِنا تَقَعُ

وقال أيضاً وقد دعاه صديق له إلى بستانه :

كُنّا بِبسْتانٍ لَدَى مَعْشَرٍ ... كَأَنَّنا السُّنَّةُ في الشّيعَةْ

مِنْ شَجَرِ الجْامِعِ أَشجارُهُ ... ونَحنُ فيهِ كدُمَى الْبِيعَةْ [3]

لَيسَ لَهُ في الْأَرْضِ مِن مُشْبِهٍ ... إلاّ سَرابٌ لاحَ في قِيعَةْ [4]

---

(١) القزع : قطع من السحاب متفرقة صغار .

(٢) البمّ : هو الوتر المنخفض الصوت في العود والزير هو العالي الصوت : وهما يسميان الآن : القرار والجواب .

(٣) البيعة : الكنيسة .

(٤) القيعة : جمع قاع وهي الأرض السهلة ، وهي مفردة بمعنى القاع أيضاً .

وقال يهجو بني العدل وقد وعدوه نطعاً وخرجاً وعداً انجازُهُ لا يرجى[1]

وعْـــدُكُمْ بالخُرْجِ والنَّطْعِ   بَرْقٌ ولكن خُلَّبُ اللَّمْعِ

خُرْجٌ خُروجُ الرُّوحِ من دونِهِ والنَّطع بين السَّيفِ و[النَّطْعِ][2]

مالَكُمُ ذَنبٌ ولكنْ لِمَن   حَـــلَّ بِوادٍ غيرِ ذي زَرْعِ

من كانَ يَرجو خَيْرَكُمْ بعدها   فهو أَحَقُّ النّـــاسِ بالصَّفْعِ

لو لم أَكن أَشْعَبَ ما عُدتُ عن   وُعودِ عُرْقوب بلا نَفْعِ[3]



(١) النَطع : بساط من الجلد جمعه أَنطاع ونُطوع .

(٢) سقطت القافية من هذا البيت عند النسخ وقد قدرنا الكلمة تقديراً ، والنطع الأولى قد يكون معناها ، تغير اللون من « نَطِعَ لَوْنُه » والنَطع الثانية : البساط الذي يُقتَل عليه ، ويدل على تكرار الكلمتين لفظاً تكرار كلمتي : خُرْج وخُروج في أول البيت .

(٣) أشعب : أسم رجل عرف بالطامع ، وعرقوب أسم رجل آخر أيضاً عرف بإخلاف الوعود وقد ضرب المثل باثنيهما .

حرف الغين

وقال أيضاً :

أَنا لا أَهوى من الصِّبيانِ إِلّا كلَّ مهضومِ الحشا دونَ البُلُوغ[1]

كلَّما رُمْتُ جَنىً وجْنَتِهِ حَجَبَتني عقْرَبُ الصُّدْغِ اللَّدوغ[2]

فاذا راهَقَ أُرْهِقْتُ سَلُوّاً وَجفاني كل شيطانٍ نزوغ[3]

ما تَرى الخِنْصَرَ لما صَغُرَتْ عَنْ بَناتِ الكَفِّ خُصَّتْ بالمصُوغ[4]

* * *

---

(١) مهضوم الحشا : ممشوق القوام أخمص البطن .

(٢) عقرب الصدغ : يقصد به الشعر المحيط بالصدغ يشبه بالعقرب ، واللدوغ الذي يلدغ .

(٣) نزغ : بين القوم : أفسد وأغرى ووسوس . وراهق : أي بلغ سن المراهقة وهي بين الطفولة والشباب . أو قارب الحلم .

(٤) المصوغ : الحلية من الذهب أو غيره كالخواتم من صاغ يصوغ صياغة .

حرف الفاء

وقال أيضاً :

وأهيفِ القَــدِّ بالقُلوبِ هَفَا أورَدَني وَرْدُ خَــدِّهِ تَلَفــا
فَصُرْتُ يَعقُوبَهُ هوىً وَجوىً وصارَ لي يوسُفــاً فوا أَسَفــا
واللهِ لو جـــادَ بالزيارَةِ لي من أنا مِنــهُ على شَفاً لشَفا[1]
إنْ ماجَ رَدَّ القَضيبَ مُنْخَذِلاً أو لاحَ راحَ الهِلالُ مُنْخَسِفا
كم جَرَحَ ٱلْقَلبَ باللِّحــاظِ وكم جَرَحتُ باللَّحْظِ خَــدَّهُ تَرَفا
كأنَّما جِسْمُهُ لِرِقَّتِــــهِ ماءُ صفاً لكِنِ الفُؤادُ صفـا[2]
ياعامِرَ ٱلْقَلْبِ بالغَرامِ أجِرْ مُتَيَّماً صَبْرُهُ الجميلُ عَفَا[3]
جاءَ عَــذولي جَهْلاً يُكَلِّفُني عَنْكَ سُلُوّاً فَزادَني كَلَفَا
أكفُفْ مــلامي ولا تَزِدْ ألمي حَسبيَ ما بي من الهوىٰ وكفى
قد كتبَ ٱلْحُسْنُ بالعِــذارِ على كاغِــدِ تفاحِ خَدِّهِ أَلِفا[4]

---

(١) شفا : الأولى : حرف كل شيء ، وحدّه . وشفا الثانية من الشفاء .
(٢) صفا : الأولى هي الصخر ، وصفا : الثانية من فعل صفا يصفو ، من الصفاء .
(٣) عفا : ذهب وزال .
(٤) كاغد : كلمة فارسية الأصل معناها الورق .

كأنَّهُ عاشِقٌ لِوَجْنَتِـــــــهِ حتى إذا ما تَقــابَلا وَقَفَــا
نالَ من الحُسْنِ فَوْقَ مُنْيَتِـــهِ فَعاجِزٌ عَنــهُ كلُّ من وَصَفا
دَبَّتْ على خَـدِّهِ عَقارب صُدْغَيْـــهِ فَخافَتْ من نارِهِ التَلَفَـــا
فانعَطَفَتْ خِيفَــةَ الحَريقِ وَلَوْ كانَ يَخافُ الحَريقَ لانعَطَفَـــا
نَقْطِفُ من وجهِـــهِ جَنىٰ الحُسْنِ فَـــيَزداد كلَّما قُطِفـــا

وقال أيضاً :

هَفا لقلبي رَشيقُ القَـدِّ أَهيَفُهُ وباتَ يَعْسِفُهُ من ليسَ يُسْعِفُهُ(١)
وعيـــدُهُ لِيَ بالهِجْرَانِ يُنْجِزُهُ ووعـــدُهُ لي بالإحسانِ يُخْلِفُهُ
يَهُزُّ أَعطافَـهُ لينُ الصَّبا مَرَحاً فلَيْتَهُ كانَ لي بالوَصل يَعْطِفُهُ
إن كانَ يَهْجُرُ يَقْظاناً فإنَّ لهُ على يَدِ الطَّيْفِ وصلاً ليسَ يَعرِفُهُ
كَم ليلَةٍ باتَ فيها الطَّيفُ يُرشِفُني اللّمىٰ فَأَرْشُفُ خَمراً حينَ أَرشُفُهُ
لم يَتْرُكِ البينُ لي قَلباً أُصَبِّرُهُ على الصُّدودِ ولا دمعاً أُكَفْكِفُهُ
وليسَ ييأسُ يَعقوبٌ مُواصَلَةً من بعدِ أَنْ غابَ عن عَيْنَيهِ يوسُفُهُ
لَهْفي على من غَـدا قَلبي له وَطَناً لكِنَّهُ بأَليمِ الهَجْرِ يَعْسِفُـــهُ

---

(١) عَسَفَ : ظَلَمَ من العسف . ويسعف من الإسعاف : المساعـدة ولا تخفى الصنعة اللفظية . في البيت .

ما ماسَ كالغُصْنِ يَثْنيهِ نسيمُ صباً إلا وكادَ تَثني الخَصْرِ يَعْطِفُهُ

هذا وطرفي متىٰ يَلْحَظْهُ في خطرٍ يَكادُ بارِقُ ذاكَ الثَّغْرِ يَخْطِفُهُ

يا من جَفا النَّومُ جفني مِثْلَ جَفْوَتِهِ صِفْ لي المنامَ فإنّي لست أَعرِفُهُ

أَلا مُجيرَ لقَلبي من هوى رشأٍ بالبينِ أَوْهىٰ قُواهُ وهو أَضعَفَهُ

يا عاذلي كُفَّ عنـــهُ ما تُكَلِّفُهُ فإنَّ عَذلَكَهُ في الحُبِّ يُكلِفُهُ(١)

وقال أيضاً وكتبهـــا إلى شرف الدين راجح الحلي وكان سيَّر إليه قصيدة أنشدها للملك الظاهر فأطلق له ألف درهم ولم تصله عاجلاً :

أَتحسَبونَ غَرْبَ أَجفانِي جَفّْ بعدَالنَّوىٰ لاوضَريح بالنَّجَفْ(٢)

أُكَفْكِفُ الدَّمعَ بخَدَّيَّ أَسىً فيَمْلأُ الْكَفَّيْنِ كُلَّما وَكَفْ

لَوْ أَستَطيعُ زَوْرَةً زُرْتُكُمُ حَتّىٰ أُرىٰ ذَا سِمَنٍ بَعْدَ الْعَجَفْ(٣)

وكَيفَ يَسْطيعُ مَزاراً يَفَنٌ شَيْخٌ بِقَيْدِ الهَمِّ إِنْ هَمَّ رَسَفْ(٤)

قُلْتُ لِمَنْ أَكْثَرَ من مَلامَتي أَطنَبتَ في المَلامِ يا وَيْحَكَ خَفّْ

(١) يُكلِفُهُ . يرهقه .

(٢) النجف : مدينة في العراق وفيها دفن سيدنا علي بن أبي طالب « رضي الله عنه » ويشير الشاعر الى ذلك .

(٣) العجف : الضعف والهزال .

(٤) اليفن : الشيخ الهرم ، ورسف : مشى بالقيد .

إنَّ الّذينَ (بالعُذَيْبِ) عَذَّبوا قَلْبي وعَنْهُمْ لَم يَحِدْ ولا انْحَرَفْ
أَشْتاقُ (حَزْوى) و(النَّقا) إذا ضَفا
ظِلٌّ بريفِ الْغوطَتَيْنِ أَوْ وَطَفْ[1]
يا لِأُعَيْراب عَلى كاظِمَةٍ شُمٌّ عَرانينِ الْأُنوفِ بالْأَنَفْ[2]
قَوْمٌ مَتى دُعُوْا لِشَنِّ غارَةٍ سَدّوا الْفِجاجَ بالعَجاجِ والحَجَفْ[3]
وكُلُّ طِرْفٍ سابِحٍ يَغْدو بِذِمرٍ باسِلٍ بالزَّرَدِ الصّافي الْتَحَفْ[4]
فَما تَرى إلاّ حُساماً قَطَرَ الدِّماءَ بالضَّرْبِ وعَسّالاً رَعَفْ[5]
دَعْوَةُ مَظْلومٍ تَلَتْ نَفْثَةَ مَصْدورٍ لَهُ الدَّهرُ بِجَعْجاعٍ قَذَفْ[6]

---

(١) حزوى والنقا : ضفا الظل ، امتلأ وفاض . وَطَفَ العيش : أصبح رخيّاً . هانئاً ، وعيش أوْطف : رخيٌّ .

(٢) الأعيراب : تصغير أعراب وكاظمة اسم مكان . شمّ العرانين مرفوعو الأنوف والأنَف : الإباء .

(٣) الفجاج : جمع فج وهي الجهة ، الحجَفة : ترس من الجلد ، والحَجَف : جمع تروس وأتراس .

(٤) الطِرف : الحصان الكريم . والسابح من الخيل : السريع ، والذِمرْ : الشجاع . التَحفَ : من انحف : تلطف واهدي ، والتحف الشيء اللطيف الطريف .

(٥) العسال : الرمح ، رَعفَ : قَطرَ . الجعجاع : الموضع الضيق الخشن « وهو المقصود هنا » وهو أيضاً : الفحل الشديد الرغاء ، والأرض الجدبة ، أو الأرض مطلقاً .

(٦) الجعجاع : الموضع الضيّق الخَشن ومُناخ السوء .

وقَدْ رَجا ذَهابَ نَقْصِ حَظِّهِ ... بِراجِحِ الْقيمَةِ راجِحِ الشَّرَفْ

ذاكَ آمرُؤ القَيْسِ وقسٌّ ناظِماً ... وناثِراً يَعْرِفُ قَوْلي مَنْ عَرَفْ

مَـا لُؤْلُؤُ الْعُقودِ إلاّ نَظْمُهُ ... لا نَظْمُ دُرٍّ صادِفٍ عَنِ الصَّدَفْ [1]

إنَّ لِأَهلِ الْفَضْلِ مِنْ عَيْمَتِهِمْ ... بِراجِحٍ في حَلَبٍ أسمَحُ كَفّْ [2]

عِندَ المَليكِ الظّاهِرِ الجَمِّ النَّدى ... نَجْلِ مُلوكٍ خَلَفاً بَعْدَ سَلَفْ

لمّا رأى (الحِلِّيَّ) بَحْراً زاخِراً ... ناداهُ : أَقبِلْ آمِناً ولا تَخَفْ

نادَمَ مِنـــهُ الْأَصْمَعِيَّ حاكِياً ... أَجلْ وحَمّاداً وذَا الْفَضْلِ خَلَفْ [3]

وافى إلَيَّ نَبأٌ عَنـــهُ تَلافـــاني حِمى تَكْذيبِهِ مِنَ التَّلَفْ

وكَمْ أَتَتْني عَنْـهُ مِنْ بِشارَةٍ ... عَروسُها تُهْدى إلَيَّ وتُزَفّْ

فَأَقبـــلَ النّاسُ فَهَنّوني بِها ... وآحتَرَقَ الحاسِدُ في نارِ الْأَسَفْ

وقامَ كلٌّ داعِياً لِلملِكِ الظّاهِرِ بالجْامِعِ صَفّاً دونَ صَفّْ

---

(١) صدف عنه : أشاح عنه وحال ، والصادف اسم فاعل .

(٢) العَيْمَة : العطش . والعِيمة بكسر العين من المتاع خياره ، جمعها عِيَم ، اعتامه قصده .

(٣) الأصمعي : الراوية المعروف وحماد هو الراوية المعروف أيضاً و « خلف » هو خلف الأحمر ، راوية وعالم مشهور .

وقولهم قـــد وُضِعَ الهِناءُ في مواضِعِ النُّقْبِ فَفازَ بالزَلَفْ[1]

وقدْ أَصَمَّتْ مَسْمَعي جَعْجَعَةٌ من غَيرِ ما طَحْنٍ وأطفالي ضَفَفْ[2]

فاستَنْجِزِ الوعدَلهم (من) مَلِكٍ ما عَيْبُهُ في جودِهِ سِوى السَرَفْ[3]

بَشَّرني النّـــاسُ بألفِ دِرْهَمٍ إنْ لم تَصِلْ واصَلَني كلُّ أَسَفْ

وإنَّ لي تَصَوُّنـــاً طـائِرُهُ لم يَدْنُ من دَناءَةٍ ولا أَسَفّ[4]

إنْ حَصَّ ريشي زارقُ النعَّاب في الوَكْرِ فمَن قَصَّ يجود بالعلفْ[5]

وقال وكتبها إلى أخيه الرئيس الأَجلّ عماد الدين رسلان بن علي في صدرِ كتاب :

لا وأميرِ المؤمنينَ بالنَّجفْ أَلِيَّةً ما مانَ فيهـا من حلَفْ

---

(١) يقال : وَضَعَ الهِناءَ مواضع النُّقَب : إذا كان ماهراً مصيباً ، والنُّقْب : مواضع الجرب أول ما يبدو وهو الجرب عامة ؛ والهِناء : القَطِران يُطلى به الجرب ، والزَلَف : التقرب من الملك ، يقال : له زُلْفَة وزُلْفَى .

(٢) ضفف : سقطت الفاء الثانية من الأصل ، وقد وجدنا كلمة « ضَفَف » أقرب إلى المعنى المقصود ، والضفف : كثرة العيال ، والضيق والشدة والحاجة ، وهو ضَفيفُ الحال : رقيقه .

(٣) سقطت « من » من الشطر الأول في هذا البيت سهواً من الناسخ وقد أضيفت اليه .

(٤) التَّصَوُّن : التعفّف ، وأسفّ : قارب الأرض في الطيران .

(٥) حَصَّ : قَصّ ، زرق الطائر : سَلَح . ونعب : صوّت بالفراق وجملة « من قصّ يجود بالعلف » مثل .

ما أَنا يوماً بعد يومٍ بينكم بِواجدٍ منكم وحاشاكم خَلفْ

لي أَدمُعٌ تَنثُرُ في الخدِّ الأَسى وأَضلعٌ مَطوِيَّةٌ على الأَسفْ

فإن شكَكْتُمْ فاسأَلوا مدامِعي ما جاهلٌ بقِصَّةٍ كمنْ عَرَفْ

قد وقَفَ القلبُ على حَرِّ الأَسىٰ مُذْ بانَ عني راحِلاً وما وَقفْ

أُكفكِفُ الدمعَ بخَدِّي قانيا فانثني من أَدمعي خاضبَ كفّ

بُؤْتُمْ بإِثمي يومَ توديعِكُمُ فأُودِعَ القلبُ لهيباً ولَهَفْ

عودوا فعودوني لِتَحْيا مُهجَتي ويعفُوَ اللهُ لكم عما سَلَفْ

جودوا لنا بِكُتْبِكم فإنكم بالكُتْبِ منا تتلافوْنَ التَّلفْ

لا تبخَلوا والجودُ من شيمَتِكمْ فلفظُكُم في الكُتْبِ درٌّ في صَدَفْ

وقال أَيضاً :

لي حبيبٌ ناظِرٌ عن لحظِ خِشْفِ قُبلَةٌ منه من الاسقامِ تشفي

بِتُّ أَستحْلي مجـاني رَشْفِهِ وهو يستحلي كما استحليتُ رشفي

أَرُضابٌ ريقُـهُ أَم ضَرَبٌ من عصيرِ الكرمِ ممزوجاً بِصِرْفِ [1]

هَزَّ غصنَ البانِ في حِقْفِ نقاً وبَلائي غصنُ بانٍ فوق حِقفِ [2]

---

(١) الرضاب : الريق المرشوف ، والسكرُ والعسل والندى على الشجر . والضَرَب : العسل الأبيض والصِرْف : غير المزوج .

(٢) الحقف : كومة من الرمل جمعها احقاف ، والنقا : من الرمل : قطعة منه .

قَمَرٌ صورتُهُ كاسِفَةٌ كلَّ بدرٍ كامِلٍ لَيْلَةَ نِصْفِ
لحظُهُ السكرانُ في عَربَدَةٍ لم يَزَلْ في تيهِهِ ثانِيَ عِطْفِ
آلمتُهُ عضَّتي في خدِّه ألماً كِدتُ له آكُلُ كَفِّي
وَقَفَ الحسنُ عليه فغدا جامِعُ الحُسنِ له أَحْسَنَ وَقْفِ

وقال أيضاً :

تَعَطُّفاً قدَّ فؤادي الأَسَفُ لمّا تَثَنّى قَدُّكَ المُهَفْهَفُ
في كلِّ عُضوٍ فيَّ يَعقوبُ أَسىً إذْ كل عُضْوٍ منكَ فيه يُوسُفُ
لحظُكَ والقوامُ يفعلانِ ما يَفْعَلُه المُرهَفُ والمُثَقَّفُ[1]
وثغرُكَ اللؤلؤُ منظوماً إذا ابتسمْتَ لا ما فُضَّ عنه الصَّدَفُ
أَضعَفَ صبري إذ بَدَوتَ مُقبلاً وَرْدٌ بِخَدَّيكَ جنىً مُضَعَّفُ[2]
وردٌ بديعٌ حسنُهُ لكنَّهُ لَيْسَ بغيرِ اللَّحظِ يوماً يُقطَفُ
ما ضَرَّ من أَحببتُهُ لو أَنَّني قبَّلْتُهُ فزالَ عني اللَّهفُ
لحظُكَ يا تُركيُّ يَبري أَسهُماً ليس لها إلا فؤادي هَدَفُ

---

(١) ارهف : السيف ورهفه : رققه وحدده . وثقّف : الرمح قوّمه وسوّاه .
(٢) المضعّف : ما يجعل ضعفين أو أضعافاً (وهو المقصود هنا) والمضعّف : المنسوب إلى الضَّعف ، وهو أيضاً الثاني من قداح الميسر لا ربح له .

وا عجبا كيفَ تكون صاحياً ومن جنى ريقكَ يجنى القرقفُ[1]
لو قابلَتْ وجهكَ عينُ الشّمسِ في رأدِ الضُّحى كانت بهِ تنكسِفُ
يبدو لنا من ردفِكَ ارتجاجُهُ يرهبُ منها خصرُكَ المستضعَفُ
شغفْتَني حُبًّا وما أسعفْتني قرباً ومن أين الحبيبُ المنصِفُ
تلافَ من قبلِ التّلافِ مُهْجَتي أولا فإنّي بالغرامِ أتلفُ
لا بدَّ لي من زورةٍ ولو دَنَتْ إليَّ أطرافُ الرّماح ترْعُفُ
لوْ زُرْتكُمْ أسعى على جمرِ الغضا لم يَهبِ الحريقَ قلبي المدْنَفُ[2]

وقال أيضاً :

من شاءَ أنْ يُعافى فليَشربِ السُّلافا
حمراءَ باتَ يشكو راوُوقُها الرُّعافا[3]
فاقطُفْ جنى الأماني من كأسِها قِطافا
واشرب ولا تخالِفْ ما أقبحَ الخِلافا

---

(١) القرقف : الخمرة .
(٢) المدنف : المريض المثقل والدَنَف : المرض الثقيل .
(٣) الرُّعاف : أصله خروج الدم من الأنف ؛ ورَعَف : قطر وسال . والراووق : وعاء تصفى به الخمرة .

وقال أيضاً :

فؤادي كئيبٌ بالصَّبابةِ مُدْنَفُ　　ودَمْعي صبيبٌ لِلْكَآبةِ يَذرِفُ
أُسحَّ دماً من [بينِ] جَفْنَيَّ سائلاً　　بخَدّي فهل إنسانُ عينَيَّ يَرْعُفُ(١)

وقال يهجو عليَّ بن نظيف :

أَهْدَيْتُ شعراً نظيفاً　　إلى عَلي بنِ نَظيفِ
ومـا عَلِمتُ بِأَنّي　　أَلقَيْتُهُ في الكَنيفِ

وقال يهجو الجمالَ المِصْري(٢) :

ما الجمالُ المِصْريُّ عِندي إلاّ　　ذهبٌ مِثْلُهُ يُسَكُّ ويُصْرَفْ
أُمُّهُ مِصْر فَهْيَ معرفةٌ لٰكِـنْ أبوه　　مُنَكَّرٌ ليسَ يُعْرَفْ

وقال أيضاً :

لا يَفْرَحَنْ في ذا الزَّمان بِخِلعَةٍ　　والٍ هوَ المعزولُ والمصروفُ
هي زينةٌ تعلو الجَزورُ فإنْ تَلُحْ　　صِحْ ياسَمينُ عَليهِ يا مَعْلوفُ(٣)
ما يُطعِمُ الجزّارُ شاةً حَبَّـةً　　حُبًّا ففي تلكَ الحبوب حُتوفُ

---

(١) كلمة « بين » في الشطر الأول مطموسة في الأصل وهي هنا أقرب الى المعنى .

(٢) الجمال المصري : يوسف بن بدران توفي في دمشق سنة ٦٢٣ ﻫ وولد في مصر سنة ٥٥٥ ﻫ ، عالم مشارك في كثير من العلوم (معجم المؤلفين لكحالة). « مج ١٣ ، ص ٢٧٩ و ٣٤٦ » .

(٣) الجزور : مايذبح من الشاء والإبل ، وجزر : ذبح .

وقال على لسان جماعة خرجوا من دمشق يَتَفَرَّجون في يوم سبتٍ فوقفوا على سقيفةٍ على نهر باناس فخرَّتْ من تحتهم وكانوا من الأَعيان[1]

لَئِن ذَمَّ قومٌ ثِقلَ أرواحِنا الَّذي ... به يَومَ سبتٍ خرَّ من تحتنا السَّقْفُ

فإنا حَمِــدنا خِفَّةً في رُؤوسِنا ... وعندالأَذى بالثقلِ قد يُحمَدُ الخِفُّ[2]

ظَلِلْنا به نطفو على المـــاءِ عُوَّماً ... ولا عجباً للقَرْعِ في الماء أَن يَطفو

* * *

(١) نهر باناس : فرع من فروع نهر بردى في دمشق .

(٢) الخَفّ : الخفيف .

حرف القاف

وقال أيضاً يمدح الأمير بدر الدين مَوْدود بن المبارك والي دمشق رحمه الله[1]

ذَكَرتُكِ إذْ شِمتُ بالشامِ بَرْقاً ... سُحَيْراً فأَشبَهَهُ القلبُ خَفْقا
ذكرتُ ابتسامَكِ عند الرِّضىٰ ... فأَسبَلْتُ دَمْعَ شجٍ ليس يَرْقا
فَدَيتُكِ شمساً فؤادي لهـا ... يبيتُ ويُصبحُ غرباً وشرقاً
تَهُزُّ القضيبَ فُوَيْقَ الكثيبِ ... فيُشْبِهُها الظبيُ لحظاً وعُنقا
وما قهوةٌ صيدَنانِيَّةٌ ... من الدَّنِّ أوسعها القَسُّ زَقّا[2]
مشعشعَةً عُتِّقت في الدِّنانِ ... ففي الكَأْسِ تَعْبقُ كالِمسْكِ عَبْقا[3]
فلو قوبِلَتْ بنسيمِ الصَّبا ... تَهُبُّ سُحَيْراً لكانت أَرَقّا
بأَطيبَ من فيك لي نكهةً ... ولا ريقةً ليتني منه أُسْقى

(١) سبقت ترجمته في حاشية سالفة .

(٢) صيدنانية : نسبة الى صيدنايا قرية بجوار دمشق اشتهرت بديرها . والزّق : من أسماء الخمرة و (زقّا) هنا يقصد بها التخمير ، أو العناية بها . من زقّ الطير : أطعمه بمنقاره .

(٣) مشعشعة : ممزوجة بالماء : من شعشع : مزج بالماء .

تولّى شبابي وجاءَ المَشيبُ فصارَ به عنديَ الصَّفوُ رَنْقا[1]

وكانتْ خيولُ الصِّبا يَسْتَبِقْنَ بفَوْدِيَ دُهماً فأَصبَحنَ بُلقا[2]

فأَعْرَضَ عن وَصليَ الغانياتُ وقد كُنَّ لي مثلَ ما كُنْتُ عِشقا

ولما هُريقَ الصِّبىٰ واسْتَشَنَّ أَديمي وأَوْهَنَ عظمي فَدَقّا[3]

دَرَأْت الهوىٰ بادّراعِ النّوىٰ وما قلْتُ يا حادِيَ ٱلعِيسِ رِفقا[4]

بِحَرْفٍ أُقَيْلامُ أَخْفافِهـــا تُجيد على كاغِدِ ٱلبيدِ مَشقا[5]

ولم تَأْلُ في وَخْدِها والذَّميل تُغِذُّ إلى أَنْ أَتتْ بي دِمَشْقا

إلى بابِ مودودٍ بن المبـــاركِ قد جَعَلَ المبتغو الخَــيْرَ طُرْقا

فَيا بَدْرَ تِمٍّ تُضيءُ البِـــلادُ بِهِ وله الدِّين ما زالَ وَفقا[6]

إذا أُمَراءُ الوَرىٰ سابَقُوكَ إلى غايَةِ المَجْدِ بَرّزت سَبْقا

لكَ الدَّهرُ يا فارِسَ المُسْلِمينَ تَرَجَّلَ يَلْثُمُ رجلَيْكَ طلقا

---

(١) الرَنْق : الكدر .

(٢) بلق : جمع أبلق ، وهو الأبيض والمقصود هنا الشيب .

(٣) دَّق : العظم أصبح دقيقاً ، أي رفيعاً .

(٤) درأ : دفع ، ومنع ، وادَّراع : لبس الدرع : والعِيس الجمال .

(٥) أقيلام : تصغير أقلام ، والكاغد : كلمة فارسية معناها الورق ، والمشق : الاسراع في الكتابة والأكل والضرب بالسوط .

(٦) وَفقـا : موافق .

وَيُقْسِمُ أَنَّكَ بالمَكْرُمــاتِ   غَــدَوت لِأَحرارِهِ مُسْتَرِقّا

فَلا مدحَ يَحْسُن عِنْدَ الملوكِ   إلّا وكُنْتَ له المسْتَحِقّــا

أَميرٌ عَليمٌ بِفَحوىٰ الأُمورِ   بِرَأْيٍ أَرانا سَطيحاً وَشِقّا[1]

وما عارِضٌ هــادِرٌ كالفَنيقِ   طَروقَتُهُ الأَرض يَبغيهِ طَرْقا[2]

فَأَوسَعُ من ظَهرِهِ بُطْنُهــا   غداةَ يَنوءُ بِها الفَحلُ وَدْقا[3]

فَأَوْلَدَهـا منـهُ رَوْضاً أَريضـاً   فجلَّ مِنَ الرِّيِّ حُسْناً وَدَقّا[4]

فَكَمْ رَوْضَـةٍ وغَـدير بِهــا   وقَدْ صَفَّقَتْ مَتْنَهُ الرِّيحُ صفقا[5]

بِها النَّوْرُ بيضاً وَحُمراً وَصُفْراً   يُضاحِكْنَ في خُضْرَةِ النَّبْتِ زُرقا

بأَغزَر من كَفِّهِ إنْ أَبَتْ   عُيونُ الغَمامِ على الأَرْضِ دَفقا

وما ضَيْغَمٌ دونَ أَشْبالِهِ   يُحامي فَيَفْتَحُ باعــاً وَشِدقا

يَرُدُّ الخَميسَ كَشاءٍ حَسَسْنَ زَئيرَ الأُسودِ فَقَطَّعْنَ رِبْقا[6]

---

(١) سطيح ، وشق : من الكهان وكان سطيحين لا يمشيان .

(٢) العارض : الذي يعرض ، والهادر : الذي يخرج من فيه صوت قوي ، والفنيق : الفحل الكبير ، والطروقة : انثى الفحل ، الطرق : من طرق الفحل الناقة قفا عليها وضربها .

(٣) الودق : ميل الأنثى للفحل ، وهو أيضاً المطر .

(٤) الروض الأريض : العريض الزكيّ .

(٥) صفق وصفّق : ضرب ، أو مزج الشراب ، أو حوّله من إناء إلى آخر ليصفو .

(٦) ربق : حبل فيه عدة عرى .

بأفتكَ مِنْ بأسِهِ والْكماةُ ... تُماصِعُ طَعْناً وَضرْباً ورشقا[1]

وما هَرِمُ بنُ سِنانٍ حَبا ... زُهَيْراً بجودٍ مِنَ الشُّحِّ وَقَّى[2]

فأُلبِسَ منــهُ الثَّناءَ الذي ... إلى آخِرِ الدَّهرِ في النّاسَ يَبقى

بأسْمَحَ منهُ وفي مَدْحِــهِ ... حَكَيْت زُهَيْراً ثَناءً وَحِـذقا

لَهُ قَلَمٌ غابَ عَن عابِــهِ ... ضَئيل ومنهُ الأَقاليم تُسْقى[3]

مَليٌّ بأَرْزاقِ كلِّ العِبادِ ... وإنْ دَقَّ رَأْساً وإنْ ضاقَ شَقا[4]

فَواهــاً لهُ شارِباً لا شَجَت ... لهُ شَعَراتٌ يَدَ الدَّهرِ حَلْقا

دَقيقٌ يُجَلِّي جَليـلَ الخُطوبِ ... بِخَطٍّ قَنـا الخَطّ تَخْشاهُ صدقا

مُطيعٌ لبــاريهِ فيما يَشاءُ ... وإنْ كانَ يَفنيهِ عَقراً وَعَرْقا[5]

وطِرْفٌ تُقَصِّرُ عَنْ شَأوِهِ ... الرِّياحُ فتلهثُ عِيًّا وَخَرقا[6]

وَسَيْفٌ يُفَلِّقُ هــامَ العِدى ... بِضَرْبٍ يَشُقُّ بِهِ التُّربَ شَقا

---

(١) مَصَعَ : خلافاً ضربه بالسيف أو بالسوط وما صعَ منها .

(٢) هرِم بن سنان : ممدوح الشاعر زهير بن أبي سُلْمَى .

(٣) العاب : لغة في عَيْب ، والأقاليم : البلاد .

(٤) مليٌّ : كفء ، أو يكفي .

(٥) العقر : الذبح والنحر . وعَرَق العظم : اكل ما عليه من اللحم واخذه كُلَّه .

(٦) الطِرف الجواد الكريم . العِيّ : التعب والخَرَق . الخوف بما يعجز عن النهوض ؛ والخَرَق أيضاً ضعف الرأي .

ورمحٌ يُدَقُّ بِصَدْرِ الخميس   لتُرضي بِهِ الأَحدَ ٱلْفَردَ دقا[1]

قَناةٌ أَنابيبُهـــا ظـامِئاتٌ   بِها ثَعْلَبٌ مِنْ دَمِ الأُسْدِ يُسقى[2]

وَفضفاضَةٌ كَعُيونِ الجَرادِ   تَفُلّ الحِدادَ فَتُقلا وتُلقى[3]

وعادِيَةٌ تُطْلِعُ الشَّمسَ في   دُجى النقعِ تَعلو مِنَ ٱلْبَدرِ فَرْقا

وَقَوْسٌ تَرِنُّ وراءَ السِّهامِ   فَتُصْمي الرَّمايا فتنفَضُّ صُعْقا[4]

وأَنتَ إذا مَـا اعْتَـبَرْنا أُولي الوَلاياتِ أَتقىٰ وأَنْقىٰ وأَبْقىٰ

وِدادُكَ مَحْضٌ صَريحٌ إذا   رَأَينا وِدادَ الْأَخِلّاءِ مَذْقا[5]

وأَنتَ الحَفِيُّ وأَنتَ الْوَفِيُّ   إذا الْأَصدِقاءُ طَوَوا عنكَ صِدْقا

---

(١) الخميس : الجيش الكبير . وقد جاءت قافية هذا البيت مزيداً عليها حرف « راء » فأصبحت الكلمة « ردقا » ولم نجد هذه الكلمة في المعاجم ونعتقد أن الراء فيها زيدت سهواً وان الكلمة في حقيقتها هي : « دقـّا » كما يدل على ذلك الشطر الأول في قوله : (ورمحُ يُدَقُّ) .

(٢) الثعلب : طرف الرمح ، وأنابيب الرمح ، هي ما يتألف منه الرمح في أصله .

(٣) الفضفاضة : الدرع . تفلّ : تثلم ، والحداد السيوف : تقلا : تكره وتترك . وتلقى : ترمى ، أي : تثلم السيوف إذا وقعت عليها فتصبح غير ذات نفـــع فترمى .

(٤) اصمى : رمى فقتل ، الرمايا : جمع رمية وهي ما يصاد أو يرمى فيصاب وتنفض صعقاً ، تتفرق مبغوتة قد ضاع صوابها من الخوف .

(٥) مذق : الشراب خلطه بالماء .

تَرَكْتَ الأُلىٰ في الْعُلىٰ سابقوكَ بِفَيْضِ سَحابِكَ في الْيَمِّ غَرْقىٰ
ولَيْسَ يَشُكُّ امْرُؤٌ عاقِلٌ بِأَنَّهُمْ حينَ ساموكَ حَمْقىٰ
وبَيْنَكُمْ مِثْلُ ما بَيْنَ أَخْمَصِ الرِّجلِ والْفَرْقِ إِنْ رُمتَ فَرْقا[1]
حَمِدْتُ إِلٰهي عَلىٰ ما بِهِ حَباني فَأَحسَنَ لي منكَ رِزْقا
وعَبْدُكَ قَدْ طالَ تَثْقيلُهُ عَليكَ وما يَبتَغي مِنكَ عَتْقا
وإِنْ أَنتَ آثَرْتَ تَسْريحَهُ فرَأْيُكَ أَسْمىٰ وأَسْنىٰ وأَرْقىٰ
أَصِخْ لقَريضٍ بَديعِ النِّظامِ أَصْفىٰ مِنَ الدُّرِّ وَصفاً وأَنقىٰ
كَأَنَّ الْمَعاني بِأَلفاظِهِ عَقائِلُ كَالْحُورِ خَلْقاً وخُلقا
يَسُرُّ الْوَلِيَّ ولكِنَّهُ هُوَ النّازِعاتُ لِشانِيكَ غَرْقىٰ[2]
قَدِمْتَ فَأَقدَمتَ نائي السُّرورِ وآتيتَ شَوْقاً عَلى القَلبِ شَقّا
وأَنتَ الْمُوَفَّقُ في كلِّ ما تَرومُ فَلِلْمُلْكِ أَصبَحْتَ وَفْقا
فَعِشْ ما تَشاءُ عَلىٰ ما نَشاءُ مَدى الدَّهرِ تَفْني الأَعادي وتَبْقى

وقال أيضاً يمدحه :

نَوْحُ الْحَمامِ الْوُرْقِ في أَوْراقِها دَلَّ أَخا الشَّوْقِ عَلىٰ أَشْواقِها

(١) الفرق الأول : فرق الشعر في الرأس ، والفرق الثاني هو الاختلاف بين شيئين .
(٢) النازعات غرقا : اقتبسها الشاعر من القرآن الكريم ، والنازعات هنا هي النجوم تنزع من مكان الى مكان ، وقيل هي القِسِيّ ، أو الملائكة التي تنزع الأرواح من الأشباح .

فَأَظهَرَ الدَّمعَ وأَخفى زَفرَةً خافَ عَلى الْباناتِ مِن إِحراقِها[1]

لَوْ بَكَتِ الْوُرْقُ بِبعْضِ أَدمُعي لَاَمَّحَتِ الْأَطواقُ مِنْ أَعناقِها

فَاْعجَبْ لَها شاكِيَةً باكِيَةً لَم تَسلُكِ الدُّموعَ في آماقِها[2]

سَقى دِمشْقَ اللهُ غَيْثاً مُحْسِباً مِن مُسْتَهِلِّ دِيمَةٍ دَفّاقِها[3]

مَدينَةٌ أَحسِنْ بِها مَدينَةً كأَنّما الْجَنَّةُ مِنْ رُزداقِها[4]

تَوَدُّ زَوْراءُ الْعِراقِ أَنَّها مِنها ولا تُعْزى إِلى عِراقِها[5]

أَشْكو مِنَ الْأَشواقِ ما شَكَتْهُ جِلَّقٌ إِلى الْمَودُودِ مِنْ أَشواقِها

حَقٌّ لِبَدْرِ الدّينِ أَنْ تَحْسُدَهُ عَلى الْعُلى الْبُدورُ في اتِّساقِها[6]

---

(١) البانات : جمع بانة ، وهي شجرة معروفة .

(٢) آماق : جمع مُوْق ، ومَأَق وهو طرف العين .

(٣) مُحْسب : من احسب فلاناً أعطاه وأرضاه وكفاه حتى يقول : حسبي وأحسب أيضاً : أكثر من العطاء أو غيره . والديمة : المطر ، الدفاق : من الدفق الكثير الغزير .

(٤) الرزداق : السواد والقرى : معرب رستاق ورَسْتك الفارسية . جمعها : رزداقات ، ورزاديق .

(٥) زوراء العراق : بغداد ؛ لأن أبوابها الداخلة جعلت مُزوَرَّة عن الخارجة . والزوراء أيضاً نهر دجلة ، والأرض البعيدة .

(٦) الاتساق : الانتظام والاستواء من وسق يسق : أي جمع وحمل ، ومنه الآية الكريمة : والليل وما وسق .

كمالُه أحسنُ مِنْ كمالِها ... فَصِينَ طولَ الدَّهرِ عن مُحاقِها (١)

قَـدْ خَيَّمَ الرَّبيعُ في رُبوعِها ... وسِيْقَت الْمُنى إلى أَسْواقِها

اِختارَهُ اللهُ لِخَيْرِ أَرْضِهِ ... إِذْ لَيسَ مِثْلُ الشَّامِ في آفاقِها

فَقابَلَ الشَّامَ بِرأْيِهِ رَتَقَ الْأُمورَ بَعْدَ شِدَّةِ انفِتاقِها

مَا غُلَّ في الْحَرْبِ ولكنْ غَلَّ أَيْدي عُصَبِ الْكُفرِ إِلى أَعناقِها

لا فَنِيَتْ أَيّامُهُ سَعيدَةً ... لا يَنْكُثُ الدَّهرُ قُوى ميثاقِها

وقال أَيضاً وكتبها إلى أَخيه الرَّئيس الأجل عماد الدين رسلان بن علي رحمه الله إلى الدِّيار المصرية :

لَوْ عايَنَتْ عَيناكَ بَهجَةَ جِلَّقا ... ورَأَيتَ مَنْظَرَها الْبَهيجَ الْمُونِقا

لَرَأَيتَ حُسْناً كلُّ حُسْنٍ دونَهُ ... تُعْيِي الْبَليغَ صِفاتُهُ أَنْ يَنْطِقا

وأَزالَ حَمْلاتِ الْكتائبِ في الْوَغى ... مَوْجُ أَطِّرادِ مِياهِها مُتَدَفِّقا

جَنَّاتُ عَدْنٍ لَم تَكُنْ مُمْتازَةً ... عَنها بِشَيْءٍ عَزَّ إلاّ بِالبَقا

وِلْدانُها ونِساؤُها كَالْحُورِ وَالْـوِلْدانِ بَلْ أَبْهى وأَشْهى مَنْطِقا

مِنْ كلِّ جائِلَةِ الْوِشاحِ تَخالُها ... بَدْراً عَلى الْغُصنِ الرَّطيبِ تَأَلَّقا

ومُهَفْهَفٍ ثَمِلِ الْقَوامِ يَحُلُّ بِاللَّحَظاتِ مِنْ ذِي الدِّينِ ما عَقَدَ التُّقى

---

(١) المِحاق : (مُثلَّثة) . وهي آخر الشهر ، او أن يستتر القمر .

لَوْ شاءَ جاءَ بِما تُحتِّمُـــهُ إذا ... مَا اُهتزَّ مِنْ تِيْهِ الصِّبا مُتمنْطِقا
مـا إِنْ يُلامُ فتىً يُرى في جِلَّقٍ ... أيّامَ طِيبِ سُبُوتِها أَنْ يَعْشَقا[1]
أنّىٰ الْتفَتَّ بِهـا رَأَيتَ أَهِـــلَّةً ... تَرْنو بِمِثْلِ عُيونِ غِزْلانِ النَّقا
مَيْــدانُها لِلْهَمِّ أَمسىٰ مَغْرِباً ... لكنْ لشَمْسِ الحُسْنِ أَضحىٰ مَشْرِقا
كَمْ مِنْ غَريبٍ جاءَها مُتبَغْدِدٍ ... فَبدَتْ مَحاسِنُها لَهُ فَتدَمْشَقا[2]
مَنْ ذَمَّهـا يَوْماً وفَضَّلَ غيْرَهـا ... فَلَذاكَ مَوْسومُ الْجَبينِ بِأَحْمَقا
مَنْ كانَ يَفْخَرُ بالخَليجِ وكَسْرِهِ ... والنيلُ قَدْ عَمَّ البِلادَ وطبقا[3]
فَلِكلِّ سَبْتٍ مِنْ دِمشقَ مَفاخِرٌ ... أَصْبَحْنَ أَولىٰ بِالفَخارِ وأَلْيَقا
بَلَدٌ تَراهُ إِذا البِلادُ تَسابَقَتْ ... في حَلبةِ التَّفضيلِ جاءَ الأَسبَقا
أَكْرِمْ بِنَبْتِ رِياضِهِ وَغِياضِـهِ ... وٱلنَّوْرُ نُورٌ بالحَـدائِقِ مُحْـدِقا
وٱلوُرْقُ تَشْدو وٱلغُصُونُ رَواقِصٌ ... إذ هَبَّ في ٱلوَرَقِ النَّسيمُ فَصَفّقا
فَكأَنّما الأَرضُ السَّماءُ طِلاوة ... والزَّهرُ كالزُّهرِ الكَواكِبِ رَوْنقا
مِنْ أَبيَضٍ يَقَقٍ وأَصْفَرَ فاقِعٍ ... لَوناً يَسُرُّ النّاظِرينَ وأَزرقا[4]

---

(١) السبوت : جمع سبت .

(٢) تبغدد : انتسب لبغداد ، وتدمشق ، انتسب لدمشق ،

(٣) الخليج وكسره الكسْر : الناحية من كل شيء وجمعُهُ أكسار وكسور . والكِسْر أيضاً : قرى بحضرموت يقال لها : كسرُ قشاقش .

(٤) اليقق : الأبيض الشديد البياض ، الفاقع : اشتداد الصفرة وصفاؤها .

وكأنّما المنْثورُ مَنْظومـاً علىٰ ... قُضُبِ الزَبَرْجدِ والزُّمُرُّدِ مُشرِقا
لَمْ يَخْلُقِ ٱلرَّحمٰنُ يَوْماً مِثْلَهـا ... أَبداً وَظني أَنَّهُ لَنْ يَخْلُقـا

وقال أيضاً وكتبها إليه رحمه الله :

وعيشِكَ لم يَطِبْ لي قَطُّ عَيشٌ ... وقَـد فارَقتني يَوْمـاً فِراقـا
أخي وشبيبتي فارَقْتُ رَغمـاً ... وقـد واصَلْتُ شيبي وٱلْفِراقا

وقال أيضاً :

إنْ تَغَنَّ الوَرقاءُ في الأَوراقِ ... صَدَّ عَنّي آسي الأَسىٰ وٱلرَّاقي[1]
إن شَدَتْ أَنشَدَت نسيبَ نُصَيْبٍ ... أو تَغَنَّتْ غَنيتُ عن اسحاقِ[2]
ربَةَ الطَّوْقِ طَوِّقينا يَداً تَبْقـىٰ بَقـاءَ الأَطْواقِ في ٱلأَعْناقِ
أَذكِرينا العَهْدَ القَديمَ بنجْدٍ ... إنَّ نجداً مَظَنَّةُ الأَشواقِ
نحنُ نوحي إليكَ سِراً فنوحي ... واصدَحي واصدَعي حشا المشتاقِ
واسجَعي تَفْجَعي المحبَّ بصبرٍ ... غير باقٍ بل مولعٍ بالإباقِ[3]

---

(١) الآسي : الطبيب ، والراقي : من الرُّقية : الذي يرقي المريض .

(٢) نُصَيْب : شاعر أموي معروف ، واسحاق : هو اسحاق الموصلي المغني العباسي المعروف .

(٣) الاباق : الهرب ، من أبق العبد ، إذا هرب .

ما غِناءُ الحَمامِ في عَذَباتِ البا ـنِ إلاَّ الحِمامُ للعشاقِ[1]

يا نديمي أَدِرْ كؤوسَ المُحَيَّا وانْفِ همِّي بشُرْبها يا ساقي

واْسقِنيها وردِيَّةً في زمانِ الـــوردِ تَحكي (وَرْدَ) الخدودِ الرِّقاقِ[2]

عاطِنيهـــا على ثغورِ أَقاحٍ ضاحكاتٍ ونَرْجسِ الأَحْداقِ

وقُدودٍ مثلِ الغصونِ على كُثْـــبِ النَّقا عند ضَمِّنا للعنـــاقِ

ومغانٍ تحلو فتحلو معـــانٍ للمعنّى بِهِنَّ بعـــدَ الفِراقِ

ساعةَ البين إنَّمـا أَنتِ كالسّـــاعةِ تأتي ومالها من فُواقِ[3]

نحنُ في ظُلْمَةِ الفِراق فهلْ يـــرجى لشمسِ اللِّقاءِ من إشراقِ

مِن دُموعي وما تُجِنُّ ضُلُوعي أَنا بينَ الإِغْراقِ والإحراقِ

بلَّ دمعي إلاَّ غَليلي وأَفْنىٰ الوجدُ كُلِّي إلاَّ الأَسىٰ فهوَ باقِ

لستُ أَشكو مابي إلى الخَلْقِ لـكِنِّيَ أَشكو بثّي إلى الخلاّقِ

---

(١) عذبات البان : اطراف غصون البان مفردها : عَذَبة .

(٢) سقطت كلمة من هذا البيت واشير إلى سقوطها بعلامة [ـ] ولكن الناسخ لم يثبتها إلى جانب الأبيات كما هي عادته ، او انها طمست بعد النسخ وقد وضعنا كلمة (وَرْد) تقديراً لمعنى البيت .

(٣) الفواق : الراحة ، وهو ما يأخذ المحتضر عند النزع ، وهو أيضاً الزمن بين فتح اليد وقبضها للحلب .

وقال أيضاً :

يا رفيقي إنْ كنتَ نِعمَ الرَّفيقُ ... دَعْ ملامي فالقلبُ صبٌّ مشوقُ
سَدَّ عني الغَرامُ بابَ سُلُوِّي ... وفؤادي بالوجدِ فيهِ حَريقُ
قَمَرٌ لي من أدْمُعي وسناهُ ... شَرَقٌ كُلَّما بدا وشُروقُ
غُصنُ بانٍ غَضٌّ وريقُ مُنَى النَّفسِ بفيهِ والخَدُّ عَضٌّ وريقُ[1]
فيه عَفَّتْ سَريرتي ومتى يَبْدُ ... فطَرفي زانٍ بهِ زِنْديقُ[2]
غـادِرٌ بالعُقوقِ غادَرَ دَمعي ... ثَغرُهُ اللؤلؤيُّ وهو عَقيقُ
طَرقتني طوارِقُ الهمِّ لَمّا ... لم يَزُرْني منه خيالٌ طَرُوقُ
كيف يغشى الخيالُ ليلاً طُروقاً ... عاشِقاً عنه أعرَضَ المعشوقِ
لحظُهُ سيفُهُ يُريقُ دماءً ... وعلى أنَّهُ يُريقُ يَروقُ
فُقْتُ حزناً إذ فاق حُسناً ومن سُكرِ هواهُ أمسَيْتُ ليس أفيقُ
شقَّ قلبي بالوجد إذ لاح في خَدَّيْهِ وردٌ مضاعَفٌ وشقيقُ[3]
في هَواهُ أشكو الذي يشتكي من ... ثِقَلِ الرِّدْفِ الخَصرُ وهو دقيقُ

(١) يلاحظ التجنيس ما بين : غضّ في الشطر الأول وعض « بالعين » في الشطر الثاني وما بين وريق و « ريق » .
(٢) الزنديق : هو الذي يخرج على الدين .
(٣) الورد المضاعف أو المضعف : هو الذي كثر ورقه ، وشقيق : شقائق النعمان .

وَرَدَ الوَرْدُ فاسقِني بِنْتَ كرمٍ   باتَ يجلو عروسَها الرَّاووقُ
ما بَدَتْ للقُسوسِ في الكأْسِ إلاَّ   قدَّسوها وصلَّبَ الجَاثليق[1]
ما ترى الطَّيْرَ في الغصونِ تُغَنِّي   ولنا بالرَّبيعِ رَوْضٌ أَنيقُ
وأكُفُّ المنثورِ تَلْطِمُ خدَّ   الورد كيْما يَفُوحُ مِسْكٌ سَحِيق

وقال أَيضاً :

أَلا حبَّذا انفاسُ ظاهِر جلَّق   وقد نَفَحتْ غِبَّ الحيا المُتَدَفّقِ
وبانات واديها وهُنَّ رواقِصٌ   لها طَرَبٌ تحتَ الحَمام المطَوّق
إذا شَدَت الأطيارُ في كل بانةٍ   تجاوبت الأوتار من كل جَوْسَقِ[2]
ونحن بأيدي الوَجد سَكرى كأنما   صَبَحنا كؤوساً من شرابٍ مُروَّق

وقال أَيضاً :

القَلْبُ من شفقيِّ اللون يرسُف في   قيود إشفاقِهِ من حَرِّ أَشواقِهْ
مُحَكَّمٌ في قلوبِ الناس يَملِكُها   قسراً فقد يئِست من رُوح إعتاقِهْ

---

(١) الجاثليق : رتبة دينية عند النصارى تعني : رئيس الأساقفة عند الكلدانيين ويكون تحت يد بطريق انطاكية ، معربة عن « كاثوليكوس » اليونانية : جمعها . جثالقة .

(٢) الجوسق : القصر معرّبة عن « كَوْسَكْ » الفارسية جمعها : جواسق .

فالوجهُ كالشمسِ في لاذ المغيب ولا أقول كالبَدْر في لألآء إشْراقِه[1]

ما ذاك من سَقَمٍ فيه وكيفَ وفي فيهِ الشفاء لمستشفٍ بدِرْياقِه[2]

وقال يصف حمّاماً :

إنّ حمّامَنَا الذي نحن فيه ما إليه لعائب من طَريقِ

نحن منهُ في جنّةٍ فوقَ نارٍ ونجومٍ والشَمسُ ذاتُ شروق

تسْعَفُ النار بالحريق وهذا نارُهُ أسعِفَت ببردِ الرحيق

* * *

(١) لاذ : جمع لاذة وهي : ثوب حرير أحمر صيني ، يُشبَّهُ به لون المغيب .

(٢) الدرياق : شفاء السم وهو لغة في ترياق « بالتاء بدل الدال » واصل الكلمة فارسي : « ترياك » .

حرف الكاف[1]

وقال يمدح الملك الأشرف مظفر الدنيا والدين أدام الله سلطانه :

زِدْ عُلواً أيُّها المَلِكُ الأَشْرَفُ حتى تحوزَ كلَّ الممالِكْ
أنتَ رِضوانُ لِلْعُفاةِ لَدى الجَنَّةِ والنارُ للعُداةِ ومالِكْ
أنتَ لو مارزَتْكَ أُسْدٌ ضَوارٍ هَوتِ الأُسْدُ في مهاوي المهالِكْ[2]
لو أتانا بعدَ الرَّسولِ من اللّهِ رسولٌ لكنتَ لاشكَّ ذلِكْ
نَجَّح اللهُ حيثُ سِرْتَ مساعِيكَ إلى ما ترومُهُ والمسالِكْ

وقال يمدح الملك الظاهر مظفر الدين الخضر بن الملك الناصر يوسف بن أيوب أدام الله أيامه :

مَهْ لا تَلُمْ يا لائمي صبًّا هَلَكْ في حُبِّ فتَّاكٍ ولم يخْشَ دَرَكْ
دَعْ عنكَ عذلَ عاشِقٍ فؤادُهُ قد سَدِكَ الوجدُ به أيَّ سَدَكْ[3]

(١) أثبتت هذه الأبيات في النسخة المصورة في آخر قصائد حرف الـ « ق » وبعدها بدأ الناسخ حرف الكاف دون أن يدخل هذه الأبيات في قافية الـ « ك » .
(٢) مارز ، من مرز ، ومارزه ممارزة : مارسه .
(٣) سَدِكَ : أقام .

أَسْبَلَ سِترَ سِرِّهِ حتى إذا عايَنَه استعبَرَ شوقاً فانهتكْ

قد أَخذَ السَقامُ من أَعضائِهِ لضَعفِهِ أَضعافَ ما منه تركْ

حارَ الورى فيه فقالَ كلُّهم هلْ مَلِكٌ أَنتَ علينا أَم مَلَكْ

قد أَشبهت لحاظُهُ سيف صلاحِ الدينِ في الفتكِ بابرنس الكركْ(١)

قلبي لمـــا دلَّه طرَفِيَ على طُرُقِ الهوى عادَ عليه بالدَّرَكْ(٢)

وقالَ ذُقْ طَعمَ السُّهادِ والبُكا أَنتَ الذي أَوقعتَني في ذا الشَّرَكْ

مَنْ لِشجٍ على القتـــادِ جسمُهُ ثاوٍ ولو كان المهادُ مِن فَنَكْ(٣)

إِن لم يُجِرهُ المَلِكُ الظَّاهِرُ مِنْ سِحْرِ العيونِ البابليّاتِ ٱرتبَكْ

مظفرَ الدِّينِ دُعاءَ مَن رَمىٰ كَلْكَلَهُ الدَّهرُ عَليهِ وبَرَكْ(٤)

وعضَّهُ بالدَّرَدِ الأَقوى وأَلْقـــى بَرْكَهُ عليهِ ظُلماً وعَرَكْ(٥)

وقد رجا إنقـاذَهُ مِن مَلِكٍ يُغني إذا أَعْطى ويُفْني إنْ فَتَكْ

---

(١) إبرنس ، تصحيف برنس : وهو الأمير في الفرنجيـة . والكرك : بلدة في الأردن .

(٢) الدرَك : اللحاق ، وبالفتح والسكون : القعر ، يقال : بلغ الغواص دَرْكَ البحر . والدَّرَك والدَّرْك أيضاً : التَّبِعة .

(٣) الفنَك : نوع من جراء الثعلب التركي ، والمقصود هنا جلده الناعم .

(٤) برَك البعير : وقع على صدره .

(٥) الدرَد : تحاتّ الأسنان ، ورجل أدرَد . والبَرْك : الصدر ، وعرَك : زحَم ، والعريكة : السَّنام .

لو سقطتْ في البَحْرِ من غَضْبَتِهِ شرارَةٌ أَصبحَ مِقلَى للسَّمَكْ[1]

لو بسِهامِهِ رمى عن قَوْسِهِ دَلْوَ السَّماءِ صار للموتِ شَبَكْ[2]

والأَسَدُ العُلْوِيُّ لو بارزه هوى على الجبهةِ مخلوعَ الحَنَكْ[3]

يخشى السِّماكُ الرّامِحُ اطِّعانَهُ فهو أَسيرُ أَفْكَلٍ ليس يُفَكْ[4]

وتُرعَدُ الجبـالُ من حَمْلَتِهِ وتَقشَعِرُّ الأَرْضُ خوفاً أَن تُدَكْ

هِمَّتُهُ تَعصِرُ تَحْتَ رِجلِهـا في الأُفقِ عُنقودَ الثُّرَيّا المُنْتَهَكْ[5]

فَسَيْفُهُ صاعقَةٌ بكَفِّـهِ لم تنجُ مِنهُ السَّابغاتُ والشِّكَكْ[6]

طَعْنـاتُهُ تَفْتَحُ في أَقرانِهِ نَهراً لِأَذْوادِ الرَّدى فيهِ رَتَكْ[7]

---

(١) مِقْلى : الوعاء الذي يُقلى به السَمَك .

(٢) الدَلوُ : الوعاء الذي ينقل به الماء من قعر البئر ، وهو هنا أحد الأبراج الشمسية .

(٣) الأسد هنا برج من أبراج الشمس .

(٤) السِماك ، السِماكان : الأعزل والرامح ، من نجوم السماء . والاطّعان : المطاعنة . والأفكل : الرِعْدة ، يقال : به أفكل وهو مفكول .

(٥) الثريا : مجموعة من النجوم بشكل العنقود . ونهك : أتعب وأرهق ، وانتهك حرمته : تناولها بما لا يَحِلّ .

(٦) السابغات ، جمع سابغة : الدرع الواسعة . والشِكك ، جمع شِكَّة : ما يلبس من السِلاح ، أو السلاح نفسه .

(٧) أذواد : جمع ذَوْد ، عدد يستعمل للمؤنث من ثلاث إلى تسع أو عشر وهو أشهرها ، وقد يزيد العدد على هذا ، والمعروف استعماله لعدد الجمال . والرَتَك : مشى البعير خاصة إذا تقارب خطوه .

يَحْفِرُ بالدَّبُّوسِ من ضربتِهِ ... لِلقِرْنِ قَبْراً في مجالِ المعتَرَكْ

كأنَّما القِنطـــارُ في راحَتِهِ ... فصٌّ بكفٍّ لاعِبٍ دوشيش يَكْ[1]

مُتَّقِدُ الجَبينِ كالشَّمسِ يُجَلِّـــي ضَوْءُهُ اللَّيلَ البهيجَ ذا الحَلَكْ

ذو هِمَمٍ مالئــــةٍ فؤادَهُ ... يضيقُ عن أَقلِّها قلبُ الفَلَكْ

شادَ سماءَ المُلكِ حتى ٱرتفعَتْ ... عَنِ السِّماكَيْنِ سناءً وَسَمَكْ

وفَرَّقَ الأَموالَ بالهِباتِ فالتفَّ عليهِ عِيصُ مُلْكٍ واشْتَبَكْ[2]

فمـالُهُ مشتَرَكٌ بجـــودِهِ ... وجودُهُ في الناسِ غيرُ مُشتَرَكْ

واهاً له مُقْتَبِلاً شَبـــابُهُ ... تدبيرُهُ تدبيرُ كهلٍ ذي حُنَكْ[3]

فهو ضليعٌ بأُمورِ المُلكِ نَهَّـــاضٌ بها حقاً يقيناً غيرَ شَكْ

يُفَرِّجُ الهمومَ حدُّ عزْمِهِ المـــاضي إذا ما الأَمرُ بالأَمرِ التَبكْ[4]

فالنَّصرُ والفَتحُ قريناً جَيْشِهِ ... على العِدىٰ أنّى توَخّى وسَلكْ

---

(١) الفَصّ : قطعة من الحجر الكريم توضع في الخاتم . و « دو » يعني اثنين و « شيش » ستة و « يَكْ » يعني واحداً ، وهي أعداد فارسيـة تستعمل في لعبة النرد « طاولة الزهر » والفصّ هنا هو « الزهر » الذي يرمي به لاعب النرد .

(٢) العيص : القبيلة ، والحفيد ، والأصل ومنبت خيار الشجر ، وفلانٌ في عيص من قومه ، في عز ومَنَعة .

(٣) ذو حُنَك : ذو تجارب ، الحُنَك : جمع حُنْكة : الخبرة .

(٤) التبك : الأمر ، التبس .

لو شاءَ صادَ اللَّيْثَ بالثَّعْلَبِ فاللَّيْـــثُ لَدَيهِ المسترَقُّ المشترِكْ[1]

تخْشَى الشواهينُ سُطا حَمامِهِ فَهْو الأكرُّ والشَّواهينُ الأَرَكْ[2]

يُستَنْزَرُ الكَوْثَرُ عند جُودِهِ وعندَ لُطفِ روحِهِ طُوبى الحَسَكْ[3]

بالخَضِرِ اخْضَرَّتْ رِياضُ العيشِ واخضَلَّـــتْ ففاضتْ بركاتٌ وبِرَكْ[4]

سالِمْهُ تسلَمْ لا تُحارِبْهُ تَطِحْ فإنَّهُ عَضْبٌ متى هُزَّ بَتَكْ[5]

أَيْمِنْ بِهِ مِنْ مَلِكٍ مُظَفَّرٍ طالَ سَنامُ المُلْكِ منهُ وتَمَكْ[6]

فَبِاسْمِهِ يُسْتَهْزَمُ الجَيشُ وراءَ الصِّيـــنِ وهوَ وادِعٌ في بعلبكْ

لِشَنِّ غاراتِ العُفاةِ مالُهُ مُنْتَهَبٌ والعِرضُ غيرُ مُنْتَهَكْ

---

(١) المسترقّ : المستعبد ، المستذَل ، والمشترَ الموسوس المهموم من الاشخاص واشترك الأمر : التبس .

(٢) أرَكَ ، أركاً وأُروكاً : الرجل لجّ ، وفي الأمر : تأخر ، وأرك بالمكان : أقام . والأكرّ : من الكر الإسراع .

(٣) طوبى : اسم الجنة بالهندية أو البيت ، أو اسم شجرة فيها . والحَسَك : نبات ذو ورق دبق ، والحسكة : الشوكة . وحسِك حَسَكاً : غضب ويستنزر الكوثر : يرى نزراً أي قليلاً .

(٤) الخَضِر : اسم الممدوح ، واخضلّت : نديت وأمطرت ، والبِرَكَ : جمع برِكة ، وهي البحيرة الصغيرة « الفسقية » أو المستنقع .

(٥) طاح : وقع ، والعضب : السيف ، وبتَك : قطع .

(٦) تمَك : السَّنام ، تُموكاً وتمْكاً : طال واكتنز .

يا آلَ أيوبَ لأنتمْ مَعْشَرْ تُلْغونَ في العلياالسُّكونَ للحَرَكْ[1]

في مَدْحِكُمْ دَرَّ لكُلِّ شاعرٍ درُّ الكلامِ بالمعاني وحَشَكْ[2]

فكلُّ مدحٍ في سواكم يا بني أيّوبَ في الملوكِ زُورٌ مُؤتفَكْ[3]

أسماؤكم أحسنُ ما زِينتْ بهـا

البيضُ أو الصُّفْرُ فلاحت في السكك[4]

فلا خَلَتْ مَنابِرُ الإسْلامِ منهـا ما دَعا الله حَنيفٌ ونَسَكْ[5]

يا أيُّها المَلْكُ الذي يَرى ادَّخارَ الحمدِ في زمانِهِ خير البَرَكْ[6]

فُقْتَ مُلوكَ الإنسِ بالعَزْمِ وقد ذَلَّتْ ملوكُ الجِنِّ بالتَّعزيمِ لكْ[7]

خُذْ مِدْحةً من عالِمٍ مُفوَّهٍ أَلفاظُهُ حائدَةٌ عنِ الرَّكاكْ[8]

---

(١) لغا يلغو : أبطل ، الحَرَك : مصدر الحركة .

(٢) الدَّر : اللَّبن ، والعمل من خير أو شر . ودَرَّ : اللبن اجتمع . وحَشَك ، حشكت الناقة اللبن : جمعته فهي حَشوك ، والدرّة : امتلأت .

(٣) الإفك : الكذب ، والمؤتفَك : المكذوب .

(٤) السكاك : جمع سِكّة : الطريق .

(٥) حنيف : المؤمن المستقيم ، ونَسَك : تعبّد وزهد .

(٦) البَرَك : برك للقتال ثبت وأقام واجتهد ، أي الجهاد . أو هو من البركة .

(٧) عزم : دعا ، ورقى ، وعزم على الأمر : صمم على عمله .

(٨) الركك ، والركاكة : ضد الفصاحة والبيان . والركيك : الضعيف لا يغار على النساء .

أشعـــارُهُ قـــائلَةٌ في دَهْرِهِ

هلْ يَسْتوي الحُصْنُ العتاقُ والرَّمك[1]

ليسَ ثَنـــاءُ مثلِهِ مُطَّرَحاً وقصْدُ مولانا فغيرُ مُتَّركْ

إنْ كانَ قد قصَّرَ في مديحِهِ فما على الجاهِدِ إلاَّ ما مَلَكْ

شمسُ نهـــارنا وبدْرُ ليلِنا من نورِهِ نَسبحُ في كلِّ فلَكْ

عِشْ عُمرَ نوحٍ مالِكاً في الدَّهرِ ما كانَ سُليمانُ بنُ داوودَ مَلَكْ

هُنِّئْتَ عاماً عَقْدُهُ صُدُورُ حُسَّادِكَ مما حَلَّ فيهِنَّ وَحلّْ[2]

فالأَوْليـــاءُ ضاحِكون كلُّهمْ فيهِ سُروراً وأعاديكَ ضُحَكْ[3]

بَقيتَ لِلمُلْكِ بقاءً لم نَشُـــكَّ أَنّهُ بِصَرْفِ دَهرٍ لم يُشَكْ[4]

بالمصطفى مدينَةِ العِلمِ وبابِهـــا وأَصحابِ العَوالي وفَدَكْ[5]

(١) رَمَكت : الدابة هزلت ، ورمك : أقام ، والرَّمك : أيضاً البرازين . الحُصْن العتاق : الأصيلة .

(٢) هُنِّئْت : باظهار الهمزة أو إبدالها بالياء ، ومعنى البيت غير واضح . ويبدو ما هنـاك من جناس بين العقد والحلّ في البيت ، وربمـــا كان العقد : نهـاية صدور حسادك .

(٣) ضُحَك : جمع ضُحكة أي هُزْأة وسخرية .

(٤) لم يُشَكّ : لم يُصَب ، شكّه : طعنـه .

(٥) المصطفى هو النبي ﷺ و « مدينة العلم وبابها » إشارة إلى الحديث الشريف : أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها . العوالي : الرماح ، وفَدَك : قرية في الحجاز قرب خيبر كانت بتصرف آل النبي ﷺ واختلف فيما بعد بشأنها .

وقال يمدح الأمير الأجل فخر الدين جهاركس رحمه الله :

أَحورِيَّةَ الحيِّ روحي فداكِ أما لِأَسيرِ الهَوى من فَكاكِ
لقدْ كنتُ قبل هَواكِ العَزيزَ فأوقَعَني في هَواني هَواكِ
تبارَكَ مَنْ بِاللّآلي حَباكِ وَأَودَعَهُنَّ لَدى النُّطْقِ فاكِ
قَوامُكِ غُصْنٌ بِحِقْفِ النَّقا متى اهتَزَّ لم يَبْقَ لي من حَراكِ
ونَهْداكِ في الصَّدْرِ مذْ أُقْعِدا أَقاما قِيامَةَ صَبٍّ يَراكِ
هَلِ الشَّمسُ أُمُّكِ وقْتَ الضُّحىٰ أَمِ البَدْرُ في التِّمِّ حاكى أَباكِ
هنيئاً مَريئاً لِعودِ السِّواكِ بِمِسْكٍ وراحٍ بِمَجْرىٰ لَماكِ[1]
أَجِدَّكِ إِنَّكِ لا تَفْتَئِينَ تقولينَ يُوسُفُ حُسْناً فَتاكِ[2]
جَنَتْ مقلَتي مقتلي باللِّحاظِ وجرَّحتِ خَدَّيكِ هٰذا بذاكِ
وما شادِنٌ من بَني التُّركِ منهُ يُرى التَّجرُ مابينَ كابٍ وباكِ[3]
غدا طرفُهُ وهو شاكي السِّلاح فكَمْ منهُ مِثلي وحاشاكِ شاكِ

(١) اللَّمى : السُّمْرة في باطن الشفة .

(٢) أَجِدَّكِ المكسورة : أن تحلّف إنساناً بجِدّه وحقيقته ، وإذا فتحت فتحلفه بحظه وبخته . لا تفتئين : لا تزالين ، ولا يخفى ما في البيت من إشارة إلى قصة يوسف في القرآن الكريم .

(٣) الكابي : من كبا الجواد أو الزند ، وغاية الشاعر التجنيس بين الكلمتين . والتَّجر : تجار المماليك .

يَقُدُّ قلوبَهم حُبُّهُ بِسَيْفِ اللَّواحِظِ قَدَّ الشِّراكِ[1]
بِأَحْسَنَ مِنكِ ولا لِجَهْرَكَسَ في ٱلْمَكْرُماتِ مُحاكٍ يُحاكي
هُوَ ٱلمَلِكُ ٱلْخاضِبُ ٱلْبيضَ بِٱلنَّجيعِ وسُمْرَ ٱلْقَنا والمَذاكي[2]
يَخُوضُ بِهِ الطِّرْفُ نَحْوَ الْوَغىٰ فَيُسْعِرُ بِٱلسَّيْفِ نارَ ٱلْهَلاكِ
يُذيقُ ٱلعِدىٰ كأْسَ صِرْفِ الرَّدىٰ بِضَرْبٍ تُؤامٍ وطَعْنٍ دَراكِ[3]
حَبا ٱلدّينَ بالفَخْرِ وٱلْمَكْرُماتِ وأَبْكى عَلى ٱلْمُشْرِكينَ الْبَواكي
يَكادُ يَمُدُّ يَدَيهِ إِلَى السَّماءِ فَيَفْجَعُها بِالسِّماكِ
فَدِينُ ٱلْإِلٰهِ لَهُ شاكِرٌ وداعٍ ودِينُ أُولي الشِّرْكِ شاكِ
ويُلْقي لَهُ « ماردين » الشَّآمِ عَلى الْحوتِ فيها وَثيقَ الشِّباكِ[4]
فَلِلشّامِ مِنْ حِصْنِها مَعْقِلٌ عَلى كُلِّ حِصْنٍ زَكا فَهُوَ زاكِ[5]
فَلا زالَ في نِعَمٍ ما شَدَتْ عَقِيبَ ٱلْحَيا بِالجَواءِ ٱلْمَكاكي[6]

---

(١) الشراك : وشراك النعل سيرها ، والقد : القطع .
(٢) المذاكي : جمع مُذَكٍّ ، من الخيل ما زاد عمره على سنة أو سنتين .
(٣) الدَراك : المتلاحق ، والتُؤام : المزدوج من التوأم . ودَراكِ : اسم فعل للأمر ؛ معناها أدْرِكْ .
(٤) « ماردين » : مدينة معروفة بين سوريا وتركيا من الشمال .
(٥) زكا : نبت وارتفع .
(٦) الحيا : المطر . الجِواء : جمع جَوّ . والمكاكي : جمع مُكَّاء ، وهو طائر . ومكا يمكو الطائر : صفر .

وقال يمدحُ الشَّرفَ عبدَ المحسنِ بنِ إسماعيلَ الفلكي رحمه الله :

نَجْمُ ٱلْقاضي الشَّرَفِ ٱلْفلَكي في أَسعَدِ بُرْجٍ في ٱلْفَلَكِ
وذُكاءُ مُحيَّاهُ وعُطارِدُ وافى ٱلْمَوْلِدَ فَهوَ ذَكي[١]
لَوْ ناوَأَهُ الْأَسَدُ الْأَعْلى لَثَناهُ مُنْدَقَّ ٱلْحَنَكِ
ولَوَ ٱنَّ ٱلْحُوتَ عَصاهُ أَتى وهُوَ ٱلْمُتَخَبِّطُ في ٱلشَّبَكِ
لَوْ شاءَ رَمى النَّسْرَيْنِ مِنَ ٱلْأُفقِ الْأَعْلى وَسْطَ الشَّرَكِ[٢]
فَمُساجِلُهُ في ٱلْمَجْدِ يُباري ٱلْحُصْنَ عِتاقاً بالرَّمَكِ[٣]
رَبُّ الْآراءِ مُجَلَّلَةً بيَقينِ الْأَمْرِ ٱلْمُحْتَبِكِ[٤]
ولَهُ قَلَمٌ يُرْدي ٱلْفُرْسانَ بهِ طَعْناً في ٱلْمُعْتَرَكِ
تَجْري في الطِّرْسِ بِسَجْعِ ٱلْقاضي ٱلْفاضِلِ بِالْأَمْرِ ٱللَّبِكِ[٥]
وحُروفِ ٱبْنِ ٱلْبَوّابِ إِذا سَلَكَتْ سَنَناً لَمْ تَنْسَلِكِ[٦]

---

(١) عُطارِد : نجم بين الشمس والأرض .
(٢) النسران : نجمان معروفان .
(٣) المساجل : المحارب . العتاق : الخيل الأصيلة . الرَمَك : البراذين .
(٤) الأمر المحتبك : المُحكم .
(٥) الطِرس : الورق . والقاضي الفاضل : هو الكاتب المعروف بعصر صلاح الدين . واللَّبِك : الصعب المعقَّد .
(٦) ابن البوّاب : خطاط معروف زمن صلاح الدين . والسنن : الطريق .

لَمْ تُغْنِ عَنِ الأَبطالِ إذا ... مَا ضَمَّمَ مَسْرودُ الشُّكُكِ[1]

وَأَنامِــلُهُ تَنْهَــلُّ لِقــاصِدِهِ كأَنابيبِ الْبِرَكِ[2]

وَسَمــاءُ مَعَاليهِ زِينَتْ ... بِمَعَانِيــهِ ذاتِ الحُبُكِ[3]

يا دَهْرُ رُوَيْدَكَ كَم أُرْمى ... مِنْ جَورِكَ بالحُكمِ المَحِكِ[4]

أَبكي مِنْــهُ أَسَفاً وَيَرى ... حالي فَيُقَهْقِــهُ بالضَّحِكِ

فالنّــاسُ لَهُم عَمْرُوٌ وأَبو ... موسىٰ أَمْسىٰ يا نَفْسُ لَكِ[5]

غَالَتْ ثُلُثَ ٱلرَّسْمِ الجاري ... مَعَ قِلَّتِــهِ يَدُ مُنْتَهِكِ

إِنْ غُيِّضَ ماءُ ٱلجَــدْوَلِ حِيفَ على ما فيهِ من ٱلسَّمَكِ[6]

أَنا عَبْدُ المُحْسِنِ عَبْدُ المُحْسِنِ لم أَرْهَبْ دَرَكَ الدَّرَكِ[7]

فَبِتُرْبَــةِ إِسماعيلَ حَليفِ ٱلعِــلْمِ عَزيزاً وٱلنُّسُكِ

---

(١) المسرود : الدرع . والشكك : جمع شكة ، وهي السلاح .

(٢) الأنابيب : جمع أنبوب ، وهي هنا القنـاة . والبِرَك : جمع بركة ، وهي الحوض .

(٣) الحُبُك : الطرائق . وكساء محبَّك : منسوج ؛ كناية عن الإحكام في المعاني .

(٤) المَحِك : اللجوج العَسِر .

(٥) يقصد قصة التحكيم بين عليّ ومعاوية ، والحكمان : هما عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري .

(٦) حيف : من حاف يحيف : ظلم وجنى .

(٧) الدَرَك : الوصول ، والدَرَك أيضاً : القعر .

أُنْظُرْ في حـالِيَ فالمْـلوكُ يُرَجّي عارِفَـــةَ المَلِك [1]
يا مَنْ هُوَ مَخْـــلوقٌ بَشَراً ونَرى مِنْـــهُ خُلُقَ المَلَك
أَصْبَحْتُ مَصُونَ ٱلْعِرْضِ مُذَالَ المالِ بِعِرضٍ مُنْهَتِكِ [2]
فَاسْلَمْ وٱغْنَمْ وٱفْرَحْ وٱمْرَحْ وٱظْفَرْ بالضِّدِّ المؤتفِكِ [3]
جاءَتْكَ بِرَكضِ الخَيْـلِ أُبَيَّـاتٌ أَمِنَتْ وَصْمَ الرَّكَاكِ [4]
فَرَأَتْكَ بِمالِكَ مُشْتَرَكـاً وبِمَجْـدِكَ لَيْسَ بِمُشْتَرَكِ

وقال وكتبها إلى صديق له :

ياليْتَ نَفْسي إذْ كُنْتُ مِنْ خَدَمِكْ تَحَمَّلَتْ ماشَكَوتُ مِن أَلَمِكِ
خَدِّي فِداءٌ لِشِسْعِ نَعْلِكِ إِذْ كانَ قَرِيبَ المَحَطِّ مِنْ قَدَمِكِ [5]
وَلَيْتَ نَفْسي تَقِيكَ كلَّ أَذىً تَشكو ولَو شَعرَةً على قَلَمِكِ

وقال يهجو العدل وأخاه [6] :

قَـــدْ خَرَقت فيكُمُ ٱلْعَوائِدَ في ٱلأَيّامِ حَتى عَلَوْتُمُ ٱلْفَلَكا

---

(١) العارفة : المعروف .
(٢) مُذال : مُهان . هتَك : كشف الستر .
(٣) المؤتفك : الكاذب .
(٤) أُبيَّات : تصغير أبيات . الرَّكَك : الغثاثة .
(٥) شسع النعل : سير النعل الذي يدخل بين الإصبعين .
(٦) وردت كلمة « أخاه » بالياء : « أخيه » ، وهو خطأ كما هو واضح .

كَذا بَنوكُم يَسْمُونَ عَنْ بَشَرٍ	مُؤدَّبٍ فابْتَغوا لَهُم مَلَكا
فَـذاكَ لا يَأْكُلُ ٱلطَّعامَ وذا	لَوْ عَدِمَ ٱلْقُوتَ جِسمُهُ هَلَكا

وقال :

متىٰ حَثَّني ٱلْشَّوقُ ياناقَتي	حَثَثْتُكِ بالسَّوْقِ ، هذا بِذاكِ
فَإنْ يُدْمِ خُفَّيْكِ طولُ السُّرىٰ	فَمِثْلُ جُفُوني الدَّوامي البَواكي
خِدي وَخُذي ٱلْعَهْدَ مِنّي مَتىٰ	بَلَغْنا مِنىً أَنْ تَنالي مُناكِ [1]
هُنـاكَ حَرامٌ على الرَّحـلِ والتَّرَحُّلِ دونَ المطـايا مطاكِ [2]
أَيا هِنْدُ ، هِنْـدُ بَني عامِرٍ	شَفَىٰ أَلمي في ٱرتشافي لَمَاكِ
إليكِ شَققتُ مُلاءَ السَّرابِ	بِشاكِيَةِ الأَيْنِ مِنْ تحت شاكِ
أَبُخلاً وقَومُكَ أَهلُ ٱلنَّدىٰ	وَغَدراً وما شان غَدرٌ أَباكِ [3]
بِمـاذا تَوَسَّلَ عُودُ ٱلأَراكِ	إلى أَنْ يُقَبِّلَ بالأَمْنِ فاكِ

وقال أَيضاً :

رَضيتُ فيكَ الضَّنىٰ إنْ كانَ يرضيكا	وكلُّ ما عَزَّ عِنـدي هَيِّنٌ فيكا

---

(١) خِدي : فعل أمر وخَد ، وهو سير الإبل .
(٢) المَطَا : الركوب مصدر مَطِيَ وهو الظهر أيضاً .
(٣) وردت كلمة « غدر » الثانية في هذا البيت منصوبة والأصح أنها مرفوعة .

إنّي لأَسْتَعْذِبُ ٱلتَّعذيبَ فيكَ فَلا ... أَسلو وأَهوىٰ تَلافي في تَلافيكا[1]

ما ٱلوَرْدُ إلّا الذي خَدَّاكَ مَنْبِتُهُ ... ولا المُدامَةُ إلّا الرِّيقُ من فيكا

وَلَيْسَ بابِل إلّا مقلتاكَ ولا ... يُهْدىٰ لَنا الغُصْنُ إلّا من تَهادِيكا

يا لائِمي إنَّ دَمْعي في هَوايَ لَهُ ... يُطيعُني غَيْرَ أَنَّ ٱلْقَلْبَ يَعْصيكا

لا تَطْلُبِ الصَّبْرَ مِنْ قَلبي فَتظلمَهُ ... فَما أَرىٰ مَسْلَكاً في الحُبِّ مَسْلوكا

أَمْسَيْتُ أَمْلِكُ مَنْ في الحُبِّ يَمْلِكُني ... فَمَنْ رَأَىٰ مالِكاً في الحُبِّ مَمْلوكا

أُبْدي التَّذَلُّلَ إذْ تُبْدي التَّدَلُّلَ لي ... تُحيي وتَتْبَعُ ما يُحيي يُحَيِّيكا[2]

بِسَيْفِ لَحْظِكَ دَمعي لم يَزَلْ بِدَمي ... في صحنِ خَدِّيَ مَسْفوحاً ومَسفوكا

وقال أَيضاً :

تُرىٰ تَسْمَحُ الأَيّامُ لي أَنْ أَراكُمُ ... وأَشكو غَرامي مُنذُ شَطَّتْ نواكُمُ

واعظَمُ ما أَلقاهُ أَنّيَ لم أَجِدْ ... لِقلبي سُلُوّاً عنكُمُ بسِواكُمُ

فيا ليتَ أَنّي لم اكُنْ بِنْتُ عنكُمُ ... ويا ليتَ أَنّي ما عَرفتُ هواكُمُ

وإنّي لأَرضى أَن أَموتَ صَبابَةً ... إذا كان موتي في الهوى من رِضاكُمُ

فإن تسمَعُوا يوماً بِمَنْ ماتَ حسرةً ... وشوقاً إلى الأحباب إنّي لَذاكُمُ

---

(١) التلاف : الهلاك ؛ والتلافي : التدارك .

(٢) يلاحظ ما في هذا البيت من تعقيد وغموض .

اراكُمْ بقلبي حيثُ كنتُمْ تفكُّراً   وإن لم تكن عيني بِرَغْمي تراكُمُ[1]

وقال أيضاً :

سَيْفُ اللِّحاظِ ورُمْحُ القَدِّ قدفتكا   فينا وَلَمْ يَخْشَيا بأساً ولا دَرَكا
تباركَ اللهُ كم من أَدْمُعٍ سَفَحا   حُزْناً وكم مِنْ دمٍ من عاشِقٍ سَفَكا
وأَيُّ قلبٍ ثوى ما بينَ ضربِ ظُبىً   وطعنِ سُمرٍ قناً يوماً وما هَلَكا
يا مُنْبِتاً سَمْهَرِياً في كَثيبِ نَقاً   لِواؤه لَيلُ صبٍّ والسِّنانُ ذكا[2]
يُقِرُّ يعقوبُ لي بالحزنِ فيكَ كما   يُقِرُّ يوسُفُ بالحسنِ ٱلْبديعِ لَكا
ما ضرَّ مالِكَ قلبِ المستهامِ بهِ   لو كانَ يَعدِلُ يوماً في الّذى مَلَكا
لم يَتْرُكِ السُّقمُ مني غيرَ ما شَبَحٍ   وليتَهُ كانَ يَرْثي لِلّذي تَرَكا
ولا شكوتُ الذي فيه أُكابِدُهُ   إلى عَذُولِيَ إلاَّ رقَّ لي وَبكى
وإِنْ بكَيْتُ لَدى من قدْ كَلِفْتُ بهِ   لِما أُعانيهِ من وَجْدٍ به ضَحِكا

---

(١) المعنى الذي ورد في هذا البيت يذكرنا بقول ابن المعتز :

إنا على البعاد والتفرّق   لنلتقي بالذكر إن لم نلتق

وقول مهيار :

اذكرونا مثل ذكرانا لكم   ربّ ذكرى قرّبت من نزحا

(٢) ذكا : ذكاء مُخَفّفة الهمزة ، وهي الشمس ، والمقابلة ظاهرة بين الليل والشمس .

حرف اللام

وقال يمدح الملك الأشرف مظفَّرَ الدين شاه أَرْمن أَبا الفتح موسى أعزَّ الله أنصاره :

إنَّ الهوى إنْ كنتَ عنه تَسأَلُ ... معْنىً يَزيدُ بمــا يقولُ العُذَّلُ

تجني العيونُ ثمارَهُ لكنَّهــا ... تجني بِهِنَّ على القلوبِ فتقتُلُ

فَحَذارِ منهُ ، حَذارِ منهُ فإنَّني ... مِنهُ على قلبي الجريحِ لَأَوْجَلُ

لَأُعذِّبَنْ عينيَّ إنْ جَنَتا الهوى ... بسُهادِ ليلِهِمــا ودمعٍ يَهمُلُ

يا مَنْ نَأَى عن ناظِري لكن ثوى ... في القلبِ فَهْوَ كَحُبِّهِ لا يَرحلُ[1]

فكأَنَّهُ إنسانُ عَيْني لا أرى ... جُثمانَهُ وبه أَرى ما يَمثُلُ

وكذاكَ قلبي غائباً مع قربِهِ ... وبهِ إلى ما أَبتغي أَتوصَّلُ

هذا وللشوقِ المُبَرِّحِ في الحَشا ... حُرَقٌ بحيثُ هوى الحبيب يُغَلْغِلُ

لأَدَرَّ درُّ البَينِ كم من مُقْلَةٍ ... منهُ بإِثمِدِ نومِها ما تُكْحَلُ

ما للفِراقِ تقَطَّعَت أَوصالُهُ ... عنَّا ببينٍ قَطْعُهُ لا يوصَلُ

أَجرى العيونَ منَ العيونِ وغَيَّضَ الصَّبْرَ الجميلَ فتركُهُ بِيَ أَجمَلُ

---

(١) وردت كلمة « نأى » في الأصل بدون « ى » وهو خطأ ظاهر .

يا لَلرِّجالِ لجائرٍ في حُكْمِهِ ما بالُهُ عَنْ جورِهِ لا يَعْدِلُ،
في دولةٍ سارَتْ بأَجمل سيرَةٍ فينا فما للعدلِ عنها مَعدِلُ
أَبكي ويضحَكُ من بُكايَ فيلتقي مني ومنهُ مُدلَّهٌ ومُدلَّلُ
حَجَبَ الكرى ضنًّا وظَنًّا أَنَّهُ سيجودُ بالطَّيفِ الَّذي لا يَبْخلُ،
وا غَيْرَتا من خَصْرِهِ وجُفونِهِ أَلِعشْقِهـا مثلي له هي نُحَّلُ
في كُلِّ عُضوٍ منهُ بَدْرٌ طالِعٌ في غيرِ قلبٍ خافقٍ لا يَنْزِلُ
نشوانُ هزَّ قوامَهُ بِصَبا الصِّبا فلهُ شَمولٌ من صَباهُ وشَمْأَلُ
لَئِن ادَّعتْ سِحرَ اللَّواحِظِ بابلٌ فَكما ادَّعتْ خمرَ اللَّمى قُطرُبُّلُ[1]،
فالخَصْرُ يُنحِلُ عاشقيه نحولُهُ والبُرءُ في خَصَرِ اللَّمى لو يَنْحَلُ[2]،
أَوَما رأَيتَ الأَشرفَ القَيْلَ الذي أَغنى الأَنامَ جَداهُ عن أَنْ يَسأَلوا،
أَولى الملوكِ بأَفْعُلِ التفْضيلِ في كلِّ المآثِرِ فهوَ فيها الأَكمَلُ
وهو الجديرُ بكلِّ مدحٍ سائرٍ كَنَوالِهِ والأَطْوَلُ المتَطَوِّلُ
وتَجورُ سيرتُهُ على أَموالِهِ كَرَماً ولكنْ في الرَّعِيَّةِ تعدِلُ

---

(١) قُطْرُبُّل : بلدة في العراق مشهورة بالخمرة ، وقد ورد ذكرها على لسان أبي نواس وغيره من شعراء العصر العباسي .

(٢) في آخر هذا البيت إشارة في الأصل ، وإلى جانب الصفحة كتبت ثمانية أبيات غير مقروءة ، إذ لم يبق منها إلا بعض أشطارها ، كما أنها كتبت معكوسة بالنسبة للصفحة . والخَصَر : بالتحريك البرودة .

رَقَمتْ لَهُ المُدَّاحُ في حُلَلِ العُلا | طُرُزاً تَمَنَّاها الطِّراز الأَولُ[1]
بيتٌ إِذا هَفَتِ الحُلُومُ تَخالُـهُ | ثهلانَ ذا الهضَباتِ لا يتَحَلْحَلُ[2]
ما الليثُ ينفُضُ لِبْدَتَيهِ مُغْضَباً | في الغيلِ يَزْأَرُ وهو فيهِ مُشْبِلُ[3]
شَثْنُ البراثِنِ قالِصاً عن نابِهِ | دامي الأَظافِرِ واثباً لا يُمهِلُ[4]
صَخْبُ الشَّوارِبِ كالِئاً أَشبالَـهُ | شَرِساً تَكادُ الأَرْضُ مِنهُ تَزَلْزَلُ[5]
يَوْماً بأَفْتَكَ منهُ بأْساً في الوغى | والموْتُ يَعلو في الكُماةِ ويَسْفُلُ
يَسْقي العِدى بسِنانِهِ وحُسامِهِ | كأْسَ الرَّدى فَيَعُلُّ منه ويُنْهِلُ
وإذا يُجادِلُ في العُلومِ بُزاتها | كانوا بُغاثاً وهوَ فيهمْ أَجْدَلُ[6]

---

(١) الطُرُز : أثواب تنسج خاصة للسلطان . والطراز الأول : الطبقة الأولى من الناس .

(٢) ثهلان : جبل معروف . تحَلْحَل : تحرَّك .

(٣) الغيل : مقام الأسد ومأواه . المُشبِل : الذي له أشبال .

(٤) شثن البراثن : غليظ البراثن ، مفردها بُرثُن : وهو الكف مع الأصابع والمخلب . القالص : الواثب ، والذي يشمر شفته . والظل : إذا انقبض .

(٥) صخْبُ الشَّوارِب : اصطلاح يعني شديد الصوت ، والشوارب : إما شعر لى الأنف ، أو عروق في الحلق لها صوت حين الصياح . كالئاً : من كلأ ، حمى ورَأم .

(٦) البزاة : جمع بازي ، وهو طائر مفترس . والبغاث : من الطير شرارها . والأجْدَل : الصقر .

في تاجِهِ قَمرٌ وفي ثِنْتَيْ مُفاضَــتِهِ هِزَبْرٌ بالحديدِ مُسربَلُ،[1]

[سحان] يُقدِمُ وحدَهُ يومَ الوَغى فيعودُ بالاحجامِ عنهُ الجَحْفَلُ،[2]

فالبِيضُ تَرْكَعُ والرؤوسُ سواجِدٌ في التُّرْبِ من حَرِّ الظُّبَى تتمَلْمَلُ

حيثُ الحنايا بالسِّهامِ قواذِفٌ حُتُفاً تُكبِّرُ في العدى وتُهَلِّلُ،[3]

فبِسَيْفِهِ مَجَّ الفِرَنْجُ دِماءَهُمْ في البَحرِ حتى الماءُ مِنْهُ أَشْكَلُ،[4]

والمسلمونَ بِيُمنِ غُرَّتِهِ وجودِ يَمِيــنِهِ وَصَلوا إلى ما أَمَّلُوا

مَلْكٌ عُفاةُ الطَّيرِ من ضِيفانِهِ وضيافِنٌ عُقْبٌ تخوتُ وتَعسِلُ،[5]

وإذا الملوكُ رَقَوْا إلى دَرَجِ العُلَى رُتَباً تناولَهنَّ موسى من عَلُ

أَغنى الرجالَ المُقْترينِ نوالُهُ غَيْري لِحرْمانٍ عَلَيَّ يُوَكَّلُ

ولوَ انَّ أَربابَ القريضِ تسابقوا في مَدْحِهِ لأَتيتُ، وحدي أَولُ

---

(١) المفاضة : الدرع الواسعة .

(٢) لم نستطع قراءة الكلمة الأولى من هذا البيت على حقيقتها « سحان » ، وأقرب ما وجدناه أنها : من سحَّ الماء أو النهر فجرى ماؤه وسَحَّ فلاناً : ضربه وهناك أيضاً : ساحَنَ لاقى من سَحَنَ : كَسر .

(٣) الحنايا : أقواس النشاب ، جمع حَنِيَّة . والحُتُف : المنايا .

(٤) الأشكل : ما فيه حمرة وبياض مختلطان .

(٥) الضيافن : جمع ضَيْفن ، وهو من يجيء مع الضيف تطفلاً . وخات العُقاب يخوت : دوّى بجناحه . وعَسَل يَعسِل : اهتز واضطرب .

قد آن أنْ أَرِدَ الفُراتَ فأَرتوي	منها فكمْ أَظما وكمْ أَتوَشَّلُ[1]

والعَجْزُ أَوجَبَ لي الخُمولَ وقدْأَرى	بابَ الغِنى فتحاً فَلِمْ لا أَدْخلُ

فَلأَقْصُدَنْ مَلِكاً يجودُ بِرِفْدِهِ	للسائِلينَ ووجهُــهُ يتَهَلَّلُ

أَسْعى إليهِ مُؤمِّلاً فأَعودُ عنــهُ مُمَوَّلاً خَصْبَ الجنابِ أُؤَمِّلُ

ماذاكَ إلاَّ الأَشرَفُ المَلِكُ الذي	مَنصورُهُ في دَهْرِهِ لا يُخْذَلُ

وبِحَسْبِ عافيهِ بشيراً بِشرُهُ	فبِغَيْرِ ذاكَ إليه لا يُتوسَّلُ

نَهَضَتْ بعبءِ المُلْكِ منهُ سياسَةٌ	أَضحى الأَخفَّ على عُلاها الأَثقلُ[2]

أَمُظَفَّرَ الدينِ اسْتَمِعْها مِدْحَةً	كالعِقْدِ بالدُّرِّ الثَّمينِ يُفَصَّلُ

فكأَنَّها للسامعيهــا روْضَةٌ	أُنُفٌ توسَّطها غديرٌ سَلْسَلُ[3]

وقال يمدح الملك الناصرَ صلاحَ الدينِ أَبا المظفّر يوسُفَ بن أَيوب قدس الله سرَّهُ ويذكُرُ فيها نزولَ الفَرنج لعنهم اللهُ على دِمياط وهزيمتَهُم عنها :

لأَجفانُكَ المرضى الصِحاحُ القواتِلُ	فواتِكُ فينـا وهي للسِحرِ بابِلُ

---

(١) أتوشل : مثل أتوسل ، ووشل الرجل : ضعف واحتــاج ، ووشل الماء : سال . والوشل : الماء القليل . وقد وردت كلمة « أظما » بالضاد « اضما » ، وضماه : ظلمه ، ونعتقد أن الصحيح أن تكون من « الظما » .

(٢) أضيفت الياء إلى كلمة « عبء » في الأصل وهي زيادة .

(٣) الروضة الأنف : التي لم ترْع . والغدير السلسل : النهر الجاري الصافي .

بها كَحَلٌ هاروتُ ينفُثُ سِحرَهُ — وماروتُ لاما أَودَعَته المكاحل
وأَهْيَفَ يَحكِي السمهَرِيَّ قوامُهُ — وبدرَ الدياجي وجهُهُ وهو كامل
غدا من بديع الخَلْقِ والخُلْقِ حالياً — ولكنَّه من رحمةِ الصَّبِ عاطِـلُ
سخيٌّ بتعذيبِ المُحِبِّ وإنّهُ — على عاشقِيهِ بالوصالِ لَباخِلُ
من التُّركِ تَبري اسهُماً لحظاتُهُ — إذا مارَنا أَصمَى بها من يُناضِلُ
ويُغنيهِ عما في الكنانَةِ لحظُهُ — فما هو يوماً للكنانة ناثل (١)
يُدِيرُ كُمَيْتاً في الزُّجاجِ كأنما — هِيَ الشمسُ قد ضُمَّت عليها أَنامِلُ
فما الدرّ إلاَّ لفظُهُ وحَبابُها — ومبسِمُهُ في سلكِهِ إذ يُغازِلُ (٢)
فما إنْ لها في الأشرِباتِ مُماثِلٌ — وليس له في الناسِ حُسناً مماثِلُ (٣)
فلِمْ حارَبَتْني في هَواهُ عَواذِلي — فلمّا رأَتْهُ سالَمَتْهُ العواذِلُ
وكَمْ أَتقاضاهُ دُيوناً سوالِفاً — فيُمطِلُني وهو الغَنِيُّ المماطِلُ
أَهُونُ هَوانَ الفَضْلِ بالشام عندَهُ — أَلا إنَّ ذِكرَ الفَضْلِ بالشامِ خامِلُ

---

(١) نثَل ينثُل : الكنانة استخرج ما فيها .

(٢) وردت القافية « يغازل » مسبوقة بـ « أن » ، وكان حقها أن تنصب ، وقد رأينا أن ذلك ناشىء عن سهو في النسخ ، والأصل — كما نعتقد — أن تكون مسبوقة بـ « إذ » لتكون القافية مرفوعة حسب القصيدة .

(٣) الأشربات : جمع شراب .

وَهلاً وقدْ حَلَّتْ بِمِصْرَ حُماتُهُ | وفارقَهُ المَلْكُ الهمامُ الحُلاحِلُ[(١)]
سأرْحَلُ عزمي عنه بالمدحِ وافِداً | إلى مِصْرَ كيْ ألقىٰ بها ما أحاوِلُ
أسيرُ بعزمي لا بجسمي فها أنا | المقيمُ بأرْضِ الشامِ والعزمُ راحِلُ
إلى مَلِكٍ تعنو الملوكُ لبأسِهِ | أخي عَزمَةٍ ذَلَّتْ لديها القبائِلُ
هو المَلْكُ عندَ السِّلمِ حُلوٌ مذاقُهُ | ولكِنَّهُ في حَوْمَةِ الحَرْبِ باسِلُ[(٢)]
إذا ما بدا خرَّتْ إلى الأرْضِ سُجَّداً | له عنْ ظُهورِ الصَّافِناتِ الجحافِلُ[(٣)]
فَلوْ كانَ كسرىٰ فارِساً مَلْكُ فارِسٍ | لوافاهُ إعْظاماً لَهُ وهو راجِلُ
تَظَلُّ مُلوكُ الأرضِ خاضعةً لَهُ | فكُلُّ عَظيمٍ عِندَهُ مُتَضائِلُ
جحافلهُ أسْدٌ تزأَّرَ في الوغىٰ | وما غيلها إلاَّ القنا والقنابِلُ[(٤)]
يَسيرُ بجيشٍ يُرجِفُ الأرْضَ بأسُهُ | (وتبدو) لها في كلِّ قُطْرٍ زَلازِلُ[(٥)]
خميسٌ لهُ الرَّاياتُ ظِلٌّ وفوقَهُ | مِنَ الطَّيرِ ظِلٌّ يحْجُبُ الشَّمسَ سادِلُ[(٦)]

---

(١) الحُلاحِل : الشجاع ·

(٢) الباسل : الشجاع ، ومن اللبن والنبيذ الشديد الطعم .

(٣) الصافنات : الخيل . والجحافل : جمع جحفل ، وهو قسم من البشر .

(٤) القنابل : كتل الجيش ما بين الثلاثين إلى الخمسين ، مفردها قَنْبَل .

(٥) جاءت كلمة « تبدو » في أول الشطر الثاني مطموسة ، وقد قدرناها تقديراً .

(٦) الخميس · الجيش الضخم . والسادل : المُرخَى ، من سَدَلَ الثوب : أرخاه .

تراطَنُ فيهِ العُجمُ من كلِّ جانبٍ ... وترتجزُ العُربُ الكرامُ البواسِلُ[1]

دُروعُهم سُحْبٌ تلوحُ خِلالَها ... وجوهُهُم فَهْيَ البُدورُ الكواملُ

هُمُ الأُسْدُ إلاَّ أَنَّ عيصَهُمُ إذا ... سَرَوْا مشرفياتٌ وسُمْرٌ ذوابِلُ[2]

أَسِنَّتُهُمْ والليْلُ نقعٌ نجومُهُ ... رُجومٌ بأكبادِ الأَعادي أَوافِلُ[3]

إذا ما اشتكتْ يوماً أَسِنَّتُهُمْ صدىً ... فليسَ لها إلاَّ الدماءَ مناهِلُ

متىٰ عاينتْهُ المُشرِكونَ تقطَّعَتْ ... لِهَيْبَتِهِ أَكبـادُهُمْ والمَفاصِلُ

ولا غَرْوَ أَنْ عادَ الفِرَنْجُ هزيمةً ... ولو لَمْ تَعُدْ لَمْ يَبْقَ للشِّرْكِ ساحِلُ

وقد عَلِموا لو أَنَّهم ثبتوا لَهُ ... لَكانوا كَلاً قَسْراً رعتْهُ المَناصِلُ[4]

وطـارَتْ رُؤوسٌ منهُمُ وقوانسٌ
إلىٰ حيثُ صارَتْ في الهِياجِ القساطِلُ[5]

---

(١) رَطَن يرطُن : تكلم بالأعجمية ، وراطنه مثلها . ارتجز : أنشد الأرجوزة . وارتجز الرعد : دَمْدَم .

(٢) العيص : الحفيد أو القبيلة ، أو الشجر الملتف . والمشرفيات : السيوف . والسمر : الرماح ، والذوابل : الرقيقة .

(٣) الأسنة : أطراف الرماح . والنقع : الغبار . الرجوم : جمع رَجْم وهو ما يُرجم به . والأوافل : التي تغيب ، من أفل يأفل : غاب .

(٤) كلاً : هنا الكلأ المرعى وخففت الهمزة للوزن ، والمناصل : جمع مُنصُل وهو السيف .

(٥) القونس : أعلى الرأس أو أعلى بيضة الحديد ، الجمع قوانس . والقساطل :الغبار .

فقدْ أَيقَنَتْ أَعداوُهُ أَنَّ حَظَّهُمْ لَدَيهِ رِماحٌ أُشْرِعَت وسلاسِلُ

ولما أَتوْا دِمياطَ كالبحرِ طامياً وليسَ لهُ من كَثرَةِ القومِ ساحِلُ(1)

يَزيدُ عن الإحصاءِ والعدِّ جَمْعُهمْ أُلوفُ أُلوفٍ خيلُهُمْ والرَّواحِلُ

رَأَوْا دونَها أُسْداً بأَيديهمُ القَنا وبيضاً رِقاقاً أَحكَمَتْها الصَّياقِلُ

ضيوفُهُمُ فيهــا نُسُورٌ قشاعِمٌ وغُبْشٌ لِأَشلاءِ الملوكِ أَواكِلُ(2)

وداروا بهافي البحْرِ مِنْ كُلِّ جانبٍ ومِنْ دونِها سَدٌّ من الموتِ حائِلُ

رجا الكلبُ مَلْكُ الرّومِ إذذاكَ فَتحَها

فخابَ فأُمٌّ المُلْكِ والرُّومِ هابِلُ(3)

فأَضحىٰ عُقابُ الجوِّ دونَ مَرامِها وأَنّى يَنالُ المِرْزَمَ المتناوِلُ(4)

فَعادُوا علىٰ الأَعقابِ مِنها هَزيمةً كأَنَّهُمُ ذُلاًّ نعــامٌ جَوافِلُ

فلا رأْسَ إلاّ فيهِ بالضَّرْبِ صارِمٌ ولا صدرَ إلاّ فيهِ بالطَّعنِ عامِلُ(5)

إذا اللهُ يوماً كانَ ناصِرَ مَعْشَرٍ فليسَ لَهُمْ في سائِرِ الخَلْقِ خاذِلُ

---

(1) دمياط : بلدة معروفة في مصر .

(2) النسور القشاعم : النسر القشعم : النسر الذكر العظيم ، والغُبْش : جمع أغبش : المائل إلى السواد .

(3) هابل : الثاكل : هبلته أمه : ثكلته .

(4) المِرْزَم ، ما يُرْزَمُ ؛ والمِرْزَمان : نجمان مع الشعريين واحدُهما مِرْزَم وهو المقصود .

(5) عامل : أي عامل الرمح وهو السنان في رأسه .

وما أَمَّلوا أَنْ يَلْحَقوا ببِلادِهِمْ لتعْصِمَهمْ مِمَّا رأَوْه المعاقِلُ

فيا أَيُّها البحرُ الذي عَمَّ جودُهُ وقامَ بما لَمْ تستَطِعْهُ الأَوائِلُ

وحارَبَ حتى قيلَ أَفنىٰ عِداتَهُ ونوَّلَ حتى قيلَ لم يَبقَ سائِلُ

وطَبَّقَ سهْلَ الأَرضِ والحَزنِ عدلُهُ بِمِصْرَ فقالوا لَمْ يَكُنْ قَبلُ عادِلُ

سحابٌ على الأَعْداءِ تُمطِرُ نَقْمَةً وفيهِ لِمَنْ والاهُ جودٌ ونائِلُ[1]

فكلُّ لسانٍ دارَ في فَمِ ناطِقٍ له بالدُّعا والشُّكْرِ للهِ جائلُ

فيوسُفُ أَيّوبٍ بِمِصْرَ سَماحَةً ليوسُفَ يعقوبِ النَّبيِّ مُساجِلُ

فما نيلُ مِصرٍ جارِياً غيرُ كَفِّهِ وإِحْسانُهُ إِنْ ضَنَّتِ السُّحبُ وابِلُ

هُو السَّيفُ لا تُخشَى له الدهرَ نَبْوَةٌ ولا مثلُهُ يوماً يُقلِّبُ ذابِلِ[2]

حَليمٌ عَليمٌ بالدِياناتِ ، مِدْرَهٌ فقُسٌّ لديه إِنْ تكَلَّم باقِلُ[3]

له في سُوَيْدا كلِّ قلبٍ مَحَبَّةٌ فما احدٌ في حُبِّهِ الدهرَ عاذِلُ

وإِنَّ الذي سَمَّاهُ مَلْكاً وناصِراً له شرفٌ فوقَ السِّماكَينِ نازِلُ[4]

إِمامٌ لنا نَرْجو شَفاعَةَ جَدِّهِ وتغمُرنا آلاؤُهُ والفواضِلُ[5]

---

(١) النائل : العطاء ، والجود .

(٢) الرمح الذابل : من صفات الرماح ، وهي الرقيقة . والنَّبْوة : عدمُ القطع .

(٣) المِدْرَه : العالم ، وقسٌّ : خطيب مشهور في الجاهلية ، وباقل : رجل عرف بالعِيّ والحَصَر .

(٤) السماكان نجمان هما السماك الرامح والأعزل .

(٥) الآلاء والفواضل : النِّعَم والمعروف .

فما الحَقُّ إلا حُبُّ آل محمدٍ ... وكلُّ اعتقادٍ غيرَ ذلِكَ باطِلُ

إليكَ صلاحَ الدينِ سارتْ مدائِحي ... ومثلُكَ من تزكو لديه الفواضِل

أَجِرنيَ من فقرٍ مُلِحّ وإنْ أَقُلْ ... أَجِرني فكُلٌّ مِنك لاشكَّ حاصِل

إذا السَّنةُ الغبراءُ أَنْحتْ لها على ... رِقابِ الوَرَى في الخافِقَين كلاكل[1]

وقد كَلَحتْ عن عُصلِ أنياب بأسِها ... كما يَكشِرُ الضِرغامُ فالخطبُ هائِلُ[2]

فليسَ لها في جُودِ غيركَ مَطمَعٌ ... ولا عندَ من ترجوهُ غيرَكَ طائل

غدوتمْ بني «شاذي» اجلَّ معاشرٍ ... مدائحُنا فِيهمْ اليهمْ وسائل[3]

فما انفكَّ شملُ المَجد ملتئماً بكمْ ... فموطِنكُمْ فيه الذُّرا والكواهِلُ[4]

ولازالَ ممدُوداً رِواقُ سُعُودِكم ... وظِلُّ اعادِيكم مَدى الدهرِ زائِل

وقال يمدح الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب قدّس الله روحه

دَع النسيبَ وقولَ اللَّهو والغزَلِ ... ولا تُعرِّجْ على رَبعٍ ولا طَلَلِ

---

(١) السنة الغبراء : المجدبة ، الكلاكل : جمع كلكل وهو الجمل والعبء . وأصل الكلكل : الصدر ، وانحى على : اعتمد .

(٢) كلح كشر وعبس ، العصل : الأنياب الطويلة المعوجّة .

(٣) آل شاذي : هم آل صلاح الدين الأيوبي .

(٤) الذرا : الرأس ، القمة ، الكواهل : جمع كاهل : وهو أعلى الظهر مما يلي العنُق .

وارفُع عَقيرَةَ شادٍ وسْطَ انديةٍ ... وصوتَ حادٍ ببيدٍ مطربِ الإبلِ [١]

بِمَدْحِ خَيْرِ ملوكِ الأرضِ قاطِبةً ... قُلْ ذاكَ في كُلِّ إقليمٍ ولا تُبَلِ [٢]

فالعادِلُ المَلِكُ الميمونُ اجدَرُ بالمَدْحِ المُحبَّرِ من حافٍ ومنتعلِ

هو المَليكُ الذي في الدهرِ سيرَتُهُ ... ازرَتْ بسيرَةِ أَهلِ الأَعْصُرِ الأُوَلِ

وأَصبحتْ بِعميمِ العدلِ دَولَتُهُ ... غَرّاءَ باسقَةً تسمُو على الدُّوَلِ [٣]

يَسيرُ فيها أَبو بكرٍ بدينِ أَبي ... بكرٍ وعَدْلِ أَبي حفصٍ وبأْسِ علي [٤]

مِنهُ رأَينا مُلوكَ الأَرضِ في مَلِكٍ ... لا بَلْ رأَينا عبادَ اللهِ في رَجُلِ

فالعفوُ شيمتُهُ في عِزِّ قُدرَتِهِ ... ففيهِ يُوجَدُ طبعُ السَّهلِ والجَبَلِ

سهلُ الخلائقِ صعبٌ في الوَغى شَرِسٌ ... في المُلْكِ يجمعُ بينَ الصابِ والعَسَلِ [٥]

يَرمى العِدىٰ بوجوهِ الخيلِ ساهِمَةً ... يومَ الوَغى وصدورِ البيضِ والأَسَلِ

تكادُ تغنيهِ في الهيجاءِ هيْبَتُهُ ... عن الصَّوارِمِ والعسَّالةِ الذُّبُلِ [٦]

---

(١) العقيرة : صوت المغني أو الباكي .

(٢) لا تُبَلْ : لا تبالي .

(٣) الباسقة : العالية .

(٤) أبو بكر : الخليفة الأول ، وأبو حفص : عمر بن الخطاب .

(٥) الصاب : نبات أو شراب مرٌّ .

(٦) العسَّالة : جمع عسَّال وهو الرمح المهتزّ ، من عسَل يَعْسِل : اهتز والذُّبُل : صفة للرماح الرقيقة .

ما يعرِفُ الأمنَ في الدّنيا محارِبُهُ ولا يَبيتُ مُواليهِ علىٰ وَجَلِ

قد جرَّدَ الدينَ سَيْفاً من عزائِمِهِ مُهنَّداً حدُّهُ أَمْضىٰ من الأَجَلِ

إذا انتضاهُ على الأَعْداءِ في رَهَجٍ أَبارَهُمْ فهوَ فيهِمْ سابقُ العَذَلِ[1]

للثَّغْرِ منهُ شُجاعٌ فارِسٌ بَطَلٌ ناهيكَ من فارِسٍ نَدْبٍ ومنْ بَطَلِ

قواعِدُ المُلْكِ من تدبيره اطَّأَدَتْ مُذْ ضمَّ بالعَدْلِ قُطْرَيهِ بلا خَلَلِ[2]

يَرُدُّ رُسْلَ مُلوكِ الأَرْضِ مُدْهَشَةً فما يُبَرْهِنُ قولاً أَفْصَحُ الرُّسُلِ

وعايَنُوا مَلِكاً في دِرْعِهِ أَسَدٌ غضبانُ مُفْتَرِسٌ بالقَولِ والعَمَلِ

وعايَنُوا منه مُرْدي كلِّ ذي لِبَدٍ في الغيلِ يَكشِرُ عن أَنيابِهِ العُصُلِ[3]

يجتابُ دِرْعاً دِلاصاً والفؤادُ لَهُ دِرْعٌ على الدِّرْعِ ملبوسٌ بلا فَشَلِ[4]

فكفُّهُ البحرُ فيهِ جَدوَلٌ وبِهِ نارٌ توقَّدُ في الهيجاءِ بالشُّعَلِ

والدِّرْعُ مثلُ غديرٍ حرَّكتهُ يَـــدُ الصَّبا ولَمَّا يُصِبها منهُ من بَلَلِ

(١) انتضى السيف: سلَّه، الرهج: الغبار وهنا الحَرْب. أبارهم: مثل أبادَهُم، وسابق العَذَل: سابق اللوم، وهي جملة مأخودة من مثل قديم (سبق السيف العَذَل)

(٢) اطّأدت: مثل توطدت: أي تمكنت وثبتت. ومنه وطّد وأَطدَ.

(٣) ذو اللِبد: هو الأسد، والغيل: مأوى الأسد.

(٤) اجتاب القميص، والدرع: لبِسَهُ، الدِّلاص: الليّن البراق من دَلصَ الشيء: برق. والفشل: الكسل والخوف.

ما أَشرَعَ الرُّمحَ إلاَّ غاصَ ثَعلَبُهُ يومَ الوَغى والغاً في مُهْجَةِ البطَلِ[1]
وقوسُهُ تنبُضُ الأَنباءَ صارِخةً عن كِبدِها وعن الأَكبادِ لَمْ تَزُلِ[2]
كأَنما صوتُها البازي يصَرْصِرُ فالفرسـانُ تنفرُ منــهُ نَفْرَةَ الحجَلِ
يا آمِلَ الخيرِ يَمِّمْهُ تجدْ مَلِكاً مُحقِّقَ الظَّنِّ في جَدْواهُ والأَمَلِ
تزدادُ أَيامُـهُ حُسْناً ومكرُمةً كأَنَّها مِلَّةُ الإِسْلامِ في المِلَلِ
أَبناؤُهُ الصِّيدُ سُحْبٌ عندَ جُودِهِمُ غَيْثٌ وَهُمْ أُسُدٌ في الحادثِ الجَلَلِ
فكُلُّ أَيّامِهِمْ مثلُ العَرائِسِ إِذْ تبدو لأَعْيُنِنا في الحَلْيِ والحُلَلِ
هُمْ حِليَةُ المُلْكِ لا زالوا به أَبداً لولا هُمُ فيهِ كانَ المُلْكُ ذا عَطَلِ[3]

وقال يمدَحُ الملكَ الأفضَلَ نورَ الدين عليَّ بن الملِكِ الناصرِ يوسُفَ بن أَيوبَ قدَّسَ اللهُ رُوحَيْهما :

أَنا بالغُزلانِ وبالغَزَلِ عن عَذلِ العاذِلِ في شُغُلِ
ما تفعَلُ بيضُ الهِندِ بنا ما تفعلُهُ سودُ المُقَلِ[4]

---

(١) أشرع الرمح : رفعه للطعن ، ثعلب الرمح : رأسه وسنانه ، والغاً من ولَغَ : شرب .
(٢) نبض : الماء سال ، ونبض العِرقُ : تحرك ، والقَوْسَ : حرَّكَ وَتَرَها ، كِبْد القوس : ما بين طرفي علاقتها .
(٣) العَطل : الخلوّ من الحِلْية ، جيد عاطل : بلا حِلْية .
(٤) بيض الهند : السيوف .

بأَبي وسنانُ أَغنُّ كحيـــلُ الطَّرْفِ غنيٌّ عن كَحَلِ

وثنايا أَحْوىٰ أَلعَسَ لي جادَتْ بالخَمْرِ وبالعَسَلِ[1]

يمشي فيكادُ يَقُدُّ الخَصـــرَ لدِقَّتهِ ثِقْـلُ الكَفَلِ

مَنْ كانَ الخمْرُ جنىَ فمِـهِ لِمَ لا يمشي مَشْيَ الثَّمِلِ

تجني من وجنَتِهِ لحظـــاتُ العاشِقِ تُفَّاحَ الخَجَلِ

هاروتُ وماروتٌ في بابِــــلَ من جَفْنَيْهِ على وَجَلِ

في الحربِ سِهامُ لواحِظِهِ يَهْجُمْنَ على قَلْبِ البَطَلِ

وثمارُ عُقودِ الدُّرِّ إِذا ما ٱفترَّ عنِ الثَّغْرِ الرَّتِلِ[2]

أَتقـــاضاهُ فَيُماطِلُني ظُلماً بِذُنوبي وهْوَ مَلي[3]

تَبًّا لِرَقيبي بلْ رُمِيَتْ يَدُ كُلِّ رَقيبٍ بالشَّلَلِ

لولاهُ رَعَتْ شفتـايَ مـــنَ المعشوقِ حِمىٰ روضِ القُبَلِ

بي أَسمَرُ إِن يتثَنَّ يَبِنْ خَجَلٌ بالسُّمْرِ من الأَسَلِ

---

(١) العَس : من اللعَس ، وهو سواد مستحسن في الشفة . وأحوى ، من الحُوَّة : وهي سواد إلى الخضرة أو سمرة الشفة .

(٢) الرَّتلْ المتنـاسق ، من رتِلْ الشيء يرتَلُ رَتلاً : تنـــاسق وانتظم حسناً .

(٣) مَلي : من مليء ، هو القدير ، الغني ، جمعه : ميلآء .

أَغْمِدْ في الحربِ السَّيفَ فَمِن   لَحَظاتِكَ يُشهَرُ سيفُ عَلي[1]

لا تَبلُغُ عِدَّةَ من قَتَلَتْ   قتلىٰ صِفِّينَ ولا الجَمَلِ

سأُؤَذِّنُ في حُبِّيكَ جِهــاراً حَيَّ على خيرِ العَمَلِ

ياجائرُ حينَ عَلَيَّ ولي   هَلاَّ أَصبَحْتَ عَلِيَّ ولي[2]

يا بدرَ تمــامٍ مطلِعُهُ   بِسوادِ القَلْبِ فَلَمْ يَغِلِ[3]

سُلطانُ جمالِكَ دولَتُهُ   تَنقادُ لها كلُّ الدُّولِ

آهاً من هجرِكَ والإِعْراضِ وطولِ صُدودِكَ والمَلَلِ

لا بلْ واهاً لسجايا المَلِكِ الأَفضَلِ نور الدينِ عَلي

مَلِكٌ نَصَرَ الإِسْلامَ ببيضِ الهِندِ وبالسُّمْرِ الذُّبُلِ

بِمقانبِهِ ومناقِبِهِ في الدَّهرِ حوىٰ أَقصىٰ الأَمَلِ[4]

جَلِيَّ الغَمَراتِ بغُرَّتِهِ   كَأَبيهِ فجَلاَّ عن مَثَلِ[5]

---

(١) سيف علي بن أبي طالب المعروف بـ « ذو الفقار » .

(٢) الأولى معناها : أنت وليٌّ عليٌّ والثانية تعني : إنك أصبحت عليَّ ولِيَ أي خصمي وصديقي بآن واحد .

(٣) يَغِلُ : يتوارى من وغَل .

(٤) المقانب : جمع مقنب ومقنـاب وهو القطعة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء ثلاثمائة ، والمناقب : الصفات الحسنة .

(٥) فجلاّ : أي هما أجلُّ من التمثيل وأعظم من التشبيه ، والمقصود بالتثنيـة الممدوح وأبوه .

ورمىٰ الأَقيالَ على الصَّهَواتِ إلىٰ الأَقتابِ على الإبلِ[1]

فالخيلُ « تعثَّرُ » بالتيجانِ وبالأشلاءِ وبالقُلَلِ[2]

أَجرىٰ بالسَّاحلِ بحرَ دمٍ فالبحْرُ لديهِ كالوَشلِ[3]

وسَطا التَّأْييدُ بأَظفارٍ حُجْنٍ وبأَنيابٍ عُصُلِ[4]

فالشِّركُ مُذالٌ مُنخَذِلٌ والسِّلمُ مُدالٌ ذو جَذَلِ[5]

يا لَلْأَقوامِ لملحَمَةٍ أَزرَتْ بأُولي الدُّولِ الأُوَلِ

تَرَكَ الإِخبارَ الخُبْرُ بها كالذَّرَّةِ جيبَتْ من جَبَلِ[6]

مَلِكٌ في العِلمِ لهُ قَدَمٌ رَسَخَتْ لم يَخْشَ من الذَّلَلِ

أَهلُ الآدابِ لدَيهِ بُغاثٌ وهو الأَجْدَلُ في الجَدَلِ[7]

---

(١) القَيل : الفارس البطل أو الملك ، الصهوات : جمع صهوة وهي ظهر الجواد ، القتب : ما يوضع على الجمل المركوب .

(٢) الشطر الأول من البيت سقطت منه كلمة « تعثّر » وهي التي أشرنا إليها ضمن قوسين وقد أشار الناسخ إلى النقص بخط صغير منحنٍ ولكنَّه لم يثبت التصحيح وقد أثبتناه حسب المعنى المقصود . والقُلل : الرءوس .

(٣) الوشل : القليل من الماء .

(٤) الحجن : المعوجة من حَجَن العود : عطفَه ، وكذلك العُصْل .

(٥) مذال : وقع عليه الذُّل . ومدال : من أدال منه يديل أي جعل له الغلبة .

(٦) جابه يجوبه : قطعه . وجيبت ، قُطِعت .

(٧) البُغاث : الطيور الضعيفة ، والأجْدَل الصقْر .

لَو زادَ البحرُ فغطّى السَّهْلَ من الأَرْضين مَعَ الجَبَلِ

لثَنـــاهُ جودُ أَناملِهِ لا يَرْفَعُ رأْساً من خَجَلِ

نُورَ الدُّنيا والدينِ أَصِخْ لقريضٍ ليسَ بِمُنْتَحَلِ

كالنَّوْر يَروقُكَ منظَرُهُ في الرَّوْضَةِ غِبَّ حياً هَطِلِ[1]

فيهِ من ذِكرِكَ طيبُ نَثاً كالمِسْكِ يَضُوعُ من الحُلَلِ[2]

صاغتْهُ قريحةُ ذي نَهَلٍ من جَوْرِ الدَّهْرِ وذي عَلَلِ[3]

لولا غدرُ الأَيّامِ بِهِ لم يُهدِ المدْحَ مع الرُّسُلِ

وأَقامَ [بِحَيْثُ] يفضِّلُ بُرجَ الشَّمسِ على بُرجِ الحَمَلِ[4]

لا زالتْ دولتُكُمْ تسمو بالنَّصرِ على كُلِّ الدُّوَلِ

ما لاحَ صباحٌ وانتزَحتْ أَوقاتُ ضُحاهُ عنِ الأُصُلِ[5]

---

(١) غِبَّ : بعد ، والحيا : المطر .

(٢) النثا : الخبر والسُّمْعَة . والحُلَل « بضم الحاء » جمع حُلّة وهي الثوب والحِلل « بكسر الحاء » جمع حَلّة « بفتح الحاء » وهي الزنبيل الكبير من القصب .

(٣) العلَل والنَّهَل نوعان من الشرب ، والعلل الشربة الثانية ، أو هو الشرب بعد الشرب . والنهل أن يشرب الشرب الأول حتى يَرْوى

(٤) الكلمة التي وردت ضمن القوس سقطت سهواً وأشار إليها الناسخ بخط صغير ثم أثبتها إلى جانب البيت .

(٤) برج الشمس وبرج الحمل من أبراج الفلك ، وبرج الشمس أعلى مقاماً .

(٥) انتزحت : ذهبت والأُصُل : جمع أصيل .

وقال يمدح الملك المعظم شرف الدين عيسى بن أبي بكر بن أيوب أعز الله أنصاره :

كفى حزناً أنّي عن الحيِّ سآلُ ... وقد أقفرت منكم ربوعٌ وأطلالُ

وكانت بها الآجالُ تحضرُ غيرةً ... فصارت بها في الحيِّ تحضرُ آجالُ

أسرُّوا النّوى لولا غرابيبُ وقَّعٌ ... ألا إنَّما الغربانُ للسِّرِّ غربالُ[1]

لقد سارَ إذْ ساروا الجَمالُ بأسرهِ ... تخبُّ به تحتَ الهوادجِ أجمالُ[2]

سفرنَ بدوراً وانتقبْنَ أهلَّةً ... ومِسْنَ غصونَ البانِ والبانُ ميَّالُ

فهُنَّ بأصدافِ الهوادجِ لؤلؤٌ ... سَفائنُهنَّ النوقُ والأبحُرُ الآلُ[3]

فكمْ ظبيةٍ ألحاظُها في اصطيادها ... الأُسودَ نِشاطٌ وهيَ في الخِدْرِ مِكسالُ[4]

تودُّ الدّراري والأهِلَّةُ أنّها ... عقودٌ بليتَيْها وللسُّوقِ أحجالُ[5]

سعادٌ وسُعْدى جادَتا لي مِنَ اللَّمى ... بما كُنْتُ أبغيهِ لقد سَعِدَ الفالُ

كما أسعَدَ الرَّحمنُ جِلَّقَ إذ غدتْ ... تُرى وهيَ دارٌ «للمعظَّمِ» مِحلالُ

---

(١) الغرابيب : الغربان والمقصود النموس .
والغربال : الآلة المعروفة ويقصد بها عدم حفظ السر .

(٢) تخب : تمشي الخبب : نوع من مشي الجمال ، وأجمال : جمع جمَل .

(٣) الآل : السراب .

(٤) نِشاط « بكسر النون » ونَشاطى « بفتحها » جمع نشيط .

(٥) الليت : صفحة العنق ومثنَّاها : ليتان والجمع أليات .

دِمشْقُ هيَ الفِردَوْسُ والمِسْكُ تُربُها وحَصْباؤُها الياقوتُ والماءُ جريالُ[1]

ومِنْ شَرَفِ الدِّينِ المُعَظَّمِ أَصْبَحَتْ عَلى المُدْنِ في وشْيِ التَّبَجُّحِ تختالُ

لقدْ خَصَّها مُذْ حَلَّ فيها وعَمَّها جمالٌ وإجمالٌ وفَضْلٌ وإفضالُ

أَلاَ أَيُّها المَلْكُ المُعَظَّمُ نعمةٌ بِجِلَّقَ حَلَّتْ فاستقامَتْ بِها الحالُ

وليسَ يَليقُ المُلْكُ فيها بِغَيرِهِ أَيُغْني غَناءَ الشَّمسِ في الأُفْقِ ذُبّالُ[2]

فَفي صَدْرِهِ بَحْرٌ مِنَ العِلْمِ زاخِرٌ وخاطِرُهُ إِذْ يَنْظِمُ الشِّعْرَ لآلُ

وما أَسَدٌ دامي الأَظافِرِ كاسِرٌ وفي الغِيلِ أَعراسٌ لَدَيهِ وأَشْبالُ[3]

هِزَبْرٌ تحامتهُ الحُماةُ وكعَّتِ الكُماةُ وخامَت خيفَةً منهُ أَبطالُ[4]

وآضتْ فُحولُ الخيلِ مُقْرَبَةَ الكُلا وقدْ كُلِمَتْ منها صُدورٌ وأَكْفالُ[5]

بأَشْجَعَ منهُ حينَ يُشْهِرُ سَيْفَهُ ويهْتَزُّ في يُمْناهُ للطَّعنِ عَسَّالُ

---

(١) جريال : الخمرة ، والحصباء : الحصى .

(٢) ذبّال : الفتيلة « جمع »

(٣) أعراس : جمع عِرس « بالفتح والكسر » الأسد .

(٤) كعَّ : خاف وجبن . وخامَ : خيماً وخياماً وخيوماً : عن وفي القتال : جَبُن .

(٥) المُقربة من الابل : التي حُزِمت للركوب . والأكفال : جمع كفَل : آخر الظهر . وكُلِمَتْ جُرِحتْ .

ولا الغَيْثُ مُنهلَّ العَزالي مُجَلْجِلاً
وقد سُحِبَتْ للسُّحبِ في الأَرْضِ أذيالُ[1]

فما زَعْزَعَتْهُ الرّيحُ حتى تعادَلَتْ سُهولٌ بدُفَّاعِ السيولِ وأجبالُ[2]

بأغْزَرَ من يُمناهُ تنْهَلُّ بالنَّدى فليسَ بأَرْضٍ حلَّها الدَّهْرَ إمحالُ

وقورٌ مَهيبٌ في النُّفوسِ وخُلْقُهُ به سَلْسَبيلٌ للجَليسِ وسَلْسالُ[3]

إذا اشتغلتْ شوسُ الملوكِ بلَهْوِها فليسَ له إلاَّ المكارِمَ أشغالُ

تَقَمَّصَ أثوابَ المعالي قشيبَةً وهل يستوي بُرْدٌ قَشيبٌ وأَسْمالُ

هنيئاً له الحَوْلُ البشيرُ حُؤُولُهُ بمُلْكٍ مقيمٍ لم تُحوِّلْهُ أحوالُ

ولا بَرِحَتْ فيه مَساعيهِ تَجْتَلي وجوهَ المُنىٰ بيضاً فتُدرِكَ آمالُ

متىٰ قابَلَ العافونَ غُرَّةَ وجهِهِ تلقَّاهُمُ منهُ قَبولٌ وإقبالُ

وكم مُعسِرٍ وافاهُ يرجو نَوالَهُ فعادَ مُرَجِّي جودِهِ ولَهُ مالُ

فلا زالَ ذا مُلكٍ تُمَدُّ ظِلالُهُ عليهِ وبالنَّعْماءِ تقْصُرُ أَسْجالُ[4]

---

(١) العزالي والعزالىٰ : بالكسر والفتح : جمع عزلآء مؤنث الأعزل وهو مصب الماء من الراوية والقربة أو ما يشبهها .

(٢) الدُّفَّاع : هجمة الموج أو السيل العظيم ، وأجبال : جمع جبل .

(٣) خُلْقُ : هنا الطبع ، وقد وردت في الأصل بالفاء ، ونرجح ما أثبتناه .

(٤) أسجال : جمع سَجْل ، وهو الدلو ، ولكن هذا الجمع لم نعثر عليه في —

وقال يمدح الملكَ ناصرَ الدنيا والدين أبا المعالي محمد ابنَ أبي بكر أيوب خلَّدَ الله ملكه :

على حُبِّكُمْ عاذلي عاذِلي غَديراً يَحَظُّ ولا ياتلي[1]
فأمْرَحَني في رُبوعِ الهَوىٰ وألْقىٰ بِحَبْلي على كاهِلي
وأَقْسَمَ لي أَنَّ من لامَ في مَحبتِكُمْ ليسَ بالعاقِلِ
هلُمُّوا ٱنظُروا تعجَبوا من بُكا القتيـــلِ ٱشتِياقاً إلى القاتِلِ
فَمِن وَجْدِهِ هُوَ في دَهْرِهِ عَنِ العَذْلِ في شُغُلٍ شاغِلِ
ومن حُسنِهِ حِصنُهُ لم يُرَع بجيشٍ وغيٍّ لجِبٍ حامِلِ[2]
فبالقَدِّ كمْ دونَهُ طاعِناً وكَمْ باللَّواحِظِ من نابلِ[3]
وعن قَوْسِ حاجِبِهِ فُوِّقَتْ سِهامُ اللَّواحِظِ للنَّاضلِ[4]

— المعاجم ، والذي عثرنا عليه أن سجل هذه تجمع على سِجال وسجول فقط والمقصود كما نظن : أن تأتي النعماء قريبة الأمد .

(١) حظَّ الرجل يحَظُّ : كان حظيظاً ، ويأتلي : ينقطع أو يترك أو يَكسلُ عن ، وأصل الكلمة : ألا يألو ألْواً : قصَّر وأبطأ وخففت الهمزة للقافية .

(٢) الحامل : من حمل حملة منكرة ، أو شدَّ شدة .

(٣) النابل : اسم فاعل من نبَلَ : أي ضرب بالنبل .

(٤) فُوِّقت : سُدِّدت : الناضل : الرامي ، مِن نضل .

وأجفانه مشهرات ظبا قواطع كالقدر النازل
عليّ جنى ما جنى ردفه الثقيل على خصره الناحل
وما خاف من أنا مملوكه وليس سوى الملك «الكامل»
شديد الحياء عتيد الحباء أعمُّ من الوابل الهاطل[1]
له هيبة تحتها هبّة تفتّ حشا الأسد الباسل
يحلّ لدى الروع من جيشه محلّ السنان من العامل[2]
تفرّ العدى منه يوم الوغى فرار نعام الفلا الجافل[3]
وكم عسكر حازه جيشه ففاز بإحسانه الشامل
عفا عنهم وتولاهم براحته الجمّة النائل[4]
لقد عضد الله سبحانه به دولة الملك العادل
فللملك منه شبا صارم لهام العدى قاطع قاصل[5]
فلا تكتموا الحقّ يا حاسديه ولا تلبسوا الحقّ بالباطل

---

(١) العتيد : الحاضر المهيأ ، والحباء : العطاء .

(٢) عامل الرمح : صدره .

(٣) الجافل : الهارب .

(٤) النائل : العطاء .

(٥) الشبا : حدّ السيف ، وقاصل من قصل : قطع .

إليهِ المَمالِكُ مُشتاقةٌ تَمُـدُّ يَدَ المُرْتَجي الآمِلِ

سَرَرْتَ دِمَشْقَ بِهذا القدوم فأَهْدَيْتَ حَلْياً إلىٰ عاطِلِ

وآنسَ إخوتَكَ السـ ـادَةَ الشُّموسَ سَنا بَدرِكَ الكامِلِ

فلا كان نورُكُما ساعةً عَنِ النَّاسِ في الدَّهْرِ بالآفِلِ

وبورِكْتَ مِنْ قائلٍ فاعِلٍ وكَمْ قائِلٍ ليسَ بالفاعِلِ

أَصِخ لاستماعِ القَصيدِ التي تُعَبِّرُ عنْ سؤدَدِ القائلِ

وتُخْجِلُ قُسًّا إذا قامَ في عُكاظَ وسَحبانَ في وائلِ[1]

محمدُ يا ابنَ أَبي بكرٍ ٱبْقَ فـ ـي المُلْكِ يا كَعْبَةَ السَّائِلِ

فَيُمْناكَ لا عَدِمَتْكَ النَّدى لعافيكَ بَحرٌ بلا ساحِلِ

وقال يمدح الملك الظاهر غياث الدين غازي بن الملك الناصر يوسف بن أيوب رحمهما الله :

أَلاَ هلْ إلى بابِ البريدِ سَبيلُ فلَيْلي بِزوراءِ العِراقِ طَويلُ[2]

---

(١) قُس وسَحبان : خطيبان مشهوران في الجاهلية ، وعكاظ : سوق معروفة كانت للشعر .

(٢) كتبت في الأصل كلمة « ألا » هكذا « ألىٰ » بالألف المقصورة وهو خطأ ، و « باب البريد » محلة في دمشق القديمة إلى جوار الجامع الأموي وفيها قبر صلاح الدين الأيوبي والملك العادل والملك الظاهر بيبرس ، وزوراء العراق : بغداد .

متى تلتقي أُجفانُ عَيْنَيَّ والكَرىٰ — وهل يتَلاقى بُكرةٌ وأُصيلُ

سلامٌ على أَكنافِ جِلَّقَ إِنَّها — لِأَوْطارِ قلبي مَسرَحٌ ومَقيلُ

رُبوعُ الهَوى أَمّا الهَواءُ فشمأَلٌ — بِهِنَّ وأَما الماءُ فهو شَمولُ [1]

وأَهْيَفَ أَمّا خَصْرُهُ فَمُخَصَّرٌ — خَفيفٌ وأَمّا رِدفُهُ فثقيلُ

ففيهِ يَحارُ الغُصْنُ وهوَ مُهَفْهَفٌ — ومنهُ يغارُ الظَّبيُ وهو كَحيلُ

هلُمّوا انظُرُوا حالي وفي خَدِّهِ دَمي — شهيدٌ فقولوا : قاتِلٌ وقتيلُ

أَزيدُ لهُ ذُلاًّ ويزدادُ عِزَّةً — وكلُّ مُحِبٍ للحبيبِ ذَليلُ

فوَجدي كثيرٌ مثلُ أَيّامِ بُعْدِهِ — وصَبْري كأَيّامِ الدُّنُوِّ قَليلُ

وما حَسَنٌ عن ذلكَ الحُسْنِ سَلوةٌ — ولا الصَّبرُ عن ذاكَ الجَمالِ جميلُ

أَبىٰ أَنْ يوافِيني بِسُؤْلي رَسولُ مَنْ — رِضاهُ لِقلبي يا عذولي سُولُ [2]

فَدَمعي مُطيعٌ لي متىٰ ما دَعوتُهُ — وصَبري لَديهِ لا يُطاعُ عَذُولُ

وكَمْ لَيلَةٍ باتَ الحَبيبُ مُنادِمي — فأَنْجَزَني فيها الوعودَ مَطولُ [3]

فباتَ يُعاطِيني المُدامَ كريقِهِ — ودَمْعي على الخَدِّ الأَسيلِ يسيلُ

إِذا الخمرُ حَلَّتْ في اللّهى ارتاعَ همُّنا — لها فَدَعاهُ فاسْتَجابَ رَحيلُ

---

(١) الشمأل : ريح الشمال ، والشمول : الخمرة .

(٢) السّؤل والسُّول : المطلب والرجاء .

(٣) المَطول : الذي يَمْطُل الوعد ، يخلِفُه .

تبيتُ كئوسُ الرّاحِ تطلُعُ أنجُماً ... لها في اللّهى حتى الصَّباحِ أُفولُ

يَطوفُ بها وسنانُ للوَرْدِ خجلَةٌ ... إذا ما بَدا مِنْ خَدِّهِ وذُبولُ

تخالِسُهُ اللَّحظَ العيونُ مَهابَةً ... فهُنَّ صَحيحاتُ النَّواظِرِ حُولُ

لنا سَفرٌ باللَّحظِ في وَجناتِهِ ... وليسَ له حتىٰ يَغيبَ قُفولُ

تَبدَّلتُ من سُودٍ ببيضٍ لهُنَّ في ... فُؤادي وفَوْدي صَولةٌ وصَليلُ[(1)]

لِشَيْبي نُصولٌ من فؤادي خِضابُها ... بما مالَه حتى المماتِ نُصولُ[(2)]

تَنكَّرَ شَيبي مُذْ تولتْ شبيبتي ... فلي أَسَفٌ بَعْدَ الشَّبابِ يَطولُ

ومالي إذا ما عضَّني الدَّهرُ ظالِماً ... فأعرَضَ عني صاحبٌ وخليلُ

سِوىٰ المَلِكِ ابنِ النَّاصِرِ الظاهِرِ الَّذي ... نداهُ بإدْراكِ النَّجــاحِ كفيلُ

إذا ما غِيـــاثُ الدينِ غاثَ بِجودِهِ ... جَرَتْ فَوْقَ أُكْمِ المُعْتَفينَ سُيولُ[(3)]

مَواهِبُهُ كُومُ الذُّرى وسَلاهِبٌ ... ففيها رُغاءٌ مُطرِبٌ وصهيلُ[(4)]

---

(1) الفَوْدُ: الصدْغ، والصليل: صوت السيوف. والصولة: الجولة.

(2) النصول: الأولى جمع نصل أي السيوف والنصول الثانية: تغير اللون.

(3) أكْم: جمع أكَمة: التلة، المرتفع من الأرض لا تصل إليه السيول.

(4) الكُومُ: جمع كوماء وهي الناقة الضخمة السنام والمرتفع من الجبال، والسلاهب جمع: سلهبة وهي الفرس الطويلة.

إذا ما غزا غازي الاعادي فكُلُّهمْ بُغاثٌ عليهـــا بالـبُزاةِ يَصُولُ
تَحُلُّ مُلوكُ الأَرضِ من دونِ شأْوِهِ ففيهمْ لَدَيْـهِ دِقَّةٌ وخمولُ[1]
هُوَ اللَّيْثُ في يَوْمِ الكَريهَةِ مُقْدِماً له الدَّمُ غَيْلٌ والذَّوابِلُ غِيلُ[2]
فكُلُّ شُجاعٍ منْ سُطاهُ ذليلُ وكلُّ جَوادٍ من نَداهُ بخيلُ
وتَقْصُرُ من جَدواهُ أَعمارُ مالِهِ ولكنَّ أَعمارَ الثَّناءِ تَطولُ
فأَيّـامُهُ بيضٌ وُصِلْنَ بمِثلِهـــا لها غُرَرٌ مَعلومةٌ وحُجولُ[3]
به نُصِرَ الإسلامُ حتى كأَنَّمـــا أَتى النَّاسَ من بعْدِ الرَّسولِ رَسولُ
وطُلَّ دَمُ الأَعْداءِ حتى دِيارُهُمْ رُسُومٌ عوافٍ بعدَهمْ وطُلولُ[4]
وحامى عنِ المعْروفِ حتىّ كأَنَّـهُ حليفٌ يُحـــامي دونَـهُ وقَبيلُ
أَأَرْهَبُ من رَمْضاءِ عُسْرٍ وظِلُّهُ مَديدٌ لِمَنْ يَأْوي إليه ظَليلُ
لَقَدْ أَبَتِ الأَيّامُ إلاّ خَصاصتي بِهِنَّ فَهلْ عندي لَهُنَّ ذُحولُ[5]
ولا بُدَّ أَنْ آوي إلى ملِكٍ بِهِ على جَيشِ لَزْباتِ الزَّمانِ أَصولُ[6]

(١) الدقَّة : الصغار والهوان .
(٢) الغيْل : ماء في الوادي والغِيل شجر هو موضع الأسد .
(٣) يذكرنا هذا البيت بقصيدة السموأل « إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه »
(٤) طلّ : سال ، العوافي : الخربة ، جمع عافية .
(٥) الخصاصة : الفقر والذحول جمع ذَحْل وهو الثأر .
(٦) لزبات جمع : لزبة وهي حادث الزمن والأيام والشدّة .

وَيَكفيهِ أَنَّ الناسَ قد مَنَعوا الحَبا ... فليسَ لَهُ إلاَّ إليهِ سَبيلُ

أَلاَ أَيُّها المَلْكُ الَّذي مَكرُماتُه ... لها خَطَرٌ في العالَمينَ جليلُ

شَأَوْتَ مُلوكَ الأَرْضِ شرْقاً ومَغرِباً ... فما لَكَ في كُلِّ المُلوكِ عَديلُ

ولو أنني أَسطيعُ زُرْتُ مُمَلَّكاً ... جَداهُ على عافي نَداهُ هطولُ[1]

ولاطَمْتُ بالوجناءِ وجْنَة مَهْمَهٍ ... تلاوَخْدَها وَسْطَ الفلاةِ ذَميلُ[2]

تعدّى إلَيْها من نُحُولي زِمامَها ... بإدمانِيَ السيرَ الحَثيثَ نُحولُ[3]

فَيَمَّمْتُ مِنهُ البَحْرَ بالدُّرِّ قاذِفاً ... ومنهُ (فُراتٌ) لِلْعُفاةِ و (نيلُ)

ولكنَّ ضَعْفَ الحالِ أَوهىٰ عَزيمتي ... فسُقْتُ إليهِ الشِّعْرَ وهُو رَسولُ

وذلكَ مَلْكٌ كلُّ صَعْبٍ مُمَنَّعٍ ... جموحٍ لَهُ في العالَمينَ ذَلُولُ

وقدْ عَلِمَتْ أَعداؤه أَنَّ أُمَّهُمْ ... متى أَمَّهمْ من بأْسِهِ، لَثكولُ

يُقصِّرُ عنهُ مادحوهُ فكُلُّهُمْ ... له بالتِماسِ العُذْرِ منه سَئُولُ

إلىٰ دَوْحَةِ المجدِ المؤَثَّلِ ينتَمي ... وفيها فُروعٌ دونَهُ وأُصولُ

---

(١) المُملّك : المليك . والجداء : العطاء .

(٢) الوجناء : الناقة . والمهمه : الصحراء ، والوَخْد ؛ والذميل : نوعان من سَيْر الابل .

(٣) وردت كلمة « الحثيث » في الشطر الثاني مضطربة النقط وما أثبتناه هو الصحيح . ومعنى البيت : أن نحوله قد جاوز زمامها إليها فأصيبت بالنحول .

تَقومُ مُلوكُ الأَرْضِ في الأَرْضِ مُثَّلاً
لَهُ ولَهُ فوقَ السِّماكِ مُثُولُ

وقافيةٍ حبَّرتُها فبعثتُها عَسىٰ أَنْ يُوافيها لَدَيْهِ قَبُولُ
ففيها مَفاعيلٌ وهنَّ هَناتُهُ يُقدِّمُها الإِحسانُ وهو فَعُولُ
وثِقْتُ برِزقٍ منهُ يأْتي مُعَجَّلاً كذلِكَ من أُعنىٰ بهِ وأَعولُ
إذا ما اعترى كُلاًّ ذُهولٌ عن العُلا فأنتَ الذي لا يَعْتَريهِ ذُهولُ[1]
غَدا زمني جَوْراً عليَّ فَمُرْهُ أَنْ يعودَ لعَلَّ الحالَ فيهِ تَحولُ
فأَنتَ الَّذي في جودِهِ لم يَقُمْ لَهُ على كَثْرَةِ الإِسرافِ فيهِ عَذولُ
وهَلْ تُعْذَلُ السُّحبُ المواطِرُ في الحيا وقدْ طَبَّقَتْ منها التِّلاعَ سُيولُ[2]
ففي حَلَبٍ رُسْلُ المنىٰ حَلَبٌ فما لها غيرَ ما دارِ السَّلامِ رَسيلُ[3]
لِشهبائِها الشُّهْبُ الثَّواقِبُ حُسَّدٌ تَمنىٰ لِغازٍ أَنَّهُنَّ خُيولُ[4]
هُوَ السَّالِبُ الجبَّارِ بَيْضَةَ مُلْكِهِ يَرىٰ أَنَّ حِرْمانَ العُفاةِ غُلُولُ[5]

---

(١) وردت كلمة « ذهول » في الشطر الأول من هـذا البيت منصوبة وهو خطأ من الناسخ .

(٢) التلاع : المرتفعات .

(٣) الرسيل : وهو الرسول والمراسل ، والحلب ، هو مصدر الحليب وهو اللبن المحلوب . والصدقة .

(٤) الشُّهب الثواقب : النجوم المضيئة ؛ وغازٍ هنا : الممدوح .

(٥) الغُلُول : الخيانة .

فما الرَّوْضُ كالدّيباجِ يبدو نباتُهُ — وقد سُحِبَتْ للسُّحْبِ فيهِ ذُيولُ

بِأَطيبَ نَشْراً مِنكَ في كلِّ مَحْفَلٍ — يَقومُ به المُطْرِي لَهُ فَيَقولُ

فلا زالَ ذا مُلْكٍ عَقيمٍ مُؤبَّدٍ — تَزُولُ الرَّواسي وهو لَيْسَ يَزولُ (١)

وقال يفتخر :

في عُنفُوانِ الصِّبا ما كُنتُ بالغَزِلِ — فكيفَ أَصْبُو وسِنِّي سِنُّ مُكْتَهِلِ

كأَنَّني بِمَشيبي وهوَ مُشْتَعِلٌ — بياضُهُ بِسَوادِ الفاحِمِ الرَّجِلِ (٢)

إنَّ الحِسانَ يَرَيْنَ الشَّيْبَ أَقْبَحَ مِن — شَيْنِ البياضِ عَثَا في أَسودِ المُقَلِ (٣)

لم أُمسِ في غَمراتِ العِشْقِ مُنْغَمِساً — ولم تُؤَنِّفْنِيَ العُذَّالُ بِالعَذَلِ (٤)

وأَخْفَقُ الناسِ مَسعىً كلُّ مُخْتَبِلٍ — يَهْذي بصاحِبِ قَلْبٍ غيرِ مُخْتَبِلِ

من يَهوَ يَهوِ إلى قَعْرِ الهَوانِ عمىً — شَتَّانَ بينَ شَجٍ عانٍ وبينَ خَلِي

وما آزْدَهاني سَرابُ المَكْرِ والحِيَلِ — ولا دَهاني شَرابُ الكَرْمِ بالخَبَلِ (٥)

---

(١) الملْك العقيم : الذي لا ينفع فيه نسب لأنه يقتل في طلبه الأهل للتزاحم عليه والرواسي : الجبال .

(٢) الرَجل : الشعر المُرَجَّل ، أي الممشوط ، والمِرجَل : المُشط .

(٣) عثا : أفسد ، فهو عاث ، ومنه العَيْث .

(٤) أنّف : فلاناً حمله على الأنفة ، وتأنف الطعام : لم يؤكل منه شيء وتأنفت المرأة الشهوات : تشهَّت .

(٥) ازدهى : أغرى .

والنفسُ تواقةٌ لكنْ يُطامِنُها إذا اشرأبتْ حجىً أرسى من الجبلِ[1]

فالعمرُ ظلٌ على الإنسانِ منتقلٌ وليسَ في الأرضِ ظِلٌ غيرُ منتقلِ

وخيرُ ما نِلتَ من دُنياكَ مقتبساً عِلمٌ ولكن إذا ما زِينَ بالعمَلِ

لا تتركنَّ التُّقى يوماً فتُهمِلَهُ نَوْماً فلستَ بمتروكٍ ولا هَمَلِ

واهاً لمستيقظٍ من نومِ غفلتهِ لِفَهمِ آدابِ أهلِ الأعصُرِ الأُوَلِ

هُمُ الأُلى زَيَّنوا الدُّنيا بفضلِهِمُ واستبدَلوا من قشيبِ العيشِ بالسَّمَلِ[2]

فما اسْتمالَتْهُمُ الدُّنيا بزُخرُفِها ولا أزْدَهَتْهُمْ بتفصيلٍ ولا جُمَلِ

قالوا امتدِحْ عُظَماءَ النَّاسِ قُلْتُ لهمْ خُوفُ الزنابيرِ يَثْنيني عنِ العَسَلِ

والأُسْدُ تَهْرُبُ من قرصِ الذُّبابِ وما

أغرى خِساسَ الوَرى بالسّادَةِ النُّبُلِ

سَوْءاتُهم هَزَمَتْ مجدي ولا عَجَبٌ عمرٌ بِسَوْءَتِهِ في الحَرْبِ رَدَّ علي[3]

---

(١) اشرأبت ، وثبت الى الشيء ، والحِجى : العقل ، وأرسى : اثقل .

(٢) القشيب : الجديد ، والسمل : الثوب العتيق ، جمعها أسمال . و « من » وردت « عن » في الأصل وما أثبتناه هو الأصح . فالأصل : ابدل الشيء بالشيء وابْدَلهُ منه وتبدّلهُ وبه واستبدلهُ واستبدَلَ به وأبدَله غيره .

(٣) يلاحظ في كثير من أبيات الديوان أن الشاعر شيعيّ المذهب وهو هنا يلمح الى القصة التي ذكرها الكثير من المؤرخين عن مبارزة علي لعمرو بن العاص في معركة صفين والتي انكرها مؤرخون آخرون كثيرون .

إن ضِقتَ ذَرْعاً بأقوامٍ سَواسِيةٍ فما الكَريمُ بأنْ يُؤْذَى بِمُحْتَمِلِ

أَمْسى قُوارَةُ سَيْلِ الخُرْءِ يَعْبَثُ بي فهْوَ السُّها إِذْ يُعيدُ الشمْسَ في الحَمَلِ[1]

هذا مِنَ الدَّهْرِ مشْهورٌ وما بَرِحَتْ أَهلُ المعالي ذُرابى أَلْسُنِ السفلِ[2]

بينَ الصِّحاحِ وبينَ العُورِ لا سَلِموا بَوْنٌ وما حَوَرُ العَيْنَينِ كالكَحَلِ

تَبًّا لكُلِّ غَريقٍ في مَعايبِهِ يَعيبُ خَلَّةَ مَنْ ما (فيهِ) منْ خَلَلِ[3]

وليْسَ ذنبي سِوى طُولِ الثَّواءِ ومَنْ طالَ الثَّواءُ عَليْهِ رِيعَ بالمَلَلِ

والعَجْزُ أَوْجَبَ لي ذُلَّ الخُمُولِ ولَوْ أَنِّي تَنَقَّلتُ كانَ العِزُّ في النُّقَلِ[4]

لأَنْزَعَنْ في قِسِيِّ الذَّمِّ مُجْتَهِداً فأُصْمِيَنَّ لئاماً بَعْدَ مُرْتَحَلي[5]

لا تَحسِبَنْ أَنَّ نورَ الشَّمسِ يُوهِنُهُ ما البسَ الجوُّ مِن غَيمٍ ومِنْ طَفَلِ[6]

---

(١) الخرء وردت بالياء بدلاً من الهمزة ، والحَمَل والسُّها من مواضع الفلك .

(٢) الذُراب كتُراب : السُّم . والسيف المذروب : المنقوع في السم لشحذه بعد ذلك ، والذَرابة : الحدة والسلاطة في اللسان : والذَرَبَ : العيب والذربة : السليطة الفاحشة .

(٣) فيه : التي وردت بين القوسين زيادة عن الأصل وضعت حسب المعنى لضبط وزن البيت . والخَلَّة : بالفتح : العيب .

(٤) يشير هنا إلى بيت الطغرائي في قصيدته لامية العجم .

إن العلى حدثتني وهي صادقة فيما تحدث أن العز في النقل

(٥) نزع : رمى بالقوس ، وأصمى : أصاب مقتلاً .

(٦) الطَّفَل : انحدار الشمس إلى الغروب .

وما الَوْمُ حَسُودِي في تقوُّلِهِ زُوْراً عَلَيَّ ولم افْعَــلْ ولم أَقُل

خفِّض عَليكَ فما بدرُ السَّماءِ إذا ما الكلبُ أَوسَعَهُ نَبْحاً بِمُحتَفِلِ

هُمُ زواملُ ثِقل العَار مُعْنَقةً وهُمْ على حَمْله اقوى من الإبل[1]

حِداؤُها شتمُهُمْ في كُلِّ مُوحِشةٍ تُطوى و تُنشَرُ فيها العَنُ السُّبُلِ

ما يقدرونَ على إخفائِهم حَسَبي وذاكَ اسْيَرُ بينَ الناسِ من مَثَلِ

ولو دَعوْتُ لَلَبَّتْني ضراغِمَةً تَدْأَى،إلىجاحِمٍ بالحربِ مشتَعلٍ[2]

كُلٌّ مِنَالقَوْمِ إن يَرْكَبْ إلى رَهَج يوماً ترجَّلَ رأسُ الفارسِ البَطل

قَوْمٌ إذا حَمَلُوا في الرَوْع خِلْتَهُمُ الأتِــيَّ مُنْحَدِراً من ذِروةِ الجَبَلِ[3]

مَعَوَّدو النَّصر مَحْمُودٌ بلاؤُهُمُ والخَيلُ تعثُرُ بالاشلاءِ والقُلَلِ

أَهْلُ الجِفانِ إذا هَبَّت شآميةٌ يَمْتارُها الناسُ من حَافٍ ومُنْتَعِلِ[4]

إنْ أَرْضَ يرضَوْاوإن اسْخَطْ فكلُّهُم كاللَّيْثِ يكشِرُ عن انيابِهِ العُصُلِ

إن عابَني أنَّني من بَانياسَ فكَمْ عَيشٍ نعمتُ به في ظلِّها الخضل[5]

---

(١) الزّوامل : جمع زاملة وهي الدابة يحمل عليها الطعام في السفر . وأعنق : سار سير العنق . والعَنَق : ضرب من السير للإبل .

(٢) الضراغمة : جمع ضرغام وهو الأسد . تدأى : تمشي مشية الختل والمراوغة والجاحم : المتوقد المشتعل ، وهو الحجر الشديد الاشتعال أو هو شدة القتال .

(٣) الأتِيّ : السيل .

(٤) الشآمية : الريح ، أمتار : طلب الميرة أو الطعام .

(٥) بانياس هي البلدة التي ولد فيها الشاعر . والخضل : النديّ ، الريّان .

وأهلها كالدنانير الصِّحَاحِ بلا غِشٍّ ولا بَهْرَجٍ فِيهِم ولا زَغَلِ[1]

فالدرُّ من صَدَفٍ والوَرْدُ يَطلُعُ بيـ ـن الشوكِ والنرجسُ الريانُ من بَصَلِ

يارُبَّ بيضٍ سَلَلْنَ البِيضَ من حَدَقٍ سودٍ ومسِنَ باِعطافِ القنا الذُّبُلِ[2]

هِيفُ الخُصُورِ نَقِيّاتُ الثُّغُورِ أثيثاتُ الشُّعُورِ هَجَرْنَ الكُحلَ للكحلِ[3]

من كُلِّ مُرْتَجَّةِ الأَرْداف إنْ نَهضتَ شكَتْ معاطِفُها جَوْراً من الكَفَلِ

مثلُ الشُّموسِ انسرَىَ عَنها الغَمامُ إِذا غازَلْنَنَا مِنْ وَراءِ السِجْفِ والكَلِلِ

لَوْ كانَ حسنُ زَلَيخا حُسْنَهُنَّ ، وقد خلَتْ بيوسُفَ ، قُدَّ الثوبُ من قُبُلِ

وشادنٍ مثلِ بَدرِ التِّم يَبْسِمُ عَنْ ثغرٍ كلؤلؤ سِمْطٍ واضِحٍ رَتِلِ[4]

مَتىٰ تَثَنّى وأبدى وجنَتَيْهِ لنـا فالبانُ مُنْخَزِلٌ والوَرْدُ في خَجَلِ

حُمْرٌ مَراشِفُهُ نَشوىٰ مَعـاطِفُهُ مُعَرْبدٌ لَحَظُهُ كالشارِبِ الثَّمِلِ

يَرْمي فيُصْمي ولا تَنْمي لواحِظُهُ قلوبَنا فَهيَ أَرْمىٰ من بَني ثُعَلِ[5]

---

(١) الزغل : الغش .

(٢) القنا الذُّبُل : الرقاق .

(٣) الكُحل : ما يُتكحَّل به ، والكَحَل : هو سواد العين الطبيعي .

(٤) شادن : ولد الغزال ، والتِمّ : البدر ليلة التمام ، والسمط : الخيط يسلك به اللؤلؤ ، والواضح : الأبيض ، والرَّتِل : المنسَّق ، المنظَّم .

(٥) نمى : الصيدُ نماءً ، رميته فأصبته وثُعَل : بنو ثُعَل ، قبيلة تنسب إلى : ثُعَل بن عمرو بطن من طيء ، ولهم جبل أجا « كحالة : معجم قبائل العرب » ، والثُّعْل والثُّعَل في الأصل أطْباء الناقة .

رَدَدْتُ عنهُمْ يدي ردَّ العفافِ بلا ضَعْفٍ عَراني ولا خوفٍ ولا وَجَلِ
وكمْ قوافٍ تَروقُ السَّامِعينَ معانيهـا بلا خَطأٍ فيهـا ولا خَطَلِ
نظَمْتُهـا كعقُودِ الدُّرِّ ناصِعَةً تُحِلُّ مُنشِدَها من رِبْقَةِ العَطَلِ[1]
إنْ قدَّمَ اللهُ أقواماً وأخَّرَني
فالشَّمْسُ مُنحَطَّةٌ في الأَوْجِ عَن زُحَلِ[2]
وأَينَ راحَةُ روحي من زحامِهِمُ على الرَّكيِّ البكيِّ، الموتُ أَرْوَحُ لي[3]
تركْتُ للنَّاسِ بَحْرَ الشِّعرِ فَلْيَرِدُوا وقدْ قَنَعْتُ من الأمواهِ بالوَشَلِ
والبحْرُ فيه لآلٍ كالسَّماءِ بها النُّجـومُ من رامَها أَعْيا ولمْ يَصِلِ
أَنِفتُ من طَمَعٍ مُدْنٍ إلى طَبعٍ وعِفْتُ لَبْسَةَ ذُلِّ الحَرْفِ والأَمَلِ[4]
إنَّ القناعَةَ لم تَخْلَعْ مَلابِسها إلاّ على رَجُلٍ ناهيكَ منْ رَجُلِ
صُنْ ماءَ وَجْهِكَ عنْ ذُلِّ السُّؤَالِ ولَوْ أَتاكَ إِهراقُهُ بالمـالِ والخَوَلِ

---

(١) الربق: حبل فيه عدة عُرى تشد به الدواب كل عروة: ربقة. ورَبَق فلاناً: أوقعه أو شده إلى. والعطل: الخلو من الحِلْية.

(٢) يلاحظ أن الشاعر قد التفت كثيراً إلى قصيدة الطغرائي «لامية العجم» كما في هذا البيت من أبيات الطغرائي:

وإن علاني مَن دوني فلا عجب لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(٣) الرَّكي: الضعيف، والبكيّ، أصلها بكيء، البئر القليل الماء «بالتشديد والهمزة» وبكيّ «بالتشديد فقط» الكثير البكاء.

(٤) الطبَع: مصدر وهو أيضاً الدنس والصدأ الشديد واللَّبسة: الشبهة والإشكال.

واسترْزِقِ اللهَ ممـــا في خزائِنِهِ تُدَلْ بفَيْضِ أَياديهِ ولمْ تُذَلِ[1]

ما يُعْطِكَ اللهُ لا يَمْنَعْكَهُ أَحدٌ وليسَ ما بُتَّ منْ شَيْءٍ بمُتَّصَلِ

فاشمَخْ بأَنفِكَ عن خَزمِ المطامعِ لا تُقِمْ بِهِ في مقامِ الآنُفِ الذُّلُلِ[2]

تَخْشى عرانينُها خَرماً إذا نفرتْ فالذُّلُّ يَسْحَبُها في الرَّيْثِ والعَجَلِ[4]

يا نَفْسُ صَبْراً على ما قد مُنيتِ بِهِ فالحُرُّ يَصبِرُ عندَ الحادِثِ الجَلَلِ

لابدَّ أَنْ يَستَقِيلَ الدَّهرُ عَثْرَتَهُ فينا وفي غيرِنا والدَّهرُ ذو دُوَلِ

يا من تضلَّعَ رِيّاً إِنْ ضَمِنتَ فما الحِرصانُ إِلاَّ على الظامي من الأَسِلِ[3]

وما ترَكْتُ مقالَ الشِّعرِ عنْ خَوَرٍ ولا انتِجاعَ كِرامِ النَّاسِ مِن كَسَلِ

لكن أَرُوني كَريماً في الزَّمانِ وما شِئْتُمْ من المَدْحِ فاسْتَمْلوهُ مِن قِبَلي

واستودِعوا مِنْ فَمي أَصدافَ سِمعِكُمُ دُرًّا تَنَظَّمَ شِعْراً غَــيْرَ مُنْتَحَلِ

---

(١) أداله الله من عدوه ، غلبه ، والإدالة الغلبة . وذال : هان وفسد .

(٢) الخزم : ما يوضع في الأنف مِن حلق أو زينة أو ما يوضع في أنف الناقة لجرها والآنف : الأنوف .

(٣) الخرم : أن تنقطع جلدة الأنف التي توضع فيها الحلقة ، والعرانين جمع عرنين : الأنوف . ونفرت : ذهبت مسرعة مجفلة ، والريث : البطء .

(٤) تضلّع : امتلأ ماء أو شبعاً . وقد وردت كلمة « الظامي » في الشطر الثاني بـ « ض » بدلاً من الـ « ظ » وما أثبتناه هو الصحيح ، والأسل : الرماح .

إن كُنتَ محتفلاً ، أو كُنتَ مُرْتَجِلاً فخيرُ مُحتَفِلٍ فيـــهِ ومُرْتَجِل

شَمَخْتُ منهُ إباءً عَنْهُ مُزْدَرِياً بـهِ فـلا ناقتي فيهِ ولا جَمَلي

وكَيفَ أَسْعىٰ إلى أَيْدٍ أُقَبِّلُها والْبتْكُ أولىٰ بها عِندي منَ القُبَلِ[1]

إذا يدٌ لم تُفِد بالرِّفْدِ مُمْتدِحاً مع الغِنىٰ فَرَماها اللهُ بالشَّلَلِ

لم يَسْمَحِ الدَّهرُ مُذْ أُلفيتُ فيهِ بأَنْ رأَيتَني راتِعاً في مَرْتَعِ الجَذَلِ

أَليَّةً إنْ نأَتْ عنِّي نوائِبُهُ لأَشْدُوَنَّ بأَهزاجي وبالرَّمَلِ[2]

وعيبُ شِعرِيَ أَنَّ الوَرْدَ يُشْبِهُهُ وأَنَّ جُلَّ بني ذا الدَّهرِ كالجُعَلِ[3]

لا تأْسفَنَّ على ما لم تنلْهُ منَ الدُّنيـــا فليسَ يُنالُ الرِّزْقُ بالحِيَلِ

اللهُ قَدَّرَ لي رِزْقاً سَأُدْرِكُهُ لا بُدَّ منهُ كما لا بُدَّ من أَجَلي

والْفَضْلُ والمالُ محبوبانِ ما اجتمَعا وهل تُوافي الضُّحىٰ يوماً مَعَ الأُصُلِ

سَرارَةُ القَلْبِ مأْوىٰ سِرِّ كلِّ فتىً مُسْتَحْصَفٍ عقلُهُ لا رأْيَ للمَذِلِ[4]

من لم تجانِسْهُ فاحْذَرْ أَنْ تُجالِسَهُ فالشَّمعُ لم يَحْتَرِقْ إلاّ منَ الفَتَلِ[5]

---

(١) بَتَك : قطع .

(٢) الهزج والرمل : نوعان من الغناء القديم .

(٣) الجُعَل كالخنفساء ، ويشير هنا إلى أن الجعل يكره الورد على حد قول القائل : (إن ريح الورد يؤذي بالجعل) .

(٤) سرارة القلب : باطنه ، والسرارة في الأصل بَطْن الوادي وأطيبه ، والمَذِل : القَلِق والضجر الذي يبوح بسره ، ومَذَل السرَّ أفشاه .

(٥) الفتَل : جمع فَتْلَة ، وهي الفتيلة .

قدْ كانَ في قُلَلِ الأجبالِ مسكَنُهُ ... فاعتاضَ بالنارِ بعدَ الشَّهْدِ والعَسَلِ [1]

والأُنْسُ في وَحْدَةِ الإنسانِ مُنْفَرِداً ... عن الأَخِلاّءِ فاهْجُرْهُمْ ولا تُبَلِ [2]

ما في زمانكَ من تُصفي الوَدادَ لَهُ ... مِنَ الأَخِلاّءِ إلاَّ وَهُوَ ذو دَخَلِ

يا مَعْشَراً نبذوا العَلْياءَ نَبْذَهُمُ ... غُرَّ المَحاسِنِ في قولٍ وفي عَمَلِ

كأَنَّهُمْ في تَعاليهِمْ حنـــابِلَةٌ ... يَرَوْنَ كلَّ بني الآدابِ مُعْتَزِلي [3]

فَلَوْ رآهُمُ أَميرُ المؤمنينَ لمـــا

قالَ أُنحُ ذا النَّحْوَ يابا الأَسوَدِ الدُّؤَلي [4]

من باتَ مُمْتَدَحاً فيهمُ يَقُلْ سَفَهاً ... تنحَّ ، إنَّ دِماغي غيرُ مُنْفَعِلِ

للحَقِّ قالَ وهلْ تلقاهُ مُنْفَعِلاً ... للمَدْحِ وهُوَ شَديدُ العِشقِ للبَخَلِ

فأَكْذَبُ النَّاسِ في ذا الدَّهْرِ مادِحُهُمْ ... فاسكُتْ ، وأَصْدَقُهُمْ هاجيهِمُ فَقُلِ

لم يَرْتَفِـعْ فيهِ عِندي غَيْرُ ذي سَفَهٍ ... في العَيْنِ مُرتَفِـعٍ في القَلْبِ مُسْتَفِلِ [5]

---

(١) سها الناسخ عن هذا البيت ثم أثبته إلى جانب القصيدة .

(٢) لا تُبَلْ أي لا تبالِ ولا تهتم .

(٣) الحنابلة ، أتباع الإمام أحمد بن حنبل من المسلمين السنة ، والمعتزلي نسبة إلى المعتزلة وهم فرقة من المسلمين اعتمدت الفكر والعقل ولهم آراء معروفة .

(٤) إشارة إلى قول علي بن أبي طالب إلى أبي الأسود الدؤلي : أنحـه يا أبا الأسود ، ويقال إن هذا مبدأ نشوء علم النحو .

(٥) استَفَلَ : مثل سَفُلَ .

حتَّ مَ يادَهْرُ لا انفَكَّ ذا ظَمأٍ ولا أَراكَ بورْدٍ ناقِعاً غُلَلي

قَلَبْتَ لي عامِداً ظَهْرَ المِجَنِّ ولَمْ تَعْطِفْ عليَّ ولَمْ تَنْفَكَّ ذا مَيَلِ

وما بَرِحتَ على الأَحرارِ مُجْتَرِئاً لي أُسْوَةٌ في ذَرارِي خاتَمِ الرُّسُلِ

وقال في غرض له رحمه الله :

في حُبِّكَ صِرتُ كالخِلالِ والصَّبْرُ فليسَ من خِلالي

واصِلْ من حازَ كلَّ حُزْنٍ يا حائِزَ غايةِ الجمـالِ

فالعـاذِلُ عادَ لي عَذيراً والقَلْبُ عَنِ السُّلُوِّ سالِ

عَذِّبْ بِسوى الصُّدودِ قَلْبي يا مُنْيَتَهُ فمـا يُبـالي

شُرْبُوشُكَ ياصبيُّ مِنـهُ تَنكيسُ عَمـائِمِ الرِّجالِ

هذا الحَالي بِكُلِّ حُسْنٍ ما أَعْجَبَ في هَواهُ حالي

غَصْنٌ في الحِقْفِ تحتَ بَدْرٍ يَرْنو عَنْ مُقْلَتي غَزالِ

يَرْمي عَنْ قَوْسِ حاجِبَيْهِ منْ لَحظِ الطَّرْفِ بالنِّبالِ

أَبكي كَلَفاً بِهِ عَقيقاً إِذْ يبْسِمُ لي عَنِ اللآلي

لا مَتَّع في هَواهُ رُوحي ما عِشْتُ بِراحَةِ الوِصالِ

إِنْ كنتُ على الرُّقادِ أَبكي إِلاَّ شَوْقاً إِلى الخَيالِ

وقال في غرض له :

رويدكَ كَمْ تجني وكَمْ تتدلَّلُ ... عليَّ وكَمْ أُغضي وكَمْ أتذلَّلُ
لَزِمْتَ مَلالاً ما تَمَلُّ لُزُومَهُ ... فقلبي على جمرِ الغضا يتملْمَلُ
وَوَكَّلْتَني باللَّيْلِ أرعى نُجومَهُ ... وأنتَ بطولِ الصَّدِّ عَنِّي مُوكَّلُ
ولا غَرْوَ أنْ جادَتْ جُفُوني بمائِها ... إذا كانَ منْ أَهْواهُ بالوَصْلِ يَبْخَلُ
وقدْ صارَ هذا السُّخْطُ منكَ سَجِيَّةً ... فَلَيْتَكَ يوماً بالرِّضى تَتَجَمَّلُ
تُجَرِّدُ منْ أجفانِكَ السودِ أبيضاً ... على كُلِّ مَنْ تَرْنو إليهِ فَتَقْتُلُ
وما لحظَةٌ إلاَّ تَهُزُّ مُهَنَّداً ... يُصابُ بِهِ مِمَّنْ يُحِبكَ مقتَلُ[1]
فكُنْ سالِكاً حُكْمَ الزَّمانِ فإنَّهُ ... يَجورُ مِراراً ثُمَّ يَحنو فيَعْدِلُ
وقدْ كانَ حُسْنُ الصَّبْرِ من قَبْلُ ناصِري
فإنْ دامَ ذا الإعْراضُ عنِّي سَيُخْذَلُ
وأحزَمُ خَلْقِ اللهِ رأياً فتىً إذا ... نبــا مَنْزِلٌ يوماً بِهِ يَتَحَوَّلُ
فَكَمْ مَلَّ منِّي عائِدي ومَلَلْتُهُ ... وعاصَيْتُ في حُبِّيكَ منْ كانَ يَعْذِلُ

(١) وردت كلمة « لحظة » في أول البيت غير منقوطة التاء وذلك كثير في النسخة المصورة ، ووردت في الشطر الثاني كلمة « بها » بدلاً من « به » مع أن الضمير يعود إلى المهند .

وأيّامُنا تُطْوى ولا وَصْلَ بيْننا ... وتُنْشَرُ والهِجْرانُ لا يَتزَيَّلُ[1]
أرى الحُسْنَ قَدْ وَلّى عِذارَكَ دَوْلَةً ... ولكنَّهُ عَمّا قليلٍ سَيُعْزَلُ
فَأَحسِنْ بنا مادامَ ذلكَ مُمْكِناً ... وأَجْمِلْ فقتْلي عامِداً ليسَ يَجْمُلُ

وقال :

أَما كَفانِيَ طَرْفٌ منكَ نَبالُ ... متىٰ رَنا فَهْوَ فَتّاكٌ فقتّالُ
حتى ضَمَمْتَ إِليهِ شامةً بَرَزَتْ ... لي يَمْنةً فَلها بالبالِ بَلْبالُ
فالخَدُّ والخالُ في قتلي قدِ اشْتَرَكا ... ويْلاهُ مِمّا جناهُ الخدُّ والخالُ[2]
أَنتَ الذي سَلَّ من جَفْنَيْهِ صارِمَهُ ... ولَحْظُهُ سَهمُهُ والقدُّ عسَّالُ
فاعْجَبْ لهُ قَمَراً للناسِ منهُ متىٰ ... بدا لَهُمْ كهِلالِ العيدِ إِهْلالُ
مُرَنَّحٌ خوطُ بانٍ في كثيبِ نَقاً ... يهُزُّهُ الحُسْنُ تيهاً فَهْوَ مَيّالُ
عَنْ عِشْقِ وَرْدٍ بخَدَّيْهِ ونَرْجِسِ عَيْنَيهِ مَدى الدَّهْرِ لاحالَتْ بِيَ الحالُ
بي غُلَّةٌ وشِفائي بَرْدُ ريقَتِهِ ... من أُقْحُوانِ الثَّنايا فَهْوَ سَلْسالُ
مِنْ جيدِهِ تُحْضِرُ الآجالُ في خَجَلٍ ... عَنْهُ وتَحْضُرُ لِلعُشّاقِ آجالُ[3]

---

(١) تزيَّلوا تزيّلاً وتزييلاً : تفرقوا وزيَّلَه : فرَّقه .
(٢) سها الناسخ عن هذا البيت ثم أثبته إلى جانب القصيدة
(٣) تُحضِرُ : الأولى من العدو والإسراع ، وتَحضُرُ « بالفتح » من الحضور .

ماضرَّ مَن بِلِباسِ الحُسْنِ جُمِّلَ لَوْ أَضحى لنا مِنهُ إِحسانٌ وإِجْمَالُ

وقال :

بِكُمْ قلبي عَليلٌ ما يُبِلُّ بِهِ منكُمْ غَليلٌ ما يُبَلُّ (١)

فطَرفي كاتبٌ، والطِّرْسُ خدِّي وأَشواقي تُمَلُّ وما تَمَلُّ

وَأَحبابي ٱسْتَقَلُّوا ما أُلاقي مِنَ البُرَحاءِ فيهِمْ فاسْتَقَلُّوا (٢)

فلو لاقى [ثبيرٌ] بَعْضَ وجْدي وما أَسلوهُمُ مَحَقَتْهُ سِلُّ (٣)

هُمُ في القَلْبِ حَلُّوا حينَ ساروا وهُمْ عَقَدُوا الهَوى والصَّبْرَ حَلُّوا

ومِنْ أَجفانِهِنَّ السُّودِ يَوْمَ التَّفَرُّقِ للسُّيوفِ البيضِ سَلُّوا

فأَيُّ حشىً هُناكَ نجا سَلِيماً وأَيُّ دمٍ هنالِكَ ما أَطَلُّوا

رأَوْا قَتلي ببينِهِمُ حَلالاً ولا واللهِ قتلي ما يَحِلُّ

كفى حَزَناً بأَنَّ الوَجْدَ نامٍ بقَلْبي والتَّجَلُّدَ مُضْمَحِلُّ

وما يأْلوهُمُ جُهْداً غَرامي وجُهْدُ النَّفْسِ يَبلُغُهُ المُقِلُّ

---

(١) يُبِلُّ : بكسر الباء : من أَبَلَّ أي شفي من المرض ويُبَلُّ بفتح الباء : من بلَّ الغليل أي أطفأ الظمأ والحرَّ .

(٢) استقلوا الأولى وجدوا الأمر قليلاً ، واستقلوا الثانية : تحمّلوا ، ورحلوا .

(٣) ثبير : اسم جبل ، والسِّلُّ المرَض المعروف وقد أنّثهُ الشاعر بقوله « مَحَقَتْهُ » وقد وجدنا في المعاجم أنه مذكر .

أأَسْتَسْقي لدارِهِمُ ودَمْعي لها مِنْ سَيلِهِ نَهلٌ وعلٌّ[1]

وفي حبيهمُ قَدَمي اَسْتقامَتْ وآلتْ لا تَزولُ ولا تَزِلُّ

ولمّا أَنْ رأَوْا مِنّا نُفوساً تَظَلُّ من المآقي تَسْتَهِلُّ

سَقَوْا مِنْ نَرجِسِ الأَحداقِ وَرْداً ففي وردِ الخُدودِ الدَّمعُ طَلٌّ[2]

لقَدْ كنتُ العزيزَ وفي هَواهُمُ ذَلَلْتُ وكلٌّ من يهوىٰ يَذِلُّ

أَلا يا حَبَّذا أَعْلامُ نَجْـــدٍ ووادي الخَيْفِ والبانُ المُظِلُّ[3]

مَرابِـعُ لا أَلَمَّ بِهِنَّ مَحْلٌ فَهُنَّ لِمَنْ كَلِفْتُ بهِ مَحَلُّ

ومَملوكٍ لَهُ في التُّرْكِ آلٌ يروعُ وعِندَهُ لم يُرْعَ إلٌّ[4]

يُدِلُّ ومَن يَكُنْ في الحُسنِ فرْداً بـــلا شَبَهٍ له ، لِمْ لا يُدِلُّ

هِلالُ السَّرجِ يُطلِعُ منهُ شَمساً عليهِ فَرعُهُ المُسْوَدُّ ظِلُّ

ومِن تَحْتِ اللِّثامِ يُرىٰ هِلالاً بِهِ لله إذ يبـــدو نَهِلُّ

ويُصْمي قوسُ حاجِبِهِ بِنَبْلِ اللَّواحِظِ عاشِقيهِ ولَمْ يُوَلُّوا

---

(١) علّ : شرب تباعاً أو ثانية . والنهل : الشرب أول الشرب .

(٢) الطل : الندى .

(٣) نجد ، والخيف : مكانان في الجزيرة العربية ، والبان : اسم شجر .

(٤) الإلّ : العهد ، والحلف ، والجار ، والقرابة والحقد والعداوة ومعان أخرى كثيرة .

إذا خَطَفَ القَناةَ فَذاكَ رُمْحٌ بِرُمْحٍ في الكَريهَةِ يَشْمَعِلُّ(١)

وإنْ هَزَّ الحُسامَ يكُنْ حُساماً تُفَلُّ بِهِ الجُيوشُ ولا يُفَلُّ

يُرى في سِلْمِهِ ظَبياً غَريراً وفي الهَيْجا هُو البازُ المُطِلُّ

فما أَغناهُ عِندي عن سِلاحٍ ففي حَمْلِ السِّلاحِ علَيْهِ كَلُّ(٢)

ذؤابَتُهُ بهـا ذابتْ قُلوبٌ وفوقَ السَّرجِ منها صالَ صِلُّ(٣)

يَخوضُ مِنَ المُفاضَةِ في غَديرٍ تَسَربلَ مِنْهُ رِئبالٌ مُدِلُّ(٤)

ولكِنَّ الهِزَبْرَ يُرى شَتيماً أَزَلَّ وذا مليحٌ لا أَزَلُّ(٥)

هُوَ الصَّنَمُ الَّذي لولا اتِّقائي إلهي لم أَزلْ فيهِ أَضِلُّ

وقال :

عَذولي لا تَلُمْني في هِلالي ولُمْ من لامَ ظُلْماً فيهِ لا لي(٦)

---

(١) اشمَعَلَّ : الرجل اشمِعْلالاً : جدَّ في المُضي ، والإبلُ : مضت مسرعة .

(٢) الكَلّ : التعب . ومن معانيها : الرجل لا ولد له ، والسيف اذا لم يقطع .

(٣) الصِلُّ : الأفعى .

(٤) المُفاضة : الدرع تشبه بالماء في زردها . والمُدِلُّ : المتكبر المدعي .

(٥) الشتيم : الأسد العابس . وأزلُّ : الخفيف الوركين .

(٦) أي لُمْ اللائم ، ولا توجه اللوم إليَّ .

لَهُ وَجْهُ الغَزالَةِ حينَ تبدو ضُحىً وفُتورُ ألحاظِ الغَزالِ

ومِنْ تَحْتِ اللِّثامِ هِلالُ عيدٍ سَناهُ أُعيذُ مِنْ عينِ الكَمالِ

وما قلبي بِخالٍ منهُ يوماً فكَيفَ وخدُّهُ بالخالِ حالي[1]

وأُقْسِمُ لا سَلَوْتُ الدَّهرَ عنهُ ولكِنّي عَنِ السُّلوانِ سالي

تملَّكَني هواه وكُنْتُ حراً وأَرخَصَني الغَرامُ وكنتُ غالي

يَسُلُّ من الجفونِ السُّودِ بيضاً فما أَنفَكُّ منهـا في قِتالِ

أَنا البـالي سَقامـاً في هَواهُ وحُبُّ سِواهُ لم يَخْطُرْ ببالي

مَحـاسِنُهُ هَيولى كلِّ شَيْءٍ ومغناطيسُ أَفئدَةِ الرِّجالِ[2]

له بَشَرٌ أَنيقٌ ناعِمٌ كالحَـريرِ يَشِفُّ لَمَّاعَ الصِّقالِ[3]

إذا هُوَ قابَلَ الدِّيباجَ أَبدى نُقوشاً منهُ مُحْكَمَةَ المِثالِ

كأَنَّ اللهَ جَمَّعَ فيهِ لمَّا براهُ جميعَ أَجزاءِ الجَمالِ

تَرى قوساً بحاجِبِهِ وراشتْ لَواحِظُهُ سِهاماً بالنِّصالِ[4]

---

(١) حال : من الحلية ، والجيد الحالي الذي زين بالحليّ .

(٢) الهَيُولىَ والمغناطيس كلمتان علميتان مأخوذتان عن اليونانية والبيت سها عنه الناسخ فاثبته الى جانب القصيدة .

(٣) البشر : الجلد الظاهر في الأنسان .

(٤) راش السهم : ألصق به الريش ، وراش الصديق اطعمه .

فللتُّرْكيِّ بأْسٌ أيُّ بأسٍ لدى تفويقِهِ عِندَ النِّضالِ[1]
يُرنِّحَ في الكثيب قضيبَ بانٍ رَشيقَ القَدِّ أَهْيفَ ذا اعتِدالِ
ويَبسِمُ عن أَقاحٍ فوقَ راحٍ وعن حببِ الكؤوسِ وعَن لآلِ
يرى قتلي الحَرامَ عليهِ فرضاً بحُسنِ كلامِهِ السِّحْرِ الحَلالِ
له نفسي الفِداءُ وكلُّ شيْءٍ يَعزُّ عليَّ من أهلٍ ومالِ
ذؤابتُهُ أَذابتْني سَقــاماً بطولٍ واسودادٍ كالليالي
وغادَرَني بِغَدْرَتِهِ خيالاً وضَنَّ عليَّ حتى بالخيالِ
فعِشْقي فوقَ غايَةِ كلِّ عِشْقٍ ولكنْ لاسبيلَ إلى الوِصالِ[2]
فَمِنْ عينيَّ جــاريةٌ عُيونٌ ولي قلْبٌ بنارِ الهَجْرِ صالي
بِخَدَّيهِ ووجنتِهِ دماءُ الكُمــاةِ وطرفُهُ يدعو نَزالِ[3]
يُمِلُّ مَقَاتِلَ الفُرسانِ قِدماً بألحاظٍ عجيباتِ الأَمالي
نديمي سَقِّني الصهباءَ صِرْفاً ونزِّهْها عَنِ الماءِ الزُّلالِ

---

(١) فوّق السَّهْم : جعل له فُوقاً ، أو جعل الوتر في فُوقه عند الرمي . والفوق : موضع الوتر من السهم . وفوّق النبل : فرضها وجعل لها افواقاً .

(٢) يذكرنا الشطر الثاني من هذا البيت ببيت المتنبي :

ومن لم يعشق الدنيا قديماً ولكن لا سبيل إلى الوصال

(٣) نزال وزن فَعَالِ : اسم فعل بمعنى إنزل .

وبادِرْني بها والكأْسُ ملأى ولا تَخْلِطْ حراماً بالحَلالِ
فإنَّ لها دبيباً في عِظامِ النَّـدامى كالدبيبِ من النِّمالِ[1]
بِكِلْتا راحَتَيْكَ أَدِر عَلَينــا الحُمَيَّا باليَمينِ وبالشِّمالِ
وإيّاكَ المِكاسَ لدى شِراها فما غالي مَسَرَّتِهـا بغالِ[2]
فأبناءُ الهُمومِ دواهُمُ مِنْ أَذى دُنياهُمُ بِنْتُ الدَّوالي

وقال :

شكوتُ فلم يَرِقَّ لِضَعْفِ حالي حبيبٌ جِسمُهُ بالحُسْنِ حالي
خليٌّ من خِلالِ العذلِ فيهِ ضَنَيْتُ فصرتُ نِضْواً كالخِلالِ[3]
حَلالي في الهوى مُرُّ التَّجَنِّي بِلَفْظٍ منهُ كالسِّحْرِ الحَلالِ
إذا ما ٱفترَّ عن غُرِّ الثنــايا ثَنى في خَجْـلَةٍ غُرَّ اللآلي
بِنَضْرَتِهِ ونَظْرَتِهِ إلينــا نَرى حُسْنَ الغَزالَةِ والغَزالِ
وغــانيةٍ تَهُزُّ على كثيبٍ قوامَ الخَيْزُرانَـةِ باعتدالِ

---

(١) نَمَل الرجل : نمَّ ونَمَل في الشجر : صَعَد ، ونَمِلَت يده : خدرت . ونِمال : جمع نملة وهي الحشرة المعروفة .
(٢) المِكاس : المساوَمَة .
(٣) الخِلال : عود تخلَّل به الأسنان . كناية عن الرقة والضعف .

يعودُ البَدْرُ عنهـــا ذا مِحاقٍ — إذا نَظَرَت إِليهِ في الكمالِ[1]

تَضِنُّ بِوَصْلِها المأمولِ عنّي — وقَدْ خوَّلْتُها رُوحي ومالي

بُليتُ على اكتهالِ السِّنِّ مِنّي — بِمَعْشوقِ التَّثَنّي والدَّلالِ

بَديعُ الحسنِ والإِحسانُ منهُ — بعيدٌ وصْلُهُ صَعبُ المَنالِ

أَتى شيبي وفارَقَني شبـــابي — فواصَلَني اكْتِئابٌ غَيْرُ آلي[2]

فوا أَسَفاً عَلى دَهْرٍ جَنَيْنا — بأَيدي طيبِهِ ثَمَرَ الوِصالِ

مضى الأَحبابُ واللَّذاتُ عَنّي — فوا أَسَفي على عَيْشٍ مَضى لي

لَئِنْ طالَتْ بِهَجْرِهِمُ ليالٍ — لقَدْ قَصُرَتْ بوصلِهِمُ ليـــالي

نَديمي هاتِهـــا راحاً شَمولاً — أَرَقَّ لَدَيَّ مِنْ رَوْحِ الشَّمالِ

إذا صدَمَتْ جيوشَ الهَمِّ وَلَّتْ — جُيوشُ الهَمِّ إذْ تَدعو نَزالِ

أَدِرْ كاساتِهـــا ذهباً مُذاباً — أَحاطَ بِرأْسِها عِقْدُ اللآلي

فَحُلَّ بِهـــا عِقالَ الهَمِّ عَنّي — وقُمْ وانْشَطْ لأَنْشَطَ من عِقالي

أَدِرْ شَمْسَ المُدامَةِ أَو ترانا — نَرى الأَيامَ سَكْرى كاللَّيالي[3]

---

(١) المِحاق إذا استسر القمر أول الشهر والكمال حين يكون بدراً .

(٢) الآلي : المُقَصِّر : إئتلى واتّلى : قَصَّر .

(٣) وردت في الأصل كلمة « سكر » في الشطر الثاني « سكراً » وما أثبتناه اقرب للحقيقة . على أن الأصل جائز أيضاً . ويكون المعنى أنه : يرى الأيام تنقضي سكراً كالليالي .

على وردٍ كأنَّ بِهِ خُدودَ الغَـوانـي نافحـاتٌ بالغوالي[1]
يَقولُ تَمَـتَّعوا بِشُموسِ فَضْلي طَوالِـعَ عِندَكُمْ قبلَ الزَّوالِ
وأيّامي قِصارٌ واللَّيـالي وإلمامي كإلمامِ الخيـالِ[2]
فقَدْ أبدى الرَّبيعُ وجوهَ حُسنٍ أنيقاتٍ بديعـاتِ الجَمالِ
ومنثوراً أنامِـلُهُ رِخاصٌ بِهِنَّ جَواهِرُ الحُسْنِ الغوالي

وقال في الملك الأمجد :

المَـلِكُ الأَمْجَدُ الذي شَهِدَتْ لَهُ مُلوكُ الزَّمانِ بالفَضْلِ
أَصبَحَ في السّامِرِيِّ مُعْتَقِداً ما اعْتَقَدَ السّامِرِيُّ في العِجْلِ
والسّامِرِيّونَ كالبرامِكِ مِنْ قَبلُ فَأَيْنَ الرَّشيدُ للقَتلِ[3]

وقالَ يَهجو عدْلَ الزَّبداني :

بالعدلِ تَزدانُ الملوكُ وما شانَ ابنَ أيوبَ سِوى العَدْلِ
هُوَ دَلوُ دَوْلَتِهِ بِلا سَبَبٍ فَمَتى يُرى ذا الدَّلْوُ في حَبْلِ[4]

---

(١) الغوالى : جمع غالية وهي طيبٌ معروف أو هي مجموعة طيوب تُغلى على النار .
(٢) الإلمام : الزيارة القصيرة .
(٣) يشير إلى مقتل البرامكة من قبل هارون الرشيد .
(٤) وردت كلمة « فمتى » « فمَن » وهو خطأ ، وقصد الشاعر : متى يرى المهجُو مشنوقاً .

صِفرٌ خَلا من كُلِّ مكْرُمَةٍ   مَع صيتِهِ في النّـاسِ كالطبْلِ

وقال يَهْجو فقيهاً يعرف بابن جاموس :

هذا ابنُ جاموس ضَعُوا في أَنفِهِ   بُرَةً وجُرُّوه إلى جَرِّ العَجَلْ[1]
فَلَعَلَّ بُرْجَ السُّورِ يَثْني قَرنَهُ   عَنْ نَطْحِ بُرجِ الثَّورِ فَهْوَعلى وَجَلْ[2]

وقال يهجو شاعراً يعرف بالعبديّ :

وصارِمٍ إِنْ هُزَّ في مَحْفِلٍ   قُطِّعَ بِالخُفِّ وبِالنَّعْلِ
قال أَنا العَبْدِيُّ قُلْنا أَجلْ   ما لَكَ في الأَحْرارِ مِن أَصْلِ[3]

وقال يهجو ابنَ القاضي الفاضل :

لا مَرْحباً بالناقِصِ ابنِ الفاضِلِ   هذا ابنُ قُسٍّ في فَهاهَةِ باقِلِ[4]

---

(١) البُرَة : الحلقة من النحاس تكون في انف البعير .

(٢) لا يخفى التجنيس بين « برج السّور » ويقصد به : البرج الذي يبنى على سور المدينة و « برج الثور » المعروف في الفلك .

(٣) القصد انه « عبد » مادام اسمه مشتقاً من « العبديّ » والمقصد ظاهر .

(٤) قس : هنا هو قس بن ساعدة الايادي الخطيب الجاهلي المشهور ، وباقل : رجل عرف بعجزه عن الكلام ، والفهاهة : العجز والعيّ والحَصَر .

وأَجَلُّ قَدْراً منهُ بَغْلَتُهُ التي أَضْحىٰ أَبوها مِنهُ فوْقَ الكاهِلِ[1]

وقال يهجو نَصْرَ الطبيب :

باللهِ يا نصرُ تُبْ فما قتلَ « الحجّـاجُ » ماقد قتلتَ يا رَجُلُ[2]
طِبُّكَ من طاعَةِ الحِمـامِ لَهُ يَقْتُلُ مِنْ لاَ دَنـا لهُ أَجَلُ

وقال يهجو الضياء بنَ فارس وزير الملك الأَمجد صاحب بعلبك :

لا سقى الله بعلبك مُلِـثُ الهواطِلِ[3]
بَلدَةٌ لم تُعَـدَّ في المُدْن بـل في المزابِـلِ
إِنَّهـا شَرُّ بلدَةٍ شُحِنَتْ بالأَراذِلِ
أَهلُهـا لم يُفرِّقوا بينَ قُسٍّ وباقِلِ
دُمِّرَتْ حينَ دُبِّرَتْ بالظَّلامِ بن رَاجِلِ[4]

---

(١) ابوها هنا : أي الحمار الذي هو أبو البغلة .
(٢) يشير الى أن طبَّه يفتك بالناس كما فتك « الحجاج » السفاح المعروف
(٣) الملث : المطر الذي يدوم أياماً .
(٤) ظاهر ماقصد الشاعر من قلب اسم المهجو فالضياء اصبح ظلاماً والفارس صار راجلاً .

وقال :

وابنِ فقيهٍ حَسَنِ الحالَة   أُمَيْرِدٍ [قد] قبَضَ الحالَة[1]
ذو عِمَّةٍ بورِكَ فيها لَهُ   تُطلِعُ منهُ البدْرَ في هالة

وقال :

لَئِنْ عزَّ أَقوامٌ وكانوا أَذِلَّةً   وصارَ لَهُمْ من بعدِ فَقْرِهِمُ مالُ
فَما ذاكَ بِدعاً في دِمَشْق لأنَّها   تَمَلَّكَها في سالفِ الدَّهرِ زَبَّالُ

وقال في جامع دمشق :

أَهلُ دِمَشقٍ لَهُمُ جامِعٌ   ليسَ على ما فيهِ تَعويلُ
بالجامِعِ الصَّحْنُ ولكِنَّهُ   مِن كُلِّ ما يؤكَلُ مَغْسولُ
وفيهِ أَشجارٌ ولكنَّها   لم يُجْنَ منها الدهرَ مأْكولُ

وقال :

تعَيرني بالشَّيبِ هِنْدٌ ولو دَرَتْ   بفضلِ مشيبي زالَ عَن قَلْبِها الجهْلُ

---

(١) اُمَيْرِد : تصغير امرد . وقد اضفنا كلمة (قد) إلى الشطر الثاني من هذا البيت ليستقيم الوزن لأن الناسخ سها عنها . والحالة : الوقت ومن معانيها : الرماد الحار ، أو التراب اللين ، وهو يشير الى أحد هذين المعنيَيْن في قوله قبض الحالة ، أو يكون قصد أنه : ايقن بالواقع كما يستعمل اصطلاح « قبض الأمر » بمعنى اعتقده .

وما المرءُ إلاَّ دَوْحةٌ ذاتُ رونَقٍ   إذا أزْهرَتْ بالشَّيْبِ فالثَّمرُ العَقلُ

وقال يمدح الصاحب الوزير صفي[1] الدين عبد الله بن علي ويهنئهُ بشهر رجب وبعافيته من مرض أصابه :

عسى الدَّهرَ أَن يَنْتاشَني ولعلَّهُ   يقول لذي جَدٍّ عُثورٍ لعاً لَـهُ[2]

أَرْقَدةُ أَهْلُ الكَهْفِ ياحظيَ انتَبِه   فإنّي حُرِمْتُ النَّومَ إلاَّ أَقلَّهُ

أَرُوني حَبيباً لست أُمنَعُ وَصْلَهُ   أَجلْ وخليلاً لستُ أُمنحُ عَذْلَـهُ

وبي قمرٌ يعلو على خُوط بانَةٍ   شكا خَصْرُهُ إذا آدَهُ الرِّدفُ ثِقلَهُ[3]

له اللَّحظات اللاَّءِ لم يَرْنُ رامياً   خَلِيـاً بهـا إلاَّ تكفلْنَ قتْلَهُ

وما أَتمنَّى خاليـاً لثمَ كَفِّهِ   بلىٰ أَتمنَّى أنْ أُقبِّلَ رِجلَهُ

تَوَلَّىٰ على قلْبي وِلايةَ قـادرٍ   فَلَمْ يَخشَ عنها مدةَ الدَّهرِ عَزْلَهُ

وما أَحدٌ في الحُبِّ مثلي قناعَةً   رَضيتُ بوعْدٍ منهُ يُكثِرِ مَطْلَهُ

ففي راحَتي من هَجْرِهِ لستُ طامِعاً   ومِن تعبي أَنْ لستُ آملُ وَصْلَهُ

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) اللَعَا : الشره الحريص . ويقال للعاثر : لَعاً لك وهو دعاءٌ له بأن ينتعش ومعناه : سلِمتَ .

(٣) آده : أثقله . وآد العود : عطفه .

رَكِبْتُ من العشقِ المبرّح وعرَهُ وقد رَكِبَ العُشّاقُ قلبيَ سَهلَهُ

وقدْ سَرَّني أنّي خيالٌ لِهَجْرِهِ لعليَ أسري لِلزِّيارَةِ مِثلَهُ

عَدِمتُ اصْطِباري عن حَبيبٍ مُدَلَّلٍ

يَهيمُ بِهِ القَلْبُ الكَئيبُ المُدَلَّهُ

أَلِلدَّهرِ ثأرٌ فَهوَ يطلُبُ ثأرَهُ لَديَّ فمالي لا أُفارِقُ ذَحْلَهُ (١)

رماني زماني عَنْ قِسِيٍّ قساوَةٍ ففي غَيْرِ قلبي ما يُسَدِّدُ نبلَهُ

أَأُمنَعُ طَلَّ الخيرِ مَعَ أَدبي بِهِ ويُمنحُ منه أَبْلَهُ القومِ وَبْلَهُ (٢)

هُناكَ يَذُمُّ الفاضِلُ النَّدبُ فضلَهُ ويَحمَدُ فيهِ الجاهلُ النَّذْلُ جهلَهُ

سأَشكُرُ دَهري يا ابنَ شُكرٍ لأَنَّهُ به تابَ حتّى صارَ يُحسِنُ فِعلَهُ (٣)

وَزيرٌ حَوى العَلْياءَ من كلِّ وِجْهَةٍ ومُلِّكَ فرْضَ القولِ عفواً ونَفْلَهُ (٤)

إمامٌ يؤُمُّ السابقين إلى العُلا فما أحدٌ في المَجْدِ حلَّ مَحَلَّهُ

يبيِّضُ وجهَ الخطْبِ بعدَ اسْودادِهِ بحُسنِ خِطابٍ قارَنَ النُّجحُ فصلَهُ

فَلا عِلْمَ إلاَّ دونَ غايةِ عِلمِهِ ولا فضلَ في المِضمارِ يُدرِكُ فضلَهُ

---

(١) الذحل : الثار ، وجمعه : ذحول .

(٢) الطلّ : الندى ، أو المطر الخفيف ، والوَبْلُ : المطر الشديد .

(٣) ابن شكر : هو الممدوح .

(٤) الفرض والنفل : اصطلاحان فقهيان معروفان .

لقد أُصحبتْ للصَّاحِبِ السوسُ خيفةً

فأَفواهُها في التُّرْبِ تلثمُ نَعْلَهُ[1]

كما خضعتْ كُلُّ المُلوكِ بِرَأْيِهِ لمخدومِهِ لا شَتَّتَ اللهُ شَمْلَهُ

له منه قاضٍ هذَّبَ العِلمُ فرعَهُ كما طَيَّبَ المَجْدُ المؤثَّلُ أَصلَهُ

فما مِثْلُهُ في الرَّأْيِ يوجَدُ بَعْدَهُ ولا مثْلَهُ فيهِ رَأَى النَّاسُ قَبْلَهُ

فما حلُّهُ مما يَرى الدَّهرُ عقْدَهُ ولا عقدُهُ مِمَّا يَرى الدَّهرُ حلَّهُ

غَزيرُ العَطايا ما يفارِقُ جِدَّهُ كَريمُ السَّجايا ما يُقارِفُ هزْلَهُ[2]

مناقبهُ لَمْ يُحْصِها ذو بَلاغَةٍ وهَلْ أَحدٌ يُحْصي منَ البَحْرِ رَمْلَهُ

إِليكَ صَفِيَّ الدِّينِ يَشكو مُعَطَّلٌ عَنِ الشُّغْلِ فانظُرْ حيثما شِئْتَ شُغلَهُ

ويا دَهْرِيَ اُطْوِ الجورَ ويْحَكَ واُتَّئِبْ

فَهٰذا صَفِيُّ الدِّينِ يَنْشُرُ عَدْلَهُ

ويا ابنَ عليٍّ قدسموتَ على الورى بمجدٍ أَثيلٍ أَثبتَ اللهُ أَثلَهُ

أَتى رَجَبٌ يسعىٰ إِليكَ مهنِّئاً بوارِفِ سعْدٍ أَسبَغَ اللهُ ظِلَّهُ

وأَبدى هلالاً في السماءِ كأَنَّما ببِشرَ مُحَيَّاكَ الإِلٰهُ أَهَلَّهُ

---

(١) اصحب : لانَ ، وخضع . او صار ذا صاحب .

(٢) قارف : قارب ، وقارف الذنب : خالَطَهُ .

مُنَصِّلُ أَطْرافِ العَوالي ولَمْ يكُنْ ... قَديماً بِهِ ذو التَّبْلِ يُدرِكَ تِبْلَهُ[1]

ولا غرو أن نالتكَ أطرافُ وعكَةٍ ... كما يوعَكُ الرِّئبالُ إذْ كُنتَ شِكْلَهُ

كِتابُكَ مَن أمسىٰ وأَصْبَحَ عائذاً ... بِهِ يلبَسُ الأَمنَ المؤَمَّلَ كُلَّهُ

وأَنتَ الَّذي ما زالَ في كلِّ حالةٍ ... متى نبلُهُ في حادِثٍ نلقَ نُبلَهُ

وما كُنْتَ في نادي العُلوم مُناظِراً ... بِهِ حَفْلَهُ إلاَّ وأَخرَستَ فحلَهُ

كَلِفْتَ بكَسْبِ الحمْدِ تركبُ وعْرَهُ

وتَحْمِلُ في كلِّ المواطِنِ كَلَّهُ[2]

فلا زالَتِ المُدَّاحُ تُهدي بِمدحِها ... إليكَ رَقيقَ الشِّعْرِ منها وجزلَهُ

وقال يمدحهُ :

روحي مذلَّلَةٌ بِحبِّ مُدلَّلَةْ ... أَفلا ترِقُّ مُعزَّةٌ لِمُذَلَّلَةْ

إنْ أَقْبلَتْ قتلَتْ وإنْ ولَّتْ سَبَتْ ... بأَبي المولِّيَةَ القَوامِ المُقْبِلَة

أَنا في هَواها لم أَزَلْ مُتبتِّلاً ... بهوى التي لإِهانتي مُتَبَتِّلَةْ[3]

عِنْدي مِنَ الوَجْدِ المُدَلِّهِ والوَلَهْ ... عِندَ المَلامةِ في هَواها ولْوَلَةْ[4]

---

(١) نصَّل السَّهمَ: جعل فيه نصلاً ، التبل : الثأر .

(٢) الكَلّ : بالفتح : العبء . والثقل .

(٣) تبتَّل : انقطع للشيء ، أو ترك الزواج .

(٤) الوَله : الاولى : اقصى العشق والغرام ، والولولة : صوت الحزن والصياح ، والاعوال .

عَنْ قوسِ حاجِبِها رَمتْ لمَّا رنتْ قلبي بلَحْظٍ سَهْمُهُ ما أَقتلَهْ

ريّا المخَلْخَلِ فَعْمَةُ الأَرْدافِ مثلُ الخُـــوطِ جَمَّشَهُ النِّسيمُ فَميَّلَهْ[1]

ضَمِنَتْ لها اللَّحظاتُ أَلاَّ تَنْتَحي أَحداً بها إلاَّ أَصابتْ مقتلَه[2]

قُلتُ اقتُليني أَسترِحْ مِنْ لوعَةٍ بعذابِ نَفْسٍ بالغَرامِ مُوَكَّلَة

قالتْ عَذابُكَ قَبلَ قتْلِكَ بُغْيَتي عَمداً وقَتْلُكَ سُرْعةً ما أَسْهلَهْ

فَطِنَتْ لِحُكْمِ الجَورِ فِطنَةَ سَيِّدِ الوُزَراءِ للْحُكْمِ الذي ما أَعْدلَهْ

فَبِلَحْظَةٍ منهُ تَعودُ عُفـــاتُهُ عَنهُ مُؤَمِّلَةَ النَّوالِ مُموَّلَة

وإلى صفيِّ الدين استعدي على زَمنٍ عليَّ عَلا فأَلقى كَلْكَلَه[3]

قد أَصْحَبَتْ للصّاحِبِ بن عَلِيٍّ الدُّنيـــا فَلوْ جَمَحَتْ عَفَتْها الزَّلزَلة

وأَنا المؤَمِّلُ مِنْ إِلٰهي فَضْلَهُ فَهوَ الَّذي ما خابَ عَبْدٌ أَمَّلَهْ

للهِ في القاضي الوَزيرِ سَريرَةٌ منهـــا تبوَّأَ مِنْهُ أَعْلىٰ مَنْزِلة

وإذا المواهِبُ من سِواهُ أُجِّلَتْ جاءَتْ مَواهِبُهُ الغِرارُ مُعجَّلة

---

(١) فَعَم الاناء : مَلأه : والمرأة استوى خلقُها وغلظ ساقها : فهي فَعْمة . الرَيَّا : مؤنث الريّان والريح الطيبة . وريّ « بالياء » اسم امرأة علَم . والمُخلخَل : موضع الخلخال . وجمَّش : غازل ولاعب .

(٢) انحى ؛ له بالسلاح : ضربه بـه ، وعلى فلان بالسيف : أقبل عليه ، وانتحى في الأمر انتحاءً : جدّ ، وفي الشيء اعتمد عليه .

(٣) الكلكل : الصدْر ، والمقصود هنا : الثقل .

لا يَعْدَمُ الإِسْلامُ يوماً طولَهُ بِالمَكْرُماتِ وطَوْلَهُ وتَطوّلَهْ

وقال يمدح قاضي القضاة محيي الدين أبا المعالي محمدبن علي القرشي[١] وقد مضى رسولاً إلى حلب وعاد إلى دمشق :

ما فَتَكاتُ البيضِ والسُّمْرِ الأَسَلْ يَسطو بها يومَ الوغى كلُّ بطلْ
أَفْتَكُ من لواحِظٍ غازلنَنَا بِهِنَّ غُزلانٌ تهادى في الكِلَلْ[٢]
مَرَّتْ بِنا يومَ النَّقا جآذِرٌ بيضُ الطُّلى حُمرُ الحُلى سودُ الحُلَلْ
كلُّ فتاةٍ كالقَناةِ لَدْنَةٌ يقعدُها ناهِضةً ثِقلُ الكَفَلْ
قُلوبُنا تَخْزَمُ لا أُنوفُنا وكُلُّ خطْبٍ أَخطأَ الأَنفَ جَلَلْ[٣]
عَن حَبَبٍ وحبِّ مُزْنٍ ولآلٍ وأَقاحٍ يبتَسِمْنَ في الجَذَلْ[٤]
تِلْكَ ثُغورٌ ليسَ فيها كَسَسٌ ولا بِها مِنْ رَوَقٍ ولا يَلَلْ[٥]

---

(١) قاضي القضاة محيي الدين أبو المعالي محمد بن الزكي القرشي الدمشقي الشافعي ولد سنة ٥٥٠ ﻫ وليّ قضاء دمشق وأضيف اليه قضاء حلب وهو من اسرة قضاة شهيرة .

(٢) الكلل : جمع كِلّة : وهي نسج رقيق يخاط كالبيت .

(٣) الجلل : من الأضداد يطلق على الصغير والكبير من الأمور .

(٤) حبُّ المُزْن : البَرَد .

(٥) الكسَس : قِصَر الاسنان أو صِغَرها والفعل منها كَسَّ كسّاً . واليَلَل أيضاً قصر الأسنان وانعطافها الى الداخل وصفتُها . للرجل الأيَلُّ وللمونث يَلاّء . والرَّوَق : أن تطول الثنايا العليا على السفلى وهو من معايب الاسنان .

سارَتْ بِهِمْ حداتُهم لكِنَّني   أَوسَعْتُهمْ سَبًّا وراحوا بالإِبِلْ [(١)]

مَهْلاً بقَلْبي في الهوى يا عاذِلي   مَهْ لا تَلُمْني ، سَبقَ السَّيفُ العَذَلْ

أَوقعني طَرْفِيَ في حتفي فلا   تَلُمْ فمكْرَهٌ أَخوكَ لا بَطَلْ [(٢)]

لا ذُقتَ من ذاكَ اللَّمىٰ ياعاذِلي   فإنَّ للهِ لجنْداً من عَسلْ

ما كان لي في الصَّبْرِ مُذْ بانوا ولا   السُّلُوِّ عَنهُمْ ناقةٌ ولا جَمَلْ

آليْتُ لا أَسمعُ فيهمْ واشِياً   يُزَخْرِفُ القولَ ومنْ يسْمَعْ يَخَلْ [(٣)]

إِنّي لَميْتٌ بعــدَ توديعِهِمُ   لَبِّثْ قَليلاً يلحقِ الهَيْجا حَمَلْ

سُحّي جفوني لا تَشِحّي واْهتِفي   بأَدْمُعي حَيَّ علىٰ خَيْرِ العَمَلْ

بِحُبِّ مَنْ أَراهُ لا مَثلَ لهُ   في الحُسْنِ يَوْماً ،أَنافي الحُزْنِ مثَلْ

أَلحاظُهُ أَرْمىٰ إذا غازَلَنــا   بِهنَّ في الأَحْشاءِ من بني ثُعَلْ [(٤)]

بلْ لفْظُ مُحيي الدينِ أَمضىٰ أَسْهُماً   في صَدْرِ مَن ناضَلَهُ إِذا اْسْتَدَلّْ

---

(١) الشطر الثاني من هذا البيت مقتبس حرفياً من مثل قديم « اوسعهم سباً وراحوا بالأبل » في قصة معروفة .

(٢) وهذا الشطر ايضاً مع قسم من شطر البيت السابق مقتبسان من مثلين عربيين قديمين .

(٣) يبدو ان الاشطار الاخيرة من هذه القصيدة كلها مقتبسة من امثال منظومة قديماً . والمقصود بهذا الشطر أن : من يسمع يظن .

(٤) ثُعَل : فخذ من قبيلة طيِّء المعروفة .

حبرٌ لَدَيْهِ مَن وراءَ النّهرِ في الجِدالِ يَلْقى البحرَ بالماءِ الوَشَلْ
خُصومُهُ مثلُ البُغاثِ ذِلَّةً وهُوَ يُرى الأَجْدَلَ في عِلمِ الجَدَلْ
يَضرِبُ في كل العُلومِ باليدِ البَيْضاءِ لا سوءَ بها ولا شَلَلْ
وكُتْبُهُ الكتائِبُ الشُّهُبُ إذا أنشأها مبتدِهاً أَوْ مُحْتَفِلْ[1]
عِبارَةُ الفاضِلِ في كِتابهِ ترمي سُطورَ ابنِ هِلالٍ بالخَجَلْ[2]
أَبي المَعالِيَ أمرؤٌ لَمْ يمتَدِحْ أَبا المعالي ولَبِئْسَ ما فَعَلْ[3]
يَهْتَزُّ للجَدوى اهْتِزازَ صارمٍ يَهْتَزُّ يومَ الرَّوْعِ في كفِّ البَطَلْ
شاوِرْهُ أَوْ حاوِرْهُ أو جاوِرْ تَجِدْ قَيساً وقُساً والسَّمَوْأَلَ الأَجَلْ[4]
اسْتَغْفِرُ اللهَ وأَيْنَ مِنْهُ في السُّؤْدَدِ أَرْبابُ المَكارِمِ الأُوَلْ
يا ابنَ عليٍّ القُرَشيِّ يا مُحَمَّدُ اسْتَمِعْ ما قُلْتُ غيرَ مُنْتَحِلْ
جاءَ كَرَوْضِ الحَزْنِ مَمطوراً بصَوبِ المُزْنِ إذْ جادَ عَلَيْهِ وَوَبَلْ[5]
قَدِمْتَ خيرَ مَقْدَمٍ فَكُنْتَ كالغَيثِ أَتى مِنْ بعد جَدْبٍ فَهَطَلْ

---

(١) الابتداه من البديهة : الارتجال ، والقول على البديهة . واحتفل : للشيء : تهيأ له واستعدّ .
(٢) الفاضل : هو القاضي الفاضل ، وابن هلال : احد الخطاطين المشهورين .
(٣) أبو المعالي هو الممدوح نفسه .
(٤) قيس وقُس والسموأل : أعلام مشهورة عند العرب .
(٥) وَبَل : امطر بشدة . والاسم : الوَبْل .

وعايَنَ الظَّـــاهِرُ منكَ عالمَاً　　في عالمٍ أَدْركَ بالعِلْمِ الأَمَلْ

أَغْزَرُ من بحرٍ خِضَمٍّ عِلْمُهُ　　وحِلْمُهُ أَرْزَنُ مِنْ كلِّ جَبَلْ

فَعِرضُهُ في حَرَمٍ وماله　　في حَرَبٍ مِمَّنْ عَراهُ فَسَأَلْ[1]

يفْعَلُ خَيْراً ويَقول مِثْلَهُ　　وكمْ رَأَينا قائِلاً وما فَعَلْ

قُدومُهُ سَرَّ دِمشقَ بعدَ ما　　ساءَ وُجوهَ أَهْلِها حينَ رَحَلْ

لَمْ يُرَ منهمْ غيرُ ما مستوحِشٍ　　أَو مُنْطَوٍ فُؤَادُهُ على وَجَلْ

فالخَيْرُ ساعٍ مَعَهُ حَيْثُ سَعىٰ　　مُصاحِباً ونازِلٌ أَيْنَ نَزَلْ

يا حَلَب البيضاءَ قد وافاكِ مِنْ　　مُحَمَّدٍ في دَهْرِنا خيرُ الرُّسُلْ

ذاكَ هوَ القاضي الَّذي أَقْلامُهُ　　بها الأَقاليمُ تُساسُ والدُّوَلْ

كم مُشكِلاتٍ حَلَّهـــا ببابِهِ　　فكانَ مفْتاحاً لما منها انقفَلْ

ذو مُحْتِدٍ زاكٍ ومَجْدٍ بازِخٍ　　ومَنْصِبٍ يَعْلو كما تَعلو القُلَلْ

نادَتْ أَياديهِ بطُلاَّبِ النَّدىٰ　　هَلُمَّ تَلْقَوا عَلَلاً بَعْدَ نَهَلْ[2]

لِعَزْمِهِ أَصْحَبَ كُلُّ شامسٍ　　وكُلُّ ما عَزَّ بِغَيْرِ اللهِ ذَلّْ

يا مُحيَي الدينِ أَبقَ في سَعادَةٍ　　ما سارَ في البِلادِ رَكْبٌ وَقفَلْ

---

(١) الحَرَب المال المسلوب، ومنها : واحَرَبا ، دليل الفقد والخسار والشدّة. وحَرَبه : أخذ ماله .

(٢) العَلَل والنَهَل : نوعان من الشرب .

ولا تَزلْ في عاجِلِ النَّصْرِ مدى الدَّهــــرِ وفي مُسْتَأْخِرٍ مِنَ الأَجَلْ
في ٱبنكَ نلْتَ كُلَّ ما أَمَّلَهُ أبوكَ فيكَ منْ رَجاءٍ وأَمَلْ
فأنتَ بينَ العُلَمــــاءِ كُلِّهِمْ كَمِلَّةِ الإسلامِ حسناً في المللْ
كأَنَّ أَهْلَ الشامِ فيهِ مُقلٌ ناظِرَةٌ وأَنتَ نورٌ في المُقَلْ

وقال وكتبها إلى الشيخ الأَجلّ تاج الدين[1] أبي اليمن الكندي وقد وقع عن البغلة :

مَنْ لامَ لِأَنْ كَبَتِ البغلةْ فَلَذَلِكَ أَحْمَقُ مِنْ رِجْلَهْ[2]
لِمَ لَمْ تُصْعَقْ لمّا حَمَلَتْ تفصيلَ العــالَمِ والجُمْلَه
وسِحرَ ٱلْعِلْمِ وطَودَ الحِلْمِ كَبَتْ وسواهُ ٱخْبُرْ تَقْلَهْ[3]
فهنيئاً زَيدُ لَكَ اطْرِغْشاشُكَ وابْرِغْشاشُكَ والمَهْلَهْ[4]

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) الرِّجلَة : البقلة الحمقاء « البقلة المعروفة » وهي تنبت في المسايل والطرق ومن هنا جاء المثل : هو أحمَقُ من رجلَة .

(٣) قلا يقلي : كره يكره : وأصلها : تقليه وقد حذفت الياء لأن الكلمة وقعت مجزومة بجواب الأمْر « اخبُرْ » . و « اخبرُ تَقلَه » قول قالَهُ أبو الدرداء ؛ وهو يعني أن مامن أحد إلا وهو مكروه الفعل عند الخبرة .

(٤) طَرْغَش المريض من مرضه : برأ ومَشى ، واطرغشَّ المريض اطرغشاشاً . وابر غَشَّ من مرضه : برأ ومشى ، وقد سقطت النقطة عن العين في الأصل . والمهلة : التؤدة والهدوء .

مَنْ شكَّ بأنَّكَ سَيِّدُ أَهْلِ الفَضْلِ فذاكَ هُوَ الأَبلَهْ
ما أَسْعَدَ مَنْ منهُمْ وافـــاكَ وقَبَّلَ كفَّكَ بالقُبْلَةْ
فالعـــالَمُ كُلُّهُمْ عَـيْنٌ يا مَنْ هُوَ إنْسانُ المُقْلَهْ
حَسَدَتْ بغدادُ دِمَشْقَ عَلَيْـــكَ وثوْرةُ حاسِدُها دِجلَهْ[1]
وتُحِبُّ المَجْدَ محبَّـةَ عَنْـــتَرَةَ العَبْسِيِّ رِضَى عَبْلَةْ
أَنا مِنْ تَقْصيرِيَ معتَـــذِرٌ لا قوَّةَ لي إلاَّ باللّهْ
كَمْ ذي حَسَدٍ وافاكَ فعـــادَ شَديدَ العِلَّةِ والغُلَّةْ
وثَبَتَّ لأَعْـــداءٍ وَثَبَتْ فكَبَتْ وكَبَتَّ ذوي الذِّلَّة
آدابُكَ لَوْلا حِرْفَتُهـــا صُيِّرْتَ إمامـــاً لِلمِلَّة[2]

وقال يصف حُبَّه الزبداني واودي بردى :

إذا جُزْتما بالعيسِ دورةَ آبِلِ[3] فَداسَتْ بأَيديها تُرابَ المزابِلِ
أَعِيرا يَسارَ الرَّكْبِ لفْتَةَ ناظِرٍ إلى بَرَدى والرَّوْضِ ذاتِ الخَمائِلِ
هُنالِكُما نَهْرٌ يُرى النيلُ عِندَهُ إذا فاضَ في مِصرٍ كَبعْضِ الجَداوِلِ

---

(١) ثورة : نهر بدمشق من فروع بردى . ودجلة : نهر بغداد المعروف .
(٢) يعرض هنا بحرفة الأدب التي تفقر صاحبها من قولهم « ادركته حرفة الأدب ».
(٣) آبل : قرية كبيرة في أعالي وادي بردى وتسمى اليوم « سوق وادي بردى » وفي جبل هذه القرية اليوم مزار يدعى « النبي هابيل » قد تكون له علاقة بهذه التسمية .

يُخالُ بهِ النِّينوفَرُ الغَضُّ أَنْجماً ... سَمَتْ في سَماءِ الماءِ غيْرَ أَوافِلِ
كأَنَّ طُيورَ الماءِ فيهِ عَرائِسٌ ... جُلينَ على شاطِيهِ خُضْرَ الغَلائِلِ
إذا كَرَعتْ فيهِ تَيقَّنْتَ أَنَّها ... تَزقُّ فِراخاً وهيَ زُغْبُ الحَواصِلِ
وكَمْ سَمَكٍ فيهِ عَلَيْهِ جَواشِنٌ ... مِنَ التِّبْرِ صيغَتْ وهْوَ بادي المقاتِلِ[1]
جَريحٌ بأَطْرافِ الصَّفا فَخَريرُهُ ... أَنينٌ لهُ مِنْ مَسِّ تِلْكَ الجَنادِلِ
إذا قابَلَ النَّهْرُ الدُّجى بِنُجومِهِ ... أَرانا بِقَعْرِ الماءِ ضَوْءَ المَشاعِلِ
يُغَلْغِلُ في الوادي فَوافى كَفِيَّةً ... مُنَعَّمَةً حَسناءَ لَيْسَتْ بعاطِلِ[2]
فعانَقَها حتَّى انثَنَتْ مُشْمَعِلَّةً ... تَفُكُّ على ظَهْرِ الصَّفا بَطْنَ حامِلِ[3]
فأَوْلَدَ عينَ الفيجَةِ الأَنْهُرَ التي ... دِمشقُ بها في أَبْحُرٍ وسَواحِلِ[4]
أَلا إنَّ في الوادي ظِباءً جُفونُها ... بها كَحَلٌ أَزرى بما في المَكاحِلِ
وبالبُقْعَةِ الفيحاءِ عوجا فإنَّها ... تَهيجُ لِرائيها رَسيسَ البَلابِلِ[5]

---

(١) وردت كلمة « هو » الضمير في الشطر الثاني من هذا البيت مؤنثة (هي) وهو خطأ .

(٢) الكفيّ : الكُفء ، والكفيّة : الجديرة والكفء .

(٣) شمعَلَ القوم : تفرقوا ، واشمعلّ الرجل اشمعْلالاً : جدّ في المضيّ والطلب . واشمعلّت الغارة : انتشرت . فكّ : فصَل وخلّص . وتفك بطن حامل : أي تضع حملها .

(٤) عين الفيجة : عين تقع إلى غربي دمشق وهي التي تشرب منها المدينة .

(٥) البقعة هنا : اسم موضع . والرسيس : الشيء الثابت ، وابتداء الحمّى .

وبالسَّفْحِ من أَعليْ سنيرٍ مَنازِلٌ نَعِمْتُ بِها ، واهاً لها مِنْ منازِلِ[1]

مضَتْ بِمضايا لي ليـالٍ حَميدَةٌ جَنَيْتُ الرِّضى منها بإسْخاطِ عاذلي[2]

ليـاليكِ يا بُقِّينُ بقَّيْنَ في الحَشا هَوىً جارِياً مَجْرى دمي في مفاصِلي

وبالزَّبَداني زُبدةُ العَيْشِ جـاءَني

بِها المحضُ مِنْ مَحضِ الضُّروعِ الحَوافِلِ

ومازالَ رَبْعُ الأُنْسِ منْ كَفْرِ عامِرٍ

يُرى عامِرَ الأَرْجاءِ عَذْبَ المناهِلِ[2]

وكَمْ فُزْتُ في الكبرى بكبرى المُنى مِنْ

الزَّمانِ وصُغْراها بتِلْكَ المحافِلِ[2]

وفي عَينِ حُورٍ حُورُ عِينٍ فواتِكُ م اللِّحاظِ فِصاحُ اللَّفْظِ خرسُ الخلاخلِ

وبالدُّلَّةِ الحُسْنُ البديعُ مُخَيِّمٌ لَهُ أَثَرٌ فيهـا قويُّ الدَّلائِلِ

ودَيْرُ قُبَيْسٍ جَنَّةٌ أَيُّ جَنَّةٍ مَشارِبُهـا مَشْفوعَةٌ بالمآكِلِ

وزورا بَلُودانَ المنيفَةَ تَظْفَرا بعَيْشٍ هَنيءٍ رَبعُهُ غَيْرُ ماحِلِ

---

(١) سنير : هو جبل النبك : وقد ذكره ابو العلاء بقوله :

فليت « سنيراً » بان منه لصحبتي بروقيْ غزال مثل روق غزال

(٢) الأماكن التي وردت في هذا البيت والأبيات التالية كلها مصايف لدمشق وهي : « مضايا » و « بقين » و « الزبداني » و « كفر عامر » و « الكبرى » و « عين حور » و « الدُلَّة » و « دير قبيس » و «بلودان » و « دمّر » و « آبل » و « جديّدة » .

أَحِنُّ إلى أَفيــاءِ أَسْحارِ دُمَّرٍ وأَصبو إِلىٰ الظِّلِّ الظَّليلِ بآبلِ
ويا حَبَّذا تِلْكَ الجُدَيِّدَةُ الَّتي مَرابِعُهــا مَعْمورَةٌ بالمَناهِلِ
مَرابِـعُ قد أَلقىٰ الرَّبيعُ جِرانَـهُ بها مُقْسِماً أَنْ ليسَ عنها براحِلِ[1]

وقال :

أَلاَ هَلْ إلىٰ الخِلِّ الوَصُولِ وُصولُ فَمِنْ بَعْدُ ما الصَّبْرُ الجميلُ جَميلُ
وبي غُلَّةٌ جسمي بها حِلْفُ عِلَّةٍ فَهَلْ لي إلى وِرْدِ الشِّفاءِ سبيلُ
يُحَلِّئُني عنــهُ الفراق وسَبْسَبٌ عَريضٌ كأَيّامِ الصُّدودِ طَويلُ[2]
وهَلْ بِسِوىٰ قُرْبِ الحَبيبِ ووصلِهِ يُبَـلُّ غَليلٌ أَوْ يُبَـلُّ عَليلُ
أَأَحبابَنا أَمّا الأَسى فَهُوَ عِنْدنا كَثيرٌ وأَمّـا الصَّبْرُ فهوَ قَليلُ
إذا شَمَلَتْ ريحٌ سَكِرْتُ صَبابَةً وَوَجْداً فَهَلْ ريحُ الشَّمالِ شَمولُ[3]
وارتاحَ إِنْ هَبَّتْ قَبولاً وكَمْ جرَتْ قَبولٌ لها عندَ القُلوبِ قُبولُ[4]

---

(١) الجِران : مقدَّم عنق البعير .

(٢) حلأه : ابعده ، ازاحه . والسبسب : الصحراء .

(٣) شملت الريح : جاءت من الشمال ، والشَمول : الخمرة ، وكلمة « فهل » في الشطر الثاني وردت في الأصل « فهو » وهو خطأ .

(٤) القَبول والدَّبور : نوعان من الريح . القَبول : ريح الصبا لأنها تقابل الدبور ، أو هي تقابل باب الكعبة أو لأن النفس تقبلهـا . والدَّبور ريح تقابل الصَّبا وهي الغربية .

أُليحُ إذا البَرْقُ الحِجازِيُّ لاحَ لي | على القَلْبِ من وجدٍ عَلَيهِ يَصولُ[1]
فألزَمُهُ بالعَشرِ عَشْرِ أَناملي | وينفضُها حتى يَكادُ يزولُ
إذا افتَخَرَتْ مِصْرٌ عَلَينا بنيلِها | فَدَمْعي فُراتٌ في دمشقَ ونيلُ
(يَزيدُ) يزيدُ القَلْبَ شوقاً إليكُمُ | و(ثورا) أسيرُ الوَجْدِ فهو جَليلُ[2]
وأَبكي لدى (باناسَ) للبينِ والأَسىٰ | ومِنْ بَرَدىٰ حرٌّ الفِراقِ دَخيلُ
وفوقَ غُصونِ البانِ وُرْقٌ هَواتفٌ | تمايَدُ بي الأَشْواقُ حينَ تميلُ
تَبوحُ بِشَكْواها وتكْتُمُ دَمعَها | وأَكْتُمُ وَجْدي والدُّموعُ تَسيلُ
كِلانا قريحٌ بالفِراقِ فؤادُهُ | فلي ولها إلفٌ نأىٰ وهَديلُ[3]
أَلا فاعْذُروني في مقالي فإنني | لفي دَهْشَةٍ لم أَدْرِ كيفَ أَقولُ
عَلَيكُمْ سَلامٌ يَحْسُدُ المِسْكُ عَرفَهُ | ونَشْرُ الخُزامىٰ والنَّسيمُ عَليلُ

وقال :

بقَلْبِيَ من حَرِّ الفِراقِ غَليلُ | فهل لي إلىٰ رَوْحِ الوِصالِ وُصولُ[4]

(١) أُليح : أحاذر ، أخاف .
(٢) يزيد وثورا وباناس وبردى : أنهر في دمشق .
(٣) الهديل : صوت الحمام ، أو هو فرخ على عهد نوح مات عطشاً فالحمام يبكي له « اسطورة » .
(٤) الرَوْح : الراحة .

جُفُوني قِصارٌ مثلُ أيّامِ وَصْلِكُمْ وليلي كأيّامِ الفِراقِ طَويل

وأقْبَحُ ما عِندي المَلامةُ في الهوىٰ وما عِنْدِيَ الصَّبرُ الجَميلُ جميلُ

بَكَيْنا ليومِ البينِ حينَ بَكى لنا حَسودٌ وواشٍ رَحمةً وعَذولُ

فَلا عَينَ إلاّ وهيَ عَينٌ مَعينَةٌ ولا خَدَّ إلاّ خُدَّ فيهِ مَسيلُ[1]

وساروا ووَلَّيْنا ومنّا ومِنْهُمُ العيـــونُ الصَّحيحاتُ النَّواظِرِ حُولُ

وكلٌّ لَهُ وَخدٌ يخالِفُ سَيْرَهُ يُمَيِّلُهُ تِلقـــاءَهُ فَيميلُ[2]

رَعىٰ اللهُ أيّاماً مضَتْ بِإجتماعِنـا ولمّا يَرُعْنـــا بالفِراقِ رَحيلُ

وليلَةَ وافانا الحَبيبُ وَهبَّتِ الشَّـــمالُ كأنْ منهـــا تُدارُ شَمولُ

تَقابلَ جِسمي والنَّسيمُ ولحظُهُ فَكُلٌّ على حُكْمِ القِياسِ عَليلُ

مَتىٰ يُرَ معشوقٌ يودِعُ عاشِقاً فمـــا ذاكَ إلاّ قاتِلٌ وقَتيلُ

قليلُ الهَوىٰ عندي كثيرٌ وَوَصْفُهُ وإنْ أسْهَبَ العُذّالُ فيهِ قَليلُ

مَتىٰ يَشتَفي بالقُرْبِ قلبي من النَّوىٰ وتُطْفَأُ نيرانُ الجَوىٰ فَتَزولُ

فوا جزَعي في الحُبِّ من لَوْعَةِ الأسىٰ فَهَلْ لي على حُسْنِ العَزاءِ دَليلُ

أظُنُّ ليالي البَيْنِ لا دَرَّ دَرُّها لها عِنْدَ قلبي المُسْتَهامِ ذُحُولُ

---

(١) المَعين : الماء الجاري على وجه الأرض والمعين أيضاً : المُصاب ، ومنه : مَعُنَ الماء. وخَدّ : حفر خداً أو أخْدوداً ، ترك وسماً في الخَدِّ أو مجرى.

(٢) وردت كلمة «وخد» بدون نقطة على الخاء ، والوخد نوع من السير .

ذَلَلْتُ وقدْ كُنْتُ العَزيزَ صَبابَةً   وكُلُّ عَزيزٍ لِلغَرامِ ذَليلُ
هَلِ الحَدَقُ السُّودُ التي لَحَظاتُها   صَوارِمُ بيضٌ ما بِهِنَّ فُلولُ
نبَضْنَ سِهاماً عنْ قِسِيٍّ حواجِبٍ   لَهُنَّ بحبـاتِ القُلوبِ نُصولُ[1]

وقال :

كَمْ أَشْتَكي في الهوى مَلالَكْ   وأَشْتَهِي خاليـاً وِصالَكْ
يا خُوطَ بانٍ في الحِقْفِ قدًّا   إعْدِلْ فَما أَحْسَنَ اعْتِدالَكْ
زَيِّنْ ، بفِعْلِ الجَميلِ يا مَن   حازَ جمالَ الوَرى ، جَمالَكْ[2]
فأَنْتَ بدْرٌ مـا نَقْصُ حـالي   إلاَّ لِأَنِّي أَهْوى كَمالَكْ
يا كاسفـاً في الزَّمان بـالي   لا كَسَفَ اللهُ فيـهِ بالَكْ
أَجِرْ مُحِبّـا أَطـالَ ، لَمَّا   جَفَوْتَهُ ضارِعـاً ، سُؤالَكْ
أَنْجِزْ فَمَطْـلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ   أَطَلْتَ يا ذا الغِنىٰ مِطـالَكْ

وقال :

ماحَرَّكَ الشَّوقُ ذِكراً منكَ بالبالِ   إلاَّ وزادَ بِهِ وَجْدي وبَلْبَالي

---

(١) نبضْنَ : رَمَيْنَ .

(٢) جَمالَك : نصبت على أنها مفعول به لـ « زَيِّن » في أول البيت وفاعل « حاز » ضمير يعود على اسم الموصول في الشطر الأول « مَنْ » .

وطيبُ ذِكْراكَ لي أُنسٌ أَلَذُّ بِهِ فَما أُرى عَنْهُ بالسّاهي ولا السالي

ولَسْتُ أَذْكُرُ هذا كي أَمُنَّ بِهِ على الّذي مَوطِنُ الذِّكْرى لَهُ لالي

فَحَظُّهُ كل إعزازٍ لَديَّ وإنْ جفا فَحظي لَدَيْهِ كلُّ إِذْلالي

لَمْ يُعْنَ يوماً بعانٍ في هَواهُ ولَمْ يُنْقِذْ بوصْلٍ مُعَنىً باللَّظى صالي

هُوَ المُقيمُ على هَجرِ المُقيمِ وما جَنا، قِيامَةَ لُوّامٍ وعُذّالِ[1]

يُستَحسَنُ الخالُ في الخدِّ المَليحِ وكم

في ذا العِذارِ فَدتكَ النَّفسُ من خالِ

ياصاحِ دَعْني من الجُرْدِ الخُدودِ فما أَهْوى رِياضَ المُنى تُمنى بإمحالِ

أَما تَرى حُسْنَ مِسكيِّ العذارِ حكى مَدَبَّ ذرٍّ فُوَيقَ الأَرْضِ مُنهالِ[2]

لَوْ كُنتَ تَقرأُ خَطًّا زانَ عارِضَهُ ما كُنتَ في حُبِّهِ يوماً بِعَذّالِ

إنَّ الخُدودَ بِلا نَبْتٍ يُزَيِّنُها رَبعُ الأَحبَّةِ من سُكّانِهِ خالِ

لا تَحْسَبَنِّي رَخيصاً إنْ خَضَعْتُ لِمَنْ أَهوى فَإِنَّ الهَوى قد يُرْخِصُ الغالي

بي أَهيفٌ ضامِرُ الكَشْحَيْنِ معْتَدِلُ القَوامِ لا ذاتُ أَسْوارٍ وخَلْخالِ

متى انْثَنى اسْتَحْيَتِ الأَغْصانُ منهُ وإنْ رنا رَمى الرِّيمَ مذعوراً بأَحْجالِ[3]

---

(١) المقيم الأولى : من الاقامة ، والبقاء . والثانية من القيامة ، والقصد التجنيس .

(٢) المدَبّ : المكان الذي يدب فيه النمل والمُنهال : المنحدر .

(٣) الاحجال : جمع حجل وهو القيد ، أو الخلخال وحَجلَهُ أيضاً : صرعَهُ .

ما العيشُ إلاَّ هوى أَحوى أَغَنَّ غضيضِ الطَّرْفِ من كلِّ حُسْنٍ رائع حالي

يَزينُ حُسْناً بإحسانٍ ويرقُمُ حُلَّـةَ الجَمالِ لمنْ يَهْوى بإجمـالِ

يجنيكَ من خدِّهِ وَرداً يَمُجُّ ندىً ومِن لَماهُ رضاباً مثلَ سَلْسالِ

ما بالُ أَجْفانِهِ سَكْرى مُعَرْبِدَةً يَصْرَعْنَنا بفُتورِ اللَّحْظِ في الحالِ

والرَّاحُ تَطويهِ أَحيـاناً وتنشرُهُ وَرِدْفُهُ بينَ إعْنـاتٍ وزَلزالِ

ما كَسَّرَتْ منهُ جفناً غيرَ مُنكَسِرٍ ولا أَمالتْ قَضيباً غَيْرَ مَيّالِ

لكنْ تَلاطَمَ منهـا خَطْوُهُ فَمَشى بينَ النَّدامى نزيفاً مشيَ مختالِ(١)

لَوْلا التِذاذُ ندامـاهُ برُؤْيَتِهِ لَما اشْرَأَبّوا إلى تشرابِ جِريالِ(٢)

وقال :

بكاظِمَةٍ قفوا وسَلُوا أَقامَ الحَيُّ أم رَحلوا

إن ارتَحَلوا فعن قلبي هواهُمْ ليس يرتَحِلُ

فؤادي فيـه مشتَغِلٌ وفَوْدي فيـهِ مُشْتَعِلُ

ولستُ أَشُحُّ يوماً أَنْ أَسُحَّ الدَّمْعَ ينْهَمِلُ

هُمُ وَصَلُوا إلى قتلي بِبَيْنِهِمُ ومـا وَصَلوا

(١) النزيف والمنزوف : الشديد السكر ، والشديد الظمأ .

(٢) الجريال : الخمرة الشديدة الحمرة ، وهي اعجمية اصلها : « كريال » وهو الصبغ الأحمر أو حمرة الذهب .

بكَيْتُ برَبعِهِمْ حَتى بَكا من رَحْمَتي الطَّلَلُ
ففي قلبي لِبيْنِهِمُ جُروحٌ ليس تندَمِلُ
وكَمْ لي حنّةٍ مِنْ حَـــرِّهـــا تتأوَّهُ الإِبلُ
أبوْا أَن يرْحَموا حالي فقدْ ضاقتْ بِيَ الحِيَلُ
وأحناءُ الضُّلوعِ على لهيبِ النارِ تَشْتَمِلُ
فإِنْ دامُوا على هَجْري فلا سَهلٌ ولا جَبَلُ
نأَوْا فأَقامَ في قلبي الهَـــوى والوَجْدُ والوَجَلُ
وقيلَ اصْبِرْ فقلتُ أَخـــافُ أَنْ لا يَصْبِرَ الأَجَلُ
ومهما صُنْتُ مِنْ سِرٍّ فبالأَجْفـــانِ يُبْتَذَلُ
وغُزْلانٍ حِسانٍ في سِواها يَقْبُحُ الغَزَلُ
هَزَزْنَ وقد مَشَيْنَ لنـا القـدودَ فحارَتِ الأَسَلُ
وما فَعَلَتْ سُيوفُ الهِنْـــدِ ما فعلتْ بنا المُقَلُ
وأَغناها عَنِ التَّكحيـــلِ في أَجفانِها الكَحَلُ
فَلِلتُّفّاحِ من تلكَ الخُـــدودِ سَوافِراً خَجَلُ
أَما وَشِفاهُهُنَّ اللُّعْـــسُ منهـــا يُجْتَنى العَسَلُ
شِفاهٌ فاز مَن أَمستْ تشـــافِهُهُ بهـا القُبَلُ

لو أنَّ العـاذلينَ رأَوْا مَحاسِنَهُنَّ ما عَذَلوا
فلي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ في بني الدُّنيـا بها شُغُلُ
يُخامِرُ ريقَهُنَّ الخمْرُ منهـا العَلُّ والنَّهَلُ
ففي لَحَظاتِهـا سُكْرٌ وفي أَعطافِهـا ثَمَلُ

وقال :

لَحظاتُ طَرْفِكَ أَمْ نُصولُ فَعلى القُلوبِ بها تَصولُ
وصَلْتَ إِلى قَلبي وليـسَ إِلى وصالِكَ لي وُصولُ
وهلِ الشَّمائِلُ هَزَّها مَرُّ الشَّمالِ أَم الشَّمولُ
تِلْكَ الفروع قواتِلي عَمْداً بِها تِلْكَ الأُصولُ
منها حَصَلْتُ على الغَرامِ وفاتَني مِنكَ الحُصُولُ
أَنتَ الَّذي في حُبِّـهِ عُقِلَتْ عنِ الصَّبْرِ العُقولُ
أَنتَ الَّذي حازَ الجمالَ وما لَهُ فِعْلٌ جميلُ
أَصْبَحْتُ أَعْشَقُ مَنْ هواهُ قـاتِلي وأَنـا القَتيلُ
ما مَسَّ نرجسَ مُقْلَتَيْهِ وَوَرْدِ خَدَّيْهِ ذُبُولُ
اعْدِلْ بِحِبِّكَ قبْلَ أَنْ يمضي فقدْ حانَ الرَّحيلُ

صِلْني بذي الدُّنيا فإنَّ مُقامَنا فيها قليل[1]

ليلي وشَعْرُكَ فاحِمانِ كِلاهُما وحْفٌ طَويل[2]

بي أَكْحَلُ الأَجفانِ يَحْسُدُ طَرفَهُ الرَّشأُ الكَحيلُ

فَرُضابُهُ العَسَلُ المُصَفَّى والشَّرابُ السَّلْسَبِيلُ

مالي إلى السُّلوانِ ،عنهُ وإن كَوى كَبِدي، سَبيلُ

وقال :

هَبَّ نسيمٌ بالطَّلِّ مبلُولُ	منهُ نِظامُ الرِّياضِ محلُولُ
مَرَّ بِرَيْحانِها تَنَفُّسُهُ	بينَ البساتينِ وهو مَطْلولُ
ينْتَشِرُ التِّبْرُ واللُّجَيْنُ مَعاً	بِمَرِّهِ والياقوتُ واللولُو
والدَّوْحُ فيهِ الغُصونُ مائِلَةٌ	فَكُلُّهُ فاعِلٌ ومَفْعولُ
والنَّرْجِسُ الغَضُّ طرفُهُ غَنِجٌ	بِصُفْرَةِ الزَّعفرانِ مكْحولُ
وقدْ تَبَدّى شَخْصُ البَنَفْسَجِ في	بُرْدٍ يمانٍ والبُرْدُ مَغسولُ[3]

---

(١) التفت الشاعر في هذا البيت الى بيت المتنبي الشهير :

وصِلِينا نَصِلْكِ في هذه الدنيا فانَّ المُقام فيها قليلُ

(٢) الوحف : الشعر الكثير الأسود الحسن ، والجناح الكثير الرِّيش ، والنبات الريان .

(٣) المعسول : الذي استحلي ، وكل ما استحلي فهو معسول .

وفي أكُفِّ المَنْثُورِ منتَظماً من كلِّ لَوْنٍ يروقُ مَعْمولُ
والطَّيرُ فوقَ الغُصونِ صادِحَةً كأنَّهـا نِسْوَةٌ مثاكيل[1]
والنَّبْتُ منهُ على الثَّرى نُشِرَتْ من كلِّ زهرٍ زاهٍ مناديلُ
والصُّبحُ رومِيُّهُ أغارَ علىٰ زِنجِيِّ ليلٍ والسَّيْفُ مسلولُ
علىٰ ظُبىٰ السيفِ حُمْرَةٌ شَهِدَتْ يا صاحِ أَنَّ الزنجيَّ مقتولُ
أدركَهُ وهوَ راكِبٌ سَحَراً طِرْفاً له غُرَّةٌ وتَحجيلُ
فمكَّنَ السَّيْفَ من مفارِقِهِ فَهوَ قتيلٌ لم يُبْكَ مَطْلولُ
فَهاتِ كأسَ المُدامِ مُتْرَعَةً كأنَّها في الظَّلامِ قِنْديلُ
حَبابُها للهُمومِ إنْ طَرَقَتْ من عَبَّ فيها طَيرٌ أَبابيلُ[2]
رامِيَةً في هامِ الهُمومِ سُطاً حِجارَةً أَصْلُهُنَّ سِجِّيلُ[3]
فهُنَّ صَرْعى من المُدامِ وقَدْ شُبِّهْنَ بالعَصْفِ وهُوَ مأكولُ[4]
راحٌ تولَّى السُّرورُ شارِبَها فانصَرَفَ الهَمُّ وهُوَ مَعْزولُ

---

(١) مثاكيل : جمع ثكلى .

(٢) أبابيل : مفرَّقة كقطعان الإبل ، وهي جمع لا واحد له ، أو أن واحدها أبُّولٌ أو إبَّوْل ، وهو الطائر الذي ينفرد عن رفّه .

(٣) السجّيل : حجارة كالمَدَر وهي معربة عن « سنك وكل » أي حجارة وطين .

(٤) العصف : التبن ، أو ما على ساق الحنطة من ورق يابس .

وقال :

وبابليٌّ اللحْظِ حُلْوِ اللَّمى ... في خدِّهِ الوَرْدُ الَّذي لا يَحُولْ
بِرِدْفِهِ ثِقْلُ غَرامي بِهِ ... وَخَصْرُهُ مثلي براهُ النُّحولْ
أحالني طَرفي على خَدِّهِ ... بقبلةٍ فيهِ وكَيْفَ الوُصولْ
فقالَ لا أَقبَلُ والشَّرْعُ لا ... يُحْكَمُ فيهِ باشْتِراطِ القَبولْ
وهوَ على ذا التيهِ لا أَنثني ... عنهُ بما فيهِ يقولُ العَذُولْ

وقال وكتبها إلى أخيه عماد الدين وكان في جوسَقِ بُستانٍ بظاهِر دمشق :

تَمَتَّعْ بأنفاسِ الضُّحىٰ والأَصائِلِ ... وحُثَّ كئوسَ الراحِ حُمرَ الغَلائِلِ
وجَوْسَقِ بستانٍ أَنيقٍ كأَنَّهُ ... أَرانا من الفِرْدَوْسِ خَيْرَ المنازِلِ
ومُطَّرِدُ الأَمواجِ مضْطَرِبُ الحشىٰ ... كأَنَّ حشاهُ جُرِّحَتْ بالجَنادِلِ
تناءَبَ ظِلُّ المَوْجِ في صَفَحاتِهِ ... فَذَرَّ عليهِ من جَنِيٍّ المكاحِلِ
وللذَّهَبِيّاتِ اصْفرارُ ذَوِي هَوىً ... أَطَلَّ عليهِمْ في الجُسومِ النَّواحِلِ[1]
صَواعِقُ من مَسِّ الهواءِ كذي هَوىً ... يَخِرُّ صريعاً من مقالِ العواذِلِ

(١) الذهبيّات : اصطلاح دمشقي يقصد به أشجار الغوطة حين تصفر في أيام الخريف فتضربها الشمس بأشعتها فتلمع الأوراق كالذهب . وكلمة « أظَلَّ » وردت منقوطة بالـ « ظ » ونرجح أن تكون بالطاء « أطلّ » .

يُجاوِدُ صَوبَ المُزْنِ حينَ نَضوبها نثيرُ اللآلي من جُفونٍ هوامِلِ[1]
كأنَّ سقيطَ الدَّمعِ منها مَدامِعُ المُحِبٍّ جرَتْ حُزْناً لتوديعِ راحِلِ
ونغْمَةِ شادٍ تَرْقُصُ الروحُ كُلَّما ترَنَّمَ في أَعضائنا والمفاصِلِ
يُجاوِبُ صَوْتَ العودِ في الدَّوحِ إنْ شدا
على عَذَباتِ البانِ صَوتُ البَلابِلِ

وقال :

هل شَرِبَ البانُ شَمولاً فمالْ أم هزَّهُ مرُّ نَسيمِ الشَّمالْ
هَزَّ قدودَ الغيدِ إذ جاذَبتْ أَعْطافَها أَردافُهُنَّ الثِّقالْ
في رَوضَةٍ تُرْخِصُ أَنفاسُها نافِحَةً سِعرَ الغوالي الغوالْ
والنَّرْجِسُ الغَضُّ على السُّنْدُسِ الأَخْضَرِ منهُ بُسْطُهُ والزِّلالْ[2]
كالشَّمعِ الأَخضَرِ قُضْبانُهُ والنَّوْرُ فيهِ نورُهُ والذُّبالْ[3]
وا خَجْلَةَ الوَرْدِ وأَغْصانِهِ من وجنَتَيْ قاتِلَتي بالدَّلالْ
غَريرَةٌ تَفْرَقُ من ظِلِّها وطَرْفُها المُدْنَفُ يدعو نَزالْ
متى رَنَتْ مُتلعةً جيدَها والتَفَتَتْ فاللَّيثُ صَيْدُ الغَزالْ

(١) جاوده مجاودة : غالبه أو فاخره في الجود .
(٢) الزِلّيّة : بكسر الزاي نوع من البُسط والجمع : زِلاليّ وزلال .
(٣) الذُّبال : جمع ذبالة وهي الفتيلة .

ما ابتَسَمتْ إلاَّ ٱنثَنَتْ تَشتَكي ... من ثَغرِها الغَيْرَةَ بيضُ اللآلْ
وما رَأَينا ٱمْرَأَةً قبلَهـا ... بِلَحْظِها تَسبي قلوبَ الرِّجالْ
تُحَرِّم الوَصْلَ ولكنْ ترى ... سَفْكَ دمِ العُشّاقِ عَمْداً حلالْ
صورَتُها يا رَبَّنا فِتنةٌ ... لنا فسُبحانَكَ ياذا الجَلالْ
كالبدْرِ يبدو كامِلاً وجهُها ... حُسناً وقاهُ اللهُ عَيْنَ الكَمالْ
وبي إليها غُلَّةٌ لم يَكُنْ ... يَنقَعُها شُرْبَى ماءٍ زُلالْ
ولَّتْ ليالي الوصلِ محمودَةً ... بها فيا لَهْفي لها من ليالْ
كأنَّها عندي بَعيدُ المُنىٰ ... يانِعَةً أَغْصانُها بالوِصالْ
ولَّتْ فمن لي بعدها أن أرى ... أيْنَ أَمَدَّ اليومَ طَيفُ الخيالْ[1]

وقال وقد سأَله من يَعزُّ عليه أَنْ ينظِمَ له أَبياتاً في جارِيةٍ جنكيَّةٍ اسمها (سُنْبُلَة)[2] :

لي عاذِلٌ في الحُبِّ ما أَعْذَلَهْ ... وعَنْ طَريقِ العَدْلِ ما أَعْدَلَهْ
يَطْمَعُ جَهلاً أَنْ يُرى طارِداً ... عُطارِداً عن طالِعِ السُّنْبُلَهْ[3]

---

(١) أمَدَّ : لغة في مدَّ الماء ، كثر ، وهنا تعني : أين ولى طيف الخيال .

(٢) جنكيَّةٌ : الجنك آلة يضرب بهـا كالعود ، وهو الدُّف أيضاً والجنكية : العازفة على الجنك معربة .

(٣) عطارد : كوكب معروف ، والسنبلة : من مواقع الفلك .

جارِيَةٌ جـــائِرَةٌ في الهَوىٰ		وَجَنْكُها المُطْرِبُ ما أَعْدَلَهْ
كأنهــا في جَسِّ أَوتارِهِ		بقُراطُ يبغي نبضَ من علّلَهْ[1]
ما أَحْمقَ العــاذِلَ في رأيِهِ		فهوَ بـلا شَكٍّ شديدُ البَلَهْ
مَن منْصِفي من حُبِّ جنكيَّةٍ		للقلبِ من أَوتارِهــا زَلْزَلَهْ
أَوتارُهـا تَقْتُلُ زُوارَهــا		تَجني عَليهِمْ ولهـا وَلْوَلَهْ
مريضَةُ الأَجفانِ فتــانَةٌ		وطَرْفُها الوَسْنانُ ما أَقْتَلَهْ
ووجْهُها لَوْ قابَلَ ٱلْبدْرَ في		تمامِهِ عادَ وقــد أَخْجَلَهْ
وقَدُّها مُعْتَدِلٌ مثْلُ غُصنِ البانِ		سُبحــانَ الَّذي عَدَّلَهْ
تَهُزُّ غُصْناً في كَثيبِ النَّقا		دَلالُها في رقْصِها مَيَّلَهْ
فَمَنْ يَقُلْ أَنَّ لها مُشْبِهاً		في الحُسْنِ في العالَمِ ما أَجْهَلَهْ
في القَلْبِ نيرانُ الهوى كلَّما		ذكرْتُهــا مُوقَدَةٌ مُشْعَلَةْ
فَمَنْ رآها من جَميعِ الوَرى		في مجلسٍ أَدْرَكَ ما أَمَّلَهْ
كأَنَّهـــا الوَرْدُ وأَيّامُـهُ		ما أَحْسَنَ الوَردَ وما أَفْضَلَهْ
في خدِّهـا الوَرْدُ جَنياً بلا		رَيْبٍ فيـا طوبىٰ لِمَنْ قبَّلَهْ
وريقُها الرّاحُ ولكنَّ مَنْ		حرَّمَها في كأسِها حَلَّلَهْ
والوردُ ما أَقْصَرَ أَيّامَـهُ		وعُمْرُهُ في الهَجْرِ ما أَطْوَلَهْ

---

(١) بقراط : أبو الطبّ في زمن اليونان.

وقال يرثي القاضي كمال الدين أبا الفضل بن الشهرزوري رحمه الله :

عَدِمَ الإسْلامُ مَعْدومَ المِثالِ وهوَتْ من أوجِها شَمسُ المَعالي

يا له رزءاً لقـــدْ حلَّ حُباً قَبلَهُ لِيثَتْ على شُمِّ الجِبالِ(١)

جَـلَّ حتىَّ دَقَّ فيـهِ كل رِزءٍ جَلَلٍ وٱنكَدَرَتْ شُهْبُ الجَلالِ

فالشُّعورُ السُّودُ كالأيّامِ بيضاً والوُجودُ البيضُ سوداً كالليالي

ولسانُ الشَّرْعِ قد أُلبِسَ عِيًّا بَعْدَ أَن كانَ جَريئاً في المقالِ(٢)

وسماءُ الدِّينِ قد رانَ على بَدْرِها النُّقْصانُ من بعدِ الكَمالِ

والقَضايا قاضِياتٌ نَحْبَهـــا إثْرَهُ حُزْناً على تِلكَ الخِـلالِ

ونَجيبُ العِلْمِ معقولٌ وقـــدْ أُنشِطَ الجهْلُ إذَن بعْدَ عِقالِ(٣)

مات من كان لأَهْلِ العِلْمِ كهفاً وثِمـالاً مُحْسِناً أيَّ ثِمـــالِ(٤)

---

(١) الحُبا : جمع حبوة : وهي أن يقيم الرجل ركبتيه فيعقد عليهما يديه ، فإذا قام قيل : حلَّ حبوته ، وليثت : من لاث أي أدار العمامة وغيرها .

(٢) جريئاً : وردت في الأصل « جرياً » بتخفيف الهمزة لتكون مثل « عِيّاً » في الشطر الأول وكلاهما جائز ، بالهمزة أو بالياء .

(٣) أنشط بعد العقال : حُلَّ عقاله . أي رباطه وانشط العقدة : حلَّها .

(٤) ثِمَال القوم : بالفتح والكسر : غياثهم وسَنَدُهم .

مات مَنْ خلَّفَ أَخلافَ النَّدىٰ   شَوَلاً مِنْ بَعْدِ دَرٍّ وٱحتِفالِ[1]

موتُهُ أقرحَ أَجْفانَ العُلىٰ   وٱنطَوَتْ من بعْدِهِ بُسطُ النَّوالِ

يا أَبا الفَضْلِ أَبىٰ فَضْلُكَ أَنْ   يَتْرُكَ العافينَ في أَسوَأِ حالِ

فَبَنو الآمالِ مِنْ بَعْدِكَ لا   تشْتَكي إِبْلُهُمُ مَرَّ الكَلالِ

حَرَّموا بَعْدَكَ ياٱبنَ المُرْتَضىٰ   أبداً شَدَّ حُدُوجٍ ورِحالِ[2]

فالجَلابيبُ القشيباتُ مِنَ العِلمِ   مِنْ بَعدِكَ أَسْمالٌ بوالي[3]

عَطَّلَتْ مِنْكَ المَنايا طيلَساناً   كانَ تاجاً بِلآلي العِلْمِ حالي

أُلبِسَتْ دارُكَ إِيحاشاً وكَمْ   حلَّها الإِيناسُ في حَلْي الجَمالِ

كم يَدٍ بيضاءَ قدْ أَسْدَيْتَها   بيمينٍ ذاتِ يُمنٍ وشِمالِ

كُنْتَ بَحْرَ الجودِ إِنْ حَلَّ سُؤالٌ   كُنْتَ حَبْرَ العِلْمِ في كُلِّ سُؤالِ

كَمْ فقيهٍ بالجَدا أَحيَيْتَهُ   بعْدَ أَنْ جدَّلْتَ فاهُ بالجدالِ[4]

فلَئِنْ ماتَ كَمالُ الدينِ مِنْ   بعْدِ سُلْطانٍ وعِزٍّ مُتَوالي

---

(١) الخلَف : الضرع وجمعها أخلاف ، والشَّوْل الناقة التي يرتفع لبنُها يقال شالت الناقة فهي شائل وشَوْل والاحتفال هو الامتلاء وتقال للضرع عند الناقة الحلوب .

(٢) الحدوج : جمع حِدْج . الحمل وهو المحَفَّة أيضاً للنساء .

(٣) الأسمال : الثياب البالية .

(٤) الجدا : العطاء . جدّل : صرع ، الجدال : النقاش .

فَلَقَدْ خَلَّفَ ذِكْراً طابَ كالمِسْــك تُهدي عَرْفَهُ ريحُ الشَّمالِ

أَيُّهــا الشّامِتُ بالمَوْتِ ٱنتَظِرْ فالرَّدى كأْسُ مُديرٍ ذي انتقالِ

لَيْسَ يَنجو مِنْ سُطاهُ مَنْ سَطا بجيوشٍ تَمْلَأُ الأَرْضَ ومالِ

قَسَماً لو ردَّ عنهُ الموْتَ بأْسٌ لَٱنثَنَتْ مُحْمَرَّةً بيضُ النِّصالِ

وتَمَطَّتْ تَحْتَهُم أُسْدُ شَرىً تَحْتَهــا خَيْلٌ كأَمثالِ السعالي[1]

لا يَرَوْنَ العِزَّ في الغَزوِ سِوىٰ ما بَنىٰ العَزْمُ بِأَطْرافِ العَوالي

ولَخاضتْ لُجَجَ الحَرْبِ رِجالٌ يَشْرَبونَ المَوتَ كالماءِ الزُّلالِ

وَفَدَتْهُ بنفوسٍ طائِعــاتٍ أُسُدٌ خُمْسٌ ورَبّاتُ حِجَــالِ

من بني عَمٍّ وأبنــا زَمَنٍ ذي وَلاءٍ وعَبيــدٍ ومَوالي

قدْ رَأى الرّاؤونَ منهُ ما رَوى قَبْلَهُ الرّاوونَ في الكُتْبِ الخَوالي

يالهــا منْ سيرَةٍ كم عَقَدَتْ مِنْ عُقودٍ فوقَ أَجْيادِ الأَمالي

ما رأَينـا قبلَهُ من خَطِّهِ لاحَ في أَسْوَدِهِ بيضُ اللآلي

فَهوَ كالشَّمْسِ عُلُواً كاتِباً وعليُّ بنُ هِلالٍ كالهِــلالِ[2]

مُنْشِيءٌ إِنْ شاءَ إِنشاءً رَمىٰ كلَّ ذي لفْظِ احتيالٍ باختلالِ

---

(١) السَّعالي والسَّعالىَ : جمع سِعْلاة وسِعْلاء . غول من أخبث الغيلان ويكنى بها عن عجائز النساء والخيل .

(٢) عليّ بن هلال : خطاط عربي معروف في ذلك العصر .

يُكَلِّمُ البَحْرُ لدى غَضْبَتِهِ ... بِكَلامٍ راقَ كالسِّحْرِ الحَلالِ[1]

ثابِتُ الجَأْشِ إذا جاشتْ لدى الغَيْضِ في المَحْفَلِ أَكْبادُ الرِّجالِ[2]

وَقَرٌ في حالَةٍ يَهفو لهـــا ... كل عِرنينٍ مِنَ الآصالِ عالي[3]

ياضياءَ الدين صَبراً كل حَيٍّ ... لفناءٍ ، غَيْرَ رَبِّي ، وزَوالِ

أَينَ طَسمٌ وجَديسٌ والأُلىٰ ... عَمَروا الدُّنيا بأَموالٍ وآلِ[4]

والنبِيّونَ ومَنْ تابَعَهُمْ ... كُلُّهُمْ آلَ إلى هـذا المـآلِ

كُنْ كما كانَ كمالُ الدِّينِ في ... صَبرِهِ عندَ المُلِمّاتِ الثِّقالِ

ثابِتٌ في الخَيْرِ والشَّرِّ معاً ... لِذَوي الطَّيْشِ لدى الحالَينِ قالي

كم ثوىٰ في لَحدِهِ من سُؤدَدٍ ... وصِفاتٍ كاثَرتْ عَدَّ الرِّمالِ

رَحمةُ اللهِ عليهِ كُلَّمـــا ... رُوِّعَتْ في مَهْمَهٍ أُمُّ رِئالِ[5]

---

(١) يُكلِّمُ : يجرَحُ .

(٢) الجأش : النفس ، ورابط الجأش : شديد القلب وجاش جيشانا : هاج . والغيض : الجفاف وفقدان الماء .

(٣) الوَقر والوَقْر : الوقور . والعرنين : الأنف . والآصال : جمع أصيل . وذلك كناية عن علو الأصل .

(٤) طسم وجديس من العرب القديمة المسماة « العاربة » والآل الاهل والقبيلة .

(٥) الرئال : جمع رأل وهو ولد النعام ، وأم رئال : النعامة . والرئال أيضاً : الكواكب .

إنَّ ذا الدَّهرَ خئونٌ لَمْ يَزَلْ   مُوذِناً بَعْدَ رِضاعٍ بِفِصالِ[1]
يَحرِقُ النّابَ عَلَينــــا عاتِباً   كلَّ وقْتٍ في حَرامٍ وحَلالِ
يا ضِياءَ الدِّينِ أَنتُمْ سادَةٌ   عِنْدَهُمْ ما زالَ سِعْرُ الشِّعْرِ غالي
منْ يَرُمْ مِثلاً لكُمْ في دَهرِكُمْ   فَلَقَدْ باءَ بِزُورٍ ومُحــالِ
كَمْ عَمَرْتُمْ باللُّهىٰ منْ داثِرٍ   ودَثَرْتُمْ بالنُّهى سُبْلَ ضَلالِ
فَلآلِ الشَّهْرَزَوْرِيِّ مَحَلٌّ   دونَهُ الجَوْزَاءُ في بُعْدِ المَنالِ
بَرْمَكِيّونَ لدى كلِّ سُؤالِ   فارِسِيّونَ لِدىٰ كلِّ مقالِ
مِنهُمُ كلُّ خطيبٍ مِصْقعٍ   وفَقيهٍ مِدْرَهٍ عِندَ الجِدالِ[2]
بَلَغَتْ أَقْلامُهُمْ ما بَلَغتْ   بالقنا الأَبطالُ في يَومِ النِّزالِ
إن يَكُنْ حاسِدُهُمْ ذا فَرَحٍ   فَسَيُرْمىٰ بَعْدُ مِنهُمْ بِخبالِ
فَسقىٰ قَبْرَ كَمالِ الدينِ في   كلِّ وقتٍ جائِداً صوبُ العزالي[3]

* * *

(١) الفصال ؛ الفطام .
(٢) المِدْرَه : رأس القوم المدافع عنهم .
(٣) العزالي والعزالى : جمع عزلاء وهي مصب الماء في أسفل القربة .

حرف الميم

وقال أيضاً يمدح الملكَ الأَشرف مظَفر الدين شاه أَرمن أَبا الفتح موسى بن أَبي بكر أَدام اللهُ أَيامَه :

أَلحَظُكَ حَزَّ قلبي أَم حُسامُ ... ولفظُكَ حازَ لُبيٍّ أَمْ كَلامُ
وقَدُّكَ أَمْ قَضيبٌ في كثيبٍ ... وريقُكَ أَم مُعتَّقَةٌ مُدامُ
وثَغرُكَ أَم لآلٍ ناصِعاتٌ ... حِسانُ النَّظْمِ يجلوها ابتسامُ
ووجْهُكَ تحتَ ليلِ الشَّعْرِ بَدرٌ ... عَلَيْهِ جناحَهُ مدَّ الظَّلامُ
إِذا ماستَ عُجباً هزَّ رُمحاً ... يسَدِدُهُ ليطْعَنني القَوامُ
كفاني أَنني أُمسي المُعنَّى ... بِحُبِّكَ لا أُنيمُ ولا أَنامُ
وتُرْكِيٍّ كأَنَّ بفيهِ راحاً ... لها من مِسْكِ نَكْهَتِهِ خِتامُ
فَلِمْ قَتْلي حلالٌ في هَواهُ ... على عَمدٍ وَلِمْ وصْلي حرامُ
سَباني وهُوَ مملوكٌ رقيقٌ ... وكمْ حُرٍّ تَملَّكَهُ غُلامُ
تَناسى صُحبَتي وذِمامَ عَهدي ... وعِنْدَ التُّرْكِ لا يُرعى ذِمامُ
بضيقِ جُفونِهِ وسَّعْتُ عُذري ... فَزالَ العُذْرُ عني والمَلامُ

يجيبُ بِـلا ، ألا يا ليتَ مِنِّي ومِنهُ تعـانَقتْ أَلِفٌ ولامُ

لِمن أَحبَبْتُـهُ صَلَفٌ رَحيم وخيمٌ والغَريمُ لِيَ الغَرامُ

فيـا للنَّاسِ للرِّيم المُفَدىٰ بِروحي فَهُوَ ريمٌ لا يُرامُ

جديبٌ خَصْرُهُ والرِّدْفُ منهُ خَصيبٌ ما لعُرْوَتِهِ انفصامُ

بَعقْدِ البَنْدِ حلَّ عُرَى اصْطباري فعنْ قلبي الكَئيبِ له انهِزامُ

إذا لبِسَ التَّريكَةَ مُستَديراً على فيـهِ منَ الزَّرَدِ اللِّثامُ

هُناكَ يغادِرُ الأبطالَ صَرعىٰ بألْحـاظٍ بِفَتْرَتِهـا سَقـامُ

أَمِنْ جَنـاتِ عَدْنٍ فَرَّ لَمَّا غَفا رِضوانُ أَمْ حالي منامُ

كَأَنَّ بِوَجْنَتَيْهِ جُلَّنـاراً فَمِنـهُ جُـلُّ ناري والضِّرامُ

أَقولُ لقَلبِيَ الصَّبِّ المُعَنَّ بِه وهو الكَئيبُ المُستَهـامُ

بِمَنْ مِن ذِكْرِهِ طَرَبي كأَنّي يُراسِلُ مَعْبَداً عِندي زُنامُ[1]

لَواحِظُهُ سِهـامٌ لَيْسَ تُخْطي رَمايا قوسِ حاجِبِـهِ السِّهـامُ

كقوسِ الأَشْرَفِ الملكِ المُرَجىٰ يَطيرُ إلى العِدىٰ منْهُ الحِمامُ

مَتىٰ يُوتِرْهُ في يُمنـاهُ يَسْتُرْ حَيـاءً قَوْسَهُ منهُ الغمامُ

مَـكارِمُهُ تَنَبَّـهُ كلَّ وقتٍ وكَمْ قَوْمٍ مَكارِمُهُم نِيـامُ

---

(١) معبد : هو المغني المعروف ، وزنام : موسيقي عربي قديم أيضاً وهو أول من عزف بالناي .

يَطوفُ ببــابِهِ عافو نَداهُ كَأَنَّ البابَ زَمْزَمُ والمقامُ

فعـادَةُ بَطْنِ راحَتِهِ انْبِجاسٌ وعادَةُ ظاهِرِ الكَفِّ اسْتِلامُ

على تقبيلِهِ لَهُمُ ازدِحـــامٌ كما لَهُمُ على الرُّكْنِ ازْدِحامُ

يُرى ماءُ الحيـــاءِ بوَجْنَتَيْهِ ويَروى مِنْ جنا يَدِهِ الأَنامُ

مُلوكُ الأَرْضِ مأمومونَ كلٌّ مُصَلٍّ خَلْفَهُ وهُوَ الإمـــامُ

فَمِنْ عَزَماتِهِ سَتَرى وَشيكاً دُنوَّ حُتوفِها الكُرُجُ اللِّئامُ[1]

هُمُ حُمُرٌ تَناهَقُ خوفَ زأرِ الأُســودِ وهُمْ لَدى الطَّيْرِ الطَّعامُ

تكُبُّهُمُ مُهَنَّـــدَةٌ ذكورٌ على الأَذْقانِ ، والضَّرْبُ التُّؤامُ[2]

لنـــارِ حُسامِهِ حرٌّ وحَدٌّ لَهُمْ بِهِما اصْطِلاءٌ واصْطِلامُ[3]

بِهِ يَهفو بُراقٌ في الوَغى أَوْ قُدامى البَرْقِ يَحْفِزُهُ اقْتِحامُ[4]

تَمَنَّاهُ العِراقُ وأهــلُ مِصْرٍ ومَوصِلُ والعَواصِمُ والشَّآمُ

---

(١) الكُرُج : هم الجنس المعروف بالكرج ، وهي مقاطعة معروفة اليوم تابعة للاتحاد السوفييتي وعاصمتها « تفليس » .

(٢) ذكور : صفة للسيوف ، الأذقان هنا : الوجوه أو نهاية الوجه ، والتؤام : هو المزدوج .

(٣) الاصطلام : القطع .

(٤) البراق : حصان ركبه النبي ﷺ حين أسرى إلى بيت المقدس .

كَريمٌ ما ٱهتَدَتْ يَوماً إلىٰ ما رأَيْنا مِنْ مَكارِمِهِ الكِرامُ

مُديرُ رَحىٰ الحُروبِ ومُصْطَليها ففيها مِنْهُ غِطْريفٌ هُمامُ[1]

وأَثقَفُ مَنْ سَطَا بالسَّيْفِ صَلْتاً إذا بثِقافِهِ حَمِيَ المقامُ[2]

وليسَ لَهُ نظيرٌ في المعـالي سِوى المَلِكِ المُعَظَّمِ والسَّلامُ

هُما مَلِكا الوَرىٰ وكِلاهُما وحْـدَهُ يومَ الوَغىٰ جَيْشٌ لُهامُ

تَفِرُّ الأُسْدُ خوفاً مِنْهما مِثْـلَ ما فَرَّتْ مِنَ الأُسْدِ السَّوامُ[3]

مُهَرْوِلَةً بأَشْبُلِهـا نِفاراً كما بِرِئالِها نَفَرَتْ نَعامُ

هُما أَخوانِ وِدُّهُما صَحيحٌ إذا شابَ المَوَدَّاتِ السَّقامُ

أَما البيْتُ المُقَدَّسُ حينَ كانَ المُقَدَّسَ في المُلوكِ له مقامُ

ولِلمَلِكِ المُعَظَّمِ مَكْرُماتٌ لها في الخَلْقِ أَنْباءٌ عِظامُ

متى جادَتْ أَنامِلُهُ بأَرْضٍ فلا سَغَبٌ هُناكَ ولا أُوامُ[4]

فلا مَلِكٌ سِوى موسىٰ وعِيسىٰ وسَيْفِ الدينِ وٱنقَطَعَ الكَلامُ

أَيادٍ في الوَرىٰ عَمَّتْ فَصارَتْ هِيَ الأَطْواقُ والنّاسُ الحَمامُ

إليْكَ مُظَفَّرَ الدِّينِ اسْتَمِعْها مُنَظَّمَةً يَتيهُ بِها النِّظامُ

---

(١) الغطريف : السيد السخي الشريف .

(٢) الثقاف : التقويم والتسوية والتهذيب .

(٣) السَّوام : الماشية وسامَ : رَعىَ .

(٤) السغب : الجوع . والأوام : العطش ، وقد يسمى العطش سغباً وذلك نادر .

حَباكَ بها أَمْرُهُ أَغْنَتْهُ عنْ أَنْ يومٌ سَواكَ أَنعُمكَ الجِسامُ

وقال أَيضاً يمدَحُهُ :

إِنثَنى يُثْني على نُعمى النُّعامى حينَ حَيَّتْهُ بِأَنفاسِ الخُزامى
وتَنادى يا صَبا نَجْدٍ متى زُرْتَ سَلْمى أَقْرِها عَني السَّلاما
ليتَ أَيّامَ الحِمى دامَتْ لنا أَيُّ عيْشٍ سَرَّ ذا وجْدٍ فَداما
بيْنَما أَيّامُنا مُشْرِقَةٌ بِالرِّضى بُدِّلْنَ بالسُّخْطِ ظَلاما
أَرْضَعَتنا دَرَّ أَخْلافِ المُنى في أَمانٍ ثُمَّ عَجَّلْنَ الفِطاما
فَكأَنَّ الهَجْرَ قدْ أَضْحى حَلالاً وكأَنَّ الوَصْلَ قدْ أَمسى حَراما
وغَزالٍ بالحِمى غازَلَني سُقْمُ جَفْنَيْهِ بَرى جِسْمي سَقاما
باتَ يَسقيني مُداماً أَشْبَهتْ نارَ إِبْراهيمَ بَرْداً وسَلاما
يا لهَا من ليْلَةٍ بِتُّ بِعَيْنَيهِ أُسقى وبكَفَّيهِ المُداما[1]
نُقْلِيَ التُّفَّاحُ مِنْ وجْنَتِهِ ومِزاجي الرِّيقُ بالمِسْكِ خِتاما
يُخجِلُ الأَغْصانَ والأَقْمارَ والبَدْرَ حُسْناً وقواماً وٱبتِساما

---

(١) يلتفت الشاعر في هذه القصيدة إلى قصيدة البحتري ومنها هذان البيتان :

وربَّةَ ليلةٍ قد بتُّ أُسقى بعينيها وكفيها المداما
قطعنا الليلَ لثماً واعتناقاً وأفنيناه ضماً والتزاما

حَبَّذا جِلَّقُ إذ كانَ بها م الملِكُ الأشرَفُ من قبلُ أقاما

كانت الجَنَّةَ لما حسُنَتْ بِسَناهُ مُسْتَقَراً ومَقاما

فَهيَ مُذ ودَّعها باكِيَةٌ تَشْتكي شوقاً وتَوْقاً وغراماً

لَمْ تَطِبْ وَرْداً ولا وِرْداً ولا نَوْرُها راقَ ولا رَقَّتْ مُداما

وبها نوْرُ الأقاحي لَمْ يكنْ مُبْدِياً في أوجهِ الرَّوْضِ ابتِساما

فارَقَتْ أسْخى السَّلاطين يَداً ونَداماهُ ، وهُمْ خَيْرُ ندامى

سَيِّدي يا شَرَفَ الدينِ ويامَنْ أخجَلَتْ يُمناهُ بالجُودِ الكِراما

ذَكِّرِ الأشْرَفَ بالوَعْدِ عسى وعدُهُ بالجودِ أنْ يَرويَ الأُواما

كَم يدٍ بيضاءَ لا سوءَ بها مِنْ نَدى موسى بها عَمَّ الأناما

وقال أيضاً يمدَحُهُ :

أقْرِ نَجداً ومنْ بنَجْدٍ سَلامي إنَّ نَجداً مأوى غَريمِ غَرامي

قِفْ وسَلْ عن قلْبي إذا جِئْتَ سلْعاً تَلْقَهُ عِنْدَ ساكِناتِ الخيامِ(۱)

---

(۱) سلع : اسم جبل في الجزيرة العربية وقد ذكره والبة بن الحباب الشاعر بقوله :

وأحسن من بيدٍ يحار بها القطا ومن جبلي طيءٌ ووصفكما سلْعَا

تحاور عيني عاشقين كلاهما له مقلة في وجه صاحبه ترعى

عِنْدَ غيدٍ يبْسِمْنَ عنْ أُقْحُوانٍ وَلآلٍ بيضٍ وحبِّ غَمامِ

رانِياتٍ بأَعْيُنٍ رامِيـــاتٍ بِسِهامٍ واهاً لها مِنْ سِهامِ

لَحَظاتٌ يفعلْنَ بالسِّحْرِ في أَلْبابِنـــا إذ يَنْفُثْنَ فِعْلَ المُدامِ

ثُمَّ تَلقى أُسْدَ العَرينِ على الأَذْقـــانِ صَرْعى بأعْيُنِ الآرامِ

هُنَّ أَحْبابُنـــا ويفعلْنَ فينا فِعْلَ أَعدائِنـا بغَيْرِ ٱحْتِشامِ

وغُلامٍ مُهَفْهَفٍ من بني التُّـــرْكِ جَليبٍ واهاً لَهُ مِنْ غُلامِ [1]

كَتَبَ الحُسنُ فوقَ خَدَّيهِ من لِيقَةِ وردٍ بأَحسَنِ الأَقْلامِ [2]

فهوَ صاحٍ مُعَرْبِدُ اللَّحْظِ لِمْ لا وجنى فيهِ فيهِ أشهى مُدامِ

شاقَنا برقُ خـــدِّهِ بابتسامٍ منهُ يبدو بفيهِ حَبُّ الغَمامِ [3]

فهو ينضو من الجُفونِ حُساماً رانياً ما أَحدَّهُ من حُسامِ

لحظُـهُ يَثْقَفُ العقولَ فهـــلْ عَلَّمَهُ خزْرَجٌ ثِقافَ المقامِ [4]

حينَ يزهو بِقولِهِ إِنَّـهُ لِلمَلـــكِ الأَشْرَفِ الأَجلِّ الهُمـــامِ

مَلِكٌ ما ٱهْتَدَتْ إلى عُشْرِ مِعْشارِ نداه يوْماً عقولُ الكِرامِ

---

(١) الجليب : ما يجلب للبيع من جهة إلى أخرى .

(٢) ليقة : الدواة .

(٣) حب الغمام : البَرَد .

(٤) ثقف : قوّم : ومنه المثقّف أي الرمح . وخزرج اسم قبيلة من الأنصار وهو أيضاً صانع ومثقف للرماح مشهور .

بازِلُ المالِ صائِنُ العِرْضِ مُهتمٌّ بتَحْصينِ بَيْضَةِ الإِسلامِ

فَلَهُ في العُفاةِ بيضُ أيادٍ هَتَكَتْ سِتْرَ ظُلمَةِ الإِعْدامِ[1]

فَتَعالى الإِلٰهُ فهو الَّذي أَعْجَزَ عنْ وصْفِهِ أُولي الأَفْهامِ

لم يكُنْ للضِّرغامِ جُرْأَتُهُ في الحَربِ يوْماً لا كَيْدَ للضِّرْغامِ

وتخافُ الأُسودُ منه كما خافَتْ أُسوداً سَوارِحُ الأَنعامِ

فلَهُ يَصْلُحُ المَديحُ كما قيلَ لعَمْروٍ من قبْلُ في الصَّمْصامِ[2]

حاكِمُ الرَّأْيِ في القريضِ فقَدْ أَصْبحَ في الشِّعْرِ أَعدلَ الحُكَّامِ

قَدْرُهُ قدْرُ لَيلَةِ القَدْرِ في كلِّ زَمانٍ ما فيهِ شَهرُ الصِّيامِ

سَيْفُهُ يَقْهَرُ العِدىٰ وهيَ يَقْظىٰ وتَراهُ يَرُوعُها في المنامِ

عَلِمَ اللهُ أَنَّهُ أَسْمَحُ الأَمْلاكِ كَفًّا في سائِرِ الأَقْوامِ

ناقِضٌ في الوَغى جُيوشَ الأَعادي مُسْتَطيلٌ بالنَّقْضِ والإِبْرامِ

يومَ يَحكي أَبناءُ سامٍ به من صدَأِ السابِغاتِ أَبْناءَ حامِ[3]

مِنْ أَياديكَ أَيُّها المَلِكُ الأَشْرَفُ ينْجابُ لونُ كلِّ ظَلامِ

إِنَّ أَيَّامَكَ اللواتي نراها هيَ ساداتُ سائِرِ الأَيَّامِ

---

(٢) الصمصام : السيف .

(٣) أبناء سام : هم العرب وأبناء حام هم العرق الأسود . وسام وحام ويافث : أبناء سيدنا نوح .

ولِيُمْناكَ بالسَّماحِ انْهِلالٌ مُخْجِلٌ صوبُهُ انْهِلالَ الغَمامِ[1]

ومَتى ما هزَزْتَ يوماً حُساماً ضَحِكَ الموتُ في شِفارِ الحُسامِ

يا سدادَ الثَّغْرِ المَخوفِ بطَعْناتِ ثُغُورِ العِدى وضَرْبِ الهامِ

وَثَباتٍ يفْتَرُّ عن وَثَبــاتٍ ثابِتـاتٍ بِمُهْجَـةِ الضِّرْغامِ

مُغْرَماً بالإقْـدامِ يضْطَرُّ أَعداءَكَ يومَ الوغى إلى الإحجامِ

فَعَلى سيِّدِ الوَرى المَلِكِ الأَشْـرَفِ أوفى تَحِيَّـةٍ وسلامِ

دامَ في المُلْكِ والسَّعادَةِ ما دامَ السُّهـا والسِّماكُ وابنا تمـامِ[2]

وقال يمدحُهُ :

بالمَلِكِ الأَشْرَفِ لَمْ أَشْكُ من الدَّهْرِ أَلَمْ

مَوْلى النِّعَمِ مَوْلى الأُمَمْ مِنْ عَرَبٍ ومن عجمْ

مُحْيٍ بِجَـــدواهُ الكَرَمْ ما زالَ قتَّالَ العَـدَمْ

أَكرمُ مَنْ أَجرى قَلَمْ بِمدحِــهِ مِمَّنْ نَظَمْ

يا حَظِّيَ انتَبِــهْ أَلَمْ يأْنِ أَلَمْ يأْنِ أَلَمْ[3]

---

(١) انهلَّ : مثل هلَّ ، أمطر .

(٢) السُّها والسماك وابنا تمام : كلها أسماء نجوم .

(٣) يأن : من أنى يأني أنياً وإنًى أناءً : حان وقرب .

موسى هو البحرُ الخِضَمْ   لَمْ يَظمَ من يَمَّمَ يَمْ[1]
أأَذْكُرُ الحَاجَةَ أَمْ   حسْبي بمحْمودِ الشِّيَمْ
جَوابُهُ يَشْفي السَّقَمْ   إذْ لَمْ يَقُلْ سِوى نَعَمْ
في دارِهِ يؤتى الحَكَمْ   وبابُهُ بابُ الحَرَمْ
لَمْ يَلْقَ في دُنياهُ هَمْ   منْ زارَه ولا نَدِمْ
لا زالَ منْصورَ العَلَمْ   ما لاحَ للسَّفْرِ عَلَمْ[2]

وقال يمدح المَلِكَ المعظم شَرَفَ الدنيا والدينِ أَبا المظفر عيسى بن أَبي بكر بن أَيوبَ خلَّدَ اللهُ سُلطانه :

بقَلْبِيَ حُورِيٌّ الجِنانِ المُنَعَّمُ   ثوىٰ ، كيفَ يثوي فيه وهوَجهنَّمُ
وذاكَ السَّقيمُ الطَّرْفِ من غيْرِعِلَّةٍ   وكَمْ منْ صَحيحٍ فيهِ بالوَجْدِ يَسْقَمُ
أَلا إنَّ أَسبابَ الغَرامِ كَثيرَةٌ   خَفينَ ولوْ يَظْهَرْنَ ما لامَ لُوَّمُ
دُموعُ شُئونِ الصَّبِّ بيضٌ تصعَّدَتْ   وكَيْفَ ترى بيضاً وعُنْصُرُها دَمُ
ولم يُؤتَ سُؤلَ النَّفْسِ إلاَّ مُدَنَّرٌ   يَجودُ بما يقْضي الهوى أَو مُدَرْهَمُ[3]

---

(١) لم يظم هذه وردت بالـ « ض » وهو خطأ من الناسخ .
(٢) العلم الأولى : البيرق ، والعلم الثانية : الجبل . قالت الخنساء :
وإن صخراً لتأتم الهداة به   كأنه علَمٌ في رأسه نار
(٣) المدنَّر والمدَرهَم : صاحب الدنانير وصاحب الدراهم ، أي الغني .

وَمَنْ كانَ مِثْلي مُفْلِساً لمْ يَصِلْ إلى مُنىً نَفْسِهِ وهُوَ الفقيرُ المُتَيَّمُ

وبي رَشأٌ حلْوُ الدَّلالِ يميسُ في كثيب النَّقا منهُ قضيبٌ مُقوَّمُ

بجَفْنَيهِ هاروتٌ وماروتُ بابلٍ لِسِحْرِهما منه الوَرى يَتَعلَّمُ

إذا نفثا لم تنفعِ الصَبَّ رُقيةٌ ولم يُغْنِ عَنْ كلْمَيهِما القَلْبَ مَرْهَمُ

فَكلُّ أمرِىءٍ في النَّاسِ إذ ذاكَ قائِلٌ أيا رَبِّ سَلِّمْ أَنتَ أَنتَ المُسَلِّمُ

متى ما رنا غارَتْ جآذرُ جاسِمٍ وَوَلَّتْ كأنْ فيها منَ التُّرْكِ أسْهُمُ[1]

بَنُو التُّركِ لو مَرَّتْ بأَبناءِ عُذْرَةٍ لما كانَ فيها بالكواعِبِ مُغْرَمُ[2]

ولا نسَبوا إلاَّ بكُلِّ مُذكَّرٍ بهِ يُمدَحُ الطِّرْفُ العتيقُ المُطَهَّمُ[3]

هُوَ الشَّمْسُ والسَّرْجُ الهِلالُ وطَرْفُهُ لَهُ فلَكٌ في حِلْيَةٍ هي أَلْجُمُ[4]

ولا ذكروا ليلىٰ ولا أُمَّ جُنْدُبٍ ولا تيَّمَتْهمْ أُمُّ عمروٍ وكَلْثَمُ[5]

وكَمْ فيهِمُ من شادِنٍ ثَمِلِ الخُطا مُعَرْبِدَةٌ أَلحاظُهُ يَتَحكَّمُ

---

(١) جاسم : قرية في حوران وفيها نشأ أبو تمام الشاعر .

(٢) عذرة : هي القبيلة المعروفة بالعشق وإليها ينسب الهوى العذري .

(٣) نسبوا : تغزلوا من النسيب . والطرف العتيق : الجواد الأصيل ، والمطهَّم : من الناس أو الخيل : الحسن التامّ .

(٤) أَلجُمُ : جمع لجام .

(٥) ليلى وأم جندُب وأم عمرو وكلثم : أسماء نساء تغزل بهن الشعراء العرب وورد ذكرهن في قصائد كثيرة معروفة .

يُخالُ إذا ما اختالَ شارِبَ قَهوةٍ ... جَلانورَها كأسُ الرَّحيقِ المُفَدَّمِ[1]

رَبيبُ مُلوكٍ يَصْرَعُ الأُسْدَ رانياً ... إذا كَرَّ منهُ مُسْفِرٌ أَو مُلَثَّمُ

ويَبْلُغُ مـا يَهواهُ في كُلِّ مـأزِقٍ ... ولا هُزَّ عَسَّالٌ ولا سُلَّ مِخْذَمُ[2]

ولا أُفرِغَتْ دِرْعٌ عَليهِ كأَنْ بها ... عيونُ الأَفاعي والدَّبى يتوسَّمُ[3]

ولـكِنَّـهُ يَرنو بأَيسَرِ لحظَـةٍ ... فيعنو له الجَيْشُ اللُّهامُ العَرَمْرَمُ

ولم يكُ محتاجاً إلىٰ لبسِ خوذَةٍ ... إذا بَرَقَتْ في اللَّيْلِ لم يَبْقَ مُظْلِمُ

ويَمِلكُ البابَ الكُماةِ بِحُسْنِه ... ويَمِلكُهُ المَلْكُ الهُمامُ المعَظَّمُ

إذا صالَ لَمْ يُرْهَبْ على الأَرْضِ كافِرٌ ... ولَمْ يَخْشَ من بأْسِ المُعادينَ مُسْلِمُ

هُوَ اللَّيْثُ لولا البرقِ والرَّعْدُ دونَـهُ ... هوَ البَحْرُ جوداً والمُعَظَّمُ أَعظَمُ

هُوَ اللَّيثُ بأساً لـكِنِ اللَّيثُ عابثٌ ... قَطوبٌ وعيسىَ لم يَزَلْ يتبَسَّمُ

مليـكِيَ بالشِّعْرىٰ وقدْ حيلَ دونَهُ ... وما لِيَ دينـــارٌ ولا لِيَ دِرْهَمُ

وأَنتَ الَّذي قَدْ طَبَّقَ الأَرْضَ جودُهُ ... فلَيْسَ بِهـــا غَيْري مِنَ النَّاسِ مُعْدِمُ

---

(١) المفدَّم : من الفدام ، وهو ما يوضع فوق فم الإبريق لاغلاقه . أو هو المصفاة .

(٢) العسَّال : الرمح والمِخْذَم : السيف القاطع ، وكذلك : خَذِم .

(٣) الدَّبى : الجراد قبل أن يطير .

فأطلِقْ يدي فيما تملَّكْتُ آنفاً ... وأنعِمْ بإحلالي فإنّي مُحَرَّمُ
وجُدْ لي بتوقيعٍ شريفٍ سوادُهُ ... هوَ الحجرُ المُسودُّ في الرُّكْنِ يُلْثَمُ
ودُمْ أبداً وٱفْنِ العِدى وٱبلُغِ المُنىٰ ... ولا زِلْتَ تُعْطي من تشاءُ وتحْرِمُ

وقال أيضاً يمدحُهُ :

هَنيئاً أيُّها الملِكُ المُعَظَّمْ ... لَكَ المُلْكُ المؤثَّلُ والمُتَمَّمْ
مُلوكُ الأرْضِ كُلُّهُمُ نظامُ الفِرِنْدِ ... وأنتَ واسِطَةُ المُنَظَّمْ
وكُلُّهُمُ القَصيدُ وأنتَ بَيْتُ القَصيدِ ... فَعَرفُ عَرْفِكَ ليْسَ يُكْتَمْ
ملَكْتَ دِمَشقَ يا عيسى فَصَلّى ... عَلَيْكَ اللهُ خالِقُنا وسَلَّمْ
فَقَدْ أَلقَتْ عَصاها وٱسْتَقَرَّتْ ... نواها كالمُسافِرِ حينَ يَقْدَمْ
بِمَنْ يَهَبُ الألوفَ وما يَهابُ ... الألوفَ تَجيشُ بالجَيشِ العَرَمْرَمْ (1)
وهَلْ عُطْلٌ بِمُلكٍ وهُوَ منكَ ... المُتَوَّجُ والمُسَوَّرُ والمُخَتَّمْ
فأنتَ الشَّمْسُ عِندَ السِّلْمِ حُسْناً ... وعِنْدَ الحَرْبِ بأسُكَ بأسُ ضَيْغَمْ
لَبِسْتَ المُلْكَ سِرْبالاً بِحُسْنِ ... الطِّرازِ الأخْضَرِ المَرْقومِ مُعلَمْ
ولَمْ يَكُ في مُلوكِ الأرْضِ شرْقاً ... وغَرْباً مَنْ نَراهُ مِنْكَ أعْلَمْ
مَلَكْتَ المَسْجِدَ الأقْصىٰ فعِشْ أوْ ... يُزَفَّ لِوَصْلِهِ البَيْتُ المُحَرَّمْ

---

(1) العرمرم : الكثير .

وأنتَ اليمُّ في اللَّزباتِ جوداً وليسَ مُيمِّمٌ لِلْيَمِّ يُحْرَمْ

جَلَوْتَ سَوادَ صَرْفِ الدَّهْرِ عَنّا بِزُرْقَةِ لَهْذَمٍ وبياضِ مِخْذَمْ[1]

وفي غُدُرِ الدُّروعِ تخوضُ حتّى تُريقَ منَ العِدى بِحُسامِكَ الدَّمْ

سَحابُ نداكَ أَرْوى النّاسَ غَيري

وبَحْرُكَ مُتْأَقٌ بالجُودِ مُفْعَمْ

وفي مِثْلي جَزيلُ الأَجْرِ يُحْوى ووضْعُ الشَّيْءِ مَوْضِعَهُ يُقَدَّمْ

وكلُّ النّاسِ راثٍ لي وداعٍ لِمَنْ يَحْنو عَلَيَّ إذا تكَرَّمْ

فَلا زالتْ بِلادُكَ مُشْرِقاتٍ فَلَوْ لا أَنتَ في ذا الدَّهْرِ أَظْلَمْ

ودُمْ في المُلْكِ واْشْرَبْ بِنْتَ كَرْمٍ

لَها عَرْفٌ كَعَرْفِ المِسْكِ يَفْغَمْ[2]

بِكَفِّ مُهَفْهَفٍ نَشْوانَ أَلْمى خَطَائِيِّ النِّجارِ إذا تَكَلَّمْ[3]

يَصُولُ بِعَقْرَبَيْ صُدْغَيْهِ لَسْباً ويلْسَعُ بالذؤابةِ لَسْعَ أَرْقَمْ[4]

وَبَيْنَ جُفونِهِ هاروتُ سِحْراً ودونَ قَوامِهِ الرُّمْحُ المُقَوَّمْ

---

(١) اللَّهذَم: القاطع من الأسنة، والمِخذَم: السيف القاطع.

(٢) فَغَم: ملأ رائحته الأنف.

(٣) خطائي وخطايا: جمع خطيئة. والنجار: الأصل. والألمىَ أسمر.

(٤) لَسَب: لَسَعَ. والأرقم: الثعبان.

يُجاذِبُ رِدْفُهُ خَصْراً دَقيقاً   فمِنهُ خَصْرُهُ خَصْمٌ تظَلَّمْ
أُكَتِّمُ حُبَّهُ العُذْرِيَّ لَكِنْ   يَنِمُّ بِهِ عُذَيِّرُهُ المُنَمْنَمْ[1]
ومِنْ عَشْرِ الثَّمانِينَ اْحتَواهُ   فَلا يعْتَبْ عَلَيْهِ إذا تَبَرْسَمْ[2]
يُقابِلُ وردَ خدَّيْهِ أقاحٌ   ومَنْظُومُ الحَبابِ إذا تَبَسَّمْ
فَلَوْ في الحُسْنِ ناظَرَهُ العَزِيـ   ـزُ بنُ يَعْقوبَ اْستَكانَ له وسَلَّمْ[3]
فَلَيْسَ يقالُ فيهِ لو إذا ما   رآهُ كلُّ مُنْتَقِدٍ تَوَسَّمْ[4]
كذلِكَ كلُّ مَلْكٍ في البَرايا   نَراهُ مُصَغَّراً عِندَ المُعَظَّمْ[5]
فيا شَرَفاً لِدِينِ اللهِ يا مَنْ   لَهُ المَجْدُ المؤَثَّلُ حيثُ يمَّمْ
وهَلْ أَحَدٌ له في المُلْكِ فَخْرٌ   كَفَخْرِكَ بالأَبِ الأَعْلىٰ وبالعَمْ
بَنَيْتَ المُلْكَ في ضَمٍّ وفَتْحٍ   وكسرٍ ثُمَّ وقْفٍ لَيْسَ يُهدَمْ
بِضَمِّ أَحِبَّةٍ وبفَتْحِ ثَغْرٍ   وكَسْرِ عِدىً ووقْفٍ فهو مُحْكَمْ
لغيرِكَ لا لَكَ التَّفْسيرُ يا مَنْ   يُعَلِّمُنا البيانَ ولا يُعَلَّمْ

---

(١) عُذَيِّر : تصغير عِذار .

(٢) تبرسم : من البرسام : وهو ثقل يصاب به الانسان من مرض أو من الخمرة .

(٣) ناظَرَه : باراه وحاول مجاراته ، والعزيز بن يعقوب : هو سيدنا يوسف .

(٤) توسَّم : الشيء : تخيَّله ، ورأى فيه الخير .

(٥) المعظَّم هنا : هو الممدوح ، الملك المعظم .

وقال أيضاً يمدحُهُ ويُهنّئُهُ بقدومِهِ منَ الحجِّ[1]:

صادَ الفُؤادَ بِرَمْلِ رامَـةَ رِيمُ   فالقَلْبُ عندَ الرِّيمِ ليسَ يَرِيمُ
مُتدَلِّلٌ صَلَفاً على مُتَذَلِّلٍ   كَلَفاً يَهِمُّ بسَلْوَةٍ فيهيمُ
فالمَوْتُ إنْ ينْظُرْ وإنْ يَنفُرْ معاً   وقْعُ السِّهامِ ونَزْعُهُنَّ أليمُ[2]
حَبُّ الغَمـامِ يُغيرُهُ مُتبَسِّماً   والدُّرُّ في التِّقصارِ وهُوَ نظيمُ
أَنا في هَواهُ لا أَبينُ لِنـاظِرٍ   جِسْمي مِنَ الطَّرْفِ السَّقيمِ سَقيمُ
لَوْ ذُقتُ بَرْدَ رُضابِهِ لشُفيتُ مِنْ   سَقَمي لِأَنَّ رُضابَهُ تَسْنيمُ[3]
ما ذُقْتُ بَرْدَ العَيْشِ بعْدَ فِراقِهِ   فالمـاءُ سُمٌّ والنَّسيمُ سَمومُ
وحَياةِ مالِكِنا المُعَظَّمِ إنَّها   قَسَمٌ لنـا لو تَعْلمونَ عَظيمُ
إنّي على نارِ الغَضىٰ بِفِراقِهِ   لا النّارُ عنهـا صينَ إبْراهيمُ
مَلِكٌ تَطيرُ العُرْبُ منهُ مَخافَةً   والعُجْمُ عَنْ أوطانِها والرُّومُ
ولِبيضِهِ في الهامِ تكسيرٌ وللسُّـمْرِ الذَّوابِلِ فيهِمُ تحطيمُ

(١) كتب الناسخ هذه الكلمة « الحاج » وهو خطأ . فالاسم هو الحج ، والحاج مجموع الحجاج .

(٢) التفت الشاعر إلى بيت من الشعر لشاعر متقدم من قصيدة مطلعها :

نظري إلى وجه الحبيب نعيمُ   وفراق من أهوى عليّ عظيم

(٣) تسنيم ماء في الجنة يجري فوق الغرف والقصور أي يتسنّم عليها ، وأصله يتسنَّم : أي يعلو السَنام .

فَكأنَّـهُ الاسَدُ الغَضَنْفَرُ هازِماً | والقَومُ كلٌ منهُمُ مَهْزومُ
يَطْوي البِلادَ بِشُهْبِـهِ و بِنُجْبِهِ | فَينالُ ما يختَــارُهُ ويَرومُ[1]
لَوْ كانَ في تِلْكَ المناسِكِ أَنفُسٌ | لَسَعىٰ إِليْهِ زَمْزَمٌ وحطيمُ[2]
مَلِكٌ تَفَرَّعَ في العُلومِ مناظِراً | فَعَلا ولَمْ تَعزُبْ عليهِ عُلومُ[3]
فالنَّحوُ فيهِ سيبَوَيْـهِ جَليسُهُ | وأَبو عليٍّ الفــارِسيُّ نديمُ[4]
والتَّاجُ تاجُ الدينِ زَيدٌ إنْ تناظِــرْهُ أَتىٰ منــهُ له التسليمُ[5]
والشِّعْرُ فيهِ أَبو نُواسٍ عَبْدُهُ | في جِدِّهِ إِذْ هَزلُهُ مَذْمومُ[6]
وبِجَدِّهِ حازَ الكَمالَ بأَسْرِهِ | فلَهُ جديدُ سَعــادَةٍ وقَديمُ
والفِقْهُ عنهُ تقاعَسَتْ أَربابُـهُ | إِذ كانَ فيهِ لِشأْوِهِ التَّقْديمُ
ولِمَذْهَبِ النُّعْمانِ فيهِ سَعادَةٌ | طَلَعتْ بِها في الخافِقَينِ نُجومُ[7]

---

(١) الشهب : الخيل المائلة للبياض ، والنجب الجمال الأصيلة .
(٢) زمزم : بئر بجوار الكعبة . والحطيم : جدار الكعبة ، أو حجر الكعبة .
(٣) تفرع في العلم : استخرج ما فيه وحذقه ، وَعزَبَ : خَفِيَ .
(٤) سيبويه عالم النحو الشهير الفارسي الأصل صاحب الكتاب الأول في هذا العلم ، وأبو علي الفارسي ، عالم النحو الأشهر ومعاصر المتنبي وخصمه .
(٥) هو تاج الدين الكندي وإليه أشار الشاعر في عدد من قصائده .
(٦) أبو نُواس الشاعر العباسي الأشهر صاحب الخمر والمجون .
(٧) النُّعمان هو أبو حنيفة النعمان الإمام المعروف صاحب المذهب الحنفي .

لَوْ ساعَدَ المملوكَ سَعْدٌ سارَ في كَنَفِ الرِّكابِ وإنَّهُ لَكَريمُ[(1)]

لكِنَّهُ لمَّا تأَخَّرَ فاتَهُ منهُ نعيمٌ واحْتَوَتْهُ جحيمُ

لم يَنْقَعِ الظَّمأَ الَّذي بفؤادِهِ حَجُّ المَقامِ بَلِ الأُوامُ مُقيمُ

أَنا إِذْ بَعُدْتُ كصاحِبِ الحوتِ الَّذي

نادى الإِلهَ وإِنَّـهُ لكظيمُ[(2)]

إنْ لم تُوافِ إليهِ رَحمَةُ ربِّهِ نُبِذَ العَراءَ فبانَ وهوَ ذَميمُ[(3)]

يا أَيُّها المَلِكُ المُطاعُ وجُندُهُ للبيضِ فوقَ رُؤوسِهِمْ تَسْويمُ[(4)]

كَمْ في بُسَيْطَةَ قَدْ بَسطت مَكارِماً أَحيَتْ عِظامَ الجودِ وهِيَ رَميمُ[(5)]

فالشَّوْكُ وردٌ والحَصا دُرٌّ وذاكَ الماءُ راحٌ والعِضاهُ كُرومُ[(6)]

لي مُذْ خَلَتْ منْكَ الدِّيارُ فلا خَلَتْ

بِدِمَشْقَ شوْقٌ مُقْعِـدٌ ومُقيمُ

---

(١) أي لو ساعد الشاعرَ الحظ لسار في ركابه .

(٢) يشير هنا إلى قصة النبي يونس والحوت ، وكظيم : الساكت من غيظ أو رضى .

(٣) نبذ الشيء : طرحه من يده والأمر أهمله . وانتبذ مكاناً : أي اتخذه بمعزل ، ونبذ العراءَ : أي ترك عارياً . والمنبوذ : اللقيط .

(٤) تسويم : علامة ، وسوَّمه الأمر : كلّفه إياه وسوَّمه في ماله : حكَّمه .

(٥) البسيطة : اسم مكان .

(٦) العضاه : نبات فيه شوك ضخم .

فأُقابِلُ البابَ العزيزَ مقبِّلاً عَتَباتِهِ وبِهِ الدُّموعُ سُجومُ
الشَّمسُ أَنتَ فلا دَنتْ لأُفولِها إن غِبْتَ عنَّا فالأَغرُّ بَهيمُ
لا فارَقَ المَلِكُ المُعظَّمُ مُلْكَهُ أَبداً ودانَ لشأْوِهِ التَّعْظيمُ

وقال يتغزل بمملوكٍ اسمه [أُقوش]:

أَشْكو إلى أُقوشَ عَكْسَ اسمِهِ لم يُبقِ من جسمي سَوى رَسْمِهِ(١)
وطَرْفُهُ مُسْتَحْسَنٌ سُقْمُهُ فَسُقْمُ جِسمي فيهِ من سُقمِهِ
أَثبتَ سَهمَ اللَّحْظِ في مَقْتَلي وا كَبِدي منهُ ومِن سَهْمِهِ
من وجهِهِ تَخْجَلُ شَمْسُ الضُّحى في سَعْدِها والبَدْرُ في تِمِّهِ
والوَرْدُ من وَردٍ بِخدَّيْهِ مُسْتَحْيٍ فوا شوقا إلى لَثْمِهِ
ومِن مُنىٰ الأَغْصانِ لو أَنَّها كَقَدِّهِ آهاً على ضَمِّهِ
واللُّؤلُؤُ الرَّطبُ متىٰ يبتَسِمْ يُلْغَ فما يُرْغَبُ في نظمِهِ
شاكي سِلاحِ الطَّرفِ في حَربِهِ لم يَعْدَمِ الشاكي، وفي سِلْمِهِ
يَفْتِكُ بالأَقرانِ يَوْمَ الوَغىٰ وكَفُّهُ لَمْ تَبدُ من كُمِّهِ
فَخَصْرُهُ يظلِمُهُ رِدْفُهُ المُهْتَزُّ والمُعْتَزُّ في ظُلْمِهِ

(٢) عكس اسم أَقُوش كما يُرى هو «شوقي».

مُعَرْبِدُ الأَلحاظِ نَشْوانُ مِنْ مُدامـــةٍ تَنْفَحُ مِن ظَلْمِهِ[1]
كَأَنَّـهُ في مَيْسِرِ الحُسْنِ بالقِـــدْحِ المُعَلَّى فـــازَ في قسمِهِ[2]
يَعْتَذِرُ العاذِلُ فيهِ إلى العـــاشِقِ إِذْ يَلْقـــاهُ من حَزْمِهِ
كلامُهُ السِّحْرُ الحَـــلالُ الَّذي يَهْجُمُ بالقَلْبِ على كَلْـــمِهِ[3]
مَنْ يَرَهُ في سَرْجِهِ راكِضاً حِصانَـهُ يومـاً فَوَيلُ أُمِّـهِ
يقولُ نُعْمى لحظُهُ في الوَغىٰ فيجْعَلُ الآسادَ من غُنْمِهِ[4]
فَلَوْ رآهُ مَلِكٌ صارَ مَملوكـــاً لَـهُ قَسْراً على رَغْمِـهِ

وقال أَيضاً :

قوامُكَ ثُمَّ لَحْظُكَ يا غُلامُ كَأَنَّهمـا المثَقَّفُ والحُسامُ
وللبيضِ المواضي والعوالي بذا التَّشْبيهِ تيـهٌ وٱبتِسام[5]

(١) الظَلْم ؛ بالفتح : الريق ، الرضاب . ومن ذلك قول ابن النبيه :
مَن لمَ يذُقْ ظَلْمَ الحبيبِ كظلَمهِ حلْواً فقد جهِلَ المحبَّةَ وادَّعى

(٢) اللعب بالقِداح ، وهو نوع من القمار . والقِداح : الأسهم . والمُعَلّى : اسم للقِدح الرابح ؛ كما أن القِدحَ المَنيحَ هو الخاسر .

(٣) الكَلْم ؛ بفتح فسكون : الجرح .

(٤) النُّعمى : الخفض والدعة ، ونعمى عين : حباً وكرامة ، أي : إكراماً لعينك .

(٥) يقصد الشاعر بأن هذا التشبيه « أي تشبيه الرمح والسيف بقوام ولحظ هذا الغلام » فخر للسيوف والرماح .

وأنّى للسيوفِ فَعالُ هذي اللّحـاظِ وللقنـا هذا القوامُ

عقدْتَ بعقْدِ بَنْدِكَ في فؤادي غَراماً ما لعُروَتِـهِ انْفِصامُ

أَمِطْ عَنْكَ السِّلاحَ غَنيتَ عنهُ وأَنتَ الفارِسُ البَطَلُ الهُمامُ

إذا ما كنتَ أَعْزَلَ كُنْتَ شاكِـي السِّلاحِ يهابُكَ الجَيْشُ اللُّهامُ

وأَسْمَرَ هَزَّ أَسْمَرَ في كثيبٍ تَأَلَّقَ فوقَهُ البَدْرُ التِّمامُ

من الزَّرَدِ المُضاعَفِ في لِثامٍ يُضاعِفُ حُسْنَهُ ذاكَ اللِّثامُ

حَمىٰ تُفّاحَ خَدَّيْـهِ بِطَرْفٍ صحيحٍ ما يُفارِقُهُ السَّقامُ

إليكُمْ بالعُيونِ النُّجْلِ عَنّي ففي الحَدَقِ الصِّغارِ نَمى الغَرامُ

عُيونُ التُّرْكِ أَنْفَذُ في الوغىٰ مِنْ سِهامِهِمُ إذا ارْتفعَ القَتامُ(1)

وهلْ لِلناسِجِ المَبْسوطِ فِعْلُ الأَغـالِقِ حينَ تَخْتَلِفُ السِّهامُ(2)

لَهُ مِن أَشْرَفِ الأَنوارِ جِسْمٌ بَلانا مَنْ براهُ بِهِ جُسامُ(3)

لنا مِنْ ريقِهِ خَمرٌ حَلالٌ تَمَنّىٰ وَصْفَها الخَمْرُ الحَرامُ

فَوا ظَمأي إلىٰ بَرَدٍ بفيهِ ففي فيهِ مَعَ البَرَدِ المُدامُ

---

(1) القَتام : الغُبار .

(2) غالق ؛ فلاناً مغالقة : راهنه . والمِغْلَق : سهم في الميسر أو هو السهم السابع ، جمعه مغالق ومغاليق ولم نعثر على صيغة « أغاليق » بذاتها ، ولكن المقصود هو السهام ، كما هو ظاهر من معنى البيت .

(3) الجُسام : الضخم . وبلانا : خبرنا وامتحننا .

هوَ الصَّنَمَ الذي يبدو فلولا اتِّقـاءُ اللهِ ضَلَّ بـهِ الأَنامُ
فَضمَّ عقاربِ الاصداغِ منهُ إلى حَنَشِ الذُّؤابَةِ لا يُرامُ
وذلكَ إنّمـا يحويهِ حاوٍ حوى أقصى الأماني والسَّلامُ
أدرْ كأسَ المُدامَةِ واجلُها في غلائلِ جوهرٍ ولها اضطرامُ
مُعتَّقةً كُمَيْتَ اللّوْنِ صِرفاً من المِسْكِ الذّكيِّ لها خِتامُ
ففي الأفْواهِ مِنْها زنجبيلٌ إذا نفحتْ يُسَلُّ بها الزُّكامُ
تَصُبُّ على ظَلامِ اللّيلِ ضَوْءَ النّهـارِ فينْجَلي عنا الظّلامُ
ومنْ دُرِّ الحَبابِ لها نِظامٌ ألاَ يا حبَّذا ذاكَ النِّظامُ
مَتى يَنْزِلْ بقَلْبٍ ، حلَّ فيهِ السُّـرورُ وشرَّدَ الهمَّ انْهِزامُ

وقال أيضاً :

يا مُلبِسي بالصَّدِّ ثوبَ السَّقامْ وسالبي بالهَجْرِ طيبَ المنامْ
حتّامَ لا تحنو على عاشِقٍ مُفارِقِ الوَصْلِ غريمِ الغَرامْ
يا دانيَ السُّخْطِ بعيدَ الرِّضى قِيـامَتي قـائِمَةٌ بالقَوامْ
مِثْلُكَ بالحُسنِ ومِثْلي بـهِ في الحُزْنِ ليْسا يوجَدا في الأنامْ(١)

(١) يلاحظ أن الشاعر لم يثبت النون في فعل « يوجدا » ، ولا مبرر لحذفه هنا ما دام الفعل لم يسبق بناصب أو جازم ، كما لا يمكن تقدير شيء من ذلك .

أَلْقى الهوى حَبْلي على غارِبي فَهِمْتُ حتى ما فَهِمْتُ المَلامْ
وهاجَتِ الوُرْقُ ادِّكاري وما الحَمـامُ لِلعاشِقِ إلاَّ حِمامْ
وا بِأَبي وَسْنانُ أَجفانُهُ صَحيحَةٌ مكحولَةٌ بالسَّقامْ
مُعَرْبِدُ الألْحاظِ سَكْرانُها صاحٍ وفوهُ فيهِ أَشْهى مُدامْ
مُعْتَقِدٌ أَنَّ دَمي صارَ في حُكْمِ الهَوى حِلاًّ وَوَصْلي حَرامْ
إِنِّي لَأَهْواهُ على جَوْرِهِ وبُخْلِهِ حتَّى بِرَدِّ السَّلامْ
البدرُ يهوى الشَّمسَ لكِنَّها تَبْعُدُ عَنهُ في ليالي التَّمامْ
حتى إذا دبَّ مُحاقاً إِلى تسعٍ وعِشرينَ دَنا لِالْتِئامْ
فَهَلْ أُرَجِّي وَصْلَ شَمسٍ وقدْ أَذابَ جسمي سَقَمي والعِظامْ

وقال :

أَجيراني بذي سَلَمٍ عَلَيْكُمْ وإنْ شَطَّتْ دِيارُكُمُ سَلامي (١)
أَحِنُّ إِلَيْكُمُ فَأُجِنُّ شَوقاً وأُبدي ما أُجِنُّ من الغَرامِ
وأُشْفِقُ كُلَّمـا ناحَتْ سُحَيْراً حَمامٌ أَنْ يُفاجِئَني حِمامي
وأَهْوى النَّومَ لا للنَّوْمِ لكِنْ لعَلَّ الطَّيْفَ يَطْرُقُ في المَنامِ

---

(١) « ذي سَلَم » : اسم مكان . وشطَّتْ : بعُدَتْ .

وَلَوْ وافىٰ إليَّ الطَّيْفُ ليلاً خَفيتُ عَلَيْهِ من فَرْطِ السَّقامِ
ولَسْتُ بآيسٍ من طَيْفِ سَلْمىٰ فَرُبَّةَ رَمْيَةٍ من غَيرِ رامي

وقال :

لَوْ لَمْ أَخَفْ أَمرَ عَوادِيكُمُ لَزُرْتُ إِذْ أَمْرَعَ وادِيكُمُ
هَلْ في سَماحِ الدَّهْرِ لي أَنَّني فيه أُناديكُم بنـاديكُمُ
أَزَحْتُمُ الواشِي بإِعْراضِكُمْ عنِّي ومـا أَتعبَني فيكُمُ
أَنْتُمْ جَنَيْتُمْ وَتَجَنَّيْتُمُ فوا جُنوني من تَجَنِّيكُمُ
حَكَتْ مَغانيكُمْ أَلا لاخَلَتْ مِنْكُمْ مدى الدَّهْرِ مغانيكُمُ
كم آي توحيدٍ تلا فيكُمُ قلبي وأَعْيـاني تَلافيكُمُ
عليكُمُ مِنِّي سَلامٌ مَعَ النَّسيمِ يَسْري فَيُوافيكُمُ

وقال :

هَلْ أَنتَ بقَصَّتي عَلِيمُ بي مِنْكَ المُقعِدُ المُقيمُ
من سَقَمِ اللَّحْظِ صَحَّ وَجْدِي لكنَّ جِسْمي بِهِ السَّقيمُ
دَمْعِيَ أَمسىٰ مِزاجَ كَأْسِي وَجْـداً ونَدامَتي النَّديمُ
كَمْ تَمْطُلُ يا غَنِيُّ دَيْني ظُلْمـاً وَغَرامي الغَريمُ
بالوَجدِ عَدِمْتُ حُسْنَ صبري والعـاشِقُ واجِدٌ عَديمُ

باللهِ أُعوذُ مِنْ كَلامٍ فيهِ شَيْطــانُـهُ رَجيمُ
الحُبُّ صِراطُـهُ بِقَلْبي في نـارِ هَواهُ مُسْتَقيمُ
أَشْكُو مـا بي إِلى حبيبي لكِنَّ، ما قلبُــــهُ رَحيمُ
أَمْسَيْتُ بلوْعَــــتي سَليماً لَمْ يَرْثِ لعَوْلَتي السَّليمُ[1]
فاللَّحْظُ وخَصْرُهُ كَجِسمي ضَعْفـاً وكذلكَ النَّسيمُ
كَمْ مِنْ ليثٍ سَطا عليهِ في رامَةَ باللِّحاظِ رِيمُ[2]

وقال :

وشادِنٍ كالبَدرِ في تمـامِهِ يَغارُ غُصْنُ البانِ من قَوامِهِ
ما لِـلآلي الغُرِّ إِذْ تَبْرُزُ من أَصْدافِها طَلاوَةُ ٱبْتِسامِهِ
مُعَرْبِدُ الأَلحاظِ من سُكْرِ الصِّبا تُصْبي الحَليمَ غُنَّةُ ٱحْتِلامِهِ[3]
لَيْسَ لِمَنْ تكلُمُهُ أَلحاظُـهُ من مَرْهَمٍ يَشْفي سِوَى كَلامِهِ

---

(١) العَوْلة : الصَّرخة من الألم ، ومنها العويل ؛ والفعل أعْوَل . وسليم الأول : المعضوض من الأفعى أو الوجيع . والسليم الثانية : المعافى ، وهي من الأضداد .

(٢) رامة : اسم مكان . والريم : الغزال .

(٣) غُنّة الاحتلام : هي الغُنَّة ، أو البُحَّة التي تصيب الغلام حين بلوغه . والأغَنّ : هو الذي يجري كلامه في لهاتِه .

لكِنْ غَدتْ شيمتُهُ البُخْلَ [وقد] أَصْبَحْتُ لا أُطْمَعُ في سَلامِهِ[1]
ولَوْ يكونُ الطَّيفُ طوعَ أمرِهِ لَمْ يَطْمَعِ العاشِقُ في إلمامِهِ[2]

وقال :

بِنَفْسي غَزالٌ ما تَحَرَّجَ عَن دَمي فَمِنْ صَدِّهِ دَمْعي لَهُ لونُ عَنْدَمِ[3]
نَضَى البيضَ عنْ أَجفانِهِ السُّودِ رانياً وَفوَّقَ قوسَ الحاجِبَيْنِ بأَسْهُمِ
غزالٌ له وجـــهُ الغَزالَةِ مُشْرِقاً فوا عَجَبا لِلظَّبْيِ يسطو بضَيْغَمِ[4]
ووا رَحْمتا للخَصْرِ مِنْ ثِقْلِ رِدْفِهِ إذا هزَّ قَدَّ السَّمْهَرِيِّ المُقَوَّمِ
ووا ظَمئي للرَّاحِ منْ بَرْدِ ريقِهِ لِتَقْبيلِ دُرِّ الثَّغْرِ من خاتَمِ الفَمِ
بدا صَنَماً لي مُحرِقاً بِصُدودِهِ وللعـــابدي الأَصْنامِ نارَ جَهَنَّمِ

وقال :

خُذْ منْ يمينِ البَدْرِ شَمساً أُطْلِعَتْ بسَماءِ كَأْسٍ والحَبـــابُ نُجومُ

(١) ورد الشطر الأول من هذا البيت ناقص الوزن مما يردّه إلى بحر آخر ، وقد أضفنا إليه ما أثبتناه ضمن القوسين على التقدير ليستقيم وزن البيت على وزن القصيدة .
(٢) الإلمام : الزيارة القصيرة . ولمّ بفُلان وألَمَّ : أتاه فنزل به ، وألَمَّ بالمعنى عرفه .
(٣) العندم : ثمر البقم ، ونبات يسمى دم الأخوين . وكله يعني الصبغ الأحمر .
(٤) الغَزالة : الشمس .

تِلْكَ المصــابيحُ التي هي زينةٌ وعلى شَياطينِ الهُمومِ رُجُومُ
من كفِّ ريمِ الرُّومِ فهوَ إذا رنا فَكأنَّهُ صَيْدَ الأُسودِ يَرومُ
فَلوِ ٱدَّعتْ سِحْرَ اللَّواحِظِ بابلٌ ورُضابَهُ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الرُّومُ

وقال :

غِبْتُم فَلَمْ يَغِبِ الغَرامُ فالنَّوْمُ بعْدَكُمُ حَرامُ
يا ساكني نجدٍ عليكُــمْ من مُحِبِّكُمُ السَّــلامُ
منْ ماتَ بعْدَ فراقِ مثلِكُــمُ ٱشْتِيـاقاً ما يُلامُ
لِمَ لَمْ تَرِقُّوا لِلَّذي مِنْكُمْ يُلاقي المُسْتَهامُ
للهِ أَيّامي بكاظِمَــةٍ وما حَوَتِ الخِيــامُ
إنْ غِبْتُمُ عَني فلَمْ يَغِبِ التَّأَسُّفُ والسَّقامُ
فَكَأَنَّني منْ بَعْدِكُمْ طِفْلٌ أَضَرَّ بِهِ الفِطامُ
أَفْدي أُناساً أَسْهَروا عَيْنَيَّ بَعْــدَهُمُ وناموا
أَرتاحُ وجداً كُلَّمــا غَنَّتْ على البانِ الحَمامُ

وقال :

أَسَلَمْتَني لِأَذى الصُّدودِ ونِمْتَ عنْ سَهَري ولَيْلي فيكَ ليلُ سَليمِ
نَدَمي نَديمي والفِراقُ مُرافِقي والسُّقْمُ قِسْمي والغَرامُ غَريمي

وإذا شَدا الشَّادي فَأَطْرَبَ شَدْوُهُ عِنْدي فَوَجْدي مُقْعِدي ومُقيمي
تُمسينَ مِنْ أَلَمِ الفِراقِ سَليمةً ياهـــذِهِ وأَبيتُ غَيْرَ سَليمِ

وقال يمدحُ الملِكَ الظاهِرَ غِياثَ الدينِ غازيَ بنَ الملِكِ الناصِرِ يوسُف ابن أَيُّوب قدَّس الله روحَيْهما :

لي غَريمٌ لازِمٌ وهُوَ الغَرامُ وحبيبٌ نامَ عَمَّنْ لا ينـــامُ
مُقْلَتاهُ نرجِسي والخَدُّ وَرْدي والأَقاحُ الثَّغْرُ والرِّيقُ المُدامُ
بابليُّ الطَّرْفِ تُرْكِيُّ المُحَيَّـا حاجِباهُ القَوْسُ واللَّحْظُ السِّهامُ
حُسْنُهُ يَسْتَوْقِفُ النَّـاسَ وما فيهِمُ إلاَّ المحبُّ المُسْتَهـــامُ
لامَ فيهِ عـــاذِلي حتىَّ إذا ما رَآهُ قالَ في ذَا ما تُلامُ
عِشْقُ هذا لَكَ ياصاحِ مُباحٌ ومَلامي فيهِ من بَعْدُ حَرامُ
يا أُصيحابي أَمِنْ عَدْلِ الهَوىٰ أَنَّني أَحْمِـلُ جوراً وأُضامُ
ولَئِنْ فارَقْتُكُمْ لا عَنْ قِلىً فـلِأَمْرٍ فـارَقَ الغِمْدَ الحُسامُ
بَعْدَها لا حَلَّ لومي «عُرْوَةً» لا وَلا لي شُدَّ في العَذْلِ حِزامُ[1]

(١) عروة : بن حِزام ، أحد العشاق المشهورين في الأدب العربي بحبه لعفراء ، وحِزام التي وردت قافية للبيت تعني الزنار ، وفيها جنـاس لا يخفى مع « حِزام » والد عروة .

بَلْ لِمَدْحِ المَلِكِ الظاهِرِ غازى   عُرْوَةٌ ليسَ لها مِنِّي اَنفصامُ[1]

مَلِكٌ خيرُ مُلوكِ الأَرْضِ في الدَّهْـــرِ ما يُنْكِرُ ما قُلْتُ الأَنامُ

كلُّ وَقْتٍ منـهُ تَبْدو مِنَنٌ   ما اَهْتَدَتْ قِدْماً إِلَيْهِنَّ الكِرامُ

لِلمُلوكِ الشوسِ في السِّلْمِ على   قَصْدِها تَقبيلَ يُمناهُ اَزْدِحامُ

ولِيُمْنـــاهُ اَسْتِلامٌ مِثْلُ ما   لِحَجيجِ البَيتِ بِالرُّكْنِ اَسْتِلامُ

هُوَ كالغَيثِ لدى السِّلْمِ سَماحاً   وغَداةَ الحَرْبِ لَيْثٌ لا يُرامُ

ما رَأَيْنـــا قَمَراً مِنْ قَبْلِهِ   ولَهُ من نَسْجِ داوودَ لِثامُ[2]

لا ولا الشَّمْسُ اَنْجَلَتْ يومَ الوَغى   تَحْتَ لَيلٍ حالِكٍ وهوَ القَتامُ

جَيْشُهُ المأمومُ في الحَرْبِ مُشيحاً   هازِمٌ والمَلِكُ الغازي الإِمامُ

سَيفُهُ الرّاكِـعُ في هامِ العِدىٰ   تَحْتَهُ ساجِدَةٌ في التُّرْبِ هـامُ

باسِطُ الكَفِّ فمــا يثْنيهِ للقَبْضِ إِلاَّ سَمْهَرِيٌّ وحُسامُ

حينَ سامٌ مُنْكِرٌ أبنـــاءَهُ   يدَّعيهِمْ لِاَسْوِدادِ اللَّوْنِ حامُ[3]

---

(١) عروة هنا : معناها الحلقة التي ينضم بها القميص بواسطة الأزرار ، ويتبين للقارئ من هذه الجناسات ولع الشاعر بالبديع .

(٢) نسج داوود : هي الدرع ، وقد عُزيت البراعة في نسجها للنبي داوود عليه السلام .

(٣) سام وحام ويافث : أولاد نوح عليه السلام ، وإلى سام ينسب الساميون ، ومنهم العرب ، وإلى حام ينسب العرق الأسود .

وَخَيـاشيمُ العَوالي راعِفـاتٌ ولها بالعَلَقِ القَـــاني زُكامُ[1]

والخُيولُ الشُّهْبُ دُهْمٌ والظُّبيٰ البيـــضُ حُمرٌ وبَنو المَوْتِ قيامُ

ويُرى كلُّ عَبوسِ الوَجْهِ والمَلِـــكُ الظّـاهِرُ في فيـهِ ٱبتِسامُ

قسماً لَوْ لم يَذُدْ عنْ قَصْدِهِ لَمْ يكُنْ للشِّرْكِ بالشامِ مُقامُ

ولَرّدىٰ الأَونيَّ الكَلْبَ طَوقاً مِنْ حِمامٍ فهوَ بالطَّوْقِ حَمامُ[2]

وغِياثُ الدينِ للدُّنيا غِيـاثٌ حينَ لا يَسْمَحُ بالغَيْثِ الغَمامُ

ما رأى الإِسْلامُ يوماً مَلِكاً مِثْلَهُ إلاَّ أَبـاهُ والسَّلامُ

فاتِحُ الأَمْصارِ مُرْدي عُصَبِ الكُـــفْرِ كالبَحْرِ عَطاياهُ الجِسامُ

شاعَ في النَّاسِ لَهُ الذِّكْرُ جَميلاً وَهُوَ في الأُخْرىٰ له نِعْمَ المقامُ

فاَبْقَ في المُلْكِ غِياثَ الدينِ ما مَرَّ عامٌ وأَتىٰ مِنْ بَعْدُ عامُ

---

(١) العوالي : الرماح . الخياشيم : جمع خيشوم ، وهو منطقة ما فوق المنخرين من الأنف أو ما فوق ذلك . وخشمه خشماً : كسر خيشومه . والراعفات : من رَعَف ، قطر . والعَلَق : الدم . والقاني : الأحمر . والزكام الرشح وانسداد الأنف .

(٢) الكلمتان الأوليان في البيت لم نستطع قراءتهما ، وقد قدرناهما : بأن الممدوح يُلبسُ « الأونيّ » الذي هو اسم علم طوقاً يجعله كالحمام جبناً .

وقال يَمدحُ الملِكَ الامْجد مجدَ الدينِ بهرام شاه بن فرخشاه صاحبَ بَعْلَبَكّ :

ضربتْ لِزَيْنَبَ بالغُوَيْرِ خِيامُ ... فعلى الغُوَيْرِ وساكِنيهِ سَلامُ[1]

تِلْكَ المَرابِعُ تصْرَعُ الآسادَ باللَّحظاتِ في عَرَصاتِها الأَيّامُ

كَمْ عُرْوَةٍ فُصِمَتْ لِعُروَةَ عِنْدها ... حتىَّ بكى أَسَفاً عَلَيهِ حَزامُ[2]

أَظُبيٰ جُفونٍ أَمْ جُفونُ ظِبائِها ... تَرنو فَكلُّ لِحاظِهِنَّ حُسامُ

تِلْكَ الحَواجِبُ أَمْ قِسِيٌّ أُرْسِلَتْ ... عَنْهُنَّ من أَلحاظِهِنَّ سِهامُ

مِنْ كُلِّ واضِحَةِ الثَّنايا طَرْفُها ... يُبْدي السَّقامَ ولَيْسَ فيهِ سَقامْ

لمياءَ في فيها لراشِفِ ثَغْرِها ... حَبُّ الغَمامِ مُنظَّماً ومُدامُ

أَصبو إلىٰ أَثَلاتِ نجدٍ كُلَّما ... وَمَضُ البَريقِ على الغُوَيْرِ يُشامُ[3]

ويَشُوقُني ضالُ العُذَيْبِ وظِلُّهُ الضَّافي وَرَنْدٌ بالحِمىٰ وبشامُ[4]

---

(١) الغوير : اسم مكان .

(٢) عروة بن حزام : شاعر وأحد المغرمين المشهورين ، وحبيبته عفراء .

(٣) يُشام : يُرى ، من شام يشيم .

(٤) الضالُ والرَّندُ والبَشام : كلها أسماء نباتات في جزيرة العرب . والعُذَيب : اسم مكان .

كيفَ السَّبيلُ وقدْ قَضىٰ قاضي الهوىٰ
فيـهِ بِقَتْـلي والغَريمُ غَرامُ[1]

وَلَّتْ لُيَيْلاتٌ وأَيّامٌ مَضَتْ ... نِعْمَ اللَّيـالي كُنَّ والأَيّامُ
مَعْ كلِّ واضِحَةِ اللِّثامِ لها فمي ... باللَّثْمِ في ضَمِّ العِنـاقِ لِثـامُ
زارَ الحَبيبُ ولاتَ حينَ زِيارَةٍ ... إِذْ لم يَرُعْهُ عَنِ اللِّمامِ مَلامُ[2]
في ليلَةٍ مُتَرَجِّلاً من حاجِرٍ ... عَسْفاًوقَدْرَكِبَ الظَّلامَ ظَلامُ[3]
يَخْطو أَفاحيصَ القَطا ويَدوسُ ... أُدْحِيَّ النَّعامِ وهُنَّ من قُدّامُ[4]
واهاً لَهُ أَنَّىٰ ٱهْتَدى لما سَرىٰ ... مِنْ حاجِرٍ نَحوي وداري الشامُ
وافىٰ إِلَيَّ مُخاطِباً في ٱلنَّوْمِ مَنْ ... لَمْ يَبْدُ لي يَقْظانَ مِنـهُ كَلامُ
مَا أَنسَ لا أَنسَ ٱلْحَبيبَ وقَوْلَهُ ... أَزِفَ ٱلرَّحيلُ غداً وعَزَّ مَقامُ
زَمُّوا مَطاياهُمْ فَكُلُّ نَجيبَةٍ ... في رَأْسِها بِيَدِ ٱلْفِراقِ زِمامُ[5]

(١) الغريم : الدائن ، وهو المديون أيضاً . والغرام : العذاب أو الهلاك .

(٢) اللّمام : الزيارة القصيرة . راعَه : أخافه .

(٣) مترجّلاً : ماشياً . وحاجر : اسم موضع . وعسفاً : على غير هدى .

(٤) من قدّامُ : مبنية على الظرفية ضماً ، كقولك : من علُ ، أو من تحتُ ومن فوقُ .

(٥) زمّوا : وضعوا الزّمام ، والزمام : ما تقاد به الإبل وغيرها .

قالوا غداً يومُ النَّوى فأجبتُهم   لا بَلْ يُحَمُّ لدى الفِراقِ حِمامُ[1]

وسَفَرْنَ لي عَنْ أوْجُهٍ وغدائرٍ   فتَعانَقَ الإصْباحُ والإظْلامُ[2]

هُنَّ الحبائِبُ راشِقاتُ قلوبِنا   مِنْ لَحَظِ أعداءٍ لهُنَّ سِهامُ

لَوْلا اتِّقاءُ اللهِ قادَتْنا لِدِيـ   ـنِ الجاهِليَّةِ هـٰذِهِ الأصْنامُ

ذَهَبَ الأعاريبُ الَّذينَ لَدَيْهِمُ   يُحْمى الذِّمارُ ولا يَضيعُ ذِمامُ[3]

وبَقيتُ في سُفَهاءَ كالأنعامِ في   عَهْدٍ وهُمْ عِنْدَ اللِّقاءِ نَعامُ[4]

لأُقَوِّضَنْ عَنهُمْ خِيامي قاصِداً   دارَ النَّعيمِ بِظِلِّها الإنْعامُ

هِيَ بَعْلَبَكُّ سَمَتْ بِمَجْدِ الدِّينِ بَهْـ   ـرَمْ شاهَ دانَ لِشَأْوِهِ بَهْرامُ[5]

فَجُنودُهُ الأُسْدُ الضَّواري ما لَها   إلاّ القَنا يَوْمَ الوَغى آجامُ

وجُيوشُهُ كالرُّمحِ وهُوَ سِنانُهُ   عَنْ قَلْبِ جَيْشٍ ما لَهُ إحْجامُ

---

(١) حُمَّ الفراق : وقع وحان وقته .

(٢) غدائر : جمع غديرة ، وهي الذؤابة من الشعر ، والمعنى الواردُ في هـذا البيت معنى معروف طرقه الشعراء كثيراً .

(٣) الذِّمار : بالكسر ويُفتح ، هو كل ما يجب عليك حفظه والدفاع عنه . والذمام : العهدُ والذمة .

(٤) كالأنعام ، وردت « فالأنعام » وهو خطأ في النسخ ؛ ومعناهـا الماشية . والنّعام : اسم جنس للحيوان المعروف « النَّعام » .

(٥) بهرام : اسم شخص واسم حصان في الفارسية . وبهرام كور « جور » هو الملك الرابع عشر من ملوك الساسانيين . وكور : معناها حمار الوحش .

وَلِقَوْسِهِ رُسُلُ ٱلْمَنونِ إلى ٱلْعِدىٰ تُصْمي ٱلنُّفوسَ فَتَسْقُطُ ٱلْأَجسامُ

وَٱلسَّيْفُ في يُمْناهُ بَرْقٌ لامِعٌ يَجْري دِماءً وَٱلْعَجاجُ غَمامُ

تَبْكي عُيونُ ٱلشِّرْكِ مِنهُ لِفَتْكِهِ بِٱلْمُشْرِكينَ وَيَضْحَكُ ٱلْإِسْلامُ

وَعَلَيهِ دِرْعٌ فاضَةٌ مِنْ نَسْجِ دا وُدَ ٱلنَّبِيِّ لِسَرْدِها إِحْكامُ[1]

وَحِصانُهُ بَحْرٌ يَموجُ بِسَرْجِهِ بَحْرٌ وَيَزْأَرُ فَوقَهُ ضِرْغامُ

ما رامَ أَمْراً في ٱلْمَعالي راقِياً إلاّ وَأَصْبَحَ فيهِ لَيْسَ يُرامُ

لَمْ تَخْلُ مِنْ أَعدائِهِ مِنْ خَوْفِهِ قُرْباً وَبُعْداً يَقْظَةٌ وَمَنامُ

كَاللَّيْثِ مُنْتَفِضاً لِوَثْبَتِهِ عَلىٰ شَثْنِ ٱلْبَراثِنِ دَأْبُهُ ٱلْإِقْدامُ

يا ذا ٱلْأَيادي ٱلْبِيضِ وَٱلْمِنَنِ ٱلَّتي تَحْيا بِها ٱلْفُقَراءُ وَٱلْأَيْتامُ

لِلّٰهِ رَبِّكَ صَلِّ وَٱنْحَرْ مُخْلِصاً فَلِشانِئيكَ ٱلذُّلُّ وَٱلْإِرْغامُ[2]

وَبِكَفِّكَ ٱلْقَلَمُ ٱلّذي دانَتْ لَهُ شَرْقاً وَغَرْباً في ٱلْعُلا ٱلْأَقْلامُ

فَٱعجَبْ لِمَشْقوقِ ٱللِّسانِ بِنَقْشِهِ — ٱلْإِغْرابُ وَٱلْإِعرابُ وَٱلْإِعْجامُ[3]

---

(١) فاضة ، ومُفاضة ، وفَضفاضة ، وفَيوض : الواسعة . والسرد : النسجُ والحياكة .

(٢) فلشانئيك : من شَنَأَ أي ابغض ، والشانئ : المُبغِضُ « إنَّ شانئَكَ هُوَ الأبتَرُ » وقد وردت عند الناسخ على هذا الشكل : « فلشاءنيك » بتقديم الهمزة على النون ، وهو خطأ واضح .

(٣) المشقوق اللسان : هو القلم ، وكان من القصب يُبرى من رأسه ثم يشقّ ليكتب به . الإغراب من الغريب والإعراب : النطق المعرب ، والإعجام : التكلم بالأعجمية ، أو بكلام غير مفهوم .

فَكأَنَّما الأرْزاقُ والآجالُ قَسَّمَها بِهِ بِيَمينِهِ ٱلْقَسّامُ

إنْ دقّ خطّاً جلّ خطْباً فَهْوَ في يُمْنَى يَدَيكَ الأرْقَمُ الرَّقّامُ (١)

رَفعتْ لكَ ٱلْهِمَمُ ٱلْعَوالي في ٱلْوَغى عَلَماً تنكّسُ دُونَهُ الأعْلامُ

فَالنَّصْرُ والتَّأْييدُ مَعْقُودانِ في عَذَباتِهِ والنَّقْضُ والإبْرامُ (٢)

لَكَ مَنْصِبٌ لَمْ يَشْأَهُ في دَهْرِنا إلاّ الّذي هُوَ لِلزَّمانِ إمامُ

فَلَكَ ٱلْبَقاءُ مَدى الزَّمانِ ولِلَّذي خُلِّفْتَ عَنْهُ تَحِيَّةٌ وسَلامُ

شَجَراتُ عِيصِكَ في بَني أَيّوبَ يانِعَةٌ يَزِينُ ثِمارَها الأكمامُ

فَابْجَحْ فَما لَكَ في ٱلْمُلوكِ مُساجِلٌ إذْ يُذْكَرُ الآباءُ والأعْمامُ (٣)

أَنْتَ الَّذي في كلِّ مَنْبِتِ شَعْرَةٍ مِنْهُ هِزَبْرٌ عاصِمٌ وعِصامُ (٤)

هذا مُقامٌ فيهِ كلُّ مُفَوَّهٍ غَيْري لَدَيْكَ مُفَهَّهٌ تَمْتامُ (٥)

---

(١) الأرقم : هو الأفعى ، والقلَم ، وهو المقصود هنا . الرَّقام : الذي يرقم أي يكتب .

(٢) العَذَبة : رأس كل شيء . النقض : الهدم . والإبرام : العقد والإحكام .

(٣) « فابجح » وردت غير واضحة في النسخ ، وما أثبتناه يناسب المعنى . وبجح به : فَرِح به وتبجح وتباجح : تباهى وافتخر .

(٤) وضع تحت كلمة « هزبر » تنوين يدل على الكسر وهو خطأ . والعاصم : المانع والحامي . والعصام يُقصد به العصامية وأن الممدوح ابنُ نفسه ونسيجُ وحده .

(٥) المفهَّه : من الفهاهة ، وهي العِيُّ والحَصَر . والتَّمتام : الذي يتعثَّر بكلامه . وبيت أبي العلاء المعري مشهور في هذا المعنى :

إذا وصفَ الطائيَّ بالبخلِ مادرٌ وعَيَّر قُسّاً بالفَهاهةِ باقلُ

لَكَ دَوْلَةٌ دُوَلُ المُلوكِ بأَسْرِها　　في كُلِّ مَكْرُمَةٍ لها خُدامُ

أَعْضاؤها مُتَناسِباتٌ في العُلا　　مِثلُ الفرائِدِ زانَهُنَّ نِظامُ

أَبقىٰ مُعِزُّ الدينِ عِزاً أَقْعَساً　　للدينِ مِنكَ بهِ العَدُوُّ يُضامُ

ولَكَ القُصورُ المُنْشآتُ فَكُلُّها　　في بَحْرِ ما تُستَحْسَنُ الأَعْلامُ

دورٌ حوَت بِرْكاتُها بَرَكاتِها　　فالسَّلْسبيلُ بها لَدَيْكَ رُخامُ[(1)]

ولَكَ البَنونَ الأَكْرَمونَ مَغارِساً　　لا غَرْوَ أن تَلِدَ الكِرامَ كِرامُ

لا فارقوا حُلَلَ السُّعودِ مَلابِساً　　ما أُلْبِسَتْ أَطْواقَهُنَّ حَمامُ

فَهُمُ الأهِلَّةُ نامِياتٌ أَوْ تَرىٰ　　مِنْهُمْ بُدورَ ٱلْمُلْكِ وهْيَ تَمامُ

فَٱسْلَمْ ودُمْ ماصاحَبَتْ أَلِفاً بِٱلاسْـ　　ـمِ ٱلسّابِقِ ٱلْمَعْهودِ يَوْماً لامُ

وتَهَنَّ بِٱلأَعْيادِ مَا ٱسْتَغْنَتْ عَنِ ٱلأَلِفاتِ في تَعْريبِها ٱلأَعْلامُ[(2)]

---

(١) كُتبت في النسخة الأصلية « بركاتها » و « بركاتها » الأولى مع التاء والثانية خالية من النقط ، وقد أوّلناها على التقريب أن الأولى « بركاتها » جمع بِرْكة وهي الحوض ، والثانية : بَرَكاتِها من البَرَكة .

(٢) يشير الشاعر في هذين البيتين إلى اسم الممدوح الأعجمي وإلى لقبه العربي .

وقال يمدحُ سعد الدَّولة مَعْنَ بن مُحسِّن وكان رَفَعَ عليه إلى الملك ٱلْمُعَظَّم توران شاه أَيّوب رحمه الله :

تَظَلَّموا وهُمُ عَقّوا وهُمْ ظَلَموا ... لَمّا سَعَوْا لا سَعَتْ يَوْماً بِهِمْ قَدَمُ[(1)]

هُمْ أَوْقَدوا نارَ حَرْبٍ خابَ مُوقِدُها ... فَكَمْ عَلَى حَدِّها مِنهُمْ أُريقَ دَمُ

يَا ٱبْنَ ٱلْمُحَسِّنِ إِنَّ ٱلْقَومَ قَدْ خَسِرَتْ ... صَفْقاتُهُمْ فَٱسْتَوى ٱلْوِجْدانُ وٱلْعَدَمُ[(2)]

مَا أَبعَدَ ٱلرُّشدَ عَنْ قَوْمٍ أَتَوْا سَفَهاً ... لِيَهْدِموا مَجْدَهُمْ في ٱلنّاسِ لَوْ عَلِموا

لَم تَأْلُ تَدْرَأُ عَنْهُمْ كُلَّ مُعْضِلَةٍ ... وليْسَ يُنْكِرُ ذَا عُرْبٌ ولا عَجَمُ[(3)]

فَإِنْ تُؤاخِذْهُمُ يَوْماً بِفِعْلِهِمُ ... تَذَرْهُمُ مِثْلَ لَحمٍ ضَمَّهُ وَضَمُ[(4)]

قَوْمٌ سَواسِيَةٌ خَفَّتْ حُلومُهُمُ ... نَأَوْا عَنِ ٱلمَجْدِ لكِنْ ذَمُّهُمْ أَمَمُ[(5)]

---

(١) سقطت كلمة « يوماً » من الناسخ ، وأثبتها إلى جانب القصيدة .

(٢) الوجدان : من وَجَد لقِيَ ، وهو عكس العَدَم . والصفقة : التجارة . ويلاحظ في هذه القصيدة التفات الشاعر إلى قصيدة المتنبي :

« وا حَرَّ قَلباهُ مِمَّنْ قلبُه شَبِمُ »

(٣) لم تألُ : لم تدَّخِرْ وُسْعاً ، لم تتركْ وسيلة . ودرأ : منع . والمعضلة : الكارثة ، والصعوبة . وقد وردت هذه الكلمة بالظاء ، وهو خطأ .

(٤) الوَضم : خشبة الجزار يوضع عليها اللحم ويقطع .

(٥) أمَم : قريب . والحلوم : العقول .

فَمِنْ طَريقٍ رَجَوْا أَنْ يُنْصَروا خَسِروا
ومِنْ مَكانٍ رَأَوْا أَنْ يَغْنَموا غَرِموا[1]

سامُوكَ خُطَّةَ خَسْفٍ بَحْرُها كَدَرٌ لٰكِنْ سَلِمْتَ وهُمْ في لُجِّهِ ٱقْتَحَموا[2]
تَوَهَّموا ٱلْمَجْدَ قَدْ حُصَّتْ قَوادِمُهُ فَما يُسَلُّ بِهِ سَيْفٌ ولا قَلَمُ[3]
حَتّىٰ إِذا سَعْدُ سَعْدِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْتَمَعَتْ أَنْوارُهُ نَدِموا لَوْ يَنْفَعُ ٱلنَّدَمُ
قَناتُــــهُ لَمْ تَلِنْ يَوْماً لِغامِزِها لٰكِنَّها في فُؤادِ ٱلْخَصْمِ تَنْحَطِمُ[4]

هُوَ ٱلأَلَدُّ خِصاماً وٱلأَشَدُّ يَـــداً
في ٱلْحَرْبِ يُحْجِمُ عَنْهُ ٱلْمِدْرَهُ ٱلْخَصِمُ[5]

مَا أَحْجَمَ ٱلْقَوْمُ إِبْقاءً عَلَيْكَ وفي ٱقْتِناصِ لَيْثِ ٱلشَّرىٰ لا تَطْمَعُ ٱلْغَنَمُ
أَقْعَوْا هُناكَ عَلى ٱلأَذْنابِ مِنْ جَزَعٍ لَمّا أَتَتْهُمْ يَدٌ فَرّاسَةٌ وفَمُ[6]

---

(١) غَرِموا : خسِروا .

(٢) خطة خسف : خطة ذلّ .

(٣) حُصَّت : قطعت أو قُصَّت . والقوادم : الريش الأمامي لجناح الطائر .

(٤) غمز القناة : هزّها وشدَّ عليها بيده .

(٥) المِدْرَه : المدافع عن قومه ، والرئيس .

(٦) أقْعى : جلس على مؤخرته كما تجلس الكِلاب . واليَدُ الفرّاسة : صيغة مبالغة من فرس أي افترس . والبيت مأخوذ من المتنبي بقوله :

وجاهلٍ مدَّه في جهلِهِ ضحِكي حتى أتتْهُ يدٌ فرّاسةٌ وفَمُ

بِمَوْقِفٍ كُنْتَ كَالْبازِ ٱلْمُطِلِّ بِهِ عِنْدَ ٱلْمُلوكِ تُناجيهِمْ وهُمْ رَخَمُ[1]

أَنتَ ٱلَّذي لَمْ تَزَلْ تَهْمي نَباهَتُهُ بِكُلِّ مَكْرُمَةٍ وٱلْخامِلونَ هُمُ

كَمْ خِلْعَةٍ مِنْ دَمِ ٱلأَعداءِ صِبْغَتُها تَوَّجْتَها شَرَفاً تُزْهى بِـــهِ ٱلْقِمَمُ

حَباكَهـا كلُّ مَلْكٍ أَصْيَدٍ يَدُهُ في أَنفُسِ ٱلنّاسِ وٱلأَموالِ تَحْتَكِمُ

ومَعْشَرٍ حَلَفوا لكِنَّهمْ حَنَثوا فَكانَ عُقْبى ٱلْيَمينِ ٱلْخَوْفُ وٱلنَّدَمُ

فَكَمْ تُحالِفُ قَوْماً لا وَفاءَ لَهُمْ ولا عُهودٌ ولا دِينٌ ولا ذِمَمُ

وَدّوا وقَدْ سَمِعوا قَوْلَ ٱلْبَشيرِ وقَدْ رَأَوْهُ لَوْ وُقِرَتْ أَسْماعُهُمْ وعَمُوا[2]

شَقَوْا بِمـا سَمِعوهُ مِنْ بِشارَتِهِ وٱلأَوْلِيـاءُ بِمـا وافى بِهِ نَعِموا

لَمّا رَأَوْا هَضَباتِ ٱلسَّعْدِ شامِخَةً وٱلْعِزَّ أَقْعَسَ لا تُثْنى لَهُ هِمَمُ

وٱلْبَدْرُ غانَ عَلَيْهِ ٱلْغَيْمُ فَٱنْحَسَرَتْ غَماوُهُ وٱنْجَلَتْ مِنْ نُورِهِ ٱلْغُمَمُ[3]

يا أَيُّها ٱلْحاسِدُ ٱلْمُذْكي عَلى حَنَقٍ نارَ ٱلْعِنادِ ولا يُشْفى لَهُ قَرَمُ[4]

ما دُمْتَ تَنْوي لِمَسْعودٍ مُعانَدَةً فَإِنَّ ذٰلِكَ داءٌ لَيْسَ يَنْحَسِمُ

---

(١) البازي : الطائر المفترس المعروف . والرخم : طائر مبقّع على شكل النسر .

(٢) وَقِرت ، تَوْقِرُ وَقْراً : أذُنه صُمَّت أو ثقُلَ سمعُها .

(٣) غانَ : عطِشَ ، وغانت السماء : طبقَها الغيم ، وغِينَ على قلبه « بصيغة المجهول » : غطِّيَ عليه أو غُشِيَ عليه ، وأغانَ الغَيْنُ السماءَ : ألبَسها . والغَيْنُ لغة في الغيم .

(٤) القَرَمُ : شدة الشهوة إلى اللحم .

حَاشاكَ يا أَيُّها ٱلْمَلْكُ ٱلْمُعَظَّمُ مِنْ ... أَنْ تَسْتَوي عِنْدَكَ ٱلأنْوارُ وٱلظُّلَمُ

وأَنتَ أَكْرَمُ مِنْ لَيْثٍ بِهامَتِهِ ... عِصابَةُ ٱلتّاجِ فيها ٱلدُّرُّ مُنْتَظِمُ[1]

أَبَتْ لِمَعْنٍ قَبولَ ٱلضَّيْمِ هِمَّتُهُ ... وٱلْعَزْمُ وٱلْحَزْمُ وٱلْمَعروفُ وٱلْكَرَمُ

وأُسْرَةٌ كَأُسودِ ٱلْغيلِ ضارِيَةٌ ... هُمْ لَدى ٱلرَّوْعِ إِذْ يُلْقَى بِهِمْ بُهَمُ[2]

شُوسٌ تَقاحَمُ في نارِ ٱلْوَغى بِهِمُ ... خَيْلٌ تَذوبُ عَلىٰ أَشْداقِها ٱللُّجُمُ

خَيْلٌ تُصَرِّفُها وٱلنَّقْعُ مُعْتَرِضٌ ... أُسْدٌ لَها مِنْ أَنابيبِ ٱلْقَنا أَجَمُ[3]

أَعْجِبْ بِأَوْقَصَ في خَيْشومِهِ خَنَسٌ ... مُغْرًى بِأَشْوَسَ في عِرْنينِهِ شَمَمُ[4]

سَيْفٌ يَعودُ بِتَطْبيقِ ٱلْمَفاصِلِ لا ... يَعْتادُهُ في ٱلْوَغى وَهْنٌ ولا سَأَمُ[5]

كَمْ مَعْشَرٍ قَلَبوا ظَهْرَ ٱلْمِجَنِّ لَهُ ... حَتّىٰ إِذا ما رَأَوْا عَزْماتِهِ ٱنْهَزَموا

---

(١) لاثَ : أدار العمامة على الرأس أو أي شيء آخر .

(٢) بُهَم جمع بُهْمة : الشجاع ، والصخرة ، والجيش . وقد وردت كلمة « يُلقى » في الشطر الثاني من هذا البيت بالفاء « يُلفى » ولم نجد هذه الصيغة متعدية بالباء ، لذلك اخترنا صيغة « يلقى بهم » لأنها تؤدي المعنى .

(٣) النقع : الغبار . وأنابيب القنا الرماح . والأجم : الغابات .

(٤) الأوقص : مائل العنق أو قصيرها خلقة . والخَنَس في الأنف : تأخره ولصوق القصبة بالوجنة . والأشوس : النظر بمؤخرة العين من الغضب . والعرنين : الأنف . والشمم : علو الأنف .

(٥) طبَّق السيفُ المَفصِلَ : أصابه فأبان العُضوَ ، ويطبّق المَفصل : يصيب الحُجَّة ، والمِفصَل « بكسر الميم » اللِسان على وزن مِقوَل ، تشبيهاً له بالآلة .

فَكانَ حَظُّهُمُ مِنْ حَرْبِهِ نِقَماً   وحظهُ أبداً مِنْ رَبِّـــهِ نِعَمُ
هُوَ ٱبْنُ بَجْدَةِ ذي ٱلدُّنيا وَأَوْحَدُها   فَشَمْلُ كُلِّ فَخارٍ فيهِ مُلْتَئِمُ
يَهونُ سَعْيي عَلىٰ رَأْسي لِخِدْمَتِهِ   كَما مَشىٰ في يَمينِ ٱلْكاتِبِ ٱلْقَلَمُ
فَٱللّهُ يَكْلَؤُهُ مِمّا أُحاذِرُهُ   عَلىٰ عُلاهُ ولا زَلَّتْ بِـــهِ ٱلْقَدَمُ

وقال يمدح الصّاحب الوزير صفيّ الدين أبا محمد عبد الله بن عليّ (١) :

في مَدْحِيَ ٱلصّاحِبَ ماضٍ عَزْمي   حَسْبي بِهِ وذاكَ عَيْنُ ٱلْحَزْمِ
خافِضُ ضِدٍّ رافِعٌ مَنْ وَدَّهُ   نَاصِبُ مَنْ عانَـــدَهُ لِلْجَزْمِ
لَمْ يُلْفَ إِلاّ لِلْجَميلِ آلِفـاً   فاعِلَ خَيْرٍ صافِحاً عَنْ جُرْمِ
ذاكَ ٱلّذي هِمَّتُـــهُ عالِيَةٌ   أَخْمَصُها يَحْذَى أَديمَ ٱلنَّجْمِ (٢)
وهْوَ ٱلّذي دانَتْ لَهُ أَعْداؤُهُ   بِكُلِّ سَهْلٍ وَبِكُلِّ حَزْمِ
أَقْلامُهُ تُولي ٱلنَّدىٰ وبِالرَّدىٰ   تَرْمي ٱلْعِدا فَهُنَّ شُهْبُ ٱلرَّجْمِ
قَـدْ أَصْبَحَ ٱلصّاحِبُ أَوْلَى ٱلنّاسِ بِٱلْمَدْحِ بِنَثْرٍ مُطْرِبٍ وَنَظْمِ
وأَيْنَ مَنْ يُدْرِكُ شَأْوَ مَدْحِهِ   ووَصْفِهِ في عَرَبٍ أَو عُجْمِ

---

(١) أثبت الناسخ كلمتي « عبد الله » إلى جانب العنوان بعد أن سها عنهما .
(٢) حَذِيَ بالمكان : لزمه فلم يبرح ، ومنها يَحذى حَذىً . والأديم : ظاهر الشيء ، وله معان أخرى .

وَجوْهَرُ ٱلشَّمْسِ عَزيزٌ وَصْفُهُ　　كَذاكَ عَرْفُ ٱلْمِسْكِ عِنْدَ ٱلشَّمِّ

عَبْـــدُ ٱلْإِلٰهِ مَنْ يَلُذْ بِظِلِّهِ　　لَمْ يَكُ يَوْماً خائِفاً مِنْ خَصْمِ

لٰكِنَّ لي خَصْماً بَديعاً حُسْنُهُ　　هَضيمَ كَشْحٍ مُوْلَعاً بِهَضْمي[1]

إِنْ يَرْنُ أَو يَرْمِ بِسَهْمِ لَحْظِهِ　　لَم يُخْطِ بِٱلسَّهْمِ فُؤادَ ٱلشَّهْمِ

صَبْري ضَعيفٌ كَفُتورِ طَرْفِـهِ　　وَخَصْرُهُ مُخْتَصَرٌ كَجِسْمي

في ثَلْمِ ثَغْرِ سَلْوَتي جَدَّ فَلَيْـــتَ　　ثَغْرَهُ يَجودُ لي بِلَثْمِ

فَٱلْقَدُّ غُصْنٌ وَٱلْمُحَيّـا قَمَرٌ　　مِنْ هالَةِ ٱلْعِذارِ وَسْطَ تِمِّ[2]

وَوَرْدُ خَدَّيْهِ وَمِسْكُ خَطِّهِ　　يَنِمُّ هـذا بي ، وذاكَ يُنْمي[3]

في ٱلْخَدِّ مِنْهُ نُقْطَةٌ مِنْ عَنْبَرٍ　　أَكـادُ أَنْ أَشْرَبَها بِوَهْمي

لَوْ راقَبَ ٱلْخالِقُ في ظُلْمي نَفى　　حَرارَةَ ٱلْقَلْبِ بِبَرْدِ ٱلظَّلْمِ[4]

يا ٱبْنَ ٱلْكِرامِ ٱلْغُرِّ بَرِّدْ كَبِدي　　مِنْ رِيقِكَ ٱلْعَذْبِ بِبِنْتِ ٱلْكَرْمِ

---

(١) الهضيم الكشح : الرقيق الخصر . وهضمي : ظلمي .

(٢) الهالة : ما يحيط بالقمر من ضوء . والعذار : شعر في أعلى الخد . والتمُّ : هو القمر ليلة تمامه .

(٣) نَمَّ به : نبَّه إليه . ويُنمي من نمى : ازدهر وازداد .

(٤) الظَّلْم « بالفتح » : الرّيق ، الرضاب .

قَدْ كُنْتُ قِدْماً بِٱلغواني مُغْرَماً   صَبّاً أرىٰ غُرْمي بِهِنَّ غُنْمي[1]

فَمُذْ رَأَيتُ ٱلْبِيضَ قَدْ أَعرضْنَ عَنْ   شَيْبٍ بَدا بِرأْسِ شَيْخٍ هِمِّ[2]

هِمْتُ بِذِي خُلْقٍ لِحَرْبِي جامِحٍ   وذي قَوامٍ جانِحٍ لِسَلْمي

وا ظَمَئِي إلى ٱرْتِشافِ ظَلْمِهِ   فَذاكَ يَرْوي ظَمَئِي ويَضْمي[3]

ولَوْ أَباحَني وِصالاً لَمْ أَفُزْ   مِنْـــهُ بِغَيْرِ ضَمِّهِ وٱللَّثْمِ

ومـا أَظُنُّ ذاكَ عِنْدَ رَبِّنـا   يَا فُقَهاءُ مِنْ كَبيرِ ٱلإِثْمِ

مَا ٱلإِثْمُ إلاّ تَرْكُنا ٱلدُّعاءَ لِلصّاحِبِ صاحِبِ ٱلْعُلا وٱلْعِلْمِ

اَلصّاحِبُ ٱلْحَبْرُ ٱلّذي مَخْدومُهُ   سَمِيُّ صاحِبِ ٱلنَّبِيِّ ٱلأُمِّي

أَجْرىٰ بِشاذَرْوانَ جَيْرونَ عَلى ٱلْمَرْمَرِ ماءً لا يَرِيمُ يَرْمي[4]

مُسَبِّحاً خَريرُهُ يَـــدْعو لَهُ ٱللهَ تَعالىٰ بِٱلبَقـــاءِ ٱلْجَمِّ

---

(١) غَرِمَ : خسر ، ومنها تغرَّمَ . واغترمَ : أدّى الدَّينَ أو الدية أو الغرم . وغَنِمَ غُنْماً وغَنَماً : فاز بالشيء .

(٢) الشيخ الهِمُّ : الهَرِم .

(٣) ضماه يضميه ضمياً : ظلمه ، قيل هو مقلوب ضامَه وقد يكون المقصود « يُظمي » وحلت الضاد مكان الظاء .

(٤) الشاذروان : كلمة فارسية ، وهي متنزه في ظاهر دمشق قرب دمَّر . وجيرون : من أسماء دمشق ، أو هو اسم باب من أبوابها ، وأشار بالمرمر إلى بناء أقامه هناك الممدوح .

صِيغَ لَهُ بابُ ٱلْبَرِيدِ عَسْجَداً مُصَعَّداً مِنْ كِيمِياءٍ صَتْمِ [1]
أَحسَنُ ما تَلْقى بِهِ ما كَتَبَ ٱلصّانِعُ مِنْ أَلقابِهِ وٱلِاسْمِ
هُوَ ٱلّذي بِجودِهِ وَبَأْسِهِ فاضَ كَبَحْرٍ مُزْبِدٍ خِضَمِّ
ذُو ٱلأَمْرِ بِٱلمَعْروفِ وٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ عَدْلاً وٱلتُّقى وٱلْحِلْمِ
لا زالَتِ الدُّنيا تُرى داراً لَهُ وعُمْرُهُ الدَّهْرُ ٱلْبَعيدُ ٱلْهَدْمِ

وقال يمدحُهُ بديهاً في مَجلِسِه :

اُمْدُدْ إِلَيَّ يَداً لَمْ يَعْدُها ٱلْكَرَمُ سَما بِها ٱلماضِيانِ السَّيْفُ وٱلْقَلَمُ
فَبَطْنُها حَجَرُ الأَسْباطِ مُنْبَجِساً وظَهْرُها حَجَرُ الإِسْلامِ يُسْتَلَمُ [2]
لِلصّاحِبِ بْنِ عَلِيٍّ في ٱلْعُلا هِمَمٌ لَمْ يَدْنُ مِنْ شَأْوِها عُرْبٌ ولا عَجَمُ
فَلَوْ رَآهُ ابْنُ عُبّادٍ لَصارَ لَهُ عَبْداً وزَلَّتْ بِهِ عَنْ شَأْوِهِ ٱلْقَدَمُ
لا ابْنُ ٱلْعَميدِ ولا عَبْدُ ٱلْحَميدِ ولا الصّابي لَهُمْ هذِهِ الأَخْلاقُ والشِّيَمُ [3]

---

(١) صتّم ، صتّمه تصميتاً : كمّله ، والصتّم والصتّم : الغليظ الشديد العظيم ، والصتمة والصتيمة : الصخرة الصلبة .

(٢) السبط : جمعها أسباط وهم أولاد يعقوب (عليه السلام) ومن اليهود : القبيلة . وحجر الإسلام هو : الحجر الأسود .

(٣) ابن العميد والصابي من كتاب الدولة العباسية ، وعبد الحميد من كتاب آخر العهد الأموي .

دانَتْ لَهُ عُلَماءُ الدَّهْرِ قاطِبَـةً   فَهُوَ التَّقيُّ النَّقيُّ الطّاهِرُ الْعَلَمُ[1]

فَمالُهُ بِالنَّدى يَجْتـــاحُهُ كَرَمٌ   وعِرْضُهُ منْ أَياديهِ لَـهُ حَرَمُ

بالسَّعْدِ والأَيْدِ والكَيْدِ استَجابَ لَهُ

أَعْداؤهُ جَنَحاً لِلسَّلْمِ لا سَلِموا[2]

هُم يُنْشِدونَ لِبَلواهُمْ وراحتِـهِ   وا حرَّ قلباهُ مِمَّنْ قلْبُهُ شَبِمُ[3]

قُلْ لي أَهذا الَّذي تسطو بِهِ قَلَمٌ   بِهِ المفَـاتِحُ للأَرزاقِ أَم عَلَمُ

فَللعُفَــاةِ بِـهِ مُنْهَلَّةٌ دِيَمٌ   وللعُصاةِ بِحَدَّيْـهِ يُراقُ دَمُ

---

(١) هذا الشطر مأخوذ من قصيدة الفرزدق في مدح علي بن الحسين زين العابدين :

هذا ابنُ خير عبـادِ الله كلّهم   هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ

ومطلع هذه القصيدة :

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَه   والبيتُ يعرفُه والحِـلُّ والحرمُ

ولها قصة معروفة .

(٢) جَنَح جنوحاً وجَنْحاً : على مرفقيـه ، اعتمد عليهما ، وجنح الليل : أطلّ بظلامه ، وهي في الأصل ساكنة الوسط ، وقد حُركت للوزن .

(٣) الشطر الثاني من هذا البيت هو مطلع آخر قصيدة للمتنبي قالها لسيف الدولة قبل ذهابه إلى مصر : وتتمة البيت :

وا حرّ قلباه ممّن قلبُه شَبِمُ   ومن بجسمي وحالي عنده سقَمُ

والشّبِم : البارد .

وقال يمدحُ الأميرَ عزّ الدين أُسامة :

دَعِ الأَثَلاتِ وآرامَ رامَةْ ... لِأَهلِ قُلوبٍ بِها مُسْتَهامَةْ [1]

وخَلِّ عُرَيْباً بِنَجْدٍ ولا ... تكنْ عاصِياً عَذَلي والْمَلامَةْ

وَصِلْ رَشَاً مِنْ بَني التُّرْكِ كالغَزالِ وكالخُوطِ لحظاً وقامَةْ

فَإِنّي أَرى غزَلي في الْغُلامِ أَحسَنَ مِنْ غزَلي في الْغُلامَةْ

إذا ٱرْتَجَّ في خدِّهِ الْجُلَّنارُ فَفي ثَغْرِهِ لِلْأَقاحِ ٱبْتِسامَةْ

إذا هَزَّ فَوْقَ الْكَثيبِ الْقَضيبَ أَقامَ عَلىٰ عاشقيهِ الْقِيامَةْ

ولِمْ لا يُرىٰ ثَغْرُهُ كالحَبابِ ... ومِنْ فيهِ فيهِ يَمُجُّ الْمُدامَةْ [2]

إذا وَجْهُهُ لاحَ بينَ الْمِلاحِ ... أَقرَّ الْجَميعُ لَهُ بالزَّعامَةْ

أَميرٌ وتَوْقيعُهُ خَدُّهُ ... وطابَعُهُ فيهِ وهْوَ الْعَلامَةْ

فَإِمّا تَثَنّىٰ شَكا خَصْرُهُ ... إلىٰ رِدْفِهِ جَوْرَهُ والظُّلامَةْ

كما يَشْتَكي الْمالُ مِنْ راحَتَيْكَ إِلَيْكَ فلَمْ تُشْكِهِ يا أُسامَةْ

وهَلّا، ولَيْسَتْ لَهُ قيمَةٌ ... لَدَيكَ كما ما لَهُ مِنْ إقامَةْ

---

(١) الأثل : شجر عظيم من الطرفاء ، واحدته أثلة والجمع أثلات . والآرام : الغزلان . ورامة : اسم موضع .

(٢) فيهِ الأولى : فمه ، وفيه الثانية : أي ضمنه « ظرفية » .

يَفِرُّ أَعاديكَ يَوْمَ ٱلْوَغىٰ إذا مَا رَأَوْكَ فِرارَ النَّعامَةْ

فَمَنْ حاتِمٌ إنْ بَذَلتَ النَّدىٰ

ومَنْ هُوَ في ٱلْجُودِ كَعْبُ بْنُ مامَةْ [1]

أَتاني ٱلْبَشيرُ بِعَوْدِ ٱلأميرِ بِعافيَــةٍ فائِزاً بِالسَّلامَةْ

فَوافىٰ دِمَشْقَ كَشَمْسِ الضُّحىٰ فَزالَتْ مِنَ ٱلهَمِّ عَنها غَمامَةْ

وأَقبَلَ في جَحْفَلٍ بِٱللِّقاءِ شَديدِ ٱلْغَرامِ عَتيدِ ٱلْعَرامَةْ [2]

غَنيمَتُهُ ٱلْحَرْبُ ؛ لكِنَّهُ يَرىٰ أَنَّ في السِّلْمِ أَوْفىٰ غَرامَةْ

بِأَلفِ ذِراعٍ عَلىٰ أَلفِ ذِمْرٍ طِمِرٍّ مُسَرْبَلَةٍ أَلفُ لامَةْ [3]

فَلَوْ صَدَموا جَبَلاً دَهْدَهوهُ سَريعاً ولَوْ أَنَّهُ أَلفُ قامَةْ [4]

---

(١) هو كعب بن مامة الإيادي ، من مشاهير الكرماء ، وهو الذي قال فيه الشاعر :

يجود بالنفس إذ ضنّ البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجودِ

وحاتم الطائيّ هو المعروف بالكرم .

(٢) العرامة : الشدّة ، عَرُمَ وعَرِمَ : اشتدّ ، وهو عارم ، أي شرسٌ مؤذٍ . والعَرِم أيضاً : السيل الذي لا يطاق دفعُه .

(٣) الذِّمرّ : الشجاع ، الداهيـــة . الطِمرّ : الفرس الجواد . واللامة : ما يوضع على الرأس من عدة الحرب ، أو هي الدرع أو السلاح كله .

(٤) دَهْدَهَ : دحْرجَ ، أو قلب بعضه على بعض .

وفي كُلِّ ما عَلَمٍ أبيضٍ
مِنَ الذَّهبِ الأحْمرِ اللَّوْنِ جامَةْ[1]

وكَمْ رَدَّ عُقبانَهُ وهِيَ حُمْرٌ وقَدْ كُنَّ بيضاً كَلَوْنِ الحمامَةْ

يَسُدُّ الثُّغورَ بِطَعْناتِهِ ويَفْتَحُ ما كانَ صَعْبَ المَرامَةْ
ألوفٌ لِهَزْمِ ألوفِ العِدى وبَذْلِ الألوفِ لِأهلِ الكَرامَةْ
بِبَذْلِ النَّدى وابْتِذالِ الرَّدى يُسَرُّ فَما تَعْتَرِيهِ نَدامَةْ
يَرى ماضِيَ العَزْمِ في جودِهِ يَقولُ لِمَنْ لامَهُ في النَّدى مَهْ
يُقيمُ السَّدادَ بِآرائِهِ فَيُدْرِكُ آراءَهُ بالحَزامَةْ
تَهُزُّ المَدائِحُ أعطافَهُ كَهَزِّ النَّسيمِ فُروعَ البَشامَةْ[2]
وقُورٌ تَعَجَّبُ مِنْ حِلْمِهِ عَلى المُخْطِئينَ رَواسي تِهامَةْ
إذا سَلَّ سَيْفاً غَداةَ اللِّقاءِ فَما يُغْمِدُ السَّيْفَ إلاّ بِهامَةْ
يُغادِرُ بِالأسْهُمِ الشَّهْمَ في الوَغى شَيْهَماً لَمْ يُبَلْ بِالشَّهامَةْ[3]
يُسَمّى أُسامَةَ وهُوَ الّذي يُرى في الحُروبِ كَألْفَيْ أُسامَةْ[4]

---

(١) كلما : التي وردت في أول البيت الـ « ما » زائدة . جامة ؛ أو جام : القدح .
(٢) البشامة ، واحدة البشام : وهو شجر معروف .
(٣) الشهم : الذكي الفؤاد ، وجمعها شهام . والشيهم : ذكر القنافذ ، فاذا أصاب فارساً ترك عليه من السهام عدد ما في جلد القنفذ من سهام .
(٤) أسامة : من أسماء الأسد .

وإنّي لَأُقسِمُ أَنْ لا يُرىٰ نَظيرٌ لَهُ بِيَمينِ ٱلْقَسامَةْ[1]

أَرى الشّامَ خَدّاً بِوَجْهِ ٱلْكَعابِ وسِيرَتُـهُ فيـهِ خالٌ وشامَةْ

وجَنَّةَ عَدْنٍ حَكَتْ دارُهُ فَلا بَرِحتْ مِنْهُ دارَ ٱلْمُقامَةْ[2]

فَإِيوانُ كِسْرى وكُلُّ ٱلْقُصورِ تُقايَسُ مِنْ ظُفْرِها بالقُلامَةْ[3]

يَرُدُّ ٱلْيَواقيتَ تَرْخيمُهـا وقَدْ خَجِلَتْ مِنْهُ أَدْنى رُخامَةْ[4]

تُصَغِّرُ عِنـدَ النَّصارىٰ إذا رَأَوْا حُسْنَها ودُماها قُمامَةْ[5]

لَقدْ سَئِمَ النّاسُ مِنْ جُودِهِ وما لِأُسامَةَ مِنْـهُ سَآمَةْ

فَيا عِزَّ دينِ الإِلٰـهِ اسْتَمِعْ قَريضاً يُفَهِّهُ قِدْماً قُدامَةْ[6]

---

(١) القَسامة : الجمال وهي أيضاً : جماعة يُقسمون على دعواهم اليمين وعددهم خمسون .

(٢) جنة عَدْن : جنة إقامة دائمة . والمقامة : هي المُقام .

(٣) القلامة : قصاصة الظفر ، من قلّم ظفره : قصّه .

(٤) الترخيم في الكلام : قطع بعض حروفه . والرُّخامة ، واحدة الرُّخام : وهو حجر أبيض معروف . والرخامة أيضاً : نبت . والرخيم : الناعم الرقيق .

(٥) قُمامة هنا معناها : كنيسة القيامة الشهيرة في القدس ، وأصلها بنت نصرانية اسمها « قمامة » بنت هذه الكنيسة فسميت باسمها ، وهي القيامة أيضاً .

(٦) فَهَّهَ : من الفَهاهَة ، وهي العجز عن الكلام . قال المعري :

إذا وصف الطائيَّ بالبخل مادرٌ وعيَّرَ قُسّاً بالفَهاهـة باقلُ

وقُدامة : هو قدامة بن جعفر المعروف بنقده الأدبي واسمه المفصل : أبو الفرج ابن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي .

إذا ما ٱلْمُساجِلُ رامَ ٱلْمَقالَ   تُخَيِّطُ بِالعِيِّ فاهُ ٱلْفَدامَةْ[1]
تَوَلّى غُرابُ شَبابي وفي   ذُرى هامَتي حبَسَ الشَّيْبُ هامَهْ[2]
فَلا زِلتَ في نِعَمٍ ما شَدا   بِبانٍ هَزارٌ وغَنَّتْ حَمامَةْ
ولا انفَكَّ ثغْرُكَ يُبْدي ابتِساماً   ووَجْهُكَ يُذْكي سِراجَ ابتِسامَةْ

وقال يمدَحُ الأميرَ مُبارِزَ الدّين أبا إسحاق إبراهيمَ بنَ موسى والي دِمشقَ رحمَهُ الله :

سَقَتْ بِنْتُ كَرْمَةَ بِنْتَ ٱلْكَرَمْ   عَروسَ نُهًى أَثْمَرَتْ بِالْحِكَمْ
ثِمارٌ حَلاوَتُها في ٱلْقُلوبِ   وفي السَّمْعِ إنْ مَجَّها ثَمَّ فَمْ
ثِمارٌ يَنابيعُ أَنْوارِها   تُمَزِّقُ بِالفِكْرِ حُجْبَ الظُّلَمْ
حَماماتُ باناتِ ذاكَ ٱلْحِمى   هَواتِفُ يُطْرِبْنَنا بِالنَّغَمْ
فَنُحْ لا تَبُحْ بِالهَوى واخْشَ أَنْ   يُراقَ دَمٌ وتَزِلَّ ٱلْقَدَمْ
دَعِ النّاسَ في غَيْهَبٍ يَعْمَهونَ   وخُذْ في ٱلْوُجودِ وخَلِّ ٱلْعَدَمْ

---

(١) المساجل : المحدّث الذي يناقش . وتُخيّط بالعِيّ ، أو تُخبّط بالعيّ . فاه : أي تفسد عليه الكلام . والفدامة : العجز عن النطق والكلام .
(٢) الهام : الرأس .

ولا تُصغِيَن إلى مَينِهِمْ ... وإنْ وَفَدوكَ بِرَمْيِ التُّهَمْ[1]
وجَرِّدْ حُساماً لِحَسْمِ الأذى ... وشُقَّ إلى ٱلْبُرْءِ قَلْبَ السَّقَمْ
وصاحِبْ رِجالاً كِراماً سَمَتْ ... بِهِمْ في ذُرى المَلَكوتِ الهِمَمْ[2]
رَأَوْا بالنُّهى سِدْرَةَ ٱلْمُنْتَهى ... وكَيْفَ على اللَّوْحِ يَجْري ٱلْقَلَمْ[3]
فَأَجْسامُهُمْ في حَضيضِ الجُدوثِ ... وأَرْواحُهُمْ في يَفاعِ ٱلْقِدَمْ
فَإِنَّ طَريقَ الْهُدى واضِحٌ ... وكَمْ فيهِ لِلْمُهْتَدي مِنْ عَلَمْ
وتِلْكَ الشَّرائِعُ أَخْلافُها ... عَلى الرُّسْلِ دَرَّتْ بِرِسلِ النِّعَمْ[4]
هُمُ رَحْمَةُ اللهِ فاضَتْ عَلى الّذينَ اهْتَدَوْا مِثْلَ فَيْضِ الدِّيَمْ
فَفَتِّقْ بِمَرِّ نَسيمِ التُّقى ... كَمائِمَ تَوْحيدِ باري النَّسَمْ[5]

---

(١) وفدوك : لم نعثر على هذه الصيغة من « وفد » ويجوز أن يكون القصد « جاءوك بـ » ونرجح أن تكون وقذوك بالقاف والذال ومعناها : ضربوك أو صرعوك او تركوك عليلاً .

(٢) الملكوت : العِزّ والسلطان وهو على وزن : فعلوت ، مثل : رهبوت من الرهبة .

(٣) سدرة المنتهى : شجرة في السماء السابعة ورد ذكرها في سورة « النجم » من القرآن الكريم ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجر « النبق » .

(٤) الرُّسْل : بضم الراء وسكون السين : جمع رسول ، والرِسل : بكسر الراء هو : الرخاء والخصب . وهو اللَّبن ايضاً .

(٥) الكمائم : جمع كم ، وهو ورق الزهرة . والباري : الخالق من برأ : خلق ، والنَسَمَ : جمع نسمة وهى الحياة والروح .

أَصِخْ تَسْتَمِعْ ناصحاً يا أَخا الصَّفاءِ ودَعْ قَرْعَ سِنِّ النَّدَمْ

إذا مَا الزَّمانُ غَدا بارِكاً ... عَلَيْكَ بِكَلْكَلِهِ أَوْ أَزَمْ

فَلُذْ بالُمبارِزِ مُسْتَنْجِداً ... بِمُعْتَمَدِ الدَّوْلتَيْنِ أَبْرَهَمْ (١)

تَجُذُّ بِهِ الضَّيْمَ جَذَّ الْخَليلِ ... بِضَرْبِ الْيَمينِ فَقارَ الصَّنَمْ (٢)

أَميرٌ تَواضَعَ في هَيْبَةٍ ... تَشُقُّ قلوبَ أُسودِ الأَجَمْ

فَكَمْ نِعْمَةٍ مِنْهُ صُبَّتْ عَلىٰ ... لُيوثِ الْعَرينِ بِثأرِ الْغَنَمْ

تَقاعسَ عَنْ شَأْوِهِ في الْعُلا الأفاضِلُ مِنْ عُرْبِها والْعَجَمْ

وقامَ بِعِبْءِ هُمومِ الْمُلوكِ ... فَناموا ؛ ولكِنَّهُ لَم يَنَمْ

أَتَتْهُ الْوِلاياتُ مُنْقادَةً ... وفي دارِهِ قيلَ : يُؤْتَى الْحَكَمْ

فَنيطَتْ بِمُعْتَمَدٍ قائِمٍ ... بِتَقْوى الإِلٰهِ إذا ما حَكَمْ

إذا كانَ «لا» في رِضَى اللهِ لَمْ ... يَقُلْ غَيْرَ «لا» وكَدى في نَعَمْ (٣)

وما سارَ سَيْرَتَهُ قَبْلَهُ ... سِوى الْعُمَرَيْنِ بِحُسْنِ الشِّيَمْ (٤)

---

(١) ابرهم : ترخيم ابراهيم وهو ابراهيم بن موسى الممدوح .

(٢) جذ : قطع . الخليل : هو ابراهيم الخليل عليه السلام . وفقار جمع فقرة وهي عظام الظهر وقد كسر سيدنا ابراهيم الاصنام في قصة معروفة في كتب الدين .

(٣) كدى : عن الشيء ردّه ، ونرجح أن تكون الكلمة « كذا » وقد كتبها الناسخ بالألف المقصورة .

(٤) العمران هنا : عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز الخليفتان .

فِي الحَقِّ يُدْنِي البَعيدَ البَغيضَ	ويُبعِدُ فيهِ أَخاً وابنَ عَمْ

وفي حَرَبٍ منه أَهلُ الفسادِ	وأَهلُ الصَّلاحِ بهِ في حَرَمْ

ولِمْ لا يُسَرُّ بهِ المسلِمونَ	وقد صانَ أَموالَهمْ والحُرَمْ

بهِ زالَ عَنّا عُبُوس الزَّمانِ	وأَبدى لنـا بشرَهُ وابتَسَمْ

ولاحَ الفَــلاحُ بآرائـهِ	وزالت عمـايَةُ هَمٍّ وغَمْ

دِمشقُ ، بــهِ وبأَيّامِــهِ	وإِهلاكِهِ كلَّ عادٍ ، إِرَمْ[1]

إِذا كَرَّ في الحَربِ مُسْتَلْئِماً	تَوَلَّتْ منَ الخَوْفِ منه البُهَمْ[2]

فبالطَّعنِ يُسْمَعُ صُمُّ الرِّماحِ	ويُثْمِرُ ذَبّلُهــا بالقِمَمْ[3]

إِذا السُّمْرُ أَرشِيةٌ والجُروحُ	ركاياتهـا مُتْرَعاتٌ بِدَمْ[4]

ويُخْمِدُ نارَ صدور السُّيوفِ	بماءِ الرِّقابِ إِذا ما اقتَحَمْ

أَمُعتَمَدَ المُلْكِ قد ضَمَّني	الخُمولُ كما ضَمَّ لحماً وَضَمْ[5]

---

(١) إرَم : هي دمشق او اسكندرية او موضع بفارس ، والإرَمْ والأرِم : حجارة تنصب علماً في المفازة . وعاد : هي القبيلة المعروفة .

(٢) مستلئماً : واضع اللأمة : وهي الدرع او السلاح كله .

(٣) صمّ الرماح : التي ليس لهـــا صوت . والذبَّل : هي الدقيقة اللينـة ومفردها : ذابل .

(٤) الأرشية : جمع رشا وهو الحبل ، والركايات : جمع ركيَّة وهي البئر .

(٥) الوضم : خشبة الجزار يقطع عليها اللحم .

وكَتَّمتُ حالي عن الشَّامتينَ كما كُتِمَ الشَّيْبُ تحتَ الكَتَمْ(١)

وقد نَظَر الكُمْهُ فَضْلي واسْمَعَـــتْ كلماتِيَ أهلَ الصَّمَمْ(٢)

ودَهري على أَنَّهُ مُبْصِرٌ تعامى عَلَيَّ ، كَذا من ظَلَمْ

وأنتَ المؤمَّلُ بعدَ الإلٰهِ وقى اللهُ فيكَ مُلِمَّ الأَلَمْ(٣)

فَدُمْ في السُّعودِ بغَيظ الحَسودِ وأَمرُكَ مُمْتَثَلٌ في الأُمَمْ

مدىٰ الدَّهرِ مالاحَ بَرْقٌ وما تَأَلَّقَ في الأُفق نجم نَجَمْ

وقال أيضاً يمدحه :

أنتَ في الدَّهرِ للعديل عَديمُ فعليكَ الصَّلاةُ والتَّسليمُ

إن يكن إبراهيم كان فتىً قبلُ فأنتَ الفتى وإبراهيمُ

لَكَ في النَّاسِ سيرَةٌ حَسُنَتْ فَهْيَ صِراطٌ من رَبِّهِمْ مستقيمُ

لَكَ دانتْ خَوْفاً فراعِنَةُ الشَّامِ فَهلْ كانَ فيهِ موسى الكَليمُ

كلَّ ما مَـــدَّةٍ تَمُدُّ بأَقلامِكَ يَحْيىٰ بِخَطِّهــــا إقليمْ

أَنتَ في الشَّرْعِ إنْ شَرَعتَ فقيهٌ أَنتَ في الرَّأْيِ إنْ حكَمْتَ حكيمُ

---

(١) الكَتَم : نبات يُخضَبُ به .

(٢) لايخفى مافي هذا البيت من التفات الى بيت المتنبي :

انا الذي نظر الأعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من به صَمَمُ

(٣) المُلِمّ : من الإلمام ، وهو الزيارة القصيرة .

ولقد أخجلَ الطيالِسَ شُرْبوشُكَ تاللهِ إنَّ ذا لعَظيمُ

ليسَ يرضى إلاَّ بحُكْمِكَ في كل مقامٍ تقومُ فيهِ الخُصومُ

لو تَوَلَّيْتَ الحُكمَ لَمْ يَكُ في العالَمِ لاظالِمٌ ولا مظلومُ

رَضِيَ النَّاس عنكَ في الدَّهرِ والسُّلطانِ واللهُ الواحِدُ القيُّومُ[1]

قُمتَ فيها وليتَ مضطَلِعاً لا ضالِعاً [لا] ولست أنت سئومُ[2]

ومتى ترضَ أَنتَ رَوحٌ نسيمٌ   ولدى السُّخطِ أَنتَ ريحٌ سَمُومُ

أَنتَ رضوانُ والنعيم متى ترضَ وفي السُّخطِ مالكٌ والجَحيمُ[3]

أَنتَ قَرمٌ في الحَقِ سهلٌ وفي الباطِلِ صعبٌ تَفرُّ مِنْكَ القُرومُ

زادَكَ اللهُ في ارتفاعِكَ فيما   أَنتَ فيهِ سعادَةً لا تَريمُ

ليسَ إلاَّ في كسبِكَ الحمدَ بالمعروفِ يوماً لَكَ الغَرامُ غَريمُ

لَمْ تَكن تَزدَهيكَ بالحُسنِ يوماً   ظَبيَةٌ لا ولا يشوقُكَ ريمُ

لا ولا تَستَفِزُّكَ ابنَةُ كَرَمٍ   بِصِفاتٍ بِها تَتيهُ الكُرومُ

---

(١) القيوّم : الذي لا ندَّ له ، او لا بُدّ منه ، وهو من اسماء الله تعالى .

(٢) هذا البيت ورد ناقصاً إلا أن الناسخ وضع الى جانب البيت كلمة « لأيّ » لاضافتها اليه ورأينا أنها زائدة لأن إضافتها تخل بالوزن والبيت ينقصه وتد بعد كلمة « ضالعاً » لتتم به « فاعلات » وقد أضفنا كلمة (لا) تلافياً للنقص ونظن أن الناسخ قد وضع « لأي » إلى جانب الأبيات بدلاً من «لا» .

(٣) رضوان هو خازن الجنة ومالك خازن النار كما في الكتب الدينية .

قهوةٌ في الكُؤوسِ تَنْفَحُ صِرفاً فينـال انتشاقَهـا المزكومُ

وهيَ تَنفي الهمومَ يا مَن لَدَيهِ هِمَمٌ تَبْهَرُ الورى وهُمُومُ

لَكَ ساقٍ حزمٌ وشاديكَ عَزْمٌ والتُّقى والكتابُ «فيك» نديمُ[1]

وَلَدَيكَ الغداةَ من وَلَدَيكَ النُّقْلُ ، نِعمَ الثِّمارُ والمشمومُ

طَرِبٌ أنتَ بالصَّهيلِ كما يُطْرِبُ شَرباً عيدانُهم والبُمُومُ[2]

يومَ بيضُ الظُبا وسمرُ القنا حينَ سَوادُ القتامِ ليلاً نجومُ

وَبِيُمْناكَ السَّيْفُ مِنْ مُهَجِ الأعداءِ قانٍ والْقِرْنُ مِنْكَ هَزيمُ

قالَ لمّا رَآكَ : لا أَظْلِمُ النَّفْسَ ، فَوَلّى كما يُوَلّي الظَّليمُ[3]

لَكَ « فِتْيانُ » لَمْ يَزَلْ يا فَتى الْفِتْيانِ عَبْداً عَنْ وُدِّهِ لا يَخيمُ[4]

شُكْرُهُ في الْمَنْثورِ دُرٌّ نَثيرٌ مَدْحُهُ في الْمَنْظومِ دُرٌّ نَظيمُ

فَهُوَ ما دُمتَ في الزَّمانِ عَزيزٌ لَيْسَ يَشْكو مِنْ أَهْلِهِ مَن يُضيمُ

حَظُّهُ (يا مُبارِزَ الدّينِ) أَضحى نائِماً دونَهُ وأَنتَ عَليمُ

---

(١) اضفنا كلمة « فيك » الى هذا البيت ليستقيم الوزن وبدونها يختل وقد سها الناسخ عن هذه الكلمة او عن كلمة اخرى قريبة من هذا المعنى .

(٢) العيدان : جمع عود ، وهو أداة العزف المعروفة ، والبم : وتر العود الغليظ او « القرار » كما يسمى اليوم وجمعها بُمُوم .

(٣) الظليم : ذكر النعام .

(٤) خام : نكص وجبن وكاد له : مضارعها : يخيم .

وهْوَ يَرْجو جُودَ الإلٰـهِ وَما خَيَّبَ حُسْنَ الرَّجاءِ فيهِ ٱلْكَرِيمُ

إنَّمـا أَنتَ بَيْنَنا مَلِكٌ أَرْسَـــلَهُ لِلْعِبادِ رَبٌّ كَـرِيمُ

عَجِبَتْ مِنْكَ ٱلْعُرْبُ وٱلْعُجْمُ والإفْرَنجُ والتُّرْكُ كلُّها والرّومُ

قد جَمَعتَ الخَيراتِ للجامعِ المعمور فاستَبشَرَ الفَقيرُ العَديمُ

وغدا معموراً بِهِ يا أَبا اسحـــــقَ مِنكَ المهدودُ والمهدومُ

وسَما نسرُهُ إلى الأُفْقِ يَدعو لَكَ رَبَّ السَّماءِ وهو يَحومُ

ولِلأَيّامِ دَولَةِ المَلِكِ العـادِلِ فيـكَ التَّفْخيمُ والتَّعظيمُ

مَلِكٌ مُلكُهُ سمـــا بِوزيرٍ شأْنُهُ في الزَّمانِ شأْنٌ عظيمُ

فلِهـــذا يدينُ كلُّ وزيرٍ وكذا في المُلوكِ خطبٌ جسيمُ(١)

فَلَقَدْ حُصِّنَتْ بـهِ بَيْضَةُ الإسلامِ في دَهرِنا وَصينَ الحَريمُ

ولها من «مُبارزِ الدينِ» سيفٌ ليسَ ينبو ولم تَشِنهُ ثُلُومُ

تتمنَّى بغـــداد سِيرَتَهُ فيهـــا ومصرٌ وزَمزَمٌ والحَطيمُ

قَدَّماهُ لِنُصْحِـــهِ ولقـــد حُقَّ لمن كانَ مِثْلَهُ التَّقديمُ

خَلَّدَ اللهُ دَولَةَ المَلِكِ العـادِلِ ما زانَتِ السَّماءَ النُّجومُ

---

(١) أثبتَ هذا البيت الى جوار القصيدة وكان سها عنه الناسخ ومعناه كما يبدو غير واضح .

وقال يمدح القاضي نجم الدين أبا البركات بن أبي عُصْرون قاضي حماه رحمه الله[1] :

رَمَوُا الجِمارَ وفي فؤادي منهُمُ ... أفديهُمُ ، جَمرُ الغضا يتضرَّمُ[2]

لما أتَوا عَرفاتٍ اشتملوا على ... إنكارِنا سَلِموا فَهلاَّ سَلَّموا[3]

وعلى الصَّفا لم يصفُ ودُّهُمُ ولي ... قلبٌ هناكَ مُتيَّمٌ ومُتيَّمُ

بلغوا المُنى بالعيشِ إذ بَلَغَتْ مِنىً ... حتى إذا زُمَّتْ بزَمْزَمَ زَمْزَموا[4]

جَهَرُوا بِتَلْبيةِ الإلٰـهِ فصادَفَ الـــدُّرَّ النَّثيرَ اللؤْلؤُ المتَنَظِّمُ

وثَنَوا إلى الحجر الأَحَمِّ مباسماً ... عنها البروقُ لوامِعاً تتبَسَّمُ[5]

وسَفَرنَ عند طوافِنا عن أوجُهٍ ... شَمسُ الضُّحىٰ حَسَداً لها تتلَثَّمُ

---

(١) من العائلة المعروفة آل عصرون واليهم ينسب سوق العصرونية المعروف في دمشق ، وقد كان الممدوح مدرساً في مدارس دمشق اول امره ثم ذهب قاضياً الى حماه .

(٢) الجمار : هي الحصى التي يرميها الحجاج بعد نزولهم من عرفات الى منى ويرجمون بها ابليس .

(٣) يلاحظ الجناس بين « عرفات » و « انكارنا » ، ويقصد الى : المعرفة والتنكير والانكار .

(٤) منى : من مواطن الحجّ ، وزمزم : بئر مشهورة الى جوار الكعبة ، وزمزم : « الفعل » معناه صات بعيداً صوتاً له دوي ، والمغني : رنّم .

(٥) الحجر الأحمّ : هو الحجر الأسود المعروف ، والحُمّة لون بين الدهمة والكمتة.

هُمْ يَمَّموا البَيْتَ العَتيقَ لقَتْلِنا ... بِئْسَ الفِعالُ و نِعْمَ بَيْتاً يَمَّموا

لمّا رَنَونَ بأَعْيُنٍ بسهامِها ... يَجْري على الوَجَنات منهنَّ الدَّمُ

هذا لنا مِنهُمْ و نَتْبَعُ عيسَهُمْ ... إِنْ أَيْمَنوا أَو أَنجَدوا أَو أَتهَموا[1]

أَيَجوزُ حَجُّهُمُ وما مِن لحظَةٍ ... إِلاَّ بها منهُنَّ يُقْتَلُ مُسْلِمُ

بيني وبينَ القومِ « نَجْمُ الدينِ » أَعْمَـلُ مَن تصَدَّرَ بالعُلومِ وأَعْلَمُ

بَحْرٌ ولكِنْ بالمكارِمِ مُفْعَمٌ ... حَبْرٌ لدَيْهِ كلُّ حَبْرٍ مُفْحَمُ

تَسقي الأَقاليمَ الحَيا أَقلامُهُ ... وبِهِنَّ أَظفارُ الخُطوبِ تُقَلَّمُ

عَزَماتُهُ شُهبٌ ثواقِبُ في العُلا ... منها شياطين الأَعادي تُرجَمُ

تأبى المدائحُ أَنْ تصاغَ لغَيرِهِ ... كِبراً وتَنْجَحُ حينَ فيهِ تُنَظَّمُ

وتُرى الخُصومُ لديهِ شاءً راعَها ... بِزَئيرِهِ في الحفل منه ضَيْغَمُ[2]

جاشَ المديحُ فلَمْ أَجِدْ أَهْلاً لَهُ ... أَحداً سِواهُ فلَمْ تَلُمْني اللُّوَّمُ

عُدِمَ النَّظيرُ لَهُ ولوْ وُجِدَ الغِنى ... في دَهْرِنا ما كانَ يُوجَدُ مُعْدِمُ

لو مُلِّكَ الدُّنيا لجادَ بِها على ... من يعْتَفيهِ مُبادِراً لا يَنْدَمُ

لمَّا رأَى الدنيا الدَّنِيَّةَ أَهْلُها ... مَعبودُهُمْ دينارُهُمْ والدِّرْهَمُ

---

(١) أيمنوا : ذهبوا صوب اليمن ، وانجدوا : اتجهوا الى نجد ، واتهموا : قصدوا تهامه . وكلها من بلاد الجزيرة العربية .

(٢) الشاء : جمع شاة وهي النعجة ، والضيغم : الأسد .

هَجَرَ الغِنىٰ وبَنىٰ له خَيْرَ البُنا غَنِمَتْ مساعيهِ فَنِعْمَ المَغْنَمُ

من كانَ هـذا فِعْلُهُ في دَهْرِهِ فلَهُ الإلٰـهُ بكُلِّ خيرٍ يَحْتِمُ[١]

يقِظٌ على كسبِ المحامِدِ مُقْدِمٌ وعَنِ الدَّنايا والمطامِعِ مُحْجِمُ

وإلى الطِّرازِ الأوَّلِ ٱرتفَعَتْ بهِ شِيَمٌ لها الدِّينُ الرِّداءُ المُعْلَمُ[٢]

ثَبْتٌ إذا طاشَتْ حلومُ أُولي النُّهىٰ أَرْسىٰ بِحِضْنَيْ يذبُلٍ بَلْ أَعْظَمُ[٣]

ويدوسُ فَرْقَ الفَرْقَدَيْنِ بِهِمَّةٍ من تَحْتِ أَخْمَصِها السُّها والمِرْزَمُ[٤]

ماالرَّوْضُ ممطوراً يُضاحِكُ نورُهُ شَمسَ الضُّحىٰ فيفوحُ وهوَ مُنَمْنَمُ

يوماً بأَطْيَبَ من ثيابِكَ في الوَرىٰ كَلاَّ ولا مِسْكٌ أَريجٌ يَفْغَمُ

أَهْدَيْتُ مَخْشَلَباً إلىٰ من لفْظُهُ دُرٌ وسائِطُ حُسْنِها تُتَوَسَّمُ[٥]

لَئِنِ ٱهتَدَى بالنَّجْمِ أَقْوامٌ فقدْ أَمسَتْ بنَجْمِ الدِّينِ تُهْدى الأَنْجُمُ

---

(١) حتم : قضى

(٢) كلمة الأوَّل التي وردت في الشطر الأول سها عنها الناسخ ثم اثبتها الى جوار البيت . والمُعلَمُ : المخطط .

(٣) يذبل : جبل معروف ، وثبت : ثابت الجأش والقلب

(٩) الفرقدان : نجمان قريبان من القطب الشمالي ، والسها : اسم نجم صغير ، والمرزم : نجم وهما اثنان ، المرْزَمان .

(٥) المَخشَلَب : عِقد من حبات خشبية ، الوسائط الحبات الكبار في وسط العقود ، تُتوسَّم : تتخيل .

بغداد حاسِدَةٌ حماةَ بهِ ودِجْلَتُـــــها لعاصيها تُطيعُ وتَخْدِمُ

وهُوَ ٱبنُ حبرٍ ليْسَ يُنكِرُ فضْلَهُ ... وعُلاهُ في الإِسْلامِ يوماً مُسْلِمُ

عَنْ شأْوِهِ كلُّ ٱمرىءٍ مُتأَخِّرٌ ... وبِهِ تَقَدَّمَ كلُّ مَنْ يَتقدَّمُ

ولأَنتَ نَجْمُ الدِّينِ سَعْدٌ ناشرٌ ... فيهِ أَبا سَعْدٍ وفيه يُترجِمُ[1]

لَكَ يا شَبيهَ أَبيهِ هِمَّتُهُ ومَنْ ... يُشْبِهْ أَباهُ فإِنَّهُ لا يَظْلِمُ[2]

لَكَ هِمَّةٌ علياءُ عُصْرونِيَّةٌ ... فالشُّهْبُ شُهْبٌ تَحْتَها تَتَحَمْحَمُ[3]

للشَّافعيِّ بكُمْ فَخارٌ بَعْدَهُ ... أَنوارُهُ مَشْهورَةٌ لا تُكْتَمُ[4]

وإِلى أَبي البرَكاتِ نُسْرِجُ خَيْلَنا ... بِرَجاءِ نائِلِهِ الجَزيلِ ونُلْجِمُ

لازالَ طولَ الدَّهْرِ يُنْعِشُ خامِلاً ... ويُفيدُ عِلْمَ الخَيرِ مَنْ لا يَعْلَمُ

---

(١) سعد ، وأبو سعد : قد يكون الشاعر قصد بهما سعد الدولة ، او قصد الامير سعد الدين مسعود بن بشارة وهما من الامراء في زمن الشاعر .

(٢) في هذا البيت التفات الى المثل القديم المنظوم : ومن يشابه أبَهُ فما ظلَمْ . وفي هذا المثل شاهد لغوي ونحوي فان بعض العرب كان يقصر الاسماء الخمسة فيقول : أبَهُ بدلاً من أباه كما هي القاعدة في حالة النصب .

(٣) عصرونية : نسبة الى آل عُصْرون في دمشق . وحمحم : صوَّت .

(٤) يبدو أن آل عصرون كانوا على المذهب الشافعي .

وقال يمدح الأميرَ سعيد الدين مسعود بن بشارة [1]

دَعِ الحِمَى وليالي الضالِ والعَلَمِ   وعَدِّ عن ذكْرِ أيّامٍ على إِضَمِ [2]

ولا تُقُلْ حبذا نجدٌ وساكِنُهُ   ولا تُعَرِّج على سَلْمى بذي سَلَمِ [3]

قَدْكَ اتَّئِبْ ما بناتُ العُربِ إنْ زُهِيَتْ

بالحُسنِ مثْلَ بناتِ التُّرْكِ والعَجَمِ [4]

مِنْ كُلِّ مُرْتَجَّةِ الأَردافِ لَيِّنَةِ الأَعْطـافِ مَمْدوحَةِ الأَخلاقِ والشِّيَمِ

تُريكَ من وَجْهِها والفَرْعِ ، حاسِرَةً   قِناعَها ، الشَّمسَ في داجٍ من الظُّلَمِ

تَهُزُّ من قَدِّها في الحِقْفِ رُمْحَ قَناً   كم لي بِطَعناتِهِ في القَلْبِ مِنْ أَلَمِ

هِيفُ الخُصُورِ نَقِيَّاتُ الثُّغورِ يُطَرِّفْنَ الأَصابِعَ بالعُنَّابِ والعَنَمِ [5]

---

(١) من امراء عصر صلاح الدين .

(٢) أَضِمَ عليه يأضَم أضَماً : غضب ، والأضَم : الحقد ، وإضَم بكسر الهمزة وفتح الضاد : جبل ، والوادي الذي فيه المدينة المنورة وهو المقصود هنا ، وذو إضَم : ماءٌ بين مكة واليمامة .

(٣) سلمى : اسم امرأة . وذو سَلَم ، اسم موضع .

(٤) قَدْكَ : يكفيك ، او اكتف ، واتئب : من اتأب : خزي واستحي والماضي منه : وأبَ . وزُهيَ : زَهْواً وزُهُوّاً وزهاءً « وبالياء للمفعول » فهو يزهُو : اعجب بنفسه وتكبّر .

(٥) العنّاب : ثمر احمر اللون معروف ، والعَنَم : صبغ أحمر .

إنَّ العُيونَ التي ضاقتْ محاجِرُها أَمضى مِنَ النُّجلِ في قَتلي وسفكِ دَمي[1]
وللأغالِقِ حُكْمٌ في التَّغَلْغُلِ لا ينالُهُ ناسِجٌ بالعَرْضِ والعِظَمِ[2]
لاتبكِ في الحَيِّ إثْرَ الظَّاعِنين أَسىً بعَرْصَةٍ دُمِنَتْ بالشاءِ والنَّعَمِ[3]
وقِفْ على بانياسَ الشُّكرَ إنَّ بها مَسعوداً بنَ حُسامِ الدينِ ذا الكَرَمِ[4]
منهُ بها كعبَةُ الإحسانِ طافَ بها العُفَاةُ تطوافَ وفدِ البيْتِ والحَرَمِ
لِأَبنِ البِشارَةِ سَعْدِ الدينِ فَيضُ ندىً بِهِ يَمُدُّ يداً تُغني عنِ الدِّيَمِ
يدٌ أَنامِلُها تُهدي الفخارَ إلى العِنانِ والسَّيْفِ والقِرْطاسِ والقَلَمِ
ما زالَ في الحَرْبِ معقوداً لَهُ عَلَمٌ والنصْرُ يَخدُمُهُ في معقَدِ العَلَمِ
كَمْ غارَةٍ في الأَعادي شَنَّها فدَهَتْ بالقَتْلِ والسَّبْيِ والأَطفالِ والحُرَمِ[5]

---

(١) العين النجلاء : الواسعة ، وهو يقصد هنا إلى أنه يفضل العيون الصغيرة المعروفة عند الترك على العيون عند الأمم الأخرى كالعرب وغيرهم .

(٢) الاغالق : لم نستطع معرفة القصد من هذه الكلمة لتعدد معانيها ولأننا لم نعثر على هذه الصيغة بالذات فالمغلق والمغلاق هو سهم في الميسر ، وهذا هو المعنى المقصود كما نرجح ، والغَلَق ما يغلق به الباب وجمعها اغلاق واغاليق . وغلِق الرجل : ضجر وغضب . الخ .

(٣) العَرْصة : ساحة الدار . ودمنت من الدمن : البعر والسواد وعفن الشجر ، والدمنة : المزبلة ودمَّنت الماشية الدار : بعرت فيها وتركت آثارها .

(٤) بانياس : هي بلدة الشاعر ، وقد شككنا في أنها بانياس الساحل ، او التي بجوار القنيطرة على حدود فلسطين .

(٥) هذا البيت والابيات الثلاثة التي سبقته جاءت في النسخة المصورة مكررة سهواً وقد شطب الناسخ على المكررة منها .

لو بارزَ الليثَ في يوم الهياجِ لوَلَّى اللَّيْثُ يمنحه أكتافَ مُنْهَزِمِ

لَيْثٌ تريكتُهُ شمسٌ ولهذَمُهُ نَجْمٌ وصارِمُهُ نارٌ على عَلَمِ

ودِرْعُهُ مثلُ أحداقِ الجَرادِ عُيونُها تَرَقْرَقُ ماءً غيرَ مُنْسَجِمِ

وطِرْفُهُ أَعْوَجِيٌّ لَوْ تُسابِقُهُ رِيحُ الجَنوبِ كبتْ كالظّالعِ الحَطِمِ[1]

هُوَ الّذي انتاشَني من عثْرَةٍ كَرَبَتْ حاشاهُ يصْرَعُني من زَلَّةِ القَدَمِ[2]

كأنَّني وهو في شُكْري مواهِبَهُ عِنْدي، زهيرٌ وقدْ أَثْنى على هَرِمِ[3]

مُنافِسٌ في اكتِسابِ المَجْدِ دَيْدَنُهُ فَكاكُ عانٍ وإنقاذٌ من العَدَمِ

من بِشْرِهِ يتلقَّى باسِمٍ والِدِهِ مَن يعتَفيهِ بثَغْرٍ منهُ مبتَسِمِ

لَوْلا أَياديهِ بعدَ اللهِ تدرِكُني لكُنْتُ مُسْتَضْعَفاً، لحَماً على وَضَمِ

فَعاشَ ما شاءَ في عِزٍّ ومَقْدِرَةٍ وغِبْطَةٍ وَسُرورٍ دائِمِ النِّعَمِ

وافانِيَ البِرُّ وهوَ البِرُّ يَحْمِلُهُ عشْرٌ منَ الإبِلِ الوَخّادَةِ الرُّسُمِ[4]

---

(١) طرف اعوجي : اي حصانٌ منسوب الى أعوج وهو رجل عربي عرف باصالة جياده . الضالع والظالع (بالضاد والظاء) : الاعرج والمائل ، والحَطِم : الهرم المُسن الضعيف .

(٢) انتاشه : اخرجه وانقذه .

(٣) زهير : هو ابن أبي سُلمى المزني أحد أصحاب المعلقات الشهيرة وهرم : هو هرم ابن سينان ، ممدوح زهير .

(٤) الرُّسُم : السائرة ، ورَسَم البعير : سار فوق الذميل اي اكثر سرعة والوخّادة : من الوَخْد وهو ضرب من سير الإبل .

وقال :

عَجِبْتُ ولكِنْ من مَلامَةِ لُوَّمي ... سَفاهاً على حُبِّ العِذارِ المُنَمْنَمِ [1]

ولا خَيْرَ في رَوْضٍ إذا كانَ مُمْحِلاً ... ولا كاغِدٍ بالخَطِّ غيرَ مُوَشَّمِ [2]

وفي الخدِّ خالٌ خالَهُ القَلْبُ إذ بدا ... سُوَيْداءَهُ فالقَلْبُ مُغْرىً بِمُغْرَمِ

وبي كَلَفٌ ياصاحِ بالكَلَفِ الَّذي ... يلوحُ على البَدْرِ المنيرِ المُتَمَّمِ [3]

سُقيتُ بحِبّي سَيْلَ غاليةٍ جَرىٰ ... بتُفَّاحَتَيْ خَدَّيْ حبيبٍ منَعَّمِ

على وَرْدِهِ المحْمَرِّ دبَّتْ نِمالُهُ ... إلى أُقْحُوانِ الثَّغْرِ في عَسَلِ الفَمِ

فَيالَكَ من مَرْأىً بَهِيٍّ ومنظَرٍ ... شَهِيٍّ عليْهِ الحُسْنُ لَمْ يتَلَثَّمِ

فَمِنْ قدِّهِ المُهْتَزِّ يخطو بذابلٍ ... ومِنْ لَحَظِهِ المُحْتَرِّ يسطو بمِخْذَمِ [4]

ويغنيهِ عمَّا في الكِتابةِ طَرْفُهُ ... على طِرفِهِ والشوسُ في الحَربِ ترْتَمي

فأَحْسِنْ بهِ يومَ الوَغىٰ من مُطَهَّمٍ ... على سابحٍ نهدٍ كُمَيْتٍ مُطَهَّمِ

---

(١) المنمنم : المزخرف .

(٢) كاغد : معناها الورق واصلها فارسي ، ومُوَشّم من الوشم : وهو الدق بالأبرة على اليد ؛ والقصد هنا الكتابة .

(٣) الكلف الأول : الحب . والكلف الثانية : ما يبدو من بقع على الجسد أو الشمس .

(٤) المحترّ : لم نعثر على هذه الصيغة بالذات ورجحنا أنّها من حتَرَ : الشيء يحتره ، احدّ النَظر فيه ، ولها معان اخرى .

فَمِنْ لحَظِهِ والقَدِّ أَصبو إِلى الظبىٰ وأَهْوى ٱعْتِناقَ السَّمْهَرِيِّ المقَوَّمِ
وبي غُلَّةٌ لا يملِكُ الماءُ نقْعَها ولكنْ لَماهُ كالرَّحيقِ المُفَدَّمِ
وشوقٌ كَأَطْرافِ الأَسنَّةِ في الحشا لَهُنَّ كُلومٌ لم تُعالَجْ بمَرْهَمِ
أَرى التُّرْكَ للإِسْلامِ خيرَ حُماتِهِ وما يتَّقونَ اللهَ في قتْلِ مُسلِمِ
وأَهْيَفَ في أَجفانِهِ سِحْرُ بابلٍ وهاروتُ مَشْغوفٌ بقَتْلِ المُتَيَّمِ
ولمّا رَآني مُقْبِلاً مُتَبَسِّماً وواهاً لَهُ مِنْ مُقْبِلٍ مُتَبَسِّمِ
تَساقَطَ فوهُ لؤلؤاً مُتَبَدداً نَعِمْتُ به من لُؤْلُؤٍ مُتَنَظِّمِ

وقال :

يا بَدْرَ تِمٍّ ليسَ لي منهُ سِوى رَعْيِ النُّجومِ
أَجْفانُكَ السَّكرى مُعَرْبِدَةٌ كثيراتُ الخصومِ
ما سُكْرُها إلاّ بما فيفيكَ من بنتِ الكُرومِ
لو ذُقتُ خمْرَ لَماكَ لَمْ أَكُ شاكِياً طولَ الهُمومِ
نَقَلَ القُلوبَ هواكَ عَنْ حُكْمِ الخُصوصِ إلى العُمومِ

وقال :

وشادِنٍ صِبغَة شُربوشِهِ في لونِها والفِعْلِ كالعَنْدَمِ

مُعْتَقِلٌ من قدِّهِ ذا بِلاً ولحْظُهُ أَمْضى من المِخْذَمِ

لا غَروَ إِنْ راحَ وملْبُوسُهُ كأنَّما أَصْدَرَهُ عَنْ دَمي

كأَنَّهُ بَدْرٌ تَجلَّى لنا من شَفَقٍ أَحْمَرَ كالعَنْدَمِ[1]

وقال يتغزلُ بِصَبيٍّ اسمهُ عبد الرحمن من الملاح بدمشق :

كلُّ مَليحٍ عبدُ عَبد الرَّحيم لكنَّهُ ما قلبُهُ بالرَّحيمْ

واعجباً مني ومنهُ وما أَعْجَبَ ليثاً صادَهُ لحظُ ريمْ

كيفَ خَلاصي من غرامي بِهِ وهوَ الَّذي لازَمَني كالغَريمْ

أَنا الَّذي من سُقْمِ أَجفانِهِ وخَصْرِهِ النَّاحِلِ جِسْمي سَقيمْ

يَنْثُرُ إِنْ حَدَّثَني لُؤْلُؤاً منْ ثَغْرِهِ والثَّغْرُ درٌّ نَظيم

ويُطلِعُ الشَّمسَ على الغُصنِ في حِقْفِ النَّقا من تَحتَ خَصرٍ هضيم

ووجْهُهُ والشَّعرُ شمسُ الضُّحىٰ طالِعةً من تحتِ ليلٍ بهيم

ما زالَ بالوصْلِ بخيلاً وبالصُّدودِ والإعْراضِ عنّي كريم

وهو الَّذي أَسْكَرَني حُبُّهُ وليسَ إلاَّ نَدَمي لي نَديم

لا تعذِلوا يعْقوبَ في حُبّهِ يوسُفَ إنَّ العَذْلَ إِثْمٌ عَظيم

إِنّي أَرى العاذِلَ لي في الهَوى على صِراطٍ ليسَ بالمسْتَقيم

---

(١) يلاحظ تكرار هذه القافية في هذه المقطوعة الصغيرة .

وقال وقد سأله من يعزُّ عليه أن يعمل أبياتاً في صبيٍّ اسمه إبراهيم من الملاح في دمشق :

سُقْمُ جسمٍ أعْداهُ طَرفٌ سَقيمُ   والهوى داؤهُ عَذابٌ أليمُ
كيفَ يُرجى من الهوى ليَ بُرْءٌ   أبداً بعدَ ما غرامي الغَريمُ
عاذِلي خَلِّني فعَذْلُكَ في الحُـبِّ   سَفاهٌ عندي ولومُكَ لُومُ[1]
كيفَ يبرا قلبٌ تبوّأَ سُكْناهُ   أميرُ المِلاحِ إبراهيمُ
رَشأٌ لَيِّنُ المعاطِفِ لَدْنُ القَدِّ   ساجي الجُفونِ ريمٌ رَخيمُ[2]
يوسُفِيُّ الجمالِ حُلْوُ المُحَيَّا   بابِلِيُّ اللِّحاظِ ظَبيٌ ظَلومُ
غُصُنيُّ القوامِ والغُصنُ من أيـنَ   له منهُ قدُّهُ المسْتَقيمُ
مستَحِلٌّ قتلي ولَمْ يكُ في ذاكَ   عَلياً بأنَّهُ مَأثومُ
فيهِ نارٌ وجَنَّةٌ وضلالٌ   ورَشادٌ وشِقوةٌ ونعيمُ
رقَّ حتى لو أنَّهُ مرَّ في الصُّبْـحِ   لأوهاهُ في الهُبوبِ النَّسيمُ

---

(١) اللُّوْم : هو اللُّؤم لُيِّنت همزته .

(٢) الرشأ : ولد الغزال ، وساجي الجفون : فاتر اللحظ ، والرخيم : الرقيق الصوت .

وقال يتغزلُ بصبيٍّ اسمه هيثم :

أنا لا أُصيخُ إلى مقالِ اللُّوَّمِ ... إذْ يعذِلوني في محبة هيثمِ
ملَكَ الجمالَ بأَسْرِهِ في أسرِهِ ... لم ينْصَرِفْ رائيهِ غيرَ مُتَيَّمِ
هُوَ مُسْلِمٌ لكنَّهُ لم يَرْتَدِعْ ... في الحُبِّ عَنْ قتلِ المُحِبِّ المُسلِمِ
فَلِقَدِّهِ وللحظِهِ أَصْبُو إلى الرُّمْـحِ المُثَقَّفِ طاعِناً باللَّهْذَمِ
ولِفَتْكِ ناظِرِهِ بناظِرِهِ أرى ... أَنِّي أُقَبِّلُ كلَّ سيفٍ مِخْذَمِ
ويَشوقُني وقعُ السِّهامِ ونَزْعُها ... إذْ يُرْسِلُ اللَّحَظاتِ مِثْلَ الأَسْهُمِ
وهو الذي أَضحَتْ لهُ عَدَدٌ بها ... يَسْطو على الزَّرَدِ الحَبيكِ المُحْكَمِ[1]

وقال وقد سألَ عنه صاحب له بعضَ أصدقائهِ[2] :

فقال : قد قططناهُ[3] ، فبلغه ذلك فقال :

إنْ قُطِطْنا لم يكُنْ نَدَمُ ... قد يُقَطُّ الشَّمْعُ والقَلَمُ

---

(١) كلمة « أضْحَتْ » اثبتت الى جانب البيت لأنَّ الناسخ سها عنها . والحبيك : المحبوك ، من حبَك الزرد في الدرع .

(٢) وردت كلمة « بعض » مضافاً اليها « ل » وهي زيادة من الناسخ .

(٣) وقَطَّ تعني : قطع .

فَيُرى من قَطٍّ ذاكَ سَناً وتُرى من قَطٍّ ذا حِكَمُ[1]

وقال ، وكتبها إلى صديقٍ له يستدعيه :

إرْحَمْ بُكاءَ الرَّاووقِ في الظُّلَمِ بأَدمُعٍ مثلِ واكِفِ الدِّيَمِ
شَوْقاً إلى وجْهِكَ الكَريمِ وما حَويتَهُ من محاسِنِ الشِّيَمِ

وقال يهجو قوماً كان يتردَّدُ إليهم :

عاتَبَني الفَضْلُ إذ رآني أَسْعى إليكُمْ في كلِّ يَوْمِ
وقالَ لي لا جُزيتَ خيراً ضيَّعْتَني عند شَرِّ قَوْمِ

وقالَ يهجو أَهل الزبداني :

وبالزَّبدانيِّ الكُرومُ كثيرَةٌ ولكنَّها أَضْحَتْ لغيرِ كرامِ
ولو حفِظوا أَعْراضَهُمْ مثلَ حفظِها لكانوا لَعَمرُ اللهِ غيرَ لِئامِ

وقال :

إذا كنتَ في جِلَّقٍ راجلاً وحَلَّ الشِّتاءُ حُلولَ المُقيمِ

---

(١) « ذاك » في الشطر الأول تعنى الشمع ، و (ذا) في الشطر الثاني تعنى : القلم .

فلا تطلُبِ الرِّزْقَ حتى تَرى من الصيفِ يوماً نقيَّ الأَديمِ
فكَمْ زلقَةٍ في حواشي الطَّريق تَرُدُّ الثِّيابَ بخِزْيٍ عظيمِ
ووغْدٍ غدا راكباً سابقاً لئيماً أَضرَّ بماشٍ كَريمِ

وقال :

تُخادِعُنا الدُّنيا بطيبِ نسيمها وما هو إلا الشُّهْدُ خالطهُ السُّمُّ
وتلتذُّ بالأَنفاسِ جهلاً نُفوسُنا وما نَفَسٌ إلاّ وفيه لها كَلْمُ

وقال وكتبها إلى أَخيه عمادِ الدين رسلان بن عليٍّ وكان نازلاً بالمعسكر العزيزيّ على مسجِدِ القدم[1] :

كفى حزَناً أَنيِّ من الشَّوقِ لم أَنَمْ وهاتيكَ نيرانُ الأَحِبَّةِ والخِيَمْ
وأَنّيَ بالشَّاغُورِ ثاوٍ ومنزِلُ الأَحِـبَّةِ قُدّامي لدى مسجِدِ القَدَمْ[1]
وأَنَّ مُقيماتٍ بمنْعَرجِ اللِّوىٰ لأَقْرَبُ لي من دارِهِمْ وهُمُ أَمَمْ[2]
وكم بيننا ، والدّارُ منّا قريبةٌ ، إذا نحنُ حاولنا الزِّيارَةَ ، منْ عَلَمْ

(١) القدم : قرية إلى الجنوب من دمشق وتكاد تكون متصلة بها ، والشاغور : حيٌّ منْ أحياء دمشق .

(٢) أنّ : التي وردت أول البيت ، كتبت سهواً « أنى » مع الألف المقصورة وقد جرى التصحيح وفقاً للقصد .

وبيضٍ وسُمرٍ من سُيوفٍ ومن قنا ظُباها من الأبطالِ راعِفَةٌ بدَمْ

وخيلٍ كأَمثالِ السَّعالي مُشيحةٍ بشوسٍ مُلوكِ التُّرْكِ والعُربِ والعَجَمْ (١)

إذا حَملوا والسَّمْهرِيّاتُ غِيلُهُمْ رَأَيتَ وُرُودَ الأُسْدِ تَزْأَرُ في الأَجَمْ (٢)

وهَلْ يَنْقَعُ الظَّمْآنَ رُؤْيَةُ مَوْرِدٍ يُحَرِّمُهُ لَمْعُ الأَسِنَّةِ والْبُهَمْ (٣)

وأَصْعَبُ مِنْ هذا وذاكَ وُرودُ مَنْ يُحاوِلُ حالاً في مُجاذَبَةِ التُّهَمْ

أَخي ! إنَّ في قَلْبي إلَيْكَ صَبابَةً مُقَسَّمَةً أَجْزاءَ جِسْمي عَلى السَّقَمْ

شَرابي دُموعي والدِّماءُ مِزاجُها فَهُنِّئْتَ كاساتِ ابْنَةِ الْكَرْمِ والْكَرَمْ

لَدىٰ شادِنٍ ساقٍ وشادٍ مُغَرِّدٍ إذا ما تَغَنّىٰ أَذْهَبَ الْغَمَّ بِالنَّغَمْ

ولا زِلتَ مِنْ خَوْفي عَلَيْكَ مُسَلَّماً وعِشْتَ سَعيداً في النَّعيمِ وفي النِّعَمْ

مَدَى الدَّهْرِ ما هاجَ الْمُحِبَّ تَذَكُّرُ الحَبيبِ وما أُفْضي بِسِرٍّ إلىٰ قَلَمْ

فَكَمْ لَيْلَةٍ ، وَا حَرَّ قَلْباهُ ، بِتُّها أَهيمُ غَراماً بِالَّذي قَلْبُهُ شَبِمْ

---

(١) مشيحة : مقبلة .

(٢) السمهريات : الرماح . الغيل : مأوى الأسد . الورود : جمع ورْد وهو الأسد . والأجم : الغابة .

(٣) البُهَم : جمع بُهْمَة وهي الشجاع الشديد البأس ، والجيش .

وقال وكتبها إليه صدرَ كتابٍ :

عَدِمْنا الْكَرىٰ مِنْ بَعْدِكُمْ لا عَدِمْناكُمْ

ولَمْ نَصْحُ مِنْ سُكْرِ الهَوىٰ مُذْ هَوَيْناكُمْ

وأَغْرَيْتُمونا بِالصَّبابَــةِ بَعْدَكُمْ فَقولوا لَنا مَنْ بِالقَطيعَةِ أَغْراكُمْ

غَزَتْنا جُيوشُ الْوَجْدِ فَانفَلَّ صَبْرُنا أَلاَ فَانصُرونا عاجِلاً بِسَرَاياكُمْ(١)

مَتىٰ نَشْتَفي مِنْ بُعْدِكُمْ بِدُنُوِّكُمْ وتَجْمَعُنا دارُ التَّداني وإيّاكُمْ

أَحِبَّتَنا بِاللهِ هَلْ تَذْكُرونَنا فَإِنّا طَوالَ الدَّهْرِ لَمْ نَنْسَ ذِكْراكُمْ

رَمَتْنــا فَلَمْ تُخْطِ الْقُلوبَ نَواكُمُ بِأَسْهُمِها مُذْ أَبْعَدَ الْبَيْنُ مَرْماكُمْ

ولَوْلا النَّوىٰ لَمْ نَشْكُ مِنْ لَوْعَةِ الأسىٰ ولَوْلاكُمُ لَمْ نَعْرِفِ الْوَجْدَ لَوْلاكُمْ

عَمَرْتُمْ رُبوعَ الْوَجْدِ بَيْنَ ضُلوعِنا بِجِلَّقَ إِذْ بِنْتُمْ فَأَقْفَرَ مَغْناكُمْ

نَشُدُّ عَلىٰ أَكْبادِنا بِأَكُفِّنــا لِما يَعْتَريهــا عِنْدَ ذِكْرى سَجاياكُمْ

وما عايَنَتْ في الدَّهْرِ يَوْماً عُيونُنا مِنَ النّاسِ مَرْأىً راقَها بَعْدَ مَرْآكُمْ

ونُقْسِمُ لَوْ أَنّا اسْتَطَعْنــا زِيارَةً عَلى الرّوسِ مِنّا والْعُيونِ لَزُرْناكُمْ

ثِقوا بِوَفاءِ الْعَهْــدِ مِنّــا فَإِنَّنــا عَلىٰ كُلِّ حالٍ يَعْلَمُ اللهُ نَرْعاكُمْ

---

(١) انفلَّ : تثلمَّ ، واصلها : فلَّ يَفلُّ . وسراياكم : جمع سريَّة ، وهي عدد مُعيَّن من الجنود في تشكيل معروف عسكرياً .

قَطَعْتُمْ وَصَلْناكُمْ ، نَسيتُمْ ذَكَرْناكُمْ ، أَضَعْتُمْ حَفِظْناكُمْ ، غَدَرْتُمْ عَذَرْناكُمْ
أَلاَ فَاعْدِلوا فينا فَإِنّا رَعِيَّةٌ ولا بُدَّ مِنْ أَنْ تُسْأَلوا عَنْ رَعاياكُمْ
ومِنْ عَجَبٍ أَنّا نَحنُ إِلَيْكُمُ وما بَيْنَ أَحناءِ الأَضالِعِ مَثْواكُمْ
فَجُودوا بِكُتْبٍ إِنَّ في الْكُتْبِ راحَةً وحاشاكُمُ أَنْ تَقْطَعوا الْكُتْبَ حاشاكُمْ
كِتابُكُمُ كَالْمِسْكِ عِنْدِيَ عَرْفُهُ كَأَنّي أَرى مُسْتَنْشِقاً مِنهِ رَيّاكُمْ
أُقَبِّلُهُ والدَّمْعُ يَمْحُو سُطورَهُ كَأَنِّيَ قَبَّلْتُ اللَّمىٰ وثَناياكُمْ
عَذابُكُمُ عَذْبٌ فَما شِئْتُمُ اصْنَعوا بِعَبْدٍ عَلىٰ عِلّاتِهِ يَتَولاَّكُمْ[1]

وقالَ يمدحُ الأَميرَ بدرَ الدّينِ مَودود والي دمشق :

ومُفْتَرَّةٍ عَنْ كالجُمانِ الْمُنَظَّمِ مُسَلِمَةً ، أَحْسِنْ بِها مِنْ مُسَلِّمِ
أَلَمَّتْ فَقالَتْ : لِمْ تَأَخَّرَ عامِداً وعِنْدَكَ آلاتُ الرَّئيسِ الْمُقَدَّمِ
جَنانٌ جَريءٌ في المَقالِ ومِقْوَلٌ يُقَصِّرُ عَنْهُ مُصْلَتاً غَرْبُ مِخْذَمِ[2]
وأَنتَ الَّذي في دَهْرِنا كُلُّ فاضِلٍ إِلَيْكَ بِما فيهِ مِنَ الْفَضْلِ يَنْتَمي
وقَدْ سادَ أَقْوامٌ ولَيْسوا بِسادَةٍ وما الْعالِمُ الِمنْطيقُ كَالْمُتَعَلِّمِ

---

(١) يتولاَّكُمْ : وردت في الاصل باضافة الف بعد الواو « يتوالاكم » وهو خطأ .

(٢) مِخْذَم : السيف . والغَرْب : الحدّ

تَوَصَّلْ إلَى الْمَلْكِ بْنِ أَيّوبَ أَفضَلِ الْمُلوكِ صَلاحِ الدّينِ تَغْنَ وتَغْنَمِ

فَقُلْتُ لَهَا : كُفّي المَلامَ وأَقصِري كفانِيَ [بَدْرُ الدِّينِ] ما قُلْتِ فَاعْلَمي

هُوَ الْمَلْكُ فازَ الْقاصِدونَ بِمَغْنَمٍ لَدَيْهِ وباءَ الْحاسِدونَ بِمَغْرَمِ

دَعاني إِلَيْـــهِ جُودُهُ فَأَجَبْتُـهُ يَميناً لَقَدْ يَمَّمْتُ خَيْرَ مُيَمَّمِ

أَوَى لِي فَآواني يَفاعاً مُمَنَّعاً حَمِيّاً حَميدَ الْفِعْلِ غَيْرَ مُذَمَّمِ

أَقولُ وقَدْ وَلاّنِيَ الضَّيْمُ ظَهْرَهُ لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَها أُمُّ قَشْعَمِ[1]

أَلاَ إِنَّ بَدْرَ الدِّينِ لَوْلا ضِياؤُهُ لَصِرْنا إِلىٰ لَيلٍ مِنَ الظُّلْمِ مُظْلِمِ

يُقَوِّمُ مُعْوَجَّ الأُمورِ بِرأْيِهِ وما كانَ لَوْلا رأيُهُ بِالْمُقَوَّمِ

فَآراؤُهُ لِلثَّغْرِ كانَتْ مَفاتِحاً فَصِرْنَ لَهُ الأَقفالَ مِنْ كُلِّ صَيْلَمِ[2]

فَمُلْكُ صَلاحِ الدِّينِ وارٍ زِنادُهُ بِـهِ مُسْتَتِبّاً في سَحيلٍ ومُبْرَمِ[3]

يُرى خَيْرَ والٍ غَيْرَ آلٍ عَنِ الْعُلَى لِأَشْرَفِ آلٍ مَنْ إِلَى الْمُلْكِ يَنْتَمي[4]

---

(١) أمُّ قَشعَم : الحرب ، والداهية ، والضبع ، وقيل هي كنية ناقة نفرت فمرّت على نارٍ عظيمةٍ فاجفلت فالقت رحلهـا في النار ، فصار كناية عن السوء يصاب به المسافر .

(٢) صَيْلَم : الأمر الشديد ، الداهية والسيف .

(٣) السحيل : الخيط غير مفتول ، والمُبْرم : هو المفتول .

(٤) غير آلٍ : غير مقصرٍ ، من ألا يألو .

غدا نَحْرَ عادٍ، صَدْرَ نادٍ نَدى النَّدى سَنامَ الْعُلى قَلْبَ الخَميسِ الْعَرَمْرَمِ [1]

مَتى ما أَتاهُ قِرْنُــهُ مُتَخَمِّطاً ثَناهُ صَريعاً لِلْيَدَيْنِ ولِلْفَمِ [2]

هَنيئاً لِدُنْيانا وبُشْرى لِدينِنا قُدومُكَ بَدْرَ الدِّينِ أَيْمَنَ مَقْدَمِ

قَدِمْتَ وقَدْ أَرْوَيتَ مِنْ مُهَجِ الْعِدى شَبا صارِمٍ لَمْ يُرْوَ إلاّ مِنَ الدَّمِ

مَهيبٌ وقورٌ في سياسَتِهِ فَما يُخاطَبُ إلاّ عِنْدَ بِشْرِ التَّبَسُّمِ [3]

وأَخْلاقُهُ أَحْلىٰ من الشَّهْدِ مَطْعَماً وأَحْلىٰ من القُطْرُبُّلِيِّ المُفَدَّمِ [4]

فَلِلسِّلْمِ منهِ صورةُ البَدْرِ كامِلاً ولكِنْ له في الحَرْبِ سَوْرَةُ ضَيْغَمِ

هَصورُ العِدى شاكي السِّلاحِ فَقِرْنُهُ لَدىٰ أَسَدٍ أَظفارُهُ لم تُقَلَّمِ

إذا أُطْلِقَتْ غُرُّ المَدائحِ في الوَرى فَهُنَّ وبَدْرَ الدينِ كاليَدِ لِلْفَمِ

بسيرتِهِ أَمْسَتْ رعيَّتُهُ تَرى الدُّعـاءَ له فرضاً على كلِّ مُسلِمِ

فَكُنْ جارَهُ يا ربِّ لا تُسْلِمَنَّهُ فَما جارُهُ للنّائباتِ بِمُسْلَمِ

---

(١) نحر عادٍ : اي قتل معتد ، والخميس : الجيش الضخم .

(٢) تخمَّط : الرجلُ تكبرَّ وغضب ، والبحر : التطم . وقد نسي الناسخ ان يثبت الياء في كلمة « لليَدين » .

(٣) لايخفى الالتفات في هذا البيت الى قول الفرزدق :

يغضي حياءً ويُغضىَ من مهابتِه فما يكلَّمُ إلا حين يبتسمُ

(٤) القطربُّلي : هي الخمرة المصنوعة في بلدة (قُطْرُبُّل) العراقية وقد ورد ذكرها كثيراً عند شعراء الخمرة مثل ابي نواس .

وقال أيضاً يمدحُه :

بكاءُ الحمائِمِ ضِحْكُ الحمامِ ... لِنَيْلِ المنى من غَريمِ الغرامِ
حَمائِمُ ناحَتْ فباحَتْ أسىً ... وناجَتْ فهاجَتْ جوى المسْتَهامِ
فلِلّهِ وُرْقٌ غَنينا بهِنَّ ... عَشيَّةَ غَنَّيننا عَنْ زُنامِ
هِيَ الأَعْجَمياتُ لكنْ لها ... بيانُ آختِيارٍ فصيحِ الكَلامِ
وسُكْرُ الهَوىٰ هُوَ صِرْفٌ لَهُ ... تباريحُ ليستْ لسُكْرِ المُدامِ
أَما وخِيامٍ على حاجِرٍ ... بُنينَ فَواهاً لها من خيامِ
تُكِنُّ نهاراً شُموسَ الضُّحىٰ ... ويُطْلِعْنَ ليلاً بُدورَ التَّمامِ
يَجُدْنَ علينا بِغَمْزِ اللِّحاظِ ... ويَبْخَلْنَ عنّا بِرَدِّ السَّلامِ
إذا اللّائِماتُ رأَتْهُنَّ قُلنَ ... لحا اللهُ فيكُنَّ أَهْلَ ٱلْمَلامِ
فقَدْ تُبْنَ عن عذْلِنا وٱعْتَذَرْنَ ... وقُلْنَ سَلَكْتُمْ سَبيلَ الكِرامِ
لقدْ حازَ (مودودُ) المَكْرُماتِ ... جِساماً بِبَثِّ الأَيادي الجِسامِ
أَقَرَّتْ بتَفضيلِهِ في الأَنامِ ... على الأُمَراءِ مُلوكُ الشآمِ
هُوَ البَدْرُ واللَّيْثُ والغَيْثُ في السَّنا والنَّدىٰ والوَغىٰ إذْ يُحامي
لَهُ قَلَمٌ مِنهُ تُجنىٰ المُنىٰ ... أَجَلْ والمنايا كَحَدِّ الحُسامِ
فعاشَ كما شاءَ في دَهْرِهِ ... برَغْمِ أَعاديهِ في كلِّ عامِ

وقال وقد دعاهُ الرَّشيد بن النّابُلسيّ إلى مأدُبَة :

دَعاني الرَّشيدُ إلىٰ دَعْوَةٍ ... لَهُ جَمَعَتْ بَيْنَ كلِّ الْأُمَمْ
وأَقْبَلَ يَنْهَقُ فيها ٱلْفَصيحُ ... بنَغْماتِهِ ، فَحَمِدْنا الصَّمَمْ
وَمَرَّ يُرَدِّدُ شِعْرَ الرَّشيدِ ... فَما أَحدٌ ثَمَّ إلاّ ٱنْزَكَمْ

وقال :

أَكْثَرْتَ فيمَنْ أَهْوىٰ مَلامَكْ ... فَمَجَّ سَمْعي فيهِ كَلامَكْ
ويا خَيالَ الحَبيبِ عُدْني ... أَوْ لا فَعِدْني لَيْلاً لِمامَكْ[1]
قالَ : وأَنّىٰ تَرى خَيالاً ... في اللَّيْلِ مِمَّنْ نَفىٰ مَنامَكْ
مَنَعْتَني مِنكَ كلَّ شَيْءٍ ... يَهْواهُ قَلْبي حَتّىٰ سَلامَكْ
ما يَحْسُدُ الْبانُ إذْ تَثَنّىٰ ... قَوامَ شَيْءٍ إلاّ قَوامَكْ
يُوسُفُ لَوْ لَمْ يَكُنْ نَبِيّاً ... لَكانَ في حُسْنِهِ غُلامَكْ
أَهْوى الْبُكا إذْ أَراكَ وَجْداً ... إذْ كُنْتُ مِنْهُ أَرى ابْتِسامَكْ

وقال :

خَليلي بِالِحمْى عَرِّجْ وَسَلْ ما ... تُرى فَعلَ الزَّمانُ بِرَبْعِ سَلْمىٰ

(١) عُدْ في الأولى : من عاد يعود اي زار ، وعِدني الثانية من الوعْد ، واللمام : الزيارة القصيرة .

وأَهْدِ إلىٰ رُبىٰ نَجْدٍ سَلامي فَتِلْكَ مَعاهِدُ الأَحْبابِ قِدْما

سَقَتْها دِيمَــةٌ هَطْلاءُ تَهْمي ولا تَمْحُو لَهَا طَلَلاً ورَسْما

أَلاَ يا حَبَّذا نَفَحاتُ نَجْدٍ وزَهْرُ الرَّوْضِ مِثْلُ الْوَشْيِ رَقْما

وَدِدْتُ بِأَنَّني أَسْتافُ تُرْبَ الْغُوَيْرِ وأُوسِعُ الحَصْباءَ لَثْما[1]

بِهِ كانَ الشَّبابُ لَنا شَفيعاً ولَوْنُ الشَّعْرِ أَسْوَدَ مُدْلَهِمّا

إذِ الْبيضُ الِحسانُ رَوافِلٌ في الحَريرِ وهُنَّ أَنْعَمُ مِنْهُ جِسْما

هَزَزْنَ لَنا غُصونَ الْبانِ ماسَتْ عَلىٰ كُثْبِ النَّقا تَرْتَجُّ ضِخْما[2]

حَواجِبُهُنَّ بارِيَةٌ قِسِيّاً عَنِ اللَّحَظاتِ كَمْ أَنْبَضْنَ سَهْما

مَتىٰ تُرْسِلْ لآلي الدَّمْعِ نَثْراً أَغارُوا بِالثُّغورِ الدُّرَّ نَظْما

فَفي نَكَهاتِهِنَّ المِسْكُ نَشْراً وفي رِيقاتِهِنَّ الخَمْرُ طَعْما[3]

إذا أَنا سُمْتُ حُسْنَ الصَّبْرِ قَلْبي أَباهُ وقالَ لي : كَلّا ولَمّا[4]

---

(١) بأنني : الواردة في الشطر الاول من البيت وردت عند الناسخ وقدسقطت أحدى النونين (بأنّي) واثبتنا النون الثانية لإقامة الوزن .

(٢) ضِخَما : بكسر الضاد وتحريك الخاء بالفتح ، مصدر لفعل : ضَخُم ، وقد سكنت الخاء من أجل استقامة الوزن .

(٣) نَكَهَ له وعليه ينكِهُ نَكْهاً : تنفس واخرج نفسه بحيث يشمه غيره ، والنَكهَة : المرة وجمعها نكهات ؛ والرِّيقة هي الرِّيق ، وجمعُها : ريقات .

(٤) سُمْتُ : كلّفتُ .

وقال :

وَعَدْتُمُ الْعَوْدَ وما عُدْتُمُ ... فَأُمْرِضَ الْقَلْبُ وما عُدْتُمُ (١)

عُودُوا وعُودُوا لِيُداوِيَ الَّذي ... بالهَجْرِ أَمْرَضْتُمْ فَأَرْمَضْتُمُ (١)

أَسَرْتُمُ الْقَلْبَ ولكنَّكُمْ ... لِلدَّمْعِ يَوْمَ الْبَيْنِ أَطْلَقْتُمُ

وحَسْبُكُمْ أَنِّي أَمِينٌ عَلىٰ ... هَواكُمُ مِنْ بَعْدِما خُنْتُمُ

تَعَلَّمَ الطَّيْفُ الْقِلىٰ مِنْكُمُ ... فَأَنْتُمُ مِمَّنْ تَعَلَّمْتُمُ

دَمعي نَمُومٌ مَذِلٌ بِالّذي ... أمسى فُؤادي في الهَوى يَكْتُمُ (٢)

قَتَلْتُموني حِينَ أَحْبَبْتُكُمْ ... وما بِهٰذا يُقْتَلُ الْمُسْلِمُ (٣)

* * *

---

(١) عُدتم ؛ الاولى : من العَوْدة ، وعدتم الثانية ، هي زيارة المريض ، وعودوا الاولى في البيت الثاني : من العودة والثانية : من العيادة أيضاً وهما تكرار لما في البيت الاول ، وأرمض : عذّب وأوجع .

(٢) مَذِل : الذي يفشي السر .

(٣) وما بهذا : أي ما بهذا الذنب يقتل المُسلم .

حرف النون

وقالَ يمدَحُ الملكَ الأشرَفَ مُظَفَّرَ الدّينِ أَبا الفَتْحِ موسى بنَ أبي بكرِ ابْنَ أَيّوبَ خَلَّدَ اللهُ دَولتَهُ :

هَلُمَّ يا لائِمي قَدْ أَثْمرَ الْبانُ ... وانْظُرْ فَواكِهَ فيها اللُّبُّ حَيْرانُ

أَمَا تَرى خُوطَ بانٍ في كَثيبِ نَقاً ... مُهَفْهَفاً يَتَثَنّى وهْوَ رَيّانُ

فَالفَرْعُ مِنهُ عَناقيدٌ ووَجْنَتُهُ ... تُفّاحُ لُبْنانَ والنَّهْدانِ رُمّانُ

هٰذي فَواكِهُ ما تَنْفَكُّ يانِعَةً ... فَدَعْ مَلامي فَمَنْ أَهْواهُ بُسْتانُ

إلىٰ لَماهُ ارْتِياحُ الرُّوحِ مُنْبَعِثٌ ... كَأَنَّ أَنفاسَهُ رَوْحٌ ورَيْحانُ

أُسَبِّحُ اللهَ إعْجاباً بِصورَتِهِ ... إذا رَنا وكَأَنَّ الطَّرْفَ وَسْنانُ

بكَيتُ في قربِهِ من خوفِ فُرقَتِهِ ... علماً بأَنْ سوفَ يتلو الوَصلَ هِجْرانُ

كأنّما هــو حُوريٌّ يبشِّرني ... برحمةٍ ورضىً لي منه رِضوانُ

والأشرَفُ المَلِكُ القَيلُ الجوادُ ، لهُ ... مكارمٌ تملأ الدنيا ، وإحسانُ

يُرجى نداهُ ولا تُخشى بوادِرُهُ ... إلاّ إذا اصطدَمَت في الحرب فُرسانُ

هناكَ يقتنصُ الأبطالَ مقتدراً ... كأنَّه الصقرُ والأبطال خِربان[1]

شاهَتْ وجوهُ العِدى ياشاهَ أَرمَنَ فالفرنجِ والكرجِ كلٌّ منك خشيان[2]

حتى مَ اصدى وهذا البحرُ معترضٌ ... يَفيضُ في كلِّ قُطرٍ منه خُلجان

بَحْرٌ يَفيضُ عَلى ٱلْعافينَ جوْهَرُهُ الثَّمينُ وهْوَ على الْعادينَ طُوفانُ

كفاكُمُ يا بَني شاذي أُمورَكُمُ ... مَلْكٌ لِأعدائِهِ بالذُّلِّ إِذْعانُ

يَكْسو السُّيوفَ جُسومَ النّاكِثينَ بِهِ

وهامُهُمْ لِرِماحِ الخَطِّ تِيجانُ

يَغْزُو فَتَغْدو المَنايا في أَسِنَّتِهِ ... مُسْتَنْسِراتٍ عَلى العُقْبانِ عُقْبانُ[3]

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عاداتٍ وثِقْنَ بِها ... يَوْمَ الْوَغى فَهْوَ مِطْعامٌ ومِطْعانُ

مُسْتَحكِمُ الرَّأْيِ مُسْتَغْنٍ بِوَحْدَتِهِ ... عَنِ الرِّجالِ جَريءُ الْقَلْبِ يَقْظانُ

بِالأَشْرَفِ انْتَصَبَ الإِسْلامُ وارْتَفَعَ الإِيمانُ وانْخَفَضَتْ بِالذُّلِّ صُلْبانُ

مَتى انْتَضى سَيْفَهُ في الْحَرْبِ قَطَّعَ أَوْصالاً وفارَقَتِ الأَرْواحَ أَبدانُ

---

(١) خِربان : جمع خَرَب وهو ذكر الحبارى وقد أهمل الناسخ نقطة الخاء .

(٢) خشيان : من الخشية والخوف .

(٣) مستنسرات : وردت « السين » الثانية في المخطوطة وعليها ثلاث نقط ، واستنسر « بالسين » صار جارحاً وقوياً كالنسر وهو المقصود كما نرى .

ذُو عَزْمةٍ تَفْلِقُ الصَّخْرَ الأصمَّ وحِلْمٌ لا يُوازِنُهُ رَضْوى وثَهْلانُ[1]

مُبارَكُ الْوَجْهِ مَيْمونٌ نَقيبَتُهُ كَأَنَّما وجْهُهُ يُمْنٌ وإِيمانُ

لَمَّا رَماني زَماني في نَوائِبِهِ نادَيْتُ لَسْتَ زَماناً أَنتَ إِزْمانُ[2]

فَراحَتي صَفِرَتْ مِنْ راحَتي وأَنا عَلى مُنادَمَةِ النُّدْمانِ نَدْمانُ

كَمْ صاحِبٍ حاصِبٍ لي غَيْر مُتَّئِبٍ فَالخِلُّ كَالخَلِّ والإِخْوانُ خُوَّانُ[3]

قَدِ ادَّعى الشِّعْرَ أَقوامٌ ولَيْسَ لَهُمْ يَوْماً عَلى ما ادَّعوهُ فيهِ بُرْهانُ

تَفَرْزَنوا وتَبَيْدَقنا وما بَرِحوا بَيادِقاً وأَنا في الصَّدْرِ فِرْزانُ[4]

لأَقْصُدَنْ مَلِكاً أَعْيَتْ فَصاحَتُهُ قُسّاً وما نالَها مِنْ قَبْلُ سَحْبانُ

مُعْطي الأُلوفِ وطَعَّانُ الأُلوفِ لَدى الهَيْجا إِذا أُوقِدَتْ لِلْحَرْبِ نيرانُ

حَتّىٰ أَعودَ وحُسَّادي تَقولُ: لَقَدْ

أَثْرىٰ مِنَ الْفَضْلِ والأَموالِ «فِتْيانُ»

---

(١) رضوى وثهلان : جبلان في بلاد العرب .

(٢) ازمن يُزْمن : إذا طال الزمان ، والزمانة المرض الدائم .

(٣) حصبه : رماه بالحصى .

(٤) تفرزن وتبيدق : من الفرز والبيدق وهما حجران في الشطرنج ، والفرزان هو الملكة في الشطرنج وبيدق وبيذق الدليل في السفر والماشي راجلاً ومنه اخذت كلمة بيادِق في الشطرنج لأنها المشاة معربة عن كلمة فارسية « بيادة » جمع بيادق وبيادقة .

يا أَيُّها ٱلْمَلِكُ اسْلَمْ وابْقَ واسْمُ ودُمْ

ما يَمَّمَتْ حجَّ بَيْتِ اللهِ رُكْبانُ
وعِشْتَ ما عاشَهُ نُوحٌ ونِلْتَ مَدى الْمُلْكِ الّذي نالَهُ قِدْماً سُلَيْمانُ

وقال أيضاً يمدحه :

بِأبي الرِّيمُ الّذي مَرَّ بِنا ... كَمْ رَمىٰ مِنْ سَهْمِ لَحْظٍ إذْ رَنا
يَرْتعي مِنْ حَبَبِ الْكأْسِ إذا ... عَبَّ فيها أُقْحُواناً حَسَنا
وبَنو التُّرْكِ إذا ما حارَبوا ... أغْمَدوا ٱلْبيضَ وَسَلُّوا الأعْيُنا
وتَمَطَّتْ تَحْتَهمْ خَيْلُهُمُ ... بِقُدودٍ أخْجَلَتْ سُمْرَ ٱلْقَنا
كلُّ أحْوىٰ فاتِرِ الطَّرْفِ إذا ... ما رَآهُ ذُو عَفافٍ فُتِنا
فاسْأَلوا عَنْهُمْ خَبيراً تَعْلَموا ... صِدْقَ دَعوايَ ولا سِيَا أَنا
بابِلِيُّ الطَّرْفِ ، حُورِيُّ اللَّمىٰ ... يُوسُفِيُّ الحُسْنِ ، بي ما أَحْسَنا[1]
حاجِباهُ حَجَبا عَنّي الْكَرىٰ ... وسَناهُ صَدَّ عَنّي الْوَسَنا
ما رَأَيْنا قَبْلَهُ شَمْسَ ضُحىً ... فَوْقَ حِقْفِ الرَّمْلِ تَعْلو أَغْصُنا
سُقْمُ جَفْنَيْهِ بِهِ أَسْقَمَني ... وضَنى الخَصْرِ بِهِ ذُبْتُ ضَنىٰ
وكأَنَّ الرّاحَ في راحَتِهِ ... وَرْدَةٌ مِنْ وَجْنَتَيْهِ تُجْتَنىٰ

---

(١) بي ما احسنا ؛ بمعنى لم يُحسِن إليّ .

فَهْيَ حَمْراءُ كسَيْفِ ٱلْمَلِكِ الأَشْرَفِ الباري الْعِدى والجُبَنا

كَمْ حُسامٍ سَلَّهُ مِنْ غِمْدِهِ كادَ يُعْشي بِالشُّعاعِ الأَعْيُنا

فَتَرىٰ الهاماتِ مِنْ ضَرْباتِهِ طائِراتٍ مِنْ فُرادىٰ وثُنىٰ

يَمْنَحُ ٱلْمُدّاحَ بالمالِ وكَمْ عادَ عَنه ذُو غَناءٍ بالعَنا[1]

ولَهُ مَدْحٌ بَديعٌ سائِرٌ تَحْسُدُ الْعَيْنُ عَلَيْهِ الأُذُنا

ومَتىٰ ما تَأْتِـهِ تَعْشو إلىٰ نارِهِ حينَ تَراها مَوْهِنا[2]

تَلْقَ ناراً عِنْدَها موسى فَفُزْ بِأَمانٍ وبِيُمْنٍ ومُنىٰ

يَهَبُ الإِبْلَ ٱلْمَقاحِيدَ وما حَمَلَتْ والصّافِناتِ ٱلْحُصُنا[3]

والأَقاليمَ بِلا مَنٍّ ولو وَهَبَتْ يُمْنىٰ يَدَيْهِ ٱلْيُمَنا

لَحَباها سائِليهِ ، وانْثَنىٰ طالِبُ ٱلْعُذْرِ كَمَنْ كانَ جَنىٰ

فَازْدِحامُ النّاسِ في أَبْوابِهِ كازْدِحامِ الْوَفْدِ إِذْ جاءوا مِنى[4]

عاشَ في مُلْكٍ مُقيمٍ أَبَداً فَهْوَ يَسْتَخْدِمُ فيهِ الأَزْمُنا

---

(١) في الشطر الثاني وردت كلمة « ذو » خطأ بالياء ، و « غنآء » وردت العين فيها مهملة « عنآء » و الأصح أن تكون « غنآء » من الغنى لأنها انسب لمعنى البيت .

(٢) جواب الشرط بعد « متى » في البيت الثاني كلمة « تَلْق » وفي البيت التالي « تعشو » ليست بجواب ، والمَوْهِن : نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه أو حين يدبر الليل .

(٣) المقاحيد : جمع قَحْد وقَحِد : البعير عظيم السنام .

(٤) مِنى : القرية المعروفة في مناسك الحج .

وقال أيضاً يمدحه خلّد الله سُلطانَهُ :

هـذا الحِمىٰ ورَنْدُهُ وبانُهُ   وشِيحُهُ فاوَحَهُ حَوذانُهُ[1]

والرَّوْضُ والنَّسيمُ قَدْ جَمَّشَهُ   فَهَبَّ مِنْ نَوْرٍ عُبَيْثَرانُهُ[2]

والنَّرْجِسُ الغَضُّ رَنتْ أحداقُهُ   وافترَّ بالعُذَيْبِ أُقْحُوانُهُ[3]

ياصاحِ جُزْ سَلْعاً وسَلْ عَنْ عَيْشِنا الماضي بها يا حَبَّذا زَمانُهُ[4]

لِلهِ نَعْمانُ الأَراكِ مَنْزِلاً   ضَمَّ بِنُعْمٍ شَمْلَنا نَعْمانُهُ[5]

والشَّمْسُ في رَأْدِ الضُّحىٰ وعِنْدَما

يُفَيِّيءُ الأَصيلَ زَعْفرانُـهُ[6]

والدَّوْحُ مَنْظومٌ علىٰ أَوْراقِهِ   غِبَّ الحَيا مِنْ طَلِّهِ جُمانُهُ[7]

---

(١) الرند والبان والشيح والحوذان : كلها أسماء نباتات معروفة بالجزيرة العربية ، فاح وتفاوح الزهر : فاحت رائحته .

(٢) جمَّش : لمس برفق ، داعب . والعُبيثَران : نبات معروف يلفظه العامة بالتاء .

(٣) النرجس والاقحوان : نباتان ، والعُذَيْب .

(٤) سلع : اسم مكان .

(٥) نعمان الأراك : اسم واد وراء عرفة ، وهو نعمان الأكبر ، ونعمان الأصغر : واد قرب الكوفة .

(٦) رأد الضحى : رونقه وارتفاعه حين يعلو النهار . يفَيِّيءُ : من فيأ أي ظلّل ، ألقى عليه الفيءَ أو الظل ، وقد وردت الفاء بنقطتين فالتبست قراءتها بين الفاء والقاف ، ورجحنا الثانية لمناسبتها القصد . والزعفران : نبات .

(٧) الجُمان : اللؤلؤ . أو هو نوع من الزينة غير اللؤلؤ .

مَهْ لا تَلُمْني لائِمٌ عَلى الْبُكا   عِنْدِيَ كُلَّ ساعَةٍ إبَّانُهُ

وهاتِ يا مُطرِبَنا غَنِّ لَنا   فَأَنتَ مَنْ تُطرِبُنا أَلحْانُهُ

بِكُلِّ بَيْتٍ عَرَبِيٍّ كُلُّ حُرٍّ فارِسِيٍّ   فاضِلٍ سَلْمانُهُ(١)

خَيْرُ الْقَرِيضِ مَدْحُ خَيْرِ مَنْ مَشى   وخَيْرِ مَنْ عَدا بِهِ حِصانُهُ

مُحمدِ النَّبيِّ ذي الإِحسانِ   والّذي أجادَ مَدْحَهُ حَسَّانُهُ(٢)

خاطَبَهُ رَبُّ السَّماواتِ الْعُلا   إِذْ جَبْرَئيلُ الوَحْيِ تَرْجُمانُهُ

سَفِينَةُ النَّجاةِ أَهْلُ بَيْتِهِ   في مَوْقِفٍ يَغْشى الوَرى طوفانُهُ

لافارَقتْ صِحابَـــهُ وآلَهُ   صَلاتُهُ يَوْماً ولا رِضْوانُهُ

يا راكِباً شِمِلَّةً تَطْوي الْفَلا   مَزْءُودَةً مِنْ طَيِّها ظُلْمانُهُ(٣)

أَبلِغْ ، وبُلِّغْتَ الْمُنى ، مَأْلُكَةً   مَلْكاً علا بَيْنَ الْمُلوكِ شانُهُ(٤)

الْمَلِكُ الأَشرفُ شاهْ أَرْمَنَ لا   زالَ قَوِيّاً ثابِتاً سُلْطانُهُ(٥)

يَا مَنْ بِهِ فَخْرُ الْمُلوكِ إِذْ كَذاكَ   بِالنَّبيِّ افتَخَرَتْ عَدْنانُهُ

---

(١) هو سلمان الفارسي الصحابي الجليل .

(٢) هو حسان بن ثابت شاعر النبي (ﷺ) .

(٣) الشِملَّة : النـاقة السريعة . مزءودة : فزعة خائفـة ، والظِلمان : جمع ظليم وهو ذكر النّعام .

(٤) المأْلُكة : الرسالة .

(٥) نرى أن تُسكَّن كلمة « شاه » بدل التحريك من اجل الوزن .

يَنْتَجِعُ الْعُفاةُ حِصْناً مِنْكَ يا ماءَ السَّماءِ أُفْعِمَتْ غُدْرانُهُ[١]

تَأْوي إِلَيْكَ الْعُلَماءُ مِثْلَ ما تَأْوي إِلىٰ بَحْرٍ طَما حِيتانُهُ[٢]

يُمْناكَ بَحْرٌ والْعِدى الْقَصْباءُ والسَّيْفُ بِها مُضْرَمَةٌ نيرانُهُ[٣]

ثَعْلَبُ عَسّالِكَ في يَوْمِ الْوَغىٰ يُولِغُهُ دَمَ الْعِدى سِنانُهُ[٤]

وَصْفُكَ ما يُدْرِكُ يَوْماً كُنْهَهُ قُسُّ الْمَقالِ لا ولا سَحْبانُهُ

عِنْدي حَديثٌ مِنْ عُلاكَ سائِرٌ سَيْرَ نَسيمٍ عَبِقٍ رَيْحانُهُ

يا مَنْ جِيادُ الْخَيْلِ والرِّماحُ والصِّفاحُ في يَوْمِ الْوَغىٰ بُسْتانُهُ

ما أَسَدٌ يَحْمي الْخَميسَ باسُهُ فَتَنْثَني ناكِصَةً فُرْسانُهُ

يَوْماً بِأَقْوى مِنْكَ بَأْساً في الْوَغى فَلَيْثُهُ لَدَيْكَ ثُعْلُبانُهُ[٥]

ولا الْغَمامُ رائِعاً بِرَعْدِهِ وبَرْقِهِ مُنْبَجِساً تَهْتانُهُ[٦]

يَوْماً بِأَنْدى مِنْ يَدَيْكَ فائِضاً يا مَنْ يَفيضُ بِالْمُنىٰ بَنانُهُ

---

(١) ينتجع العُفاة : يأوي الطالبون ، وماء السماء ، يقصد به المطر ، وهو أيضاً اسم علم للملك هو المنذر بن ماء السماء .

(٢) بحر طما : فاض ، من طما طُمُوّاً فهو طام . وحيتان : جمع حوت .

(٣) القصباء : القصب الكثير في مقصبته .

(٤) ثَعلَب عسّالك : رأس رمحك ، يولغه : يسقيه .

(٥) الثعلبان : هو ذكر الثعلب .

(٦) انبجسَ : تفجَّر ، تهتان : من هتَن : أمطر بغزارة .

ما ماءُ وَرْدٍ مِنْ (نَصِيبِينَ) ولا نَشْرُ الْيَلَنْجوجِ سَما دُخانُهُ[1]

يَوْماً كَذِكْراكَ ولا المِسْكُ الرِّياحِيُّ غَلَتْ فأَوْغَلَتْ أَثْمانُهُ[2]

عِشْ ما سَرىٰ في الْفَلَكِ الُمحيطِ بَهْرامُ وما عَلا بِهِ كِيوانُهُ[3]

وقال يمدحُ الملكَ الأمجَد مَجْدَ الدِّين صاحبَ بعلبكّ :

أَوْمَضَ الْبَرْقُ بِعَلْيـاءِ مَنِينْ مُوْذِناً بِالنَّصْرِ والْفَتْحِ الُمبينْ[4]

قُمْ نَديمي فَاْسْقِنيهـا قَهْوَةً عُتِّقَتْ في الدَّنِّ حيناً بَعْدَ حينْ

بِنْتُ كَرْمٍ كَمَجاجِ الشَّمْسِ مِنْ

« عينِ حَلْبا » سُبِئَتْ أَو من « عدين »[5]

---

(١) نصيبين : اسم بلد على حدود الجزيرة من الشمال وداخلة في تركيا واليلنجوج : عود البخور .

(٢) الرياحي : نسبة الى بني رياح : بطن من تميم أو رجـــل معروف ، أوغلت : بالغت وأبعدت وأمعنت .

(٣) بهرام : هو بهرام كور من الأسرة الساسانية الفـارسية . وكيوان : زحل بالفارسية .

(٤) منين : قرية تقع الى الشمال الغربي من دمشق .

(٥) المجاج الريق واللعاب . « عين حلبا » اسم مكان وقد وردت بالياء ونرجح انها عين « حلبا » بالباء وحلبا قرية معروفة شمالي غربي دمشق أيضاً ، و « عدين » : قرية تدعى الآن « جب عدين » وهي المعروفة لدينا وتقـع الى الشمال الغربي من دمشق لمسافة بعيدة وهي تابعة اليوم لمنطقة القطيفة .

أَدِرِ الْكاساتِ وأَصْبَحْنا ولا تُبْقِ ياصاحِ خُمورَ «الأنْدَرِينْ»[1]

بَيْنَ آسادِ عَرينٍ صادَهُمْ

بالهَوى في «عَيْنِ حورٍ» حُورُ عِينْ[2]

بِقُدُودٍ كَرِماحٍ لَدْنَةٍ حَسُنَتْ ما بَيْنَ تَثْقيفٍ ولِينْ

ولِحاظٍ هُنَّ خُرْصانُ ٱلقَنا رُكِّبَتْ إذْ أُمْهِيَتْ في شَنْتَرِيْنْ[3]

طاعِناتٍ طَعْنَ مَنْ كانَ إلىٰ

«مَرْدَنيشٍ» يَعْتَزي أَوْ «تاشْفينْ»[4]

وخُدودٍ عِنْدَها تُفّاحُ لُبْنانَ في الأَغْصانِ خَجْلانُ حَزينْ

ونُهُودٍ كحِقاقِ ٱلْعاجِ إذْ مُلِئَتْ حَبّاً مِنَ الدُّرِّ الثَّمينْ

ومُحِبّاتٍ تَشَرَّيْنَ دُمىً كَمْ دَمٍ أَجْرَيْنَهُ مِنْ عاشِقِينْ[5]

---

(١) الأندرين : بلدة لم يبق منها إلا الأطلال تقع الى الجنوب من حلب في قلب الصحراء وهي التي أشار إليها عمرو بن كلثوم في معلقته :

الا هبّي بصحنك واصبحينا ولا تبقي خمورَ الأندرينا

(٢) عين حور : اسم قرية معروفة في منطقة دمشق .

(٣) خرصان القنا : حلق توضع في نهاية الرمح . امهى : الحديدة أو السهم أو السيف : احدّه أو سقاه الماء . «شنترين» : مدينة مركب اسمها من كلمتين : «شنت» و «رين» وهي متصلة بمدينة باجة في غربي الأندلس .

(٤) مردنيش وتاشفين : اسمان علمان لشخصين معروفين في التاريخ .

(٥) تَشَرَّيْن : تَفَرَّقْن ، من تشرَّى . وقد كتبها الناسخ بالباء بدل التاء وهو خطأ . كما كتب «اجرينه» بالتاء بدل النون وهو خطأ أيضاً .

حينَ يَشْدُدْنَ الزَّنانيرَ بِها ثُمَّ يَحْلُلنَ اْصطِبارَ النّاسِكينْ

بِعُيونٍ فَعَلَتْ ما فَعَلَتْ

يَوْمَ « حِطّينَ » سُيوفُ المُسْلِمينْ [1]

كانَتْ الإِفْرَنْجُ أَصْناماً وكَمْ مِنْ حَنيفٍ راغَ ضَرْباً باليَمينْ [2]

وفَتاةٍ دُونَهـا الشَّمْسُ عَلىٰ خُوطِ بانٍ فَوْقَ تَلِّ اْلياسَمينْ

دامَةٌ بَلْ دُمْيَةٌ في هَيْكَلِ البِيعَةِ الرّومُ لَدَيْها ساجِدينْ [3]

يُمسِكُ الأُسْقُفُ في تَقْريبِها قَلْبَهُ خَوْفاً عَلَيهِ أَنْ يَبينْ [4]

أَلْزَمُ التَّوْحيـدَ في حُبّي لَهَا وتَرى في الحُبِّ رَأْيَ المُشْرِكينْ

وسَأَسْتَعْدي عَلَيهـا المَلِكَ الأَمْجَدَ المَسْعودَ في دُنْيا ودِينْ

أَسْأَلُ الْبارِيَ أَنْ يَمْلِكَهـا ثُمَّ يَحْبوني بِها ، قولوا أَمينْ [5]

فَهْوَ بالعَدْلِ وبِالإِحْسانِ والجُودِ والإنصافِ في اْلحُكمِ قَمينْ [6]

---

(١) حطين : هي قرية في فلسطين جرت فيها المعركة الشهيرة باسمها الذي دحر فيها صلاح الدين الصليبيين .

(٢) الحنيف : المسلم ؛ راغ : الشيء حاد ومال أو طلب الشيء .

(٣) الدامة : هي اللعبة المعروفة الشبيهة بالشطرنج ووجدناها في المعـاجم بالألف « داما » والدمية : اللعبة صنعت شبهاً لانسان أو حيوان .

(٤) الأسقف : رتبة دينية عند المسيحيين . يبين : من بان وهو : البعد ، والذهاب

(٥) أمين : بالألف وحدها لغة في آمين مع الألف الممدودة .

(٦) قمين : كفء ، أهل ، جدير .

مَلِكٌ بَلْ مَلَكٌ صِيغَ مِنَ النورِ نُورِ الْعَرْشِ لا الماءِ المَهينْ[1]
شِعْرُهُ مُسْتَحْسَنٌ أَجْمَعُهُ ومِنَ الأشعارِ غَثٌّ وسَمينْ
فَتَعالىٰ مَنْ بَراهُ رَجُلاً واحِداً فيهِ جَميعُ العالَمينْ[2]
رُمْحُهُ العَسَّالُ فيــهِ ثَعْلَبٌ في الوَغىٰ يولَغُ تامورَ الْوَتينْ[3]
وبِيُمْناهُ حُسامٌ راكِعٌ
في العِدىٰ يَهْوي فَيَهْوُوا ساجِدينْ[4]
يَقْتُلُ الأعداءَ والوَحشَ بِهِ مِنْ سَراحينَ ومِنْ أُسْدٍ عَرينْ[5]
ولَهُ النَّصْرُ عَلىٰ رَغْمِ الْعِدى حَيْثُما أَمَّ ، قَرينٌ وخَدينْ
تَطْرَبُ الخَمْرَةُ إِذْ يَشْرَبُها عَجَباً مِنْ عَقْلِهِ الْوافي الرَّصينْ
لَوْ يَكونُ النّاسُ فيها مِثْلَهُ لَمْ يُحَرَّمْ شُرْبُها في المُتَّقينْ
ولأَضْحَتْ وهْيَ في الدُّنيا وفي الدّينِ قُرْباناً بِأَيدي المُجْتَنينْ
وشَرِبناها جِهاراً لَمْ نَخَفْ مِنْ ثَمانينَ ولا مِنْ أَرْبَعينْ[6]

---

(١) مَهين : ضعيف ، قليل ، الرجل القاصر .

(٢) يلتفت الشاعر في هذا البيت الى قول أبي نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالَمَ في واحد

(٣) التامور : الدم ، غلاف القلب ، خيس الأسد .

(٤) جاءت كلمة « فيهووا » محذوفة النون ولم نجد مبرراً لذلك وحقها أن تكون « فيهوون » لولا الوزن .

(٥) السراحين : جمع سرحان وهو الذئب .

(٦) الثمانون والأربعون : هنا يقصد عدد الجلدات التي هي حدّ شارب الخمرة أو نصفه .

هوَ سُلْطانٌ مَتىٰ ناظَرَ ذا أَدَبٍ جاءَ بِسُلْطانٍ مُبينْ

وجَوادٌ لَمْ تُباشِرْ كَفُّهُ قادِحَ الصَّوّانِ إلاّ ويَلينْ

زَنْدُهُ خَيْرُ زِنادٍ ورَيتْ لِمُلوكِ الأَرْضِ طُرّاً أَجْمَعينْ

فَهْوَ لَوْ يَقْدَحُ ماءً بِحَصىً أَجَّجَ النارَ مِنَ الماءِ المَعينْ

صادَفَ المَرْجُ بِحاراً فَأَتىٰ قَدْحُهُ مُسْتَمْجِداً في كلِّ حينْ[1]

عَجباً إِذْ لَمْ تَكُنْ أَقْلامُهُ مورِقاتٍ وهْيَ مِنْهُ في الْيَمينْ[2]

يَتَلَقّىٰ وَفْدَهُ مِنْ وَجْهِهِ بِتَباشيرِ سَنا صُبْحِ الجَبينْ

بعدَما ٱسْتَرْقَصَ بَحْرُ الآلِ مِنْ إِبْلِهِمْ في المَوْجِ بالسَّيْرِ السَّفينْ

أَيُّها المَلْكُ الّذي في مَدْحِهِ تَصْدَعُ المُدّاحُ بِالحَقِّ اليَقينْ

قَدْ أَتاكَ الْعامُ بالحَقِّ وبِالجَدِّ يَعْلو صَهْوَةَ السَّبْتِ المُبينْ[3]

---

(١) المرج : من مَرج الأمر شوَّشه وخلَّطه والمارج اسم فاعل منه و « مارج من نار » أي من نار بلا دخان . وقد تكون من المَرْح : « بالحاء » وقوس مروح : حسنة الارسال والكلمة وردت بالحاء المهملة .

(٢) هذا البيت يذكرنا بقول المتنبي :

وعجبت من أرض سحابُ أكفّهم من فوقها وصخورها لا تورق

(٣) السَّبْت : الجواد الكثير العدو وقد وردت مهملة الباء .

وقالَ يمدحُ الوَزيرَ صَفيَّ الدينِ أَبا الفَتحِ نَصرَ اللهِ بنَ القابِضِ رحمَه الله :

أَنّىٰ يَسوغُ لِعاشِقٍ كِتْمانُهُ ... ووُشاتُهُ يَومَ النَّوىٰ أَجْفانُهُ

اَلْبَيْنُ أَسْكَنَ قَلْبَهُ جَمْرَ ٱلْغَضا ... مُذْ بانَ عَنْ وادي الْغَضا سُكّانُهُ

لَمْ يُبقِ مِنْهُ الْوَجْدُ غَيْرَ أَنينِهِ ... فَلِعائِديهِ لَمْ يَبِنْ جُثْمانُهُ[1]

هُنَّ الدُّمىٰ يَهْزُزْنَ أَعْطافَ ٱلْقَنا ... فَوْقَ النَّقا مُرْتَجَّةً كُثْبانُهُ

أَعُيونُهُنَّ رَنَوْنَ أَمْ غِزْلانُهُ ... وقُدودُهُنَّ تَرَنَّحَتْ أَمْ بانُهُ

أَيُفيقُ مِنْ سُكْرِ الصَّبابَةِ بَعْدَهُمْ ... مَنْ كانَ لا يَصْحو وهُمْ جيرانُهُ

ومُدَلَّلٍ أَنا في هَواهُ مُذَلَّلٌ ... يَا حُسْنَهُ لَوْ زانَهُ إِحسانُهُ

ما شانَهُ إِعراضُهُ عَنّي ولا ... أَزْرىٰ بِهِ أَنَّ ٱلْقَطيعَةَ شانُهُ

يَا عاذِلَ المَذِلِ الجَموحِ على الهَوىٰ ... دَعْهُ فَفي كَفِّ الْغَرامِ عِنانُهُ[2]

لا تَعْرِضَنْ لِلطِّرْفِ عِنْدَ جِماحِهِ ... إِنْ كانَ مُتَّسِعاً لَهُ مَيْدانُهُ[3]

---

(١) هذا المعنى سبق اليه الشاعر وتكرر كثيراً عند الشعراء كقول المتنبي :

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل ... لولا مخاطبتي أياك لم ترني

وقول ابن الفارض :

خفيت ضنىً حتى لقد ضل عائدي ... وكيف ترى العواد من لا له ظل

(٢) المَذِل : الضيق الصدر الذي لا يكتم سراً .

(٣) الطِرف « بالكسر » الجواد .

صَبٌّ أَراقَ الوَجْدُ ماءَ سُلُوِّهِ ... وتَوَقَّدَتْ بِفُؤادِهِ نِيرانُهُ
وبَكى فَأَبْكى عاذِلِيهِ رَحْمَةً ... وشَكى الجَوى مِمَّا أَجَنَّ جَنانُهُ
مَنْ كانَ مَمْنُوّاً بِهَجْرِ حَبِيبِهِ ... هَجَرَ الْكَرى ونَبَتْ بِهِ أَوْطانُهُ
آهاً لِقَلْبٍ ما اجْتَنى ثَمَرَ المُنى ... مِمَّنْ أَحَبَّ ولا انْجَلَتْ أَحْزانُهُ
إِنْ كانَ يُسْعِفُني زَماني بالرِّضى ... مِنْ بَعْدِ إِسْخاطي ، فَذَا إِبّانُهُ
مَنْ كانَ مُنْتَصِراً بِنَصْرٍ لَمْ يَهَبْ ... دَهْراً ولَمْ يَعْبَثْ بِهِ حَدَثانُهُ
فَعَلى أَبي الْفَتْحِ الرَّجاءُ مُعَوَّلٌ ... (أَوَلَيْسَ) يَغْلِبُ شَكَّهُ إِيقانُهُ[1]
بي مِنْ مُحاوَرَةِ الزَّمانِ ضَمانَةٌ ... سَيُميطُها عَنّي الْغَداةَ ضَمانُهُ[2]
وإِلى صَفِيِّ الدِّينِ اسْتَعْدي عَلى ... دَهرٍ أَقامَ بِساحَتي عُدْوانُهُ
قَرَعَتْ ، وحاشاهُ ، يَداهُ مَرْوَتي ... واجْتاحَ سَرْحِي عاتِياً سِرْحانُهُ[3]
فَهْوَ الّذي ما المَرْءُ يَوْماً آمِنٌ ... مِنْ دَهْرِهِ ما لَمْ يَصِلْهُ أَمانُهُ

---

(١) أضفنا الألف في كلمة (أوَليسَ) في أول الشطر الثاني كي يستقيم الوزن ويجوز أن يكون ما سقط عند النسخ غير الألف مثل «اذ» أو غيرها .

(٢) ضمانه : القافية وردت بالظاء ويبدو أن الضاد والظاء كانتا تختلطان في عهد الشاعر .

(٣) المَرْو : الحجارة البيض تستعمل للقدح وهو أيضاً الصوان واحدتها مروة ، وأهل المَرْو ، أهل الصلابة . السَرْح : الانعام في المرعى . السِرحان : الذئب وتطلق على الأسد أيضاً . وقَرع : ضرب « ولها معان كثيرة »

قَدْ أَصْحَبَتْ لِلصّاحِبِ الدُّنْيا وما فيها وما شَيْءٌ يُخافُ حِرانُهُ[1]

لَوْ قالَ لِلْفَلَكِ المُديرِ ، لِسائِرِ الأَفْلاكِ : قِفْ ! لَمْ يَتَّفِقْ دَوَرانُهُ

وعَلَتْ عَلَيْهِ هِمَّـــةٌ صَفَوِيَّةٌ فَهِيَ السَّماءُ وأَرْضُها كيوانُهُ

فالغَيْثُ واللَّيْثُ اللَّذانِ هُما هُما أَقْماهُما إِقْدامُـــهُ وبَنانُهُ[2]

إِنِّي مُعَيْدِيٌّ فَمَنْ يَسْمَعْ بِـــهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَراهُ عَيانُهُ[3]

قَدْ جِئْتُ مُعْتَذِراً ومَنْ هذا الّذي بِصِفاتِ سُؤدَدِهِ يَحُطُّ لِسانُهُ[4]

قُسُّ المَقـالِ لَدَيْهِ يُمسي باقِلاً عِيّاً ويُحْصَرُ دُونَهُ سَحْبانُهُ[5]

مُتَكَبِّرٌ عَنْ أَنْ يُرى مُتكبِّراً فَلِذاكَ مُكِّنَ في العَلاءِ مَكانُهُ

متواضعٌ وهو المهيبُ يَخـــافُهُ من كانَ ثَبْتاً في الحُروبِ جَنانُهُ

طَبٌّ بأَعقابِ الأُمور وعنـــدَهُ من كلِّ امرٍ مشكلٍ بُرْهـــانُهُ

آراؤه تَثْني الخميسَ من العِدَى ، يومَ الوَغى ، متهدِّماً بُنْيانُهُ

---

(١) اصحب : اسلس ، وانقاد .

(٢) أقماهما : أصلها من أقمأ « بالهمز » : أذلّ وصغَّر واقمأه : قمعه والقميء : القصير ، الزَري .

(٣) المُعَيْدى : تصغير مَعَدّى نسبة الى مَعَدّ « قبيلة » ومنه المثل : تسمع بالمُعَيدي خير من أن تراه . وهذا المثل هو الذي قصده الشاعر .

(٤) حطّ : في صفاته ، او عرضه ، شتمه ، وحطّ الرحل : وضعه وهي الأصل .

(٥) العيّ والحَصَر : العجز عن الكلام .

من عَزْمَةِ السُلطانِ جرَّدَ صارِماً   لم تُخْشَ نبوتُهُ ولا خِذلانُه[1]
ما للقضاء قضاؤهُ ومضاؤه   ما للبروقِ خواطِفاً ومَضانُهُ
فلكلِّ عاصٍ منه شِدةُ باسِلٍ   مُرِّ المذاق وللمُطيع لِيانُهُ[2]
لم يأتِ من زَمَنٍ حَميدٍ غابرٍ   إلاَّ وقد أرْبَي عليه زمانُهُ
عجباً لهُ وهو الوزير يخافُهُ   في المُلكِ من عُقِدتْ له تيجانُهُ
ونقولُ حينَ نراهُ في ايوانِهِ   كالشمسِ ، مَنْ كسرى وما ايوانُهُ
لبستْ به الدنيا ثيابَ جمالِها   ابداً ودامَ دوامَها سلطانُهُ

وقال يمدح الأمير بدر الدين مودود[3] والي دمشق رحمه الله ويهنئُهُ بسنة خمس وثمانين وخمسمائة .

حَيٍّ على أَثلاتِ (يبرينا)   حوراً حِساناً خُرَّداً عِينا[4]

---

(١) لم تُخْشَ : وردت « بالمعلوم » تَخشَ أو يَخش وهو خطأ كما هو واضح بالنسبة للقافية .

(٢) اللّيان : الاستجابة والمطاوعة . واللّيان أيضاً مصدر : لانَ كاللين .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) يبرين : وتسمى « أبرين » رمال شاسعة الى اليمين من اليمامة في جزيرة العرب ، أو هي في أمكنة أخرى من الجزيرة .

يَرشنَ باللحظِ نبـــالاً لِمَنْ | يزورُ (يبرينَ) ويبرينـا [1]
يَهزُزْنَ في كُثْبِ النَقَا كلَّمــا | مِسْنَ لنـــا سُمَر القنا لينـــا
من الجُفون السودِ جرَّدْنَ ما | اغمدنَ من بيضِ الظُّبا فينـا
لي بِرُبى نجـــدِ هـــوىً تالِدٌ | تَخِـــذْتُه بالشام لي دينا [2]
لو لم تكنْ لَيْلَى بنجـــدٍ لَمَا | امسيتُ في جِلَّقَ مجنـــونا
زَرُودُ والجـــرعاءُ اشهى الى | قلبي من أَبوابِ جيرونا [3]
أَرتاحُ إِن لاحَ بَريقُ الحِمى | الى عُرَيْبٍ ثَمَّ نائينـــا [4]
كأَنه السيفُ إِذا شِمْتَـــهُ | يُغْمَدُ حيناً ويُرى حينا [5]
وتُسِلمُ الأجفانُ دمعي مَتَى | ما اندفعتْ وُرْقٌ تغنينـــا

---

(١) يبرين : « الأولى » اسم الرمال التي اشرنا اليها في الحاشية السابقة ويبرينا : والثانية من فعل برى يبري السهام وزيدت ألف الاطلاق عليها .

(٢) التالد : القديم .

(٣) زرود والجرعاء : مكانان في الجزيرة وجيرون هي دمشق المعروفة بابوابها وقد ألتفت الشاعر في هذا البيت الى بيت أبي قطيفة الشاعر الأموي :

فالقصر فالنخل فالجماء بينهما | اشهى إلى القلب من أبواب جيرونا

(٤) عُرَيْب : سكان ، قاطنون وثَمَّ هنا ؛ تعني هناك .

(٥) شامَ السيف : اغمده وسلّه « من الأضداد » .

يالإِصيحابي على حـــاجرٍ غـداة سيْرِ الظعن غادينا[1]
كأَنَّما عيسُهُمْ فوقَ أَجْفـــاني غَـــداةَ البينِ يمشينا
هل ناشِدٌ لي باللِّوا شادِناً في لحظِهِ هاروتُ ، مَسجونا
حازَ مِنَ الحُسنِ فنوناً بها حُزْتُ من الحُزْنِ أفانينا[2]
أَجفانُهُ المَرْضىٰ على ضَعفِها أَمسىٰ بهـا الجبّارُ مِسْكينا
يا صَنَماً من حُسْنِهِ كادَ ذو الدِّيــنِ يُرى في الحُبِّ مفتونا
لكِنَّنـا في زَمَنٍ بأسُ بدْرِ الدِّيــنِ فيـهِ عَصَمَ الدِّينـا
لَيْثُ وَغىً تنْفُرُ منهُ العِدى كالشّاءِ أَحسَسْنَ السَّراحينا
بسَيفِهِ ينثُرُ ما كان منظـــوماً من القِرْنِ ومَوضونا[3]
الطّاعِنُ النَّجْلاءِ ترميْ بتيَّــــارٍ من التـامورِ مَسْنونا[4]
ينْظُرُ من طَعْنَتِهِ ثانيـــاً وراءَهـا بالرُّمحِ مَطْعُونا
لمّا غَدا في كلِّ حالاتِهِ مبـــارَكَ الطَّلْعَةِ مَيمونا

---

(١) حاجر : اسم مكان .

(٢) افانين : جمع فنّ ، وهو الضرب واللون من الشيء .

(٣) القِرن : الخصم . وموضون : منضَّد ، والموضونة : الدرع المنسوجة .

(٤) النجلاء : الواسعة والتامور : الدّم . والمسنون : من الوجوه الحسن أو الطويل . والحمأ المسنون : المتغير المنتن ، وسنّ المـاء فهو مسنون : صبّه (وهو المقصود هنا) .

شَدَّ ابنُ أَيوبَ به أَزْرَهُ   وهل لِموسىٰ غير هارونا[1]

فسارَ في دَوْلتِــهِ سَيرَةً   ما عندَها المأْمونُ مَأمونا

به مَنارُ السِّلمِ عالٍ على   أثبَتِ أُسٍّ وقوانينــا

إنْ أفنَتْ آراءُ أَهْلِ النُّهىٰ   فرَأْيُهُ لم يَكُ مأفونا

تلبسُ دارُ العدلِ من عدلِهِ   يَوْمَيْنِ في الأُسْبوعِ تزيينا

فلمْ يَحِدْ في القَوْلِ والفِعْــلِ عمَّا كانَ مفْروضاً ومسنونا

ليسَ بِبدرِ الدِّينِ نقصٌ ولا   به سِرارُ الشَّهر مقرونا[2]

ما زالَ في كَسْبِ العُلاَ سابقاً   وسائِرُ النـاسِ مُصَلِّينا[3]

انتاشَني من زمني جودُهُ   وكنتُ مخمولاً فمدفونا[4]

فصدَّ عني زمني إذ كَسىٰ   حالِيَ تَحسيناً وتَحصينا

وصِرْتُ ذا عِزٍّ وجاهٍ بِهِ   كذاكَ من والىٰ السلاطينا

مَنَّ وما مَنَّ بمعروفِهِ   وليسَ منه المَنُّ ممنونا[5]

---

(١) هذا البيت مقتبس من الآية الكريمة : (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون اخي اشدد به أزري) ـ (سورة طه) .

(٢) السِّرار : آخر ليلة في الشهر .

(٣) المصَلي : الثاني في السباق . وتصريفه : صلى تصلية .

(٤) انتاشني : انقذني واستخرجني ؛ ومخمول : مثل خامل .

(٥) منَّ (الاولى) اعطى ، ومنَّ (الثانية) جعل لعطائه مِنة ، وممنون : مقطوع ، وفي القرآن الكريم « لهم أجر غير ممنونٌ » .

لتَهدِيَنْ في فضْلِ [بدرٍ] مدائحـي له الابكارَ والعونا[1]
لو لَمْ أَكُن في ظلِّهِ كنتُ في دمشقَ دونَ الناسِ مغبونا
كَفـاهُ تَقْريبي على فَضْلِهِ دَلالَةً منه وتبيينـا
كَسَوتَ بدْرَ الدينِ من حُسْنِكَ الدُّسوتَ حُسْناً والدَّواوينا[2]
هُنِّئْتَ رغْماً لأُنوفِ العِدىٰ بعـام خمسٍ وثمـانينا
وعِشْتَ في أَمْنِكَ من كلِّ ما تخشاهُ تسْعينَ وتِسْعينـا
حَتىٰ نَرى مثلَكَ أَبناءَكَ الأفـاضِلَ الغُرَّ الميامينـا
حطَّ على أَعْدائكَ اللهُ ما حطَّ على العِدىٰ بِحِطِّينـا

وقال يمدحُهُ :

أَحبابُنا مُذْ بانـوا لِنَوْمِنـا أَبانوا
فلم تَجِفَّ بَعدَهُمْ مِنْ دَمعِها الأَجْفانُ
بانوا وقَلْبي حَيْثُما كانوا له مكانُ
ما سَكَنَتْ أَشواقُهُ وهُمْ بِهِ سُكانُ

---

(١) البيت مكسور لأنه ناقص وقد اضفنا الكلمة بين القوسين على ماورد في النسخة الأصلية لضبط الوزن . والابكار : جمع بكر « بالكسر » العذراء من كل شيء والعون : جمع عوان وهي الثيّب من النساء (ضد العذراء) .
(٢) الدسوت : جمع دَست « بالفتح » صدر المجلس « دخيلة » .

أَكْتُمُ حُبِّيهِمْ وهَلْ   مَعَ الْبُكا كِتْمانُ

كَمْ غادَةٍ ظاعِنَةٍ   سارَتْ بِها الأَظْعانُ

أعْطافُها مَهْزوزَةٌ   يَحارُ مِنْها الْبانْ

أَرْدافُها مُرْتَجَّةٌ   تَحْسُدُها الْكُثْبانُ

مَا لِلظِّباءِ جِيدُها   وطَرْفُها الْوَسْنانُ

هَيْهاتَ أَيْنَ الزُّجُّ مِمَّا حازَهُ السِّنانُ[1]

وخَدُّها أَعارَهُ   تُفّاحَهُ لُبْنانُ

والوَجْنَتانِ أَوْدَعَتْها   وَرْدَها الْجِنانُ

بِصَدْرِها نَهْدانِ   غارَ مِنْهُما الرُّمّانُ

فَقَدْ زَهَتْ بِخَيْرِ ما   يَزْهو بِهِ بُسْتانُ

لا حَبَّذا بَعْدَهُمُ   ذاكَ الْحِمىٰ والْبانُ

وبَعْدَ نُعْمٍ لَمْ تَكُنْ   تَشوقُني نَعْمانُ

كَلّا ولا وَجْرَةَ إِذْ   لَيْسَتْ بِها الْغِزْلانُ

مُدامَةٌ كأَنَّما   ذابَ بِها الْعِقْيانُ[2]

فَالغارِمُ الصّاحي إِذَنْ   والْغانِمُ النَّشْوانُ

---

(١) الزُّجّ : الحديدة في أسفل الرمح ، والسنان رأس الرمح الذي يُطعَن به .

(٢) العِقيان : الذهب الخالص .

فَامْلَأْ لِيَ الْكاسَ فَقَلْـــبي بالأسىٰ مَلْآنُ

كانتْ مَعَ النَّبيِّ نوحٍ إِذْ أتى الطّوفانُ

حَبَابُهـــا لي مالِكٌ وحُبُّهـــا رِضوانُ

وهذه الدنيا لنـــا معشوقةٌ تُزانُ

وإنَّمـــا ريقَتُهـــا ما مَجَّتِ الدِّنانُ

مِن شُربها يُهدى اليْـــنا الرَوْحُ والرَّيْحانُ

مِمَّنْ يُسَمّىٰ بِالغَفورِ يُرْتَجىٰ ٱلْغُفْرانُ

مَوْلاي بَدْرَ الدّينِ لا عانَدَكَ الزَّمانُ

وَدُمتَ ما أَقامَ في مَقـامِهِ ثَهْلانُ (١)

يَكْلَؤُكَ القُرْآنُ مِمّا يُحْدِثُ ٱلْقِرانُ (٢)

إذا رَأَينا الْمُشْتَري قارَنَهُ كَيوانُ

في دَوْلَةٍ سُلْطانُهـا ما مِثْلَهُ سُلْطانُ

أَنتَ ٱلْفَتى الّذي يُجيدُ مَدْحَهُ (فِتْيانُ)

---

(١) ثهلان : اسم جبل في جزيرة العرب .

(٢) القِران : له معان كثيرة وهنا تعنى المقارنة بين الممدوح وانسان آخر وان الممدوح أعلى من أن يقرن به أحد . وكلأ : حفظ .

وقال أيضاً يمدحه ويهنئه بشهر رجب :

بانُوا ، وقدْ أبانُوا أنَّ الهوى الهوانُ
فَها أنا الْحَرّانُ مِنْ بَعْدِهُمُ الحَيْرانُ
سَلَوْتُ عَنْ صَبْري وما لي عَنْهُمُ سُلْوانُ
يَاواعِظي ، وا ضَيْعَتي إِذْ سارَتِ الأَظْعانُ
كادَ يَلينُ الصَّخْرُ لي الآنَ ، وهُمْ ما لانُوا
ما هاجَني إلاّ حَماماتٌ لهَا أَلْحانُ
غَنَّيْنَ في الْبانات فَاهْتَزَّتْ بِهِنَّ ٱلْبانُ
كأنَّما الْعيدانُ إذْ غَنَّيْنَنا عِيدانُ
ذَكَّرْنَني بِغادَةٍ عادَتُها الهِجْرانُ
حُورِيَّةٌ جاءَتْ ولَمْ يَشْعُرْ بِها رِضْوانُ
مَتى تَثَنَّتْ غارَتِ الْكُثْبانُ والأَغصانُ
أَوْدَعَ صَحنَ خَدِّها تُفّاحَهُ لُبنانُ
وقَبْلَها لَمْ يُرَ بانٌ حَمْلُهُ الرُّمّانُ
مِنْها ٱسْتَعارَتِ اللِّحاظَ بِالنَّقا ٱلغِزْلانُ

هَاتِ ٱسْقِنِي ماأَوْدَعتْ صُدورَهـا الدِّنانُ

حَمْراءُ لَمْ تَعْبَثْ وحاشاهـا بِهـا النِّيرانُ

حَبابُها اللُّؤلُؤْ إِذْ تُجِنُّـــهُ ٱلعِقْيـانُ

في الشَّرْبِ ما النَّدْمانُ إِذْ يَشْرَبُها نَدْمانُ[1]

كَخُلْقِ بَدْرِ الدّينِ فَهْيَ الرَّوْحُ والرَّيْحانُ

أَضْحى لِبَدْرِ الدّينِ في كَسْبِ المَعـالي شانُ

فَصارَ بَدْراً كامِلاً مـا شانَهُ نُقْصانُ

فَمِنْهُ يَبْـــدو ٱلعَمَلُ الصّالِحُ والإِيمانُ

مِنْ أَجْلِ ذا سُمِّيَ مَوْدودَ ، فَذا بُرْهانُ

وافى إِلَيْـهِ رَجَبٌ وهْوَ بِـهِ جَذْلانُ

شَهْرٌ شَهيرٌ ، فَضْلُهُ لَيْسَ لَهُ كِتْمانُ

فَفيهِ قِدْماً نُصِلَتْ عَنِ ٱلقَنا الخُرْصانُ[2]

صِيْنَ فَلَمْ يَلْمَعْ بِهِ سَيْفٌ ولا سِنـانُ

هَنَّأَكَ اللّٰهُ بِــهِ ما بَقِيَ الزَّمانُ

---

(١) الندمان « الأولى »: المحدث على الشراب ، النديم ، و « ندمان » الثانية من الندَم .

(٢) نُصِلت : نُزعت ، من نصلَ الخضاب ، تحول اللون فيه من السواد الى البياض . والخرصان ، الحلَق التى توضع برؤوس الرماح .

وقال يمدح الحافظ بهاء الدِّين القاسم بن علي رحمه الله[1] :

أَلاحَ أَنْ لاحَ بُرَيقٌ يمانْ | يَخْفِقُ وَهْناً كَجَنانِ الحَنانْ[2]
كأنَّهُ مُعْتَرِضاً ، رادِعٌ | حاشِيَةَ ٱلعارِضِ بِالزَّعْفَرانْ[3]
أَوْمَضَ كالسَّيْفِ ٱنتَضَتْهُ يَدٌ | لِقَطْعِ شِرْيانِ ٱلْغُيومِ الدَّوانْ[4]
دَرَّتْ فُوَيقَ الأَرْضِ أَخْلافُهُ | وأَنْقَعَ الأَظْآرَ سُحْبٌ هِتانْ[5]
مَنْ لِشَجٍ لَوْلا الأَمانِيُّ لَمْ | يُمسِ مِنَ المَوْتِ أَسىً ، في أَمانْ
يُشَبِّكُ ٱلعَشْرَ عَلىٰ أَضْلُعٍ | هَيَّجْنَ ناراً أُسْعِرَتْ في الجَنانْ
كَأَنَّهُ في صَدْرِهِ طائِرٌ | أَوْ كُرَةٌ في مَلْعَبِ الصَّوْلَجانْ

---

(١) وردت كلمة « القاسم » دون الف وقـد اكتفى الناسخ باشارة المدّ فوق القاف على عادة العصر .

(٢) ألاح : خاف واشفق وحاذر . ويمان : من جهة اليَمن . وكلتا (حنان) و « جنان » في آخر البيت وردتا دون نقط وقد قدرناهما كما اثبتنا تقديراً للمعنى .

(٣) رادع : من ردع : لطّخ ، صبَغ . العارض : السحاب المعترض في الأفق والزعفران : نبات يستعمل للصبغ .

(٤) انتضى : سَلّ ، امتشق . الدوان : من دنا يدنو : القريبة .

(٥) الاخلاف : الضروع ، والأطباء . وانقع : أطفأ الظمأ ، الاظآر : عطف الناقة على الفصيل ، والاظآر : (بالفتح) زوج المرضعة التي ترضع غير ولدها ، جمع ظِئْر والفعل ، ظأر : عطفه عليه .

فإنْ شككْتُمْ فالشُّحوبُ الّذي تَرَوْنَهُ يَعلو عَلَيْــهِ الدُّخانْ

تَهِيجُهُ الذِّكْرى فَيَبْكي عَلىٰ رَيّا رُبىٰ نَجْدٍ وذاكَ الزَّمانْ

اِمْتاحَتِ الأَجْفانُ تامُورَهُ فَماحَها مِنْ أَحْمَرِ اللَّوْنِ قانْ (١)

حرّانَ قــد الصَقَ احشاءَهُ شوقاً وتوقاً بصعيدِ المَغَان (٢)

كم من معــانٍ لم تَبِنْ دِقّةً إلاّ له في رسم ذاكَ المَعَان (٣)

سَقْياً لكُثبانِ الحِمى والمَهـا يهزُزْنَ في الكُثبانِ أَغصانَ بَان

يفعَلُ في اعطـافهنَّ الصِّبا فعل الصَّبا في قُضُب الخَيْزُران

من كلِّ حَوْراءَ كَشمس الضُحَى تُخْجِلُ بالألحاظِ حُورَ الجِنَان

ثَقيلة الأَردافِ خُمصـانَةٌ مجدولة الخَصْر كجدلِ العِنان (٤)

جاريةٌ تُعقَـدُ من لينها جائِرةٌ ماعندها من ليان (٥)

كم فارسٍ مُستلئم في الوَغى اردتْهُ عنظهر الحِصانِ الحَصَانْ (٦)

---

(١) متح : نزح ، نزف المـاء بالدلو من البئر . التامور : الدَمْ . ماح : ملأ الدلو من الماء فهو مائح .

(٢) الصعيد : الأرض التراب .

(٣) معان ؛ الاولى : جمع معنى و « المَعان » الثانية هي : المنزل والمكان .

(٤) خُمصَانة : هزيلة نحيفة .

(٥) ليان : لين في رقة وعطف .

(٦) المستلئم : الذي وضع اللأمة عليه ، واللامة : عدة الحرب ، والحَصان : بالفتح : المحصَنة من النساء ، المخدَّرة .

وليلةٍ حَرَّمتُ فيها الْكَرَى   حتى رثى لي النسرُ والفرقدان [1]

واعرَضَ العُوّادُ عَنّي وقَدْ   يئِسنَ مني وبكا العاذلان

بِتُّ نَجِيَّ الهَمِّ في ظِلِّها   مُدَلَّهًا واللَّيلُ مُلقَى الجِران [2]

حَتى إذا الصبحُ تمَطَّى وقَدْ   مَدَّ الى صدر الظلام السِّنان

يُخالُ اذ شقَّ الدُّجى جدولاً   في روضةٍ نُوّارُها الأُقحوان

سَرَت بانفاسِ الخُزامَى الصَّبا   تَسْحَبُ اذيالاً على الصيمران [3]

مخضلَّةُ الأطراف أَهدَتْ لنا   من اليَلَنْجوجِ سُحَيْراً دُخان [4]

تقولُ للنَّرجسِ لا نَوْمَ في   حديقةٍ فيها حِداقٌ روان

وانتفَضَ الرَّيْحانُ من طَلِّه   ينثُرُ عِطْفاهُ عقودَ الجُمان [5]

وأَوْرَدَ الوردَ الحيا فأَكتسى   لونَ حياءٍ في خدود الغوان [6]

وغَنَّتِ الوُرْقُ على دَوْحِها   يا حَبَّذا الدَّوحُ وتلكَ الأغان

---

(١) النسر والفرقدان : من الكواكب .

(٢) الجران : باطن العُنُق أو مقدَّمه ، ومنه جرانُ العَوْد « أي الجمل المُسِن » وهو شاعر عربي جاهلي اسمه عامر .

(٣) الصيمران والصَمَران : اسم شجر . والصَّيمَر : اسم بلد وكذلك الصيْمرَة .

(٤) اليلنجوج : عود البخور .

(٥) الجُمان : اللؤلؤ .

(٦) اوردَ الورد : سقاه ، والحيا : المطر .

أَلحــانُها ليست بمفهومَةٍ ولسَنَ يُحتَجن الى تَرْجُمان

فاشرَبْ حميا الأُنسِ في روضةٍ طابَتْ نَسيماً لاحُمَيَّـا الدِّنان

شَقـائِقُ النُّعْمانِ شقَّتْ عَلىٰ تِلْكَ الحَواشي حُلَلَ الأُرْجُوانْ

وأَلْقتِ ٱلبُرْقُعَ عَنْ وَجهِها الشَّمْسُ تَقولُ : الآنَ طابَ الزَّمانْ

حَلَّتْ عُقودَ ٱلبَرْدِ عَنّـا وقَـدْ حَلَّتْ مِنَ السَّعْدِ بأَعْلىٰ مَكانْ

أَحْسِنْ بهـا شَمْساً رَبيعِيَّـةً نازِحةً عَنْ قادِحاتِ ٱلقِرانْ(١)

فَالحَمَلُ الأَعْلىٰ لهَا حامِلٌ يَقولُ : مَا أَطْيَبَ هٰـذا الزَّمانْ

تَدِبُّ في الأَعْطافِ أَلطافُهـا دَبيبَ راحٍ رُوِّقَتْ في ٱلقَنانْ(٢)

شَمْسٌ ـــ بإذْنِ اللهِ ـــ يَحْيىٰ بها ٱلعالَمُ : مِنْ نَبْتٍ وإِنسٍ وجانْ

كَأَنَّها إِذْ طَلَعَتْ أَطْلَعَتْ وَجْهَ (بَهاءِ الدّينِ) في الطَّيْلَسانْ

---

(١) القران : هو الجمع وهو يتنـاول موضوعات كثيرة ومنه قِران الكواكب وهو اجتماعهـا في جزء من الفلك ، والقَرْن أيضاً كوكبـان حيال الجدي وهو ما يقصده الشاعر رغم غموض المعنى لأن منطقة مـــدار الجدي حارة والشمس هنا ربيعية معتدلة الحرارة والقـادحات هنـــا : التي تقـدح الشرر أي التي تشع الحرارة .

(٢) القنان : نعتقد انها القناني ، جمع قنينة وهي الإناء الزجاجي المعروف الذي توضع فيه الخمور . وقد حذفت الياء من آخر الـكلمة تمشياً مع القافية التي هي نون ساكنة ولكن الناسخ وضع بدل النون ياءً مما لبَّس المعنى .

وَجْهَ فتىً يُغضي حياءً ، ومَنْ هيْبَتِهِ تَنْهَدُّ هُضبُ الرِّعانْ[1]

ثَبْتٌ إذا الطَّيْشُ انتهى في النُّهى أبانَ حِلماً خِفَّةً في أبانْ[2]

أعْلَمُ مِن كلِّ عليمٍ أباً أكْرَمُ مِنْ كلِّ كريمٍ بَنانْ

أحْيِي بِهِ اللهُ أباهُ فقَدْ قامَ بِأعْباءِ العُلى غيْرَ وانْ

ولَمْ يَزَلْ مُتَّبِعاً هَدْيَهُ مُؤَيِّداً ألفاظَهُ والمعانْ

مُرَوَّقُ الأخلاقِ يَغْنىٰ بِهِ جَليسُهُ عَنْ شُرْبِ بِنْتِ الدِّنانْ

في كَفِّهِ أبْيَضُ ماضي الشَّبا إذا مَشىٰ أطْرَقَ كالأُفْعُوانْ

لُعابُهُ دِرْياقُ مَلْسوعِ أفْعى الجَهْلِ جارٍ بالمُنىٰ والأمانْ

اِرْعَ كلامي مُسْمِعاً يا أبا مُحَمَّد الحافِظِ يا ابْنَ الهِجانْ[3]

واسْمَعْ قَريضاً رائِقاً حُسْنُهُ مِثْلَ عُقُودٍ في نُحورِ الحِسانْ

يا ابْنَ الّذي أظْلَمَتِ المُشْرِقانُ لِمَوْتِهِ لَوْلاكَ والمَغْرِبانْ[4]

---

(١) الرّعان والرُعون : جمع رَعْن وهو انف الجبل المتقدم أو الجبل الطويل .

(٢) أبان : اسم جبل معروف شرقي الحاجر أو هو جبل لبني فزارة والقصد : أن حلمه يبين الخفة على الجبل لرجاحته .

(٣) الهجان : من كل شيء الخيار و الخالص ، والناقة البيضاء هجان .

(٤) كلمة اظلمت وردت مطموسة الأحرف وقد قدرنا الحرف المطموس تاءً مع أنّ المشرقين مفرد مشرق وهو مذكر . وهذا البيت يذكرنا بقصيدة قديمة مطلعها :

يا ابن الذي دان له المشرقان طراً وقد دان له المغربان

وهي للشاعر الرَّقي عوف ابن مُحلّم المتوفى سنة ٢٢٠ ه ومنها البيت الشهير :

إن الثمانين وبلّغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

أنتَ الّذي ما زالَ في فَنِّـــهِ أَرْفَعَ خَلْقِ اللهِ قَدْراً وشانْ

يَرْحَمُهُ اللهُ فَكَمْ كَفَّ مِنْ عاتٍ عَلى الدِّينِ وكَمْ فَكَّ عانْ[1]

إنْ كانَ قَدْ حلَّ فِناءَ الْفَنا فَصيتُهُ مِنْ بَعْدِهِ غَيْرُ فانْ[2]

أَشْهِرْ بِـــهِ في نَشْرِ تاريخِـــهِ المَشْحونِ بالفَضْلِ وسِحْرِ الْبَيانْ

رَعى سَوامَ السَّمْعِ في نَقْلِهِ بَيْنَ مُروجٍ نَبْتُها الزَّعْفرانْ[3]

سَماعُهُ أَشْهىٰ إِلَى اللُّبِّ مِنْ مَثالِثِ الْعودِ وضَرْبِ المَثانْ

فَما نَرىٰ قارِئَـــهُ مُعْمِلاً هَزَّ حَواشي عَذَباتِ اللِّسانْ

إلاّ وعَوَّذْناهُ عُجْباً بِما يَنْشُرُهُ مِنْ طَيِّـــهِ بِالمَثانْ

دِمَشْقُ بِالتّاريخِ مَغْبُوطَةٌ مَحْسودَةٌ مِنْ كلِّ قاصٍ ودانْ

تاريخُ بَغْدادَ لَدىٰ ذِكْرِهِ كَنُقْطَةٍ في مُعْظَمِ النَّهْرَوانْ[4]

فَما لِمَنْ صَنَّفَـــهُ مُشْبِهٌ واللَّيْثُ لا يُشْبِهُهُ الثُّعْلُبانْ

اِنْقادَتِ الأَسْماءُ طَوْعاً لَهُ فَأَصحَبَتْ فيهِ وزالَ الحِرانْ

---

(١) عاتٍ : من عَتى : نبا وعَصَى . والعان : هو العاني : العبد أو الأسير

(٢) الفِناء : ساحة الدار .

(٣) السوام : الماشية من سام أي رعى .

(٤) النهروان : مجموعة ثلاث قرى بين واسط وبغداد عرفت بوقعة شهيرة بين سيدنا علي والخوارج والشاعر قصَدَ بها : نهر الماء .

والنّاسُ لا يَجْنون َ طِيبَ ٱلْجَنى إلاّ إذا طابَتْ أُصولُ المَجانْ

هذا «بَهاءُ الدّينِ» قَدْجاءَ مِنْ بَعْدِ أبيـهِ لَمْ يُشَفَّعْ بِثانْ

حازَ بِمَجْدِ اللهِ رَغْماً لِمَنْ باراهُ أَقْصى قَصَباتِ الرِّهانْ

لا زَلَّتِ النَّعْلُ بـهِ لا ولا زالَتْ عِداهُ في مَهاوي الهَوانْ

لا مُـــدَّ ، مِنْ دَهْرٍ بِماساءَهُ لكِنْ بِما شاءَ ، إليْهِ يَدانْ

اِشْمَخْ بِأَنفٍ شامِخٍ آنِفٍ فأَنتَ والمَجْدَ رَضيعا لِبانْ

كَمْ لَكَ مِنْ بِكْرٍ إذا ٱسْتَبْهَمَتْ مَعالِمُ ٱلْعِلْمِ وكَمْ مِنْ عَوانْ

يَهْتَزُّ لِلْمَدْحِ ٱهْتِزازَ ٱلْقَنا مُنْأَطِرَ الأَطْرافِ يَوْمَ الطِّعانْ (١)

كأنّما بِشْرُكَ مِنْ نُورِهِ مُنْبَعِثٌ عَنْ غُرَّةِ الزِّبْرِقانْ (٢)

عِرْضُكَ في سِلْمٍ ولَمَّا تَزَلْ تَصولُ في المالِ بِحَرْبٍ عَوانْ

يا ذا ٱلْيَدِ ٱلْبَيْضاءِ وٱلْعَزْمَةِ ٱلَّتي غَدَتْ أَمْضى مِنَ الهِنْدُوانْ (٣)

اِرْبَعْ ، خَلاكَ الذَّمُّ ، في نِعْمَةٍ آهِلَةِ الرَّبْعِ بِوَفْدِ التَّهانْ

ما غَنَّتِ ٱلْوُرْقُ سُحَيْراً وما زَقَتْ دُيوكٌ آذَنَتْ بِالأَذانْ (٤)

---

(١) انأطَرَ وتأطَّر فهو منأطِر : اعوَجَّ والرمح تثنّى .

(٢) الزِّبرقان : القمر .

(٣) الهِندوان : السيف المنسوب إلى الهند وأصله : الهندواني « بالياء» وحذفت للقافية.

(٤) زقا يزقو : صات ، وصاح .

وقال يمدحُ الأميرَ سَرَاسُنْقُر :

لَسْتُ أَسْلُو ٱلشّادِنَ الأَحْوى الأَغَنّا مَا شَدا شادٍ عَلى ٱلْبانِ وغَنّىٰ
قُلْتُ لِلْقَلْبِ : تَجَلَّدْ وٱصْطَبِرْ ، قالَ لي : كَلّا ! وأَنّىٰ لي ؟ وأَنّىٰ
صِرْتُ مَجْنوناً ، ويَزْدادُ جُنوني فيهِ أَضعافاً إِذا ما اللَّيْلُ جَنَّا [1]
وبَلائي أَنَّــــهُ يَجْني ، فَإِنْ جِئْتُهُ أَشكو إِلَيْهِ ، يَتَجَنَّىٰ
اِذْبَحِ الدَّنَّ نَديمي وٱسْقِني دَمَهُ حَتّىٰ أُرى بِالسُّكْرِ دَنّا
أَدِرِ ٱلْكاساتِ صِرْفاً إِنَّهـا تَصْرِفُ الهَمَّ ، إِذا ما ٱعْتَنَّ ، عَنّا [2]
قَهْوَةً تَجْعَــلُ قُسّاً باقِلاً لِسَناها يَسْجُدُ ٱلْقَسُّ يُحَنّا [3]
باتَ يَجْلو شَمسَ راحٍ قَمَرٌ فوقَ غُصْنٍ في كَثيبٍ يَتَثَنَّى
ومَتىٰ ٱهتَزَّتْ لنــا أَعْطافُهُ رَقْصاً ، أَثْمَرْنَ إِحساناً وحُسْنا
لَقَطَتْ دُرَّ الأَغــاني طَرَفا قَدَمَيهِ وبِهـا الأَلبابُ تَغنىٰ
قَسَماً لَوْ أَنَّنــا نَسْطيعُ مِنْ طَيَرانٍ طَرَباً مِنْهُ لَطِرْنا
ليسَ فينـا غَيْرُ مَفْتونٍ بِـهِ طَرِبَتْ منهُ المطـايا حِينَ حَنَّا

(١) جنَّ الليل : اشتد ظلامه والجِنّ « بالكسر » الظلمة .
(٢) اعتَنَّ : الشيء : عنَّ واعترَض ، أي تصرف الهم إذا ما عرض لنا .
(٣) يُحَنّا : يقصد يوحنا وقد خُفِّفَت الواو من أجل الوزن .

أَحورُ الطَّرْفِ بديـعٌ حُسْنُهُ   فَهُوَ حوريٌّ المعـــاني فيهِ حِرْنا

كلُّ ذي حُسْنٍ إذا قيسَ بِـهِ   كانَ لفظاً وهوَ تَحْتَ اللَّفْظِ مَعْنىً

فَهُوَ منْ شَمْسِ الضُّحى أَبْهى وإنْ   رَمقَتْهُ عينُهـا تأْسِنُ ، أَسنى[1]

يوسُفِيٌّ حُسْنُهُ مُتَّخِــذٌ   حَبَّةَ القَلْبِ لَهُ مأْوىً وَسِجْنا

إنَّ في تَرَكي هوى التُّرْكِيِّ لي   عَبَثاً ، حاشايَ منْ ذاكَ ، وَغَبْنا

وسُنُوهُ بَلَغَتْ سَبْعاً وَسَــبْعاً   فهوَ كالبَدْرِ سنىً يسْمو وسِنَّا

ضَيِّقُ الأَجْفانِ منهُ اتَّسَعَتْ   طُرُقُ الوَجْدِ على قَلْبي المُعَنَّى

ضاقَ مِنــهُ كلُّ شيءٍ حَسَنٍ   ضيقُهُ ، فانظُرْ فماً منْهُ وجَفْنا

ليسَ لِلنَّـاسِجِ ما يَفْعلُـهُ   يغْلَقُ النَّشَّاب إذْ يُرهَفُ سنَّا[2]

قال لي مالَكَ بي مِنْ طــاقَةٍ   خَفَّ صُدودي إذْ يَخِفُّ الكيسُ وَزْنا

قُلْتُ إن اللهَ لي ثُمَّ (سَراسُنْقُرَ) القَيْلَ الَّذي أَغنىٰ وأَقنى[3]

---

(١) أسنَ أسْناً : رَمق ، فطن له . واسى الثانية : اكثر سناء .

(٢) الغلَـق : سهم في الميسر وهو السابع وجمعه مغالق ومغاليق وهي التي تغلق الحظ فتوجه للمقامر الفائز (متن اللغة) .

(٣) سراسنقر : هو الممدوح أحد الأمراء في زمن صلاح الدين ، والقَيْل : هو العظيم ، ومنه اقيال اليمن ، واقنى : اعطى .

سَيِّدٌ كَمْ منْ عِـــدىً أَفْنى ولم يَرَ منهُ أَحدٌ في الرَّأيِ أَفْنـا[1]
لَمْ تَزَلْ أَنْمُلُهُ ، إنْ ضَنَّتِ السُّــحْبُ يوماً بالحَيا ، تُحْسَبُ مُزْنا[2]
لمْ يَكنْ مِنهُ لدى الهيجاءِ حِصْنٌ نتَّقيهِ فلهذا عنهُ جُضْنـــا[3]
يُوسِعُ الأَعداءَ بالسَّيفِ وبالرُّمْــحِ في يَوْمِ الوَغىٰ ضَرْباً وطَعْناً
قالتِ الشُّجعانُ هذا الموتُ بأساً لا يَلُمْنا لائِمٌ إنْ عَنْهُ حِصْنا[4]
وهُوَ لو يَأْمُرُنـــا يوماً له بِسُجودٍ لَسَمِعْنـــا وأَطَعْنا
فبهِ قـامَ عمـــادُ الدينِ في مِصْرَ والشامِ وكَمْ أَطَّدَ رُكنا[5]
تَتَأَبّى الطَّيرُ مِنـــهُ غَزْوَةً فتوافي الجَيشَ مِنْ هَنَّا وهَنَّا[6]
سَلْ بِـهِ عَكَّـةَ والمَرْجَ وقَدْ دَفَنَ الأَعْداءَ في الخَنْدَقِ دَفْنا
فـكأَنَّ القومَ لَمَّا ساقَهُمْ ساقَهُمْ للنَّحْرِ يومَ النَّحْرِ بُدْنا[7]

---

(١) أفنَ : الرجل أفْناً وأفَناً : ضعف عقله ورأيُه .

(٢) المزن : المطر .

(٣) ورد هذا البيت الى جانب القصيدة وكان قد سها عنه الناسخ ، كما وردت كلمة « حصن » في الشطر الأول منصوبة وهو خلاف للصحيح ، وجُضناً : التي وردت في قافية البيت من جاض جوضاً وجيضاً : حاد عنه ومال .

(٤) حصنا : من حاص يحيص : حاد يحيد .

(٥) أطَّدَ : مثل وطّد ، أي شيَّد .

(٦) تتأبّي بالمكان : تنتظر وتتلبث ، وهنَّا وهنّا : لغة في هُنا .

(٧) البُدْن : السمان .

أوردَ الرَّاياتِ صُفْراً طَعْنُـهُ وبهِ أُصدِرْنَ في الهيجاءِ دُكْنا[1]

فهوَ ينحو الحَرْبَ وَهْوَ اسْمٌ وفِعْلٌ وسِواهُ الحَرْفُ إذْ جاءَ لِمَعْنىٰ[2]

وقليلٌ لـ (سَراسُنْقُرَ) في المُلْكِ أَنْ يُعْطىٰ أقـــاليمَ ومُدْنا

فارِسٌ لو لاجمودُ الدَّمِ في سَيْفِهِ أَجْرى بهِ في البَرِّ سُفْنـــا

أَسَدُ الدِّينِ متىٰ مـا بارَزَ الأُسْـــدَ قهقَرْنَ على الأعْقـابِ جُبْنا

ما رَمىٰ الأَعْـــداءَ إلاَّ خِلْتَهُ مَلَكاً يَرمي بشُهبِ القَذْفِ جِنَّا

مَنْ مُجيري مِنْ زَمانٍ غادِرٍ غادَرَ اللُّسْنَ منَ الإفلاسِ لُكْنا[3]

قَلْبُهُ قاسٍ فمـــا يَرْجعُ عَنْ قلبِهِ لي ، حَيْثُما كُنْتُ ، المِجَنّا

لوْمُهُ أَعْــدىٰ كِراماً فَغَدَوا في نداهم يُخلفونَ الظنَّ ضَنّا

و « سَراسُنْقُرَ » باقٍ جودُهُ فلِذا عُجْنـــا عليهِ حين جُعنا

غَلقَت فيـــه رُهوني فـــانبرى لي فتّاكاً فمـــا أَفْتَكَ رَهْنا[4]

فَرَضَ المنسوخَ مِن آيِ النَّدَى أَسَـــدُ الدين وسنّاه وسنّا[5]

---

(١) الدكن : جمع ادكن أي أسود .

(٢) يشير الشاعر إلى قصـــة نشأة علم النحو التي تنسب إلى سيدنا علي وأبي الأسود الدؤلي .

(٣) اللسن : جمع لسِن وهو الفصيح اللسان ، واللكن : جمع الْكن وهو العاجز عن النطق والذي ينطق بصعوبة .

(٤) غَلِق ؛ الرهن : استحقه المرتهن ولم يقـدر الراهن على فكـه . وفاتك صاحبَهُ : اعطاه ما استام ببيعه . وفتك في الأمر : لجَّ .

(٥) سنى الشيء : سهّله . سنَّ القانون : وضعه وشرّعه ومنه السُّنَّة .

يَهَبُ الإبلَ المنيفـــاتِ الذُّرى   وأَكاديشَ وبغـلاتٍ وحُصنا[1]

من سَراةِ التُّركِ يهوى كسبَهُ   الحمدَ بالمالِ هوى قيسٍ لِلُبْنى[2]

فهو من مرتَبـةِ السلطانِ في المـلـــكِ أَضحى قابَ قوسينِ وأَدنى[3]

يُسْعَدُ الشامُ متى حَـــلَّ بِـــهِ   ويُعـــاني إن نأى هوْناً ووَهْنا

لم تَخَفْ منـــه بنو الآمالِ إذ   يغمرُ القومَ بفيضِ المنِّ منّـــا

يا « سَرَاسُنْقُرَ » خذها مِدْحةً   حسنُها أَورثَ من عاداكَ حُزنا[4]

بِشرُهُ يَسْرِـــي بيُسرٍ بعد عُسْرٍ   وبيُمنٍ من نَـــدَى يمناه يُمْنا

ليسَ يَخْشى في دمشقَ الفقرَ مَن   أَسَدُ الدينِ بهـــا يقناه قَنّا[5]

سامعوهـــا أَشبهوا صوفيَّـــةً   رَقَصاً مِنهُم إذا الشاهِـــدُ غَنّا

قُلْ لهـــا أَهـــلاً وسهلاً بالتي   كم إلينـــا قطعت سهلاً وحَزْنا

وأسمُ واسلَمْ ، وابقَ واغنم أَبداً   تتملاَّ فوق ما قـــد تتمنى[6]

---

(١) المنيف : المرتفع ، الذرى ، يقصد بها هنا الأسْنِمة: جمع سَنام وهو أعلى الظهر من الإبل .

(٢) قيس ولبنى ؛ من الشخصيات الغزلية في العهد الأموي .

(٣) القاب والقيب : المقـدار ، ومن القوس ما بين المقبض والسِّية ، ولكل قوس قابان .

(٤) اثبت هذا البيت الى جانب القصيدة بعد أنْ سها عنه الناسخ .

(٥) أقناه : أعطاه .

(٦) تملاَّ عمرَه : استمتع به .

وقال يمدَحُ الأمير سيف بن تُبَل أمير العرب :

إنّي إذا لاحَ البَريقُ يمـانِي ... لأهيمُ من طربٍ إلى نَعْمانِ [1]

ويَشوقُني نجـدٌ وظِلُّ المنحنى ... والخيفُ والجرعاءُ والعلمانِ [2]

لله أيامي بجوِّ سُوَيْقَـةٍ ... ورقيبُنـا قاصٍ وشملي داني [3]

أيامَ أَسْحَبُ مِطْرفي بالروض بيْـ ... ـن الشيحِ والقيصومِ والحَوذانِ [4]

ولديَّ غيـدٌ كالشموسِ سَوافِراً ... يَهْزُزْنَ في كُثُبٍ غصونَ البانِ

يَبْسِمْنَ عن نَوْرِ الأَقاحِ وقد حَكَت ... وجنـاتُهُنَّ شقائِقَ النُّعمانِ

إذ ساعدت سُعْدى وسَلْمى سَلَّمت ... وسُرِرْتُ من حَسْناءَ بالإِحسانِ [5]

فهناك عاينت الأُسودَ صريعـةً ... بين النقـا بلواحِظِ الغِزْلانِ

يَرْمِينَ نبلاً عن قِسِيِّ حواجبٍ ... يقتلننا عمـداً وهُنَّ رواني [6]

واهاً له زمنـاً أنيقـاً مُهْدِياً ... نيلَ الأَماني تحت ظِـلِّ أَمانِ

---

(١) و (٢) الاسمـاء الواردة في البيتين كلهـا اسمـاء امكنة في جزيرة العرب كثيراً ما تردّد في أشعارهم .

(٣) سُوَيْقة : محلة مشهورة بدمشق الى جوار باب الجابية .

(٤) المِطرَف : ثوب ، والشيح والقيصوم والحَوْذان نباتات صحراوية معروفة .

(٥) سُعدى وسلمى وحسناء : اسماء نساء كان العرب يتغزلون بهن .

(٦) رواني : من رنا يرنو ، نظر طويلاً .

وكأننا بذمامِ (سيفِ الدينِ) في أَحمى جنـــابٍ في أعزِّ مكانِ

أَكرِمْ به مَلِكاً عزيزاً جـــارُهُ لم يَخشَ نابَ نوائبِ الحَـــدَثانِ

من دوحـــةٍ عربيـةٍ «تُبليَّةٍ» أَفنانهـــا يَنعَتْ بكل مجـــاني

فحُسامُـهُ يوم الوَغى بذمامِـــهِ يفري فَراشَ حواجبِ الفرسانِ[1]

حامي الذِّمارِ مُشتَّتُ العزماتِ مشـــغولٌ بيومِ ندىً ويومِ طِعان

ما أَثمرت يومَ الهِياجِ رِماحُـــهُ إلاَّ عمـــائِمَ لابسي التيجـــانِ

ما حاتمُ الطـــائيُّ إلا عبـــدهُ شتانَ بين الكفرِ والإِيمـــانِ

يَهبُ الهُنَيْدةَ والرِّعاءَ ووجهُـهُ طلقٌ، وكلَّ طِمرَّةٍ وحِصانِ[2]

في مدحِـــهِ إنّي لمعتـــذِرٌ ولو أَنّي كقُسِّ عكاظ أَو سَحْبـــانِ

مولايَ (سيفَ الدين) خذها مِدْحةً وافت فتى الفِتيـانِ من «فتيان»

من فاضلٍ أَشعاره تحـــدو بها في الركب مطربةً حُدَى الرُّكبانِ[3]

لا زالَ يُلفى بالأَعـــادي ظافراً في كل معركـــةٍ بكلِّ أَوانِ

وقال أيضاً :

أَسْتَوْدِعُ اللهَ مَنْ إنْ حلَّ أَوْ ظَعَنا لَمْ يَتَّخِذْ غَيْرَ أَحشائي لَهُ وَطَنا

---

(١) الفَراش من الرأس : عظام تلي القحف أو عظم الحاجب وهو المقصود هنا .

(٢) الهنيدة : اسم للمائة من الابل ولما دونها ولما فوقها بقليل . الرِعاء : جمع راعي ورِعاء ورُعاء .

(٣) حُدى : اصلها حُداء ، وقد قصرت الهمزة ، وهي سَوق الأبل بالغناء .

يَا ساكناً في فُؤادي وهْوَ يُحْرِقُهُ ... وليْسَ قَلْبي بِراضٍ غَيْرَهُ سَكَنا
يَا قاتِلي عامِداً لوْ قيلَ : هَلْ أحدٌ ... يُحِبُّ قاتِلَهُ عَمْداً ؟ لَقُلْتُ : أَنا
أَما وأَجْفانِكَ ٱلْوَسْنَىٰ ومَنْظَرِكَ م ... الأَسْنَىٰ لَقَدْ هجَرَتْ أَجفاني ٱلْوَسَنا[1]
لا تَحْسِبوا أَنَّني مِنْ بَعْـدِ بُعْدِكُمُ ... نَظَرْتُ في النّاسِ يَوْماً مَنْظَراً حَسَنا
وَداعُكُمْ أَوْدَعَ الأَسْقامَ في بَدَني ... مُذْ حَثَّ حاديكُمُ يَوْمَ النَّوى ٱلْبُدُنا[2]
أَنتُمْ خَلَعتُمْ عَلَيْنـا مِنْ صُدودِكُمُ ... ـ لَمَّا نَزَعْنا ثِيابَ الصَّبْرِ ـ ثَوْبَ ضَنَىٰ
أَوْدَعْتُمُ السَّمْعَ قِدْماً مِنْ حَديثِكُمُ ... عُقودَ دُرٍّ عَلَتْ لَمَّا غَلَتْ ثَمَنا
خُذُوا دُموعي الَّتي مِنْ مُقْلَتي ٱنتَثَرَتْ ... فَهْيَ ٱلْعُقودُ الَّتي أَوْدَعْتُمُ الأُذُنا
نِمْتُمْ وأَسْهَرْتُمونا وَحْشَةً لَكُمُ ... أَوْحَشْتُمونا وما تَسْتَوْحِشونَ لَنا
جَدَّ الرَّحيلُ غَداةَ ٱلْبَيْنِ وٱرْتَحَلوا ... وَا حَسْرَتا مِنْ سُرورِ الشَّامِتينَ بِنا
وغادَروني أُنادي خَلْفَ عِيسِهِمُ ... رِفقاً فَوا حَرَبا لِلْبَيْنِ وا حَزَنا[3]
لَوْ قيلَ لي ما تَمَنَّىٰ ؟ قُلْتُ عَوْدُ ليـــالينا بِخَيْفِ مِنىٰ حَسْبي بِذاكَ مُنىٰ[4]
ولَسْتُ آيَسُ مِنْ لُطْفِ الإِلـهِ بِأَنْ ... يَقْضي بِعَوْدِ لَيالي ٱلْوَصْلِ تَجْمَعُنا

---

(١) الوسنى : الناعسة ، الأسنى ، من السَّنا والسَّني : الضياء واللمعان .
(٢) البُدن : النياق السمينة .
(٣) العيس : الجمال .
(٤) خَيف : اسم مكان معروف ، ومِنى كذلك . ومُنى الثانية « بضم الميم » جمع مُنْية وهي الرجاء .

وقال أيضاً :

ماسَتْ لنا يومَ بَيْنِ الحَيّ اغصانُ ترتجُّ من تَحتِها في الأُزرِ كُثْبانُ

وقد أَدرنَ عيوناً في محاجرِها تلكَ السيوفُ لها الأجفان أجفانُ[1]

فهُنَّ يُشبِهْنَ غِزْلانَ الصَّريمِ ولا والله ما مِثلَها في الحُسنِ غِزلانُ[2]

هاَجتْ بلابلُ نَعْمانٍ بلابِلَنا آهاً لوجدٍ بنا هاَجتْهُ نَعْمانُ[3]

والوُرْقُ تُطْرِبُنا في البانِ صادحةً فهل لها في اللّوى العيدانُ عيدانُ[4]

تلكَ الغصونُ بها من كل فاكهةٍ زوجانِ واعجبا هل يُثمِرُ البانُ

في حبِّ زينب نشكو حرَّ أَدمعِنا فهل تُشَبُّ من الأمواهِ نيرانُ

فالحسنُ اضحى ربيعاً وهي موسِمُهُ كأَنها في شهورِ العـــام نيسانُ

يا عاذِلي لستُ بالمُصغي إلى عَذَلي فيمن أُحِبُّ ولا لي عنه سِلوانُ

إِنْ كنتَ تنصحُني في الحبِّ دعْ عَذَلي ويحَ المحبِّ من العُذَّالِ ؛ لا كانوا

وقال أيضاً :

آرامُ رامَةَ عن بانِ الحِمَى بانوا من بعدِ أَن غازَلتني فيه غِزلان[5]

---

(١) جفن السيف : قرابه وغمده .

(٢) الصريم : القطعة الضخمة من الرمل ذات الشجر .

(٣) بلابل نعمان : هي طيور البلابل في وادي نعمان المعروف ، وبلابل : الاحزان .

(٤) اللّوى : اسم مكان .

(٥) رامة : اسم مكان .

وصارَ مَتْنِي ظِباءٌ بالصريم ففي الأَجفـــانِ مـــاءٌ وفي الاحشاءِ نيرانُ

وكم تجرَّعتُ بالجرعاءِ من أَسَفٍ قلبي بأوصابِهِ مِلآنَ مَلآنُ [1]

حازَت بحَزْوَى عيونُ العينِ أَنْفُسَنا تلكَ السيوفُ لها الأَجفانُ أجفانُ [2]

وكنت مستسقياً للأبْرَقَيْن متى ما لاحَ برقٌ سُحَيْراً فهو يقظانُ [3]

حتى تعسَّفني جورُ الزمـــانِ بجـــيرانٍ خَلَتْ منهُمُ بالبينِ عُسْفانُ [4]

والآنَ إن لم تكُنْ سَلمَى بذي سَلَمٍ فلا أَناخَتْ بذاكَ الرَّبعِ أَظعانُ

ولا أَلَمَّتْ به سحب يَسُحُّ بهـا دانٍ مُسِفٌّ فُويقَ الأَرضِ هتّانُ

فهو الكفيلُ لها أَنْ لا يفارقَها منه عرارٌ وقَيْصومٌ وحَوْذانُ

وا وَحشتاه لجيرانٍ لنـا ظَعَنوا منهُمْ بلغنا المُنى إذ نحنُ جيرانُ

لئِن نأَت عن سوادِ العين دارُهُمُ فإنَّهمْ بسُوَيْدِ القلبِ سُكّانُ

ما أَعظَمَ الوجدَ لمّـا قالَ رائِدُهُمْ ، وهو المُصَدَّقُ قولاً : ها هُنا كانوا

---

(١) مِلآن · بكسر الميم : تقديرها من الآن وقد جرت عادة العرب على حذف النون من حرف الجر في هذا الموضع .

(٢) حزوى : اسم مكان . وقد ورد الشطر الثاني لهذا البيت في القصيدة السابقة (البيت الثاني) .

(٣) الابرقان : اسم مكان .

(٤) تعسّف المفازة : قطعها دون هدف . وعسفان : اسم مكان .

وقال أيضاً :

إذا ماغـابَ شخصُكَ عن عِيـاني ... رَثى لي حاسِدي مِمّـا أعـاني

فَدَيْتُـكَ يا مُنى قلبي ويا مَنْ ... جفا الأَجفانَ نومي مُذْ جفـاني

فإنْ يَكُ في الهوى دمعي طليقـاً ... فقلبي مُوثَقٌ بهـواكَ عـاني

وقال في غلامٍ من المعذَّرين[1] بدمشق :

جاءَ العِـذارُ لِشَيْنِكْ ... ونَسخِ آيةِ زَيْنِكْ[2]

فبـانَ قُرَّةُ عيني ... عَنّي ، وقرَّةُ عَيْنِكْ

فكمْ نتفتَ إلى أَنْ ... أَبديتَ صَفحةَ مَيْنِكْ

فأذهبْ ، عذارُكَ هـذا ... فِراقُ بيني وبيْنِكْ

فالآن فالطُمْ ونُحْ وابْلِكْ ... إذ أتى حِينُ حَيْنِكْ

وقال يهجو ابن عُنين[3] :

من يُرَجِّي خيراً من ابن «عُنَيْنٍ» ... لم يَنَلْ منه غيرَ خُفَّيْ حُنيْنِ[4]

---

(١) المُعَذَّر : هو الذي نبت شعر عذاره .

(٢) الشَيْن : العيب ، والنسخ : الإلغاء والإبطال .

(٣) ابن عنين شاعر مشهور زمن صلاح الدين (٥٤٩ — ٦٣٠ هـ)

(٤) خُفَّا حُنين : مثل يضرب لمن أخفق في سعي .

هو في غفـــلةٍ وأيامـــه تَفتُلُ في غزلِ غزلِه باليَـــدَيْنِ
صادَ منه السلطانُ أُمَّ حُبيْنِ أيُّ خيرٍ في صيدِ أمِّ حُبيْنِ[1]

وقال :

أراني غَريباً في دِمشقَ وأهلُها بَصيرونَ بي لكن عموا عَن محاسِني
فيا ضَيعَتي فيهمْ وفَضْلِيَ ظاهِرٌ كأنّي لَدَيْهِمْ مُصْحَفٌ عِندَ باطِني[2]

وقال يصفُ بِركةً عُمِلَتْ لِلمُوَفّق بنِ المطرانِ بِأنابيبَ سِباع[3] :

وبِرْكَةٍ تُحمى بِأُسْدٍ وما تَمنعُنا الوِرْدَ إذا جِئنا
وما رَأينا أُسداً قَبلَها تَمجُّ بِالماءِ ثَعابِيْنا

وقال أيضاً :

هذي الرِّياضُ وأنفاسُ الرَّياحينِ تَحْتَ الغِياضِ وهذا جِسْرُ جِسْرِينِ[4]
والطَّيْرُ في عَذَباتِ البانِ تَصْدَحُ بالأَفنانِ وَجْداً بِأنْواعِ الأَفانينِ[5]

(١) أمُّ حُبَيْن : هي الدويبة المعروفة في بلاد الشام « الحِرذَوْن » .
(٢) يشير هنا إلى رأي أصحاب الباطن في تفسير القرآن .
(٣) أي أن الأنابيب التي تصبّ منها المياه مصنوعة على شكل سباع .
(٤) جسرين : قرية معروفة في الغوطة الشرقية وجسر القرية معروف .
(٥) الافنان : الاغصان والأفانين : الانواع والألوان .

تَتْلو الشَّحاريرُ فيهـا والْبَلابِلُ آيـــاتِ الزَّبورِ بِأَفواهِ الرَّهابينِ[1]

ولِلْغُصونِ اهْتِزازٌ بِالنَّسيمِ كما هَزَّ النَّصارى سُروراً وَصفُ شَمْعونِ[2]

قُمْ يا نَديمي اسْقِني حَمْراءَ صافِيَـةً كانتْ لِكِسْرى أَتتْ مِنْ عِنْدِ شيرينِ[3]

مُدامَةً في ظَلامِ اللَّيْلِ تُطْلِعُ لي مِنْ نَورِها سُرُجاً زُهْراً فَتَهْديني

تُبْقي السُّرورَ وتَنْـــفي هَمَّ شارِبِها عَنْ قَلْبِهِ فَهْوَ لاهٍ غَيْرُ مَحْزونِ

جاءَ المِزاجُ لَهـا إِذْ أَشْبَهَتْ ذَهَباً بِدُرِّ عِقْدٍ نَفيسِ القَدْرِ مَكنونِ

فَلِلْحَبابِ بِحَبَّـاتِ الْقُلوبِ هَوىً حَيّا بِهِ الْفَتَياتِ الخُرَّدِ الْعِيْنِ[4]

مِنْ كَفِّ مُرْتَجَّةِ الأَطْرافِ لَيِّنَةِ الأَعْطافِ بِاللَّحْظِ تُصْبيني وتَسْبيني

إِنّي إِلى وَصلِهـا عَيْنُ الْفَقيرِ فَإِنْ تُعنِّني بِقَريضي فَهْيَ تُغْنيني[5]

وإِنّي لأُصَلّي الخَمْسَ مُجْتَهِـــداً ولَنْ تَصُدَّني الصَّهْبـاءُ عَنْ ديني

وأَسْأَلُ اللهَ عَفْواً في المَعـادِ وعَفْوُ اللهِ يَرْجوهُ مِثْلي كُلُّ مِسْكينِ

---

(١) الشحارير والبلابل : نوعان متقاربان من الطيور المعروفة بجمال صوتهـا ، والزبور : كتاب مقدس للنبي داوود . والرهابين : جمع راهب .

(٢) شمعون : شخصية مسيحية معروفة .

(٣) شيرين : زوجة كسرى ومعناها الحلوى في الفارسية .

(٤) شككنا في صحة اعراب هذا البيت فكلمة « الفتيات » واقعة في محل مفعول به منصوب بالكسرة لأنها جمع مؤنث سالم وكان المفروض أن تأتي كلمتا : الخرّد العين ، منصوبتين لأنهما نعت للمنصوب .

(٥) تعنّني : تشتمني من عنّ عنّاً .

فَعَدِّ يا صاحِ عَنْ نَجْدٍ وساكِنِهِ ورَمْلِ حَزْوى وعَنْ أثْلاتِ يَبْرِينِ[1]
وعُجْ عَلىٰ عذَباتِ النَّيْرَبَيْنِ ضُحىً وحَيِّها مُنْشِداً : قَلْبي بِقُلْبينِ[2]
تَجِدْ هُناكَ الهوى ٱلعُذْرِيَّ مُحْتَكِماً فكَمْ لَهُ ثَمَّ مِنْ لَيْلىٰ ومَجْنونِ[3]
إنّي مِنَ الرَّاحِ مَيْتٌ لا حَراكَ لَهُ فَهاتِ بالرَّاحِ حَيِّني لِتُحْييني

وقال أيضاً :

يَا صاحِ عَرِّجْ بِجِسْرِ جِسْرينِ ولا تَحِدْ عَنْ فِيحِ ٱلْبَساتينِ
تِلْكَ ٱلْبَساتينُ زُيِّنَتْ فَزَهَتْ بِياسَمينٍ غَضٍّ ونِسْرينِ[4]
قُمْ وٱسْقِني قَهْوَةً مُشَعْشَعَةً مِنْ صَيْدَنايا ومِنْ صَرِيفِينِ[5]
مَدامَةً تَجْلِبُ السُّرورَ وتَنفي الهَمَّ عَنْ قَلْبٍ كلِّ محزونِ
أَنا الذي جاءَ من يَلومُ على الهَوىٰ بقولٍ بالصِّدْقِ مَقرونِ
لا تعْذِلوني فيمَنْ أَهيمُ بِهِ أَنتم لكمْ دينُكُمْ ولي ديني
وكُلُّنا نَرْتَجي النَّجاةَ غداً واللهُ مما أَخافُ يُنْجيني

(١) حزوى وبيرين : مكانان في بلاد العرب .
(٢) قُلْبين : قرية بجوار دمشق .
(٣) ليلى والمجنون : من أشخاص الحب عند العرب .
(٤) الياسمين والنسرين : نوعان من الازهار .
(٥) صيدنايا : قرية اشتهرت بديرها القديم تقع الى الشمال الغربي من دمشق .
وصريفين قرية مشهورة بخمرها .

وقال أيضاً :

أهاجَكَ يومَ البينِ ياسعدُ إذ بانوا غِناءُ حمامات بهـا رَقَصَ البانُ
فظلَّت تَسُحُّ الدَّمعَ وهي سواجِعٌ فإعْلانُهـا سِرٌّ وسِرُّكَ إعْلانُ
لقدْ أودَعوكَ الوَجْدَ ساعَةَ ودَّعوا ففي القَلْبِ نيرانٌ وفي الجَفْنِ طوفانُ
وأهيفُ مَعْسولُ المَراشِفِ لَيِّنُ المَعَـاطِفِ مُهتَزُّ الرَّوادِفِ وَسنانُ
ولم أنْسَهُ إذ ماسَ وٱهْتَزَّ رِدْفُهُ فحارَتْ وغارَتْ منهُ كُثْبٌ وأغْصانُ
نَفُورٌ وما هذا من الظَّبيِ بِدْعَةٌ مَليٌّ له بالدَّيْنِ مَطْلٌ ولَيَّانُ[1]
ولكنَّهُ فيما يعانيهِ فارِغُ الفُؤادِ وقَلْبي منهُ بالوجدِ مَلآنُ

وقال أيضاً :

أظُبيً جُرِّدَتْ لنـا من جُفُونِ أَمْ ظِباءٌ رَنَوْنَ أَم حُورُ عِينِ[2]
أوُجوهٌ واجهنَنـا أَمْ شُموسٌ في غُصونٍ بينَ اعْتِدالٍ ولينِ
كلُّ فتَّانَةٍ تُقَلِّبُ هاروتَ ومـاروتَ بينَ نفْثِ الجُفونِ
من بَنـاتِ التُّرْكِ الرَّواجِحِ أكْفالاً ولكنَّهُنَّ خُمصُ البُطونِ[3]
هَتَفَتْ بي صبابَتي بِصَبايا مُصبِياتٍ بالدَّلِّ أهْلَ الدينِ[4]

---

(١) مَليٌّ : قادر على دفع الدين ، واللَّيَّان مصدر لوى : مَطَل ، جحد .
(٢) ظبى : جمع ظُبَة ، وهي رأس السيف .
(٣) الخمص : الرقاق جمع خمصاء .
(٤) مصبيات : تجذب اليها بالعشق ، والدَل : الدلال .

يا نديمي أَما ترى خُطباءَ الوُرْقِ تَرْقى مَنابِراً من غُصونِ
وهُم قائِلونَ حَيَّ هَلا بالرَّاحِ من مَعْرَبونَ أَوْ حَلْبونِ[1]
قَهوةً تطْرُدُ الهُمومَ عَنِ القَلْبِ وتأْتي بِفَرْحَةِ المَحْزونِ
وكأَنَّ الحَبابَ ثغْرُ حبيبٍ ذي ٱبتِسامٍ عَن لؤْلُؤٍ مَكْنونِ
صاغَهُ الخالِقُ الَّذي إنْ يُرِدْ شيئاً يكُنْ منه بين كافٍ ونونِ[2]
هاتِ بِكْراً تَمَخَّضَتْ بجَنينِ السُّكْرِ للهِ دَرُّهُ من جَنينِ[3]
إنَّ عُمرَ الوَرْدِ الأَنيقِ قصيرٌ فاغْنَموا قبلَ الحَيْنِ طيبَ الحِينِ
بينَ عُودٍ وبينَ نايٍ وجَنْكٍ وطبيبِ «القانونِ» بالقانونِ[4]
مَنْ مُجيري مِن جَوْرِ أَحْوَرَ أَحْوى عِندَ بابِ القَناةِ مِنْ جَيْرُونِ[5]
وهُوَ الجار، بيتَ بَيْتَ، ولكنْ بانَ عني كالرَّملِ منْ يبرينِ[6]
لو تَراني وَشَعْرُهُ بيَساري والحُمَيَّا مَمْزوجَة بِيميني

(١) معربون : هي معربا المعروفة اليوم إلى الشمال الغربي من دمشق، وحلبون الى جوارها.

(٢) الكاف والنون : الحرفان اللذان يؤلفان كلمة (كن).

(٣) تمخّضت : من المخاض وهو ما يسبق الولادة.

(٤) طبيب القانون : يشير هنا الى كتاب ابن سينا الشهير «القانون».

(٥) الأحور : الذي يبدو بياض عينه واضحاً. والأحوى : الأسمر، وجيرون أحد أبواب دمشق.

(٦) بيتَ بيتَ : اسم مركّب يعربه النحاة : مبنيّ على فتح الجزءين. مثل : صباحَ صباحَ، مساءَ مساءَ. ويبرين : اسم مكان في الجزيرة العربية.

لرَأَيْتَ الشجاعَ والشَّمْسَ والدِّرْياقَ والرِّيمَ صَيدَ لَيْثِ العَرينِ[1]
ولقدْ هاجتِ النَّواقيسُ بالدَّيرِ جَنـــاني فَكنتُ كالمجنونِ
والشَّحارِيرُ كالرَّهـــابينِ يَتْلونَ الزَّبورَ البَديعــةَ التَّلْحينِ
وصَفيرُ الصُّفْرِيِّ يَشدو بِشَدوٍ مُعْرِبٍ عَنْ صَبابَةٍ وحَنينِ
والهَزاراتُ والبــلابلُ والوُرْقُ على الدَّوْحِ بادِياتُ الشُّجُونِ
وإذا العَنْدَليبُ صاحَ ظَنَنَّـــاهُ تَلا المُحْكَماتِ مِنْ يسينِ[2]

وقال أيضاً :

كَمْ لي على كاظِمَةٍ مِنْ أَنَّةْ شَوْقاً إِلى شادِنِهـــا ذي الغُنَّةْ
إنْ هزَّ مُعْتَلُّ الصَّبا غصونَ بانـــاتٍ دَنَتْ بالوُرقِ مرجَحِنَّةْ[3]
إذا شَدَتْ أَجَبتُهـــا بزفْرَةٍ مِنْ حرِّهـا أَخشىٰ حَرِيقَهُنَّهْ
واكَبدي مِنْ حرِّ أنفاسِ الهَوى يَوْمَ حـدا الحـادي بعيسِهِنَّهْ
قِفْ أَيَّهـــا الحـادي تُقَوِّ مُنَّـــةً منّيٰ وتَعْتَدَّ لَدَيَّ مِنَّـةْ[4]

---

(١) الشجاع : الحية الكبيرة ، والدرياق : ما يستعمل للشفاء من سم الافاعي .

(٢) الشحارير والصُفْرى والهزارات والبلابل والورق والعندليب ، كلها طيور معروفة ، و « يسين » هي سورة (يس) التي وردت في القرآن الكريم .

(٣) مُرْجَحِنَّة : مهتزة .

(٤) مُنَّة : الأولى « المضمومة » بمعنى العزم والقوة ، ومِنَّة الثانية (بالكسر) : المعروف والجميل .

فَلَوْ تراني والحَمـــامُ الورْقُ والنِّيـــاقُ والحُداةُ تزجيهِنَّهْ[1]

لي أنَّةٌ ولِلْحَمـــامِ رَنَّة ولِلنِّياقِ الواخِداتِ حَنَّةْ[2]

فَعَكْسُ عذلٍ منْكَ لَذْعٌ في الحَشا

أَحرُّ مِنْ لَوْعاتِ صَدِّهِنَّهْ[3]

تَهيجُني الذِّكرى فأبكي فَعَلَيَّ الذِّكْرُ فرضٌ والبُكاءُ سُنَّةْ

أنا الَّذي رأى بِعَيْنَيْهِ على النِّيـــاقِ في الحُدُوجِ حُورَ الجَنَّةْ

والآلُ بَحرٌ والمطــــايا سُفُنٌ وهنَّ دُرٌّ في مَحارِهِنَّه[4]

جَرَّدَتِ الظِّباءُ مِنْ أجفانِها بيضَ الظُّبـــا تقْتُلُنا بِهِنَّهْ

إذا ابتَسَمْنَ في الدُّجى فَعَمنَ بالمِسْكِ الفَلا وانجابتِ الدُّجُنَّةْ[5]

حَدَّثتني يا صاحِ عَنْهُنَّ فقَد أَطْرَبْتَني أَعِـــدْ حَديثَهُنَّهْ

وقال أيضاً :

زارَ الحَبيبُ وحيّاني فأَحْيـاني ومُذْ جفاني جفاني نومُ أَجفاني

(١) تُزجيهنه : من ازجى يزجى : ساقَ ، ودفع برفق .
(٢) الرَنَّة : الحزن أو الصوت الذي يصدر معه ، والحَنَّة من الحنين .
(٣) عكس العذل هو اللذع إذا قَلَبْتَ حروفها .
(٤) الآل : السراب ، والمحار : القواقع الصدفية التي يكمن فيها الدرّ .
(٥) انجابت : انحسرت وانكشفت ، الدُجُنّة : الظلمة .

كَمْ أَكْتُمُ الوَجْدَ والأَجْفانُ تُعلِنُهُ   فالدَّمعُ في كل عَينٍ مِنهُ عَينانِ

أَفنانِي الوَجْدُ إِذْ ناحتْ مُطوَّقَةٌ   تدْعو سُحَيْراً هَديلاً بين أَفنانِ[1]

ناحتْ فباحتْ ولمْ تَدرِ الدُّموعَ ولَمْ   يَبُحْ لِساني وأبْدَتْ عَبْرَتي شاني

فَدَيتُ مَنْ ما رَأى سُقمي وصِحَّتَهُ   إلاَّ وأَضْحَكَهُ عُجْباً وأبكاني

قلبي يراهُ على بُعْدِ المَزارِ فوا   لَهْفي لِصَدِّ الحَبيبِ النازِحِ الدَّاني[2]

فَمَنْ رأَى غُصْنَ بانٍ في كَثيبِ نقاً   من قبْلِهِ مُثْمِراً تُفّاحَ لُبنانِ

خَفيتُ حتّىٰ لو ٱنَّ الطَّيفَ يَطْرُقُني   لَما رأى مَضْجَعي لو كانَ يَغْشاني

يامن يُسائِلُني عَمّا بُليتُ بِهِ   فَنيتُ كُلِّي ووجدي ليسَ بالفاني

وقال أيضاً :

ومُهَفْهَفِ الأَعْطافِ يَشْكو خَصْرُهُ   مِنْ جَوْرِهِ شَكْوايَ جَوْرَ زَماني[3]

فَسَقامُ جَفْنَيْهِ كَساجِسْمي الضَّنىٰ   وجَفاؤُهُ سَلَبَ الكَرىٰ أَجْفاني

ولَهُ عَليَّ يدٌ تَمَلَّكَني بِها   حُبّاً ومالي بالسُّلُوِّ يَدانِ

---

(١) المطوقة : الحمامة ، والهديل : هو ذكر الحمام وله أسطورة معروفة ، والأفنان : الأغصان .

(٢) النازح : المتباعد ، الراحل .

(٣) من : التي تقع في أول الشطر الثاني من هذا البيت كتبت الى جوار الأبيات لأن الناسخ سها عنها .

لم يُجْرِ لي النَّدمانُ يوماً ذِكْرَهُ إلاَّ عَضَضْتُ أَنامِلَ النَّدمانِ

مُتَسَرْبِلٌ حُلَلَ المحاسِنِ كلَّهـا لكنَّهُ عـارٍ منَ الإِحْسانِ

لو كانَ لي مـالٌ لآثَرَ عِشْرَتي لكن لِإِقْلالي الحبيبُ قَلاني[1]

وقال أيضاً :

قُمْ سَقِّني صَهْباءَ حَلْبونِيَّـةً يا حبَّذا الصَّهْباءُ مِنْ حَلْبونِ[2]

قُلْ للنَّصارى ليسَ ما أَبصَرْتُمُ في القُدْسِ نوراً ليلَةَ الشَّعْنينِ[3]

النُّورُ ليسَ بِمُحْرِقٍ مَنْ مَسَّهُ النُّورُ في الكأْسِ التي بِيَميني

وقال أيضاً :

حَتى مَ لا أنفكُّ ذا لَوْعَـةٍ وعَوْلَةٍ مِنْ رَوْعَةِ البَيْنِ

خالَطَ دَمْعي بجفوني دَماً فهيَ تَسُحُّ الدمْعَ لونَـيْنِ

كَيفَ تَقَرُّ العَينُ يوماً وقَدْ بِنْتُم وأَنتمْ قُرَّةُ العَيْنِ

---

(١) الإقلال : الفقر ، وقلاه : هجَرَهُ وتركَهُ

(٢) حلبون : قرية إلى الشمال الغربي من دمشق .

(٣) الشعنين والشعانين أو السعانين « بالسين » عيد للنصـارى قبل الفصح باسبوع « عبرانية الأصل » .

وقال أيضاً :

هذا العقيقُ ، وهذا الرَّندُ والبانُ فكيفَ تَبْخَلُ لي بالدَّمعِ أجفانُ[1]
بانَ الأحِبَّةُ عَنْ سَلْعٍ وكاظِمَةٍ فَبانَ حسْنُ عزاءِ القَلْبِ إذْ بانوا[2]
اشتاقُ نَعْمانَ من « باب البَريدِ» فيا للهِ ما هاجَهُ في القَلْبِ نَعمانُ[3]
أقْسَمتُ مالي مُذْ بانَ الحَبيبُ عَنِ العُـــذيبِ إلاَّ عَنِ السّلوانِ سِلوانُ[4]
ما هذِهِ الدَّارُ داراً كُنْتُ أعْهَدُها قَبْلَ الرَّحيلِ ، ولا الجيرانُ جيرانُ
عَلِّي أرى أهْلَها منْ بَعْدِ بُعْدِهِمُ كما رأىٰ عَرْشَ بَلقيسٍ سُلَيمانُ[5]
ما مِثْلَ أوْطانِنا إذْ كانَ جاوَرَنا فيها الحبيبُ منَ الأوْطانِ أوْطانُ
ماءُ العُذَيبِ ولوْ مِقْدارُ مَضْمَضَةٍ يَشْفي غَليلَ فُؤادي وهْوَ ظمآنُ
يا حَبَّذا نَفَحاتُ الرَّوْضِ قابلَنا بها عَرارٌ وقَيْصومٌ وحَوْذانُ
والوُرْقُ في عَذَباتِ البانِ مُطْرِبَةٌ والزَّهْرُ صاحٍ ونبْتُ الرَّوْضِ نَشْوانِ

وقال أيضاً :

قِفا خَبِّراني أيُّها الرَّجُلانِ عَنِ النَّوْمِ إنَّ الهَجْرَ عنهُ نهاني

(١) العقيق : وادٍ في الحجاز ، الرند والبان : نباتان .
(٢) سلع وكاظمة : مكانان .
(٣) « باب البريد » : محلة مشهورة في دمشق إلى جوار جامع بني أمية .
(٤) العذيب : اسم مكان .
(٥) بلقيس ملكة سبأ التي تزوجها النبي سليمان في قصة معروفة في كتب الدين .

وكيفَ يكونُ النَّوْمُ أمْ كيفَ طَعمُهُ

صِفا النَّوْمَ لي إنْ كُنْتُما تَصِفانِ

فَإنِّي لَمُشْتاقٌ إلى النَّوْمِ فَاعْلَما ولا عَهدَ لي بالنَّوْمِ مُنْذُ زَمانِ

وإنِّي لَظَمْآنٌ إلى بَرْدِ أعْيُنٍ جَرَتْ بِحَواشي بُقْعَةِ الزَّبداني[1]

عُيونٌ جَرَتْ بِالسَّفْحِ حتّى تَدافَعَتْ تَدافُعَ خَيْلٍ أُرسِلَتْ لِرِهانِ

فَتِلكَ مِياهٌ لَوْ شَرِبْتُ زُلالَها وبي كُلُّ داءٍ قاتِلٍ لَشَفاني

ألا حَبَّذا عَيْشٌ هَنيءٌ قَطَعْتُهُ بِظِلِّكُما يا أيُّها الجَبَلانِ

تَناوَحْتُما كالفَرْقَدَيْنِ فَأشْرَفَتْ بِسَفْحَيكُما للنّاسِ خَيْرُ مَغانِ[2]

عُيونُكُما قَرَّتْ وعَيْني سَخينَةٌ وهَلْ يَسْتَوي قاصي الدِّيارِ وداني[3]

أهذا، وما كابَدْتُما غُرْبَةَ النَّوى، فَكيفَ الْغَريبُ الدّارِ مُنْذُ زَمانِ

وقال أيضاً :

أرِقْتُ لِبَرْقٍ مِن أهاضيبِ لُبْنانِ خَفوقٍ كَقَلْبي مُمْتَرٍ سُحْبَ أجفاني

لَهُ ومَضانُ الهِنْدُوانِيِّ مُصْلَتاً وهَلْ يُمْتَرى بالسَّيفِ غَيْرُ الدَّمِ الْقاني

(١) بقعة الزبداني : السهل الذي يقع تحت بلدة الزبداني الى الغرب من دمشق .

(٢) تناوحتما : تقابلتما ، وتناوحت الرياح : تقابلت في المهب فناوح بعضها بعضاً .

(٣) قرّت : العين تقرّ وتقِرّ « بالفتح والكسر في المضارعة من بابي عَلِمَ وضَرَبَ » وسخينة : غير مستقرة « عكس قرّت » وأسخنَ الله عينه : أبكاه .

ذَمَمْتُ زَماني إذْ رماني بِمَعْشَرٍ يَرَوْنَ عُلُوَّ الشَّأْنِ في حَطِّهِمْ شاني

فَلَمْ أَلقَ لي مِن صاحِبٍ غَيْرَ حاصِبٍ ولَمْ أَرَ في الإِخوانِ لي غَيْرَ خَوّانِ

هُمُ نَبَذوني نَبْــذَهُمْ كلَّ سُؤدَدٍ وهُمْ رَفضوني رَفضَهُمْ كلَّ إحسانِ

وقَـدْ سَرَّني أَنْ أَبغَضوني لأنَّني رَأَيْتُهُمُ لَمْ يُؤثِروا حُبَّ إنسانِ

فَكَمْ صَفِرَتْ مِنْ راحتي راحتي وكَمْ عَضَضْتُ لِنَدماني أَناملَ نَدْمانِ [١]

ومِنْ قَبْلُ أَوْصى اللهُ بالجارِ جارَهُ وإنّي إليـهِ أَشتكي جَوْرَ جيراني

وقال أَيضاً :

دَعْهُ فقَدْ جَذَبَ الهَوىٰ بِعِنانِهِ وشُئونُهُ هَتَكتْ سَريرَةَ شانِهِ

إنَّ انتِهاكَ السِّرِّ في حُكمِ الهَوى حُلْوٌ ، فَسِرْ بِالسِّرِّ عَنْ كِتْمانِهِ

هَيْهاتَ أنْ تَخْفىٰ صَبابَةُ عاشِقٍ وجُنونُـــهُ مُسْتَحكِمٌ بِجَنانِهِ

ومُمَنْطَقٍ عِنـدَ ٱرْتِجاجَةِ رِدْفِهِ يَخْشى ٱنْخِزالَ الخَصْرِ في هَيَمانِهِ [٢]

هارُوتُ بابِلَ كامِنٌ في طَرْفِـهِ مُتَعَلِّمٌ لِلسِّحْرِ مِنْ إنسانِهِ [٣]

---

(١) ندمان : التي وردت قافية هي فعلان من ندم ، وقد أثبت الناسخ الياء في آخرها وذلك خطأ .

(٢) ممنطـــق : مزنّر من المنطقة وهي الزنار . والانخزال : الضعف ، والهَيَمان : العشق .

(٣) الإنسان : المثال يُرى في سواد العين .

وكأنّما ماروتُ يَعْشَقُ لَفْظَهُ فَيَرى بَديعَ السِّحْرِ نَفْثَ لِسانِهِ
يَبْدُو بِصورَةِ يوسُفٍ يَتْلُو الهَوى آياتِ سورَةِ يوسُفٍ بِبَيانِهِ
مَنْ مُنصِفي مِن شادِنٍ أَحْوى مُـــعَرْبِدِ لَحْظِهِ نَشْوانِهِ وَسنانِهِ [1]
يَجْلو الرَّبيعُ بِكلِّ فَصْلٍ حُسْنَهُ فَالرَّوْضُ يَخْجَلُ مِنهُ في نَيْسانِهِ
غَضٌّ جَنِيُّ ٱلْوَرْدِ في وَجَناتِهِ يُزْري بِلَوْنِ ٱلْوَرْدِ في أَغْصانِهِ
قَمَرٌ ، ولكنْ صَدُّهُ لَمْ يُبْقِ لي رَمَقاً يُعيدُ الحُسْنَ في إِحسانِهِ
مُتَأَوِّدٌ كالرُّمحِ فِعْلُ قَوامِهِ مُتَثَنِّياً ، أَضعافُ فِعْلِ سِنانِهِ
مِنْ وَجْهِهِ تُجْنى ثِمارُ الحُسْنِ يانِـــعَةً بِما نَهْواهُ مِنْ بُستانِهِ
يَهْتَزُّ كالرُّمحِ ٱلْمُثَقَّفِ قَدُّهُ سَفَكَ الدِّماءَ بِضَرْبِهِ وطِعانِهِ
لَوْ كانَ موسى جاءَ فِرْعَوْناً بِعَقْـــرَبِ صُدْغِهِ أَغْنَتْهُ عَنْ ثُعْبانِهِ [2]

وقال أيضاً :

مِنْ قَدٍّ مَنْ قَدَّ قَلْبي يَخْجَلُ ٱلْبانُ فَخاطِري بِالأسى مِلْآنَ مَلْآنُ [3]
رِيمٌ رَماني بِوَجْدٍ لا يَريمُ وهِجِّـــيراهُ إِنْ رُمْتُهُ هَجْرٌ وهِجْرانُ [4]

---

(١) سقطت كلمة « نشوانه » في الأصل ثم أثبتها الناسخ إلى جانب القصيدة .
(٢) يشير في هذا البيت إلى قصة سيدنا موسى مع فرعون .
(٣) مِلآن : بكسر الميم ، أي من الآن .
(٤) هِجّيراه : دأبُهُ وعادتُهُ ، والهجّيرى : كثرة الكلام والقول السيء .

تَجْني ثمارَ المُنىٰ مِنـــهُ ٱلْقُلوبُ بِأَلحْاظِ ٱلْعُيونِ ٱخْتِلاساً فَهْوَ بُسْتانُ

وما تَزالُ رِياضُ الحُسنِ مونقَةً مِنـهُ فَـكلُّ زَمانٍ مِنـهُ نَيسانُ

والرُّوحُ لاتَرْعوي عَنْ شُرْبِ راحِ هَوىً مِنْ وجْنَتَيْهِ لهـــا رَوْحٌ ورَيْحانُ

قاسٍ على عاشِقَيهِ ساخِطٌ فَمَتىٰ تَكونُ لي رَحْمَةٌ منهُ وَرِضْوانُ

فَرِدْفُهُ وافِرٌ شبعانُ رَيّانُ وخَصْرُهُ ضامِرٌ غَرْثانُ ظَمآنُ[1]

إذا ذُؤابتُهُ ماجَتْ فَلا عَجَبٌ إنْ ماجَ فَوْقَ كَثيبِ الرَّمْلِ ثُعْبانُ

أَجْفانُهُ السُّودُ مِنْها البيضُ مُصْلَتَةٌ تِلْكَ السُّيوفُ لها الأَجْفانُ أَجْفانُ

وقال وكتبها إلى ظهير الدين محمد خطيب القُدس رحمهُ اللهُ جوابَ أبياتٍ :

يا من لِأَهْلِ الفَضْلِ أَنسانا وخيرَ مَنْ سُمِّيَ إِنسانا

فتاكَ « فتيانٌ » وأَنتَ الفتىٰ الَّـــذي كمِ ٱسْتَعْبَدَ فتيــانا

لا غَرْوَ أَنْ أَحكي بمدحيكَ يا مُحَمَّدُ المُحْسِنُ « حَسَّانا »[2]

غادَرْتَ في الشِّعْرِ (وليداً أَبا عُبـادَةَ) الرَّاجِـحَ ميزانا[3]

(١) ضامر : وردت عند الناسخ بالظاء وهو خطأ .
(٢) حسّان : وهو الشاعر حسّان بن ثابت شاعر النبي (ص) .
(٣) وليد أبو عبادة : هو الشاعر البحتري .

أَفَعَدٍّ عَنْ ذِكْرى (حَبيبٍ أبي تَمّامٍ) الخائِفِ نُقصانا[1]
إنَّ (لبيداً) لَلْبَليدُ الَّذي شِعْرَكَ لا يُحْسِنُ إِحسانا[2]
كَذا «عَبيدٌ» لك في شِعْرِهِ أَضحى عُبَيْداً حيثُما كانا[3]
و (المَلِكُ الضِّلّيلُ) في ضَلَّةٍ إذْ فُقْتَهُ فَضْلاً وإيمانا[4]
وَمَن سَما فَضْلاً على هؤُلَيّاءِ شَأى لا شَكَّ «فِتْيانا»[5]
فيا خَطيبَ القُدْسِ يا مَن غَدا أَفصَحَ من قُسٍّ وسَحْبانا
أَهْدَيْتَ أَبياتاً حَكَتْ عَرْشَ بِلْقيسٍ وقَدْ وافى سُلَيْمانا
قَبَّلْتُ منها كلَّ بيتٍ كما قَبَّلَ وَفْدُ «البَيْتِ» أَرْكانا
عِشْ يا ظَهيرَ الدِّينِ في نِعْمَةٍ ظاهِرَةٍ سِرّاً وإعْلانا[6]

---

(١) حبيب : هو أبو تمام : الشاعر الكبير العباسي و « ذكرى حبيب » كتاب لأبي العلاء عن أبي تمام .

(٢) لبيد : هو الشاعر الجاهلي لبيد بن ربيعة أحد اصحاب المعلقات ، والقصد من البيت أن لبيداً لبليدٌ بالقياس إليك لا يحسن مثل شعرك وقد جاءت كلمة (للبليد) في النسخ مضطربة .

(٣) عَبيد : هو عَبيدُ بن الابرص أحد اصحاب المعلقات ومن شعراء الجاهلية .

(٤) المَلِك الضلّيل : هو امرءو القيس سيد شعراء الجاهلية وقد وردت « الضلّيل » بالظاء وهو خطأ كما وردت « ضلّة » بالظاء أيضاً ولم يوضع التنوين في آخرها . كما لم تنون التاء المربوطة .

(٥) شأى : سبق - وهي من الشأو .

(٦) ظاهرة : وردت بالطاء : « طاهرة » ورجحنا معنى الظهور لأنه أقرب الى معنى البيت .

يا خَيْرَ مَنْ يَنْظِمُ شِعْراً ومَنْ   يَقْرَأُ في المِحْرابِ قُرآنا
جاءَتْكَ أَبياتي على ضَعْفِهـا   طالِبَـةً عَفْواً وغُفْرانا

وقالَ يمدحُ الأَميرَ مُبارِزَ الدين إبراهيم والي دمَشق ويذكر رجُلاً سَرَقَ له خُطبَةً وقصيدةً وادّعاهُما :

الشِّعْرُ ، ما زالَ ، لِسانُ الزَّمانْ   يُعَلِّمُ الإنسانُ منهُ البيـانْ
والشُّعَراءُ الأُمراءُ الأُولىٰ   أَلفاظُهُمْ مُطْرِبَةٌ والمَعانْ
لو لم تَكُنْ سَوْرَتُهُمْ تُتَّقىٰ   ما أُنْزِلَتْ سُورَتُهُمْ في القُرآنْ[1]
ولا حَوىٰ «كَعْبٌ» به «بُرْدَةَ» النبيِّ إذْ فازَ بِبَرْدِ الأَمانْ[2]
حِياضُهُ لم تَفْنَ أَمواهُهـا   كَأَنَّهُ البَحْرُ وما البَحْرُ فانْ
وهو لَعَمْري تَرْجُمانٌ وناهيـكَ به في النـاسِ من تَرْجُمانْ
لـكِنَّهُ قدْ كَسَدَت سوقُـهُ   فسِيمَ في ذا الدَّهرِ سَوْمَ الهَوانْ[3]
كم بِدَرٍ حِيزَتْ بـهِ قَبْلَنـا   مِنَ الدَّنانيرِ الصِّحاحِ الرِّزانْ[4]

(١) السَوْرة : « بفتح السين » الغضب .
(٢) كعب : هو ابن زهير صاحب قصيدة البردة « بانت سعـاد » والبردة : هي بردة النبي (ص) التي أعطاه اياها عند انشاده القصيدة .
(٣) سام : السلعة عرضها للبيع ، وسامَهُ الامر : كلَّفه إيَّاه وأراده عليه ، ومنه سامَه الخسف والذل . واكثر مايستعمل هذا الفعل في السوء والمشقة .
(٤) البِدَر : جمع بَدرة وبُدرة : كيس فيه ألف أو سبعة آلاف أو عشرة آلاف دينار . ورزان : جمع رَزْن وهو المكان المرتفع . والرزين الثقيل من كل شيء .

والعَرَبُ العَرْباءُ كانوا بـِهِ ، في الزَّمَنِ الغابِرِ ، أَهْلَ ٱفتنانْ

وكانَ ديوانُهم فـارِقاً بين الهَجينِ المُدَّعى والهِجانْ(١)

فخـابَ من بعدِهِمُ قِدْحُهُ وكانَ في القِدْحِ المُعَلّى فهانْ(٢)

هـذا ومـا يَسْلَمُ مِنْ سارقٍ ومائِنٍ فيـهِ تَعَـدَّى وخانْ(٣)

(مبارِزَ الدينِ) وأَنتَ الذي يُشِبُّ في الذُّعّارِ حَرْباً عَوانْ(٤)

هُمُ اللُّصوصُ السَّارِقونَ الأُلى أَذْلَلْتَ منهمْ كل قاصٍ ودانْ

مُعْتَمَدُ المُلْكِ شُجاعٌ فمـا يُقَعْقِـعُ الدَّهْرُ لَهُ بالشِّنانْ(٥)

---

(١) الهجين : العربي وُلِدَ من أمةٍ ، أو الذي ابوه خيرٌ من أُمه ، والهجان : من كل شيء احسنه ومن الابل البيض الكرام .

(٢) القِدح المُعَلّى : سابع القِداح « الاسهم » في الميسر له غُنْمُ سبعة أنصبة إن فاز ، وعليه غُرْم « خسارة » سبعة أنصبة إن لم يفز .

(٣) المائن : الكاذب .

(٤) الذُّعّار : قصد بها الشاعر : اللصوص والخبثاء من الناس ولكننا لم نعثر على هذه الصيغة في المعاجم ، والحرب العوان : التي سبقتها حرب ، كأنهم جعلوا الحرب الاولى بكراً ، والثانية عواناً ، وأصلها من الدواب : التي نتجت بعد بطنها البكر .

(٥) الشِنان : آنية من جلدٍ خَلَقٍ ، وقعقـع ، حرّكه فسمع له صوت ، والقعقعة بالشنان كانت تستعمل لإخافة الابل ، وقد استعملها الحجـاج في خطبته المعروفة بقوله « واني والله ما يقعقع لي بالشنان ولا يُغمَزُ جانبي كتغماز التين » كناية عن أنه لايخاف .

وهـذهِ الدَّوْلَـةُ رُمْحٌ وقـدْ رَكَّبَــهُ اللهُ مَكانَ السِّنانْ

صاحِبُ شُرْبوشٍ ومن مَجْدِهِ يخجَلُ ذو الطَّرْحَةِ والطَّيلَسانْ[1]

وهْوَ الأميرُ الألمعيُّ الّذي حَلَّ مِنَ ٱلعَلْياءِ أعْلَى مَكانْ

قُلْتُ (لإبْراهيمَ) قولَ امْرِئٍ مُصَدَّقٍ، لَمْ يكُ في القولِ مانْ[2]

أَنتَ الذي قَدْ شَهِدَ ٱلمَشْرِقانْ لَهُ بِنُجْحِ السَّعْيِ والمَغْرِبانْ

لَوْ كُنتَ في الدَّهرِ الّذي قَبْلَنا لكانَ عَبْداً لكَ (عَبْدُ المَدانْ)[3]

يَستَخْرِجُ ٱلعَمْلاتِ مِمَّنْ عَتا فَهْوَ وإنْ كانَ جَريئاً جَبانْ[4]

خُــذْ عَملَتي مِنْ سارِقٍ مارِقٍ ولا يَكُنْ مِنْ خَوْفِهِ في أَمانْ

---

(١) الشُرْبوش ، والطرحة ، والطيلسان : أنواع من الألبسة في زمن الشاعر والطرحة والطيلَسان واحد . والطيلسان : كساء ، فارسي الأصل « معرب تاليسان » شبيه بالشال . . والشربوش : لباس المرأس .

(٢) إبراهيم : هو الممدوح . ومان : كذب .

(٣) عبد المَدان : المَدان ، صنمٌ من أصنام العرب في الجاهلية ، وبنو عبد المَدان : قبيلة عربية . وعبد المَدان : هو حشرمُ بن عبد ياليل من جرهم من قحطان ، ملك جاهلي يماني ، وفيه قال الشاعر :

شربتُ الخمرَ حتى خِلتُ أني أبو قابوسَ أو عبدُ المَدانِ

وهناك عبد المدان آخر واسمه عمرو ، من بني الحارث من مَذْحِج ، وهو جدٌ جاهلي من أشراف اليمن ، وفدَ ابنه « يزيد بن عبد المدان » على النبي ﷺ في وفد بني الحارث سنة ١٠ هـ .

(٤) العَمْلة : السرقة والخيانة ، وجمعها عَمْلات .

صالَ عَلىٰ قَولي مُغيراً كما صالَ أبو جَعْدَةَ في سَرحِ ضانْ[1]

ذَرْهُ يُضاهي كُرَةً سُقْتُها في ساحَةِ ٱلْمَيدانِ بِالصَّوْلَجانْ[2]

لي خُطْبَةٌ كالدُّرِّ نَثْراً وفيـها النَّظْمُ أَبهىٰ مِنْ عُقودِ ٱلْحِسانْ

كأنّما قُسُّ إيادٍ أَتىٰ بِها وفيها فضلُ سَحْبانَ بانْ

فيها مِنَ التَّوْحيـدِ ما أَلْجَمَ ٱلْمُشْرِكَ بِالعِيِّ وقَطْعِ ٱللّسانْ

ومِنْ مَديحِ ٱلْمُصْطَفىٰ مابِهِ أَرْجو (غَداً) فَوْزاً بِدارِ ٱلْجِنانْ[3]

ومَدْحِ أَصحابِ النَّبيِّ الأُولىٰ شَأْنُهُمْ، طُوبىٰ لَهُمْ، خَيْرُ شانْ[4]

ومَدْحِ مولانا الإمـامِ الّذي طاعَتُـهُ مَفْروضَةٌ في الزَّمـانْ

ثُمَّ ٱلْمَليكِ ٱلعادِلِ ٱلْمُنْتَضي مِنْ عَزمِكَ الماضي ٱلْحُسامَ ٱلْيَمانْ

---

(١) أبو جعدة : الذئب ، وأصل الجعدة الأنثى من الضأن ، وكني بها الذئب لأنه يقصدها لضعفها . كما يسمى الذئب أبو جُعادة . والسَّرْح : القطيع .

(٢) الصولجان « معرب جوكان » كلمة فارسية ، ويكون عصاً معقوفة تضرب بها كرةٌ بينما يكون الضارب على ظهر جواده .

(٣) هذا البيت مختل الوزن في الأصل ، إذ ورد شطره الثاني على هذا الشكل « أرجو غداة الفوزَ بدار الجنـان » والتاء المربوطة في « غداة » زائدة كلها ، لذلك لجأنا إلى حذفها . ولك أن تقول : « أرجو غداً فوزاً » ليستقيم الوزن .

(٤) طوبى : اسم للجنَّة بالهندية أو بالحبشية ، أو اسم لشجرة فيها . والطُّوبى أيضاً : الحُسن ، الخيرة .

وَمَدْحِكَ ٱلْمُشْبِهِ في حُسْنِـهِ مَدْحَ (زُهيرٍ) مَنْ أبوهُ (سِنانْ)[1]

ولَم أَكُنْ يَوْماً بخيلاً بما نَحَلْتُهُ مَنْ بِقَريضي ٱسْتَعانْ

كَمْ مِنْ قَريضٍ صُغْتُهُ لِٱمْرِئٍ قُوبِلَ مِنْهُ بالصِّلاتِ ٱلحِسانْ[2]

يا مَنْ هُوَ ٱلعالِمُ في دَهرِنا يَحْويهِ جِسْمٌ واحِدٌ في مَكانْ

أَنتَ مِنَ ٱللهِ مُعانٌ كذا مَنِ اتَّقى اللهَ تَعالىٰ مُعانْ

وقال يمدَحُ الأميرَ بدرَ الدين مودود ويهنئُه بعيد الفِطر

حلفَتْ لي هِندٌ فخانتْ يميني ليس غدرُ النساءِ بالمأمونِ

كيفَ نرجو الوفاءَ من ناقِضاتٍ عهدَنا ناقصاتِ عقلٍ ودينِ

إنَّما الصِدْقُ شِيمةُ الرَّجلِ الحُرِّ النَّقيِّ البَرِّ التَّقيِّ الأمينِ

وحياةِ الأميرِ بدرِ الدِّينِ يا لَها من أَلِيَّةٍ ويَمينِ

لاصوغَنَّ فيه مدحاً اريجاً مثلَ مِسْكِ الدَّاري من دارين[3]

بنداهُ خَلَصْتُ منهمّ دنيايَ وفُرّغتُ لاستقامةِ ديني

---

(١) زهير : هو ابن أبي سُلمى أحد أصحاب المعلقات ، و « سِنان » أبو هَرِم ممدوح الشاعر .

(٢) وردت كلمة « منه » في الشطر الثاني مؤنثة « منها » ، وهو خطأ لأن الضمير يعود على امرئ .

(٣) دارين : قرية بالبحرين ، وموضع بالشام ، والنسبة إليها داريٌّ .

إنَّ مَوْدُودَبنَ المباركِ بدرَ الديـــنِ لي منه خَيْرُ حِصنٍ حصينِ

فيهِ قد أعانني اللهُ في كل أُمـــوري واللهُ خـــيرُ مُعينِ

وبهِ قد كُفيتُ والحمدُ للهِ انتجـــاعي بالشعرِ كلَّ ضنين

فهوَ في السلم بدرُ تمٍّ وفي الحَـــربِ على الطرفِ منه لَيْثُ عرينِ

أَلِفَ اللاّمَ فهوَ أفضلُ كافٍ حاسِدُوه هجاؤهم في نُونِ [1]

فالرعايا واللهُ ، واللهِ ، والسُّلطـــانُ راضونَ عنه في كل حينِ

فاز في الدَهْرِ بافتِراعِ نفيســـاتِ المعاني أَبكارِها والعونِ [2]

غَـيرَ أنّي مذكّرٌ بـأَياديهِ التي مـــا تخيبُ فيهـــا ظُنوني

ويقيني فيه ، وقـاني فيه السوءَ ربّي ، من صَرفِ دهري يقيني

مُذْ خلا منزلي من البرِّ بالبُرِّ طَحَابي في الهمِّ عُدْمُ الطَحينِ [3]

ولِبَدْرِ الدينِ الهناءُ بعيد الفطر في ظلِّ العِزِّ والتمكينِ

---

(١) الحروف التي وردت في هذا البيت فيها إشاراتٌ إلى سُوَرٍ من القرآن الكريم .

(٢) افترعَ البِكرَ : افتضّها . وافترع الحديث : ابتدأه .

(٣) طحـا طحْواً به قلبه وهمُّه : ذهب به في مذهب بعيد ، ومنـه قول الشاعر علقمة بن عبدة :

طحا بكَ قلبٌ للحِسانِ طروبُ بُعَيْدَ الشبابِ عصرَ حانَ مشيبُ

وقال أيضاً :

تَرَنُّمُ ٱلْوُرْقِ عَلىٰ غُصونِهـا	دَلَّ أَخاٱلْعِشْقِ،عَلىٰ شُجونِها[1]

أَطاعَ بِالدَّمعِ مَعينُ جَفْنِـهِ	ودَمعُها عَصى عَلىٰ جُفونِها

دَعْ عَنْكَ لَوْمَ عاشِقٍ تُطْرِبُهُ	حَمائِمُ ٱلْبـانات في غُصونِها

قَدْ زاحَمَ ٱلْوُرْقَ عَلىٰ رَنينِها	وشارَكَ النِّيـاقَ في حَنينِهـا

وقَدْ بَكىٰ شَوْقاً إلىٰ قَرينِهِ	كما بَكَتْ شَوْقاً إلىٰ قَرينِها

ولَيْسَ يَبكي فَقْدَ لَيلىٰ أَحَدٌ	في عَرْصَةِالدّارِسِوىٰمَجْنونِها[2]

أفدي الذي تَفْعَلُ بي لِحاظُهُ	فِعْلَ الظُّبىٰ تُسَلُّ مِنْ جُفونِها

كأنّما هاروتُ فيها كامِنٌ	واحرَبَاٱلْعُشّاقِ مِنْ كَمينِها[3]

ما ضَرَّهُ لَوْ أَصبَحَتْ أعطافُهُ	كَقَدِّهِ تُسْعِفُني بِلينِها

---

(١) معنى هذا البيت غامض ، وخاصة في شطره الثاني ، إذ لم نجد هنا معنى ملائماً لكلمة « ذاك » التي وردت أول الشطر الثاني في النسخة المصورة وقد قدرنا أن تكون « دَلَّ » بدلاً من ذاك ليصبح المعنى : إنَّ ترنُّم الوُرق على غصونها قد دَلَّ ، أخا العشق ، على شجونها . هذا وإن الناسخ لم يشكل كلمتي « ترنم الورق » في نهـايتيهما ، مما يدل على إشكال البيت عنده .

(٣) عَرْصة الدار : ساحة الدار وفناؤه ومجنونهـا : هو مجنون ليلى ، قيس ابن المُلَوّح الشاعر العاشق المعروف .

(٣) الحَرَب : مصدر حَرِب : إذا ذهب ماله ، ومنها : وا حَرَبَاه تقـال في التحزُّن والتأسف .

تَنْفُــذُ في قلوبِنا لِحاظُهُ   فتيْأَسُ ٱلقُلوبُ مِنْ مُعينِها

وقال لُغزاً في مملوكٍ ٱسمُهُ « الدُّكُز » :

مَنْ مُجيري مِنْ جَوْرِ حُلوِ المَعاني   أَنا في حُبِّــهِ الأَسيرُ ٱلْعاني
فاتِنُ اللَّفْظِ فاتِرُ اللَّحْظِ أَلْمى   أَلَمي فيهِ مِنْـــهُ جُنَّ جَناني
صَدَّ عَنّي ، فَسَدَّ عَنّي ٱصْطِباري   بابَهُ ، حينَ بالبَلاءِ بَلاني
ماسَ لي مِنْ قَوامِهِ خَوْطُ بانٍ   سَلَّ لي مِنْ جَفْنَيْـهِ حَدَّ يَماني
كُنْتُ في مَعْشَري عَزيزاً ولكنْ   في هَواهُ أُلبِسْتُ ثَوْبَ الهَوانِ
إنْ تَثَنّى على الحِصانِ تَمَنّى   لَثْمَهُ كلُّ مُحْصَنٍ وحَصانِ [1]
ما حَوَى ما حَوَى مِنَ ٱلحسْنِ في ٱلعـالَمِ   لا مُسْلِمٌ ولا نَصْراني
أَزرَقُ الطَّرْفِ لحَظُهُ فَوْقَ رُمحِ ٱلْقَدِّ ماضٍ بِزُرْقَةٍ كالسِّنانِ
إنَّ ضِدَّ النِّسْيانِ تَصْحيفُ حُبِّي   لُغْزي فيـهِ واضِحُ ٱلبُرْهانِ [2]
طَرْفُـــهُ تُرْكِيٌّ وإنسانُهُ الرّومِيُّ لِلرّومِ رانِيـاً أَنساني

---

(١) المُحْصَن : المتزوِّج ، والمرأة مُحْصَنَة ، واحصَنَتْ : حَمَلَت فهي حاصِن ، وجمعُها : حواصن ؛ والحَصان « بفتح الحاء » العفيفة أو المتزوجة أو التي حَمَلت .

(٢) ضد النسيـان هو : الذِّكْر ، وهو قريب من لفظ اسم الشخص المعنيّ بالأبيـات ولكن الناسخ أهمل النقطة على الدال ، ووضع نقطـة على الراء فلبَّس المعنى وضاع علينا الاسم .

فَلماذا نَعْتاضُ عَنْ زُرْقَةِ الماءِ لَدى ٱلْقَيْظِ غُلَّةَ الظَّمْآنِ[1]
زُرْقَةُ السَّيْفِ والسِّنانِ ولَوْنُ الماءِ مِمّا يَروقُ لَحَظَ ٱلْعِيانِ

وقال ايضاً :

لِلوَرْدِ حينٌ به نَاهيكَ من حينِ أَحْسِنْ به حاضراً بين الرَياحين
والوردُ أَحسَنُ ما حَيَّتْ برَوْنقِهِ في مجلسِ الراحِ راحاتُ البساتينِ
تُهدي الى ناظِريهِ مَنظراً بهجاً منهُ تلوحُ خدودُ الخُرَّدِ العينِ
وهنَّ يُذْرِينَ في يوم الوَداعِ على الخُـــدودِ لؤلؤَ طلٍّ غير مكنونِ
جادَ الربيعُ بأَنفاسِ العبيرِ من الوردِ الجنيِّ فأَهدى مِسكَ دارينِ
قُمْ فاسقِني يا نديمي من مُعتَقةٍ مُدامةً جُلِبَتْ من كَرْمِ حَلْبونِ
مابينَ ناي يناغي بالجُغانَة والعودِ الفصيحِ وطنبورٍ وقانونِ[2]
وٱلجَنْكُ مُحْدَوْدِباً في صَدْرِ غانِيَةٍ تَسْبي ٱلعُقولَ بِحُسْنِ ٱلْقَدِّ واللّينِ
بِاللهِ ياصاحِ صِحْ عَنّي بِعاذِلَتي عَلى المُدامِ وقلْ : بَيْتي بِقُلْبينِ[3]
ياصاحِ ما عِنْدِيَ الصّاحِي ، إذا زمنُ ٱلْوَرْدِ ٱلْجَنِيِّ تَبدَّا ، غَيْرَ مَجْنونِ

---

(١) وردت في النسخة المصورة كلمة « فبماذا » ونرى أنها « فلماذا » لأن السؤال على هذا الشكل أقرب للمعنى .

(٢) الأسماء التي وردت في هذا البيت والذي يليه أسماء لآلات الطرب ذلك العهد والجغانة : آلة موسيقية ذات صنوج أصلها فارسي « معجم دوزي » .

(٣) قُلبين : اسم قرية بمنطقة دمشق .

بي مِنْ بَني التُّرْكِ ساقٍ مِنْ لَواحِظِهِ
سُكْري وإنْ لَمْ يَكُنْ بالكأسِ يَسْقيني

هاروتُ بابلِهِ أَجْفانُــهُ وبِها ... تَبارَكَ اللهُ يُنْفى دِينُ ذي الدِّينِ
أَقَلُّ جُزْءٍ تَراهُ مِنْ مَحاسِنِهِ ... فيهِ يُقَوَّمُ كلُّ الحُسْنِ بالدُّونِ
سُبْحانَ مَنْ صاغَهُ مِنْ شَمْسِهِ صَنَماً ... مَنْ ذا الّذي هُوَ مِنْهُ غَيْرُ مَفْتونِ

وقال أيضاً :

بُرَيْقٌ بِالأُبَيْرِقِ لاحَ وَهْنا ... فَجُنَّ ٱلْقَلْبُ مِنْ شَوْقٍ وَأَنّا[1]
فَأَرَّقَ عاشِقاً وأَراقَ دَمعاً ... وأحرَقَهُ وأقْرَحَ مِنْهُ جَفْنا
وأَذْكَرَنا لُيَيْلاتٍ تَقَضَّتْ ... حَميداتٍ بِمَنْ كانُوا وكُنّا
لَيالِيَ كانَ غُصْنُ ٱلْعَيْشِ غَضّاً ... وعُودُ ٱلْوَصلِ أَخضَرَ مُرْجَحِنّا[2]
هُنالِكَ حَيْثُ لا نَخْشى رَقيباً ... ولا نَبْكي حَبيباً بانَ عَنّا
ولي غَزَلٌ غَريبٌ في غَزالٍ ... غَريبٍ صِرْتُ فيهِ قَيسَ لُبْنى[3]

---

(١) الأبيرق : اسم مكان ، ورد كثيراً في الشعر العربي كقول ابن الفارض من معاصري الشاعر في مطلع قصيدة شهيرة :

أوميض بَرْقٍ بالأبيرقِ لاحا ... أم في ربى نجد أرى مصباحا

(٢) أرجحنّ : اهتزّ .

(٣) قيس لبنى : هو قيس بن ذريح الشاعر العاشق ، ولبنى حبيبته وهما مثيلان للمجنون وليلى .

وكانَ الدَّهرُ سالَمَنا فأمسىٰ يُحارِبُنا ، وقدْ قَلَبَ ٱلْمِجَنّا
وأَسْلَمَنا إلىٰ زَمنٍ غَشُومٍ ظَلومٍ ، فاشْتَفى الحُسَّادُ مِنّا

وقال يرثي الأميرَ أسعدَ الدولةِ أبا الجودِ مَعنَ بن مُحَسِّنِ بن نصْرِ بنِ سَرايا رحِمَهُ اللهُ :

بَكَتْ مَعَنا ٱلْعَلْياءُ إذْ فَقَدَتْ مَعْنا ولَمْ يَبْقَ لَفْظٌ لِلْقَوافي ولا مَعْنىٰ
وغارَتْ نُجومُ ٱلْمَكْرُماتِ وكُوِّرَتْ هُنالِكَ شَمسُ ٱلْمَجْدِ كاسِفَةً حُزْنا [1]
مَضى ٱللَّسِنُ ٱلْمِنْطيقُ في كلِّ مَحْفَلٍ وأَخرسَ مَنْ ألفاظُهُ تُفْحِمُ اللُّسْنا
رَعَتْ بَعْدَهُ في الحَيِّ فُصْلانُ دُوْرِهِ وزالَ هَديرُ ٱلْمُقْرَمِ الصَّارِعِ ٱلْقِرْنا [2]
وآضَتْ لَهُ الأَيّامُ سوداً كأنّها
سُرىً أصبَحَ التَّأْويبُ فيها سُرىً وَهْنا [3]

---

(١) كُوِّرت : من فعل كوّر ، أدار ولفّ أو شدّ وجمع ، وكوّر اللهُ الشمس : لفّ ضوءها كما تلفّ العمامة كناية عن الكسوف .
ومن ذلك ما جاء في القرآن الكريم « إذا الشمس كُوّرت » .

(٢) فُصلان : جمع فصيل وهو ولد الناقة يفصل عن أمه . والمُقْرَم : هو الفحل الذي يعفى من العمل ويترك وهو القَرْمُ أيضاً . والقِرن : المماثل لك في الشجاعة .

(٣) آضت : أصبحت ؛ سُرى « الأولى » : جمع للساري ، وسرى « الثانية » السير في الليل . والتـأويب : الرجوع من تأوّبَ ، والوهن ؛ هنـا تعني : نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه ، والوهن أيضاً : الضعف .

حَوالِكُ ألوانٍ ، كَوالِحُ أوْجُهٍ فَلَسْنا نَرىٰ فيهِنَّ حُسْناً ولا حَسْنا[1]

فَيا قَبْرَهُ كَمْ حُزْتَ مَجْداً وسُؤدَداً وكَمْ لَوْعَةً مِنْهُ ، وحُزْنا بِكَ الحُزْنا

ويا قَبْرَهُ واريتَ مِنْــهُ أناملاً إذا ٱلْمُزْنُ ضَنَّتْ بالحَيا كانتِ ٱلْمُزْنا

مَفاتِحُ أرْزاقٍ ، سَحائِبُ أنعُمٍ تَسُحُّ على الأقصىٰ منَ ٱلْخَلْقِ والأدْنىٰ

وكانَ إذا وافاهُ عافٍ وخائِفٌ

أصابَ ٱلْمُنىٰ عافوهُ ، وٱلْخائِفُ الأَمْنا

وأنّىٰ ، وقَدْ ذُقْنا مَرارَةَ فَقْدِهِ [نَزورُ دِياراً ما نُحِبُّ لَها مَغْنىٰ][2]

يَميناً لَقَدْ بَزَّ الزَّمانُ حُجولَهُ وغُرَّتَهُ مِنْ بَعْدِهِ وٱلْيَدَ ٱلْيُمْنىٰ[3]

وَدِدْتُ بِأنْ لَمْ يَخْلُقِ اللهُ لي ، وقَدْ نَعاهُ لِيَ النّاعونَ ، عَيْناً ولا أُذْنا

فَكَمْ جَرَحوا قَلْباً ، وكَمْ حَرَّقوا حَشاً

، بِنَعْيِهِمُ « مَعْناً » ، وكَمْ أقْرَحوا جَفْنا

قَليلٌ لَنــا شَقُّ ٱلْجُيوبِ تَأَسُّفاً وإسْبالُ دَمعٍ ، بَعْضُهُ يَحْمِلُ السُّفْنا

---

(١) حَسْنا الثانية : أصلها حسناء وقصرت الهمزة للقافية .

(٢) الشطر الثاني من هذا البيت مأخوذ من المتنبي في قصيدته التي مطلعها :

نزورُ دياراً ما نحبُّ لها مغنى ونسألُ فيها ، غير سكانِها ، الإذنا

(٣) بَزَّه الشيء : انتزعه منه . الحجول ؛ جمع حَجْل وحِجْل وهو الخلخال : والحجلُ : البياض في موضع القيد (جمعه أحجال) . والغُرَّة : بياض في جبهة الفرس .

فَقَدْ كانَتِ الدُّنيا تُجامِلُني بِـــهِ وتَرْفَعُني مِنْهُ إلَى ٱلْمَنْزِلِ الأَسْنَى[1]

إذا كانَتِ الأَقدارُ خَصْمي فَأَيْنَ مَنْ

يَرُدُّ، إذا ٱسْتَصْرَخْتُ، أنيابَها ٱلْحُجْنا[2]

أَفي كلِّ يَوْمٍ لِلْخُطوبِ إغارَةٌ عَلَيَّ بِمَنْ لا يَسْأَمُ الضَّربَ والطَّعْنا

أَظُنُّ فُؤادِي لِلْهُمومِ قَرارَةً فَقَدْ عَمَّ مِنْهُ سَيْلُها السَّهْلَ والحَزْنا

وقَدْ ماتَ سَعْدُ الدَّوْلَةِ بْنُ مُحَسِّنٍ فَأَنّى أَرى، في النّاسِ، مِثْلاً لَهُ أَنّى

مَضى مِنْ يَميني صارِمٌ كانَ ماضِياً وغَيْثٌ سَكوبٌ كانَ يُوسِعُني هَتْنا[3]

عَزيزٌ عَلَيْنا، يا أَبا الجُودِ، أَنَّنا حَيِيْنا، وقَدْ غالَتْكَ أَيدي الرَّدى مِنّا

وما كُنتَ إلاَّ حِصْنَ قَوْمِكَ باذِخاً

فَبَعْدَكَ لا يَلْقَوْنَ، إنْ ظُلِموا، حِصْنا[4]

وكُنْتَ لَهُمْ جاهاً ورُكْناً مُؤَثَّلاً فَقَدْ عَدِموا مِنْ بَعْدِكَ الجاهَ والرُّكْنا

تَمَنّى رِجالٌ أَنْ تَموتَ لِيَشْرُفوا وهَيْهاتَ لاقَوْا بَعْدَكَ الذُّلَّ والوَهْنا

لَكَ ٱلْباقِياتُ الصَّالِحاتُ لَدى الوَرى فَإِنْ تَفْنَ في الدُّنيا فَذِكْرُكَ لا يَفْنى

---

(١) الأسْنَى : من سَنى سَناءً، وسَنُو سَناءً : ارتفع فهو سنيُّ الحسب .

(٢) الحُجْن : المعقوفة من الحُجْنة، والمِحْجَن : كل عودٍ معقوف .

(٣) الهتن : الهطول .

(٤) البـاذخ : العالي . وردت كلمة « إذ » في الشطر الثاني ، وقد رجحنا أن تكون « إن » بدلاً منها لأنها أليق بالمعنى .

سَتُذْكَرُ أَقوامٌ مَقامَكَ فيهِمُ فَدأْبُهُمُ ، مِنْ بعْدُ ، أَنْ يَقْرَعوا السِّنّا
وقَدْ كانَ بطْنُ الأرْضِ يحْسُدُ ظهْرَها فمُذْ متَّ أمسى ظَهْرُها يحْسُدُ البَطْنا
فَيا عاشِقَ الدُّنيا ، النَّجاءَ ، فإنَّها
إذا سالَمَتْ ، غارَتْ ، وأظْهَرَتِ الضِّغْنا[1]
إذا ما رأَيتَ القَوْمَ أَوْدى كِبارُهُمْ فَلَيْسَ يُقيمُ اللهُ يَوْماً لهُمْ وَزْنا
ولَوْ رَدَّ عَنهُ المَوْتَ بَأْسٌ لأَزْهَقَتْ شِفارُ المواضي أنفُساً والقَنا اللُّدْنا[2]
وطارَتْ إلى يَوْمِ الكَريهَةِ فِتْنَةٌ تَقاعَسُ عَنها الأُسْدُ ناكِصَةً جُبْنا[3]
ولكِنَّهُ المَوْتُ الّذي لا يُرَدُّ إنْ أرادَ مَغاراً في الأنامِ ، ولا يُثْنى

وقال وكتبها إلى الحكيم رشيد الدين أبي الفتح بن أبي الفَرَج النَّصرانيّ وقد قدم من زيارة الزَّبداني :

حَلَّ أَزْرارَ جَنَّــةِ الزَّبداني زائِرٌ حَلَّ مِنهُ خَيْرَ مَغانِ[4]

---

(١) الضغن : الحقد ، وقد وردت في الأصل بالظاء بدلاً من الضاد كما هو الصحيح .

(٢) اللدنا : وردت هنا مفتوحة وحقها أن تكون مضمومة لأنها وقعت نعتاً للشفار التي هي مضمومة لوقوعها فاعلاً لفعل « أزهقت » في الشطر الأول من البيت ، ولم نجد تعليلاً لورودها منصوبةً .

(٣) نكَصَ : ارتدَّ وتراجَعَ .

(٤) الزبداني : البلدة الصغيرة المعروفة بطيب هوائها إلى الغرب من دمشق وكان الشاعر فيها معلماً .

هُوَ خَيْرٌ مِنْ (شِعْبِ بَوّانَ) إنْ رَبَّعَ فيهِ الرَّبيعُ كلَّ أوانِ[1]

ذاكَ إذْ زارَهُ الحَكيمُ أبو ٱلْفَتْحِ ٱلْفتىٰ ٱلْفَيْلَسوفُ ذو الإِحسانِ

أَطْرَبَتْــهُ عَيْنا (مَضايا) و (بُقَّيْنَ) ، فَلِلّٰهِ تانِكَ ٱلْعَيْنانِ[2]

ثُمَّ (عَيْنُ ٱلْكُبْرىٰ) وأحسِنْ بهـا عَيْناً وماءً وعَيْنُ « بَلودانِ »[3]

وإذا شِئْتَ أنْ تَرى ٱلْبَحْرَ والسّاحِلَ فاصْعَدْ يَفاعَ (مَرْيونانِ)[4]

إنَّ « أنباسابا » بدير (قبيسٍ) لجليلٌ وهو الدَّقيقِ المَعاني[5]

آمِنٌ من مَعَرَّةِ العُمْيانِ فاضِلٌ من مَعَرَّةِ النُّعْمانِ[6]

ولَدَيْهِ تَجلو الكؤوس شُموساً والدُّجى في مَدارِعِ الرُّهبانِ[7]

يا أَبا الفَتْحِ أنتَ زُرْتَ جِناناً وثَوَيْنــا بِالشَّوقِ في نيرانِ

---

(١) شعب بوان : هو الوادي الشهير في بلاد فارس وقد وصفه المتنبي بقصيدته :

مغاني الشِّعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيعِ من الزَّمان

وربَّعَ القوم : دخلوا في الربيع .

(٢) مضايا وبُقّين : قريتان إلى جوار الزبداني ، غربي دمشق .

(٣) عين الكبرى وبلودان : قريتان إلى جوار الزبداني .

(٤و٥) أسماء مواضع قريبة من منطقة الزبداني ونعتقد أنها أديرة ، وهناك قرية كانت تدعى : بيت سابا وتسمى اليوم : بيت سابر في الغوطة الشرقية .

(٦) المعَرَّة : أصلهـا موضع الجَرَب ، الإثم ، الأذى . ومعرة النعمان : بلد معروف بين حماة وحلب .

(٧) المِدْرَعَة : ضرب من الجُبَّات من الصوف .

فَلَكَ اللهُ ، حَيثما كُنْتَ جاراً ، دافِعٌ عنكَ طارِقَ الحَدَثانِ

وقال يهجو ابن « المذيتاني » كاتب الملك الأمجد :

وما الثلجُ في كانونَ يهمي ربابُهُ مُلِثًّا على هَضْبَيْ سَنيرٍ ولبنانِ[1]
بأبرَدَ من شِعرٍ ركيكٍ تلوكُهُ كَلَوْكِ الخَرا فكَّيْكَ ياابن المذيتاني
قريضٌ يَسُدُّ الناسُ منه أنوفَهمْ كأنَّكَ في تكْتيلِهِ (بنْتُ وَرْدانِ)[2]

وقال :

نحْنُ في جيلٍ لئامٍ كلُّهمْ سُخْنَةُ عَيْنِ[3]
هَجْوُهمْ أَحسَنُ صِدْقٍ مَدْحُهُمْ أَقْبَحُ مَيْنِ
ما لِمَنْ يَمْدَحُهُم مِنْهُمْ سِوى خُفَّيْ حُنَيْنِ[4]

---

(١) سنير : جبل النبك ، والرباب . الغيم ، والمُلِث : الممطر بغزارة ، والهَضْب : الجبل المنبسط والضخم من الضباب .

(٢) بنت وردان : ضرب من الخنافس ويقال له الصرصور .

(٣) سُخْنَة : « مثلثة السين » الحرارة أو الحُمَّى ، كناية عن الحسد واللؤم .

(٤) خفّا حنين : حُنَين إسكاف بالبصرة ساومه أعرابي في خفين فأطال المساومة ثم تركهما ومضى فغضب حنين وأخذ الخفين وسبقه إلى الطريق فألقى أحدهما ثم تقدم شيئاً وألقى الآخر وكمن في سترة بينهما حتى مرَّ الأعرابي راجعاً إلى حيّه فرأى الخفَّ الأول فقال ما أشبه هذا الخف بخف حنين ولو كان الآخر معه لأخذته وتقدم فرأى الآخر مطروحاً فعقل بعيرَهُ ورجع إلى الأول فأخذه —

فاهْجُهُمْ تَلْقَ الأماني مِنْهُمُ كابْنِ عُنَيْنِ[1]

وقال :

شابَت ذوائبُ لَوْزِ (بُقَّيْنِ) فانْهَضْ بِنا نشْرَبْ على العَيْنِ
عَهْدي بأَنَّ الشَّيْبَ منظَرُهُ شَيْنٌ ، وذا في غايةِ الزَّيْنِ
هذا الشَّبابُ هو المشيبُ أَلاَ فاعجَبْ لجمعٍ بينَ ضِدَّيْنِ
فستُخْلِفُ الأيّامُ ما وَعدَتْ وتَشُوبُ صِدْقَ القَوْلِ بالمَيْنِ[2]
أَوَما عَلِمْتَ بأَنَّ شيمَتَها تَفْريقُ ما بينَ الفَريقَيْنِ

وقال :

قِفْ بالمَطِيِّ بساحَةِ الزَّبَداني لا تَعْسِفَنَّ بها إلى عُسفانِ

ـ وكان حنين في أثناء ذلك ثار إلى البعير فركبه ومضى وترك الخف مكانه ، فلما رجع الأعرابي لم يجد غير ذلك الخف المطروح فأخذه وذهب إلى قومه فقيل له : بماذا أتيت فقال : بخفي حُنين ، فذهب قولُهُ مثلاً يضرب لمن رجع من سفره بالخيبة . ومن ذلك قول الحريري :

ولكَمْ من سعى ليصطاد فاصطيد ولم يلقَ غير خُفَّي حنينِ

(١) ابن عنين ، هو الشاعر المعروف المعاصر للشاعر فتيان ، واسمه : محمد بن نصر الله شرف الدين الزرعي الحوراني الدمشقي الأنصاري . (٥٤٩ هـ — ٦٣٠ هـ) .

(٢) شاب : خلط .

كَمْ ثَمَّ للرُّوَّادِ والوُرّادِ مِنْ
صُدَّى ، إذا انتجعوا ، ومِنْ سَعدانِ [1]

تِلْكَ (المرابِعُ) لا الغُوَيْرُ ولا رُبا نجدٍ ولا حَزْوى ولا العَلَمانِ [2]

أَمْواهُها راحي ، وبردُ نَسيمِها رَوْحي ونَبتُ رياضِها رَيْحاني

وقال وقد نظر وجهَهُ في المِرآةِ :

قد كانَتِ المِرْآةُ فيما مَضى تُهدي إلى عيني الشبابَ الحَسَنْ

والآنَ قد صِرْتُ أَراها وقدْ كَحَّلَتِ الطَّرْفَ بِشَيْخٍ يَفَنْ [3]

قُلْتُ لهـا أَينَ الذي كانَ مِنْ قبلُ فقالت لي مَحـاهُ الزَّمَنْ

وقال :

أَتُؤثِرُ أَنْ تَنَزَّهَ في رِياضٍ تَفوقُ بِحُسْنِها جَناتِ عَدْنِ

خُذِ المِرآةَ تَنْظُرْ مِنكَ وجهاً حَباكَ اللهُ فيه بِكُلِّ حُسْنِ

---

(١) صُدَّى : هي عين تزدحم عليها الورّاد لحسن مائها ، وفي المثل : ماءٌ ولا كصدّاء . والسَّعْدان : نبات للرّعي .

(٢) سقطت الكلمة التي بين القوسين في النسخ وأثبتت إلى جانب القصيدة ولكنها طمست ومحي أكثرها فلم يبين منها إلا قسم من حرف العين وقد قدرنا هذه الكلمة تقديراً . هذا والألفاظ التي وردت في البيت كلها أسماء أماكن في الجزيرة العربية .

(٣) الشيخ اليَفن : الهَرِم ، الفاني .

وأَرْجو أَنْ يَرِقَّ لعـاشِقَيهِ   فَتُقْلِـعَ عَنْ صُدودِكَ والتَّجَنّي
وأَخْشىٰ أَنْ تَزيدَ عليَّ تيهاً   وإعْراضاً بِـهِ فَتَصُدَّ عَنّي

وقال :

إنَّ (الأَمينِيَّةَ) التي شَرُفَتْ   بِمَعْشَرٍ في الوَرى لهمْ شانُ(١)
مُشْرِفُهُم مُسْرِفٌ وعـــامِلُهُم   مُعامِلٌ والأمينُ خَوّانُ

* * *

(١) الأمينية : اسم قرية أو مدرسة بمنطقة دمشق .

حرف الهاء

قال يمدحُ الملكَ الكامِلَ ناصِر الدنيا والدين أبا المعالي محمد بن أبي بكر ويُهنِّئُهُ بقدومِهِ إلى دمَشق وبفتح ولده الملكِ المسعودِ بلادَ اليمن .

دَمعٌ هَوى سِلكاهُ عَنْ جَلْدٍ وهىٰ ... وَجوٍ أُصيبَ فؤادُهُ فتأوَّها[1]

نَهْنَهْتُ من دَمعي فاقبل عاصِياً ... والدَّمعُ أعْصى ما يكونُ مُنَهْنَها[2]

يا مُودِعاً جفني السُّهادَ مُودِّعـاً ... ومُولِّيـاً تَرَكَ الفُؤادَ مُولَّـها

قَدْ كان عيْشي بالدُّنوِّ وخَفْضِهِ ... سِنَةً غدا كَلَفي بها مُتَنَبِّها

حَجَبوا الأَهِلَّةَ في الأَكِلَّةِ وانْثَنَوا ... فَثَوىٰ كئيباً بالوَداعِ مُتَوَّها[3]

هَزَّ الدَّلالُ قدودَهُنَّ ، وغِبْطَةً ... هَزَّ الأَراكُ غُصُونَهُ مُتَشَبِّهـا

ولَقَدْ بعثْنَ إلى الغُصونِ مَلامِحاً ... مِنها ، ومِنْ لحظِ العُيونِ إلىٰ المَها

يَبدونَ كالشَّمْسِ المُنيرَةِ حُسَّراً ... ومُلَثَّمينَ ، وكالأَهِلَّةِ ، أَوْجُها

---

(١) الجَلْد : الصابر ، جوٍ : المصاب بالجوى وهو شدة الوجد والحُرقة .

(٢) نَهنَهَ : الرجلَ عن الشيء ، كفَّه عنه وزَجرَه .

(٣) الأهلة : جمع هلال ، وهنا الحسان ، والأكلَّة ، جمع كلَّة ، وهي ما تجلسُ فيه المرأة فيحجبها . والمتوَّه : من فعل : توَّهَ وتيَّه ؛ نفسه حيرها وضيَّعها ، فهو مُتَوِّه ومُتيِّه .

وَمُنَزَّهٍ عَنْ مُشْبِهٍ في حُسْنِهِ ... أَصْبَحْتُ فيه، عَنْ السُّلوِّ، مُنَزَّها

مَنَحَ القِلَى وَنَهى الجفونَ عنِ الكَرى ... أَهْلاً بِما مَنَحَ الحَبيبُ وما نَهى

كيفَ السَّبيلُ إلى القِلى وشَفيعُهُ ... وجهٌ وجيهُ الحُكْمِ كَيْفَ تَوَجَّها

أَلحاظُهُ أَسيافُهُ وسِنانُهُ ... وسْنانُهُ إنْ جدَّ فينا أَوْ لها[1]

ولَكَمْ بُليتُ بلائِمٍ في حُبِّهِ ... أَضْحى أَلداً في الخِصامِ مُفَوَّها[2]

كانَ المُفَوَّهُ جاهِداً فَرَدَدْتُهُ ... مثني العِنانِ عَنِ المَلامِ مُفَهَّها[3]

يا كمْ زَجَرْتُ المُسْتَهامَ فما ارْعَوى ... ونَهيتُهُ كيْ يستَفيقَ فما انتهى

إنّي أَلَذّ وأَشتهي سَقَمي بِهِ ... ومِنَ الشَّقاوَةِ ما يَلَذُّ ويُشْتَهى

وتَنُوفَةٍ مجهولَةٍ جاوَزْتُها ... بِنَجيبَةٍ تُطْوى فَتَطوي المَهْمَها[4]

فَأَرَيتُها أَوْضاحَها في ليلَةٍ ... بدْرُ التَّمامِ بأُفْقِها مِثلُ السُّها[5]

جَلَبَتْ سَحابَتُها بِلامِعِ بَرْقِها ... وحياً بكى طَرَباً لِرَعْدٍ قَهقَها[6]

---

(١) وسنانه هنا: أي لحظُهُ الوسنان، أي الفاتر الناعس.

(٢) الخصم الألدّ: من اللَّدَدْ: شدة الخصومة، والمفوّه: المنطيق، البليغ الكلام.

(٣) مثنى العنان: مكفوف عن الكلام، والمفهّه: العاجز عن الكلام.

(٤) التنوفة: الصحراء البعيدة. والنجيبة: الناقة الأصيلة. المَهْمَه الصحراء.

(٥) الأوضاح: جمع وضَحْ وهو الضوء وبياض الصبح أو كل شيء أبيض. والليالي البيض من الشهر. والسُّها: نجم صغير.

(٦) جلبت: صخبت وضجت، والحيا: المطر، والقهقهة هنا: صوت الرَّعد.

تُزجى إلى البَحْرِ المُحيطِ محمَّدٍ ذاكَ الذي فَتحَ اللَّها بيدِ اللُّها[1]

بالكامِلِ بن العادِلِ المنصورِ قَدْ نادى النَّدى لما دعاهُ موَّبِّها[2]

يا أَيُّها المَلْكُ الذي لولاهُ لَمْ يَكُ في الوَرىٰ، لأَبيهِ، خَلْقٌ مُشْبِها[3]

بَجَحَتْ دِمَشْقُ على البِلادِ مُنيفَةً بِمُحَمَّدٍ تَزهو كأَحسَنِ مازَها[4]

كمُحمَّدٍ إذ جاءَ (يَثْرِبَ) قادِماً ومُهاجِراً ومُنوِّلاً ومُنَوِّها[5]

أَضْحىٰ « السَّعيدُ الكامِلُ » الأَوْصافِ مِـ

ـثلَ الشَّمسِ حلَّتْ أَوْجَها ، بلْ أَوْجَها[6]

مُستَيْقظٌ للمُلْكِ ، رآّبُ الثَّأَى ما زالَ فيهِ ، مُنْبِهاً ، ومُنبِّها[7]

---

(١) اللّها : جمع لهاة وهي الحلق ، واللُّها « بالضم » : العطايا .

(٢) مؤبّها : من أبهَ ابنْها وأبِهَ له وبه ؛ فطن بعد نسيان ؛ وهناك أيضاً : وَبهَ وبها ووبوهاً له وبه : فَطِن له ، ويقال : هو لا يُوبَهُ له وبه ؛ لا يُبالىَ به وأبَّهَهُ : نَبَّهَهُ وفطَّنَهُ بكذا « وقد وردت الباء مهملة من النقط في النسخة المخطوطة » .

(٣) تقدير المعنى في الشطر : لم يكن خلق مُشبهاً لأبيه في الورى .

(٤) بجح : افتخر ، ومنيفة : مستعلية من أناف يُنيف .

(٥) يثرب : المدينة المنورة ، ومنوّل : نال العطاء ، ومُنَوِّه : مشهور .

(٦) الأَوْج : أعلى السماء . وأوجَها الثانية « القافية » معناها : أكثر وجاهةً .

(٧) رآّب : صيغة مبـــالغة من رَأَبَ : أصلح ولأمَ ، وجبر الوهن . الثَّأَى والثَّأْى : الإفساد كله ، الجرح ، ورأب الثأى : أصلح الفساد . مُنبِه ومُنبِّه ، من أنبه ، فلاناً من النوم : أيقظه ونبَّه فلاناً بنفس المعنى .

وافَتْهُ باليَمَن الأمـاني ما وَنىٰ ، «الإِقْسيسُ» فيما جَدَّ فيهِ،ولا وهى[1]

فَأَتى بِـهِ فَتْحُ الفُتوحِ مُبَيِّضاً لكِنْ من الأَعْداءِ سَوَّدَ أَوْجُها

بِمُشَتِّتِ العَزَماتِ مرهوبَ الشَّبـا مُتَشاغِلٌ بالجِـدِّ ، عنهُ مالهـــا

فانْهَدْ إِليهِ بِعَزْمَـةٍ « شاذيَّـةٍ » فبها ينالُ من الأَعادي ما اشْتَهى[2]

إنَّ المَمالِكَ صِرْنَ في أيديكُمُ

وقفاً علَيْكُم ، مثلَ (آمِدَ) و(الرُّها)[3]

كلُّ الممالِكِ جَنَّةٌ ، بل سِدْرَةٌ ولَدَيْـكُمُ المأْوى ، لها ، والمنتَهى[4]

أنتُمْ شُموسٌ بل بُدورٌ طُلَّـعٌ وسِواكُمُ مثلُ الثُّريا والسُّها

صَدَقاتُكُمْ أَبقَتْ علَيْكُمْ مُلْكَكُمْ

ما فيكُمُ مَنْ ساعَةً عنها لَهـــا

ما ضَيْغَمٌ في الغيلِ يكْشِرُ قالِصاً عَنْ ناجِذَيْـهِ مُهَجْهِجاً ومُجَهْجِها[5]

---

(١) الإقسيس : قائد من قواد الصليبيين .

(٢) نَهَدَ له : صمدَ في القتال ونهد الرجل : شخص . وشاذية نسبة إلى آل شاذي وهم أسرة صلاح الدين الأيوبي .

(٣) آمد والرُّها : بلدان بين سوريا وتركيا .

(٤) يشير إلى ما ورد في القرآن الكريم من وصف للجنة في سورة « والنجم إذا هوى » .

(٥) الغيل : بيت الأسد ، قالصاً كاشراً ، النواجذ : جمع ناجذ وهو آخر —

يوماً بأعظَمَ فتكَـةً منـــهُ إذا ما الصّافناتُ نكَصْنَ عَنْهُ فُرَّها[1]

يَعِـدُ الجَوائِزَ مُوفِيــاً بوعودِهِ لَمْ يأْلُ ، في دَرْءِ الخُطوبِ ، المِدْرَها[2]

خُذهـــا مُكَمَّلَةَ الحِجىٰ مِنْ أَفْوَهٍ قد فاقَ فى حُسْنِ المقالِ « الأَفْوَها »[3]

مَدْحٌ لَوِ الحَجَرُ الأَصَمُّ غَدا لَهُ سَمْعٌ ، وأُنشِدَ بَيْتَها ، لتَدهْدَها[4]

وإذا المُعيدُ شدا بها في مَجْلِسٍ طِرِبَ الجَمادُ، فَلو أَطاقَ ، لَزَهْزَها[5]

— ضِرس في الفم وما يسميه العامة « ضرس العقل » أو هو اسم يطلق على الأضراس كلها . هجْهَج السَبُعَ وبه : صاح به وزَجَرهُ ، والرَّجُلَ : ردَّه عن الشيء والهجهجة كالولولة ، وجهجَهَ : صاح إلى الحرب ، والجَهْجَهَة : أصوات الرجال في الحرب .

(١) فُرَّه : جمع فارِه وهو الأَشِر والبَطِرْ فَرِهَ : حذِقَ ونَشِط .

(٢) المِدْرَهْ : الرئيس المدافع عن قومه .

(٣) الأفوَه : من الفَوَه وهو سعة الفم أو ظهور الأسنان من الفم . وكلمة الأفْوه التي وردت قافية هي : الأفوَهُ الأوْدي ، صلاءة بن عمرو بن مالك من بني أوْد من مَذْحِج شاعر يماني جاهلى له الأبيات المشهورة :

لا يصلُحُ الناسُ فَوْضى لا سَراة لهم ولا سراة إذا جُهَّالُهُم سادوا

(٤) دَهدَهَ الحجرَ ، ودهْدى ، فتدهدَهَ وتدهدى : دحرجَهَ فتدحْرَج .

(٥) زهْزَهَ : اختال ، وتمايَلَ .

وقال يَمدح الصحابةَ رِضوانُ الله عليهم :

ذَراها بِسَلْعٍ والغُوَيْرِ ذَراهـــا تَمُـدُّ إلى ماءِ العُذَيْبِ خُطاها[1]

ولا تَثْنِياهـا عَنْ ثَنِيَّـاتِ حاجِرٍ وإنْ راعَها جَذْبُ البُرىٰ فَبَراها[2]

تَحِنُّ إلى سَلْعٍ ونَوْرِ أَقاحِهـا إذا هاجَ أَنفاسَ العَرارِ صَباها[3]

فَتَقْطَعُ أَجْوازَ الفَلا بِرَسِيمِهــــا وتَحْصِبُ مبيَضَّ الحَصا بِبُراها[4]

عَوائِمُ في بَحْرِ السَّرابِ كأَنَّهـــا سَفائِنُ « ترمي » بالهواءِ هَواها[5]

تَطيرُ إذا الحادي حَداها كأَنَّمـا بِتَرتيلِ داوُود « النَّبيِّ » حَداها[6]

فلا تَرْثيا يا صاحِبَيَّ لهـــا فَفي وَجاها إذا سارَتْ شِفاءُ جَواها[7]

---

(١) سلع والغوير والعذيب : أسماء أماكن في الجزيرة العربية .

(٢) ثنيَّات حاجر : هضاب حاجر ، وحاجر اسم مكان معروف . البُرى : جمع بُرَة وبراة ، حلقة تجعل في أنف البعير . وبراها : هزَلها وانحلها .

(٣) العرار : نبت معروف ذكره الشعراء ومن ذلك البيت الشهير :

تمتع من شميم عرارِ نجدٍ فما بعد العشيَّة من عَرار

والصَّبا : ريح الصَّبا التي ترد من الشرق في الجزيرة .

(٤) الرسيم : مشي الأبل ، وحَصَب : رَمى وقذف . وبُراها : البُرى (بالضم) جمع حلقه ، والبَرى (بالفتح) التراب .

(٥ و ٦) هذان البيتان أثبتـا إلى جانب الأبيـات والكلمتان داخل الأقواس مطموستان وقد قدرناهما تقديراً .

(٧) الوجى : وَجِيَ الماشي ، يَوْجي وَجىً حَفِيَ ، والجوى : الحرارة من الحب .

على السَّيْرِ حُثَّاها الغَداةَ سَواهِماً فَلَمْ يُدْنِ أَوْطارَ النفُوسِ سِواها[1]

إلى أَنْ تنيخاها على بابِ يَثْرِبٍ فَثَمَّ مُنانا ، عِنْدَها ، ومُنـاها

بها خَيْرُ خَلْقِ اللهِ شَرْقاً ومَغْرِباً نَبِيُّ الهُـدى الثاوي بطيبِ ثَراها

وصاحِبُهُ المُخْتارُ أَفْضَلُ مَنْ مَشىٰ على تُرْبِهـا من بَعْدِهِ وحَصاها

وثانيهِ في ترتيبـهِ عُمَرُ الَّذي حَمىٰ قُبَّةَ الإِسْلامِ حينَ بنـاها

ومِنْ بَعْدُ ، عُثْمانُ الشَّهيدُ فإِنَّـهُ ثوى من مَقاماتِ العُلىٰ بِذُراها

وبَعْدُ ، عليٌّ ، أَشْجَعُ الخَلْقِ في الوَغىٰ إذا حَمِيَتْ تَحْتَ العَجاجِ لَظاها

إمامٌ ، بآياتِ الكِتابِ ، مَديحُهُ وأَوْصافُهُ في الفَضْلِ لا تَتَناهى

ومِنْ بعدِهِ باقي الصَّحابةِ إنَّهُمْ ، لدى مِلَّةِ الإِسْلامِ ، قُطْبُ رَحاها

عَلَيهِمْ سلامُ اللهِ ما ذَرَّ شارِقٌ وما طَلَعَتْ شَمْسٌ ، ولاحَ سناها

وقال يمدح المِلِكَ المعظَّم توران شاه بن أَيّوب رحمَهُ الله :

دعا مهجَةَ الصَّبِّ لا تَرْدَعاهـا فَقَدْ لَبَّتِ الوَجْدَ ، لمّا دَعاها[2]

---

(١) سواهم : جمع ساهمة وهي الناقة الضامرة .

(٢) لَبَّت : وردت في الأصل (الثاء) بدلاً من (التـاء) كما أن « الوجد » وردت مضمومة وقد جعلناها منصوبةً لأنه الصحيح .

صَبَتْ فأُصيبَتْ بسَهْمِ اللِّحاظِ ... فَللهِ أَجْفانُ ريمٍ ، رَماها

شُوَيْدِنُ سِربٍ رَعى ما رَعىٰ ... ذِماماً ولم يُبْقِ إلاَّ ذِماها[1]

فَواهاً لَهُ كَمْ شَجٍ كلَّما ... رَنا لحظةً نَحْوَهُ قال آها

ثناها وأَسْرَفَ في ظُلْمِهِ ... وعن عِشقِهِ عاذِلٌ ما ثناها

محاسِنُهُ جَلَّ رَبٌّ بَراها ... فكَمْ مِنْ قُلوبٍ بها قد بَراها[2]

إذا استَقْبَلَ البدْرَ في التِّمِّ لَمْ ... يَدَعْ وجْهُهُ ثَمَّ لِلْبدْرِ جاها

ويُسْفِرُ والشَّمْسُ وقتَ الضُّحىٰ ... فَيكْسِفُ حُسْنُ سَناهُ سَناها

فَلَوْ نَظَرَتْ وجنَتَيْهِ المجُوسُ ، ... تَعالىٰ الإلٰهُ ، ادَّعَتْهُ إلٰها

وماءُ الحَيا لو حكىٰ ريقَهُ ... لأَحيا رُفاتاً طويلاً بَلاها

عَلَيْهِ مَلامِحُ حُورِ الجِنانِ ... مَتى ما رآها اللبيبُ اشتهاها

يَحارُ إذا افتَرَّ دُرُّ المَحارِ ... ويَخْجَلُ إنْ فوهُ بالنُّطْقِ فاها

خَميصُ الحَشا مرتوٍ رِدفُهُ ... على الخَيْزُرانةِ في الحِقْفِ تاها[3]

حَمَتْ عقرَبُ الصُّدْغِ تُفَّاحَ وجْنَتَـيْهِ فوا كَبِدي مَنْ حَماها

---

(١) شويدن : تصغير شادن ، وهو ولد الغزال ، وذماها : أصلها ذماء : وهو بقية الروح ، أو الحركة .

(٢) براها « الأولى » : خلقها ، والثانية من برأ : شفى .

(٣) خميص : رقيق .

وبيَّضَ فَوْدي بِحَرِّ الفؤادِ   فلوْ شُبَّ ناراً لَضاهى لظاها[1]
فَما أُمُّ خِشْفٍ رأَتْ قانِصاً   فرَوَّعها وهي تزجي طَلاها[2]
ثَنَتْ لِيتَها نَحوهُ خيفَةً   ولم تأْلُ ترْمُقُهُ مُقْلَتاها
بأَحسَنَ مِنْهُ وقد أَتْلَعَتْ   إليهِ ولا خِشْفُها إذْ تَلاها[3]
وليْلَةَ باتَ يُعاطي المُدامَ   نَدامىٰ بِعَيْنَيْهِ أَوْهىٰ قُواها
إذا شَجَّها خَجَلاً وٱنثَنىٰ   ظَنَنَّاهُ مِنْ وجْنَتَيْهِ ٱجْتَناها[4]
صَفَتْ فهيَ ياقوتَةٌ مَزْجُها   بدُرِّ الحَبابِ ، نَظِياً حَباها
وإن لَثَمَ الكَأْسَ قُلْنا ٱنظُروا   إلى الشَّمْسِ حلَّتْ عليهِ رِداها

(١) ضاهى : التي جاءت في الشطر الثاني كانت في الأصل بـ « الظاء » .
(٢) الخُشف (مثلثة) : ولد الظبية أول مشيه .
(٣) اللّيتِ : « بكسر اللام وتشديدها » : صفحة العنق وعلى ذلك البيت المشهور للصمَّة بن عبد الله القشيري :

تلفتُّ نحو الحيِّ حتى وجدتُني   وَجعت من الاصغاء ليتاً وأخْدَعا

أتْلَعَ : النهار : طَلَع ، والظبيُ : مدَّ عنقَه . والمقصود كما نرى : أن الغزالة ليست أحسن منه ولا خشفها وقد قدرنا المعنى تقديراً.
(٤) شجَّها : مزجَها ، وهذا المعنى على جماله ، سُبِقَ إليه الشاعر ، سبقه إليه ديك الجن الحمصي ، وهو مخترعه بقوله :

موردةً من كف ظبيٍ كأنما   تناولها من خَدّه فأدارها

وأخذه من المحدثين حافظ إبراهيم بقوله :

خمرة قيل إنهم عصروها   من خدود المِلاح في ليل عُرس

لَدى رَوْضَةٍ جادَ نوّارَها نِطافُ غيومٍ سَجُومٍ حياها[1]
فَعُطَّتْ عَلَيهــا برودُ الغَمامِ وعَيْنُ السَّماءِ شَديدٌ بُكاها[2]
وشَوَّشَ طُرَّةَ حوْذانِهــا نَسيمُ النُّعامى فأبْدى شَذاها[3]
فأَحْداقُ نرْجِسِها رانِياتٌ إلى العاشقينَ بقُصْوى مُناهـا
وحَـلَّ البَنَفْسَجُ أَصْداغَـهُ وقدْ عَقَدَ النَّدُّ فيها نداها
كأَنَّ الأَقاحي ثُغُورُ المِلاحِ بَسَمْنَ لعاشِقِهـا عن رِضاهـا
ودَبَّ على الورْدِ مرُّ النَّسيمِ بِرِفْقٍ سُحَيْراً فهَبَّ آنتِباها
فأبدى خُدودَ الغَواني وقـد ثَمِلْنَ فَمِلْنَ على مُشْتَهـاها
تَشُقُّ الشَّقـائِقُ أَردانَهـا وتَنْحَلُّ من بَعْدِ عَقْدٍ حُباها[4]
وقد غادَرَ السَّيلُ فيها غَديراً يَروقُ العُيونَ ويَجْلو قَذاها[5]

---

(١) سَجوم : هطول ، دائم الانصباب .

(٢) عُطَّ الثوبُ : شُقَّ ، وعطَّ الثوبَ : شقَّه طولاً . ويمكن أن تكون هذه الكلمة « فغطَّت » من غطّى يغطّي : ستر .

(٣) شوَّش : خلَّط وهوَّش (الكلمة مشكوك فيها عربياً » . والطُّرَّة : الحاشية ومن كل شيء طرفه . النُّعامى : من أسماء ريح الجَنوب .

(٤) حلَّ الحُبوة « بالفتح والضم والكسر » . الأصل في الاحتباء الجمع بين الساقين والظهر بثوبه أو بيديه ، وحلَّ حبوتَه قام إلى شأنه ، وغير من وضعه .

(٥) القذى : ما يعلق من الغبار أو غيره .

يُخالُ الصَّبا نَسَجَتْ مَتْنَهُ دروعاً صِفاقاً دِقاقاً عُراها[1]

لدى شَجَراتٍ قِيانُ الطُّيورِ مُغَرِّدَةٌ ، طَرَباً ، في ذُراها

غَدَتْ دونَها الشَّمْسُ مَحْجوبَةً وكَمْ أَذِنَتْ لنَسيمٍ أَتاها[2]

زَهَتْ بجوارٍ سواقٍ لَدىٰ سواقٍ حَولٍ (كُؤوسُ) طِلاها[3]

فكَمْ حاسِدٍ لرؤوس الكُؤوسِ إذا هُنَّ شافَهْنَ تِلْكَ الشِّفاها

رياضٌ كَفارات مِسْكٍ ذُبِحْنَ فللَّهِ دَرُّ نَسيمٍ فَراها[4]

كأَنَّ شَذاها صفاتُ المَليكِ المُعَظَّمِ في النَّاسِ (تورانَ شاها)[5]

مَليكٌ لَهُ هِمَّةٌ في السَّماءِ تَطَأْطَأَ كيوانُ عن منْتَهاها

---

(١) المَتْن : الظهر ، الصِّفاق : الكثيفة ، أصله : صَفُقَ صفاقة .

(٢) يذكرنا هذا البيت بقول المنازي :

يصد الشمس أنى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم

(٣) جوار : هنا جمع جارية وهي الماء ، وسواق الأولى : عيون الماء ، وسواقٍ الثانية : التي تسقي ، وحوالٍ : من حَلىَ المرأة يَحْليها حَلْياً : جعل لها حلياً فهي حالٍ وحالية والجمع : حوال . والطِّلا «بالفتح» الرِّيق والشخص وجمعه أطلاء . و «بالكسرة» : الخمرة وهي المقصودة هنا وقد حرّكها الناسخ بالفتح وحقّها أن تكسر واصلها «الطِّلاء» . والكلمة التي بين القوسين «كؤوس» قد سقطت في الأصل وبدونها يختل الوزن والبيت الذي يلي هذا البيت يؤكد وجودها .

(٤) فراها : ذبحها قطعها ، شقّها ، من فرى الشيء يفريه فرياً .

(٥) توران شاه : هو الممدوح .

هوَ الشَّمْسُ للمُلْكِ وسْطَ السَّماءِ ولا مَلِكٌ بعدُ إلاّ سُهاها[1]

تهابُ الجيوشُ مَقـــاماتِهِ إذا الحَرْبُ جاشَتْ فدارَتْ رحاها

وأَطْلَعَتِ الشَّمسُ شُهبَ النُّجومِ وكانَ السماءُ عَجاجاً عَلاها

فكَمْ خضَبَتْ مِنْ دِماءِ النّحورِ غَداةَ الوَغى من عِداهُ لِحاها

وتَضْحَكُ في حَـــدِّ أَسْيافِهِ ثغورُ المَنونِ إذا ما انتَضاها

فيا مَلِكَ الأَرْضِ لا زِلْتَ في سعودٍ تَوَقَّلُ أَعْلا رُباها[2]

فبأْسُكَ في الحربِ يُرْدي الأُسودَ ووَجْهُكَ كالشَّمسِ وافتَضُحاها

وكَمْ قمتَ في نَصْرِ دينِ النَّبيِّ بِصدْقِ مُقاوِمِ تُرْضي الإلٰـها[3]

فعزْمُكَ اِسْكَنْدَريُّ المَضاءِ كُلومُ غِرارَيْـهِ أَعْيَتْ أُساها[4]

لَكَ اللهُ مِنْ مَلِكٍ ماجِـدٍ سَجاياهُ في فَضْلِها لا تَناهى[5]

---

(١) السُّها : نجم صغير في السماء .

(٢) توقّل في الجبل : صَعَّدَ وهو من : وقلَ يقِل وقْلاً :

(٣) كذا وردت كلمة « مقاوِمِ » محركة بالكسر دون تنوين .

(٤) غرار السيف : حـــدّه ، الكلوم : جمع كَلْم وهو الجرح ، والأسى « بالضم » جمع أسوة وهي الصبر والعزاء . والآسي الطبيب ، وجمعهـا أُساة ولها جموعٌ أخرى .

(٥) تناهى : أصلها تتناهى .

وبيدٍ قِفارٍ نَواصي فِلاهـــا   بأَرْساغِ شُعْثِ النَّواصي فلاها[1]

على كُلِّ عَبْلِ الشَّوى سابِحٍ   وَصَهْوَةِ جَرداءَ عَبْلٍ شَواها[2]

يُباري أسِنَّةَ فُرْسانِهـــا   إذا أُشْرِعَتْ لِطِعانٍ فَناها[3]

سَوابٍ سَوابحُ بَحْرِ الوَغىٰ   ظوامٍ ضَوامِرُ تشكو وَجاها[4]

عَلَيهـــا بُزاةٌ مِنَ التُّرْكِ لا   يُشَكُّ بأَنَّ الأَعادي قَطاها[5]

وقد لَبِسوا غُدُراً وانتَضَوْا   جَداوِلَ وِرْدُ الرَّدىٰ في لَظاها[6]

---

(١) الناصية : شعر الجبهة ، والفِلا الأولى « بالكسر » أصلها ، فِلاء جمع فلُو وهو المُهر إذا فُطم ، والفلا . الثانية « بالفتح » أصلها الفَلاة : القفر من الأرض والارساغ : جمع رسغ : وهو الموضع بين الحافر والوظيف من اليد أو الرجل . والشعث : جمع أشعث وشعثان : وهو متلبّد الشعر .

(٢) العَبْل : الضخم من كل شيء ، الشوى ؛ كل ما ليس مقتلاً من الدابة أو الإنسان كالقوائم والأطراف . والصهوة : من كل شيء أعلاه والجمع صُهاً وصَهَوات ومن الفرس : مقعد الفارس من ظهرها والجرداء : الفرس الأكول ، أو قصيرة الشعر .

(٣) فناها : قتلها الأعداء .

(٤) ساب : جرى أو مشى مسرعاً (مثل أنساب) . وقد وردت (ضوامر) بالظاء بدلاً من الضاد ، والوجى : الحفى .

(٥) البزاة : جمع بازي وهو الطائر المفترس المعروف ،والقطا : طائر ضعيف للصيد يؤكل لحمه .

(٦) الغُدُر : الدروع ، تشبه بغدران الماء وانتضوا : سلّوا ، والجداول : هي السيوف تشبيهاً لها بجداول الماء .

كأنَّ التَّرائِكَ وَسْطَ العَجاجِ ، ولا شَمسَ تَبدو ، شُموسٌ تَراها[1]

إذا اسْتَسْقَتِ الأَرْضُ أسيافَهُم سَقَتْها دِماءً تُرَوِّي ثَراهـا

وَقَدْ أَعْمَلَ السَّيْرُ باليَعْمَلاتِ نَواشِر نافِحَةً في بُراهـا[2]

أقامَ صُدورَ المَطايا بِهـا ولم تَنْجُ غيلانُها مِن نجاها[3]

بِهـاجِرَةٍ مِثْلِ نارِ الجحيمِ إذا ما انتصافُ النهارِ اصطلاها[4]

يُقَلِّبُ حِرباؤهـا في لَظًى إذا ما تَسَنَّمَ تلكَ العِضاها[5]

دماغُ الضِّبابِ بهـا ذائبٌ لَهُ غليانٌ لدى ذا معاهـا[6]

نَصبْتَ لهـا وَجْهَكَ المستنيرَ إذا ظُلَمُ الخَطْبِ وافَتْ دُجاها[7]

---

(١) الترائك : جمع تريكة : وهي بيضة الحديد توضع على الرأس في الحرب .

(٢) اليعمَلات : جمع يَعْمَلَة : وهي الناقة النجيبة . ونواشِر : جمع ناشرة وهي النبات الأخضر والكلأ ، والبُرى : الحلَق التي توضع في أنوف الإبل .

(٣) النجا : والنجاء السرعة في السير .

(٤) الهاجرة : شدة الحر .

(٥) والحِرباء : (مذكّر) وهو دويبة معروفة بتلوّنها تشبه العظاية . العضاه جمع : عضاهة وعضِهة كل شجرة من ذات الأشواك ، وتسنَّم : علا .

(٦) الضباب : جمع ضبّ . قال المتني :

خُرّابُ باديةٍ ، غَرْثى بطونُهُمُ مَكْنُ الضباب لهم زادٌ بلا ثَمَن

ومَكْنُ الضِّباب : بيضُها . مَعا مُعاءً : صَوّت ، والمُعاء ، كالمُواء . وقد تكون الكلمتان (ذا معاها) كلمة واحدة مشتقة من دَمَغ : شج ، وترك أثراً . وقد ورد البيت كذا ، ومعناه غامض كما ترى .

(٧) وافت : وصلت ، وأدركت ، وأتت .

تَحُلُّ مَعاقِلَ أرسانِها ، إذا ما أشاحت ، بَعيدٌ مداها[1]

تَبيدُ الأَوابِدُ في بيدِها إذا هي مَدَّت لبُعْدٍ خُطاها[2]

إذا أَدَّرَعتْ بِمُلآءِ السَّرابِ فويلٌ لظِلمانِها أو مَهاها[3]

وأَحمَقَ باغٍ بَغى خُطَّةً على الدِّين شَنعاءَ مُرّاً جناها[4]

وأَبْدى أَكاذيبَهُ ضَلَّةً ، وزورَ الدَّعاوى اللَّواتي افتراها[5]

فخافَ اليمانونَ من بأسِهِ فراغَ إليهِ رَعاعٌ سَفاها[6]

فما زلتَ تَقْتَصُّ آثارَهُ بِحدِّ ظُبىً ليس ينبو شَباها[7]

نواهٍ ، نواهِبُ عُمْرِ العِدى فوارٍ فوارِسُ جمٌّ سُطاها[8]

---

(١) أشاح في الأمر : جَدَّ ، وبوجهه : أعرض .

(٢) الأوابد : الوُحوش واحدُها : آبد وآبدة .

(٣) ادَّرعت : لبست المِدْرعة ، أي قميصها . المِلاء : الأردية جمع مُلاءة ومُلآء ، والظِلمان : جمع ظليم وهو ذكر النعام ، والمها : بقر الوحش مفردها : مهاة .

(٤) الخُطَّة : القصد والهدف ، والجنى : الثمر .

(٥) وردت كلمة ضَلَّة : بالظاء وهو خطأ .

(٦) اليمانون : أهل اليمن ، راغ إليه : مال إليه . رَعاعُ : أوغاد ، طغام . وراع منه (بالعين) فزع . وراع الشيء : رجع

(٧) اقتصَّ : الأثر تتبَّعهُ : ينبو : لا يقطع . الشباة رأس الحسام أو الرمح أو حَدُّهما . الجمع : شبا ، شَبَوات .

(٨) نواهٍ : أصلها نواهب : خففت الباء على الترخيم ، ومثلها فوار : أصلها فوارس . والسُّطا : الفتك .

مَلَكْتَ حُصُونَهُمْ عَنْوَةً وما رَدَّ بأْسَكَ عنهمْ ذَراها[١]

دَلَفتَ إليهمْ ببيضِ السُّيوفِ وأَغْمَدْتَها ، وهي حمرٌ ظُباها

فأَلقَتْ إليكَ مقاليدَهــا الــ أعاريبُ لما نهاها نُهــاها[٢]

رأَتْ ملِـكاً سَبقَتْ جَيْشَهْ جيوشٌ من الرُّعبِ تفري كُلاها[٣]

فمـا منَعتْ بيضُها بِيضَهــا ولا سُمْرُها سُمْرَها إذ سَباها[٤]

وأَخلَتْ معاقِلَهــا خيفَةً وولَّتْ ، كأَنَّ ثُماماً ، قَناها[٥]

وتِلْكَ عَرائِسُ بيضٌ جُلينَ بسُمْرِ العَوالي لَهُ فاجْتلاها[٦]

كسا اليَمَنَ اليُمْنَ إذْ حازَهُ وفيهِ الأَمانيُّ ألقَتْ عَصاها[٧]

---

(١) الذَّرَى « بالفتح » الكَنَف ، الظل ، تقول : أنا في ذرا فلان أي في كنفه . والذُّرا « بالضم » من كل شيء أعلاه ، مفردها ذِرْوة .

(٢) النُّهى : العقل .

(٣) تفري الكُلا : كناية عن شدة القتل .

(٤) البيض الأولى : السيوف ، والثانية : النساء البيض ، والسُّمْر الأولى : الرماح ، والثانية : النساء السمراوات .

(٥) الثُّمام : نبت ضعيف من نباتات البادية . والقنا هنا : الرماح .

(٦) جُلينَ : من جلا يجلو العروس : ألبسهـا وهيأهـا للعرس . واجتلى العروس : عرَضَها مجْلوَّة ، والنصلَ : صقله .

(٧) اليُمْن (بالضم) الخير . والقى العصا : بلغ الموضع وأقام مطمئناً .

فَهَلْ عَدَنٌ بعضُ جنات عَدْنٍ فبُشْرى لِمَن أَمَّها وانتحاها[1]

وما بَرِحَ الشَّامُ سوقاً يشيمُ بروقاً يمانيةً إذ يراها[2]

فجاءَ البِلادَ على غُلَّةٍ مجيءَ العِهادِ فروَّى صَداها[3]

وأَصبحَتِ الأَرضُ بعْدَ الجُدُوبِ تَبَخْتَرُ في كِلَلٍ من كَلاها[4]

وأَرْعى الرَّعِيَّةَ عدْلاً إلى الدُّعاءِ له كُلَّ وقْتٍ دَعاها

وكَمْ عَزْمَةٍ لَكَ شاذيَّةٍ إلى المَجْدِ تأْويبُها أَو سُراها[5]

مَنَحْتَ بها الدينَ فَتْحاً مُبيناً فكَمْ من بلاد أَعادٍ دَهاها

وصُنْتَ بِها حَرَمَ اللهِ والحِجازَ وكَعْبَتَهُ عَنْ أَذاها

أَياديكَ غُرٌّ فوَبْلُ الصَّبيرِ تلا الطَّلَ عندَ توالي نداها[6]

---

(١) عَدَن : المدينة المعروفة في اليمن (الجنوب العربي) وعَدْن : هي الإقامة والدوام ، وأمَّها : قصدها ، وانتحاها : جاء ناحيتها وقصدها .

(٢) شام البرقَ : نظر إليه أين يقصد ، وشام سيفه : أغمده واستلّه (ضدّ).

(٣) الغلة : العطش ، والعِهاد : مواقع المطر في أوله . والعَهْدة والعِهْدة (بالفتح والكسر) : أول المطر ، أو المطر بعد المطر . والصدى : العطش .

(٤) الجُدوب : المحل ، والكلل جمع كلّة : وهي خيمة من النسيج للمرأة ، وكلاها : بتخفيف الهمزة هي . الكلأ أي النبات .

(٥) التأويب والسرى : الرجوع والسرى سير الليل .

(٦) الصَّبير : السحاب الأبيض المتراكم الذي لا يبرح ، جمعه : صُبُر . —

فَلَمْ نَكُ نقصِدُ يوماً سِواهـا ولم تَكُ تَعْرِفُ يوماً سوى ، ها[1]

حنانَيْكَ أَنْتَ المليكُ اللُّبابُ ملَكْتَ المعالي بأَقْصى مداها[2]

فَكُلُّ المُلوكِ عَبيدٌ لدَيْكَ وأَنتَ فسَيِّدُهـا عن رِضاها

ولِمْ لا تكونُ عَبيداً لِمَنْ مَتى افْتَخَرَتْ بالمعالي شآها[3]

تقبِّـلُ بُسْطَكَ أَفواهُهـــا مُعفِرةً في التُّرابِ الجِباها[4]

فكَمْ ساغِبٍ ثَمَّ بوَّأْتَـهُ ضُروعَ المُنىٰ حُفَّلاً فامْتراها[5]

فيمْناكَ يُمْنٌ ويُسْراكَ يُسْرٌ وكفَّاكَ إذْ ذاكَ ، كَفَّا أَذاها

— والوَبْل : المطر الشديد : جاء في القرآن الكريم سورة البقرة « فإن لم يصبها وابل فطلّ » . وقال الشاعر ابن النبيه :

قليلُ الوصل ينفعها فإن لم يصبهـا وابِلٌ منه فطلُّ

والطل هو الندى .

(١) سواها الأولى : غيرها ، وسوى ها وها : هنا اسم فعل أمر بمعنى خذ .

(٢) اللباب : الأصيل .

(٢) وشآها : ارتفع فوقها ، من الشأو ، وسبقها علواً .

(٤) عفّر الجباه : ألصقها بالعَفَـر ، والعفر هو التراب .

(٥) حفّلاً : ممتلئة ، وامترى حلَب ومَرى النـاقة مرياً . مَسَح ضرعها لتدرّ . وماراه مماراة ومراءً : جادله . وأمرت الناقة إمراءً : درّ لبنها .

أرانا نداكَ أتيَّ الفُراتِ ثِماداً غدا طامِياً جانِباها[1]
حَوَيْتَ كُنوزاً من المالِ لَمْ يَكُنْ قبلُ قارونُ يوماً حواها[2]
وأَفْنَيْتَهـا بِيَدٍ لم تَكُنْ تُخَيِّبُ مَنْ بِسُؤالٍ عَراها[3]
أَقَلُّ عبيـدِكَ في جُودِهِ فَتىٰ طَيِّءٍ حاتمٌ إنْ تباهىٰ
فأبنـاءُ أيّوبَ قـدْ أصْبَحَتْ كأَسباطِ يعقوبَ إذْ لا تُضاهىٰ
رُعاةُ الأنامِ إذا ما السَّوامُ رَعىٰ سِرْبُهُمْ قَبلَها مَنْ رَعاها
مُلوكٌ أجاروا على دَهْرِهمْ وبذَّتْ أياديهمُ مَن سواها[4]
أكُفُّهُمُ السُّحبُ يَهمي جَداهـا وفيها الصَّواعِقُ تُصمي عِداها[5]

---

(١) الأتيّ : السيل ، قال المتنبي :

وأقدمت إقدام الأتيِّ كأنَّ لي سوى مهجتي أو كان لي عندها وِتر

والثِّماد ، والثَّمْدُ والثَّمَدُ : الماء القليل . أو ما يظهر في الشتـاء ويذهب في الصيف ، وطامياً : من طمى يطمو طموّاً النهر : امتلأ فهو طامٍ .

(٢) وردت قافية هذا البيت في الأصل « هواها » بالها ، وقد رأينا أن الصحيح أن تكون بالحاء من حوى « حواها » ومطلع البيت يؤيد ذلك .

(٣) عرَى : غَشيَ طالباً المعروف ، وقصد .

(٤) بَدَّ « بالدال » فـلاناً : أبعدَهُ ، وكفَّه ، وبذَّ « بالذال » : غلَب ، والمعنيان جائزان ، وقد وردت الكلمة بالدال المهملة .

(٥) الجَدا : العطيَّة ، والمطر العام .

إذا غَطَشَ البَأْسُ كانوا مَنايا وإنْ عَطِشَ الناسُ كانوا مياها[1]

مُلوكٌ بَنَوْا شَرَفاً باذخاً فقدْ شُيِّدَتْ بالمَعالي بُناها

فَكَمْ مَعْشَرٍ فيكَ لم يَشْعُروا فَقَدْ فُتِحتَ بِلُهاهـا لَهاها

هُمُ القَوْمُ ما حـارَبوا أُمَّةً من الناسِ إلاَّ وتَبَّتْ يداها[2]

فَلَوْ نازَعَتْهُمْ نجومُ السَّماءِ لما فاتَ عَزْمَهُمُ شِعْرَياها[3]

فدامَتْ على الدَّهْرِ أيّامُهُمْ دواماً تطـاوِلهُ مِرْزَماها[4]

وقال يمدَحْ قاضي القضاة مُحيي الدين بن زكيّ الدين رَحِمَهُ الله[5]

إلمامُ طَيْفٍ شَنيبِ الثَّغْرِ ألْماهُ أحيي قتيلَ هَواهُ حينَ حيّاهُ[6]

طَيفٌ أَلَمَّ ولمّا يَدرِ صاحِبُهُ أَحْسِنْ بِهِ ، وبِمُهديهِ ومُهْداهُ

(١) غَطَشَ : أظلَمَ وقد وردت الغين مهملة دون نقط ، ونرجح أن يكون هذا هو القصد والكلمة الثانية في الشطر الثاني هي عَطِش : ظمئ .

(٢) تَبَّت : قُطِعت ومنها الآية الكريمة « تبت يدا أبي لهب » وتبَّ أيضاً : هلك .

(٣) الشّعريان : كوكبان ، مفردهما : الشّعريان ، ويقال لهما أيضاً : المِرْزمان . الشعرى الأولى : العَبور والثانية : الغميصاء .

(٤) المِرْزمان : واحدهما مِرْزم ، وهما كوكبان أيضاً .

(٥) وردت ترجمته فيما سبق .

(٦) شنيب : بارد ، ألماه : أسمر الثغر .

سَرى إلى الشام من بَغْدادَ مُعْتَسِفاً   واللَّيْلُ معتكِرٌ بُعْداً لِمَسْراهُ[1]
داسَ الأَفاحِيصَ والأُدْحيَّ مُبتسِماً   لم يَشْكُ أَيْناً ولم يَسْهَمْ مُحَيَّاهُ[2]
صافَحْتُهُ ولثَمْتُ الثَّغْرَ مُرْتَشِفاً   ففي يدي وفمي كالمِسْكِ رَيَّاهُ
مُذْسارَ ، أَسأَرَ ما بينَ الضُّلوعِ أَسىً   وأَوْدَعَ القَلْبَ بالتَّوديعِ بَلْواهُ[3]
وأَحْمرُ الخَدِّ مَعسولُ المَراشِفِ معـــشوقُ المعاطِفِ لَمْ يَنْبُتْ عِذاراهُ[4]
حيّا براحٍ وما النَّاجودُ غيرَ فَمٍ   منهُ وعاصِرُ تِلْكَ الرَّاحِ ، خَدَّاهُ[5]
وماجَ كالغُصْنِ فَوْقَ الدِّعْصِ قامَتُهُ   ولاحَ نَوْرُ أَقاحٍ من ثَنـاياهُ[6]
مُجَرَّحُ الخَدِّ باللَّحْظِ الخَفِيِّ فما   يُوسى ، وأَنّى ، ووَحيُ اللَّحْظِ أَدْماهُ[7]

---

(١) وردت كلمة « أبعد » على وزن أفعل والمقصود بها كما نرى : بُعداً لمسراه ، وقد وضعت الألف قبل الكلمة بدلاً من أن تكون في آخرها ، لأننا لم نعثر على صيغة « أبعد لمسراه » كما وردت في الأصل ، ويجوز أن يكون الأصل أيضاً : يا بعدَ مسراه .

(٢) الأفاحيص مفردها : أفحوص وهو مكان تضع القطـــاة فيه بيضها ، والأدْحيّ : مفرد أداحي ، وهو المكان الذي تضع النعامة فيه بيضها : سَهَمَ الرجُلُ يَسْهَمَ ، وَسهُمَ يَسهُمُ : تغير لونُه ، وعبس وجهه .

(٣) سأر وأسأر : أبقى ، وسئِر الشيء : تبقى ومنه المثل (إذا شربتَ فأسئِرْ).

(٤) العذار : جانبا اللحية .

(٥) الناجود : الخمر ، ووعاؤها والزعفران والدم وجمعه : نواجيد .

(٦) الدِّعص : قطعة من الرمل مستديرة وهو الكثيب .

(٧) يُوسى : يُداوى .

تَكادُ تَنْهَبُهُ الالحاظُ لَوْ قَدَرَتْ لكِنْ لِهَيْبَةِ مرْآهُ تحـــاماهُ

كذلِكَ الشَّمْسُ تُعْشي عَينَ ناظِرِها والطَّرْفُ مُغْضٍ وفي الإغضاءِ إكْراهُ

للْغُصْنِ هزَّتُهُ ، والشَّمْسِ طَلْعَتهُ ، والمِسْكِ نَكْهَتُهُ ، والرِّيمِ عيناهُ

كذاكَ لم يُلْفَ مَوْلىً سَيِّدٌ يَقِظٌ إلاَّ ومولايَ مُحْيي الدينِ مَوْلاهُ

فتىً رقى مِنبَرَ العَليـاءِ مُنْذُ نَشا فأَدْرَكَ المَجدَ ، أَدناهُ وأَقْصاهُ

ولم يَغِضْ ماءُ بِشْرٍ من أَسِرَّتِهِ وكمْ خطاب امرِىءٍ أَبداهُ فَحواهُ[(١)]

فَلِلْمُعـادينَ والحُسَّادِ بُؤساهُ ولِلْموالينَ والقُصَّـــادِ نُعْمـاهُ

لَمْ يَشْكُ عُدْوانَ صَرْفِ الدَّهرِ مِنْ أَحدٍ

إلاَّ إلَيْـــهِ ، وأَشْكاهُ وأَعْداهُ[(٢)]

ولَمْ يَلُذْ خامِلٌ إلاَّ بِعقْوَتِهِ إلاَّ وعافاهُ مِمّا كانَ عَفّاهُ[(٣)]

ولا دَعاهُ أَخو حاجٍ يُؤَمِّلُهُ إلاَّ بِما يَرْتَجيـــه مِنْهُ لَبّاهُ[(٤)]

---

(١) أبداه فحواه : محتواه وما كتب فيه .

(٢) من أحدٍ : حرف الجر هنا زائد ، أي : لم يشكُ أحدٌ إلا إليه ، أشكاه : سمع شكواه وساعده ، وأعداه : نصرَه .

(٣) العَقْوَة : ما حول الدار والساحة والمحلة وهو أيضاً : شجر . عفّاه : أهلكه . قال الحريري :

عافانِيَ اللهُ وشكراً له من عِلَّة كادت تُعَفّيني

(٤) الحاج : جمع حاجة .

لَوْلاهُ لَمْ تَكُنِ ٱلآدابُ نافِقَةً ولا أتىٰ أهلَها مالٌ ولا جاهُ
غَذَاهُ ثَدْيُ ٱلْعُلىٰ طِفْلاً لِبانَ نَدىً فَصارَ طَبْعاً ، وَحِجْرُ ٱلْمُلْكِ رَبّاهُ[1]
يَا مُحْيِيَ ٱلدينِ وٱلآدابِ لا جرَتِ ٱلأَفْلاكُ إلاّ بِما تَهْوىٰ وتَرْضاهُ
إنَّ الرَّحيلَ الّذي أَصْبَحْتَ تُزْمِعُهُ هوَ الذي كُنْتُ عِنْدَ ٱلْقُرْبِ أَخشاهُ
وكلُّ مَنْ سَرَّهُ ذاكَ ٱلْقُدومُ علىٰ شَوْقٍ إِلَيْكَ ، فَذا التَّوْديعُ أبكاهُ
وهٰكَذا الدَّهرُ ما أَصفىٰ مَشارِبَهُ إلاَّ وكَدَّرَ ما قَدْ كانَ أَصفاهُ[2]
أَنتَ ٱلْحَيا فَتىً ما حَلَّ في بَلَدٍ أَماتَهُ ٱلْجَدْبُ ، أَحياهُ بِجَدْواهُ
لا تَأْمَنُ ٱلْعُلَماءُ ٱلْخَوْضَ في خَطأٍ إلاَّ إذا ما تَوَخَّوْا ما تَوَخّاهُ
ولا يُطيقونَ أَنْ يَأْتوا بِنادِرَةٍ بَديعَةِ الوَصْفِ إلاَّ وهِيَ إنشاهُ
فَلا مَحامِدَ إلاَّ مِنْ مَكارِمِهِ ولا مَحاسِنَ إلاَّ عَنْ سَجاياهُ
ولا فَرائِدَ إلاَّ مِنْ عِبارَتِهِ ولا فَوائِدَ إلاَّ مِنْ عَطاياهُ
ولا جَدى المُزْنِ إلاَّ فَيْضُ نائِلِهِ ولا شَذا ٱلْمِسْكِ إلاَّ طِيبُ رَيّاهُ
لا زالَ نَيْلُ أَمانيهِ مُحالِفُ يُمْناهُ ، وكالِئُهُ ، أَنّىٰ ثَوى ، ٱللّهُ

---

(١) لبنَه : سقاه اللَّبن ، واللِّبان : « بكسر اللام » الرضاع ، والحَجْر « بفتح الحاء » الحِضْن ، والكَنَف .

(٢) في هذا البيت التفات لقول المتنبي في الدهر :

ربما تحسن الصنيعَ لياليهِ ولكن تُكدِّر الإحسانا

وقال :

بِاللهِ ، رَبِّكُما ، سَلاهـا رِفْقاً بِقَلْبٍ مـا سَلاها
بِأَبي فَتـاةٌ وَجْهُهـا لَمْ يُبْقِ لِلْقَمَرَيْنِ جاها
مـا ٱلْغُصْنُ إِلاّ قَدُّهـا مَا ٱلْوَرْدُ إِلاّ وَجْنَتاها
جَحَدَتْ دَمي ظُلْماً ولـكِنْ ناظِراها ناظِراها
لَوْ أَنَّها بَرَزَتْ لِقَرْ نِ الشَّمْسِ أَخْجَلَهُ سَناها
بَلْ لَوْ رَأَى فاها عَــذُولي لَمْ يَكُنْ بِالعَذْلِ فاها
مـا ظَبْيَـةٌ في رَوْضَةٍ بِٱلحَزْنِ ناشِدَةً طَلاها[1]
رِيعَتْ لِنَبْأَةِ قانِصٍ أَهوَى إِلَيْها وٱنْتَحاها[2]
يَوْماً بِأَحْسَنَ مَنْظَراً مِنها ولا خِشْفٌ تَلاها[3]
كالجِيْدِ مِنْها جِيدُها وكَمُقْلَتَيـهِ مُقْلَتـاها[4]
ما شاقَ أَنفُسَنـا إِلىٰ ذُلِّ ٱلْهَوانِ سِوى هَواها
بَيْنا أَقولُ لِعَيْشِنا : واهاً لَهُ ، إِذْ قُلْتُ : آها

---

(١) الحَزْن : الغليظ ، ناشِدَة : طالبةً ، باحثة عن . والطَّلا « بفتح الطاء » ولد الظبية .

(٢) ريعت : خافت ، النبأة : الصوت الخفي ، انتحاها : قصد إليها .

(٣) منظراً : وردت في الأصل محركة بالكسر وحقهـا النصب تمشياً مع معنى الأبيات ، والخشف : ولد الغزالة ، وتلا : تبع ولحق .

(٤) هـذا المعنى مطروق ومبثوث في الشعر العربي وخاصة عند مجنون ليلى والشعراء العذريين .

حرف اللام ألف

قالَ يَمدَحُ أَهلَ ٱلْبيتِ صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِم أجمَعين :

أَشاعُوا ، في غَدٍ يَبْغي الرَّحيلا ، فَخَدَّ الدَّمعُ في خَدّي مَسيلا[1]
فَأَضحَوْا والْمَطِيُّ لَهُ رُغاءٌ وشُعْثُ ٱلْخَيْلِ أَعلَنَتِ الصَّهيلا[2]
وقَدْ رَفَعوا ٱلْجِمالَ عَلى جِمالٍ وبِالعُشّاقِ ، ما فَعَلوا ، جَميلا
فَكَم حازَتْ هَوادِجُهُنَّ رِدْفاً ثَقيلاً جاذَبَ ٱلْخَصْرَ النَّحيلا
وطَرْفاً فاتِراً غَنِجاً كَحيلاً وخَدّاً سافِراً ضَرِجاً أَسيلا[3]
وفيهِمْ غُصْنُ بانٍ تَحْتَ شَمْسٍ مُحَيِّيَةً ضُحاها والأَصيلا
أَغَنُّ مُعقرَبُ الصُّدْغَيْنِ يَجْلو حَبابَ الثَّغْرِ إِذْ يَعْلو الشَّمولا[4]
وساروا يَقْطَعونَ الأَرْضَ وَخْداً وقَدْ جَمَعوا مَعاً الوَخْدَ الذَّميلا[5]

---

(١) خدَّ : حفر أخدوداً .

(٢) الرُّغاء : صوت الإبل ، والصهيل : صوت الخيل .

(٣) الضَّرِج : المضرَّج أي الملوَّن بحمرة . والأسيل : الأملس المستوي .

(٤) الأغن : الذي في صوته غُنّة ، ومعقرب : معوج كالعقرب ، والشمول : الخمرة .

(٥) الوَخْد والذميل : نوعان من سير الإبل .

فَعُدْتُ وقُلْتُ : كَمْ هذا التَّصابي فَمَا اْقتادَ الْهَوى إِلاَّ جَهولا

إِلىٰ كَمْ يَسْتَفِزُّ الْمَيْنُ شِعْري سَأَصْدُقُ فِي الْقَرِيضِ الآنَ قِيلا[1]

وأَرْجو عَفْوَ رَبِّي في مَعادي عَسى أَنْ يَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَميلا

وأَمْــدَحُ سادَةً فيهِمْ مَديحي يَكونُ إِلىٰ رِضى اللهِ السَّبيلا

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْــدِ اللهِ خَيْرُ الأَنامِ إِذا هُمُ اْفْتَخَروا قَبيلا

رَسولُ اللهِ بِالقُرْآنِ وافىٰ فَكانَ أَجَلَّ مَبْعوثٍ رَسولا

نَبِيٌّ آلُهُ هُمْ خَيْرُ آلٍ وأَكْرَمُهمْ وأَغْزَرُهُمْ عُقولا

فَمَدْحُهُمُ لَدَيَّ أَراهُ فَضْلاً ومَدْحُ النَّاسِ كُلِّهِمُ فُضولا

هُمُ الْقَوْمُ الأُولىٰ سادُوا وجادُوا وهُمْ أَزْكى بَنِي الدُّنْيا أُصولا[2]

هُمُ حِصْني الْحَصينُ ولَيْسَ خَلْقٌ سِواهُمْ لي ، غَداً ، ظِلّاً ظَليلا

وهُمْ يَوْمَ الْمَعادِ لَنا غِياثٌ بِهِمْ نَرْجو إِلَى الْفَوْزِ الْوُصولا

وهَلْ أَحَــدٌ بِمَكْرُمَةٍ يُسامي

(أَبا حَسَنٍ) و (فاطِمَةَ) الْبَتولا[3]

---

(١) المَيْن : الكذب ، ويبدو أن الشاعر قال هذه القصيدة في أخريات أيامه وعلى سبيل التوبة .

(٢) الزكيّ : النامي .

(٣) أبو حسن : كنية سيدنا علي بن أبي طالب ، وفاطمة البتول : العذراء الشريفة وهو لقب السيدة فاطمة ابنة النبي ﷺ .

وَهَلْ مِنْ خَمْسَةٍ يَوْماً سِواهُمْ أَتَمُّوا سِتَّـةً مَعْ جَبْرَئيلا[1]

بِهِمْ في ٱلْجَدْبِ نَسْتَسْقِي فَنُسْقَى وَيَصْرِفُ رَبُّنا عَنَّا الْمحولا[2]

أَلَمْ يَكُ ٱلاِبْتِهـالُ بِهِمْ قَدِيماً عَلَى تَعْظِيمِ شَأْنِهِمُ دَليلا

(عَلِيٌّ) هازِمُ ٱلأَحزابِ قِدْماً وقَدْ هاجَتْ لَهُ ٱلْهَيْجا ٱلذُّحولا[3]

هُناكَ رَمى ٱلرُّءوسَ عَنِ ٱلهَوادي وأَسْمَعَ سَيْفُهُ ٱلْجَمْعَ الصَّليلا[4]

وقَطَّعَ (ذُو ٱلْفَقـارِ) فَقارَهُمْ بِالظِّباةِ، ولا فُلولَ، ولا كُلولا[5]

---

(١) الخمسة : هم سيدنا محمد (ﷺ) وسيدنا عليّ والحسن والحسين وفاطمة، وجبرئيل : هو جبرائيل عليه السلام من الملائكة العظـام، وقد قصرت الراء فيه لضرورة الوزن .

(٢) المُحول : مصدر مَحَل محلاً ومحولاً .

(٣) عليّ : هو سيدنا علي بن أبي طـالب، والأحزاب : هم المشركون حين اجتمعوا لقتال النبي (ﷺ)، الذحول : جمع ذَحل : الثأر .

(٤) الهوادي : الاعناق، والمتقدم من الشيء وخاصة من الإبل، قال ابو تمام :

كُفي وغاكِ فانني لك قالي ليست هوادي عزمتي بتوالى

والتوالي عكس الهوادي : الأخيرة . والصليل : صوت السيوف .

(٥) الفَقار (بفتح الفاء) ما تنضَّدَ من عظام الصلب وهو خرزات الظهر، وذو الفَقـار سيف العاص بن منبه الذي قتل يوم بدر ثم لُقب به سيف الإمام عليّ، وقد قال الشاعر حول ذلك :

لا سيف إلا ذو الفَقار ولا فتى إلا علي

الفلول : جمع فلّ، وهو الجيش المتراجع المنهزم : والكلول : جمع كلّ، المتعب المُعيي، والأصل أن يطلق على الواحـد وغيره ولكن بعض العرب يجمع المـذكَّر والمؤنث منه على كُلول . والكلول أيضاً : مصدر كلّ يكِلُّ كلاًّ وكِلّةً وكلالاً وكلولاً وكلالة وكلولة .

(عَلِيٌّ) غادَرَ ٱلأَبطالَ صَرْعى وأخرَسَ عَنْ شَقاشِقِها ٱلْفُحولا[1]

وهَلْ أَحَدٌ يُساجِلُهُ بِعِلْمٍ أَيُغْلَبُ عِلْمُ من وَرِثَ الرَّسولا[2]

وكَمْ لاقى العِدى ، فأسالَ مِنْهُمْ بِصارِمِهِ دِماءَهُمُ سُيولا

أَتى بِرَحيبَةِ الفرغَيْن في مَرْحَبٍ قِدْماً فأُوتِيَ منه سولا[3]

وكَمْ لاقاهُ جبّارٌ عزيزٌ فصارَ لديْهِ خَوّاراً ذَليلاً[4]

(عليٌّ) طَلَّقَ الدُّنيا ثَلاثاً وما حابى أَخاهُ بها (عقيلا)[5]

---

(١) شَقاشِق : جمع شقشقة : شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج ، والشقشقة ، الفصاحة في الخطابة . وفي نهج البلاغة خطبة شهيرة لسيدنا علي تدعى « الشقشقية » وقد وردت هذه الكلمة بالسين المهملة بدلاً من الشين . والفحول : هي الجمال الأصيلة .

(٢) يشير الشاعر إلى حديث النبي (ﷺ) بحق سيدنا عليّ « أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها »

(٣) الفرغ : الدلو ، والرحيب : الواسع ، والفرغ أيضاً مصب الماء من الدلو ، ومات فرغاً : هدراً وقد تكون الكلمة الفرعين : من الفرع وهو مجموع الشعر . ومَرْحَب : صاحب حصنٍ مشهور غزاه سيدنا عليّ ولهذه الغزوة قصة موضوعة . والسول : هو السؤل أي القصد والنهاية .

(٤) الخوّار : الجبان من الخوَر : الجبن من خوِرَ خَوْراً وخؤوراً : ضعف وانكسر .

(٥) يشير الشاعر إلى ما ورد في نهج البلاغة من كلام سيدنا علي :« يا دنيا إليك عني غُرّي غيري ، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها » وعقيل : هو أخو سيدنا علي أكبر منه بعشر سنين ، ويشير إلى القصة التي طلب فيها المال من عليّ فأحضر له حديدة محماة وكان عقيل كفيفاً فلما اراد أخذ المال قبض على الحديدة فصاح من ألمه .

تَوَلّاها وفارَقَها حَميداً   ولَمْ يُظْلَمْ بها أحدٌ فتيلا[1]

ألهفي «لِلْحُسَيْنِ» غَداةَ أَضْحى   هناكَ «بِكَرْبَلا» شِلواً قتيلا[2]

يُمَزَّقُ جِسْمَهُ دَوْسُ المذاكي   وقدْ أَعْلَتْ وَلاياهُ العَويلا[3]

شَكا ظماً ، فما عطفوا عليهِ   ولا أَلْوَوْا ولا أَرْوَوْا غليلا[4]

أيا ماءَ الفُراتِ نَضَبْتَ ماءً   لِأنَّكَ منهُ لم تشْفِ الغَليلا

رَسولُ اللهِ سَمّاهُ «حُسَيْناً»   وقَبَّلَ ثَغْرَهُ زَمناً طَويلا[5]

سَيَشْقى الظّالِمونَ بهِ ويُسقى   الوُلاةُ المؤمِنونَ السَّلْسَبيلا

مُحِبّوهُمْ ببُغْضِهِمُ سواهُمْ   عَدِمتَهُمُ ، لقدْ ساءوا سبيلا

سوى القومِ الأُلى قَتَلوا «حُسَيْناً»   وسبُّوا صِنوَ (أَحْمَدَ) والخَليلا[6]

---

(١) الفتيل : حبل دقيق من ليف يرمز به إلى الشيء التافه ، فيقال : ما أغنى عنك فتيلا أي شيئاً .

(٢) يشير الشاعر هنا إلى مقتل الحسين في كربلاء وقد كتب البيت إلى جانب الأبيات لسقوطه سهواً من النسخ ، وكلمة هناك مطموسة وقد قدرناها تقديراً بما يلائم المعنى .

والشِّلْو : العضو من الإنسان ، والجمع اشلاء ، كناية عن الموت .

(٣) المذاكي : الجياد ، والولايا جمع وليّة ، وهي القريبة وابنة العم . والعويل : والبكاء .

(٤) ألوى : التفت ، ووقف وانتظر .

(٥) يشير إلى قصة تسمية النبي (ﷺ) للحسين وتقبيله ثغره في قصة معروفة .

(٦) الصِّنْو : المثيل والقرين . والقصد أن سيدنا علي هو صِنْو الرسول (ﷺ) وخليله ويشير الشاعر إلى أن محي آل البيت يجب أن ينحصر بغضهم في الذين قتلوا حسيناً وشتموا علياً وحدهم دون غيرهم .

ومدحُهمُ أَتَى في (هلْ أتى) مُحْكَمــــاً مدْحاً كَثيراً لا قليلا[1]

وليسَ العُرْوَةُ الوُثقى سِواهُمْ فكُنْ مُسْتَمْسِكاً، براً، وَصُولا[2]

وإنّي سَوْفَ أُدْرِكُ في مَعادي بِمَدْحِ بَني رسولِ اللهِ سولا

صَلاة اللهِ ، خالِقِنـا ، عَلَيْهِمْ غُدُوَّ الدَّهْرِ، تترى، والأَصيلا[3]

وقال أيضاً :

قُلْتُ لمَّا أزمَعَ الحَيُّ الرَّحيلا أيُّها الحادي بِهِمْ رِفْقاً قليلا

قِفْ رُوَيداً ، بالمطايا ساعَةً وَدَعِ الوَخْدَ وإيَّاكَ الذميلا

وتأنَّ الآنَ واعْدُدْ أنَّهـــا مِنكَ نَيْلٌ ،ليسَ بِدْعاً أَنْ تنيلا[4]

إنَّ في الأَظْعانِ أقمارَ دُجىً وشُموساً ، أَلِفَتْ ظِلاًّ ظَليلا

بِأبي سوقٌ خِدالٌ ناعِمــاتٌ وخُصورٌ حملتْ عِبْئاً ثَقيلا[5]

---

(١) يشير هنا إلى سورة « الدهر » التي وردت فيها آيات عدة بحق آل البيت .

(٢) العروة الوثقى : يشير الشاعر إلى أهل البيت وهناك القول القائل بأن من أحب آل البيت فقد استمسك بالعروة الوثقى .

(٣) تترى : متواترة ، متكررة .

(٤) تأنَّ : وردت هكذا بالألف المقصورة وحق هذه الألف أنْ تحذَف . والنَّيْل : العطاء .

(٥) خدلَت الساق تخدَل خدَلاً : كانت خدْلة . الخَدْل : الممتلىء وجمع خَدْلة : خِدال .

فيِ الخُصورِ الهيفِ جالت وُشُحٌ   لَطُفَتْ والسُّوقُ غُصِّصنَ الحُجولا[1]

مُسْتَقِلاَّتٌ بأَعجازٍ ضِخامٍ   كلُّ رِدْفٍ مُتعِبٌ خصراً نحيلاً[2]

فَلَئِنْ مِيطَتْ لنا السُّجْفُ عَنِ الـــغيدِ للتَوْديع ودَّعنا العُقولا[3]

وغَدَونا كُلُّنـــا نَحْسَبُ مِن   سُكْرِهِ ، عُوطِيَ اسفِنطاً شمولا[4]

عِندَها ، لسنا نَرى إلاَّ قَتُولاً   صَرَعَتْ أَجْفانُها المَرْضى قتيلا[5]

رَبَّةَ البُرْقُعِ ، عُوجي عَوْجَةً   وأَميطيهِ لكَيْ نشْفي غَليلاً[6]

وعَسىٰ طَرْفُكِ إذْ أَضْحى عليلاً   أَنْ يداوي سِحْرُه الصَّبَّ العَليلا[7]

إنَّ في فيكِ له برءاً وشيكاً   إن غَدا يَرْشِفُ منه السَّلسبيلا

قالَتِ اعْزُبْ، وَيْكَ، لا تطْمَعْ فكَمْ   طَمَعٍ من عاشِقٍ أَرْدى قتيلا

---

(١) الخصور الهيف : الرقيقة ، والوشح : جمع وشاح وهو نسج مرصع تشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها ، وغصَّصَ : ضيَّق من أغصّ ، والحجول ، ما يلبس في الساق للزينة كالأساور .

(٢) الأعْجاز : جمع عَجُز وهو مؤخر الشيء .

(٣) ماط يميط : أزاح وأبعد .

(٤) الإسفنط والشمول : من أسماء الخمرة .

(٥) القتول المرأة الجميلة .

(٦) البرقع : الحجاب يوضع على الوجه عند النساء . وعوجي : مُرّي ، والعوجة : المرَّة .

(٧) سقطت الواو في الأصل من كلمة « يداوي » ثم كتبت فوق الياء .

فَعَقيلاتُ بني (عُذْرَةَ) كم سَلَبَتْ بالحُسنِ والدَّلِّ عُقُولا[1]

كُلُّ هَيفاءَ رداحٍ طَفْلَةٍ حُسْنُها للحُسنِ في الخَلقِ هَيُولا[2]

ولَعَمْري إنَّ قلبي مِنك في لَوْعَةٍ أَلقَتْ به الداءَ الدَّخيلا

غَيْرَ أنَّ الخوفَ من غَيْري بنـي العَمِّ قد أَلزَمَني عنك الذُّهولا

ما ترىٰ السُّمرَ العَوالي شُرَّعاً وعِتاقَ الخيلِ يُعْلِنَّ الصَّهيلا

والمواضي يَتَلَمَّظْنَ سِماماً والعَوالي يتـأَطَّرْن ذُبولا[3]

والدُّروعَ السَّابِرِياتِ أَفاضتْ غُدُراً تَبْغي على الخَيْلِ مَسيلا[4]

وبني العَمِّ مُشيحينَ إلى الحَـربِ يَدْعونَ رَعيلاً فَرَعيلا[5]

---

(١) عقيلات : كتبت بالتاء المربوطة وهو خطأ ، وبنو عذرة : قبيلة اشتهرت بالعشق .

(٢) الرَّداح : الثقيلة الأوراك ، والهَيولا والهَيُّولى « بتشديد الياء » لها معانٍ مختلفة كثيرة وأجمعها أنها : الأصل أو الجوهر للجسم وهي اصطلاح يوناني .

(٣) لَمظَ : أخرج لسانه فتتبع بقايا الطعام على شفتيه . وتلمظ على فلان : ملأه غيظاً ، والسِّمام : جمع سُمّ « مثلثة » . وتأطر : اعوجَّ .

(٤) السابريات : الدروع الدقيقة النسج ، قال المتنبي :

نفذت عليَّ السابريَّ وربَّما تندقُّ فيه الصعدة السمراء

وتشبه الدروع بالغُدُر أي المياه الجارية .

(٥) أشاح فلانٌ على حاجته : جدَّ وجهد وحَذِر . والرعيل : جماعة الخيل ، والجمع : أرعال .

وَمَتى ما يَدْعُ باسمي ، مُسْتَعيرٌ   أَغْضَبَ الشُّمَّ العَرانينَ الفُحولا[١]

واشْتَعَلَّتْ بالقنـــا أُسْدُ وَغىً   تَمْلَأُ الحَزْنَ خُيولاً والسُّهولا[٢]

في اقتِحامٍ يَمْلَأُ الأُفْقَ قتاماً   ومَقامٍ يَمْلَأُ السَّمْعَ صَليلا

وكُماةٍ ، لا ترى إلا جَواداً   مِنهُمُ بالمالِ ، بالعِرْضِ بخيلا

فهُمُ ، لو صدموا يوْماً ، ثبيراً   لأَعادوهُ كثيباً ما ، مَهيلا[٣]

لمْ يَزالوا شاهِري أَسيافِهِمْ   لِنزالٍ أَو لِأَنْ يقْروا نزيلا

وقال :

رَمَيْت فَلَمْ تُخْطِ السِّهامَ الشَّواكِلا   أَجدْتَ فطبَّقْتَ الكُلا والمَفاصِلا[٤]

أَجدْتَ ، فيالله دَرُّكَ ، شاعِراً   يُرى قائِلاً للمكرُمات وفاعِلا

---

(١) والعرانين : الأنوف . والشمّ : المرتفعة ، كناية عن الأنفة والعزّة .

(٢) اشمَعَلَّ جدّ في المُضيّ .

(٣) ثبير : اسم جبل في بلاد العرب . و (ما) : التي تلت « كثيباً » ، زائدة .

(٤) الشواكل : من الطرق ، ما انشعب من الطريق الأعظم ، والشواكل أيضاً جمع شاكلة ، المتشابهات . وطبّق السيف المفصل والكلا : أزالها . وإذا أصاب الرجل الحجة قيل : طبّق المَفْصِل .

وقال يهجو الشَرَفَ بنَ عُنَيْنِ :

ابنُ (عُنَيْنٍ) في كل زَندَقـةٍ أمسىٰ وأَضحى فِعالُهُ مَثَلا [1]

لمْ يتنفَّسْ إلاَّ على قدَحٍ ولم يَبِت غَيرَ راكِبٍ كَفلا

وقال يهجو نَصْرَ الطَّبيب :

(نَصْرٌ) طبيبٌ ولكن لم يَعُدْ أَحداً إلاَّ وساقَ إِليهِ طبُّـهُ الأَجَـلا

فَظلَّ يُنْشِدُ والأَسقامُ تَنْهَبُهُ : أَحيا ، وأَيْسَرُ ما قاسيْتُ ما قتلا [2]

كم قائلٍ قال : لولاه ، لما وَجدَتْ لها المنايا إلى أَرواحنا سُبُلا [3]

* * *

(١) ابن عنين : الشاعر المعروف ، معاصر الشاعر .

(٢) هذا الشطر من بيت هو مطلع قصيدة للمتنبى :

أحيا وأيْسَرُ ما قاسيْتُ ما قتلا والبَين جار على ضعفي وما عدَلا

(٣) وهذا البيت أيضاً مأخوذ أكثره من بيت للمتنبي ومن القصيدة ذاتها :

لولا مفارقةُ الأحباب ما وجدَت لها المنايا إلى أرواحنـا سبلا

حرف الياء

وقال يمدح الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف رحمهما الله ويصف دمشق :

أَنْشُرْ حديثاً قديماً كنتَ تطويهِ   وأَبدِ ذِكرَ حبيب كنتَ تُخْفيهِ
ولا تُعرِّضْ ، وصرِّحْ ، لا بتوريةٍ   ولا تُمَرِّض وصحِّحْ لا بتمويهِ[1]
إنَّ الحبيبَ الذي هامَ الفؤادُ بهِ   هامٍ لهُ دَمْعُ عيني إذْ أُسَمِّيهِ[2]
في ناظِرَيْهِ وفي فيهِ لناظِرِهِ   ما لا يَلومُكَ يوماً لائمٌ فيهِ
للوَردِ والدُّرِّ خَدّاهُ ومَبْسِمُهُ   ولِلرُّدَيْنيِّ ، مهتزّاً ، تثنيهِ[3]
وَللأَقاحِ وللتُّفَّاحِ مَبْسَمُهُ   وخدُّه وامتياحي الرّاحَ من فيهِ[4]

---

(١) التعريض : هو التلميح ، والتورية : أن يطلق لفظ له معنيان أحدهما قريب والآخر بعيد فيراد البعيد منهما ويورّي عنه بالقريب كما تسمى التورية إيهاماً ، وموّه : مزج الحق بالباطل ، زخرف .

(٢) هامٍ : من همى يهمي : يتساقط .

(٣) الرُّديني : الرمح المنسوب إلى رُدَيْنة (امرأة كانت تقوم القنا بخط هجر ، وخطّ هذه هي التي تنسب إليها الرماحُ الخطّيّة) .

(٤) امتاح : من ماح الماء مَيْحاً : أي أن يستقي وهو في قعر البئر . ومتح متحاً : أن يملأ الدلو وهو على رأس البئر (الأصمعي) .

مِن مُنصِفي من بَديعِ الحُسْنِ مُعتَدِلِ القوامِ أَحْوى ، كحيلِ الطَّرْفِ شاجيهِ[1]

حُلْوُ المَعاطِفِ مُحْلَوْلي المَراشِفِ مُهْـــتَزُّ الرَّوادِفِ ما يَصحو مِنَ التيهِ

ظَبيٌ مِنَ التُّرْكِ لَمْ تتركْ لواحِظُهُ شيئاً من الحسْنِ إلاَّ وهيَ تحويهِ

ضاقَتْ عليَّ به الدُّنيا بما رَحُبَتْ للضيقِ في لحظِهِ والضيقِ في فيهِ

فعلَ اليغاليقِ أدهى في الجُسومِ من الياسيخِ مندفعاً عنْ قوْسِ راميهِ[2]

واهاً له كُلَّما ارْتَجَّتْ أَسافِلُهُ وآهِ مِنــــهُ إذا اهْتَزَّتْ أَعاليهِ

تُديرُ كأسينِ عَيْنَـــاهُ وَمُقْلَتُهُ على النَّديمِ ففي سُكْرينِ تُلقيهِ

فأَوَّلُ الشَّرْبِ سُكْراً ، من هواهُ أَنا فَلي خمارٌ عسى فوهُ يداويهِ[3]

يا لَلرِّجـــالِ لظبيٍ صائدٍ أَسَداً قاسي الفؤاد على صَبٍّ يُقاسيهِ

يجني عليَّ فأَستَحلي جنايَتَهُ وما أَمرَّ وما أَحلى تجنيهِ[4]

---

(١) الأحوى : من الحُوَّة : سواد إلى الخضرة أو حمرة إلى السواد ، والشاجي : من الشجو وهو الطرب والحزن (ضد) .

(٢) المغالق والمغاليق : السهام . ولم نعثر على كلمتي « اليغاليق » و « الياسيخ ، بالخاء أو الحاء » فيما لدينا من معاجم . ونظن أنهمـــا : السهام أو نوع آخر من السلاح .

(٣) الخمار : أثر الخمرة بعد الشرب ، أو بعد النوم قال شوقي :

لم نفق منك يا زمان فنشكو مدمن الخمر لا يُحسُّ الخمارا

(٤) قال الشريف الرضي :

أنت النعيم لقلبي والعذاب له فما أمرّك في قلبي واحـــلاك

دَعْني منَ الرَّشأِ النَّجْديِّ فالرَّشأ التركيُّ أُوقِعتُ في أَشراكِ حُبِّيهِ

فصُدْغُهُ صَولَجانٌ ، خالُـهُ كُرَةٌ والخالُ حَبَّـةُ قَلْبي لا أُخَلِّيه[1]

بسَهْمِ ناظِرِهِ عَنْ قَوْسِ حاجبِهِ يرمي فؤادي على عَمْـدٍ فَيُصْميهِ

ولسْتُ انظُرهُ إلاَّ مُخـالَسَةً أَكادُ ، من تَرَفٍ باللَّحظِ ، أُدميهِ

أَعيا تلافيهِ ، صبًّا ليسَ يُشْرِكُ في الهـوى وكم آيِ توحيدٍ ، تَلافيهِ[2]

ولَمْ يَزَلْ بينَ عَذْلٍ فيـهِ يَدْرَؤهُ عنهُ وواشٍ له شاوٍ يُداريهِ[3]

شُرْبوشُهُ نَكَسَتْ منهُ عَمامَةُ مَنْ في الحُبِّ دُلِّـهَ فيه أَيَّ تدْليهِ[4]

وما تأَمَّلْتُ وجـدي في محاسنه إلاَّ تأَمَّلْتُ وجْدي مِنْ مساويهِ[5]

متى تحرَّجْتُ منْ شُرْبِ المُدامِ شدا فَدَسَّ في أَدبي خمراً يُغَنِّيـهِ

يا مَنْ يَلومُ أَعِدْ ذِكْرى الحَبيبِ فما يُنْسيهِ شيءٌ ، بَلِ الأَيّامُ تُنْشيهِ[6]

---

(١) الصولجان : « جوكان بالفارسية » عصا معقوفة يضرب بها فارس كرة في ميدان لهذه اللعبة . والخال : العلامة التي تظهر في وجه الإنسان (شامة) .

(٢) تلافيه « كلمة واحدة » الأولى : من التلافي ، وتلافى الأمر : تداركه واصلها من لَفيَ ، وتلافيه الثانية : كلمتان هما تلا ، من التلاوة أي القراءة ، وفيه .

(٣) درأ يدرأ : منع ، وشاوٍ من شوى يشوي .

(٤) نَكِسَ يَنْكَسُ : قصّر وتأخّر .

(٥) وجدي : « الأولى » الحبّ و « الثانية » الحزن ؛ « مثلثة » .

(٦) تنشيه : تنشئُه ، توجده .

واذكُرْ دِمَشْقَ فإنَّ اللهَ فَضَّلَها   على البلادِ بمـــا لايُمْتَرى فيهِ[1]

زَهتْ بجامِعِهـــا والنَّسْرِ مُنْتصِباً   قوادِمَ النَّسْرِ ، تَتْلوها خوافيهِ[2]

وقد أناختْ على الجَوْزاءِ قُبَّتُهُ   تُبْدي الهِلالَ الذي لاشيءَ يُخْفيهِ

شَكَّتْ بسَفُّودِها جَوْزَ الهِلالِ وقَدْ   نَحَتْ بهِ نَحوَ قَلْبِ الحوتِ تشْويهِ[3]

وبابُ «جيرونَ» قدفارَتْ بساحَتِهِ   فوّارةٌ هي ظِئْرُ الجَدْيِ تَرْويهِ[4]

يا حبَّذا جَنَّةٌ (بابُ البريدِ) بها   والحُسْنُ قد حُشِيَتْ منْهُ حواشيهِ[5]

فالمرْجُ (فالنَّهْرُ) (فالقَصْرُ)المنيفُ على القُصورِ (فالشَّرَفُ الأَعْلىٰ) فبانيهِ[6]

فالجِسْرُ جِسْرُ ابنِ« شَواشٍ »فَنَيْرَبُها   تحْلو مَعانيهِ ، لاتَخْلو مغانيهِ[7]

---

(١) يمترى فيه : يُجادلُ فيه من ماراه مماراةً ومراءً .

(٢) جامع دمشق هو: جامع بني أمية المعروف ، والنسر: هي قبة الجامع المسماة : قبة النسر.

(٣) جَوْز الهلال : وسطه ، وقد أهمل النـاسخ الجيم والزاي من النقط . والسَفُّود : حديدة يشوى عليها اللحم .

(٤) باب جيرون : من أبواب دمشق ، والفوارة التي ألمح إليهـا الشاعر هي « النوفرة » وهذا الحي من دمشق يسمى بها . والجَدْي هو الذكر من ولد المَعز في السنة الأولى ، والجدي أيضاً : نجم إلى جنب القطب ، ولعل القصد منه هنا مكان بعينه .

(٥) باب البريد : محلة معروفة بدمشق إلى جوار جامع بني أمية .

(٦) المرج : هو المرج الأخضر أو مربط الجيش الـكائن إلى الغرب من دمشق والنهر : هو بردى أو أحد فروعه ، والقصر المنيف : هو قصر كان يشرف على المرج . والشرف الأعلى : من متنزهات دمشق . وقد شـككنا في كلمة « فبانيه » بسقوط نقطة الباء واخترنا أقرب الكلمات إلى معنى البيت .

(٧) جسر ابن شواش : أحد الجسور الموجودة بدمشق وهو من منازه المدينة (معجم البلدان) .

كأنَّ في رَأْسِ عِلِّيينَ «رَبوَتَهـــا» يَجْري بها كَوْثَرٌ سُبْحانَ مُجْرِيهِ[1]

تِلْكَ المرابِـعُ، لاحَزْوىٰ وكاظِمَةٌ ولا العَقيقُ بَواديهِ، بِواديهِ[2]

أَقَلُّ شِعْبٍ تَراهُ في دِمَشْقَ يُوافـــي (شِعْبَبوّان) وافي الفَخْرِ والتيهِ[3]

دَعْ شِعْبَ بوّانَ، يا مَنْ بالهَجينِ أَتىٰ مطَهَّماً عَرَبياً كي يُبارِيهِ[4]

كم يوم سَبْتٍ بديعٍ في دِمَشْقَ أَتىٰ بِحُسْنِ مَن يُوسُفُ الصِّدِّيقُ يَحْكيهِ

إذا تأَمَّلْتَهـــا منْ كُلِّ ناحِيَةٍ دَعَتْكَ لِلْعَجَبِ البادي، دواعيهِ

بِها الجَواسِقُ أَمْثالَ المَراكِبِ في بَحْرِ البَساتينِ تَعْلوها صَواريهِ

كأنَّ مِشْمِشَها في دَوْحِهِ ثَمَرُ الجِنـــانِ تجنيهِ مِنْهـــا كَفُّ جانيهِ

كأَنَّمـا كلُّ غُصْنٍ منهُ ذو كَرَمٍ تَحلُّ في النَّاسِ أيدٍ من أَياديهِ

بِها الهَزاراتُ تَشْدو في سَتائِرِ أَوراقٍ فَنَحْنُ بمـــا تأْتيهِ في التِّيهِ

---

(١) عِلّيوُّن ؛ جمع عِلّيّ : اسم ديوان الملائكة أو أعلى الأمكنة ، أو هي الجنة . والربوة : متنزه دمشق المعروف وقد قال فيها شوقي :

وربوة الواد في جلباب راقصةٍ الساق كاسيةٌ والنحر عريان

(٢) العقيق : وادٍ بالمدينة ويلاحظ الجناس بين َبواديه و ِبواديه .

(٣) شعب بوان هو أحد متنزهات الدنيا وقد وصفه المتنبي بقصيدته الشهيرة :

مغاني « الشعب » طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

(٤) المُطَهَّم : الأصيل ، والهجين : اللئيم ، وغير العتيق .

كأَنَّ نايَ « زُنامٍ » في مَناقِرِها   وعُودُ « إِسْحق » تَتْلوه مَثانيهِ[1]

كأَنَّ في كلِّ عُودٍ ، عودَ جارِيَةٍ   بِصَدْرِها منهُ مولودٌ يُناغيهِ[2]

لا شيْءَ أَحسَن منها غَيْر سِيرَةِ سُلْطـانِ الأَنامِ الذي تَعْلو معاليهِ

الظاهرِ المَلِكِ الغازي الغِياثِ مَتىٰ   يُعْذَلْ على الجودِ ، يزدَدْ في تَناهيهِ

كأَنَّـهُ في الوَرىٰ فَصْلُ الرَّبيعِ زَهَتْ   في ٱلْعـامِ أَيّامُهُ حتّىٰ لياليهِ

فَلَمْ يَكُنْ خائِفاً في الناسِ آمِلُهُ   فَقْراً ، ولا خائِباً باليأْسِ راجيهِ

فَمِنْهُ يَسْعىٰ إِلى الحَرْبِ ابنُ بَجْدَتِها   ولِلنَّجاحِ جَناحٌ في مَساعيهِ[3]

تَهابُهُ الخَيْلُ والفُرْسانُ هَيْبَتَهـا   ذا اللِّبْدَتَيْنِ جَثا في الغيلِ يَحْميهِ[4]

لمّا رَأَوْا أَنَّهُمْ منْ خَوْفِ سَطْوَتِهِ   نَعامُ دَوٍّ تَبارىٰ في نَواحيهِ[5]

---

(١) زنام : عازف النـاي المشهور زمن العبـاسيين ، وإسحق : هو الموصلي الموسيقي الشهير زمن هرون الرشيد .

(٢) عود : الأولى يعني الغصن ، وعود الثانية ، آلة العزف المعروفة ، يقول ابن الرومي في قصيدة « المهرجان » يصف القيان العازفات :

وقيان كأنهـا أمهات   عاطفات على بنيها حوان

مُطفِلات وما حملن جنيناً   مرضعات ولسن ذات لبان

كل طفل يدعى بأسماء شتى   بين عودٍ ومزهرٍ وكران

(٣) البَجْدة : الأصل ، وابن بجدتها : العالم بالشيء .

(٤) ذو اللبدتين : الأسد .

(٥) الدَّوّ : الصحراء .

أَمسَوْا وَرَكْضُهُمُ لَوْكانَ في لَهَــواتِ الطِّفْلِ ماكانَ ذاكَ الرَّكْضُ يؤذيهِ[1]

ببأسِهِ أَمِنَ الثَّغْرُ المَخوفَ فما يَخافُ في الدَّهْرِ صدْماً من دَواهيهِ

مَلْكٌ لدى الحَرْبِ ، تَسْتَجْدي المُلوكُ لَهُ
ذُلاًّ وفي السِّلْمِ تسْتَجدي أَياديهِ

تَبًّا لنا إنْ مَدَحْنا غَيْرَهُ مَلِكاً بالحَمْدِ والمَدْحِ والتَّنْويهِ نَنْويهِ

وهوَ الجَديرُ بِشُكْرِ الناسِ كُلِّهِمُ ومَدْحِ كلِّ ٱمْرِىءٍ جادَتْ قوافيهِ

فما رأى النَّاسُ قِدْماً مِثْلَهُ مَلِكاً كلاَّ ولا بَعْدُ لا زالتْ مَعاليهِ

ومَنْ رَمىٰ بِقَوافيهِ إلىٰ حَلَبٍ يَحْلُبْ بِها خَيرَ دَرٍّ من أَمانيهِ

بَنى به اللهُ للإِسْلامِ في حَلَبٍ سوراً منيعاً تَعــالى اللهُ بانيهِ

أَساسُهُ العَدْلُ والإِحسانُ يَدعَمُه والنَّصْرُ يَثْنيهِ والتَّأْييدُ يُعْليهِ

ودونَـهُ البيضُ ، بيضُ الهِنْدِ مُصْلَتَةً
والسُّمْرُ سُمْرُ القَنــا تَدْمىٰ عواليهِ

كلُّ المَمالِكِ ترجو أَنْ تكونَ لَـهُ مُلْكاً ، أَنِلْها ، إلٰـهي ، ما تُرَجِّيهِ

يا صَفْوَةَ اللهِ من بَدْوٍ ومِنْ حَضَرٍ أنتَ الَّذي لم يكنْ خَلْقٌ يُضاهيهِ

فالبَدْرُ يقْصُرُ باعاً أَن يُساجِلَهُ والشَّمْسُ تَصْغُرُ قدْراً أَنْ تُباهيهِ

---

(١) قال المتنبي :

فبعدَهُ وإلى ذا اليوم لو ركضت بالخيل في لهوات الطفل ما سَعَلا

وهلْ طنينُ ذُبابِ السَّيفِ في رَهَجٍ   يُرى طنينُ ذبابِ الصَّيفِ يَحْكيهِ[1]

وهلْ سَرابٌ بِبَطْنِ القاعِ مُلْتَمِعٌ   كالبَحْرِ يوْماً إِذا جاشَتْ أَواذيهِ[2]

وما الغَضَنْفَرُ في الآجامِ مُفْتَرِساً   يَوْماً بأَفْتَكَ منه في أَعاديهِ[3]

لَمْ يَبْلُغِ الفُرْسُ والأَتْراكُ والعَرَبُ الماضونَ والرُّومُ عُشْراً من أَياديهِ

مَنْ تُبَّعٌ مَنْ أَنوشِروان من هوسَلْجوقٌ ومن قَيْصَرٌ في أَهْلِ ناديهِ[4]

يَرَى بآرائِهِ في اليومِ أَمْرَ غَدٍ   كأَنَّمـا الغَيْبُ بالنَّجوى يناجيهِ

فما السَّعـادَةُ إلاَّ في أَوامِرِهِ   ولا السَّعـادَةُ إلاَّ في نواهيهِ

فَدَهْرُنا بِلِسانِ الحالِ قالَ لنـا   بُشْرى لِطائِعِهِ وَيْلٌ لِعاصيهِ

كم صادَ أَصْيَدَ قَسْراً فهوَ عانيهِ   يبكي على مَلِكٍ وافاهُ ناعيهِ[5]

إِنْ كانَ أَهْلوهُ ما بَيْنَ الوَرى شُهُباً   في مُلْكِهِمْ فهوَ شَمسٌ بيْنَ أَهليهِ

يُغْني عُفـاةَ نـداهُ سَيْبُ نائِلِهِ   جوداً ، ويفني عِداهُ سَيلُ واديهِ

---

(١) ذباب السيف : رأسه ، والمجانسة ظاهرة بين السيف والصيف وبين الذباب والذباب .

(٢) أواذي : جمع آذيّ ، وهو الموج ، جاشت : اضطربت .

(٣) الغضنفر : من أسماء الأسد .

(٤) سلجوك أو سلجوق ، وقد أوردها الناسخ بالكاف وهي في كل المعاجم بالقاف وهو اسم لزعيم تركماني ظهر في القرن العاشر وإليه ينسب السلاجقة .

(٥) الأصيد : المائل العنق وما يصاد . العاني : اسم فاعل من عَنىَ يعني عنىً . وعناه تعنية : أسَرَهُ وحبَسَه .

حَتّى إذا ما رَأَوه راكِبـــاً فَرَساً   تَرَجَّلَ الهامُ يَهوي عَنْ هواديه[1]

ففي مَضَلَّتِها بَلْ في مَذَلَّتِهـــا   تَهوي أعاديهِ إذْ تَنْوي تُناويهِ[2]

مِنْ خَوْفِهِ اللَّيْلُ ما تَسْري عَقارِبُـهُ   على الصَّعيدِ ولا تُؤذي أفاعِيهِ

وقَدْ عَجِبْتُ لِبَحْرٍ طـابَ فارْتَوَت البِلادُ منه ورَبْعي لَيْسَ يَسْقيهِ

هذا وما زِلْتُ في كلِّ المَحافِلِ مُثنيـــاً عليْهِ فما آلو ، دَواعيهِ

ولي مَديحٌ يَهَشُّ السَّامِعونَ إلى   سمـاعِهِ فيهِ ما أقْوَتْ قَوافيهِ[3]

ياليتَ نائِمَ حَظّي هَبَّ مُنْتَبِهاً   بيقْظَةٍ مِنْهُ بعْدَ الْفَقْرِ تُغْنيهِ

إن يَفْعَلِ الخَيْرَ بي يَجْزِ الإلـهُ بِهِ   مَنْ يَفْعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازيهِ[4]

فنالَ مُلْكَ سُليمانٍ وعاشَ بِهِ   ما عاشَ نوحٌ سَعيداً في تَرَقّيهِ

---

(١) الهوادي : الأعناق .

(٢) المضَلَّة : الضلال ، وتناويه : تناوئه من المناوأة : المفاخرة والمعارضة ، وناوأ فلاناً : عاداه .

(٣) أقوت من الإقواء : عيب من عيوب الشعر ، وهو أن تتبدل حركة قافية من القوافي في القصيدة الواحدة فتأخذ حركة مخالفة للقوافي الأخرى .

(٤) الشطر الأخير من هذا البيت مأخوذ من بيت للحطيئة مشهور :

من يصنع الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازيَهُ   لا يذهب العُرفُ بين الله والناسِ

والجوازي : جمع جازية وهي المكافأة وهي أيضاً مؤنث : جازي .

وقال يمدح الصاحب صفيّ الدين عبد الله بنَ علي ويصفُ دمشق :

يا راكِبَ النّاقةِ الوَجْناءِ يُزْجيها والشَّوْقُ والسَّوْقُ، هاديها وحاديها[1]

عَرِّجْ على جِلَّقَ الفَيْحاءِ غُوطَتُها فَحَيِّ « جامِعَها » عَنيِّ وأَهْليها[2]

لولا الخُلودُ الذي لَسْنا نؤَمِّلُهُ لقُلْتُ إنَّ جِنانَ الخُلْدِ تحكيها

فإنَّها بَلَدٌ ناهيكَ من بَلَدٍ في الحُسْنِ ليْسَ لها مِثْلٌ يُضاهيها

كأنَّما جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ جِلَّقُ والأَنهارُ أَنهارُها تجري بوادِيها

فماءُ كانونَ في سَلْسالِ « رَبْوَتِها » تُطْفي بهِ نارَ آبٍ حين تُحميها[3]

تلكَ الرُّبوع حَلَتْ عندي معانيها من أَهْلِها لا خَلَتْ مِنْهُمْ مَغانيها

تُبْدي سُبوتاتُها الأَزهارَ مونِقَةً منها محاسن كان البردُ يُخْفيها[4]

ياطيبَ أَزْهارِ أَنفاسِ الرَّبيعِ بِها والطَّيرُ تُطْرِبُنا أَصْواتُ شاديها

تَكادُ تُظْهِرُ عيَّ الدَّوْلَعيِّ إذا تجاوَبتْ فتعالى اللهُ باريها[5]

---

(١) الوجناء : من الإبل الصلبة الشديدة ، تزجيها : تدفع بها ، تسوقها .

(٢) يشير الشاعر إلى غوطة دمشق الشهيرة وجامع بني أمية فيها .

(٣) الربوة : متنزه دمشق المعروف ؛ وتلاحظ الصناعة اللفظية بين كانون ، والنار . وشهر كانون وآب ... الخ .

(٤) السبوتات : جمع سبت ، والجمع الذي عثرنا عليه لهذه الكلمة هو أسبت وسبوت .

(٥) الدولعي : نسبة إلى الدَّوْلعية وهي قرية قريبة من الموصل ومنها خطيب دمشق أبو القاسم عبد الملك بن زيد ونظن أنه هو المقصود .

أكُفُّ مَنْثورِها يدعو بِطولِ بقــاءِ «الصَّاحبِ بن عليٍّ» بَسْطَ أيديها[1]
والوَرْدُ يُبدي خُدودَ الغانياتِ بها وللثُّغورِ ابتِسامٌ في أقاحيهـــا
تَحْكي الشَّحاريرُ رُهباناً صَوامِعُها البــانات تَتْلو زبوراً في أعاليهـــا
وللهزاراتُ ألحــانٌ مناقِرُها تُعيدُها فهي ناياتٌ وتُبْديها[2]
كأنَّ عيدانَهـا العيدانُ تُطْرِبُنـا منها المثالِبُ إذْ تُتْلو مَثانيها[3]
دِمَشْقُ في حُسْنِها ذاتُ العِمادِ بِـلا شَكٍّ ولا مِرْيةٍ فيهـــا لِرائيها[4]
نِساؤُها الحُورُ والوِلدانُ تَخْجَلُ من وِلدانِهـــا في المَيادينِ التي فيها
مِنْ كلِّ أحوَرَ تُرْكيٍّ مَعاطِفُهُ في البَنْدِ، تهتزُّ من سُكرِ الصِّباتيها
قوامُهُ صَعْدَةٌ في الحِقْفِ مركزُها واللَّحْظُ منهُ سِنانٌ فوقَ عاليهـا
مِنْ ضيقِ أجفانِهِ سُبْلُ الهَوى اتَّسَعتْ
عَلَيَّ ما حيلَتي، وا حَيْرَتي فيهـــا
هاروتُ ينفُثُ سِحراً مِنْ لواحِظِه الوَسْنى المِراضِ اللَّواتي عِفْنَ تنبيها

---

(١) الصاحب بن علي؛ هو الممدوح .

(٢) نايات : جمع ناي ، وهو القصب الذي يعزف به وأصله من الفارسية .

(٣) المثالث والمثاني : من أوتار العود .

(٤) ذات العماد : من أسماء دمشق أو الاسكندرية أو موضع بفارس ، وإرَم : الحجارة تنصب علماً في المفازة .

واللهِ ما اخترْتُهُ إلا إذا اعتقدَتْ ... أَلاَّ شبيـــه له روحي فيسليها

ظبيٌ من التُّركِ لم تترُكْ لواحِظُـهُ ... لي نيَّـــةً في جميلِ الصبر أَنْويها

والتُّركُ أَبناؤهـا تسبي وتقتل في ... دمشق لم تخشَ يوماً بأْس واليها

دمشق إِن جئتَها من كلِّ ناحِيَةٍ ... على اليَفاعِ الذي تحوي حواشيها

حَكَتْ بساتينها بحراً جواسِقُها ... فيه المراكب ملقاةً مراسيها[1]

أَو السماءَ وواديها المجرةُ والقصـــورُ فيـــه نجومٌ سارَ ساريها

تلكَ المرابِعُ لا وادي العقيقِ ولا ... نَجْـدٌ ولا شِعبُ بَوّانٍ يدانيها

بُشرى لهـــا ولأَهليها بساحتِها ... فاللهُ كالِئُهم فيها وكاليها[2]

كلُّ الممالِكِ قد دانت لمالِكها ... وهو الذي بصنوفِ العدلِ يحميها

وحسبُها وكفى أَن زادها شرفاً ... أَن الوزيرَ صفيَّ الدينِ يَحْويها

وهو الذي بأَياديه الجِسامِ كسا ... أَيامَها الحُسنَ فابيضت لياليها[3]

حتى غدا سائِرُ الأَمصارِ يَحْسُدها ... فاللهُ من عَيْنِ من فيهـــا يُوَقِّيها

والرُّخصُ حالَفَها أَنْ لا يُفارِقَها ... والجَدْبُ أَقْسَمَ بَرّاً لا يدانيها

---

(١) جواسق : جمع جوسق وهو القصر معرب (كُوشكْ) بالفارسية .

(٢) كلأ : حَفِظ . والكالىء : الحافظ .

(٣) قال ابن زيدون :

حالت لبُعْدِكُمُ أيامُنا فغدت ... سوداً وكانت بكُمْ بيضاً ليالينا

أيامُ مِشمِشِها لا شيءَ يشبِهُهـا ... في الحُسنِ كلاّ ولا في الطيب يحكيها[1]

كأنَّ دوحاتِهِ الفازاتُ إذ ضُرِبَتْ ... من سُنْدُسٍ فحكَتْ معشوقَ رائيها[2]

سماءُ أشجارِها الخضراءُ جاعلةٌ ... بِشُهْبِها عاطِلَ الغبراءِ حاليها[3]

تَهْدي وتُهْدي الأماني للنفوس وللعُـ ... ـيونِ ، للهِ هاديهـا ومُهْديها

طافت بأشجارِها الزُّوّارُ في عُصَبٍ ... شُعْثٍ ، فلَبَّتْ وما خابَت مساعيها[4]

كذا عقيدةُ مولانا الوزيرِ فتاويـ ... ـها [تبين] بهـا التقوى فتاويها[5]

فهيَ الحقيقَةُ تنويهاً وكم وُضِعَتْ ... عقيدَةٌ بمجازِ اللَّفظِ تمويها[6]

أضحت مقدِّمَـةً لكن نتيجَتُها ... بِحارُ عِلمٍ طَمَتْ منها أواذيها[7]

---

(١) الواو بعد كلاّ جاءت مطموسه بالأصل .

(٢) الفاز ، والفازات : جمع فازة : المِظَلّة . وكلمتا « من سندس » سها عنهما الناسخ ثم أثبتهما إلى جانب الأبيات .

(٣) العاطل : التي لا حلية عندها ، والحالي هو الذي وضع الحلية أو لبسها أو تزين بها .

(٤) العُصَب : جمع عصبة : الجماعة .

(٥) كلمة « تبين » قدرناها تناسب المقام لأنهـا ساقطة في الأصل وقد أشار الناسخ إلى النقص ولكنه لم يثبت الكلمة الناقصة ونظن أن القافية مخففة الهمزة وأصلها (فتأويها) من الإيواء .

(٦) نوَّهَهُ ونَوَّهَ به تنويهاً : دعاه يرفع الصوت ورفع من ذكره . وموَّهَ الخبرَ ، أخبر بخلاف الواقع .

(٧) المقدمة والنتيجة : من اصطلاحات علم المنطق الصوري ، وطما : فاض ، وأواذيّ : جمع آذيّ وهو الموج .

عقيدةٌ من بحـــارِ العِلمِ منتظِمٌ   في سِلْكِ تِقْصارِها أَغلى لآليها[1]

حَلَّتْ عقيدتُهُ عِقْدَ الشكوكِ فَبِـــالألفاظِ جَلَّتْ وإن دَقَّتْ معانيها

فيها فُصوصٌ فصولٌ كُلُّها حِكَمٌ   عن فضلِ راصِعِها تثني وبانيها[2]

فيها ثَمانِيَـةُ الأَبوابِ تضمَنُ جَنَّـــةً عروشاً لقاريهـــا وراقيها[3]

لهـــا أَشَدُّ وِطاءٍ بالموطَّأ مرويّـــاً ، وأَقْوَمُ قيـلٍ فاز منشيها[4]

طابَتْ أُصولٌ بها تحت الفُروعِ فقد   قَدَّتْ قوادِمُها قِدمـــاً خوافيها

لمـا غـدا راسخاً في العِلْمِ أَظهَرَهُ   والشمسُ، لا شَيْءَ، يومَ الصَّحْوِ، يخفيها

أَرسى قواعِـــدَ فيها للعقائدِ ما   أوفى مهندِسَها ، عِلمـاً ، وبانيها

أَحيا مُصَنِّفَ (إحياءِ العلومِ) بها   لولا أَياديهِ خِفْنا من تلاشيهـا[5]

قالوا العلومُ (بِغزَّاليِّها) خُتِمَتْ   وأَنتَ أَفضَلُ تهذيبـاً وتنبيها[6]

---

(١) التقصار والتِّقصارة : قلادة تجمع على تقاصير .

(٢) الفصوص : جمع فَصّ (مثلثة الفاء) : القسم ، المفصل ، المقطع . والرّاصِع : من رَصَعَ ورَصَّعَ : رَكَّبَ .

(٣) قاريها : أي قارئها ، وراقيها : من رقى يرقى رقياً : عوّذَه وقرأ عليه .

(٤) الوِطاء (ويفتح) المهاد الوطيء وما انخفض من الأرض . والموطّأ : أصله كتاب شهير في الحديث للامام مالك ، ووطّأ الموضع : سهلَه .

(٥) إحياء العلوم : كتاب للامام الغزالي (توفي عام ٥٠٥ هـ) واسمه الكامل « إحياء علوم الدين » .

(٦) اختلف في تسمية الغزالي بتشديد الزاي أو بدون تشديد .

يا أَيها «الصاحِبُ» المُثْني عليه بنو الدُّنيـــا بحـــاضِرِها خيراً وباديهـــا
هذا وكلٌّ ، من التقصيرِ ، معتذِرٌ إلَيكَ مِمَّن بقاصيهـا ودانيهـــا
والشمسُ والمِسْكُ أَعيا الناسَ وصفُها وأَنت مثلُهُما قـــدراً وتنزيهـا
وأَنت مسأَلة الإِجماع ما اختلَفَتْ فيها خصومٌ ولا أَبدت تناجيها [١]
أَيامُ سعدكَ أَبقَتْ من يُواليهـــا فيما أَحبَّ وأَفنتْ من يُعاديهـــا
دانَتْ لأَقلامِكَ البيضُ المناصلُ والسُّـــمرُ الذوابِلُ مهتزّاً أَعاليهـا
فاسلَمْ ،ودُمْ ، وابقَ وارقَ الدَّهرَ واسمُ وطلْ
بدولةٍ دوحهـــا تحلو مجانيهـــا

وقال يمدح الرئيسَ الأَجلَّ شمسَ الدين ابا القاسِم بن التِّنِّبي [٢] رحمه الله :

كم شـــجٍ آلمَهُ لَوْمُ الخَلِيّ فأَبى الإِصغاءَ بالسَمْعِ الأَبيِّ
والهَوَى العـذرِيُّ مَن عُلِّقَهُ لم يَعُدْ عن عُذْرِهِ غيرُ الغَبيِّ
ما تَرى دمعي عقيقياً لِمـا شِمتُهُ من بَرْقِ ثغرٍ لُؤْلُؤيِّ
ليته جـــادَ بوسمـي اللَّمى لي وثنَّتـهُ الثنايا بالوَليِّ [٣]

(١) الاجماع : هو أن يجمع العلماء على تقرير أمر ، والاجمـاع من مصادر الشرع وأولها القرآن الكريم ثم السنة ثم الاجماع والقياس والمصالح المرسلة .
(٢) نسبة إلى (تِنَّب) وهي قريه من قرى حلب قريبة من إعزاز .
(٣) الوسميّ : أول المطر ، والوليّ هو المطر الذي يعقب الوسمي .

ثغرُهُ ثغرٌ حمـــاهُ لحظُهُ بِشَبا سيفٍ جُرازٍ مَشْرَفيٍّ[(1)]

مُتَشَكٍّ خَصْرُهُ من رِدْفِهِ ما تشكاه ضعيف من قويٍّ

مارَنا إلا رَمى الألبابَ مِن لحظِ عينيهِ بسِحرٍ بابليٍّ[(2)]

منه أهوى ملَكاً قد عادَ لي عاذِلي فيه بشيطان غَويٍّ

فالى أينَ مُضِيّي عن هَـــوى ذي مُحيّا مُخْجِلِ البدرِ المُضِيِّ

غيرُ بِدْعٍ ذُلُّ شهمٍ باسلٍ بعـد عزٍ فهوَ صَبٌّ بصَبيِّ

أنا يعقوبيُّ حُزْنٍ في هوى رشأٍ يسطو بحُسنٍ يوسُفيِّ

صدَّ عنّي إذ رآني مُقْتَراً قال لا أرغبُ إلا في غنيٍّ[(3)]

فأجِرْني منقـــذاً من جورِهِ يا أبا القاسِمِ يا ابن التَّنَبيِّ

يا أبا القـــاسِمِ شمسِ الدينِ يا ذا الحيا الهامي عن الوجهِ الحَيِيِّ

لم يكُنْ في الدَّهرِ يوماً بالذي يَجْبَهُ السؤّالَ باللفظ البَذِيِّ[(4)]

---

(١) الجراز : من السيوف ، القـاطع . والشبا : حد السيف أو رأسه ، والمشرفي : السيف المنسوب إلى مشارف الشام وهي القرى المحيطة بها ، والمشارف أيضاً هي (مؤتة) وهي الموضع الذي قتل فيه جعفر ابن أبي طالب وأصحابه في غزوة مؤتة المعروفة .

(٢) السحر البابلي : نسبة إلى بابل عاصمة الكلدانيين قديماً .

(٣) المُقتَر : من اقتر الرجل : أصبح فقيراً .

(٤) جبه : رد بقسوة أو ضرب جبهته ، والبذيّ ؛ البذيء ؛ الكلام النـابي أو الفاحش من بذَأ يبذَأ .

زانَكَ الخالِقُ بالخُلْقِ الرَّضِيِّ   وبِخَلْقٍ بَهَرَ الخَلْـــقَ وَضِيِّ

واعتقادٍ سِرَّ صَحْبَ المُصْطَفَىٰ   وعليّـــاً حسبُهُ أيّ عَـــلِيِّ

يا لهـــا من هِمـةٍ « شمسيةٍ »   أحرَزَتْ أقصى مدى المجدِ القصيِّ

رَفَعَتْ مِنكَ رئيساً ماجـــداً   في ذُرى العليا إلى الأُفُقِ العليِّ

فهو يدعو الجَفَلىٰ مُحْتَفِـــلاً   جامعـاً ما بينَ دانٍ وقصِيِّ [١]

من يَرُمْ إحصاءَ ما فيهِ مِنَ المَجـــدِ يُلْجَم من يَدِ العَجْزِ بِعِيِّ

عطَسَتْ غيرتُهُ عن أنَفِ الليـــثِ من أرنبـةِ الأنفِ الحَمِيِّ

يبسُطُ الكفَّ التي تهمي سَخاءاً   إنْ كبا زندُ يَدِ الغَيْمِ السَّخِيِّ

لَكَ ذِكرٌ طابَ في العالَمِ نشراً   فهو في النادي كَعَرفِ المَنْدَلِيِّ

بِكَ سُكّانُ دِمَشْقَ افتَخَروا   فَخْرَ عَـدْنانَ قديمـاً بالنّبيِّ [٢]

فُزتَ في الدَّهرِ بمجدٍ دُنْيَوِيِّ   ولَدَى الحَشْرِ بِسَعْدٍ أُخْرَوِيِّ

فيكَ هَزَّ المدحُ أعطافَ العُلىٰ   فاشرأَبَّتْ لِكريمٍ أريَحِيِّ [٣]

---

(١) الجفلى : جماعة الناس وعامتهم دون تخصيص : قال طرفة بن العبد :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى   لا ترى الآدب فينا ينتقِرْ

وانتقر : اختار أشخاصاً ، والجَفَلى عكسُها : النَقَرى .

(٢) عدنان : هو جد النبي ﷺ .

(٣) اشرأب للشيء اشرئباباً : مدَّ عُنُقَه ، والأريحيّ : الواسع الخُلُق ، الذي يرتاح للكلام .

والسلاطين مَنُوطٌ أَمْرُهـا فيكَ بالنَدْبِ الذكيّ الأَلْمَعِيِّ[1]

هـذهِ العلياء لا مَنْ لَقِيَ اللهَ يومَ الحَشْرِ بالمَسْعى الشَّقِيِّ

يتقي اللهَ وهـل يظفَرُ بالأَمـنِ من حَرٍّ لظىً غيرُ التَقِيِّ

كَبَتَ الأعداءَ يامن كَبَتَ الحـاسِدَ المَرْمِيَّ بالداءِ الدَوِيِّ[2]

رَحْمَةُ اللهِ على قبرِ أَبٍ أَنْتَ منه ولَهُ خيرُ وَصِيِّ

فلقد خَلَّفَ سَمْحاً ماجداً نَحْوَه تُضْرَبُ أَبَاطُ المَطِيِّ

هاكَها بِكراً عروساً حُلِّيَتْ من معالِيكَ باصنافِ الحُلِيِّ

لم تكن في النسجِ ديباجَتُها دون ديباجةِ وَشْي (البُحتريِّ)[3]

فابقَ ماشِئت مُبيداً لعَدُوٍ وحسوداً ومفيـداً لِوَلِيِّ

نَحْرَ اعداءٍ وقلبَ الموْكبِ السَّـائرِ الأَسْنى وصدراً للنَدِيِّ

---

(١) النَّدْب : الخفيف في قضاء الحوائج ، الظريف النجيب . والأَلمَعِيّ : الذكي . وهو الكذاب أيضاً .

(٢) كَبَتَ : صَرَعَ وكَسَرَ وأذلَّ . والدَوِي : الداء الباطن ، والدَّوي « بفتح الواو » المَرض والفعل منه : دَوِيَ .

(٣) البحتري : هو الشاعر العباسي المعروف بديباجته وسلاسة ألفاظه حتى شبه شعره بسلاسل الذهب ، وقال فيه ابن الأثير : أراد البحتري أن يَشْعُرَ فغَنّى ، إشارة إلى ديباجته الرائعة التي تفرَّد بها في الشعرِ العربي كله .

وقال يمدحُ الأميرَ مؤيّدَ الدَّولة[1] أُسامة بن مُنقذ رحمه الله

أُسامَةَ قد سَمَوْتَ على البرايا ... بما أُوتيت فيهم من مَزَايا

فأنتَ أَجلُّهمْ قَدْراً وذِكراً ... أَجلْ : وأَشَدُّهمْ عقلاً ورايا

وأجدَرُ أَنْ تقولَ فلا تُمارَى ... (أَنا ابن جَلَا وطلاعُ الثنايا)[2]

لك الطَعناتُ في الأعداء شزراً ... مُسَابِقَةً إلى القومِ المنايا[3]

وضَرْباتٌ تشيبُ لها النواصي ... عَظيماتٌ ، عظيماتُ الرَزَايا

---

(١) هو أسامة بن مرشد بن منقذ الكناني الشيزري كان أميراً على قلعة شيزر الواقعة إلى الشمال الغربي من حماه على نهر العاصي . شاعر وأديب وكاتب (٤٨٨ — ٥٨٤ هـ) .

(٢) الثنيَّة : مؤنث الثَّنيّ والعقبة أو الجبل أو مواضعهما وجمعها ثنايا . ومنها ثنية العُقاب : التي تقع إلى شمالي دمشق وابن جلا : الواضح الأمر ، وقيل هو الصبح أو القمر ، وخالف الخليل هذه الأقوال فقال : إنه اسم رجل بعينه واحتجَّ بقول سُحَيم بن وثيل الرياحي :

أنا ابن جلا وطلاعُ الثنايا ... متى أضَعِ العمامةَ تعرفوني

والاسم هنا مسمى بالفعل الماضي ، وإذا سمي الرجل بفعل : كقتل أو ضرب فإنه لا ينصرف على أحد الأقوال .

وقد استشهد الحجاج في خطبته المعروفة عند ما وصل إلى العراق بهذا البيت وغيره من الأبيات .

(٣) شَزَرَ الحبلَ : فتلَهُ ، والشزراء : العين الحمراء كعين الأسد .

ووقفاتٌ تَفِرُّ الأُسدُ منها   كما فَرَّت من الأُسْدِ الرَّذَايا [1]
وبيتٌ لا يُسامَى في المعالي   لك المِرباعُ منها والصفايا [2]
وفضلٌ شاعَ في الدنيا فشَدَّت   إليه بنوه أكوار المطايا [3]
وجودٌ تعجزُ الأَوصاف عنهُ   وتخجَلُ من عطاياهُ العطايا
ونظمٌ مثلُ منظومِ اللآلي   على أجيادِ عَذْباتِ الثنايا
وتَصنيفٌ كزهرِ الرَّوْضِ يُسقىٰ   بنجدٍ في الغدايا والعشايا [4]
وعمرٌ طالَ في كَسْبِ المعالي الجِسامِ وعافَ في الدُّنيا الدنايا [5]
حَمِدْنا اللهَ أَنْ عِشْنا إلى أَنْ   رأينا من له هذي السجايا
تُعظِّمُهُ الملوكُ بكُلِّ عَصْرٍ   كأَنَّهُمُ لَهُ فيه رَعايا
فلا زَلَّتْ به قَدَمٌ فليست   له قَدَمٌ تُخَطَّأُ في الخطايا [6]

---

(١) الرّذايا : جمع رَذِيّ ، من أثقله المرض ، والمهزول الضعيف من الإبل .
(٢) المِرْباع : الناقة التي تلد أول النتاج ، أو المكان ينبت نبته أول الربيع ، والصَفايا : مفردُها ، صَفيَّة ، وهي كل شيء مختار ، وما اختاره الرئيس من الغنيمة .
(٣) المطايا : الإبل . مفردها مطيَّة ، والأكوار مفرد كُور : رحل البعير .
(٤) التصنيف : التأليف ، والغدايا جمع غداة ، والعشايا : جمع عشية .
(٥) الدنايا : جمع دنيّة : الرذيلة .
(٦) خطّأه : نسبه إلى الخطأ .

وقال أيضاً :

تَألَّقَ البَرقُ لَهُ عَشِيَّا فَحَنَّ حين شامَهُ نَجْدِيّا
ذَكَّرَهُ لياليًا بحاجرٍ ولّى بها عيشُ الصِّبا هَنِيّا
في زمنٍ رياضُهُ تختال في الدّيباج والسُنْدُسِ عبقريّا
قد أَشْرَقَتْ مُذْ شَرِقتْ بمائها أزهارُها ، ضواحِكاً ، بُكِيّا[1]
يُهدي إلى العيونِ نوراً نَوْرُها وللأُنوفِ الأَرَجَ المِسْكِيّا[2]
وللربيع كيمياءً أبرز الإبريزَ من أكمامه نقيّاً[3]
والنرجسُ الغضُّ زُمُرُّدِيُّهُ في الذَهَبيِّ عانَقَ الفضيّا
والطيرُ كالرُّهبانِ في صوامِعِ الأَغصانِ يشجي صَوتُها الخَلِيّا
تلك ظِلالٌ عَذَرَ العاذِلُ في الضلالِ فيها العاشِقَ العُذْريا[4]
ياطالَمَا غازَلَ غِزلانَ الحِمَى فراحَ كلٌّ رامياً مَرْمِيا

(١) بُكِيّ : جمع باكية .

(٢) الأرج : الرائحة الطيبة ، العطر .

(٣) وردت كلمة «كيمياء» في الشطر الأول مهملة من النقط والهمزة بعد الألف .

(٤) العاشِق العذريّ : مجنون ليلى .

وا كبدي من شادنٍ لِحاظُهُ نوافِثٌ بالسِّحرِ بابليّـــا
تشكو إلى أردافِهِ أعطافُهُ شكوى الضعيفِ جاذبَ القوِيّا

وقال أيضاً :

وقالوا غداً يومَ النَّوى قُلتُ هدِّدوا بذا من يُرى حياً غداً ياصحابيا
أما تتَّقونَ اللهَ فيَّ رُوَيدَكُمْ كفانِيَ مما توعِدُونيَ مـابيا
لَئِن كنتُ ياليلى سلوتُ فإنَّ لي فؤاداً عن السِّلوانِ اصبح سالِيا
وإن نِمْتُ عن ليلى فإني لَمُقْسِمٌ بعينيكِ أني لاأنامُ الليـــاليا
صحا كلُّ قلبٍ ، غيرَ قلبي ، فإنهُ من الوَجدِ والأَشواقِ لم يَكُ صاحِيا
كأَنَّ الهوىٰ بالعِشقِ جَرَّدَ مَركباً فَمُذْ جاءَني أَلْقىٰ بقلبي المراسِيا

وقال أيضاً :

جاءَ الحبيبُ فما أَقْبَلْتُ منه علىٰ مواضِعِ اللَّثْمِ إِكراماً وتنزيهـــا
لكِنْ سَجَدْتُ على آثارِ أَخْمَصِهِ أُقَبِّـــلُ النعلَ إِكراماً لِما فيها
ودِدْتُ لو كانَ مَسْعَى أَخْمَصِيهِ على خَــدَّيَّ صَوْناً لنعلَيهِ وترفيها
فيالها قَدَمـــاً أَهْدَتْ إليَّ بِمَسْــعاها أيادِيَ بيضاً لَسْتُ أُحصيهـا

وقال أيضاً وقد سألَهُ الحافظ بهاء الدين بن عساكر[1] أن يُصَلِّي الجُمُعة خلف الدَّوْلَعِيِّ و يأْخذَ عليه اللَّحنَ في الخطبة فسُرِقَ مداسُهُ :

جئتُ أسعَىٰ إلى عَروبَــةَ حتىٰ صِرتُ أُذناً للمنــبرِ الأُمَويِّ[2]
جِئتُها ناعلاً وَوَلَّيْتُ عنهـــا حافيـــاً غــير ظافِرٍ بحَفِيِّ[3]
ما ظَنَنَّـــا بأَنَّ مقصورةَ الجـــامعِ مأْوىً لِكُلِّ لِصٍّ غَوِيِّ
أَو ثَقوا بالأَقفـــالِ مُصْحَفَ عثمانَ فخَوْفي عليـــه غـــير خَفِيِّ
قالَ لي (الحافِظُ) الأَجلُّ بهاءُ الدينِ ذو العقلِ والمحَيا البَهِيِّ[4]
إمضِ واسْمَعْ ، وعد ولا تَطْوِ عَنِّي نَشرَ لحنٍ في خطبةِ (الدَّوْلَعِيِّ)[5]
قُلتُ إذْ عُدْتُ : ماعَثَرتُ على لَحْـــنٍ جَـــلِيٍّ ولا أتى بخَفِيِّ
قال لي هـــذهِ الشَّهادةُ منهـا قد رَمَيْتَ الحَشَا بداءٍ دَوِيِّ
أَنتَ عِندي (خُزَيْمَةُ) الشاهِـــدُ الصادِقُ إذ كان شاهِداً للنَبيِّ[6]

---

(١) هو القاسم بن عساكر (٥٢٧ — ٦٠٠ هـ) المحدث وهو ابن المؤرخ الشهير ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق الكبير واسم الأب : علي بن الحسن بن هبة الله .

(٢) عَروبة : هو اسم يوم الجمعة .

(٣) الحَفِيّ : البرّ اللطيف بك .

(٤) الحافظ : هو ابن عساكر الذي وردت ترجمته في حاشية سابقة .

(٥) الدولَعِيّ : خطيب دمشق الشهير وقد سبقت ترجمته .

(٦) خزيمة : هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الأنصاري من الأوس صحابي جليل شارك في فتح مكة وقتل في صفين مع عليّ ، وسمي ذا الشهادتين واختلف الرواة في صاحب هذا اللقب أهو صاحبنا هذا أم خزيمة آخر .

تمَّ جميعُ المختـار من شعرِ الشيخ الأَجَـــلِّ العـالِمِ
فخر الأدَب فتيان بن عليٍّ النحوي رحمه الله
وصلى اللهُ على سيِّـدِنا محمـدٍ النبيِّ
وآلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين

فرغ من كتابته العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى علي بن أبي طالب بن علي بن علي
ابن الحسين الحلبي في العشر الأوسط من ذي الحجـــة
سنة ثلاث وعشرين وستمائة

نظر فيه داعياً لمالكه بطول البقاء وعلو الارتقاء
كتبه الفقير عبد القادر بن يوسف بن الموازيني غفر الله له

بسم الله الرحمن الرحيم
نظر في هذا الديوان المبارك
التوقيع : غير مقروء

ملحق الديوان

في الصفحات التالية القصائد والمقطوعات التي عثرنا عليها
في كتب الأدب والتي لم ترد في المخطوطة المصورة
للديوان الأصلي التي رجعنا إليها في التحقيق

قافية الهمزة

قال العماد الأصفهاني الكاتب في الجزء الأول من خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) الصفحة ٢٧٨ : (أَنشدني فتيان بن علي الأسدي الدمشقي المعلم الأديب لنفسه ، وهذه القصيدة مشتملة على حقيقته وطريقته ووفاته ووفاته) وهي في رثاء ثقة الدين أَبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر مؤرخ دمشق[(١)] .

أيُّ رُكنٍ وَهى من العُلماءِ ... أيُّ نجمٍ هَوى من العلياءِ

إنَّ رُزْءَ الإِسلامِ بالحافِظِ العالِمِ أَمسى من أَعظم الأَرْزاءِ

أَقْفَرَتْ بعدهُ ربوعُ الأَحاديثِ وأَقوت معالِمُ الأَنباءِ

أَيها المبتغي له الدهرَ مثلاً ... أَتُرَجّي تعانق العنقاءِ

كان ناديه كالرياض إذا ما ... ضَحِكَ النَّوْرُ عن بُكا الأَنْداءِ

كانَ حِبراً يُقري مسامِعَنا من ... أَسوَدِ الحِبْرِ أَبيضَ الآلاءِ

كان بَحْراً من عامَ فيهِ حباهُ ... باللآلي الأَنيقةِ اللألآءِ

كان مِن أَعلَمِ الأَنامِ بأَسماءِ رِجالِ الحديث والْعُلماءِ

---

(١) هذه القصيدة لم ترد في مصورة الديوان .

فهي من بعْدُ في المهارِقِ كالأَفعـــالِ إِذْ عُرِّيتْ منَ الأَسماءِ[1]

كان من وَصمة التَّغيُّرِ والتَّصحـــيفِ أَمناً لخابطِ العَشواءِ

كانــ في دينهِ قوياً قويماً ثابتاً في الضَّرّاءِ والسَّرّاءِ

كان علاَّمـةً ونسَّابةً لم يَخْفَ عنه شيءٌ من الأَشياءِ

يالهـا منْ مصيبةٍ صَمّـــاءِ لم يَحِدْ سهْمها عن الإِصماءِ

هدَمَتْ ذروة المعالي ووارت جَسَدَ المَجْدِ في ثَرى الغَبْراءِ

قد أَرانا سريرُهُ كيفَ كانتْ قبلُ تُجْلىٰ أَسِرَّةُ الأَنبياءِ

سَيَّرَتْ نعْشَهُ الملوكُ وأَمْلا كُ السَّمٰواتِ بالبُـكا والدُّعاءِ

وٱمترى حُزْنُـهُ مَدامِعَ أَهْلِ الأَرْضِ حتى جَرَت دُموعُ السَّماءِ

حسبُهُ أَنَّـــهُ به ٱستُسْقِيَ الغَيْثُ فجـادَتْ بهِ يدُ الأَنواءِ

نَعَشَ اللهُ نعشَهُ وسقـــاهُ رحمـــةً بالغمامـة الوطفـاءِ

قد وددنا أَنَّ العيونَ استهَلَّتْ عِوَضَ الدمعِ بعدَه بالدماءِ

ولتلكَ الدُّموعُ كانت نجيعاً قَصَّرتـهُ حرارةُ الأَحشاءِ

ولقد قرَّتِ الأعادي عيوناً طالمـا أُغفِيَتْ على الأَقـذاءِ

كم به جُرِّعَ العـدوُّ ذعافاً من أَفاويق البؤْسِ والبأْساءِ

---

(١) مهارق : جمع مُهْرَق وهو الصحيفة وأصل الكلمة فارسي .

لم يزل يَرْغَمُ العدوَّ ويسعى رافِـــلاً في مطارِفِ النعماءِ

من يَكنْ شامتاً فللموْتِ بأسٌ ليسَ يُثنىٰ بالعِزَّةِ القَعساءِ

ولهُ وثبةٌ تذلُّ لهـــا أُسُدُ الشَّرىٰ والجيوش في الهيجـــاءِ

من يمت فليمت ممـات أَبي القاسِمِ عَن عِفَّـــةٍ وطيبِ ثناءِ

كم حوى لحدُهُ من العلمِ والحِلْمِ وكم ضمَّ من سناً وسنـاءِ

إن يَكُنْ في المَوْتى يُعَدُّ فَقَدْ خَلَّفَ علمـاً أَبقاهُ في الأحياءِ

مُودِعٌ في سوادِ كل فؤادٍ بتصانيفِـــهِ بيـاضَ ولاءِ

وإلَيْهِ تُنْمى بنوهُ وطيبُ الأصْلِ مستأْزَرٌ بطيبِ الجَنـاءِ[١]

لـكُمُ يا بني عساكـرَ بيتٌ سامِقٌ في ذرى العُلى والعَلاءِ

لم يَزلْ منجباً أبوكم فمـــا بُشِّرَ إلَّا بالسادَةِ النجبـــاءِ

وَلَكُمْ في الأنامِ صيتٌ رفيعٌ مشرِفٌ فوقَ قِمَّةِ الجوزاءِ

فتعَزَّوا عنـــه بصبرٍ وإن كان مضى باصطِبـارنا والعزاءِ

نحن نبكي عليه حُزناً وكم قد صافحَتهُ في اللَّحْدِ من حوراءِ

يا أَبا عُـذْرِ كلِّ معنىً رقيقٍ جلَّ قدراً كالدُّرَّةِ العذراءِ[٢]

صبرُنا يا أبن بَجْدَةِ العلمِ أمسى عنك مستصعباً شديدَ الإباءِ[٣]

---

(١) مستأزَرٌ : محاط ، من أزرَ الشيء أحاطه .

(٢) أبو عذر : هو أول من يأتي بالشيء أو يتحدث به أو يفطن له أو يخترعه .

(٣) ابن بجدة الشيء : العالم به والخبير فيه .

عُلَماءُ البلادِ حَلَّتْ حُباها لكَ يامن عَمَّ الورى بالحِباءِ[1]

ماعسى أن نقول فيك وقد فاتت أياديكَ جُملةَ الإِحصاءِ

أنتَ أعلى من أن تُعَدَّ بوصفٍ بلَغَتْهُ بلاغةُ البُلَغاءِ

أنت أولى بأن تُرَثِّيكَ حتى يُبعَثَ الخلقُ ، ألسنُ الشعراءِ

فعليكَ السَّلامُ مالاحَ وجهُ الصُّبحِ من تحت طُرَّةٍ سوداءِ

وسَقَى التربةَ التي غِبْتَ فيها كلُّ جَونٍ وديمةٍ هطلاءِ

* * *

(١) حلّ الحبى : قام إليه واحتفى به وتهيأ له ، والحباء : العطاء من حباه يحبوه .

حرف الباء

وميضَ برقٍ أرى في فيكَ أم شنبا ... وهل رشفت رضاباً منه أم ضَرَبا [1]

أفدي الذي ماأبى باللحظِ سَفْكَ دمي ... لكن متى ماطلبتُ العطف منه أبى

ظبيٌ من التُّركِ أصمتني لواحِظُهُ ... وأسهُمُ التُّركِ إن أصمَتْ فلا عجبا

يبدو بضِدَّيْنِ في خَدَّيْهِ قد جُمِعا ... ماءُ الشباب ونارُ الحُسنِ فاصطحبا

فذلكَ الماءُ أبكى ناظرَيَّ دماً ... وذلكَ الجمر أذكى في الحشا لهبا

شكا فؤادِيَ من عبءِ الهوى تعباً ... كما شكا خَصْرُهُ من رِدْفِهِ تَعَبا

يهزُّ أعطافَه دلُّ الصِّبا فترى ... غصناً من البانِ يثنيهِ النسيمُ صَبا

يا مُطلِعَ البَدْر فوقَ الغُصن معتدِلاً ... يلوح ما بين شربوشٍ وطوق قبا

إِعدِلْ فإنَّ رسومَ الجَوْرِ قد دَرَسَت ... مذ صار فينا مكينُ الدين مُحتسِبا [2]

---

(١) الشنب : البرودة ، أو البياض في الشفاه . والضَّرَب : العسل الأبيض .

(٢) الأبيات ليست في مصورة الديوان وقد أخذت عن خريدة القصر (الجزء ١ قسم شعراء الشام صفحة ٢٥٤) .

حرف الراء[1]

نَعَشْتَ قَوْماً وكانوا قَبْلُ قَدْ دَثَروا   لَوْلا عُلاكَ فَطابَ الوِرْدُ والصَّدرُ[2]

أَحيَيْتَ شِعْرَهُمُ مِنْ بَعْدِ مِيتَتِهِ   قِدْماً وَقَدْ شَعَروا قِدْماً وما شَعَروا

أَقسَمتُ ما رَوْضَـةٌ مُخْضَرَّةٌ أُنُفٌ   باتَتْ تَسُحُّ عَلى أَقطارِها الْقُطُرُ

ذبابُها هَـــزِجٌ نُوّارُها أَرِجٌ   نباتُها بَهِجٌ مُسْتَحْسَنٌ عَطِــرُ

كَأَنَّ فارات مِسْكٍ وَسطَها فُرِيَتْ   فَنَشْرُها بِأَماني النَّفسِ مُنْتَشِرُ

شَقَّ النَّسيمُ عَلىٰ رِفقٍ شَقائِقَهـا   فضُرِّجَتْ بِدَمٍ لكِنَّهُ هَـــدَرُ

قُضْبُ الزَبَرْجدِ مِنها حُمِّلَتْ صدف الْياقوت فيها فُتَيْتُ الْمِسْكِ لا دُرَرُ

احداقُ نَرجِسِهـا تَرْنو فأَدْمُعُهـا   فيها تَرَقْرَقُ أَحياناً وتَنْحَــدِرُ

وَلِلأَقاحي ثُغورُ الْغِيـدِ باسِمَةٌ   سِيكَتْ بِاسحِلَةٍ انيابُها الأُشُرُ

---

(١) وردت هذه القصيدة في الصفحة (١٩٧) من الديوان المطبوع.

(٢) وردت هـذه القصيدة في مصورة الديوان وهي تنقص بيتاً عمّا جاء فى الخريدة (صفحة ٢٥٠ جزء ١) وقد جاء في تقديم هذه القصيدة في الخريدة على لسان العماد الأصفهـاني ما يلي : ثم سمع فتيـان أنني أثبتُّ شعرَه وأجريت في الفضلاء ذكره فقصدني بقصيدته وحضر عندي لزفاف خريدته وسألني أثباتهـا في ديوان الفضل وجريدته فحلَّيْتُهُ بفريدته وذلك مما أنشدني لنفسه يمدحني به).

تُريكَ حُسْنَ سَماءٍ وَهيَ مُصْحِيَةٌ والأَنْجُمُ الزُّهْرُ فيها ذلِكَ الزَّهرُ

تبدو بهــا طُرَرٌ من تحتها غُرَرٌ يا حبـذا طُرَرُ الأزهارِ والغُرَرُ

يومـاً بأَحسَنَ من خطّ العماد إذا أقلامـه نُشِرت عن حِبرِها الحِبَرُ

ولا العقود بأَجيــاد العقــائل كالدُّمَى فمنتظِمٌ منهــا ومُنتَــثِرُ

على ترائب كــافور تزيِّنُهــا حِقاقُ عاجٍ عليها عاجَت الفِكَرُ[1]

تلك اللآلي تروق الناظرين فمـــا يسومها مَلَلاً من حُسنِها النظَرُ[2]

يومـاً بأَحسَنَ من نظم العِمادِ ولا من نثرِهِ فبِـــهِ ذا الدهر يَفْتَخِرُ

أَضحَتْ صعابُ المعالي عِندَهُ ذُلُلاً تحوي دقائِقَهـــا من لفظِهِ الدُّرَرُ

كأَنّما لفظُهُ السِّحرُ الحَـلالُ أَو المـاءُ الزُّلالُ النُّقَاخُ الطيِّبُ الخصِرُ

شيبَتْ به قهوةٌ حمراء صافيـــةٌ عصارُها غَبَرت من دونه العُصُرُ[3]

ولا السحائبُ بِالأَنداءِ صائِبـةً فجَوْدُها غدِقُ الشؤبوبِ مُنْهَمِرُ

حتى إذا أنقشَعَتْ من بعْدِ ما همَعَتْ أثنىٰ علَيها نبات الأَرْضِ والشَّجَرُ[4]

يوماً بأَغْزَرَ من كَفِّ العمادِ ندىً فكُلُّ أَنْمُلَـةٍ مِنْ كفِّهِ نَهَرُ

---

(١) وردت في المصورة «وتزينه».

(٢) وردت في المصورة «من ظلّها».

(٣) في المصورة «قد أتت» بدلاً من «غبرت».

(٤) في المصورة «الروض» بدلاً من «الأرض».

فللغمائمِ تقطيبٌ إذا انبجستْ وبِشرُهُ دونَهُ عند النَّدى القمرُ
ما ابنُ العميدِ ولا عبد الحميد ولا الصابي بأحسنَ ذكراً منه إنْ ذُكِروا
ولوْ يُناظِره في الفقهِ أسعدُ لم يَسْعَدْ وأحصرَهُ عنْ نُطقهِ الحَصَرُ[1]
هذا ومحتِدُهُ ما إنْ يُساجِلُهُ خلقٌ إذا القومُ في نادي العُلى افتخروا
أَصِخْ مُحَمَّدُ إنِّي جِدُّ مُعتَذِرٍ إنَّ المُقَصِّرَ فيما قالَ يعتذِرُ
يا ابنَ الكِرامِ الأُلى سارَتْ مكارِمُهُمْ
حتّىٰ تَعَجَّبَ منها البَدْوُ والحَضَرُ
راووقُ حِلمِكَ فيما أنتَ تَسْمَعُهُ يبدي الجميلَ وفيهِ العيبُ يَستَتِرُ[2]

* * *

(١) في المصورة « عن ذكره » بدلاً من « نطقه » .

(٢) في المصورة « الغَثّ » بدلاً من « العيب » .

(من الدوبيت)[1]

الورد بِوَجْنَتَيكَ زاهٍ زاهرْ
والسِّحْرُ بمقلتيكَ وافٍ وافِرْ
والعــاشِقُ في هواكَ ساهٍ ساهِر
يرجو ويخاف فهو شاكٍ شاكر[1]

* * *

(١) ورد هذان البيتان في وفيات الاعيان لابن خلكان « جزء (١) صفحة (٥١٦) » . وفي قاموس الأعلام التركي لشمس الدين سامي صفحة (٣٤٣) .

قافية القاف[1]

● نوحُ الحَمامِ الوُرْقِ في أَوراقِها   دَلَّ أَخا الشَّوقِ على أَشواقِها[2]
● فأَظْهرَ الدَّمعَ وأَخفى زفرَةً   خاف على البانات من إحراقها
● لو بَكَتِ الوُرق ببعضِ دَمْعِهِ   لأَمَّحَتِ الأَطْواقُ من أَعناقِها
● فاعْجَبْ لها شاكيةً باكيةً   لم تسلُكِ الدموعُ في آماقِها
ما أَفْرَقَتْ مهْجَتُهُ من الجوىٰ   لكنَّه أَشفىٰ على فِراقِها
وعُجْ على دمشْقَ تُلْفِ بلْدَةً   كأَنَّما الجناتُ من رستاقِها[3]
●سقى دمشقَ اللهُ غيثاً محسباً   من مُستهلٍّ ديمةٍ دفَّاقِها
● مدينةٌ ليسَ يضاهىٰ حُسنُها   في سائر البُلدانِ من آفاقِها
● تود زوراءُ العِراقِ أَنَّها   منها ولا تُعزى إلى عِراقِها

---

(١) وردت هذه القصيدة في الديوان الجديد المطبوع « صفحة ٢٨٧ » .
(٢) وضعنا إشارة (●) على الأبيات التي وردت في الديوان المخطوط من هذه القصيدة . وهناك ثمانية أبيات أخرى لم ترد في الخريدة ووردت في الأصل المخطوط لم نثبتها هنا لأننا لا نعرف موضعها من القصيدة ويمكن الرجوع إليها في الديوان المطبوع .
(٣) ورد هذا البيت في الديوان المخطوط هكذا :
مدينةٌ أحسن بها مدينةً   كأنما الجنة من رذداقها

أهدَتْ لها يَدُ الرَّبيعِ حُلَّةً   بديعةَ التَّفْويفِ من خلاَّقِها

بنفسَجٌ مثل خدودٍ أُدمِيَتْ   بالقرص والتجميش منْ عُشَّاقِها

ونرْجِسٌ احداقُهُ رانِيَةٌ   عن مُقَلِ الغيدِ وعن احداقها

تنزَّلَ المنثورُ من رياضها   تَنَزُّلَ الأَعلام من شقاقِها

فأرضها مثل السّماء بهجةً   وزهرُها كالزُّهرِ في إشراقها

مياهُها تجري خِلالَ روضِها   جَريَ الثعابينِ لدى استباقها

مسفرةٌ أنهارُها ضاحكةٌ   تنطلِقُ الوجوه لانطِلاقِها

نسيمُ ريَّا روضها متى سرى   فكَّ أخا الهموم من وثاقِها

قد ربع الربيع في ربوعها   وسيقت المُنى إلى أسواقِها

لاتسأمُ العيونُ والأنوفُ من   رؤيَتِها يَوْماً ولا استنشاقِها

فَكَمْ بها من شادِنٍ تَحْسُدُهُ   لحُسنِهِ البُدورُ في اتساقها

كأنَّما رُضابُهُ الصهباءُ بَلْ   مَذاقُهُ أطيبُ من مذاقِها

ومن بدورٍ في الخدورِ لم تَزَلْ   كوامِلاً لم تدنُ من محاقها

فأيُّ أُنسٍ ثَمَّ لم تلاقِهِ   وأَيَّةُ الراحاتِ لم تلاقِها

بعدلِ فخر الدينِ قرَّ أهلها   عيناً وزادَ اللهُ في أرزاقِها[1]

---

(١) القصيدة في الديوان قيلت في مدح الأمير بدر الدين مودود بن المبارك —

زَوَّجَهـــا الأمنَ وناهيك به بعلاً ، فطيبُ العيش من صَداقِها
فأقسمت لا نَشَزَت عنـــه وقد أقسم لا مـــال إلى طلاقهـــا

ومنها [1] :

ليس لفخر الدينِ نِدٌّ في الوغى إذا الحروب شَمَّرَت عن ساقها
تهابُهُ الأسود في آجامهـــا وحيَّـة الوادي لدى إطراقِها
ويخضب السيوفَ باصطباحِها من عَلَـــق النجيع واغتباقها
كأنمـــا اعداؤه احبَّـــةٌ يشتاق في الحرب الى اعتناقها
والخيلُ لا تقتحِمُ الموتَ إذا دارت رحى الحرب سوى عتاقِها
سَحَّت بجدواه سحابُ كفِّـهِ فخافت العُفـاة من إغراقِها
عليه من حسن الثناء حُلَّةٌ قشيبةٌ لم يَخشَ من إخلاقها

— والي دمشق ولكن اسم « فخر الدين » ورد مرتين في هذه القصيدة وهو ما يلفت النظر وقد شك الأستاذ الدكتور محمد شكري فيصل محقق « الخريدة » في أن تكون هذه القصيدة مزيجاً من قصيدتين موجهتين لممدوحين هما بدر الدين وفخر الدين أو أن يكون هناك التباس غير هذا .

(١) يبدو أن القصيدة أطول مما هي في الخريدة وأن العماد قد اختار منها هذا القسم الذي أثبته في كتابه .

ومنها :

أمضى حُسامٍ عقدتـــه الدولة النوريَّةُ الغرّاء في نطاقِها

أرسل نورُ الدينِ منه شهُباً على العدى لم يثنِ من احراقها[1]

* * *

(١) إلى هنا انتهت القصيدة كما أوردها صاحب خريدة القصر أما آخر بيت في القصيدة التي أوردتها المصورة فهو :

لا فتئت أيـامه سعيدةً لا ينكثُ الدهرُ قوى ميثاقها

حرف اللام

يا حاملي لا رأيتَ الدهرُ إقــــلالا
وزادكَ اللهُ توفيقاً وإقبـــالا[1]

اعطاك ربُّكَ اموالاً تنالُ بهـــا
بين الورى من جميل الذكر آمالا

الرِّزْقُ يأتيكَ والأعمار ذاهبةٌ
أَنْفِق ولا تخشَ من ذي العرش إقلالا[2]

* * *

(١) هذه الأبيات نقلت عن الخريدة (صفحة ٢٥٤ جزء ١). وهي مما يكتب على خريطة كما جاء في «الخريدة» والخريطة وعاء من جلد يشبه حاملة النقود.

(٢) قلَّ الرجُل إقلالاً: ذهب مالُه.

حرف النون

يا مَنْ تدرَّعَ في حَملِ الحمُولِ ويا
معانِقَ الهمِّ في سِرٍّ وإعلانِ
لا تَيْأَسُن - روحُ من عادى لدى مئةٍ
قاضي القضاةِ الجمالُ بنُ الحرستاني[1]

* * *

(١) هذان البيتان وردا في كتاب « الدارس في تاريخ المدارس » للنعيمي ، قالهما الشاعر في رثاء جمال الدين بن الحرستاني (٥٢٠ — ٦١٤) وقد وردا أيضاً في كتاب : الذيل على الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة صفحة (١١٦ جزء ١) « مخطوط » وفي البيت الثاني اختلاف بين الروايتين وهو غير واضح المعنى كما يُرى لوقوع تصحيف فيه .

قافية النون(١)

علامَ تحرُّكي والحظُّ سَاكِنْ
وما نهنهت في طلبٍ ولكِنْ
أَرىٰ نَذْلاً تُقدِمهُ المساوي
على حُرٍّ تؤخِرُه المحاسِن

* * *

(١) ورد البيتان في وفيات الأعيان لابن خلكان صفحة (٥١٦) .

حرف النون [1]

قال الشاعر في رثاء الشيخ الفقيه كمال الدين مودود بن الشاغوري الشافعي المتوفى سنة ٦١٢ هـ .

كم ضمَّ قبرُكَ يا مودودُ من دينِ
ومِن عَفافٍ ومن برٍّ ومن لِينِ
ماكنتَ تقرَبُ سلطاناً لتخدِمَهُ
لكِن غَنيت [2] بسلطان السلاطينِ
نبكي عليكَ وعنّا انتَ في شُغُلٍ
بردِّ تسليم حُورٍ خُرَّدٍ عِينِ
سقى الإِلَهُ ضريحاً أَنت ساكِنُهُ
حتى ترى منبتاً خضر الرياحِينِ

(١) وردت هذه الأبيات في كتاب الذيل على الروضتين لأبي شامة « صفحة ٩٨ جزء ١ مخطوط) .

(٢) وردت الغين مهملة ويمكن أن تكون الكلمة : عُنيت من عُنيَ يُعنى به .

مراجع الكتاب

الأعلام (خير الدين الزركلي)
الألفاظ الفارسية المعربة (ادّي شير)
البداية والنهاية (ابن كثير)
بدائع الزهور (ابن اياس)
تاج العروس (الزبيدي)
تاريخ الأمم والملوك (الطبري)
الحوادث الجامعة (ابن الفوطي)
خريدة القصر (العماد الاصفهاني)
الدارس في تاريخ المدارس (النعيمي)
ديوان البحتري
ديوان ابن الرومي
ديوان ابن عنين
ديوان ابي العتاهية
ديوان ابي نواس
ديوان الطغرائي
ديوان المتنبي
الذيل على الروضتين (ابو شامة المقدسي)
كتاب الروضتين في أخبار الدولتين
(ابو شامة المقدسي)
سيرة صلاح الدين الأيوبي
(النوادر السلطانية لأبن شداد)
سير أعلام النبلاء (الذهبي)
شذرات الذهب (ابن العماد)
الصحاح (الجوهري)
الفلاكة والمفلوكون (الدلجي)
قضاة دمشق (ابن طولون الصالحي)
قاموس الاعلام (شمس الدين سامي - تركي)
الكامل (ابن الأثير)
لسان العرب (ابن منظور)
محيط المحيط (البستاني)
مرآة الزمان (ابن الجوزي)
معجم الادباء (ياقوت)
معجم البلدان (ياقوت)
معجم المؤلفين (عمر رضا كحالة)
المعجم في اللغة الفارسية
(محمد موسى هنداوي)
المعرب (الجواليقي)
الموسوعة الميسرة (محمد شفيق غربال)
النجوم الزاهرة (ابن تغري بردي)
وفيات الاعيان (ابن خلكان)

الفهارس

فهرس القوافي

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف اللام ألف

حرف الياء

فهرس قصائد الملحق

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف الراء

حرف القاف

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

— ب —

الاســم	الصفحــة

— خ —

— د —

الاســم	الصفحــة

— ذ —

— ر —

— ز —

الاسم	الصفحة

— ص —

الاسم	الصفحة

— ض —

— ط —

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

— غ —

— ف —

فهرس الأماكن

التصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١	١٦	تهدي به	تهذي به
١٤	٩	خطّيّ	خَطّىْ
٣٤	٦	جبهاتَهنَّ	جبهاتِهنَّ
٣٧	٣	بِها	بِها
٤٤	٣	يَتَّمني	تيَمَّني
٤٧	٢	والنَوْمْ	والنَّوْمُ
٥١	٢	أبا عبد الله	أبا محمد عبد الله
٥١	٧	تَغني	تَفْنَى
٥٢	٢	أَثْنى	أُثني
٥٥	٢	الحَبَبِيِّ	الحَبَبيُّ
٥٦	١٢	إنعامَهُ	إنعامِهِ
٦٧	١	نبِتَ	بِذتَ
٧١	٧	عَند	عِندَ
٨٠	٩	أَوْدَعتْ	أُودِعَتْ
٨٠	١١	حمه	رحمه
٨٥	١	فغدِّ	فَعَدِّ
٩١	٧	طَرْفُ	طِرْفُ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩١	١٢	القَدَحِ	الفَرَحِ
٩٢	١٢	سَلَّ	سَلُّ
٩٢	١٢	نُضْحي	يُضْحي
٩٢	١٤	الثغُر	الثَغْر
٩٥	٢	يَسرِقُ	يَسرِقِ
٩٥	١٢	بأنة	بانة
٩٦	٣	مَليحُ	مَلِيحِ
١٠١	١٠	يُراحُ	يُزاحُ
١٠٤	٢	وَكلُّ	وَكلِّ
١١٠	١٢	بُرْدُه	بُرْدُهُ
١١٠	١٥	أوثت	وأُثبت
١٢٠	٤	تُفقَدُ	تُعقَدُ
١٢٠	١١	يُخفي	يخْفَى
١٢٧	١٦	واللام	اللام
١٣٢	٥	رَفيعٍ	رَفيغٍ
١٥٢	٦	كُلُّهم	كُلِّهِم
١٥٧	١٦	تُثْمرِ	تُثْمِرُ
١٧٠	١٣	بذور	بدور
١٨٣	٢	أحَمَرٍ	أَبْيَضٍ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٣٩	٥	مِنْ حُبِّهِ	مَنْ حُبُّهُ
١٨٦	٩	لَحْنٍ	طَحْنٍ
١٩٠	٨	تشمرُ	تشميرُ
١٩١	١٢	المجدَ الصريحَ	المجدُ الصريحُ
١٩٧	٦	قُرِنَت	فُرِيَتْ
١٩٧	١٠	شِيْكَتْ	سِيكَتْ
٢٠٤	٩	كَفْرِ	كَفْرِ
٢٠٧	١٦	إخلاّل	إخلال
٢٠٨	١١	ضامٍ	ظامٍ
٢١١	٢	الأُطُرْ	الأَطَرْ
٢١١	٦	وكلَّ مؤّمَّنٍ	به كلَّ مُؤْمِنٍ
٢١١	٧	شديدَ	شديدِ
٢١٥	٣	إعجاز	أَعجاز
٢٢٤	٦	ضرباتِه	ضرباتُه
٢٢٦	١	أسودُ خَفيَّةٌ	أُسودُ خفيَّةٍ
٢٢٦	١٠	تغادِرُ	يغادِرُ
٢٢٨	٥	تُغْرَس	تُفْرَس
٢٢٨	١١	سُحبان	سَحبان
٢٣٥	٨	فَجالَ	فَجادَ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٣٥	٨	وفادَ	وقاد
٢٤٣	٦	غُدُراً	عُذُراً
٢٥٧	١	سِواهِمُ	سَواهِمُ
٢٧٤	٩	حزوى والنقا	حزوى والنقا : مكانان
٢٨٩	٦	لافَنِيَتْ	لافتَئِتْ
٢٩٦	٢	أَيُّها	يا أَيُّها
٣٠٦	٩	عبدُ المُحسِنِ عَبدُ	عبدُ المُحسِنِ عَبدِ
٣٠٧	٨	شكوتُ	شكوتَ
٣١١	١١	لأَ دَرَّ	لا دَرَّ
٣١٤	٩	يُؤَكَّلُ	يُوَكَّلُ
٣١٧	٩	تزَأَّرَ	تزَأَّرُ
٣٢٤	١١	غُزلان	غِزلان
٣٢٩	٦	تُخِبُّ	تَخُبُّ
٣٣٢	٣	غديراً	عذيراً
٣٤١	١٠	عَمرٌ	عَمْرٌو
٣٤٩	١١	غَصْنٌ	غُصْنٌ
٣٥٦	٢	يُرَنِّحُ	يُرَنَّحُ
٣٩٠	٥	والوُجودُ	والوُجوهُ
٤٤١	١١	فيه	في مثله

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٤٦	٦	نعْمَةٍ	نقْمَةٍ
٤٤٧	٨	ذَبَّلُها	ذُبَّلُها
٤٤٩	٤	والسلطانِ	و السلطانُ
٤٥٦	١	سعيد	سَعْد
٤٨١	١	لا تَلْمني	لا يَلُمْني
٤٩٠	٦	معتذراً	مُعتذِراً
٥٠٦	٣	بمَجْدِ	بحَمْدِ
٥٥١	١	يَرِقّ	تَرِقّ
٥٥٥	١٢	قائد من قواد الصليبيين	لقب الملك الكامل
٣٥٩	١٢	دَوْلَتَهُ	دَوْلَتِهِ
٥٦٢	٤	حَولِ	حوال
٥٧٠	٤	أَلْوَوْ	أَلْوَوْا
٥٨٠	٤	أَروَوْ	أَرْوَوْا
٥٨٧	١	شاجيهِ	ساجيهِ
٥٩٦	٥	المثالِبُ	المثالِثُ

تم طبع هذا الديوان

في

المطبعة الهاشمية بدمشق

١٣٧٨ هـ — ١٩٧٦ م